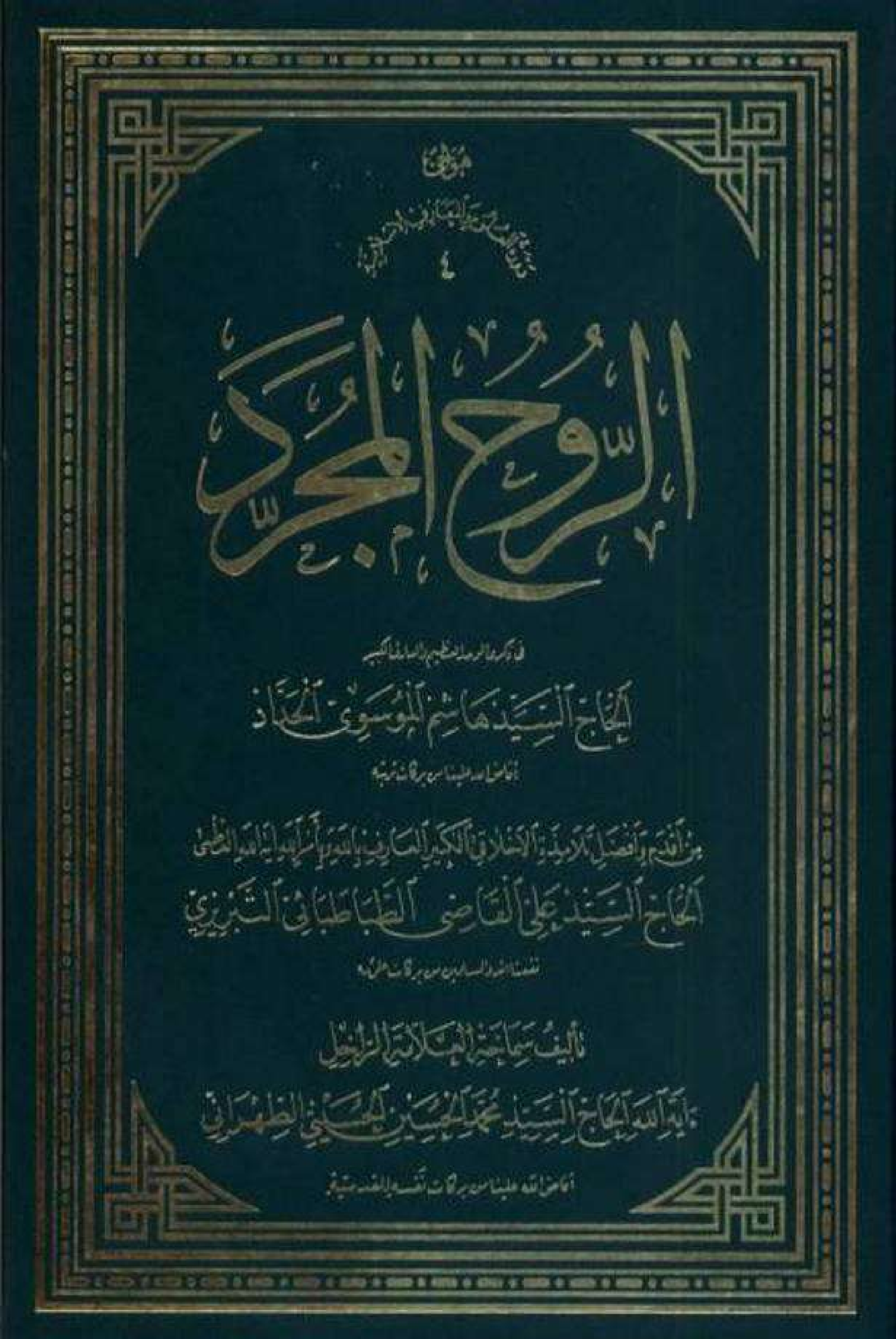

٤
الروح المجرد
في ذكرى الموحد العظيم والسالك الكبير
الحاج السيد هاشم الموسوي الحداد
من أقدم وأفضل تلامذة الأستاذ الأخلاقي الكبير العارف بالله وبأمر الله آية الله العظمى
الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي
تأليف سماحة العلامة الراحل
آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

هو الحي

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٤

الروح المجرد

رحمه ١٤١٥

في ذكرى الموحد العظيم والعارف الكبير

الحاج السيد هاشم الموسوي الحداد

أفاض الله علينا من بركات تربته

من أقدم وأفضل تلامذة الأخلاقي الكبير العارف بالله وبأمر الله آية الله العظمى

الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي

نفعنا الله والمسلمين من بركات علومه

تأليف

سماحة العلامة آية الله السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

تعريب: عبد الرحيم مبارك

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)


بسم الله الرحمن الرحيم


الروح المجرد

الفهرس

فهرس مطالب وموضوعات
الروح المجرَّد

المطالب	الصفحات

يشمل المطالب التالية :

القسم الثالث :

السفر الثاني للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٨٣ هـ . ق

يشمل المطالب التالية :

المطالب | **الصفحات**

القسم الرابع :

السفر الثالث للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٨٥ هـ . ق

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات

القسم الخامس :

سفر سماحة الحاجّ السيّد هاشم إلى إيران لمدّة شهرين للزيارة

الصفحة ١٦١ إلى الصفحة ٣١١

يشمل المطالب التالية :

المطالب | الصفحات

القسم السادس :

السفر الرابع للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٨٧ هـ . ق

الصفحة ٣١٥ إلى الصفحة ٤٥٢

يشمل المطالب التالية :

القسم السابع :

السفر الخامس للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٨٩ هـ . ق

يشمل المطالب التالية :

المطالب | الصفحات

القسم التاسع :

السفر السابع للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٩٢ هـ . ق

الصفحة ٥٢٩ إلى الصفحة ٥٥٨

يشمل المطالب التالية :

القسم العاشر :

السفر الثامن للحقير إلى العتبات المقدّسة ، سنة ١٣٩٤ هـ . ق

الصفحة ٥٦١ إلى الصفحة ٥٩٠

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات

القسم الحادي عشر :

السفران التاسع والعاشر للحقير إلى العتبات المقدّسة

سنة ١٣٩٥ و ١٣٩٦ هـ . ق

الصفحة ٥٩٣ إلى الصفحة ٦٠٩

يشمل المطالب التالية :

القسم الثاني عشر :

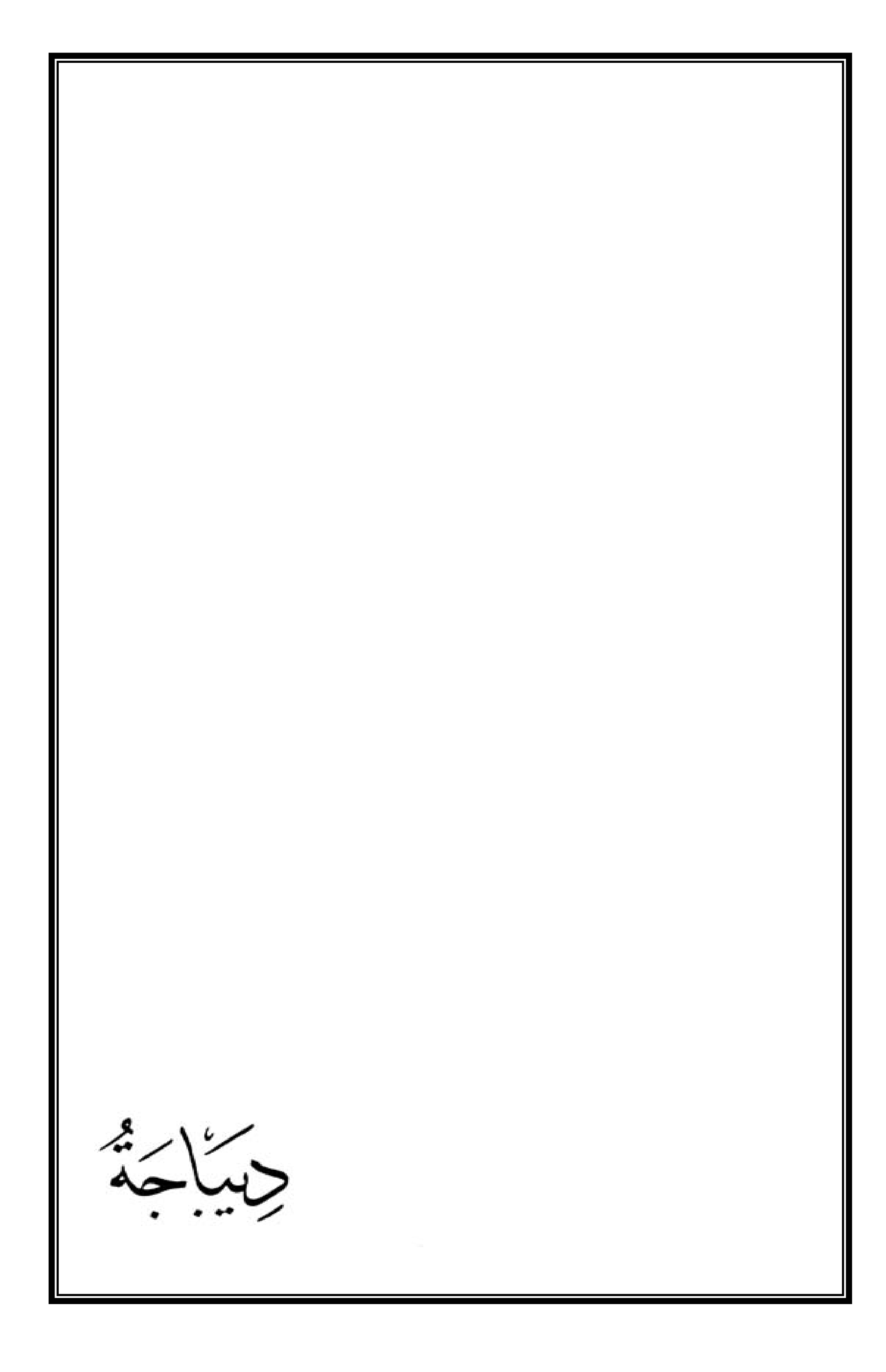
سفر الحقير إلى الشام ، سنة ١٤٠٠ هـ . ق

الصفحة ٦١٣ إلى الصفحة ٦٨٤

المطالب **الصفحات**

يشمل المطالب التالية :

المطالب	الصفحات


دِيبَاجَهُ

هو العليم الحكيم

أيّها النور المطلق ! وأيّها الروح المجرّد ! أيّها الحدّاد !

لقد كنتَ دوماً بحراً طافحاً فيّاضاً متدفّقاً على طلّاب الحقيقة ونُشّاد سبل السلام ، بحراً خضمّاً زاخراً لا تُدرك ضفافه . أمواجه التوحيد والمعرفة ، ونتاج مياهه الوفيرة الحجّة والبرهان ، والسطوع والإيقان والكشف والشهود ، والبصيرة والإتقان . فلقد كُنت كالبحر هادراً بأمواج العلم ، ساطعاً بنور البصيرة ، متجليّاً بشعاع العرفان ، وهكذا كنت كاشفاً الحقيقة لطلّاب الصراط الحقّ وسالكي سبيل الفَناء والاندكاك في الذات الأحديّة المقدّسة .

ولقد كان الحلم والصبر ، والاستقامة والتحمّل ، والجَلَد والتمكّن في الشدائد والمصائب ، بمثابة ضفاف هذا الشطّ الواسع والبحر العريض وسواحله التي تحفظ مياه هذا البحر الموّاج المتلاطم الطافح بالعلم ، وتحرسه من فيضان كثرة العلم وطغيانه وانفلات زمامه ، لئلّا يُحمَّل أهل العالم كلاماً أو قولاً فوق طاقتهم فتثقل كواهلهم .

أمّا كنوز هذا البحر العميق ونفائسه ، ولؤلؤه ومرجانه ، وجواهره الثمينة الغائرة في أعماقه ؛ فهي التقوى والطهارة والنور والعرفان ، التي تقدّم كأرقى وأغلى هديّة ملكوتيّة إلى عالم الإنسانيّة .

فالسلامُ عليكَ يوم وُلدتَ ويوم مُتَّ ويوم تُبعثُ حيّاً .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

(الآيات ٣٥ إلى ٣٨، من السورة ٢٤ : النور)

هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ البَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَعْوَرَهُ المُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى؛ أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ. آهِ آهِ! شَوقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ.

(أمير المؤمنين عليه السلام، الحكمة ١٤٧ من «نهج البلاغة»)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا.

(الآية ٢٣، من السورة ٣٣ : الأحزاب)

ذكرى ارتحال إنسان العين وعين الإنسان، الذي لم يأت الزمان بمثله، العارف الكامل المتحقّق بحقيقة العبوديّة، نقطة الوحدة بين قوسَي

الأحديّة والواحديّة : **الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ الحدّاد** ، في الثاني عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٠٤ هجريّة قمريّة .

تأريخ الكتابة : الأوّل من محرّم الحرام
لسنة ١٤٠٥ هجريّة قمريّة[1]

١ـ كُتبت المطالب أعلاه على صفحة كبيرة بطول ٨٠ وعرض ٦٠ سانتيمتراً بخطّ «النستعليق» الجميل للخطّاط المعاصر المعروف السيّد عبّاس أخويْن ، حيث قام الصديق العزيز المهندس الحاجّ عبّاس هادي زاده الإصفهانيّ زِيد توفيقه ، الصهر الكبير للمرحوم آيةالله الشيخ مرتضى المطهّريّ قدّس الله روحه باختيار عباراتها ، ثمّ زيّنها بإطار زجاجيّ شفّاف بحيث تبدو عباراتها من كلا الجانبَينِ ، وأرسلها للحقير في مشهد المقدّسة من محلّ إقامته بطهران في ذكرى رحيل الأُستاذ الجليل.

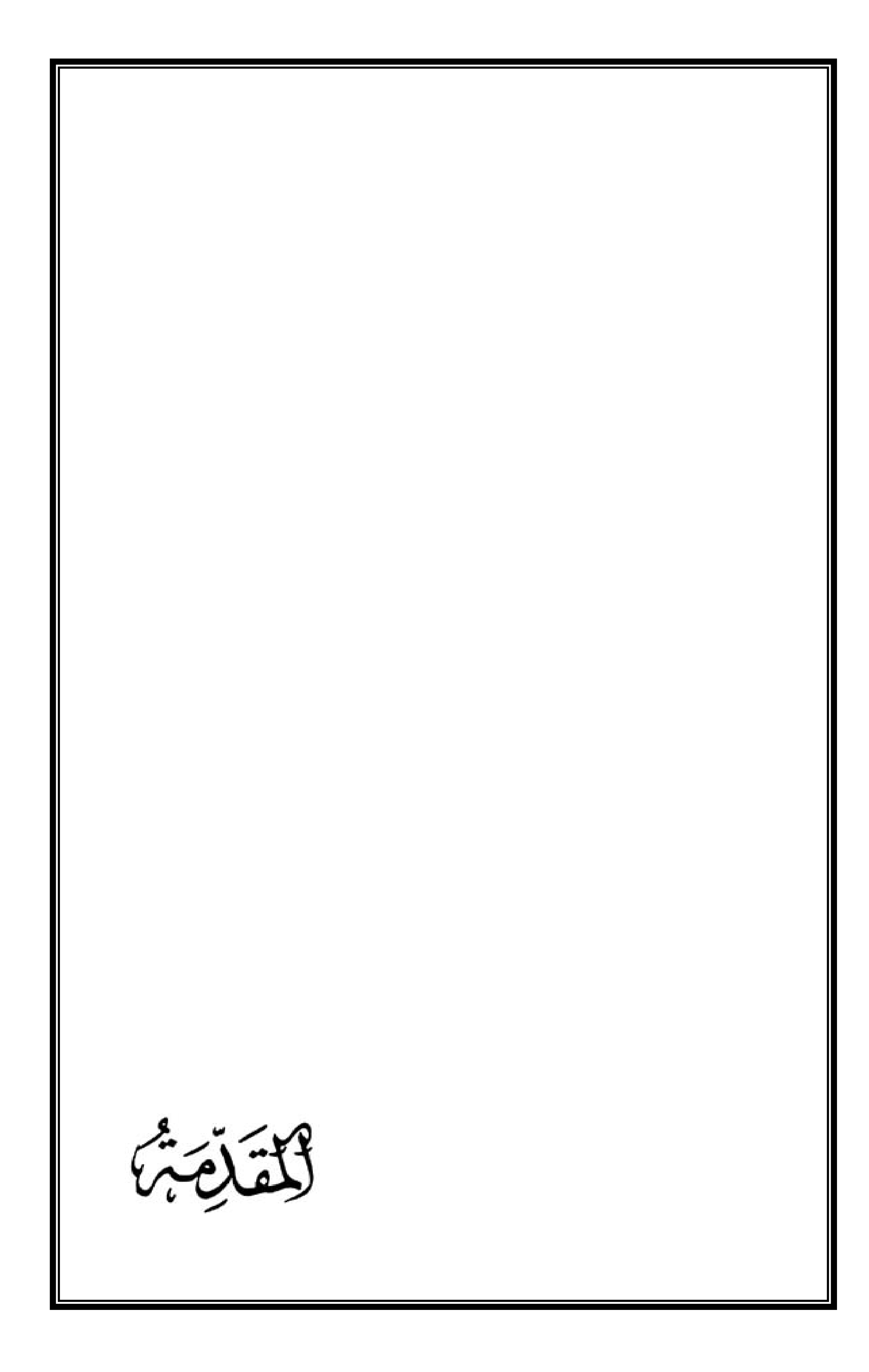
بسم الله الرحمن الرحيم

ولم يــزلْ ســيّدي بـالحمدِ مَـعروفا
ولم يــزلْ سـيّدي بـالجودِ مَـوصوفا
وكــانَ إذْ ليس نــورٌ يُســتضاءُ بــه
ولا ظــلامٌ عــلى الآفــاقِ مَــعكوفا
فــــربُّنا بــــخلافِ الخــلقِ كــلّهم
وكلّ ما كـانَ فـي الأوهـامِ مَـوصوفا
ومَــن يُــرِدْهُ عــلى التشـبيهِ مـمتثلاً
يَـرجـع أخـا حَـصَرٍ بـالعجزِ مَكـتوفا
وفـي المـعارجِ يـلقى مَـوْجُ قـدرته
موجاً يعارضُ طـرفَ الروحِ مَكـفوفا
فاتركْ أخا جَدَلٍ فـي الديـن مُـنْعَمِقاً
قــد بـاشرَ الشكَّ فـيه الرأيُ مَأْووفـا
واصــحبْ أخــا ثــقةٍ حُـبَّاً لسـيِّدهِ
وبــالكرامــات مـن مـولاه مَـحفوفا
أمسى دليلُ الهدى فيالأرضِ مُبتسماً
وفي السماءِ جميلُ الحـالِ مَـعروفا[1]

١ـ هذه الأبيات لأمير المؤمنين عليه السـلام أوردها في نهاية خطبته الغـرّاء فـي ⇦

⇦ توحيد الذات المقدّسة للحقّ تعالى وصفاته وأسمائه ، جواباً لذِعْلِب حين سأل : **يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟! فَقَالَ : وَيْلَك يَا ذِعْلِبْ ؛ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ .**

الخطبة مفصّلة ، أوردها المجلسيّ في «بحار الأنوار» الطبعة الحروفيّة الحيدريّة، ج ٤ ، ص ٣٠٤ إلى ٣٠٦ ، الحديث ٣٤ ، الباب الرابع : جوامع التوحيد من أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها ، عن «التوحيد» للصدوق بسنده المتّصل . وورد في خاتمتها: فخرّ ذعلب مغشياً عليه من صولة كلامه ، ثمّ أفاق فقال : تالله ما سمعتُ بمثل هذا الجواب، والله لاعدت إلى مثلها . وقد كتب سماحة الأُستاذ العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله سرّه في هامشه على «بحار الأنوار» : وهذه الأشعار هي أفضل دليل على أنّ خلقة العالم لم تكن منقطعة في أوّلها ، بل كانت موجودة دوماً ؛ كما أنّها دليل على أنّ الخلقة ليست منقطعة في آخرها، بل هي مستمرّة دوماً.


المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم
حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير

أحد تلامذة المدرسة الأخلاقيّة والعرفانيّة لفريد العصر وحسنة الدهر ، العارف الذي لا بديل له والموحِّد الذي لا نظير له ، سيّد العلماء العاملين ، وأفضل الفقهاء والمجتهدين : المرحوم آية الله العظمى الحاجّ السيّد الميرزا علي القاضي قدّس الله تربته المنيفة ، هو المرحوم السيّد الجليل والعارف النبيل ، والموحِّد بحقيقة معنى الكلمة : **الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ الحدّاد أنار الله شآبيب قبره الشريف من أنواره الباهرة القدسيّة** حيث يُعدّ من أقدم تلامذة تلك الآية الإلهيّة ، وأكثرهم قدرة وتمكّناً في سلوك درب التجرّد ، وفي طَيِّ عالم الملك والملكوت وتخطّي نشئات التعيّن ، والورود في عالم الجبروت واللاهوت ، والاندكاك المحض والفَناء الصِّرف في الذات الأحديّة للحقّ جلَّ وعلا .

الحدّاد وما أدراك ما الحدّاد !

وكان الحقير قبل التشرّف بالذهاب إلى النجف الأشرف ولثم العتبة المقدّسة لمولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه صلوات الله وملائكته

أجمعين ، وفي الأوقات التي كنت أستفيد فيها من المحضر الفيّاض للأُستاذ العلّامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله نفسه في بلدة قم الطيّبة ، كنت أسمعه أحياناً يذكر اسم السيّد هاشم وهو من تلامذة المرحوم القاضي القدماء ؛ من الذين يملؤُهم العشق والهيجان ، ويلفّهم التحرّر والتمرّد على القيود ، وكان ساكناً في كربلاء ؛ وكان المرحوم القاضي قد اعتاد الحلول عليه في بيته كلّما تشرّف بالذهاب إلى كربلاء .

ودام ذلك حتّى مَنّ الباري بتوفيق الحقير للتشرّف بالذهاب إلى تلك العتبة ، حيث كان خلال تواجده في النجف الأشرف يختصّ في الأُمور العرفانيّة والإلهيّة ـ حسب توصية الأُستاذ العلّامة ـ بآية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ أفاض الله على تربته من أنواره ، وكان لي معه خاصّةً علاقات حميمة . وكان الشيخ يذكر أحياناً اسم السيّد الحدّاد ، كما كان بعض الرفقاء الذين كانوا من تلامذة المرحوم القاضي ، وخاصّة بعض المسافرين والزائرين يذكرونه أحياناً في محضر آية الله القوجانيّ ويستفسرون عن أحواله ، فكان يجيبهم : هو في كربلاء ، وحاله بحمد الله جيّدة .

وباعتبار وجودي في النجف وانشغالي بالدرس والمباحثة ، فلم يكن لي مجال لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام إلّا في بعض ليالي الجمعة أو في أوقات الزيارة ؛ حيث كنت أذهب إلى كربلاء ثمّ أعود في نفس الليلة أو في اليوم التالي ، فلم تسنح لي الفرصة للبحث عن السيّد الحدّاد والالتقاء به .

ودام ذلك ما يقرب من سبع سنين ، حتّى التقى يوماً وسط الصحن المطهّر أحدُ تلامذة المرحوم القاضي واسمه العلّامة اللاهيجي الأنصاري بآية الله الشيخ عبّاس ، فقبّلا نواظر بعضهما ، فتطرّق الأخير خلال حديثهما واستفسارهما عن أحوال بعض إلى ذكر اسم السيّد هاشم واستُفسِر عن أحواله ، ثمّ قال في كلامه :

«لقد كان للمرحوم القاضي اهتمام خاصّ به ، وكان لا يعرّفه لأصحابه في السلوك ويضنّ به لئلّا يضايقه أحد منهم ، وكان هو التلميذ الوحيد الذي كان يحصل له الموت الاختياريّ زمن حياة المرحوم القاضي ، وكانت ساعات موته تطول أحياناً إلى خمس ساعات أو ستّ . وكان المرحوم القاضي يقول : إنّ السيّد هاشم في التوحيد أشبه بالسنّة المتعصِّبين لمذهبهم ؛ فقد كان متعصِّباً في توحيد ذات الحقّ تعالى ، ولقد ذاق طعم التوحيد ولمسه بشكل استحال معه لأيّ شيء أن يوجد خللاً فيه» .

ولم ينقضِ على هذه المحادثة وقت طويل حتّى حان وقت زيارة أبي عبد الله عليه السلام ، وكانت زيارة النصف من شعبان لسنة ١٣٧٦ هجريّة قمريّة ، فوُفِّق الحقير للتشرّف بالذهاب إلى كربلاء للزيارة . وحصل في ذلك السفر أن وُفِّقْتُ لزيارة السيّد هاشم وتقبيل يديه ، وانعقدت بيننا الأواصر الحميمة على أكمل صورها ، ودامت ثمان وعشرين سنة كاملة لحين رحيله عن دار الفَناء ، أي في سنة ألف وأربعمائة وأربعة هجريّة قمريّة ، وبقي ذكره منذ ذلك الحين ـ حيث ينقضي على رحيله ثمان سنين ـ لا يبرح عنّي ، مجسّماً في أُفق خاطري يزيد بمرّات على ذكري لوالدي ، **رحمة الله عليه رحمة واسعة.**

ولقد كان هذا الرجل ذا مغزىً عظيماً ، جمّ الفضل والعلم يقصر عنه لفظ العظمة ، وكان واسع الأُفق رحبه إلى درجة لا سبيل للتعبير عن سعة إدراكه . وكان متوغّلاً في التوحيد ، مندكّاً فانياً في ذات الحقّ تعالى إلى الحدّ الذي يبقى ما نقوله ونكتبه عنه اسماً ورسماً ؛ فهو خارج عن التعيّن ، متخطٍّ للاسم والرسم .

نعم ، كان السيّد هاشم الحدّاد روحي فداه حقّاً وواقعاً رجلاً تقصر أيدينا عن نيل أذيال أثوابه المتطاولة . وغالباً ما كنتُ ألتقي به أثناء هذه

المدّة المديدة في أسفاري التي كانت تحصل مرّة أو مرّتين في السنة وتدوم شهرين أو ثلاثة ، فأرد منزله في كربلاء وأُعَدُّ من عياله وأولاده ؛ لكنّه مع ذلك رحل ، وبعد رحيله فقد بَقِيتُ حتّى يومي هذا تلفّني الحيرة ويكتنفني الحياء ، خاضعاً مطأطئاً أمام ذلك الشموخ والرفعة وذلك المقام وتلك الجلالة .

لقد عَجَزَتِ الألفاظ عن وصفه ؛ فماذا أقول في رجلٍ وقفتْ أمامه الكلمات حيرى وأكلَّ الواصفين عن وصفه ناهيك عن إدراكه ؟!

لذا ، لم يُشهد اسمه في كُتُب الحقير ولم يجرِ فيها التطرّق إلى شرح حاله ، حتّى في كتاب «الشمس الساطعة» الذي أُلِّفَ في ذكرى الأُستاذ الكبير سماحة آية الله العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله سرّه ، وقد تطرّق الحديث فيه مفصّلاً عن حالات سماحة القاضي وأحوال بعض تلامذته ، بل ذُكِرَ فيه أسماء تلامذته بالترتيب دون اسم السيّد هاشم !

فلِمَ يا ترى ؟! ولأيّ سبب ؟!

ذلك لأنّه كان يستعصي على القلم فلا يحيط به ؛ فقد كان صقراً محلّقاً بعيد المدى لا ترقى إليه الأفكار والعقول في أوج تحليقها . ومهما جَهَدَتْ في اللحاق به رأته أسمى وأعلى وأفضل وأرقى ؛ **فيرجع الفكر خاسئاً والبصر ذليلاً والبصيرة كليلة ، وتبقى حيرى لا تعرف يمنة عن يسرة ولا فوقاً من تحت ولا أماماً من خلف .**

فكيف ـ يا ترى ـ يمكن للمحدود بالجهات والتعيّنات وصفَ روحٍ مجرّد يحاول إخضاعه لقالب معيّن ، فيدور حوله ليصفه ويبيِّن حاله ؟!

ونلحظ هنا روعة ووضوح كلام الملّا الروميّ الذي يتربّع على منصّة الحقيقة ويجد مصداقه في الخارج :

مــن بــه هـر جـمعيّتى نـالان شـدم
جُفت بدحالان و خوش‌حالان شـدم
هر كسى از ظنّ خـود شـد يـار مـن
وز درون مــن نــجست أسـرار مـن
سِـــرِّ مــن از نــالهٔ مــن دور نـيست
ليک چشم و گوش را آن نور نيست
تن زجان و جان زتن مستور نـيست
ليک کس را ديد جان دستور نيست[1]

أو حين يقول :

گــرچــه تــفسير زبــان روشـنگر است
ليک عشــقِ بــى زبــان روشــن‌تر است
چــون قــلم انــدر نــوشتن مــى‌شتافت
چون به عشق آمد قلم بر خود شكافت[2]

١ـ «مثنوي» ص ١ ، السطر ٣ و ٤ ، طبعة آقا ميرزا محمود.

يقول : «علا صوت أنيني في كلّ نادٍ وجمعٍ ، ورافقت ذوي الأحوال السيّئة والحسنة.

فخيّل لكلّ منهم أنّه صار رفيقي وصاحبي ، بَيدَ أنّ أحداً لم يطّلع على سرّي ومكنون ضميري.

إنّ سرّي مودع في أنيني وشجوني لا ينفكّ عنهما ، لكنّ أعين الآخرين وآذانهم ينقصها ذلك النور فقصرت عن أن ترى أو تسمع.

لقد اقترن البدن بالروح فلم يغب أحدهما عن الآخر أو يستتر عنه يوماً ، إلّا أنّه لم يُعهد من أحد أن يرى الروح عياناً».

٢ـ «مثنوي» ص ٤ ، السطر ١٤ إلى ١٩.

يقول : «مع أنّ اللسان هو المظهر للأحاسيس ببيانه وبلاغته ، لكن العشق أبلغ في خرسه من أيّ بيان.

وقد كان القلم مسرعاً في الكتابة ، لكنّه تصدّع لمّا بلغ كلمة العشق».

چون سخن در وصف اين حالت رسـيد
هــم قــلم بشكست و هـم كـاغذ دريـد
عقل در شرحش چو خَر در گـل بـخفت
شرح عشق و عـاشقى هـم عشـق گـفت
آفــــــتاب آمــــــد دليـــــل آفـــتاب
گـــــر دليـــلت بـايد از وى رو مـتاب
از وى ار ســــــايه نشــــانى مـــيدهد
شــــمس هــر دم نــور جـانى مـيدهد
ســايه خــواب آرد تــرا هـمچون سَـمَر
چــون بــرآيــد شــمس ، انْشَـقَّ القَـمَر
خود غريبى در جهان چون شمس نيست
شــمس جــانِ بـاقئى كش أمْسْ نـيست
شــمس در خـارج اگـر چـه هست فـرد
مــــثل او هــم مــيتوان تــصوير كــرد[1]

١ـ يقول : «وما أن بلغ الكلام إلى وصف هذه الحال ، حتّى تكسَّر القلم وتمزَّق الورق.

لقد استحال العقل في بيان العشق كالحمار المتخبّط في الوحل ، فشرح العشق وبيان حال العاشق لا يمكن أن يقوله إلّا من ذاق العشق بدوره.

ولقد جاءت الشمس دليلاً على الشمس ، فإن أردتَ دليلاً فلا تشح بوجهك عنها.

وصحيح أنّ الظلّ أيضاً يدلّ على الشمس ، لكن الشمس نفسها هي التي ترسل دائماً أنوارها على الأرواح.

فالظلّ كالسَّمَر في الليل يجعلك تشعر بالنعاس ، فإذا طلعت الشمس انشقّ لها القمر وأظْلَم.

ومع ذلك ليس في العالم غريب كالشمس ، وليس لشمس الروح المحيطة بالزمان من أمس أو غد.
⇦

ليک شــمسی کـه از او شـد هست أثـير
نــبودش در ذهــن و در خــارج نــظير
در تــــــصوّر ذات او را کُـــنج کـــو
تـــا در آيـــد در تـــصوّر مـــثل او[1]

وكم هو رائع وبليغ قول مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام في تبيانه لمحلّه ومقامه، حيث يقول:

صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلَى؛ أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إلَى دِينِهِ. آهِ آهِ! شَوْقاً إلَى رُؤْيَتِهِمْ.

لكنّ الابن الأرشد والأفضل والأعلم لآية الله المعظّم وحجّة الله المكرّم الحاجّ السيّد الميرزا علي القاضي أعلى الله مقامه المنيف، سماحة السيّد المحترم فخر الفضلاء العظام وعماد العشيرة الفخام وسيّد البررة الكرام، الابن الجسميّ والروحيّ لذلك الفقيد: السيّد محمّد حسن القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ أدام الله أيّام ظلاله وبركاته قد شرع بتأليف كتاب على قدر من التفصيل والشرح لأحوال والده المعظّم المرحوم القاضي، ربّما يجد طريقه سريعاً إلى الطبع والنشر بحمد الله ومنّه؛ جاء في جزئه الثاني شرح أحوال تلامذة هذا الرجل الإلهيّ الكبير وترجمة أحوالهم، وقد أوصاني هذا السيّد العزيز المكرّم عبر رسائل شفويّة وخطّيّة بالكتابة عن سماحة السيّد هاشم الحدّاد رضوان الله تعالى عليه بما علمتُ عنه كي أُقدِّمها

⇦ فهذه الشمس الموجودة في الخارج وإن كانت فريدة، ولكنّك تستطيع تصوير مثيل لها».

١ـ يقول: «أمّا تلك الشمس التي وجد الأثير والكائنات منها، فنظيرها يعزّ في الذهن وفي الخارج.
وأنّى يكون هناك متّسع لتصوّر ذاتها، من أجل أن يتحقّق مثيلها في التصوّر!».

لمحضره .

لذا ، فقد عقدتُ العزم امتثالاً لأمره الذي هو في الحقيقة امـتثال أمـر والده المرحوم ، على كتابة رسالة ـ ولو مختصرة ـ فـي مـدى فـهم الحـقير وإدراكه ؛ وها أنا أُقدِّمها لسماحته ولأرباب السلوك والمعرفة مع الاعتراف بالعجز والإقرار بالقصور . **وما توفيقي إلا بالله عليه تـوكّلت وإليـه أُنـيب وهو خير هادٍ إلى سواء السبيل.**

وكان الشروع في هذه الرسالة ضحى يوم الثلاثاء الخامس عشر مـن شهر رجب المرجَّب لسنة ألف وأربعمائة واثني عشر هجريّة قمريّة ، فـي البلدة الطيِّبة للمشهد الرضويّ المقدَّس على شاهده آلاف التحيّة والإكـرام والسلام والإنعام ؛ وسمّيتها «**الروح المجرّد : في ذكرى الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد قُدّس سرّه**».

وأنا العبد الحقير الفقير المسكين المستكين
السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ
عفى الله عن جرائمه

القِسمُ الأوّلُ

مُقدِّمةُ التّشرّفِ والتّوفيقِ لمحضرِ سماحةِ الحدّادِ ومُلازمتِهِ

بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَهُ عَلَى سَيِّدِنَا ونَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِالطَّيِّبِينَ
وَلَعْنَةُ اللَهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَهِ العَلِيِّ العَظِيمِ
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ ، نِعْمَ المَولَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

تَحَصَّنْتُ بِالمَلِكِ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَاعْتَصَمْتُ بِذِي العِزَّةِ وَالعَدْلِ وَالجَبَرُوتِ ، وَاسْتَعَنْتُ بِذِي العَظَمَةِ وَالقُدْرَةِ وَالمَلَكُوتِ ؛ عَنْ كُلِّ مَا أَخَافُهُ وَأَحْذَرُهُ.[1]

اللهمّ صلِّ وسلّم وزد وبارك على صاحب الدعوة النبويّة، والصولة الحيدريّة، والعصمة الفاطميّة ، والحلم الحسنيّة ، والشجاعة الحسينيّة، والعبادة السجّاديّة، والمآثر الباقريّة ، والآثار الجعفريّة، والعلوم الكاظميّة، والحجج الرضويّة، والجود التقَويّة ، والنقاوة النقويّة، والهيبة العسكريّة، والغيبة الإلهيّة. اللهمَّ عجِّل فرجه ، وسهِّل مخرجه، واجعلنا من شيعته وأعوانه وأنصاره.[2]

صلِّ اللهمَّ على التجلِّي الأعظم ، وكمال بهائك الأقدم ، شجرة

١ـ من أدعية «الصحيفة العلويّة الثانية» ص ٧٥ ، الطبعة الحجريّة : وكان من دعائه عليه السلام عند كلّ نازلة أو شدّة.

٢ـ الصلوات المعروفة للخواجة نصير الدين الطوسيّ رحمة الله عليه.

الطور، والكتاب المسطور، والنور على النور في طخياء[1] الدَّيْجور، علم الهدى، ومجلي العمى، ونور أقطار الورى، وبابك الذي منه تُؤتَى، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

مقدِّمة التشرّف لمحضر سماحة الحدّاد

كان متعارفاً بين طلبة النجف الأشرف وفضلائها وعلمائها في أيّام الزيارات المخصوصة لمولى الكونَينِ أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء عليه وعلى أبيه وأُمّه وجدّه وأخيه والتسعة الطاهرة من أبنائه صلوات الله وسلام ملائكته المقرّبين والأنبياء والمرسلين، كزيارة عرفة وزيارة الأربعين وزيارة النصف من شعبان، أن يذهبوا من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدّسة سيراً على الأقدام، إمّا عن الطريق الصحراويّ المُعَبَّد المستقيم، وطوله ثلاثة عشر فرسخاً، أو عن الطريق المحاذي لشطّ الفرات، وطوله ثمانية عشر فرسخاً. وكان الطريق الصحراويّ قاحلاً يخلو من الماء والخضرة، لكنّه قصير يمكن للمسافرين أن يطوونه بسرعة خلال يوم أو يومين، على العكس من الطريق المحاذي لشطّ الفرات الذي كان يتعذّر السفر فيه بالسيّارة، فكان ينبغي السير خلاله على الأقدام أو بامتطاء الحيوانات. وكان هذا الطريق منحرفاً غير مستقيم، لكنّه ـ في المقابل ـ يتميّز بالخُضرة وتتخلّله بساتين الأشجار والنخيل اليانعة وبين كلّ عدّة فراسخ ثمّة أماكن لاستضافة المسافرين (وهي مضائف مصنوعة من الحصير تعود لشيوخ العرب يستقبلون فيها القادمين فيضيّفونهم مجّاناً مهما شاؤوا الإقامة عندهم). وكان الطلبة يسيرون نهاراً ثمّ يأوون إلى هذه

١ـ الطَّخْواءُ والطَّخْياءُ من الليالي: المظلمة.

المضائف ليلاً فيبيتون فيها ، وكان سفرهم في هذا الطريق المحاذي للنهر يستغرق في الغالب يومين أو ثلاثة .

ولم يوفَّق الحقير خلال مدّة إقامتي في النجف الأشرف ، التي دامت سبع سنين ، للسفر إلى كربلاء مشياً على الأقدام إلّا مرّتين فقط ؛ ذلك لأنّ الوالدة المرحومة كانت على قيد الحياة وبالرغم من عدم ممانعتها للسفر ، إلّا أنّ الحقير كان يرى آثار الاضطراب عليها ، لذا لم أتقدّم للانضمام إلى مواكب المشاة لغاية السنة أو السنتين الأخيرتين من إقامتنا في النجف ، حيث رأيت تناقص ذلك الاضطراب عندها من خلال إقامة العلاقات مع العوائل النجفيّة ، لذا فقد أرسلتها إلى كربلاء مع بعض المسافرين والزوّار الإيرانيّين الذين كانوا قد وفدوا علينا ، وصحبتُ الرفقاء في المسير إلى كربلاء .

وكان الحقير في هذين السفرين في معيّة سماحة آية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ أفاض الله علينا من رحماته وبركاته ، وكان هناك أيضاً سماحة آية الله المرحوم الشيخ حسن علي نجابت الشيرازيّ ، وسماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد مهدي دستغيب الشيرازيّ الأخ الأصغر للمرحوم الشهيد دستغيب ، وقد صحبنا في السفر الثاني أحد الطلبة ممّن له معرفة بآية الله القوجانيّ واسمه **السيّد عبّاس ينگجي** ، وشخص آخر من مريديه وكان من رجالات طهران المعروفين .

وكان هذا الأخير يمتلك بحقّ صفاءً ونزاهة وعشقاً لأهل بيت الولاية ، ولا يزال بحمد الله على قيد الحياة . وكان قد قَدِم إلى النجف الأشرف للتشرّف بالزيارة ، فقال للفقيد السعيد آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس : أرغب أن أرتدي يوماً ملابس العمل وأندسُّ بين العمّال الذين يعملون في إصلاح وتبييض جدران أروقة الصحن وتزيينها بالمرايا فأعمل

معهم من الصبح إلى غروب الشمس .

فردعه آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس ـ وكان الوصيّ الرسميّ للمرحوم القاضي في أمر الطريقة والأخلاق والسلوك إلى الله ـ عن هذا العمل وقال له : أنت رجل معروف ومشهور ، ومهما أخفيت هذا العمل الجميل الحسن فسينكشف أمره في النهاية ويصبح حديث الألسن ، ولربّما كان الغرور والعجب الذي سيتداخلك من هذا العمل أكثر ضرراً عليك ممّا يعود عليك منه . وأرى أنّه من الأنسب ، بدلاً من نيّتك الخيِّرة الحسنة هذه ، أن تأتي معنا إلى كربلاء ماشياً في أيّام الزيارة المخصوصة للنصف من شعبان ! فلن يعرف أحد بهذا الأمر ، وإذا ما عرف به فلن يكون مدعاة لإثارة الضجّة كذاك ، ولن تصحبه العواقب الروحيّة الوخيمة لكم .

فاقتنع ذلك الرجل المحترم بهذا الكلام واستعدّ للسفر ماشياً ، حيث بدأ هذا السفر صباح اليوم الثاني عشر من شهر شعبان المعظّم لسنة ألف وثلاثمائة وستّ وسبعين هجريّة قمريّة ، واستغرق أيّاماً ثلاثةً وليلتين ؛ وردنا بعدها كربلاء المقدّسة عصر يوم الرابع عشر .

ومع أنّ هذا السفر مشياً على الأقدام كان أمراً كثير الصعوبة لشخص متنعِّم مُرَفَّه لا عهد له بحياة الطلبة الشاقّة ، لكنّ هذا الرجل كان من المحبّين والموالين لأهل البيت حقيقةً ؛ فلم يواكب سائر الرفقاء في هذا الطريق الشاقّ فقط ، بل تميّز أيضاً بعشق ووله خاصّ ، وكان خلال السفر يبكي بدموع غزيرة ويتمتم مع نفسه بهذا الشعر الغزليّ لحافظ عليه الرحمة :

صَبا به لطف بگو آن غزال رعنا را
كه عشق كوه و بيابان تو دادهاى ما را
شكر فروش كه عمرش دراز باد چرا
تفقّدى نكند طوطى شكر خارا

غرور حسن اجازت مگر نداد ای گل
که پرسشی نکنی عندلیب شیدا را
به خُلق و لطف توان کرد صید أهل نظر
ببند و دام نگیرند مرغ دانا را
ندانم از چه سبب رنگ آشنائی نیست
سهی قدان سیه چشم ماه سیما را
چو با حبیب نشینی و باده پیمائی
بیاد دار محبّان باد پیما را
جز این قدر نتوان گفت در جمال تو عیب
که وضع مهر و وفا نیست روی زیبا را
در آسمان چه عجب گر بگفتهٔ حافظ
سماع زُهره به رقص آورد مسیحا را[1]

١ـ «ديوان الخواجة حافظ» ص ٥ ، الغزل رقم ٩ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ.ق..

يقول : «قولي بلطف ـ يا ريح الصَّبا ـ لذاك الغزال الفاتن المختال ، هيّمتنا بين صحارى وقفارٍ وجبال.

ولِمَ لا يتفقّد بائعُ السكّر ـ طال عمره ـ الببغاءَ المشغوف بحَبَّات السكّر المنثال!

ربّما لم يُجْزكِ غرورك ـ أيّتها الوردة ـ أن تسألي العندليب المتيَّم أيّ سؤال.

وبالخلق واللطف يمكن صيد أهل النظر ، أمّا الطائر الحذر فلا يُصاد قطّ بشباكٍ وحبال.

ولستُ أدري لِمَ لا يكون للصداقة لون ، عند طوال القدّ ، سوداوات العيون ، ذوات الوجوه كالأقمار.

فإذا جالستَ الحبيبَ وبدأت معه الشراب ، فتذكّر العشّاق الذين سلكوا طريق الوصال.

ولست أستطيع أن أعيب في جمالك شيء ، إلّا أنّ الحبّ والوفاء لا يكون في ⇦

وكان يبتعد أحياناً عن الرفقاء لينشغل بنفسه أكثر وليعرض ـ على انفراد ـ مناجاته ولوعته ولهفته. وصادف أن هطل المطر من منتصف الطريق فما بعد، فاستحال الطريق الترابيّ وحلاً، لكنّ هذا الرجل لم يكن ليأبه حين تنغرز قدماه في الوحل، وهكذا فقد سار حتّى لاحت طلائع مدينة كربلاء من على بُعد فرسخ تقريباً، فخلع نعليه من قدميه وشدّهما ببعضهما ثمّ علّقهما حول عنقه.

ولقد توجّهنا وسائر الرفقاء ومَن كان معنا، وآثار التراب والطين تلوح علينا، بلا غسل الزيارة، إلى الحرم الأنور فتشرّفنا بزيارته، وقد استغرقت هذه الزيارة أقلّ من ساعة، وتوجّهنا بعدها نحو قبر أبي الفضل العبّاس عليه السلام فزرناه على تلك الحال والهيئة.

وكان أحد الرفقاء من أهل الكاظميّة، واسمه **الحاجّ عبد الزهراء الگرعاويّ**، قد دعانا للعشاء تلك الليلة في الفندق والمسجد اللذين حلّ فيهما، لذا فقد توجّه جميع الرفقاء حين حلّ الليل إلى حمّام المخيّم للقيام بغسل زيارة النصف من شعبان، ثمّ توجّهنا جميعاً لزيارة الحرمين المطهّرين الشريفين، واجتمعنا بعدها عند الحاجّ عبد الزهراء، وانشغلنا بإحياء تلك الليلة بقراءة القرآن والدعاء حتّى طلوع الفجر، ثمّ صلّينا صلاة الفجر في الحرم المطهّر وعدنا بعد طلوع الشمس للاستراحة واسترخاء الأعصاب، وتهيّأنا بعدها جميعاً للقيام بغسل زيارة يوم النصف من شعبان والتشرّف بزيارة الحرمين الشريفين.

⇦ أصحاب الوجوه الجميلة.

ولا عجبَ لو غنّت بحديث حافظ «الزُّهرة» في السماء، فتمايل المسيح طرباً لذاك المقال!».

وكان من المقرّر بعد أداء الزيارة الكاملة أن يعود آية الله القوجانيّ إلى النجف وأنا في معيّته فقط ؛ أمّا الحاجّ الشيخ حسن علي نجابت والحاجّ السيّد محمّد مهدي دستغيب ـ اللذان كانا قد قَدِما من إيران للزيارة ـ فكان من المقرّر أن يعودا برفقة ذلك الشخص المحترم إلى شيراز وطهران قبل حلول شهر رمضان ؛ كما عزم السيّد عبّاس على العودة إلى النجف عصر ذلك اليوم أو غده . وهكذا فقد ذهبتُ مع سماحة الحاجّ الشيخ عبّاس إلى موقف سيّارات النجف للعودة إليها .

ثمّ إنّ الحقير سأله في الطريق : أترغبون أن نذهب لرؤية السيّد هاشم النعلجيّ ؟! (وذلك لأنّه لم يكن قد تشرّف بعدُ بحجّ بيت الله الحرام ؛ وكان عمله صناعة حدوات الخيول وتثبيتها في أرجلها ، فاشتهر بين الرفقاء بالسيّد هاشم النعلجيّ . ثمّ سمعنا أنّ أحد مريديه من سكنة كربلاء ـ وهو **الحاجّ محمّد علي خلف زاده** ، وكان حذّاءً يصنع الأحذية ، وله علاقة حميمة بالسيّد ـ قد غيّر هذا اللقب بنفسه إلى الحدّاد احتراماً ؛ فصار الرفقاء بعد ذلك يدعونه بالحدّاد .

أجاب سماحته : لقد كان دكّانه لصنع الحدوات يقع سابقاً في **العَلْوَة** (ميدان الخضار) جنب البلديّة ، وفي وسط المدينة وهو مكان قريب جدّاً ، وكنت أعرف عنوانه وأذهب إليه ، ثمّ إنّه غيّره فصار بعيداً جداً ، وصرت أجهل عنوانه ؛ مضافاً إلى ضرورة عودتي سريعاً إلى النجف ، لذا فلا مجال لديّ الآن لذلك ؛ فلنَدَعْ ذلك إلى فرصة أُخرى !

قلت : لست في عجلة للعودة الآن ، أفتسمحون لي بالبقاء لزيارته ؟!

أجاب : نعم ، لا بأس بذلك . فقام الحقير بتوديع سماحته ، ثمّ عدتُ فاستفسرت ممّن في العَلْوَة وميدان الخضار المعروف في كربلاء عن عنوان السيّد الجديد . فقيل لي : إنّه يقع خارج المدينة خلف مركز الشرطة ، وهو

يعمل في دكّان له في إصطبل مديريّة الشرطة .

وهكذا فقد قطع الحقير شارع العبّاسيّ المنتهي بمديريّة الشرطة وسألت في آخره عن الإصطبل فدلّوني عليه ، فدخلت ساحة كبيرة مُسَيَّجة تقرب مساحتها من ألف متر مربّع انتظمت محيطها حظائر الخيول المنهمكة في تناول العلف . فسألت هناك : أين يقع محلّ السيّد هاشم ؟ قيل : في تلك الزاوية !

توجّهتُ إلى تلك الزاوية ، فشاهدت : دكّة صغيرة تقرب أبعادها من ٣×٣ متراً ، يقف فيها سيّد شريف خلف سندان حديديّ وقد غطس نصف جسده في الأرض ، بشكل يجعل في متناول يديه الفرن الواقع إلى اليمين والسندان الذي يقابله ، وكان منهمكاً بطرق الحديد لصناعة الحدوات ، وإلى جانبه مساعده .

كان وجهه متوهّجاً كوردة حمراء تلتمع فيه عيناه أشبه بياقوتتَينِ حمراوين ، وقد اكتنف الغبار وذرّات الفحم ودخان الفرن رأسه ووجهه ، كان حقّاً وحقيقةً عالَماً عجيباً ، يمدّ يده بالمقبض إلى الفرن فيُخرج الحديد المبيضّ ويضعه على السندان فينهال عليه طرقاً بالمطرقة بِيَدِه الأُخرى . عجباً ! أيّ أمر هذا ؟! وأيّ حساب وكتاب ؟! وما الذي ينطوي عليه ؟!

دخلت فسلّمتُ ، ثمّ قلت : جئت لتسمِّروا في قدمي نعلاً !

فرفع سبّابته تجاه أنفه فوراً وقال : صه ! ثمّ صبّ قدحاً من الشاي المعطّر ذي المذاق اللطيف من إناء الشاي الموضوع على جانب الفرن ووضعه أمامي وقال : باسم الله ، تفضّل !

ولم تدم لحظات حتّى بعث بالمساعد بحجّة إنجاز عمل وشراء شيء ما ، فلمّا غادر المساعد المحلّ ، التفت السيّد إليّ فقال : أيّها السيّد العزيز ! هذا الكلام محترم جدّاً ؛ فَلِم تلفظون كلاماً كهذا أمام معاوني الذي يجهل

مثل هذه الأُمور ؟!

ثمّ صبّ لي قدحاً آخر من الشاي وصبّ لنفسه آخر ، وبينما كان يستمرّ في عمله فلا يغفل عن الفرن والمطرقة والمقبض لحظة واحدة ، أنشد لي هذه الأشعار بلحن بديع وصوت رخيم يتفجّر عشقاً وهيجاناً وينثال جاذبيّة وروحانيّة .

روستائى گاو در آخُر ببست
شير گاوش خورد و بر جايش نشست
روستائى شد در آخُر سوى گاو
گاو را مى‌جست شب آن كنجكاو
دست ميماليد بر أعضاى شير
پشت و پهلو گاه بالا گاه زير
گفت شير ار روشنى افزون بدى
زهره‌اش بدريدى و دلخون شدى
اين چنين گستاخ زان ميخاردم
كو در اين شب گاو مى‌پنداردم
حق همى گويد كه اى مغرور كور
نى زنامم پاره پاره گشت طور[1]

١ـ «مثنوي» ؛ ج ٢ ، ص ١١٦ ، السطر ٨ إلى ١٢ ، طبعة آقا ميرزا محمود الحجريّة.
يقول : «شدّ قرويٌّ ثوره في الحظيرة ، فجاء أسد وافترسه وجلس مكانه.
وفي الليل جاء القرويّ إلى الحظيرة ليتفحّص الثور ويتفقّده.
فكان يمسح على أعضاء الأسد بيده ، يمسح على ظهره وجنبه ، أعلاه وأسفله.
فقال الأسدُ : لو ازداد الضوء لمات الرجل فزعاً وتفطّر كبده هلعاً.
فهو يحكّ جلدي ويلمس جسدي بهذه الوقاحة ويحسبني في ظلام الليل ثوراً. ⇦

كـــه **لو أنـــــزلنا**[1] كـــتاباً للـــجبل
لانـــــصدع ثـــم انـــقطع ثـــم ارتـــحل

از مـــن ار كـــوه اُحـــد واقـــف بـــدى
پـــاره گشـتىّ ودلش پـر خـون شـدى

از پـــدر و از مـــادر ايـــن بشـــنيده‌اى
لاجـــرم غـــافل در ايـــن پـــيچيده‌اى

گـــر تـــو بـــى‌تقليد زان واقـف شـوى
بى‌نشان بى‌جاى چون هـاتف شـوى[2]

ثمّ عاد المساعد ، فقال السيّد : موعدنا معكم في المنزل لأداء الصلاة . ثمّ أعطاني عنوان المنزل .

وهكذا فقد ذهبتُ قُبيل أذان الظهر إلى منزله في شارع العبّاسيّة ، شارع البريد ، جنب منزل الحاجّ صمد الدلّال . وكان منزلاً بسيطاً ، يضمّ عدّة غرف بسيطة مبنيّة على الطراز العربيّ ، وفي زاوية نخلة . وكان بيته ذا طابق واحد ، لذا فقد قادونا إلى السطح حيث كان السيّد هناك وقد فرش

⇦ يقول الحقّ دوماً : أيّها الأعمى المغرور ! ألم يخرّ جبل الطور من اسمي مندكّاً ؟!».

١ـ يقول في هامش «المثنويّ» : **لو أنزلنا** إشارة إلى الآية في سورة المجادلة : **لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ .**

أقول : بل إنّ هذه الآية هي الآية ٢١ ، من سورة ٥٩ : الحشر.

٢ـ يقول : «فلو أنزلنا كتاباً على الجبل ، لتصدّع ثمّ لتقطّع ثمّ تناثر هباءً منثوراً .

ولو وقف على أمري جبل أُحُد ، لانتسف وتخضّب قلبه دماً .

لكنّك لُقِّنتَ هذا وسمعته سماعاً من أبيك وأُمّك ، فكنتَ ـ لا جَرَم ـ غافلاً عنه.

ولو وقفت على هذا الأمر يقيناً بلا تقليد ، لصرتَ كالهاتف لا يُلمَس لك أثر ولا يحتويك مكان».

سجّادته واستعدّ للصلاة ؛ وكان هناك شخص واحد من مريديه وهو الحاجّ محمّد علي خلف زاده يريد الاقتداء به في الصلاة ؛ واتّضح بعد ذلك أن الحاجّ محمّد علي كان غالباً ما يصلّي الظهر في معيّته . فاقتديت به كذلك ، وأُقيمتْ صلاة الجماعة بمأمومَينِ فقط . وقد أبدى السيّد منتهى اللطف والمحبّة ، ثمّ قال : فلتذهبوا إلى النجف ، ولقاؤنا في السفر القادم إن شاء الله تعالى .[1]

١ـ وما أشبه حالي أنا الهائم التعب بعد أن هدّتني السنين المتمادية ، في وصولي إلى نبع الحياة ومركز عشق الذات السرمديّة هذا بغزل الخواجة رضوان الله عليه حيث يقول:

هر چند پير و خسته دل و ناتوان شدم	هرگه كه ياد روى تو كردم جوان شدم
شكر خدا كه هر چه طلب كردم از خدا	بر منتهاى مطلب خود كامران شدم
در شاهراهِ دولت سرمَد به تخت بخت	با جام مى به كام دل دوستان شدم
اى گلبن جوان برِ دولت بخور كه من	در سايهٔ تو بلبل باغ جهان شدم
از آن زمان كه فتنهٔ چشمت به من رسيد	ايمن ز شرّ فتنهٔ آخر زمان شدم
أوّل ز حرف لوح وجودم خبر نبود	در مكتب غم تو چنين نكته دان شدم
آن روز بر دلم در معنى گشوده شد	كز ساكنان درگه پير مغان شدم
قسمت حوالتم به خرابات ميكند	هر چند كاينچنين شدم و آنچنان شدم
من پير سال و ماه نيم يار بى وفاست	بر من چو عمر ميگذرد پير از آن شدم
دوشم نويد داد عنايت كه حافظا	بازآ كه من به عفو گناهت ضمان شدم*

* ـ «ديوان حافظ الشيرازيّ» ص ١٥٠ و ١٥١ ، الغزل ٣٣٥ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ.ق.

يقول : «إنّي وإن أصبحت عجوزاً عاجزاً جريح القلب ولكنّني كلّما تذكّرت وجهك عدت شابّاً.

فشكراً للّه على ما سألته من دعوات ، فوفقاً لمنتهى همّتي أصبحت نافذ الرغبات.

وغدوت إلى عرش الحظّ السعيد في طريق السعادة السرمديّة وأنا هانئ القلب أحمل كأس الشراب مزوّداً بدعوات الأحبّة والأصحاب.

ويا شجيرة الورد الرطيبة اهنئي واسعدي بثمار دولتك السعيدة فقد أضحيتُ في ⇦

فقبَّلتُ يديه وودّعته ذلك اليوم : النصف من شعبان ، وعدتُ قافلاً إلى النجف .

ولمّا كانت حوزة النجف تعطِّل دروسها في شهر رمضان المبارك ، فقد استثمر الطلبة ليالي هذا الشهر في دراسة الدروس الاستثنائيّة المختصرة والتي لا تعدّ من الدروس الرسميّة ، كأُصول العقائد والرسائل الصغيرة ؛ مثل «قاعدة لا ضرر» و«مسألة إرث الزوجة» و«قاعدة الفراغ» و«قاعدة لا تعاد الصلاة» أو بحث «فروع العلم الإجماليّ» ، وكان الحقير ، مضافاً إلى عدم مشاركتي في أشهر رمضان السابقة في هذه الدروس ، وقضائي الليالي ـ تبعاً لأمر آية الله الشيخ عبّاس ـ ببعض الأدعية والأوراد وقراءة سورة القدر أو سورة الدخان ؛ قد وجدتُ لديّ رغبةً هذه السنة للتشرّف بزيارة كربلاء المقدّسة لزيارة الحرمين المباركين وللقيام بتلك الأعمال في كربلاء ، وللاستفادة من محضر الحاجّ السيّد هاشم .

⇦ ظلالك البلبل الفريد في روضة العالم.

ومنذ فتنني سحر طرفك الفتّان ، فقد أصبحت آمناً من شرّ فتنة آخر الزمان.

ولم يكن لي علم في البداية بالعالم الأسفل والأعلى وما بهما من حقائق، ولكنّني تعلّمت في مدرسة الحزن عليك كثيراً من النكات وأصبحت خبيراً بالدقائق.

وتفتّحت أبواب المعاني أمام قلبي ، حين أصبحت من المقيمين على أعتاب شيخ العرفاء.

وها هي «القسمة» الأزليّة تحيلني إلى الخرابات ، وإن كنتُ مصداقاً للأنوار الجلاليّة أو مظهراً للأنوار الجماليّة.

ولستُ عجوزاً طاعناً في السنّ ولكنّ الحبيب ليس له وفاء ، فأخذ يمرّ بي كما يمرّ العمر في غير تريّث ، ولذلك أضحيت متقدّم السنّ قريب الفَناء.

وليلة أمس زَفَّتْ إليّ العناية البشرى بقولها : يا حافظ إرجع إليّ فإنّي ضامنة لك عفو ذنوبك كلّها».

وهكذا اصطحبت الوالدة والأهـل مـع طفلَيَّ الصغيرين : السـيّد محمّد صادق وكان له آنذاك أربع سنين ، والسيّد محمّد محسن وكان له سنتان وخمسة أشهر ، وتشرّفنا بالذهاب إلى كربلاء لقضاء الشهر المبارك . فاستأجرنا غرفة في الحسينيّة البحرانيّة في الزقاق المجاور للمخيّم الحسينيّ (خيمه گاه) بمبلغ بسيط ، فبسطنا فيها أمتعتنا المتواضعة .

وصادف ذلك الوقت في صيف قائظ ، حيث الليالي قصيرة جدّاً ، لذا فقد جرت العادة طوال الشهر على أن أسهر في الليل وأنام في النهار إلى ما قبل الظهر بساعتين ، أستعدّ بعدها للتشرّف بزيارة الحرم المطهّر والصلاة فيه ، ثمّ التشرّف بالذهاب إلى الحرم المطهّر لأبي الفضل العبّاس عليه السلام ثمّ أقوم بعد أداء الزيارة بتهيئة ما يحتاج إليه المنزل وأبقى في البيت إلى الغروب . ثم أتشرّف بعد أداء صلاتَي المغرب والعشاء وتناول الإفطار وبعد انقضاء ساعتين من الليل بالذهاب إلى منزل السيّد فأعود إلى البيت قرب أذان الصبح لتناول السحور . وكان السيّد قد عيّن بنفسه أوقات اللقاء في الليل ، إذ كان يذهب للعمل نهاراً .

وكان محلّ الاجتماع دكّة جنب المسجد الذي كان السيّد يتعاهد أمر تنظيفه ، وهي دكّة بطول وعرض ٢×٢ متراً تقريباً وينخفض سقفها إلى الحدّ الذي يتعذّر الصلاة فيه من قيام ، إذ كان الرأس يرتطم به آنذاك . وفي الحقيقة فإنّها لم تكن غرفة ، بل محلّاً زائداً كان البنّاء قد أوجده هناك كمخزن أسفل الدرج المؤدّي إلى سطح المسجد [1] ، لكنّ السيّد الحدّاد كان قد اختار ذلك المكان في المسجد لخلوته بنفسه وذلك لظلمته وعزلته ، وكان

١ـ وبعد توسيع شارع العبّاسيّة الذي شمل قسماً من ذلك المسجد ، من بينه الدرج وتلك الغرفة، فقد أُزيلت الدكّة ولم يبق منها أيّ أثر حاليّاً .

مناسباً جدّاً للدعاء وقراءة القرآن والأوراد والأذكار التي يعطيها المرحوم القاضي ، وخاصة للسجدات الطوال ؛ أمّا الصلاة فكان السيّد يقيمها داخل المسجد ، وكان يقتدي في الصلوات الواجبة بإمام جماعة ذلك المسجد واسمه **الشيخ يوسف** .

وكان في تلك الدكّة «سماور»[1] وأدوات إعداد الشاي ، وفي جانب الدكّة قدر من أثاث المسجد ملقى . فيا للّه من هذه الدكّة بهذا الوضع والكيفيّة التي لم يكن يعلم بها غير المرحوم القاضي نفسه ، حيث كان يأتيها أثناء تشرّفه للقدوم إلى كربلاء المقدّسة ! ولم يكن أحد ليعلم بعظمتها وروحانيّتها إلّا أمثال بعض أصدقاء الحدّاد ، مثل الحاجّ حبيب السماويّ ، والحاجّ عبد الزهراء الگرعاويّ ، والحاجّ أبي موسى محيي ، والحاجّ أبي أحمد عبد الجليل محيي ، والبعض الآخر ممّن شاهدها أو بات فيها .

وهكذا ، فقد أضاف الحاجّ السيّد هاشم ، في تلك الدكّة الحقير ، جميع ليالي الشهر المبارك ، ويا لها من ضيافة !

ولم يكن الحاجّ أبو موسى محيي والحاجّ حبيب السماويّ ورشيد الصفّار قد تعرّفوا عليه في ذلك الوقت ، فقد تعرّفوا عليه بعد ذلك . فكان رفقاؤه وملازموه هم الحاجّ محمّد علي خلف زاده من كربلاء والحاجّ عبد الزهراء من الكاظميّة ، ثمّ انضمّ أخيراً في الليالي الأخيرة الحاجّ أبو أحمد عبد الجليل محيي ، وكان أعزباً آنذاك ، وعُرف بعد ذلك بأبي نبيل ثمّ بأبي أحمد .

كان الليل ينقضي إلى قرب الأذان في الحديث وقراءة القرآن

١ـ وعاء معدنيّ في وسطه مكان لإشعال النار ، يستعمل لغلي الماء وصنع الشاي . (م)

والبكاء وقراءة أشعار ابن الفارض وتفسير النكات العرفانيّة العميقة ودقائق أسرار عالم التوحيد والعشق والهيام الذي لا يوصف لأبي عبد الله الحسين عليه السلام . وكان باب المكاشفات مفتوحاً للرفقاء الحاضرين في تلك الجلسات ، وخاصّة للحاجّ عبد الزهراء ، وكان الحاجّ عبد الزهراء يبيِّن مطالب شيِّقة ، ممّا جعل شهر رمضان ذاك مشحوناً بالهيجان والطلاقة والبساطة بشكل يبعث على العَجب . وكان الحاجّ عبد الزهراء يبكي في تلك المجالس حتّى تتورّم عيناه ، ويدوم ذلك منه ساعات ، ثمّ يقوم إلى داخل المسجد فيديم البكاء ويهوي للسجود على حصير مفروش هناك .

كان طافحاً بالوَلَه واللوعة والشوق اللاهب ، ذلك اللهب المحرق الذي كان يمتدّ إلى الآخرين فيؤثِّر فيهم .

قال لي سماحة السيّد الحدّاد ذات ليلة بعد ذهاب الحاجّ عبد الزهراء إلى المسجد بعد البكاء الطويل المقرح للعيون : يا سيّد محمد الحسين ! أترى هذا البكاء وهذه اللوعة ؟ إنّ لديّ ما يزيد عليها مائة «قاط» (مائة ضعف) لكنّ ظهورها وبروزها بشكل آخر .

هذا وقد اعتاد الحقير على العودة إلى المنزل قبل الأذان بثلاثة أرباع الساعة ، وكان الطريق يستغرق عشر دقائق تقريباً ؛ فقال لي السيّد ذات ليلة : لماذا تنهض كلّ ليلة وتذهب إلى البيت لتناول السحور ؟ إنّني أجلب معي بعض الطعام فأتسحّر به ، فابق معي نتسحّر سويّاً !

وهكذا بقيت معه في الليلة التالية للسحور ، فذهب قرب الأذان إلى منزله ـ ولم يكن يبعد عن المسجد كثيراً ـ وعاد بخوان ، وكان عبارة عن قميص عربيّ (دشداشة) لأحد أبنائه ، وقد وُضع فيه قَدَرٌ من الفجل والتمر ورغيفان من الخبز ؛ فوضعه على الأرض وقال : باسم الله !

ولقد أمضينا تلك الليلة بقدر من الخبز والفجل وبضع تميرات ، ثمّ

حلّ اليوم التالي فأحسست عصراً أنّ قدرتي قد تلاشت من شدّة الضعف والجوع ، وكان النهار طويل جدّاً والهواء لافحاً من شدّة الحرارة ، فقلت في نفسي : إنّ هذا الغذاء لا يلائمني ، وإن دام الأمر على هذا الوضع فسأسقط مريضاً وأعجز عن الصيام . ومن ثمّ فقد كنت بعد ذلك أتناول السحور معه ثمّ أعود إلى البيت فوراً فأتناول قدراً من ماء اللحم المطبوخ أو الطبيخ الذي يعدّونه في البيت ، أو آخذ السحور معي من المنزل فنتسحّر سويّاً به .

أما نومه : فلم أره ينام خلال هذا الشهر الكامل ، فقد كان يسهر الليل إلى طلوع الفجر بالتهجّد والدعاء والذِّكر والسجود والتأمّل والتفكّر ، وكان يذهب صباحاً إلى عمله في محلّ مديريّة الشرطة بعد شراء الخبز واحتياجات المنزل ، وكان يصلّي الظهر في البيت ثمّ يتشرّف بزيارة حضرة الإمام ؛ ويقال إنّه لم يكن ينام العصر مطلقاً . وكان أحياناً يحسّ بالتعب في بدنه صباحاً فيذهب إلى الحمام الواقع في نهاية الشارع فيعيد النشاط إلى جسمه بالاستحمام بالماء الحارّ ، أو إنّه كان أحياناً يتمدّد صباحاً للاسترخاء ثمّ ينهض فيذهب للعمل ، ذلك العمل الشاقّ المرهق . ولم يكن ليصنع الحدوات فقط ، بل كان عليه أيضاً أن يقوم بتسميرها في أقدام الخيول ، لكنّ ذلك الوُجْد وتلك الحال وتلك الشعلة المتأجِّجة في أعماقه لم تكن لتدعه يستريح لحظة واحدة .

وانقضى شهر رمضان على هذه الحال . ولم يُشاهَد الهلال في الليلة التي احتُمل أنّها ليلة العيد ، فاقترح بعض رفقاء الطريق ـ كشُكر لإتمام صيام شهر رمضان ـ السفرَ إلى النجف للتشرّف بالسلام والزيارة ؛ ولكي يفطروا هناك في اليوم التالي إن ظهر أنّه من شهر رمضان .

وهكذا فقد تشرّفنا بالذهاب إلى النجف عصر يوم التاسع والعشرين

بسيّارة الحاجّ عبد الزهراء التي يدعونها بـ «الحسينيّة السيّارة»[1] بصحبة السيّد والحاجّ محمّد علي والحاجّ عبد الجليل، وذهبنا فوراً إلى الصحن المطهّر، ثمّ ذهبنا بعد أداء السلام والزيارة إلى **مسجد السَّهْلة** للإفطار هناك، فحللنا ضيوفاً على المرحوم **الشيخ جواد السَّهْلاويّ**، وبتنا هناك إلى الصبح بالدعاء والذِّكر والتأمّل والتوجّه، ثمّ تحرّكنا صباحاً للتشرّف بزيارة **الحمزة والقاسم**[2] (جاسم)، فبقينا من الظهر إلى العصر في مرقد الحمزة،

١ـ كانوا يدعونها بالحسينيّة السيّارة، لأنّه كان يجلس خلف المقود فيشرع بقراءة الأشعار المرتبطة بشهادة سيّد الشهداء والمستعملة في مراسم العزاء، وذلك باللهجة العاميّة الدارجة (الحسچة)؛ فيبكي بحرقة ولوعة ويُبكي جميع الجالسين في السيّارة.

٢ـ **الحمزة** عليه السلام، يصل نسبه بخمس وسائط إلى أبي الفضل العبّاس عليه السلام، فهو أبو يعلي حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة الأكبر بن الحسن بن عبيدالله ابن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام. ذكر المحدِّث القمّيّ أحواله في «منتهى الآمال» ج ١، ص ٣٥٧ إلى ٣٥٩، الطبعة الحروفيّة، مؤسّسة انتشارات هجرت، في ترجمة أولاد أبي الفضل العبّاس عليه السلام؛ ويقول في جملتها (ما ترجمته):

كان ثقةً جليل القدر، ذكره الشيخ النجاشيّ والآخرون، وقبره قرب الحِلّة، وقال الشيخ النجاشيّ في رجاله: حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو يعلى؛ ثقة جليل القدر من أصحابنا، يروي كثيراً من الأحاديث، وله كتاب في ذِكر مَن روى عن جعفر بن محمّد عليه السلام من الرجال. ويتّضح من كلمات العلماء والأساتذة أنّه من علماء الغَيبة الصغرى المعاصرين لوالد الصدوق عليّ ابن بابويه رضوان الله عليهم أجمعين. وجدّه حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس المكنّى بأبي القاسم، وكان شبيهاً بأمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي كتب المأمون بخطّ يده أن يعطى لحمزة بن الحسن الشبيه بأمير المؤمنين عليه السلام مائة ألف درهم.

ولكن يبدو من مكاشفة نقلها آية الله السيّد مهدي القزوينيّ طاب ثراه عن والده، ورواها الحاجّ النوريّ في «النجم الثاقب» أنّ السيّد المزبور يعتقد بأنّ الحمزة الواقع في الحِلّة هو حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام، وأنّ الحمزة المدفون جنب مقدم قبر عبدالعظيم الحسنيّ عليه السلام هو حمزة بن القاسم بن عليّ بن حمزة بن الحسن بن ⇦

وتحرّكنا لقضاء الليل عند القاسم فبتنا تلك الليلة في ذلك المكان المقدّس .

وقد بيّن السيّد تلك الليلة مطالب عن عظمة القاسم ، وكيفيّة حركته واختفائه عن خصومه أعداء الدين ؛ وقال : لقد تجلّت كثيراً جلالة وعظمة ولاية **الإمام موسى بن جعفر** عليه السلام في ولده العزيز هذا ، لذا فإنّ صحنه وقبره وحرمه وقبّته المنوّرة ، وحتّى أراضي الأطراف المجاورة له تمتاز بمعنوية وجاذبيّة خاصّة .

ثمّ تحرّكنا بعد ساعة أو ساعتين من طلوع الشمس في نفس **الحسينيّة**

⇦ عبيدالله بن العبّاس ؛ والله العالم .

و**القاسم** ويدعى بالعربيّة الدارجة : جاسم ، هو الابن بلا فصل للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام . أورد المحدِّث القمّيّ في ترجمة أحواله في «منتهى الآمال» ج ٢ ، ص ٤١٤ و ٤١٥ ، من طبعة نشر هجرت في ترجمة أولاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: وأمّا القاسم بن موسى بن جعفر عليه السلام فقد كان سيّداً جليل القدر ، يكفي في جلالة شأنه ما نقله ثقة الإسلام الكلينيّ في «الكافي» في باب الإشارة والنصّ على الإمام الرضا عليه السلام عن يزيد بن سليط ، عن الإمام الكاظم عليه السلام في طريق مكّة ؛ وجاء في ذلك الخبر أنّ الإمام قال له : **أُخْبِرُكَ يَا أَبَا عُمَارَةَ ! إنِّي خَرَجْتُ مِن مَنْزِلِي فَأَوْصَيْتُ إلَى ابْنِي فُلَانٍ ـ يَعْنِي : الرِّضَا عَلَيهِ السَّلَامُ ـ وَأَشْرَكْتُ مَعَهُ بَنِيَّ فِي الظَّاهِرِ وَأَوْصَيْتُهُ فِي البَاطِنِ ، فَأَفْرَدْتُهُ وَحْدَهُ ؛ وَلَوْ كَانَ الأَمْرُ لِي لَجَعَلْتُهُ فِي القَاسِمِ ابْنِي ، لِحُبِّي إيَّاهُ وَرَأْفَتِي عَلَيْهِ ؛ وَلَكِنْ ذَلِكَ إلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ** ـ إلى آخره.

وروى الكلينيّ أيضاً أنّ أحد أبناء الإمام موسى عليه السلام كان يحتضر ، فقال الإمام للقاسم: **قُمْ فَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِ أَخِيكَ «وَٱلصَّـٰفَّـٰتِ صَفًّا» حَتَّى تَسْتَتِمَّهَا . فَقَرَأَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ «أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا» قَضَى الفَتَى.** ومن ملاحظة هذين الخبرين يتّضح كثرة اهتمام الإمام موسى عليه السلام بالقاسم.

وقبر القاسم على بُعد ثمانية فراسخ من الحِلّة ، وتزور مقامه الشريف عامّة الناس؛ وللعلماء والأخيار اهتمام خاصّ بزيارته . وقد رغّب السيّد ابن طاووس بزيارته . وقال عنه صاحب «عمدة الطالب» : لم يعقب القاسم.

السيّارة نحو كربلاء راجعين فوصلناها قرب الظهر.

ولقد حدث عصر يوم التاسع والعشرين حين كنّا مشغولين بالزيارة في الحضرة المقدّسة لأمير المؤمنين عليه السلام أن قال السيّد: يبدو أنّ الإمام جعل ثواب زيارتك هذه في العودة إلى إيران والاستفادة من محضر آية الله **الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ**؛ لذا فحين تذهب إلى إيران اذهب أوّلاً عنده وكن تحت تعليمه وتربيته!

قلت: لو أمرني بالبقاء في إيران، فإنّ فراقكم والبُعد عنكم سيكون أمراً عسيراً! قال: أينما حللت في العالم فنحن معك؛ إنّ رفقتنا وميثاقنا قد أُحكما فلا انفصام لهما. فلا تخف! ولا تخش! فلو كنت في غرب الدنيا أو شرقها فستكون قربنا. ثمّ قال:

گر در يَمَنی چو با منی پیش مَنی

ور پیش مَنی چو بی مَنی در يَمَنی[1]

وهكذا فحين حلّ صيف ذلك العام، عزمتُ على السفر إلى إيران لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وتجديد العهد بالأرحام والأحبّة والأعزّة من الأصدقاء، ولم أكن قد قَدِمتُ إلى إيران منذ سبع سنوات، أي منذ ذهابي إلى النجف الأشرف حتّى ذلك الوقت، وكان ذلك يتضمّن في الجملة تغييراً للجوّ بالنسبة للوالدة المرحومة المبتلاة بضغط الدم وضعف القلب والربو الرئويّ وكانت العواصف الرمليّة وهبوب الرياح الشديدة في النجف

١ـ يقول: «لو كنتَ في اليمن فأنت قربي مادمت معي، ولو كنتَ قربي لكنّك لست معي فأنت في اليمن».

وهو نفس مراد ومفهوم بيت العارف الشهير المصريّ ابن الفارض:

مَا لِلنَّوَى ذَنْبٌ وَمَنْ أَهْوَى مَعِي ... إنْ غَابَ عَنْ إنْسَانِ عَيْنِي فَهْوَ فِي

«ديوان ابن الفارض» ص ١٥٥، طبعة بيروت، سنة ١٣٨٤ هـ.

تؤلم صدرها كثيراً ؛ مضافاً إلى أمر مراجعة الطبيب حول انحراف صحّة الأهل ، على نيّة قضاء أيّام الصيف هناك والرجوع بعد ذلك إلى النجف الأشرف .

لذا ، فقد تحرّكتُ يوم الثامن من شوّال من النجف للقيام بدورة كاملة لزيارة الأئمة عليهم السلام ، فقصدت **كربلاء والكاظميّة وسامرّاء** ، ثمّ سافرتُ بسيّارات النقل الكبيرة ، فقضيت ليلة في **قم** أيضاً في زيارة أعتاب السيّدة المعصومة سلام الله عليها ، ووصلنا يوم الثامن عشر إلى طهران .

وقد تأخّر السفر إلى همدان إلى ما بعد العاشر من المحرّم بسبب الزيارات المتبادلة ، ولحلول العشر الأُوَل من محرّم الحرام لسنة ١٣٧٧ ه والانشغال بمراسم العزاء في المسجد ، وهكذا فقد تشرّفت بعد العاشر من المحرّم بالحضور في محضر آية الله الأنصاريّ .

ولا يخفى أنّ علاقتي بسماحته كانت قد بدأت قبل أربع سنين ، وصحبتها لقاءات طويلة الأمد ؛ فقد تشرّف قبل أربع سنوات بالقدوم لزيارة العتبات المقدّسة وبقي هناك مدّة شهرين ، قضى منهما شهراً كاملاً في النجف على الخصوص ؛ حلّ خلاله في منزل الحاجّ محمّد رضا الشيرازيّ ومنزل السيّد محمّد مهدي دستغيب . وكان الحقير يذهب بعد أداء صلاة فريضة المغرب وحضور درس الأُصول عند آية الله الحاجّ السيّد أبي القاسم الخوئيّ أدام الله ظلّه[1] وذلك في معيّة الأُستاذ آية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ ، فأتشرّف بالحضور عنده . وكان يحضر أيضاً حجّة الإسلام السيّد محمّد رضا الخلخاليّ وشخص آخر من المسافرين الإيرانيّين

١ـ الكتاب مؤلّف زمن حياة آية الله العظمى السيّد أبي القاسم الخوئيّ قدّس سرّه، وقد حافظنا على تعبير المصنّف. (م)

اسمه الحاجّ **حسن شركت الإصفهانيّ** . وصادف ذلك أيّام شهر رجب ، وكان الهواء آنذاك بارداً والليل طويلاً ، لذا فقد كان المجلس يدوم إلى ساعتين تقريباً . وحقّاً لقد كانت مدّة الشهرين تلك حافلة بالاستفادات المهمّة ، حتّى أنّ الحاجّ الشيخ عبّاس أُستاذ الحقير كان يقول لي : بَيِّنْ له حالاتك واطلب منه طريقة للعمل !

وقد استجزت سماحة الشيخ القوجانيّ رضوان الله عليه بعد ذلك بسنتين في السفر إلى همدان مباشرة فأذِنَ لي بذلك ، فوردت عليه وحللت ضيفاً في منزله في شارع «سنگ شير» أربع عشرة ليلة ؛ وكان من بين الضيوف الذين حلّوا عليه من داخل إيران آية الله الحاجّ السيّد عبد الحسين دستغيب وآية الله الشيخ حسن علي نجابت وحجّة الإسلام الشيخ حسن نمكي البهلوانيّ الطهرانيّ .

وقد استغرق ذلك السفر بأجمعه ستّة وعشرين يوماً . فقد كنت مقيّداً بعدم مغادرة العراق بدون زيارة العتبات المقدّسة ، لذا فقد قضيت ليلة في كربلاء وليلتين في الكاظميّة وأربعاً في سامرّاء في منزل ابن خالي العزيز : المرحوم آية الله الميرزا نجم الدين الشريف العسكريّ رضوان الله عليه ، ثمّ بقيت عند العودة ليلة في باختران (كرمانشاهان) في انتظار الحصول على تأشيرة السفر من العراق ، ومن ثمّ فقد استغرق السفر ما استغرق ولم أذهب إلى طهران ؛ فقد كان ذلك سيؤثّر سلباً على الدروس . ولقد انتخبتُ أوقات السفر هذه بحيث تبدأ من منتصف شهر صفر إلى أوائل شهر ربيع لتنسجم مع فترة تعطيل الدروس .

لقد كان آية الله الأنصاريّ رجلاً كاملاً ولائقاً ومنوّراً بنور التوحيد بما يفوق المعتاد ، وكان مع الحقير في منتهى اللطف والمحبّة والإكرام . ولقد أبلغه الحقير رسالة السيّد الحدّاد ، وسألته : أيّهما أصلح لي بلحاظ المعنويّة

والسلوك العرفانيّ ، إيران أم النجف الأشرف ؟! قال : سأُجيب فيما بعد .

ثمّ سأله الحقير بعد يوم بحضور جمع من الأحبّة والأعزّة : ماذا كان الجواب ؟!

قال : النجف جيّدة ، وطهران جيّدة أيضاً ؛ لكنّكم لو بقيتم في النجف فسيكون كلّ ما تكسبونه لكم وحدكم ، أمّا لو بقيتم في طهران فسنشارككم فيما تحصلون عليه !

وباعتبار دلالة الجواب على أرجحيّة طهران ، فقد صمّم الحقير على العودة إليها فوراً مع أنّني لم أكن راغباً في ذلك قيد شعرة ؛ فقد كنت اتّخذت النجف وطناً أصليّاً ودائميّاً ، فاشتريت في الأيّام الأخيرة بيتاً ، ورتّبت أُموري للإقامة هناك مادمت على قيد الحياة ، ولقد عانيت الكثير حتّى استقرت الأُمور بعض الشيء ، وصمّمت على البقاء بقلب مطمئنٍّ ؛ لذا فقد كان رجحان طهران صعباً وثقيلاً عَلَيّ ، بل كان أشدّ من انهيار الجبال على رأسي ! ومن جانب آخر فقد كانت طهران وطني ومسقط رأسي ، والمكان الذي هربتُ منه وبعت جميع ما أملكه فيه ، فلم يعد لي فيه من أثاث البيت حتّى حبل الغسيل ، فقد جمعتُ ذلك كلّه واتّجهت نحو أعتاب مولى الموالي ؛ وكنت إذا شاهدت طهران في المنام أضطرب ، ثمّ أقول وأنا أفتح عيني فزعاً : الحمد للّه فقد كان حلماً !

ولقد اتّخذ الحقير قراره على الفور بالعودة إلى طهران ، وعدت بعد شهر صفر إلى تلك الأعتاب المحروسة بالملائكة : النجف الأشرف ، ومرّت ثلاثة شهور تقريباً حتّى بيع البيت ، ثمّ عدت إلى طهران وانتظمت المكاتبة والملاقاة والتزاور بشكل متناوب مع آية الله الأنصاريّ مرّة كلّ شهرين أو ثلاثة تقريباً ، مع الطاعة التامّة والامتثال الكامل لأوامره وتعليماته . ولقد كان حقّاً آية جليلة من الآيات الإلهيّة ، لم يتأبّ عن تقديم

كلّ مساعدة ومعونة ، بل كان يستقبل الواردين بكمال الخلوص فيضيفهم عنده .

ثمّ قمتُ في نهاية تلك السنة مع بعض الأصدقاء في السلوك بالتشرّف بأداء فريضة الحجّ عن طريق العراق ذهاباً وإياباً ، واستغرق كلّ ذلك شهرين ؛ زرت خلالها السيّد الحدّاد في كربلاء المقدّسة تكراراً ومراراً واستفدت من حالاته ومعنويّاته . ثمّ تشرّف السيّد بالمجيء إلى الكاظميّة للتوديع وذهبنا سويّاً إلى سامرّاء لزيارة الإمامين العسكريّينِ عليهما السلام ، ثمّ عدت في معيّته إلى الكاظميّة وتحرّكت راجعاً إلى إيران بعد مراسم التوديع ؛ حيث توقّفت عدّة أيّام في همدان في منزل سماحة الشيخ الأنصاريّ ، وعدت بعد ذلك إلى طهران .

كانت روابط الطاعة والولاء لهذا الرجل الإلهيّ الجليل وثيقة وقويّة ومؤثِّرة ، حتّى التحق بدار الخلود يوم الجمعة الثاني من شهر ذي القعدة الحرام لسنة ١٣٧٩ هـ ، بعد الظهر بساعتين على أثر جُلطة في الدماغ وذلك في سنّ التاسعة والخمسين ، وكنت حاضراً عنده حين احتضاره ، إذ كنت قد ذهبتُ إلى همدان قبل ذلك بيومين . ثمّ حُمِلَتْ جنازته إلى قم فطيف بها حول قبر السيّدة المعصومة سلام الله عليها ، ثمّ دفن منتصف الليل في مقبرة **عليّ بن جعفر** . وقد نزل الحقير معه إلى قبره وفتحتُ الكفن عن وجهه فوضعته على التراب ، ثمّ قبّلت وجهه المنوّر القُبلة الأخيرة وخرجت من القبر .

هذا وقد نشب بين الرفقاء في طهران من مريدي سماحة الشيخ الأنصاريّ اختلاف شديد بعد رحلته ؛ فكان الحقير يصرّ على أن لا مفرّ من وجود **أُستاذ** لطيّ هذا الطريق وسيره وسلوكه ، وأنّ الوديان والمهاوي العميقة المهلكة والعقبات والمرتفعات الشاقّة الصعبة لا يمكن تخطّيها

وعبورها إلّا بواسطة الأُستاذ ، وأنّ طيّ الطريق بتهوّر لن يكون من عاقبته إلّا الشقاء والهلاك والسقوط أسيراً في وادي إبليس ومنعطفات النفس الأمّارة تسحقه وتتوطّأه فيها أقدام الشيطان الرجيم .

وكان هناك شخص من مريدي المرحوم الأنصاريّ قدّس الله سرّه والمتردّدين على محضره ، وكان قبل ذلك يتردّد على المرحوم القاضي قدّس سرّه ، لكنّه كان ـ أساساً ـ تلميذاً وملازماً للمرحوم السيّد عبد الغفّار المازندرانيّ في النجف ، واسمه ... ، ولا يزال بحمد الله على قيد الحياة حتّى الآن . وقد قام هذا الشخص بمخالفة اقتراح الحقير وبدأ معارضته فكان يتحدّث في مجالس ومحافل أُنس الأصدقاء ببيان جذّاب ملفت للأنظار ، يمكنه بسهولة أن يستلفت إليه أفكار السالكين وخاصّة غير المتعلّمين والدارسين منهم ، **طارحاً بإلحاح مسألة عدم الحاجة إلى أُستاذ** ؛ وكان كلامه وحديثه يتضمّن عدّة مطالب :

الأوّل : أنّ الأُستاذ الحقيقيّ هو إمام العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف ، وهو حاضر وناظر وحيّ ومحيط بعالمنا ، فهو مطّلِع على أُمور كلّ سالك وحالاته ، فهو يوصله على أكمل نحو وأتمّه إلى نتائج السلوك . ونحن الشيعة مكلّفون أن نذكره في الأدعية والزيارات ، فنسلّم عليه ونعرض حاجاتنا عليه لهذا السبب . أوَ ليس من الخطأ ـ مع الاعتقاد بالإمام الحيّ والدعاء بتعجيل فرجه ـ أن تُطلب الحاجات من غيره ويُستمدّ العون من أُستاذ سواه ؟! أوَ ليس من المخجل ـ مع وجود الإمام الحقيقيّ الممتلك للولاية الكلّيّة الإلهيّة ـ أن يمدّ الإنسان يد الاستعانة إلى الأُستاذ الذي هو مثله يخطأ ويسهو ؟!

الثاني : أنّ ما يعلّمه الأُستاذ للإنسان ليس إلّا ظهورات نفسه هو ؛ وحقّاً ! أيمكن لأحد أن يتخطّى حدود نفسه ويتجاوزها ؟!

لذا ، فإنّ التبعيّة للأُستاذ تمثّل متابعة أفكاره وآرائه ، والجري على نهجه وطريقه النفسانيّ ، وهو أمر خاطئ بلا ريب . لأنّ الله سبحانه خلق الإنسان فوهبه قوّة الاستقلال والتعقّل بنفسه ؛ أفليس من الحيف والظلم أن يحطّم الإنسان هذه القدرة ، ويقضي على العزّة والاستقلال الموهوبَينِ من الله ، فيصبح تابعاً لشخص هو مثله لا غير ؟!

الثالث : لقد وهب الله تعالى للإنسان القوّة التي يمكنه بها الاتّصال بعالَم الغيب واكتساب حاجاته منه ، وعلى الإنسان أن يصل إلى الحقائق عن طريق المكاشفات ؛ لذا فإنّ التبعيّة للعلماء أمر خاطئ أيضاً ، لأنّهم يحصلون على الأحكام من عمليّات الإضافة والطرح والضرب والقسمة ، ويجعلون الأحكام عن طريق صياغة القواعد ، فالتبعيّة لهم لن توصل الإنسان للحقيقة . وكيف ـ يا ترى ـ يرجع الناس إلى ذلك العالِم الذي يفتقد نفسه العلم فلا يعرف طريق صرف الوجوه الشرعيّة في مظانّها فيستأمنونه على أموالهم وحقوقهم ؟! لذا فإنّ على الجميع أن يسيروا بالتزكية والأخلاق الإنسانيّة والإسلاميّة فيوصلوا أنفسهم إلى الملكوت ويأخذوا أحكامهم الضروريّة منه .

الرابع : أنّ **روح المرحوم الأنصاريّ** حيّة ، وأنّها تدرك معاناة الرفقاء وعشّاق الدرب وطريق الله فتعينهم . على أنّ قدرة روح سماحة الأنصاريّ أقوى بعد موته ، لأنّها قد خلعت لباس عالم الكثرة ولوث الطبيعة ووصلت إلى **التجرّد المحض الأبديّ** ؛ وسيكون ـ لذلك ـ في صدد تكميل رفقائه السلوكيّين على نحو أفضل وأشمل وأسمى .

أوَ لم يكن زمن حياته بسعته وامتداده مراقباً ومواظباً لحال رفقائه في اليقظة والنوم ، وفي السرّ والعلن ، وفي الغياب والعيان ، وفي السفر والحضر ؛ مع أنّه كان أسير عالم الطبع والبدن والطبيعة ؟ أفيمكن أن

لا يدير أُمور رفقائه بشكل أفضل ؟ مع أنّه من المسلّم أنّ تجرّده بعد موته أقوى ، وإحاطته أكثر ، وعلمه أوفر ؟! ومن ثمّ فإنّ الرجوع إلى غير الأنصاريّ هتك لحرمة الأنصاريّ وكسر لحريمه ، وهو ذنب لا يغتفر .

الخامس : أنّ المرحوم الأنصاريّ نفسه لم يكن له أُستاذ ، فقد سمع الجميع قوله : «لم أتتلمذ على يد أُستاذ ؛ ولقد طويتُ هذا الطريق بلا دليل ولا معلم» . وحين يقرّر هذا الأمر ذلك المرحوم الذي تعترفون بأُستاذيّته وبقدرته على فهم أسرار البشر ، فكيف تريدون أُستاذاً ؟! أصرتم تفوقونه في الإخلاص والمعرفة مع أنّكم تلاميذه ومريدوه ؟!

ولقد كان هذا الشخص المحترم يسكن كربلاء ، وقد جاء أخيراً إلى طهران للزيارة ، وكان له مع الرفقاء من أهل طهران روابط عميقة ، ثمّ عاد بعد ذلك إلى كربلاء . وقد ذكرتُ أنّه كان من ملازمي المرحوم السيّد عبد الغفّار المازندرانيّ ، أحد العُبّاد المعروفين في النجف من أهل الزهد والتقوى ، وكانت تحصل له أحياناً مكاشفات مثاليّة وصوريّة ؛ لكنّه كان مخالفاً بشدّة لأهل التوحيد ، وكان يُدين في مجالسه ومحافله العرفاء الأجلّاء الإلهيّين الأعزّاء وأهل التوحيد ببيانه وسيرته .

وكان سماحة السيّد الحدّاد يقول : قال لي سماحة السيّد يوماً (ويعني السيّد القاضي) : لقد كان لي مع السيّد عبد الغفّار علاقات صداقة نوعاً ما ، لكنّه شرع الآن بالمعارضة بكلّ قواه . وكنتُ دوماً أُسَلِّمُ عليه حيثما التقيته في الطريق ، فصرتُ أخيراً أُسلِّم عليه فلا يردّ عَلَيّ ؛ ولذا فقد عقدت العزم أن لا أُسلِّم عليه بعد الآن . وقد نقل نفس هذا الأمر سماحة الشيخ القوجانيّ وأضاف : لم يكن السيّد عبد الغفّار من أهل التوحيد ، بل كان يكتفي بالأدعية والأذكار والتوسّلات والزهد .

نعم ، لقد آثار ذلك الشخص المحترم تلك الضجّة في طهران ، والذي

أيّده فيها بعض الرفقاء في طهران ممّن كان يمتلك مقاماً في السلوك (وقد ارتبط معه مؤخّراً بعلاقات النسب)، فصار هو الآخر يتحدَّث في الجلسات والاجتماعات عن عدم الحاجة إلى أُستاذ.

وكان لهما ـ مضافاً إلى ذلك ـ مخالفة شديدة في أمرين آخرين:

الأوّل: عدم الحاجة، بل عدم صواب الالتزام بالذِّكر والورد والفكر والمحاسبة والتأمّل والمراقبة، بل خطأ ذلك.

والثاني: خطأ الرياضات المشروعة، وأيّ التزام في نوعيّة وكمّيّة الغذاء والصيام وصلاة الليل وأمثال ذلك؛ وكانا يسعيان لإثبات رأيهما ببيانات شيّقة وجذّابة ومفصّلة تدوم أحياناً ساعات متوالية.

وكان الحقير زمن ارتحال آية الله الأنصاريّ في سنّ الخامسة والثلاثين، وكان ذانّك الشخصان بمثابة الأب لي من ناحية العمر؛ فقد كانا أكبر منّي سنّاً وأميل إلى سنّ الشيخوخة، فكنت غالباً ما ألتزم جانب السكوت والإصغاء في المجالس، ولم يكن لي أساساً مجالٌ واستعداد لإثارة الجلبة والضجّة، ولربّما كنت أحسّ بقدر من الاحترام لهما باعتبار سابقتهما، ممّا تسبّب في أن تصبح تلك المجالس خاضعة بأجمعها لنفوذهما وتأثيرهما، حتّى أنّ بعض المعمّمين من الذين تربطهم بالحقير نسبة سببيّة وبعضاً من الرفقاء التجّار شغفوا بأجمعهم بذلك الأُسلوب وتلك الطريقة.

وبالطبع فقد كنتُ أذكّر تكراراً ومراراً، بالنسبة لذينك الشخصين المحترمين وبالنسبة إلى البعض الآخر منهم، أنّ هذا الأُسلوب ليس صحيحاً وأنّ الحاجة إلى أُستاذ والالتزام بالذِّكر والمراقبة والتأمّل هي من أركان السلوك، فلا يمكن بدونها أن تُخطى خطوة واحدة للأمام. وأنّ التجمّع والسهر حتّى الصباح بقراءة أشعار حافظ وذكر الصالحين وسيرة الطالبين

وإثارة المجالس بهذا النحو ، ثمّ تناول طعام العشاء والانشغال بهذه الأُمور إلى وقت متأخّر من الليل ، ثمّ النوم بلا تهجّد ، والقناعة والاكتفاء بفريضة صلاة الصبح وحدها ؛ كلّ هذا لن يصحّ دواءً لداء ، ولن يُزيح عقبة من أمام أقدام السالك . وبالطبع فإنّ هذه المجالس ستكون جيّدة لو اقترنت بالتعاليم السلوكيّة العميقة من المشارطة والمراقبة والمحاسبة ، بالشكل الذي يجعل السالك في السوق وإلى جانب الميزان وفي المعاملات التجاريّة وسائر الأُمور الأُخرى في نشاطٍ ومراقبة كما هي حاله في هذه المجالس ! لا أن يذهب صباحاً إلى عمله بلا التزام ورقابة باطنيّة ، فيقوم ببعض المعاملات الربويّة والمصرفيّة والمعاملة بالصكوك والكمبيالات ، أو أن يرتكب لا سمح الله عملاً غير صحيح وصائب أثناء عمله وفي زحام السوق والمعاملة ، فيتحلّل من كلّ قيد ويفعل ما يحلو له ، ثمّ يُبهج نفسه بحضور الجلسة الليليّة ! فهذا الأُسلوب خاطئ لا ميزة له ولا فضيلة ، بل يؤدّي إلى إتلاف العمر والانشغال ببعض الأُمور التي تستهوي القلوب ، شأنه في ذلك شأن سائر الطبقات الأُخرى .

ولقد أوضح الحقير هذا الأمر وبيّنه لمشرفي تلك الجلسات ومديريها واحداً واحداً (لا لجميع الأفراد فرداً فرداً) بالرغم من قيامي في بعض المجالس بتفسير القرآن حسب طلب الرفيق والصديق الشفيق والعاشق الحقيقيّ للإمام الحسين عليه السلام المرحوم **الحاجّ المشهديّ هادي خان صنمي الأبهريّ** ، ذلك الشيخ الواله المتحمّس المحزون صاحب القلب المضنى الأسير ، الذي كان يحبّ قراءة القرآن وتفسيره في الجلسات ، فكان يطلب منّي القيام بذلك ؛ فكنت أُشير ضمن بيان التفسير باستمرار إلى جميع نقاط ضعف أُسلوب وأفكار أُولئك السادة بشكل إجماليّ وعامّ ، وكانت هذه التفاسير تصل بالطبع إلى آذان الجميع فتتمّ الحجّة بذلك عليهم .

هذا وقمت مرّات عديدة برفض تلك الأدلّة الخمسة ، وصار ثابتاً للجميع أنّ ما يقوله الحقير صحيح وصائب .

أمّا الجواب الأوّل فهو : من الصحيح أنّ إمام العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف حيّ وحاضر وناظر لجميع الأعمال ، وأنّ له الولاية الكلّيّة الإلهيّة حسب عقيدة وإيمان الشيعة ، فهو تكويناً وتشريعاً في مصدر الولاية ومنهل الأحكام وجريان الأُمور ؛ ولكن هل يُغلق هذا الاعتقاد والعقيدة طريقنا إلى **الأُستاذ** ؟! أوَ يوصلنا ـ بلا تعليم منه وبلا إطاعة لإرشاداته ـ في طريقنا في السير والسلوك إلى مقصدنا ؟! أوَ يجعلنا نطلب العون من إمام العصر والزمان فقط دون سواه وهو الغائب عن أنظارنا فلا مجال لنا في الظاهر للاتّصال به ؟!

لماذا ـ يا ترى ـ لا نفعل هذا الأمر في سائر المسائل الأُخرى ؟! لماذا نذهب فنبحث عن أُستاذ في دراسة الحديث والتفسير والفقه والأُصول وجميع العلوم الشرعيّة في الحكمة والأخلاق ، فنختار أفضل الأساتذة وأعلمهم في فنّهم ، ونقضي السنين المتمادية بل العمر كلّه تحت تعليمه وتدريسه ؟! إن كان وجود إمام العصر والزمان يغنينا عن الأُستاذ ، فَلِمَ لا يغنينا في هذه العلوم ؟ في حين تعتقدون وتدّعون أنّ إمام العصر له الإحاطة العلميّة ، بل الإحاطة الوجوديّة بجميع العالم ومخلوقاته وجميع علومه وأسراره وبغيب الملك والملكوت ، فلماذا إذاً تعدّونه فاقداً للإحاطة في مثل هذه العلوم ؟! ثمّ تتحمّلون آلاف المحن والمصاعب والأسفار الطويلة إلى النجف الأشرف ، والعيش في حياة بسيطة قاسية ، وقضاء سنين متمادية في جوّ النجف وحرارته اللاهبة وتنفّس العواصف الرمليّة السامّة التي تقتلع الرمل والحصى من الأرض فيغبر لها الجوّ ويظلمّ ويستحيل النهار ليلاً بهيماً ، ثمّ تعيشون في السراديب العميقة ذات السلالم التي يصل

عدد درجاتها إلى اثنتي عشرة درجة أو خمساً وعشرين أو خمسين ؛ كلّ ذلك لتحصيل العلم ، ومن أجل أن تصبحوا أخصّائيّين مجتهدين ، وفلاسفة ومفسّرين ، ومحدِّثين وأُدباء بارعين .

فلو جلستم في بيوتكم واكتسبتم هذه العلوم عن طريق التوسّل بإمام العصر والزمان لكان أيسر لكم وأسهل كثيراً !

فهل تكون العلوم الباطنيّة والعقائد والمعارف والأخلاق ، والمرتفعات العسيرة الصعبة العبور إلى عالم التوحيد ، وبيان منجيات الدرب ومهلكاته ، وإراءة طرق التسويلات الشيطانيّة وكيفيّة التخلّص منها ، ومعرفة حقيقة الولاية ودرجات التوحيد في الذات والاسم والصفة والفعل وأمثالها أهمّ ؛ أم دراسة الصَّرف والنحو والأدب والفقه والتفسير والحكمة ؟ ستقولون جميعاً : إنّ الأمر الأوّل أهمّ ، لأنّ كمال سعادة الإنسان وشقائه مرتبط به .

ونسأل : كيف يعسر على إمام العصر العمل في مثل هذه الأُمور غير المهمّة وفي هذه العلوم الظاهريّة السطحيّة ، فتشيدون لأجلها المدارس والمساجد والمكتبات وتتحمّلون مشقّة الأسفار الخطيرة ؛ بينما يتمكّن من ذلك في تلك الأُمور الأهمّ والأدقّ والأعظم ، فتفوزون بها بلا سبب ولا وسيلة ؟! لا مفرّ من أن تجيبوا أن ذلك متعذّر على إمام العصر في الأمرين والحالين ، أو أنّه لا يتعذّر عليه في كليهما معاً !

أمّا حلّ المسألة : فهو أنّ جميع الأُمور والشؤون في يده المباركة ، لكن هذا الأمر لا يستلزم تعطيل سنّة الأسباب ؛ كما أن جميع الأُمور بِيَدِ الله فلا يستلزم ذلك تعطيل سلسلة الأسباب والمسبّبات ، وذلك لأنّ الأسباب والمسبّبات هي تحت الإحاطة الشاملة لعالم التوحيد والولاية . فالسعي للتعلّم سواء في الأُمور الظاهريّة الفقهيّة أو في الأُمور الباطنيّة الوجدانيّة

خاضع للإحاطة التكوينيّة والتشريعيّة في كلا الحالين .

ومن ثمّ فإنّ البحث عن أُستاذ والانضواء تحت سيطرته وتربيته ، ليس فقط غير منافٍ لولايته عليه السلام ، بل هو مؤيّد ومُمْضٍ وممدّ لذلك النهج وتلك الطريقة في نزول النور من عالم التوحيد إلى هذا العالم .

ولو صحّ أمر عدم الحاجة للأُستاذ في العلوم العرفانيّة - حسب منطقكم ـ للزم منه استغناء الناس عن الأُستاذ في جميع الصنائع والحرف من النجارة والبناء والطبّ والصيدلة والتعدين وسائر العلوم الطبيعيّة ، وحلّهم مشاكلهم بتوجّههم للإحاطة العظيمة الولائيّة لإمام العصر عليه السلام . أوَ يُقنع هذا الكلام أيّ إنسان ـ حتّى المتوحّش في الغابات ـ فيلتزم به ؟! أوَ يمكنه أن يجعله برنامج حياته ومعيشته ؟!

أمّا جواب الإشكال الثاني : فصحيح أنّ من يتابع الأُستاذ ، فإنّه سيتبع طريقته وأُسلوبه النفسيّ ، لكنّه في المقابل لو عمل وفق رأيه هو ، لكان قد عمل بطريقته ووفق هوى نفسه . فالكلام ينحصر في الأمر التالي : أيّهما أفضل في إيصال الإنسان إلى المقصود ، ولاية الأُستاذ ونفسه الروحانيّة والملكوتيّة ، أو نفس السالك في بداية الطريق : تلك النفس الملوّثة والفاسدة ؟!

فلو تبع ولايةَ الأُستاذ لصارت نفس الأُستاذ هادية لوجود السالك ؛ ولو عمل بإرادته واختياره هو ـ مع تلوّثه ـ لصار قائداً وهادياً لنفسه . هذا مع الافتراض أنّه سالك وليس رجلاً كاملاً ، وأنّه يسير في الطريق ولم يطوه بعد ؛ لذا فإنّ رغباته ستنبع من النفس الأمّارة والتسويلات الشيطانيّة ، وسيكون غروره واستقلاله أشبه بغرور النفس البهيميّة واستقلالها ، يضرب ويكتسح ويكسر ويدمّر ،كالحيوان الهائج وكالفرس بلا عنان ، لكنّ الأُستاذ يأتي فيلجمه ويضع عليه العنان والركاب فيصبح مروّضاً

جاهزاً للقيادة .

لقد عمل أمـثال **نيرون** و**شابور ذي الأكتاف** و**هتلر** و**بـلعم بـاعوراء** وجميع المستكبرين في كلّ عصر وزمان بقوّة استقلالهم النـفسيّ ، وكـانوا لا يخضعون لأُستاذ ومربٍّ أخلاقيّ ؛ فجرّوا العالَم بنفسهم الأمّارة إلى الدمار وسفك الدماء والويلات ، وارتكبوا فيه المجازر وأحالوه جحيماً لا يُطاق .

لكنّ أُولئك أنفسهم لو خضعوا لولاية الأُستاذ وتـبعوا سـيره النـفسيّ لتحطّم غرورهم وانهار كبرياؤهم واسـتبدادهـم ، ولصـاروا أمـثال **سـلمان الفارسيّ** و**رُشَيد الهَجَريّ** و**إبراهيم الأدهم** ونظرائهم .

لم يكن **لمعاوية** فرق مع **حِجْر بن عُدَي** سوى أنّ الأوّل كان يـعمل بإرادته المستقلّة ، وكان الثاني يخضع لتربية الأُسـتاذ ؛ فـصار ذلك **جـهنّماً** وآل هذا **رضواناً** .

أفتمثّل مسألة الشيطان والغرور وجـهنّم فـي الآيـات القـرآنـيّة غـير مسألة النزوع إلى الاستقلال ورفض الخضوع إلى التعليم والتربية ؟!

أمّا الإجابة على الإشكال الثالث : فـصحيح أنّ هـناك قـوّة أودعـها الباري في غريزة الإنسان وفطرته يمكنه بها الاتّصال بعالَم الغيب ، ولكن هل هذه القوّة موجودة بالفعل في جميع سكّان العـالم ؛ أم أنّ هـذه القـابليّة تكتسب فعليّتها إثر تربية الأُسـتاذ وتـعليمه ، فـتتجلّى إذ ذاك هـذه القـابليّة وتتفتّح هذه البراعم الكامنة في أكمامها ؟!

أيمتلك ـ يا ترى ـ جميع البشر ، العالِم فـيهم والعـامّيّ ، والشـريف فيهم والوضيع ، هذه القدرة التي يمكنهم بها اكـتساب الحـقائق مـن عـالم الغـيب ؛ أم أنّ هـؤلاء قـلّة لا يـمكن العـثور عـلى أحـدهم ولو بـين عـدّة ملايين ؟! ومن ثـمّ فـهل ستثمر الإحـالة إلى عـالَم الغيب إلّا الإحـالة إلى الشيطان والخواطر الإبليسيّة في طيّ الطـريق ، وإلى أوهـام وأفكـار الجـنّ

المتمرّدين ، وإلى التسويلات الضالّة والمضلّة للنفس الأمّارة ؟!

إنّ طريق كسب الأحكام في زمن الغَيبة هو الطريق المعهود للفقهاء ، وعلى عامّة الناس أن يأخذوا الأحكام عن طريق التعلّم والتعليم والدرس والتدريس وبيان روايات الأئمّة المعصومين ، وأن يسيروا على نهج الفقهاء ويقتفوا آثارهم . وهو أمر تقرّه الأدلّة القطعيّة والشواهد اليقينيّة ، وطريق أوحد لا يوجد سواه تبعاً لضرورة الإجماع المسلّم للمسلمين ولجميع الشيعة . فلا مناص لعامّة الناس إلّا في الرجوع إلى العلماء والفقهاء ، وإلّا لهَوَوا في فم الشيطان الفاغر ، فصاروا لقمةً سائغة يزدردها دفعة واحدة .

أمّا الإجابة على الإشكال الرابع : فإنّ هذا الاستدلال هو عينه استدلال عمر حين قال أن لاحاجة لنا بعد رسول الله بالإمام الحيّ ؛ فسنّة رسول الله في أيدينا وكتاب الله يكفينا : **حَسْبُنَا كِتَابُ اللَهِ ، كَفَانَا كِتَابُ اللَهِ** .

فإن كانت روح آية الله الأنصاريّ كافية بعد موته للقيام بتدبير أُمور العالَم الظاهريّ ، فلا حاجة لأُستاذ حيّ حرّ مهذّب منزّه عن هوى النفس ، فلِمَ أورد رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ هذه التعليمات والتأكيدات والبيانات والخطب في الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السلام ؟ ولِمَ أخّر تلك الجموع الحاشدة عند الرجوع من حجّة الوداع في رمضاء الصيف في **الجُحفة** في بقعة غدير خم ، ليخطب فيهم تلك الخطبة الغرّاء البليغة ؟ أكانت روح آية الله الأنصاريّ أقوى أم روح رسول الله ؟!

ولِمَ أوصى أمير المؤمنين عليه السلام للإمام الحسن المجتبى ؟ ولِمَ أوصى كلّ إمام من الأئمّة عليهم السلام للإمام الحيّ الذي يليه ؟ وها نحن في زمننا هذا نقول بوجود الإمام الحيّ ؟ ونعتقد أن قضاء الحاجات وقبول التوسّلات وتدبير أُمور العالَم بِيَدِ **وليّ الله المطلق الأعظم الحجّة بن**

الحسن العسكريّ أرواحنا فداه ؛ بالشكل الذي يرجع فيه التوسّل بكلّ إمام ووليّ متوفّى إليه عليه السلام ، فيجتمع رتق الأُمور وفتقها بِيَدِه المباركة .

ولِمَ عمد كلّ نبيّ إلى تعيين وصيّ له وخليفة من بعده ؟ فلقد كان يكفي ـ حسب قولكم ـ أن يقول لجميع الأُمّة : إنّ روحي ستصبح أقوى بعد موتي وإنّها ستصبح أكثر تجرّداً ، وسأعينكم وأهديكم إلى معارج الكمال ومدارجه أفضل ممّا كنت أفعل أيّام حياتي ؛ فلا حقّ لكم أن ترجعوا إلى أحد من عظماء أُمّتي المعنويّين والروحيّين ، بل ادعوا أن يُعجِّل لي بموتي ليزداد تجرّدي ويمكنني إذ ذاك أن أُربّيكم تربيةً أفضل وأكثر خلوصاً ونزاهة !

أستحلفكم بالله ! أليس مفاد ذلك القول هو هذا ولا شي آخر سواه ؟! أوَ يمثّل مجمل كلام عمر وعصارته شيئاً غير هذا ؟!

فيا أيّها العزيز ! إن من الثابت الذي لا شكّ فيه حسب الأدلّة الفلسفيّة والبراهين الحكميّة والمشاهدات العينيّة والروايات والأحاديث الواردة ، أنّ جميع الموتى بلا استثناء يصبح تجرّدهم بعد موتهم أكثر ، أي أنّهم يتوغّلون أكثر في فناء التوحيد في الذات ؛ وهذا ما يستلزم انصرافهم عن عالم الطبيعة ، بل وانصرافهم عن عالم المثال والصورة ، ولهذا فإنّ البرهان القطعيّ قائم على ضرورة ووجوب وجود الإمام والمربّي الحيّ إلى يوم القيامة ؛ فلو لم تتّصلوا بالمربّي الحيّ ولم تعملوا بتعاليمه وتقتفوا آثاره ، وجلستم إلى يوم القيامة في انتظار أن تربّيكم روح الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ، لرحلتم عن هذه الدنيا بأيدٍ خالية تجترّون حسرة الندامة ! ولبقيتم كالثمرة الفجّة التي لم تنضج بعد ! ولربّما انحدرتم من حيث لا تشعرون في مهاوي النفس الأمّارة والشيطان ، تحسبون أنّكم قد نلتم الرقيّ والرفعة ؛ بينما تُبتلون بعقاب الله الدنيويّ : **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ**

لَا يَعْلَمُونَ![1]

فلِمَ تنتظرون إفادات وإفاضات المرحوم الأنصاريّ قدّس الله نفسه بعد وفاته ؟! أوَ لم تكن منذ هبوط آدم على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام إلى الآن روح أفضل وأقوى منه وأكثر تجرّداً ؟ ولِمَ لا تنحازون إلى روح نوح عليه السلام فتقولون : إنّ تجرّده بعد الموت أفضل ، لذا فإنّ بإمكانه أن يدير أُمورنا أفضل ، فلا حاجة لنا معه إلى مربٍّ حيّ ؟! ولِمَ لا تتوسّلون بموسى وعيسى عليهما السلام ؟ أوَ لم يكونا من الأنبياء أُولي العزم ؟

إنّ دليلي الواضح القاطع هو : هل قمتم بتربية شخصٍ موحِّد واحد كنموذج لما تدّعونه منذ زمن ارتحال آية الله الأنصاريّ في الثاني من ذي القعدة ١٣٧٩ هـ . ق وحتّى يومنا هذا : الرابع والعشرين من شهر رجب المرجب لسنة ١٤١٢ هـ . ق ، حيث تنقضي مدّة ثلاث وثلاثين سنة ؟! وهل ربّيتم شخصاً اجتاز عالم المثال والعقل ووصل إلى التجلّيات الذاتيّة ؟! أرونا إيّاه لطفاً ، فها هم عشّاق وادي الحقيقة يبحثون عن شخص كهذا شارعاً فشارعاً وبيتاً فبيتاً ! فاعلموا إذن أنّ هذا الدرب خاطئ ، وأنّه ليس إلّا درباً للظُّلمة ! وأنّ تحمّل مسؤوليّة تربية جماعة ثمّ تركهم أحراراً وإيكالهم إلى إرادتهم واختيارهم بلا مربٍّ ولا معلِّم ليس إلّا تضييعاً للنفوس القابلة ، وإبطالاً للموادّ المستعدّة .

أمّا الإجابة على الإشكال الخامس : فإنّ ما يستفاد من بيانات سماحة الشيخ الأنصاريّ أنّه قد حضر عند الأعاظم ، ومن جملتهم رجلٌ مجذوب

١ـ وردت هذه الفقرة من الآية المباركة في موضعَين من القرآن الكريم : الأوّل في الآية ٤٤ ، من السورة ٦٨ : القلم : **فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** . والثاني في الآية ١٨٢ ، من السورة ٧ : الأعراف : **وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** .

كان يأتي إلى همدان فيجني من جبال البرز عشباً خاصّاً فيجمعه ؛ كما كان يتردّد كذلك على بعض تلامذة المرحوم آية الله الميرزا جواد الملكيّ التبريزيّ قدّس الله تربته ، كالسيّد الحاجّ حسين الفاطميّ والسيّد الحاجّ محمود ، وكان له معهم مذاكرات ومباحثات .

ومضافاً إلى ذلك فإنّ طريق ذلك المرحوم لم يكن صحيحاً في بداية أمره ؛ فقد قال للحقير مرّة : «حين ذهبتُ إلى قم للدراسة كنتُ في محاربة أهل العرفان ، وكان لي خصومة شديدة مع أحد المعروفين منهم في همدان ، الذي كان يدّعي هذه المطالب . وكنتُ بعد ذهابي إلى قم أُمارس بعض الرياضات لتسخير الأرواح والجانّ ، لكنّ الله رحمني فأنقذني من وسط هذا الطريق الضالّ ، وهداني نحو الحقّ والحقيقة والعرفان الإلهيّ ؛ وكانت مشيئة الباري أن يمنَّ على هذا العبد الضعيف بهدايته» . ثمّ أضاف : «من كان له اتّصال بالجانّ ـ ولو بمسلميهم ـ فسيرحل عن الدنيا كافراً في النهاية» .

وكان رحمه الله يقول : «وبعد أن بصَّرني الله تعالى بخطأ ذلك الأُسلوب وأنّ طريق الحقّ في عشق الله والعبوديّة له ، بقيت وحيداً لا أعلم ما العمل ، وكيف الخلاص ! فكنت أهيم على وجهي في الجبال والبراري وحيداً إلى غروب الشمس ، ودام تحيّري وضياعي على هذا المنوال أربعين أو خمسين يوماً ، حتّى بلغت أقصى درجات الاضطرار ، فحُرِمت الطعام والنوم ؛ ثمّ برقت في قلبي في تلك الحال بارقة الرحمة ، وداعبني النسيم العليل من عالم الربوبيّة ، فاستطعت أن أُبصر طريقي» .

وكان هذا الاكتشاف للدرب هو الذي فتح له باب المكاشفات ، ثمّ وصل أخيراً إلى المقصد وصار يمتلك التوحيد الذاتيّ الإلهيّ . ولكنّ رفقاءه من همدان يعلمون وحدهم أيّ محن ومشاكل قد تحمّل في سبيل ذلك ، ثمّ

رحل وهو في عنفوان الرشد والكمال الروحيّ وقد أينعت ثمار شجرة التجرّد التامّ والتوحيد الكامل لديه ؛ أي في سنّ التاسعة والخمسين [1].
وبالتأكيد فإنّه لوكان قد اهتدى في سلوكه إلى أُستاذ كامل لأزاح جميع هذه المشاكل والعقبات من طريقه ، ولعمّر إلى سنّ السبعين أو الثمانين كأغلب العظماء ، مثل المرحوم الآخوند الملّا حسين قلي الهمدانيّ والشيخ محمّد البهاريّ الهمدانيّ والحاجّ الميرزا علي القاضي .

إن أفضل دليل على الحاجة للأُستاذ هو قول ذلك المرحوم نفسه : «لقد بحثتُ طويلاً في قم بلا جدوى ، عن أُستاذ كامل خبير ينفعني ويُشير لي إلى طريق العلاج والخلاص ، لذا فقد أصبت بمحنة وقادتني المحنة والاضطرار» .

ولو وجد المرحوم أُستاذاً في بلدة قم الطيّبة آنذاك ، لرجع إليه

١ـ وذلك على أثر شدّة العشق والشوق الوافر للقاء الربّ المتعال وطلب الفناء في الذات الأحديّة ، ولانعدام أُستاذ ودليل له ؛ فقد كان يعمل وفق نظريّته هو ، لذا فقد أُصيب بضعف القلب، وكان يستعمل الأعشاب والعقاقير المفيدة لتهدئة القلب ، لأنّه كان أخصّائيّاً في الطبّ القديم . ثمّ جاء إلى طهران قبل وفاته بسنة وبقي فيها شهراً ، وطلب من الحقير أن آخذ له موعداً عند الدكتور أردشير نهاوندي الأخصّائيّ بأمراض القلب ؛ فلمّا عاينه بدقّة قال له في جملة كلامه : لقد خضع هذا القلب طيلة عشرين سنة لضغط العشق الشديد ؛ أفكنتم عاشقين؟ أجاب : نعم . ثمّ قال للحقير حين غادرنا الطبيب : يا له من طبيب خبير وحاذق! لقد أصاب في تشخيصه ، لكنّ علمه يقصر عن فهم وتشخيص مورد ذلك العشق.

هذا وكنتُ قد صحبته مراراً أيّام الجمع حين كنتُ في همدان إلى الحمّام العموميّ للقيام بغُسل الجمعة والتنظيف ، فكان بدنه هزيلاً ونحيفاً جدّاً بحيث لم يبق منه إلّا هيكل عظميّ . وكانت قامته طويلة ، فكان صدره وكتفاه ينؤان برأسه حقّاً ، أمّا قدماه فكانتا أشبه بخشبتينِ نحيفتينِ رُبطتا ببعضهما ، وكانت أضلاع صدره بارزة يمكن عدّها . **رحمة الله عليه رحمة واسعة.**

بلا تأخير ؛ وكان بنفسه يقول : «كان المرحوم **آية الله الميرزا جواد** قد رحل عن الدنيا آنذاك» .

ولو انتفت الحاجة للأُستاذ ، فكيف كان المرحوم الأنصاريّ يعتبر نفسه أُستاذاً للطريقة ويعطي طريقةً للعمل ؟! ولقد أعطى للحقير تعليمات في النجف الأشرف حين قدم إليها للتشرّف بالزيارة ، وكان يبعث لي بتعليماته خلال إقامتي في النجف الأشرف بعد زيارته لها ـ ودامت أربع سنوات ـ وبعد عودتي إلى طهران طيلة السنوات الثلاث التي سبقت رحلته ، حتّى أنّه أعطى للحقير الأوراد الواردة التي لم يعطها لأحد سوى المرحوم **آية الله الشيخ حسن علي نجابت** وحجّة الإسلام **السيّد عبدالله فاطمي الشيرازيّ** .

وأمّا الردّ على ذلك الشخص الآخر الذي ينتمي إلى ذاك المحترم بعلاقة سببيّة ، والذي يصرّ على عدم ضرورة الرياضات الشرعيّة ، وعلى إنكار الذِّكر والمراقبة والمحاسبة والتأمّل ، بل يعتبر هذه المسائل أمراً خاطئاً مغلوطاً ، مضافاً إلى نفيه لضرورة وجود الأُستاذ ؛ فقد كان الحقير يلفت نظره إلى ذلك تلميحاً لا تصريحاً ، فلم يكن ذلك ليجدي نفعاً ، فقد كان حاله في وضع يجعله عاجزاً عن القبول بهذه الأُمور . ولقد جاء يوماً قبل سنتين إلى البيت المتواضع للحقير في مشهد المقدّسة يصحبه اثنان من رفقائه وأصدقائه ، فشرع بدون مقدِّمة بانتقاد أمر اتّخاذ الأُستاذ وانتقاد الذِّكر والوِرد وانتقاد الرياضات المشروعة المتداولة ، فرأيتُ أنّ السكوت هنا ربّما أدّى إلى إضلال رفيقَيهِ الآخرينِ ، فقلت :

«**سماحة الحاجّ ... سلّمه الله وأيّده** ! الجميع يعلم أنّ عملكم السابق هو الزراعة والفلاحة ، أوَ ليس ذلك حقاً ؟ » أجاب : «بلى ! » .

فقلت : «إنّ الفلّاح يحرث الأرض أوّلاً ، ثمّ ينثر البذور ، ثمّ يسقي

الأرض بالماء ، ثمّ ينقّي الحاصل بعد نموّه واخضراره (باستئصال الأعشاب الضارّة التي تنبت قربه كي لا تقضي عليه) ويقوم عند إصابة الحاصل بالآفات برشّه بالسموم ، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها بالنسبة للأرض والبذر والنبات ؛كلّ ذلك ليجني محصولاً جيّداً وسالماً . أوَ ليس الأمر كذلك ؟ » قال : «بلى» .

قلت : «أيمكن أن ينتج محصول بلا فلّاح ؟ أوَ يمكن عند وجود الفلّاح أن لا يقوم بهذه العمليّات ،كأن لا يسقي الأرض ، أو أن يسقيها فوق حاجتها ، أو أن ينثر البذور ثمّ لا يغطّيها بالتراب ، أو أن لا يقوم باستئصال الأعشاب الضارّة ، أو أن لا يرشّ السموم وأدوية المكافحة ؟! وما الذي سيكون عليه وضع المحصول آنذاك ؟ أفلا تذهب أتعاب الفلّاح أدراج الرياح ؟ » .

أجاب : «بلى !» .

فقلت : «فكّروا جيّداً ! هل الأمر هكذا أم لا ؟» .

ردّ قائلاً : «لا حاجة للتفكير ، فما تقولونه واضح جليّ ؛ فالنبات يحتاج للزارع الذي يجب أن يعمل ذلك !» .

فقلت : «إنّ أُستاذ السير والسلوك ـ يا عزيزي ! ـ هو ذلك الزارع ؛كما أنّ الوِرد والذِّكر والمراقبة والمحاسبة والتأمّل هي الماء والشمس والأرض المناسبة ، والرياضة هي تحديد مقدار الماء واقتلاع الحشائش الضارّة وإبعادها عن سيقان النباتات المفيدة كي لا تسلبها ثمرة حياتها وغذاءها» .

ثمّ أردفتُ : «هل سبق لكم أن قمتم بتشذيب أغصان شجرة الكرم ؟».

أجاب : « كلّا ، فلقد كنت مزارعاً ، ولم يسبق لي أن عملت في زراعة الأشجار ورعايتها» . فقلت : «لابدّ أنّ هناك قرب أرضكم الزراعيّة ، بساتين للأشجار المثمرة ـ قلّت أو كثرت ـ ولابدّ أنّكم شاهدتم أو سمعتم وعلمتم

بشكل مُسَلَّم أنّ الشجرة تحتاج للرعاية وللبستانيّ ، وتحتاج إلى تعاهد أرضها وتسميدها في أوقات معيّنة وبمقادير معيّنة ،كما تحتاج سقيها بالماء وتشذيب أغصانها ؛ فإن أُهملت ولم يقم بهذه الأعمال أحد ، فإنّ هذه الأشجار ستصبح بلا تعاهد ورعاية كأشجار الغابات طويلة مرعبة لكنّها بلا ثمر ، ولن تعطي آنذاك أشجار العنب والمشمش والتفّاح ثمراً ، فإن أثمرت كان ثمرها فجّاً مُرّاً وصغيراً لا فائدة فيه . أستحلفكم بالله ! أليس ذلك حقاً ؟» .

قال : «بلى !» .

قلت : «إنّ الأُستاذ ليس موجوداً هيولائيّاً وغريباً موحشاً ذا قرون ليفرّ منه الناس ، بل هو ذلك الفلّاح والبستانيّ الذي يلقّب في الزراعة وتعاهد النباتات بذلك الاسم ، ويدعى في التربية الإنسانيّة بالأُستاذ ؛كما أنّ الوِرد والذِّكر والمحاسبة والمشارطة والمراقبة كالماء والشمس بالنسبة للشجرة والنبات ، واستئصال الحشائش الضارّة وتشذيب الأغصان كالرياضة ، فهي للنبات بذلك الشكل وللإنسان بهذا الشكل .

إنّكم تتصوّرون أنّ **الرياضة** تعني مواجهة الجوع الشديد غير المحتمل وقضاء يوم كامل بتناول لوزة واحدة وأمثال ذلك ! لكنّ الأمر ليس كذلك ، بل هي بمعنى التربية ، ولها مفهوم الترويض والتطويع . وفي اللغة : **رَاضَ يَرُوضُ رِيَاضَةً** ؛ أي التسخير والتذليل .[1]

يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام :

١ـ أورد في «أقرب الموارد» : رَاضَ المُهر ـ ن ـ يَرُوضُهُ رَوْضاً ورِيَاضَةً ورِيَاضاً : ذلّله وجعله مُسخّراً مُطيعاً وعلّمه السير فهو رائض ، ج راضة ورُوّاض ورائضون . والمُهر مَرُوض. ومنه: رَاضَ الشاعرُ القوافي الصَّعبةَ أي ذلّلها ، و الدُّرَّ رياضةً : ثقبَهُ .

وَأَيْمُ اللهِ يَميناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهِشُّ مَعَهَا إلَى القُرْصِ إذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَتَقْنَعُ بِالمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعُهَا.[1]

فالإمام يقول هنا : إنّني أُرَوِضُ نفسي وأُذلّلها وأُربّيها بهذه الطريقة ، فيا له من معنى كبير للرياضة أن تكون بمعنى التأديب !

إنّ النفس الإنسانيّة هيولائيّة ، أي أنّها قابليّة محضة واستعداد صرف ؛ فإن أُهمل تربيتها سقطت في أحطّ الدركات وأسوأها ، وفاقت في الوحشيّة كلّ شيطان ووحش مفترس ، أمّا لو أُدِّبت لارتقت إلى أعلى علّيّين ولفاقت الملائكة» .

ثمّ قلتُ : «أليس الأمر كذلك ؟» قال : «بلى !» .

ولقد بُهِتَ من كلامي بهذا النحو ، أمّا رفيقاه فاستبدّ بهما الوجد والشغف ، لكأنّ أمراً معضلاً لديهما قد انحلّت عُراه المستعصية . ولقد تصوّر الحقير آنذاك أنّ هذا البيان قد غيّر طريق هذا الشخص ونهجه ، وأنّه ليس لديه ثمّة انتقاد لمسألة ضرورة الأُستاذ وإعطاء الوِرد والذِّكر وللمحاسبة والتأمّل ، ولكن مع الأسف ، فحين جاؤوا إلى المنزل مرّة أُخرى ـ بعد سنة تقريباً ـ وتطرّق الكلام إلى هذه المقولة ، رأيتُ أنّه يكرّر نفس المطالب السابقة ، فعلمتُ أنّ كلامي وبياني لم يستطع اقتلاع أساس أفكاره المسجّلة واستئصالها ، وأنّ ذلك الأُسلوب والنهج صار كالعادة التي لها حكم الطبع الثانويّ المقترن بروحه ، والمتحوّر جزءاً من غرائزه .

نعم ، لقد كان السرّ الحقيقيّ لإعلانات ذلك الرجل وتأييد الرجل

١ـ «نهج البلاغة» الرسالة ٤٥ ، وفي طبعة مصر ، مطبعة عيسى البابي وهامش الشيخ محمّد عبده : ج ٢ ، ص ٧٤.

الثاني له لهذا الأمر هو عدم رغبتهما بالخضوع لولاية وهيمنة **الأُستاذ السيّد هاشم الحدّاد** ، مع أنّهما كانا يعرفانه حقّ المعرفة ويعترفان بمقاماته الروحيّة وكمالاته المعنويّة ؛ ذلك **الرجل الأوحد في سماء التوحيد والولاية** . ولم يكن بين تلامذة المرحوم الأنصاريّ شخص يتّفق الجميع على اتّباعه ، لذا فقد ظهر هذا التشتّت والاختلاف . لكنّ هؤلاء بقوا بلا أُستاذ فلم يلجأوا إلى ركن وثيق ، كما أنّهم لم يستفيدوا من الأُستاذ الحدّاد ، **والناس حيارى لا مسلمون ولا نصارى** ، نعوذ بالله .

ولم تكن تلك الجماعة و ذلك الرجل المحرّك خاصّة ليجرؤوا في حضور الحقير على نقد سماحة السيّد الحدّاد ، ولكن كان يطرق سمعي أحياناً أنّهم ينقدونه باحترام وأدب فائقينِ . وحصل أن قال الحقير مرّة في أحد المجالس :

الحدّاد وما أدراك ما الحدّاد ؟! فوجم بعضهم وامتقع وجهه ، وسمعتُ بعد ذلك أنّه قال للبعض : كيف يصف رجلاً بسيطاً عاديّاً بهذا الوصف ؟!

ثمّ تطرّق الحديث ليلة إلى ذكر سماحة الحدّاد ، فالتفت ذلك الشخص المحرّك نحوي قائلاً : إنّ **الحدّاد** يصف الله **بالعُري** ؛ **والله لا يعرى !**

فلم ينبس الحقير ببنت شفة ، ثمّ رأيتُ ليلتها في عالم الرؤيا أنّه كان يواجهني فاتحاً فاهه بحيث تبدو أسنانه للعيان ، وأنّي ضممتُ قبضة يدي اليمنى وقلت له : إن عدت ثانية إلى الانتقاد في مسألة توحيد الحقّ تعالى فسأنهال بيدي على فمك وأُحطّم أسنانك فيه !

نعم ! لقد كان ذنب الحدّاد أن يصف الله تعالى منزّهاً بلا رتوش وبلا تجميل ، ويشخّص حقيقة معنى «**لا إله إلّا الله**» و«**الله لا إله إلا هو**» ؛ ولكن ما جدوى ذلك مع الآذان الصمّاء والأعين العمياء !

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. [1]

وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا. [2]

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ. [3]

ولقد بقي الحقير عند ذلك وحيداً، فلم ينضمّ معي من تلك الجماعة التي كان جميع أفرادها يُظهرون المحبّة والصداقة ويرتبطون معي بسابق المعرفة ولو شخص واحد. بقيتُ وحيداً بكلّ معنى الكلمة. لذا فقد رأيت أن لا مفرّ من اعتزال تلك الجماعة، ومن أن يكون لي مجالس خاصّة مع بعض الشباب النزهاء البسيطين الفقراء من أهل المسجد على أساس أُستاذيّة سماحة السيّد الحدّاد ودوره في التربية.

ولقد حصل للحقير حتّى الآن مرّات عديدة لم يقبل فيها كلامي المحقّ ولو شخص واحد، فكنتُ أختار العزلة عن الجمع الكثير الذي ارتبط بكلّ فرد منهم بالعلاقات العائليّة المديدة أو بعلاقات الصحبة والرفقة، وكان هذا المورد أهمّها.

وكنت في هذه الخلافات أحسّ وألمس جيّداً مظلوميّة مولانا وجدّنا أمير المؤمنين عليه السلام، وكيف تُرِك وحيداً مع تلك السوابق والمعرفة الطويلة. وذلك إثر صدعه بالحقّ وجهره بالصدق، بحيث توجّب على

١ـ الآية ٤٥، من السورة ٣٩: الزمر.

٢ـ الآية ٤٦، من السورة ١٧: الإسراء.

٣ـ الآية ١٢، من السورة ٤٠: غافر.

حليلته فاطمة ـ إتماماً للحجّة على هذه الأُمّة التعيسة ـ أن تمتطي الدابّة ليلاً فتطرق بيوت المهاجرين والأنصار تسألهم النصرة على أن يشهدوا بالحقّ. فكانوا يقولون: كلامك صحيح يا بنت رسول الله، وكلامك يا عليّ حقّ، ولكن قد مضت بيعتنا لهذا الرجل فلا مجال بعد لفسخها، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فيقول عليّ كرّم الله وجهه [عليه السلام]: أفكنتُ أدع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له؛ ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.[1]

نعم! لقد تنحّى أمير المؤمنين عليه السلام جانباً عن الجماعة المشركة العاصية لربّها، وأخلد في منزله للعزلة خمسة وعشرين عاماً لا يتجاوز أصحابه عدد أصحاب الكهف، قضاها محزوناً مَغيظاً:

صَبَرْتُ وَفِي العَيْنِ قَذَىً وَفِي الحَلْقِ شَجَىً.[2]

ولقد اعتزل الحقير أيضاً جميع هؤلاء وقاطعت محافلهم ونهجهم وسيرتهم، وتوكّلت على الباري ظاهراً وباطناً؛ وحقّاً فكم كان للمرحوم الحاجّ السيّد هاشم روحي فداه من كرامة ومن موقفٍ نبيل! وكم أنجى من السقوط في المواقع الخطيرة وفي مزالق المحيط والأُمور الاجتماعيّة! وكم كان شبيهاً بالأُمّ الحنون حين كان يأتي من كربلاء البعيدة إلى طهران، يستوي لديه الليل والنهار! وكم كانت مساعداته صحيحة وفي محلّها؛

١ـ «الإمامة والسياسة» لابن قُتَيبة الدينوريّ، ج ١، ص ١٢، الطبعة الثالثة، مصر سنة ١٣٨٢ هـ.

٢ـ الخطبة الثالثة في «نهج البلاغة»؛ وفي طبعة مصر، مطبعة عيسى البابي مع هامش الشيخ محمّد عبده: ج ١، ص ٣١.

استبان سرّ بعضها في آنه ، وتبيّن بعضها فيما بعد تدريجيّاً ، واتّضح أمر بعضها الآن بعد ثمان سنين من رحيله ، والله يعلم ما سيظهر بعد !

نعم ، يقول الباري في شأن ذلك النفر القليل المؤمن الموحِّد من أصحاب الكهف الذين اعتزلوا الجمع والمجتمع المشرك وقدرته وهيمنته :

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا.[1]

وهذه الآية تلت الآية التي يصف الله سبحانه فيها حال أُولئك القوم المشركين فيقول :

هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا.[2]

هذا ، ولم يصحب الحقير في نهجه في متابعة السيّد الحدّاد إلّا الرفقاء الهمدانيّون الذين كانوا تلامذة المرحوم آية الله الأنصاريّ ومن ملازميه ذوي السابقة والخبرة ،كالسيّد الحاجّ أحمد الحسينيّ الهمدانيّ رحمة الله عليه ، والد الصديق العزيز الدكتور السيّد أبي القاسم الحسينيّ الهمدانيّ الطبيب في الأمراض النفسيّة والمقيم في مشهد المقدّسة منذ خمس وعشرين سنة ، والمرحوم غلام حسين الهمايونيّ (الخطّاط المعروف) والمرحوم الحاجّ غلام حسين السبزواريّ ، والحاجّ محمّد حسن البياتيّ ، وحجّة الإسلام والمسلمين السيّد أحمد حسينيّان ، والحاجّ إسماعيل تخته سنگي (مهدوي نيا) ، والمرحوم الحاجّ آقا اللهياريّ من أبهر ، والحاجّ محسن شركت من إصفهان .

١ـ الآية ١٦ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢ـ الآية ١٥ ، من السورة ١٨ : الكهف .

أمّا مريدوه في العراق فهم : حجّة الإسلام الشيخ صالح الكميليّ ، وآية الله السيّد هادي التبريزيّ (وهو أحد تلامذة المرحوم الشيخ مرتضى الطالقانيّ القدماء الذين استفادوا من ذلك المرحوم كثيراً ، وكان يحضر أحياناً عند المرحوم القاضي) ، وحجّة الإسلام الحاجّ الشيخ محمّد جواد المظفّر من البصرة ، وحجّة الإسلام السيّد حسن معين الشيرازيّ من طهران (أخو زوجة الحقير) وحجّة الإسلام السيّد شهاب الدين الصفويّ من إصفهان ، وكذلك الحاجّ الشيخ أسد الله طيّارة من إصفهان ، والحاجّ محمّد علي خلف زاده ، والحاجّ أبو موسى محيي ، والحاجّ أبو أحمد عبد الجليل محيي ، والحاجّ موسى محيي ، والحاجّ عبد الزهراء ، والحاجّ قدر السماويّ (أبو أحمد) ، والحاجّ حبيب السماويّ ، والحاجّ محمّد حسن ابن الشيخ عبد المجيد السماويّ (أبو عزيز) ، والحاجّ حسن أبو الهوى ، وكان يحضر عنده أحياناً من النجف الأشرف آية الله السيّد عبد الكريم الكشميريّ و المرحوم السيّد مصطفى الخمينيّ رحمة الله عليه ، كما كان المرحوم السيّد كمال الشيرازيّ يحضر عنده أحياناً ؛ فكان المرحوم الحدّاد يستقبل جميع هؤلاء ويُشير عليهم ويوردهم كلّاً حسب استعداده واستيعابه. وكذلك فقد كان آية الله الشيخ حسن الصافيّ الإصفهانيّ ، وحجّة الإسلام الشيخ ناصر دولت آبادي ، وحجّة الإسلام الشيخ محمّد تقي جعفري الأراكيّ دام عزّهم يتشرّفون بالحضور لديه والاستفادة من محضره ، لكنّ أُستاذهم في النجف كان المرحوم آية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ ، كما كان السيّد حسين دانشمايه النجفيّ والميرزا محمّد حسن النمازيّ بهذه الكيفيّة .

القسم الثاني

السفر الأول للحقير إلى العتبات المقدسة، سنة ١٣٨١

هجرية قمرية عدا السفر إلى بيت الله الحرام

السفر الأوّل للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٨١ هجريّة قمريّة
عدا السفر إلى بيت الله الحرام

لقد كانت لي إقامة رسميّة في العراق ، فكان ميسوراً لي بعد عودتي إلى إيران أن أعود إلى هناك متى شئت ، بمراجعة بسيطة لأخذ سمة الخروج ، دون المرور بسلسلة الإجراءات الطويلة في مديريّة السفر والجوازات . وعلى الرغم من عزمي على السفر بعد مرور سنة من رحيل آية الله الأنصاريّ ، إلّا أنّ عوائق أعاقتني عن ذلك إلى ما بعد رحيله بسنتَينِ ، حيث انقضى إذ ذاك على سفري إلى بيت الله الحرام أربع سنوات مررت فيه ذهاباً وإياباً بالعراق فاستفدت كثيراً من لقائي بالمرحوم الحدّاد هناك ، كما كان قد انقضى على عودة الحقير من النجف الأشرف خمس سنوات .

وهكذا تحرّكت للسفر أواخر شهر ذي القعدة الحرام لسنة ١٣٨١ ه لزيارة العتبات المقدّسة وللقيام بالزيارة الخاصّة بيوم عرفة ، وفي نيّتي البقاء في الكاظميّة المقدّسة لعشرة أيّام ، ثمّ التشرّف بزيارة كربلاء والنجف وسامرّاء .

وفي الكاظميّة حللتُ ضيفاً على الحاجّ عبد الزهراء ، وكان قد اتّخذ منزلاً في منطقة **الگريعات** قرب الكاظميّة ، وقد انقضى أغلب الوقت في زيارة **المرقدين المطهّرين** ، ثمّ ذهبتُ بناءً على دعوة **ابن الخال** المحترم

العلّامة السيّد مرتضى العسكريّ أدام الله أيّام بركاته[1] فحللت ضيفاً عليه في منزله في **محلّة الكرّادة الشرقيّة**[2] . ولم يحالفني التوفيق خلال تلك الأيّام للتشرّف بزيارة الحرم المطهّر إلّا لمرّة واحدة فقط ، وكان الحديث يدور غالباً في المسائل العلميّة والاجتماعيّة وطبيعة الانحراف لدى المسلمين وسبل معالجته .

ولقد أوصل الحاجّ عبد الزهراء نبأ قدومي إلى كربلاء ، فقام الحاجّ محمّد علي بمصاحبة سماحة الحاجّ السيّد هاشم للزيارة إلى الكاظميّة ، فبقيا هناك عدّة أيّام استفدنا فيها كثيراً من محضره . وكان حال السيّد الحدّاد آنذاك بشكل انصرف معه من عالم الطبيعة بشكل كامل ، فلم يكن ليحسّ بالجوع ، ولم يكن ليميّز للطعام مذاقاً ، ولم يكن ليسمع صوتاً إلّا بصوت عال يكرّر عليه المرّة تلو المرّة ؛ ولو أمكننا أن نصوّر خلع البدن خلال الأيّام المتمادية والشهور المتوالية بشكل متناوب ، لكان وجود السيّد الحدّاد أُنموذجه العينيّ والخارجيّ .

وكنّا نبيت في تلك الليالي في بيت الحاجّ عبد الزهراء الواقع في منطقة سكنيّة جديدة الإحداث في الكاظميّة ، تحوطه بساتين النخيل والبرتقال من كلّ جانب كما زرعت الخضروات والبقول في أرضه . وكان الهواء عليلاً ولطيفاً جدّاً ، ومع أنّ الوقت كان يصادف الأشهر الأُولى

١ـ باعتبار أنّ السيّد مرتضى العسكريّ دامت بركاته هو حفيد بنت المرحوم آيةالله الميرزا محمّد الطهرانيّ الذي كان مقيماً بسامرّاء ، وكانت المرحومة جدّتي لوالدي أي والدة أبي المسمّاة بـ«بي‌بي شهربانو» أُخت الميرزا محمّد ، لذا فقد صار العلّامة العسكريّ حفيد خال أبي .

٢ـ تقع الكرّادة الشرقيّة في الجانب الشرقيّ من بغداد على نهر دجلة، كما تقع كرّادة مريم في الجانب الغربيّ منه.

للربيع ، فلابدّ من استعمال الأغطية (اللحاف) ليلاً . وكانوا قد وضعوا فراش السيّد الحدّاد في الغرفة بجوار النافذة المفتوحة المشرفة على البساتين ، وكان فراشي إلى جانبه . فلمّا أصبحنا قال السيّد : أُصبتُ بالبرد ليلة البارحة ، ولقدكان الهواء لطيفاً أوّل الليل فلم ألقِ على جسدي غطاءً ، ثمّ برد الجوّ عند منتصف الليل فأحسست بلذع البرد بحيث عجزت فيه عن النوم ؛ فحاولت القيام لإغلاق النافذة ، فأحسست أن لا قدرة لي على الحركة ! ثمّ حاولت أن ألقي عَلَيّ الغطاء الموضوع عند قدمي ، فعجزت عن الحركة ! فأردت أن أقول : أيّها **السيّد محمّد الحسين** ، ألقِ عَلَيّ الغطاء ؛ فرأيت أن لا قدرة لي على الكلام . وهكذا فقد بقيت على حالي تلك إلى الصباح وأُصبت بالبرد الشديد .

وكان الرفقاء من الكاظميّة يقولون : لقد جئنا يوماً مع السيّد الحدّاد من كربلاء إلى الكاظميّة في سيّارة نقل عامّة صغيرة (سيّارة عراقيّة في هيئة علبة الكبريت تتّسع لعشرين راكباً) فجاء مساعد السائق في الطريق ليجمع الأُجرة من المسافرين ، فسأل :كم عددكم ؟ أجاب السيّد الحدّاد : خمسة أشخاص .

فقال :كلّا ، أنتم ستّة أشخاص ! فكرّر السيّد العدّ وقال : بل نحن خمسة ! ولقدكنّا نعلم أنّنا ستّة أشخاص ، لكنّنا تعمّدنا عدم قول شيء ليتّضح أمر السيّد الحدّاد . قال مساعد السائق من جديد : أنتم ستّة !

فقال السيّد : **خُوِيَ مَا ٱتْشُوُفْ ؟! هَذَا وَاحِدْ ، أُوُ هَذَا ٱثْنَيْنْ ، أُوُ هَذَا ٱثْلَاثَهْ ، أُوُ هَذَا أَرْبَعَهْ ، أُوُ هَذَا خَمْسَهْ ! بَعَدْ شِتْگُوُلْ إنْتَ ؟!**

قال : **يَا سَيِّدْ ! إنْتَ مَا تِحْسِبْ نَفْسَكْ ؟!**[1]

١ـ ما ورد في المتن هو نصّ كلام السيّد باللهجة العراقيّة العامّيّة ، ويعني : ⇦

وكان الرفقاء يقولون ، ولقد كان عجيباً أنّ السيّد الحدّاد بقي مع ذلك لا يلتفت إلى نفسه ، ومع أن معاون السائق يقول له : إنّك لا تعدّ نفسك ، إلّا أنّه كان غارقاً في عالم التوحيد والانصراف من عالم الكثرة ، للحدّ الذي عجز معه ـ مع هذا ـ أن يلتفت إلى لباس البدن فيعدّه ضمن الركّاب ويضيفه إلى مجموعهم .

ولقد قال السيّد الحدّاد بنفسه للحقير : لم أستطع في تلك الحال بأيّ شكل أن أعدّ نفسي ، فقال الرفقاء لي أخيراً : أيّها السيّد ! عدّ نفسك أنت أيضاً ، فهذا الرجل صادق فيما يقول حين يريد منّا أُجرة ستّة أشخاص . وهكذا فقد أعطيته أُجرة ستّة أشخاص بغير يقين منّي بكلامه ولكن تعبّداً بقول الرفقاء . ثمّ ترجّلنا من السيّارة للصلاة في **مسجد بَراثا** ، وهناك رأيت **إمام المسجد : الشيخ علي الصغير** مشغولاً ـ هو الآخر ـ بالحديث عن التوحيد والمناداة بنداء : **لا هو إلّا هو !**

وحين قَدِمنا إلى الكاظميّة وذهبنا إلى المغاسل العموميّة للتوضّؤ ، رأيت أنّني أجهل التوضّؤ . فيا إلهي ! لماذا أجهل كيفيّة الوضوء ؟! بل إنّي لا أُميّز وجهاً ولا يميناً ولا شمالاً . فما العمل والصلاة لا تجوز بغير وضوء ؟! قلت في نفسي : فلأسأل عن كيفيّة الوضوء من هذا الرجل المنهمك بالتوضّؤ ، ثمّ قلت في نفسي : ما الذي سيجيبني به يا ترى ؟!

ألن يقول لي : أيّها السيّد العجوز ! ألَا تعرف الوضوء وقد انقضى من عمرك ستّون سنة ؟!

⇦ ألَا ترى يا أخي ؟! هذا واحد ، وهذا اثنان ، وهذا ثلاثة ، وهذا أربعة ، وهذا خمسة. فماذا تقول بعد ؟!

قال : أيّها السيّد ! ألَا تعدَّ نفسك ؟! (م)

ثمّ أحسست وأنا أتّجه نحوه أنّ الوضوء جاء تلقائيّاً ، فقد مددت يدي إلى الماء بلا اختيار ولا علم ، فغسلت وجهي ثمّ يدي ، ثمّ مسحت المسحين ، فرأيت ذلك الرجل المنهمك في وضوئه يقول لي حالما لمحني : **أيّها السيّد ! الماء هو الله ، الوضوء هو الله ؛ لا يخلو من الله مكان !**

وكان السيّد يقول : كنتُ أحسّ أحياناً بخفّة الوزن وفقدان الأثر ، تماماً مثل قشّة من التبن دائرة مع الهواء . وكنت أحسّ أحياناً بالتجرّد من بدني ، تماماً كما تفعل الحيّة حين تبدّل جلدها ، وكنتُ أصبح شيئاً آخر ، ولقد كان بدني وأعماله أشبه بجلد حيّة ، يظهر بشكل كامل كأنّه حيّة واقعيّة يخيّل لمن يراه من بعيد أنّه كذلك ، لكنّه في الحقيقة ليس إلّا جلداً للحيّة .

وكان يقول : ولقد تكرّر كثيراً أن أذهب للحمّام ، فأخرج منه وقد ارتديت الدشداشة (اللباس العربيّ الطويل) مقلوبة .

ويضيف : وكان صاحب الحمّام يقف دوماً خلف الصندوق فيستلم من الواردين نقودهم وودائعهم ، فيسلّمها إليهم عند خروجهم . فذهبت يوماً للحمّام ودفعت نقودي عند دخولي لصاحب الحمّام الواقف خلف صندوقه ، فلمّا خرجت وأردت استرجاع ما استودعته ، كان مساعده يجلس خلف الصندوق فسأل : أيّها السيّد ، كم تبلغ وديعتك ؟

قلت : **دينارين** ! فقال : لا ، يوجد هنا ثلاثة دنانير فقط !

قلت : لِمَ تؤخّرني ؟ خذ واحداً منها لك وأعطني دينارين لأذهب . فلمّا سمع صاحب الحمّام كلامنا سأل مساعده : ما الأمر ؟! قال : هذا السيّد يقول إنّ لديه دينارين ، وهنا ثلاثة دنانير .

فقال له : لقد استلمت منه ثلاثة دنانير بنفسي ، هذه الدنانير الثلاثة له ؛ ولا تصغِ أبداً إلى كلام هذا السيّد لأنّه غالباً مضطرب وحاله ليست على ما يُرام !

وكان السيّد الحدّاد يقول : لقد كنتُ آنذاك في حال لا يمكنني معه أن أتأخّر هناك لحظة واحدة لأتكلّم معهم ، ولو عطّلوني قليلاً لتركتهم وذهبت .

وكان يقول : إنّ علوماً في منتهى العمق والبساطة والكلّيّة تمرّ عَلَيّ في كلّ آن ، وحين أُحاول الالتفات إلى أحدها في اللحظة التالية أُشاهد أنّها ابتعدت ـ ويا للعجب ـ عنّي فراسخ عدّة .

وهكذا فقد توقّفت في الكاظميّة لعدّة أيّام كنت فيها معه ، شددنا بعدها الرحال إلى كربلاء فحللنا في منزله . وكانت تلك الدكّة في زاوية المسجد قد خُرِّبت خلال توسعة شارع العبّاسيّة ، فصارت ضمن رصيف الشارع ، فلم يبقَ للسيّد محلّ آخر للعبادة والخلوة ، حتّى في منزله المتواضع لكثرة عياله ؛ فاضطرّ إلى الاستفادة من منزل يقع في آخر الزقاق المغلق الذي يقع فيه منزله . وهو منزل أشبه بالخربة يعود إلى والد الحاجّ محمّد حسن شركت من سهم الثلث والخيرات العائد له ، وضعه تحت تصرّف ولده ، فوضعه بدوره تحت تصرّف سماحة الحاجّ السيّد هاشم ليستفيد منه . وكان يضمّ غرفتين ـ إحداهما تعلو باب المنزل لا تتجاوز أبعادها عن ٢×٢ متراً ، والأُخرى في الداخل لا تتجاوز هي الأُخرى عن ٢×٣ متراً ـ وفيه سرداب صغير ، فخمّنتُ أنّ مساحة ذلك المنزل لا تتجاوز الأربعين إلى الخمسين متراً .

لكنّ هذا المنزل كان يمتاز ـ مع قدمه وتهالكه ورطوبته والاحتمال الكبير في انهياره ـ بوقوعه في نهاية الزقاق المغلق ، فكان لهذا محلّاً أميناً خالياً من الصخب والضوضاء ، ومناسباً جدّاً ليكون محلّاً لعبادة السيّد ولاستقبال ضيوفه .

وعلى الرغم من الصخب الشديد الذي كان يثيره أطفال المنطقة ، إلّا

أنّه كان يقول : إنّني لا أسمع صخباً !

وصادف أن وفد عليه ذلك الوقت بعد أيّام الحجّ أحد أقاربه في النسب ترافقه زوجته ، فأعطاه تلك الغرفة التي تعلو باب البيت ليستريح فيها ، فما انقضت ساعة إلّا وهبط منها إلى الأسفل وذهب إلى السرداب قائلاً : إنّ صراخ أطفال الزقاق وصخبهم لا يمنع من النوم فقط ، بل إنّ تحمّله حال اليقظة أمر غير محتمل .

فقال السيّد : إنّني لا أسمع صخباً ، وكنت مرتاحاً في الأوقات التي أقضيها في تلك الغرفة .

ولقد أدى به التوارد المتوالي لتلك الحالات ، إلى أن صار تحمّل العمل والكسب متعذّراً عليه ، أي أنّ بدنه كان ينهار وروحه كانت تنصرف عن عالم الطبع ، بالشكل الذي جعل إدارة أُمور عالَم الطبع من أعسر المشاكل ، بل من الأُمور المتعذّرة والمستحيلة . لذا فقد أناط إدارة الدكّان إلى مساعده السابق كي يأخذ لنفسه من حاصل العمل ما يكفيه ويجلب الباقي للسيّد .

وكانت تلك هي طريقته حتّى عندما كان يذهب بنفسه إلى الدكّان ؛ إذ لم يكن قد عيّن مرتّباً معيّناً لمساعده ، ولم يكن يتناصف معه ما يكسب من العمل من الصباح حتّى وقت تعطيل الدكّان ، بل كان يقول لمساعده : كم تحتاج اليوم ؟ فكان يقول مثلاً : نصف دينار ! أو سبعمائة فلس ، أو أيّ مبلغ آخر ؛ فكان يعطيه ذلك ويجعل ما تبقّى لنفسه . وربّما كان يبقى له أحياناً خمسون فلساً فقط ، أو لا يبقى له شيء ؛ وكم كان يرجع بتلك الخمسين فلساً إلى البيت أو يعود بأيدٍ خالية .

فما الذي سيفعله ـ ترى ـ بهذه العائلة الكبيرة ؟! إنّ الله سبحانه يبيّن هنا واجب رفقاء الطريق بأن يراقبوا بدقّة كاملة ويهتمّوا بحال بعضهم

البعض ، فإذا صادف أن واجهت أحدهم جذبة روحيّة شديدة جعلته يعجز عن تدبير أُمور عائلته بحيث يتعرّضون للفاقة والحاجة ، فإنّ على رفقائه أن لا يَدَعوه يتردّى في وادي الفقر والهلاك ، بل عليهم أن يتعاهدوه وعائلته من أموالهم حتّى يخرج السالك من تلك الحالة فيمكنه تدبير أُموره بنفسه .

نعم ، عليهم ألّا يؤجّلوا أمر مساعدته وتدبير أُموره إلى حين دفع الحقوق الشرعيّة الواجبة كالخمس أو من صدقاتهم وزكاتهم وكفّاراتهم ، بل عليهم أن يتكفّلوا أُمور عائلته بجميع ما يملكون ، بلا حساب ولا تردّد أو تأخير ، كما لو كانوا يتعاهدون أُمور عوائلهم ، بل أولى وأفضل وأتمّ وأكمل من عوائلهم .

ذلك لأنّه رفيقهم في الطريق ، الرفيق الذي أنهكته المجاهدات النفسيّة في سبيل الله تلك **المجاهدة الكبرى والجهاد الأكبر** ، الرفيق الذي جعلته شدّة الواردات المعنويّة والحالات الروحيّة والتجرّدات النفسيّة وشدّة الاتّصال بعالم الغيب وظهور التجلّيات الإلهيّة ينسلخ عن الالتفات إلى عالم الكثرة . فهل هناك جهاد أعظم من هذا ؟ وهل هناك إنفاق أولى من هذا ؟

ولكن ويا للأسف الشديد ! فها هو **السيّد هاشم** الذي لا يعلم جيرانه بحالاته ، والذي ليس لعياله اطّلاع على حاله ، والذي لا يعلم حتّى ولده ما أمره ! فلم يكن ينبس ببنت شفة في البوح بالأسرار الإلهيّة ، ولم يكن طبعه المنيع وروحه المتعالية لتسمح له أن يبيّن هذه الشدّة والعسرة ، أو يذكر هذا الامتحان العظيم والابتلاء الإلهيّ الكبير حتّى لأقرب الأصدقاء الحميمين والرفقاء المخلصين في هذه المسيرة ؛ اللهمّ إلّا أُولئك الرفقاء الذين يقومون بأنفسهم بالتنقيب والتفتيش والاستطلاع ، والذين يسعون ويجهدون في مراقبة ومتابعة حال رفيقهم وأمره .

ومن الواضح أنّ المتمكّنين من الرفقاء مشغولون بالعمل والكسب ،

فيستبعد أن يصدر من أحدهم مثل هذا التفحّص والتفقّد ؛ أمّا العاجزون والفقراء فما أكثر منهم من تابع الأُستاذ ـ إن قليلاً أو كثيراً ـ في العسرة وفي الواردات القلبيّة ، وكان تفقّدهم للأمر أحرى أن يزيدهم غمّاً إلى غمّهم ! كما أنّ بيان الأمر للآخرين من قبل أحدهم يعدّ خطأً وإفشاءً للسرّ ؛ لو اطّلع الأُستاذ عليه وعلم به لأسقط ذلك الشخص من الثقة والاعتبار .

وصادف في هذا السفر أن كانت العسرة قد وصلت لديه إلى حدّها الأعلى ، كما أنّ الواردات القلبيّة كانت في أوجها ، فكان وجهه يحمرّ وعيناه تتلألآن ممّا يجعل سيماء وجهه في منتهى الروعة . كما كان أحياناً يتهالك ويعتريه التحوّل والاصفرار ، وينتاب عظامه الألم خلال سرده لواردةٍ جلاليّة .

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ .[1]

ونلحظ في هذه الآية الكريمة أن «ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ» جاءت صفة إلى «وَجْهُ رَبِّكَ» وليس إلى «رَبِّكَ» ، فوجه الربّ هو الخالد الذي تنزّه عن الحدوث وهو المرتدي لخلعتَي : رحمة الجمال والإكرام ، وعزّة الجلال والعظمة .

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يكثر في هذا السفر من تلاوة القرآن بصوت حزين وجميل ، وكانت تلاوته جذّابة جدّاً وملهبة ومفنية ؛ كما كان يقرأ أبيات ابن الفارض ويترنّم بها ، خاصّة **تائيّته الكبرى** .

وكنتُ أقتدي به في صلاة الصبح والظهر والعصر حين لا يكون في البيت من أحد ، اللهمّ إلّا أحد الرفقاء الحميمين ، أمّا في صلاتَي المغرب والعشاء فكان يقتدي بالحقير . وكانت صلاتنا تجري غالباً على السطح ،

١ـ الآيتان ٢٦ و٢٧ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

وكان يأمر الحقير بقراءة السور الطوال في الصلاة مثل **يس** و**الواقعة** و**المسبّحات**[1] و**تبارك** و**المنافقون** و**هل أتى** وما أشبهها وذلك ليثبّتني في القراءة وفي نفي الخواطر حين يقتدي بي ؛ وكان يقول : هكذا أفضل من أن تقتدي أنت بي !

وكان الحقير يختار إحدى هذه السور لقراءتها في الصلوات ، وبالطبع بلحن وصوت حزين حسب أمره ؛ أمّا **الحاجّ محمّد علي** فكان يقتدي في هذه الصلوات بالسيّد ، بحيث كنت أنا إماماً والسيّد مأموماً ، فكان الحاجّ محمّد علي يقتدي في هذه الجماعة بالسيّد ويقول : لستُ قادراً على الاقتداء بغير **السيّد** !

ولقد وبّخه السيّد مرّات في حضوري ، وقال له : أنت تخالف الشرع بعملك ، فالاقتداء بالمأموم غير جائز ! فكان يجيب : أنّ السيّد أينما كان هو الإمام في عالم الواقع ، سواء كان مأموماً أم إماماً ؛ ولست أقدر وأنا الذي أدركت هذا الأمر ، أن أقتدي بسواه .

فكان السيّد يقول : لو صحّ كلامك لوجب عليك أن تقتدي بالسيّد محمّد الحسين لا بي ؛ لأنّك تعدّني إماماً في كلّ حال ، **إماماً أو مأموماً** . لكنّ الحاجّ محمّد علي لم يكن ليقتنع بهذا الكلام ، حتّى أنّه لم يقتدِ بي ـ مع وجود السيّد ـ مرّة واحدة طوال الأعوام المتمادية .

وكان السيّد يتناول أوّل الغروب بعد صلاة المغرب طعاماً بسيطاً ، بعنوان طعام العشاء كان يُجلب له من منزله المجاور ، الذي تعيش فيه عائلته والواقع في بداية الزقاق ، ثمّ يرقد بعد أداء صلاة العشاء وينهض بعد ساعة ، فيهبط من السطح ويتوضّأ ، ثمّ يصعد فيصلّي ركعات يقرأ فيها من السور

١ـ المسبّحات عبارة عن خمس سور : الحديد ، الحشر ، الصفّ ، الجمعة والتغابن.

الطوال في القرآن بصوت جميل ولحن رائع ، ثمّ يجلس تجاه القبلة فيبقى متأمّلاً ، ثمّ يرقد ، ثمّ يستيقظ مرّة أُخرى فيصلّي ركعات بتلك الكيفيّة ؛ وكانت الليالي قصاراً فلم يكن ليتبقّى وقت طويل لحلول أذان الصبح . وكان كثيراً ما يقول في تلك الحال أو في المرّة الأُولى حين يستيقظ : أيّها السيّد محمّد الحسين ! هات شاياً أو ماءً مغليّاً ! فكان الحقير يهبط إلى الأسفل فيعدّ الشاي على سراج نفطيّ ويجلبه على الفور .

وكان السيّد يقول : لقد كان السيّد المرحوم نفسه هكذا (يقصد المرحوم القاضي) فقد كان يأمرنا ويقول : تناولوا شيئاً بسيطاً حين تنهضون لصلاة الليل ،كالشاي أو اللبن الرائب الممزوج بالماء أو عنقوداً من العنب أو شيئاً بسيطاً آخر يخرج بدنكم من حال الفتور والكسل ، وليكن لكم نشاط للعبادة .

وهكذا فقد كنتُ أجلب له إلى السطح ما يرغب في تناوله ، الماء المغلي أو الشاي أو اللبن الرائب الممزوج بالماء أو الخيار (ولم يكن العنب قد حان أوانه آنذاك) ثمّ أُصلّي معه صلاة الصبح بعد الأذان فكان يسجد بعدها فتطول سجدته إلى نصف ساعة أو ثلاثة أرباع الساعة ولربّما إلى ساعة كاملة . وكان يذهب أحياناً إلى الحمّام ليغتسل بالماء ويخرج لزيارة القبر المطهّر لسيّد الشهداء عليه السلام والقبر المطهّر لأبي الفضل العبّاس سلام الله عليه ، ثمّ يعود إلى البيت بعد تهيئة بعض احتياجات المنزل .

وحلّت ليلة عرفة ، فوفد سيل من الرفقاء من النجف والكاظميّة والسماوة وإيران ، فغصّت بهم ساحة المنزل وغرفه وشُرفته ، ثمّ قُرئت بعض أدعية ليلة عرفة ؛ وكان حقّاً مجلساً جذّاباً وشيّقاً . ثمّ تناول الجميع طعاماً بسيطاً وغادروا المنزل للزيارة وللقيام بأعمال تلك الليلة ، ثمّ عاد منهم إلى المنزل عدّة قليلة يعدّون من أخصّ أصدقائه ورفقائه .

ثمّ تشرفتُ بالذهاب إلى النجف الأشرف برفقته للقيام بالزيارة المخصوصة لعيد الغدير ، وكنتُ وجميع الرفقاء مدعوّين ظهر يوم العيد في منزل السيّد حسين النجفيّ . وكان هناك سماحة آية الله الشيخ عبّاس مع أتباعه جميعاً ؛ فكان هو الآخر محفلاً شيّقاً مثيراً للوجد والحبور .

ثمّ عاد السيّد إلى كربلاء في اليوم التالي للعيد ، وبقي الحقير أيّاماً قلائل للتشرّف بالزيارة والاستزادة منها ولتجديد العهد مع الأصدقاء السابقين . وكنت قد حللت في منزل الأُستاذ الحاجّ الشيخ عبّاس ، حيث بقيت في النجف الأشرف حتّى اليوم الرابع والعشرين وهو يوم **مباهلة** رسول الله وأهل بيته لنصارى نَجْران ، واليوم الخامس والعشرين وهو يوم التصدّق بالخاتم ونزول سورة «هل أتى» في شأن أهل البيت عليهم السلام . وكانت أيّام محرّم الحرام قد قربت ونحن على مشارف طلوع هلاله المثير للحزن والأسى حين عدنا إلى كربلاء لنحظى ببركات العزاء تحت قبّة الحسين عليه السلام .

ومن الواضح أنّ منزلي الحقيقيّ في ورودي إلى كربلاء وخروجي منها كان منزل سماحة السيّد الحدّاد ؛ ذلك لأنّ العلاقات بيننا كانت حميمة وخالصة إلى درجة كبيرة ، بحيث كان يعدّني ولده ، وكان أولاده يعاملونني معاملة الأخ لهم . لكنّ الحقير لم يكن يرفض فقط اعتبار نفسه ولداً للسيّد ، (إذ لم أكن ولده جسماً ولا روحاً) ، بل لو شئنا اختيار اسم يعبّر حقّ التعبير عن وضعي لما وجدنا غير تعبير الغلام المولود بين الأُسرة . نعم ! لقد كنت ذلك الغلام الذي وُلِدَ في هذا المنزل ووجد في كرامة السيّد ومدده ومعونته ، حياته الجديدة .

وقد صادف أنّ هذا الاسم قد طابق المسمّى من جهة معيّنة ؛ ذلك لأنّ والدة الحقير كانت قد ثقبت أُذني اليمنى زمن طفولتي ووضعت فيها حلقة

باسم «الحلقة الحيدريّة» وكانوا ينادونني : **الغلام الحيدريّ** ، أي أنّ هذا الغلام كان العبد الطيّع لحيدر .

ولقد بَقِيَتْ أُذني اليمنى مثقوبة لم تلتئم حتّى اليوم وغير قابلة للالتئام بعد ، فكيف يمكن لمن انعقدت نطفته بولاية حيدر ، ورشف مع اللبن ولاية حيدر وثُقِبَتْ أُذنه باسم حيدر وختمه ، فوضع فيها حلقة العبوديّة أن يكفّ عن تبعيّته وعبوديّته ظاهراً وباطناً ، سرّاً وعلناً ؟!

لقد كان سماحة السيّد الحدّاد أبي الواقعي حقّاً ، وكان دخولي منزله وخروجي منه في جميع السفرات هو دخول وخروج أهل البيت ؛ لذا فإنّ من الواضح بعد العودة من النجف أن يعود المسافر إلى بيته وأهله .

لقد كان وضع سماحة الحدّاد متغيّراً ومتقلّباً طوال الأيّام العشرة للعزاء ، وكان وجهه يحمرّ وعيناه تتلألآن وتنيران ؛ لكنّ حال الحزن والغمّ لم تكن لتبدو عليه ، بل كان الابتهاج والسرور يملأ كيانه . وكان يقول : كم أنّ هؤلاء الناس غافلون حين يحزنون ويقيمون المأتم والعزاء لهذا الشهيد القتيل ! إنّ مسرح عاشوراء من أبدع مناظر العشق ، ومن أروع مواطن الجمال والجلال الإلهيّ ، وأحسن مظاهر أسماء الرحمة والغضب ؛ ولم يكن ليمثّل لأهل البيت عليهم السلام إلّا العبور من الدرجات والمراتب ، والوصول إلى أعلى ذروة الحياة الخالدة والانسلاخ عن المظاهر والتحقّق بأصل الظاهر ، والفناء المطلق في الذات الأحديّة .

ولقد كان في الحقيقة يوم سرور أهل البيت وبهجتهم ، لأنّه يوم الظفر ونيل المنى والفوز بورود حريم الله وحرم أمنه وأمانه ، يوم تخطّي الجزئيّة والدخول إلى عالم الكلّيّة ، يوم النصر والنجاح وبلوغ المنشود الغائيّ والهدف الأصليّ ، يومٌ لو كشف عن جزء منه للسالكين والعاشقين والولهين في طريق الله ، لجعلهم إلى آخر العمر مدهوشين من فرط

السرور ، ولخرّوا ساجدين إلى يوم القيامة شكراً للّه .

كان سماحة السيّد الحدّاد يقول : إنّ الناس غافلون ، أصمّت محبّة الدنيا آذانهم وأعمت أعينهم ، بحيث صاروا يتأسّفون لذلك اليوم ويئنّون أنين الثكلى ! فهم لا يعلمون أنّها بأجمعها فوز ونجاح ومعاملة رابحة لابتياع الأشياء النفيسة والجواهر الثمينة مقابل إعطاء الخزف والقشور ؛ وأنّ ذلك القتل لم يكن موتاً بل كان عين الحياة ، ولم يكن انقطاعاً وانصراماً للعمر بل حياة الخلود السرمديّ .

وكان يقول : لقد قَدِم شاعر على أهل حلب ، فقال :

گفت آرى ليک کو دور يزيد
کِی بُد است آن غم چه دير اينجا رسيد
چشم کوران آن خسارت را بديد
گوش کرّان اين حکايت را شنيد[1]

ولقد كان سماحة السيّد الحدّاد يبكي كثيراً ويذرف الدموع غزاراً في الأيّام العشر الأوائل من المحرّم ، وكلّ ذلك البكاء من فرط الشوق ؛ وكانت دموعه تنصبّ أحياناً من شدّة الوجد والسرور أشبه بميزاب يصبّ ماء الرحمة ومطر العشق على محاسنه الشريفة .

وكان يقرأ في كتاب مولانا محمّد البلخيّ الروميّ هذه الأشعار ويردّدها بصوت لا أروع ولا أبدع منه ! لا تزال نبراته وتلك النغمات وفيض الدموع ذلك مجسّماً في خاطري ؛ لكأنّ الحدّاد قد جلس الآن أمامي

١ـ يقول : «قال الشاعر : نعم ، ولكن أين عصر يزيد ، ومتى كان هذا الحزن ؟ وكم وصل إلى هنا متأخّراً ؟!

فلقد رأى حتّى العميان هذه الخسارة ، وسمع حتّى الصمّ بهذه الحكاية».

وكتاب «المثنويّ» بيده يقرأ :

زادهٔ ثـانی است أحـمد در جـهان
صـد قـيامت بـود او انـدر عـيان

زو قـيامت را هـمی پـرسيده‌انـد
کـای قـيامت ! تـا قـيامت راه چـند

بـا زبـان حـال مـيگفتی بسـی :
که ز محشر حشـر را پـرسد کسـی؟

بهر اين گفت آن رسول خوش پـيام
رَمْـزِ **مـوتوا قـبل مـوتوا**[1] يـا کـرام

هـمچنانکه مُـرده‌ام مـن قـبل مـوت
زانطرف آورده‌ام من صيت و صوت

پس قـيامت شـو قـيامت را بـبين
ديـدن هـر چـيز را شـرطست ايـن[2]

١ـ «رمز موتوا» : إشارة إلى الحديث النبويّ الشريف : **مُـوتُوا قَـبْلَ أنْ تَـمُوتُوا**؛ أي : اختاروا الموت الاختياريّ كي لا تروا حال الموتى!

٢ـ «مثنوي معنوي» للملّا الروميّ ، المجلّد السادس ، ص ٥٧٠ و ٥٧١ ، طبعة آقا ميرزا محمود؛ وفي طبعة ميرخاني : ص ٥٥٠ إلى ٥٥٢:

يقول : «إنّ المولود الثاني في العالم هو أحمد ، وكان يمثّل عياناً مائة قيامة.
لذا فقد كانوا ينشدونه عن القيامة فيقولون : أيّها القيامة ! متى تأتي القيامة؟
فيجيب بلسان الحال : أهناك ثَمّ من يسأل المحشر عن الحشر ؟!
ولهذا قال ذلك الرسول المبشّر رمزاً : موتوا قبل أن تموتوا يا كرام !
وهكذا فعلتُ حين متُّ قبل موتي ، وجئتُ بهذا الصدى والنداء ومن ذلك الجانب.
فكن قيامة لترى القيامة ، فإنّ رؤية كلّ شيء تستلزم هذا الشرط».

تـا نگـردى ايـن نـدانـيّش تـمام
خـواه كـان أنـوار بـاشد يـا ظـلام
عـقل گـردى عـقل را دانـى كـمال
عشق گـردى عشـق را بـينى جـمال
نـار گـردى نـار را دانـى يـقين
نـور گـردى هـم بـدانـى آن و ايـن
گفتمى برهان بر ايـن دعـوت مُـبين
گـر بـدى إدراک انـدر خـورد ايـن
هست أنجير ايـنطرف بسـيار خـوار
گـر رسـد مـرغى قُـنُق أنـجيرخـوار
در هـمه عـالم اگـر مـرد و زنـند
دم بـه دم در نـزع و انـدر مـردنند
ايـن سـخنها را وصـيّتها شـمر
كـه پـدر گـويد در آنـدم بـا پسـر[1]

١ـ يقول : «وما لم تتحوّل إليه وتصبح في مقامه لم تره ، سواء كان نوراً أم ظلاماً.
ولو تحوّلت عقلاً لرأيت العقل هو الكمال ، ولو تـحوّلت عشـقاً لرأيت العشـق هـو الجمال.
ولو صرتَ ناراً لعلمت النار يقيناً ، ولو استحلتَ نوراً لعلمت هذا وذاك.
إنّ قولي هذا برهان مبين لمدّعاي ، لو كان هناك من يدركه .
ولو حطّ طائر يأكل التين فحلّ هنا ضيفاً ، فإنّ هناك تيناً كثيراً مطروحاً في هذا الجانب.
(يقصد: لو جاء من يدرك حقائق وأسرار الغيب فإنّ هنا الكثير منها).
وكلّ مَن في العالم من الرجال والنساء ، هم في حال النزع والاحتضار في كلّ حين.
فعُدّ هذه الأقوال وصايا أب يفضي بها عند نزعه إلى ولده».

تـا بـرويد رحـمت و غـيرت بـدين
تا بـبرّد بـيخ بُـغض و رَشک و کـين
تـــو بـــدان نـيت نِگـــر در أقـــربا
تـــــا ز نـــــزع او بســـــوزد دل تـــرا
کــــــل آت آت آنـــــرا نـــــقد دان
دوست را در نـزع و انـدر فـقد دان
ور غرضها زين نظر گـردد حـجيب
اين نـظرها را بـرون افکـن ز جـيب
در نياز خشک و بر عجزى مايست
زانکه بـا عـاجز گـزيده مـعجزيست
عــجز زنـجيريست زنـجيرت نـهاد
چشـــم در زنـــجير نـــه بـايد گشـاد
پس تضرّع کن که اى هادىّ زيست
باز بودم پشّه گشتم اين ز چيست؟[1]

١ـ يقول : «من أجل أن تنمو بها الرحمة والغيرة ، ولكي تُستأصل بها جذور الحقد والبغض والحسد.

فانظر بهذه النيّة إلى معارفك ، ليحزن قلبك عند احتضار أحدهم.

واعلم فعلاً أنّ كلّ آت هو آت ، واعلم أنّ أعزّاءك في احتضار وفقدان.

وإن حجبتك النوايا عن هذا النظر ، فانبذها خارجاً من جيبك .

لا تقف عند الاحتياج والعجز ، لأنّ وقوفك على العجز يعجزك أكثر وأكثر ، وعجزك دليل وجود مَن لا يعجز.

العجز قيد قيّدك به ، فلا ينبغي لك أن تحدّق في القيد.

وتضرّع لمن أعجزك ، يا دليل الحياة والوجود ، لقد كنتُ صقراً فَلِم صِرتَ بعوضة ؟».

سـخت‌تر اَفشـردهام در سـر قـدم
که لَـفِی خُسْـرَم ز قَـهْرَت دم بـه دم

از نـصيحتهای تـو كـر بـودهام
بت شكـن دعـویّ و بُـتگر بـودهام

ياد صنعت فرض تر، يـا يـاد مـرگ
مرگ مـانند خَـزان، تـو أصـل بـرگ

سـالها ايـن مـرگ طـبلك مـيزند
گـوش تـو بـيگاه جـنبش مـيكند[1]

تشبيه مغفّلی كه عُمر ضايع كند و در نزع بيدار شود به ماتم أهل حَلب[2]

گـويد أنـدر نـزع جـان از آه مـرگ
اين زمان كردت ز خود آگـاه مـرگ

ايـن گـلوی مـرگ از نـعره گـرفت
طَبْلِ او بشكافت از ضربِ شگفت[3]

١ـ يقول : «أُطأطئ رأسي بين ركبتَيَّ ، فأنا كلّ لحظة في خُسر من غضبك وقهرك.
لقد كنتُ أصمّاً عن سماع نصائحك ، أدّعي تحطيم الأصنام بينما أصنعها بيدي.
لا أعلم أيّهما أوجب : ذكر صنعك أم ذكر الموت ، فالموت يشبه الخريف بينما أنت أصل الأوراق.
لقد قرع هذا الموت طبله سنين متمادية ، لكنّ أُذنك لم تُصغ إلّا بعد فوات الأوان».

٢ـ **تشبيه مغفّل أضاع عمره ثمّ تنبّه عند احتضاره بتعزية أهل حلب**

٣ـ يقول : «ثمّ صار يتأوّه عند احتضاره ، أوَ ذكّرك الموت نفسه في هذا الأ وان. ⇦

در دقـــائق خــويش را در تــافتى
رمــزِ مــردن ايــن زمـان دريـافتى[1]

رسيدن شاعر به حلب روز عاشورا و حال معلوم نمودن و نكته گفتن و بيان حال كردن[2]

روز عـــاشورا هــمه أهــل حَـلَب
بــــاب أنــطاكــيّه انــدر تــا بشب
گرد آيـد مـرد و زن جـمعى عـظيم
مــــاتم آن خــــاندان دارد مــــقيم
تــا بشب نــوحه كــنند انــدر بُكــا
شــــيعه عــــاشورا بــــراى كــربلا
بشــــمرند آن ظـــــلمها و امــــتهان
كز يــزيد و شـمر ديـد آن خـاندان[3]

⇦ الموت الذي بُحّ من الصراخ ، وانشقّ طبله من القرع الهائل».

١ـ يقول : «لقد كنتَ متمرّداً ومشغولاً عن سماع صرخات الموت وإنذاره ، فـها أنت قد استوعبت الآن سرّ الموت».

٢ـ **وصول الشاعر إلى حلب يوم عاشوراء**
واستفساره عن حالهم والطعن بهم

٣ـ يقول : «يوم عاشوراء يجتمع أهل حلب من الصباح إلى الليل عند باب أنطاكية.
يجتمعون رجالاً ونساءً في مجلس عظيم ، ليقيموا مأتم أهل البيت.
يجتمع الشيعة يوم عاشوراء ، لينوحوا ويبكوا على مصاب كربلاء.
وليعدّدوا تلك المظالم والامتهانات التي بدرت من يزيد والشمر لأهل البيت».

از غــريو و نــالهها در ســرگذشت
پر همی گردد هـمه صـحرا و دشت
یک غــریبی شــاعری از ره رسـید
روز عـــاشورا و آن افـغان شــنید
شهر را بگذاشت و آن سو رای کـرد
قــصد جســتجوی آن هـیهای کـرد
پــرس پـرسان مـیشد انـدر افـتقاد
چیست این غم بر که این ماتم فتاد؟
ایــن رئـیسی زَفْت بـاشد کـه بـمرد
این چنین مـجمع نـباشد کـار خـرد
نــام او ألقــاب او شــرحــم دهـید
کـه غـریبم مـن ، شـما أهـل دِهـید
چـیست نـام و پـیشه و أوصـاف او
تــــا بگـــویم مــرثیهٔ ألطــاف او[1]

١ـ يقول : «فكانوا يئنّون ويبكون يوم عـاشوراء ، حـتّى تـمتلئ الصـحراء والسـهول بنياحهم وهم يسردون وقائع ما قد حدث.

وصل آنذاك شاعر غريب مسافر إلى مدينة حلب ، فسمع الأنين والآهات.

فـترك المـدينـة واتّـجـه نحـو بـاب أنطـاكيه ، للاسـتفســار عـن أمـر ذلـك النـوح والضـجّة.

وهكذا فقد جاء يسأل الناس متفقّداً : ما هذا الحزن الذي يغمر هذا المأتم؟
فاجتماعكم لم يحصل إلّا لأجل زعيم أو شخص كبير ، لا لأمر تافه بسيط.
فاذكروا لي اسمه وألقابه ، فأنا غريب لا أعلم عنه شيئاً ؛ وأنتم أهل البلدة.
وقولوا ما اسمه وما مهنته وأوصافه ، لأُنشئ مرثيّة في مناقبه».

مـــرثيه ســازم كــه مــرد شــاعرم
تــا از ايــنجا بـرگ و لا لَـنگى بـرم
آن يكى گفتش كـه : تـو ديـوانـه‌اى
تــو نــه‌اى شــيعه عــدوّ خــانه‌اى
روز عــاشورا نــميدانــى كـه هست
مـاتم جـانى كـه از قـرنى بـه است؟
پيش مؤمن كى بود اين قصّه خـوار
قدر عشـق گـوش، عشـق گـوشوار
پــيش مــؤمن مــاتم آن پـاک روح
شُـهره‌تر بـاشد زصـد طـوفان نـوح[1]

نكته گفتن شاعر جهت طَعن شيعهٔ حَلَب[2]

گــفت آرى ليک كــو دور يـــزيد
كى بُد است آن غم چه دير اينجا رسيد[3]

١ـ يقول : «وسأُنظم مرثيّة ـ أنا الشاعر ـ لينالني عطاؤكم وفتات موائدكم.
فردّ عليه أحدهم : أنت مجنون وغير شيعيّ ، وعدوّ لأهل البيت .
ألا تعلم ما يوم عاشوراء ؟ هذا اليوم المُقام لتأبين تلك الروح ، اليوم الذي هو خير من قرن كامل من الزمن.
وكيف يمكن للمؤمن أن يتجاهل هذه القصّة ! لأنّ عشق القُرط المعلّق بالأُذن ينبغي أن يُماثل عشق الأُذن.
إنّ مأتم تلك الروح الطاهرة ، أشهر لدى المؤمن من مائة طوفان نوح».

٢ـ **قول الشاعر في الطعن على شيعة حلب :**

٣ـ يقول : «قال : نعم ، ولكن أين عصر يزيد ، ولكن لِمَ وصل هذا الخبر المحزن إلى هنا متأخّراً ؟».

چشـــم کــوران آن خســـارت را بـــديد
گــوش کـرّان ايــن حکـايت را شـنيد
خـــــفته بـــودستيد تــا اکــنون شــما
تــــا کـــنون جــامه دريــديد از عــزا
پس عــزا بــر خــود کـنيد ای خـفتگان
زانکه بـد مـرگيست ايـن خـواب گـران
روح ســــلطانی ز زنــدانــی بِــجَست
جامه چون درّيم و چون خائيم دست ؟
چـونکه ايشـان خسـرو ديـن بـوده‌انـد
وقت شــادی شـد چـو بگسسـتند بـند
ســــوی شـــادروان دولت تـــاختند
کُـــنده و زنــــجير را انــــداخـــتند
روز مُــــلکست و گَـــه شـــاهنشهی
گـــر تــو يک ذرّه از ايشــان آگــهی[١]

١ـ يقول : «فلقد رأى حتّى العميان هذه الخسارة ، وسمع حتّى الصمّ بهذه الحكاية.

أفكنتم حتّى الآن نائمين ، فصرتم الآن تشقّون جيوبكم في العزاء؟

فاندبوا أنفسكم أيّها النائمون ، لأنّ هذا النوم والغفلة أسوأ موت وأدهاه.

لقد حلّق روح هذا الملك العظيم متحرّراً من السجن ، فـلِمَ نشـقّ الجـيوب ونـنفض الأيدي حُزناً ؟!

وحين يحطّم هؤلاء العظماء وملوك الدين قيودهم ، فـذاك وقت السـرور والحـبور، لا البكاء والعزاء.

ولقد ألقوا بالقيود والأغلال التي تكبّلهم ، وأسرعوا إلى سرادق الملك والملكوت.

ولو كان لك بهم من العلم ذرّة ، لعلمتَ أنّ هذا وقت ملكهم وسلطانهم».

ورنــه‌ای آگــه بــرو بــر خــود گـری
زانکـــــه در إنکــار نــقل و مــحشری

بــر دل و دیــن خــرابت نــوحه کــن
چــون نـمی‌بیند جـز ایـن خـاک کُـهُن

ور هـــمی بـــیند چــرا نــبود دلیــر
پشت دار و جان سـپار و چشـم سـیر؟

در رخت کـــو از پــی دیــن فــرّخی
گــر بــدیدی بَـحر کـو کـفّ سـخیّ ؟

آنکــه جــو دیــد آب را نکــند دریـغ
خــاصه آنکــو دیــد دریـا را و مـیغ)[1]

تمثیل حریص بر دنیا به موری که به دانه‌ای از خرمنی قانع نشود[2]

مور بـر دانـه از آن لرزان شـود کو ز خرمنگاه خود عُمْیان بود[3]

١ـ يقول : «أمّا لو جهلتَ ذلك فاذهب لنفسك فاندبها ، لأنّك أنكرت الحشر والعالم الآخر.

ونُحْ على قلبك ودينك الفاسدَينِ ، لأنّ قلبك لا يرى إلّا الحمأ المسنون.

ولو كان مُبصراً فلِمَ يفتقد الشجاعة ؟ ولِمَ لا يمتلك الاستقامة والتضحية والقناعة؟

أين البشاشة وطلاقة الوجه من أثر التديّن ؛ وإن كنت رأيت البحر فأين منك يد السخاء والعطاء؟

إنّ من رأى ساقية صغيرة لا يبخل بالماء ولا يمنعه ، فكيف بمن شاهد البحر والسحاب!».

٢ـ **تشبيه الحريص على الدنيا بالنملة التي لا تقنع من البيدر بحبّة واحدة**

٣ـ يقول : «تتشبّث النملة بالحَبّة بكلتا يديها ، لأنّها عمياء عن إبصار البيدر الكبير».

مـــی‌كشد يكـــدانــه را از حــرص و بــيم
چـــون نـــمی‌بيند چـــنان چـــاش عـظيم

صـــاحب خـــرمن هـمی گـويد كـه هـی
ای زكـــوری پـــيش تـــو مـعدوم شـيء

تـــــو ز خـــــرمن‌های مـــا آن ديــده‌ای
كـــــاندر آن دانـــــه بـــجان پـــيچيده‌ای

ای بـــــه صـــورت ذرّه كـيوان را بـــبين
مـــــور لنگـــــی رو ســـليمان را بـــبين

تـــو نِـــه‌ای آن جسـم ، بـل آن ديـده‌ای
وارهـــی از جســـم گـــر جـــان ديـده‌ای

آدمی ديده است، و باقی لَحم و پوست
هرچه چشمش ديده‌است آن خيراوست

كـــــوه را غـــرقه كـــند يک خُـــم زِ نَـــم
مَـــنفذی گـــر بـــاز بـــاشد ســـوی يَـــمْ[١]

١ـ يقول : «فتسحب تلك الحبّة في طمع وخوف ، لأنّها لا تبصر تلّ حبوب الحنطة.

يناديها صاحب البيدر : أيّتها العمياء التي من شدّة عماها تحسب الشيء الكبير معدوماً !

أنتِ لم تبصري من بيادرنا إلّا هذه الحبّة الصغيرة التي لَصَقْتِ بها روحاً وقلباً.

فيا مَن هو في صورة ذرّة في الوجود ، انظر إلى الكوكب زُحل ! أنت نملة عرجاء فاذهب وانظر إلى سليمان.

أنتَ لست هذا الجسم ، بل ذلك البصر والبصيرة ؛ فإذا رأيت الروح تحرّرت من الجسد.

وليس البشر إلّا البصر والبصيرة ، أمّا الباقي فلحم وجِلد ، فما وقع عليه بصيرته فهو خير له.

إذا وجدت روح الجرّة منفذاً إلى البحر ، فإنّها ستغرق الجبل بمائها».

چــون بــه دريــا راه شـد از جـان خُـم
خُــــم بـــا جِـــيحون بــر آرد اُشــتلُم
زيــــن ســبب قُــلْ گـفتهٔ دريـا بُـوَد
گـــرچــه نــطق أحــمدی گــويا بُــوَد
گـــــفتهٔ او جـــمله دُرِّ بَـــحْر بُـــوْد
كـــه دلش را بُـــوْد در دريــــا نــفوذ
داد دريــــا چـــــون ز خُـــــمّ مـا بُــوَد
چــه عــجب گــر مــاهی از دريـا بُـوَد
چشــم حِسّ افســرده بــر نــقش قـمر
تـــو قـــمر مــــی‌بينی و او مســـــتقرّ
ايـن دوئـی أوصـاف ديـدهٔ أحـول است
ورنــــه أوّل آخــــر ، آخــــر أوّل است
هــين گـذر از نـقش خُـم در خُـم نگـر
كاندر او بحرى است بـی پـايان و سَـر[1]

١ـ يقول : «إذا وجدت روح الجرّة منفذاً إلى البحر ، لفاقت في كبريائها نهر جيحون. ولهذا فإنّ كلمة «قُلْ» كانت كلام بحر الأُلوهيّة ، ولو نُطقت بلسان النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله.

كانت كلمات ذلك العظيم درر ذلك البحر ، لأنّ قلبه كان قد وجد سبيله إلى البحر.

وحين يفيض البحر من جرّتنا ؛ فما العجب أن تكون السمكة جزءاً من البحر ؟

إنّ حقيقة القمر ليست غير شيء واحد ، لكنّ عين الحسّ المادّيّة الضعيفة تراه في الماء والمرآة شيئاً ثابتاً ومستقرّاً ، لكنّك وأنت ذو العقل والإدراك تشاهد حقيقة القمر المتحرِّك في المنازل والأشكال المختلفة.

فهذه الثنائيّة في الأوصاف رؤية الأحول ، وإلّا فإنّ الأوّل هو الآخر والآخر هو الأوّل.

فتجاوز الآن رسم الجرّة وتأمّل في الجرّة ، ففي داخلها بحر لا أوّل له ولا آخر».

پـــاک از آغـــاز و آخـــر آن عِـذاب
مـانده مـحرومان ز قـهرش در عَـذاب
ايـن چـنين خُـم را تـو دريـا دان يـقين
زنـــده از وی آســمان و هــم زمــين
گشــته دريــائی دوئـی در عـين وصـل
شد ز سو در بی سـوئی در عـين وصـل
بـلكه وحــدت گشــته او را در وصـال
شــد خــطاب او خــطاب ذوالجــلال[١]

نعم ، لقد كان الموت بالنسبة لسيّد الشـهداء وسـيّد المـظلومين عـليه السلام عين الدرجة والارتقاء والفوز والنـجاح ، لذا جـاء فـي الروايـة التـي أوردناها في بحث «معرفة المعاد» أنّ المصائب كلما ازدادت وادلهمّت يوم عاشوراء وكلّما استعر أُوار الحرب زاد إشراق وجهه المنير ...

وَكَانَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِـنْ خَـصَائِصِهِ تُشْـرِقُ أَلْوَانُهُمْ وَتَهْدَأُ جَوَارِحُهُمْ وَتَسْكُنُ نُفُوسُهُمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : انْظُرُوا لَا يُبَالِي بِالمَوْتِ ! فَقَالَ لَهُمْ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَبْراً بَنِي الكِرَامِ ! فَمَا المَوْتُ إلَّا قَنْطَرَةً تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ البُؤْسِ وَالضَّرَّاءِ إلَى الجِنَانِ الوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ؛ فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إلَى قَصْرٍ ؟!

١ـ يقول : «ولقد كان ماؤه طاهراً عذباً منذ البدء ، أمّا من حُرموا منه فقد بقوا في عذاب من قهره وغضبه.

فأيقنْ أنّ مَثَل هذه الجرّة ، بحر تحيى به السماء والأرض كلاهما.

صار في الثنائيّة بحراً حين الوصال ، وكان ذا جهة فآل إلى حيث لا جهة ولا حدّ في عين الوصل.

بل إنّه صار في الوصال عين الوحدة ، وصار خطابه خطاب ذي الجلال».

... إنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ ، وَالمَوْتَ جِسْرُ هَؤُلَاءِ إلَى جِنَانِهِمْ وَجِسْرُ هَؤُلَاءِ إلَى جَحِيمِهِمْ ؛ مَا كَذِبْتُ وَلَا كُذِبْتُ ![1]

وينبغي العلم أنّ ما تفضّل به المرحوم الحدّاد ،كان عن حاله الشخصيّ في ذلك الوقت ؛ حيث عبر من عوالم الكثرات ووصل إلى الفَناء المطلق في الله . وبعبارة أُخرى : فإنّ السفر إلى الله كان قد بلغ غايته ، وكان مشتغلاً في السفر الثاني : السفر في الله ؛كما في أحوال الملّا الروميّ عند إنشاده هذه الأشعار ، وأحوال ذلك الشاعر الشيعيّ الذي ورد مدينة حلب ، حيث تبدّل جانب «وجه الخلق» فيهم إلى جانب «وجه الحقّ» والوجه الربّيّ وعبروا من درجات النفس وتمكّنوا واستقرّوا في حرم عزّ التوحيد وحريم وصال الحقّ .

أمّا بالنسبة لسائر أفراد الناس الذين لم يتخلّصوا من عالم الكثرات وبَقَوا أسرى فيه ، والذين عجزوا عن تخطّي عالم النفس ؛ فإنّ عليهم حتماً البكاء وإقامة العزاء ولطم الصدور وقراءة المراثي ، ليتمكّنوا بهذا النحو من طيّ الطريق ونيل ذلك المقصد السامي ، فهذا المجاز قنطرة للوصول لتلك الحقيقة .كما أنّهم عليهم السلام أمرونا ـ كما في الروايات الكثيرة المستفيضة ـ بإقامة العزاء لنطهّر أنفسنا بهذه الوسيلة ، ولتتناغم خطانا في هذا الدرب مع أُولئك القادة العظام .

على أن الأسفار الأربعة حين تُطوى فإنّ من لوازم البقاء بالله بعد مقام

١ـ «معاني الأخبار» ص ٢٨٨ و ٢٨٩ ، باب معنى الموت ، الحديث ٣ ، الطبعة الحيدريّة، سنة ١٣٧٩ ؛ و «معرفة المعاد» من دورة العلوم والمعارف الإسلامية ، ج ١ ، ص ٨٩، نهاية المجلس الثالث.

الفناء في الله هو التشكّل بعوالم الكثرة ، ورعاية حقّ كلّ عالم كما هو حقّه ، وهو الكون مع الله في عالم الخلق والاتّصاف بالصفات الخلقيّة في عين الوحدة الربوبيّة ، حيث يوجد العشق والعزاء ، والتوحيد والكثرة معاً . وقد شوهدت هذه الحالات نفسها عند سماحة السيّد الحدّاد أواخر عمره ، فقد صار له مقام البقاء بعد نيله مقام الفناء الصِّرف والتمكّن في التجرّد ، لذا فقد كان مشهوداً منه بكاؤه بحرقة ولوعة في مجالس العزاء مقروناً بالعشق الشديد .كما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قال بنفسه لابنته الحبيبة سكينة :

لَاتُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكِ حَسْرَةً مَادَامَ مِنِّي الرُّوحُ فِي جُثْمَانِي

وباختصار وإجمال : فإنّ قصّة كربلاء قصّة غامضة ومعقّدة جدّاً ، فهي كالعُملة المعدنيّة ذات وجهين ، وجهها الأوّل عشق وحماس سيّد الشهداء عليه السلام وفوزه بتلك العوالم ، والوجه الآخر الغمّ والهمّ والعذاب والألم والبكاء . لكن الذين يمكنهم رؤية ذلك الوجه الآخر هم الذين شاهدوا هذا الوجه وتخطّوه وعبروه ؛ **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ**.

نعم ، لقد كان أُسلوب وكيفيّة قراءة أبيات مولانا هذه بشكل كأنّ السيّد الحدّاد كان متّحداً مع حقيقة تلك المعاني ، فهو يتحدّث عن مَعين واقعيّاتها وحقائقها ومعادنها . لكأنّ يوم عاشوراء ماثل أمامه ، فهو يُخبر عن ضمير سيّد الشهداء عليه السلام وباطنه ويكشف الستار عن أصحابه وأنصاره .

وكان لفظ «الفَناء» أكثر الألفاظ تردّداً على لسان الحدّاد ، فلم يكن ليرى مفرّاً ولا مناصاً أسمى من الفناء ليدعو رفقاءه إليه .

ولقد بقي الحقير في كربلاء إلى اليوم الثالث لشهادة الحسين عليه السلام ، ثمّ ذهبتُ إلى الكاظمين عليهما السلام برفقة الأُستاذ في اليوم الرابع عشر من المحرّم وتوقّفنا فيها يومين ، ثمّ تشرّفتُ بالذهاب معه إلى

سامرّاء مع بعض الرفقاء ، ونهلنا من بركات تلك الأنوار القدسيّة أربع ليـال عُدنا بعدها إلى الكـاظميّة ومـنها مـباشرة إلى طـهران حـيث وصـلتها بـعد العشرين من محرّم الحرام واستغرق سفري هذا خمسةً وخمسين يوماً .

القسم الثالث

السفر الثاني للحقير الى العتبات المقدسة،

سنة ١٣٨٢ هجرية قمرية

السفر الثاني للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٨٣ هجريّة قمريّة

وفي السنة التالية أحسستُ في نفس الفترة برغبة عارمة للتشرّف بزيارة تلك البقاع المقدّسة وعقدت العزم على ذلك ، فراجعت مديريّة السفر لأخذ سمة الخروج ، وقطعت تذكرة السفر بالسيّارة من شركة سفر «ميهن تور» على أن يبدأ السفر بعد غد ذلك اليوم . وعند ذهابي لتوديع الأرحام والأقارب ، قالت لي إحدى أخواتي التي مضى على وفاتها والتحاقها بالرحمة الإلهيّة اليوم تسع سنين : يا فلان ! أنت تذهب للزيارة ، ولكنّ نظم البيت سينفرط بدون إشرافكم ورعايتكم المباشرة ، ولربّما نال الإجحاف والظلم بعض أهليكم !

فقلت : إنني ذاهب إلى الزيارة ، ولست أرضى أن ينال أحداً في هذا الأمر التقرّبيّ ظلم وحيف . ومادام الأمر كذلك ، فقد صرفت النظر عن السفر الآن .

وهكذا فقد ذهبت في نفس ذلك اليوم وأعدت تذكرة السفر . وأذكر هذه القضية هنا ليعلم الجيل الآتي مدى ما كان يعانيه رجال الدين وأهل العلم في العهد البهلويّ ـ الأب والابن ـ وضخامة الأوضاع التي عاصرها الرجال المتديّنون والنساء المحجّبات .

لقد ذهبت لإرجاع تذكرة السفر ، فقلتُ لأهل بيتي وكانت بصحبتي :

إنّ محلّ شركة السفر مزدحم ، فانتظروني خارجاً وسأذهب لإرجاع التذكرة وأعود . وحين خرجت وجدتها تسير خلف ضابط وهي تقول :

أيّها السيّد ! أنا لست شحّاذة !

ولقد كان محلّ شركة السفر (ميهن تور) واقعاً بين شارِعَي «سوّم اسفند» (= الثالث من اسفند) و«ثبت أسناد» (= دائرة تسجيل الأسناد) وهي من المناطق الحسّاسة ، إذ يقع هناك مصنع الأسلحة ونادي الضبّاط ودائرة الشرطة والأمن ووزارة الحربيّة ، فهي محلّ تردّد وعبور الكثير من الضبّاط . ولقد شاهد أحد الضبّاط عيالي محجّبة ترتدي العباءة والنقاب فظنّ أنّها شحّاذة ومتسوّلة وقفت هناك للاستجداء ، لذا فقد وضع في يدها قطعة صغيرة من النقود ، فاضطربت ولحقته لإعادة ما أعطاها ، فانتبه الضابط واستردّ نقوده واعتذر قائلاً : سامحيني أيّتها السيّدة !

ولم يكن ذلك الأمر مقتصراً عَلَيّ فحسب ، بل كان حماة الدين وحرّاسه يعيشون بأجمعهم ظروفاً كهذه حيث تُعدّ فيها العمامة لباساً للاستجداء ، وعباءة عِصمة المرأة رداءً لستر الخجل من استلام نقود الاستجداء . أمّا حالياً فالفضلاء والطلّاب يعرفون قدر عمامة رسول الله ، كما تصون نساؤنا أنفسهنّ بحجابهنّ وعفّتهن من أعين الغرباء ويحفظنها من النظرات الشيطانيّة .

ولعدم تيسّر السفر لي في تلك السنة ، فقد شددتُ الرحال إلى العتبات المقدّسة في السنة التي تليها ، وفي الفترة ذاتها ، أي أواخر ذي القعدة الحرام .

وهكذا ، فقد قام الحقير بزيارة الكاظمين عليهما السلام عدّة أيّام ، ثمّ تحرّكت مع بعض الرفقاء من الكاظميّة إلى كربلاء . وكان السيّد الحدّاد قد غيّر منزله في هذا السفر ، واضطرّ ـ كي يقوم بأعمال إصلاح البيت وتعميره ـ إلى استئجار طابق منزل يقع مقابل منزله يحوي ثلاث غرف ، لكنّه كان يمتلك سطحاً واسعاً مسيّجاً وكان يستفيد منه في الليالي للصلاة

ولاجتماع الرفقاء في ليالي الجمعة وأيّام الزيارة .

وكان منزله ملكاً لعياله ، وهبها إيّاه أبوها المدعو بـ «حسين أبو عَمْشة» [1]، وكان يحترم السادة ويحبّهم كثيراً وخاصّة صهره السيّد هاشم هذا . وباعتبار كبر عائلة السيّد هاشم فقد قال : إنّ هذا البيت خاصّ بهؤلاء الأطفال السادة . وأوصى بذلك خطّيّاً ؛ إلّا أنّ زوج أُخت زوجته المدعو **بالحاجّ صمد الدلّال** أنكر هذه الوصيّة بعد وفاته وقام بمراجعة الدوائر الرسميّة ، على الرغم من عدم حاجته وتمكّنه المادّيّ !

ومن ثمّ فقد أرسلت الحكومة من قام ببناء جدار وسط البيت ؛ فصار هذا البيت الصغير الحاوي على ثلاث غرف صغيرة ناقصاً غير قابل للسكنى ، إذ لم يكن لهذا النصف باب إلى الخارج ولا مرافق صحّيّة ، فكان أهله وأطفاله يُجبرون على صعود السلّم إلى السطح ثمّ النزول إلى الجانب الآخر عبر سلّم آخر ، ممّا أدّى إلى إصابة أهل السيّد هاشم بالأمراض . فأُجبروا أخيراً على إخلاء المنزل لنصب باب له ولبناء مرافق صحّيّة ولإصلاح الحائط المحاذي للشارع والذي كان متداعياً من أساسه .

وكان المرحوم القاضي قد أخبره عن غصب نصف هذا المنزل وعن بنائه وتسليمه إيّاه ، وهكذا حدث بالفعل ؛ وللمسألة شرح يطول الأمر بذكره .

أمّا ذلك المنزل المستأجر المقابل فقد تسبّب ـ لفقدانه الإنارة والأُمور الصحّيّة بشكل صحيح وكامل ـ في وفاة أحد أحفاد السيّد هاشم ،

١ـ أبو عَمْشة ، كنية يطلقها العرب على من يتزوّج فتولد له بنت وليس له ولد ، إذا كان اسمه حُسيناً ، وكان صاحبنا أبو عمشة يشتغل بإصلاح الأسلحة الناريّة كالبنادق وغيرها، وكان غالباً ما يسافر إلى القرى والقصبات فيتوقّف في كلّ قرية عدّة أيّام لتصليح أسلحة ساكنيها، ثمّ يُسافر إلى قرية أُخرى.

واسمه **السيّد محمّد بن السيّد حسن** في تلك الأيّام التي حلّ فيها الحقير عندهم إثر إصابته بمرض الحصبة .

وكان هذا الطفل شبيهاً بالمرحوم القاضي للحدّ الذي كان السيّد الحدّاد يسمّيه بالقاضي الثاني ، وكان يحبّه كثيراً . وقد تأثّر السيّد الحدّاد لموت هذا الطفل كثيراً ؛ وحين نقل الحقير الجنازة معه إلى محلّ غسل الأموات في منطقة المُخَيَّم الحسينيّ ، لم يتمكَّن من السيطرة على دموعه التي انهمرت بغزارة . فقلت له عصر ذلك اليوم : أوَ لم يكن لكم رغبة في بقاء هذا الطفل حيّاً ليردّ الله عنه الموت ويكتب له الحياة ؟!

قال : بلى ، ولكنّ الأمر من ذلك الجانب يغلب أحياناً ، فيسلب الرغبة والإرادة من هذا الجانب .

وكان السيّد حسن هو ولده الثالث . فقد كان أوّلهم السيّد مهدي ، يليه بالترتيب السيّد قاسم والسيّد حسن والسيّد صالح والسيّد بُرهان والسيّد عبد الأمير ، وبنت أكبر منهم يدعونها **بالعلويّة** واسمها **زهراء** ، ويقال لها **فاطمة** وأيضاً **بَيگم** ، حيث إنّ تسميتها فاطمة وبيگم يعود إلى أن السيّد الحدّاد كان له ابنتان قبل ابنته هذه توفّيتا في طفولتهما ، فكان اسماهما يُطلقان عليها أحياناً .

وكان المرحوم الحدّاد يقول : كان لبيگم سنتان حين رحلت عن الدنيا ، وكنتُ آنذاك في حال لا أُميِّز فيه بين الموت والحياة أبداً ؛ فقد كانا بالنسبة لي على حدّ سواء . وحين حملنا جنازتها مع والد زوجتي **(أبو عَمْشة)** وذهبنا للقيام بالغسل والكفن والدفن لم أذرف الدموع أبداً ، لكنّه ـ في المقابل ـ كان محزوناً ومتأثّراً جدّاً ، وكان يبكي بحيث تغيّرت حالته النفسيّة . وكان يقول : عجباً لهذا **السيّد** الذي يمتلك قلباً قاسياً لا يعرف للرحمة طعماً ؛ فهو لا يبكي ولا يندب ، حتّى أنّ دموعه لم تنحدر ! ولأنّا

كنّا نعيش معه في منزل واحد فقد خاصمني مدّة لم يكلمني فيها .

وبعد بيگم توفّيت بنت السيّد الثانية واسمها فاطمة . فكان يقول عنها : كانت وفاتها ليلاً ، فوضعناها في زاوية الغرفة لندفنها في اليوم التالي ؛ وكنت قد نظرت إليها مدّة على أنّها طفلة رحلت عن الدنيا ، فلم تكن لها تلك الأهمّيّة الكبيرة . ثمّ رأيت تلك الليلة أنّ روحها تكبر في زاوية الغرفة حتّى ملأت البيت ، ثمّ كبرت فملأت كربلاء كلّها ، ثمّ شملت الدنيا بأسرها . ولقد كانت تلك الطفلة تظهر حقيقتها أن : كم أنا كبيرة مع أنّي ما زلت طفلة !

وكان يقول : هذه هي عظمتها الحقيقيّة . لذا فإنّ علينا أن ننظر إلى أطفالنا بعين الاحترام ونلحظهم على أنّهم كبار ، لأنّهم كبار فعلاً لكنّنا نتصوّرهم صغاراً . ولقد كان إبراهيم ابن رسول الله ذو السنتين كبيراً وعظيماً بحيث إنّه لو بقي لكان بمثابة نفس النبيّ . لكأنّ النبيّ كان نفس ولده إبراهيم وقد كبر ؛ ولكأنّ إبراهيم هو النبيّ نفسه ، كلّ ما في الأمر أنّه في زمن طفولته وصباه ؛ **ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ** .[1]

وكان يقول : لذا فإنّ من الأجدر على الإنسان احتراماً للطفل المولود حديثاً أن يجتنب الجماع أربعين يوماً ، وأن يؤخذ الطفل الصغير الذي لم يتعدّ عدّة أشهر وهو في قماطه إلى مجالس العلم ومحافل الذِّكر ، وإلى الحسينيّة وأماكن إقامة العزاء التي يذكر فيها اسم سيّد الشهداء ؛ لأنّ نفس الطفل أشبه بالمغناطيس تجذب العلوم والأوراد والأذكار وقدسيّة روح الإمام الحسين عليه السلام . ومع أنّ الطفل لا يستطيع الكلام لكنّه يتمتّع بالإدراك ، ولو وُضعت روحه في محلّ أو محالّ المعصية ، لتلوّثت بذلك

١ـ صدر الآية ٣٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

الجرم وتلك المعصية ، أمّا لو أُخذ إلى محلّ أو محالّ الذِّكر والعبادة والعلم لاكتسب تلك الطهارة والصفاء .

وكان يقول : ضعوا أطفالكم في زاوية الغرفة التي يُقام فيها قراءة التعزية أو الذِّكر الذي تقومون به ! فلقدكان العلماء السابقون يفعلون ذلك ، لأنّ الآثار التي يكتسبها الطفل في هذه المرحلة تبقى ثابتة فيه إلى آخر عمره وتصبح ضمن غرائزه وصفاته الفطريّة ، ذلك لأنّ نفس الطفل في هذه الفترة لها قابلية محضة ، مع أنّ عامّة الناس لا يدركون هذا المعنى المهمّ والسرّ الخطير .

وأنا أقول : نعم ، الأمر كذلك ؛ ولدينا في هذا الموضوع كثير من الشواهد البرهانيّة والأدلّة العلميّة والتجريبيّة والمشاهدات القويّة غير القابلة للتأويل في هذا الموضوع ، لا مجال لذكرها الآن .

ومن بين الأدلّة التجريبيّة والمشاهدة غير القابلة للتأويل ، وفاة ولد الحقير ذي الأحد عشر شهراً واسمه **السيّد محمّد جواد** . فقد ولد في التاسع من صفر لسنة ١٣٨٠ هجريّة قمريّة ، وقد أطلقنا عليه هذا الاسم للتوسّل بجواد الأئمّة عليه السلام ، ولولادته بعد ارتحال أُستاذ العرفان سماحة آية الله الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ رضوان الله عليه بثلاثة أشهر وسبعة أيّام (فقد توفّي الفقيد في الثاني من ذي القعدة لسنة ١٣٧٩ هـ.ق) .

وكان طفلاً طلق المحيّا يسطع النور والصفاء منه ، لكأنّه كان نوراً خالصاً ، وقدكان ذلك مشهوداً فيه منذ طفولته تلك ، وكنتُ قد لقّبته بـ «مسيح الزمان» و«النور الخالص» . وكان لم ينطق بعدُ ولم يمشي على قدميه ، بل كانوا يلفّونه بقماط فينهض صباحاً بدون أن يبكي أو يطالب بالرضاعة أو يبحث عن والدته ، فيحبو في قماطه ولفّافته تلك صوبي فيجلس في حجري .

نعم ، كنّا قد انتقلنا إلى منزل جديد في منطقة «أحمديه دولاب» ، وكنتُ قد مرضت بشكل جعلني عدّة أيّام لا أقوى إلّا على تناول عدّة ملاعق من حساء الحليب المعدّ للأطفال ، بسبب دُمل داخل اللوزتين وتورّمهما . وانتابتني حمّى شديدة مضافاً إلى المرض المرهق الذي أنهك قواي ؛ وخلاصة الأمر فقد كانت حالتي غير جيّدة . وكنت قد رأيت وأنا في الغرفة الخارجيّة (البرّاني) في يوم وفاة ذلك الطفل وقبل ساعة من وفاته رؤيا : كأنّ قطعة نور كانت تأتي من جهة مرقد عبد العظيم الحسنيّ عليه السلام إلى جهة طهران ، وكأنّ حرباً قد نشبت في طهران بين المسلمين والكفّار ؛ فجاءت قطعة النور هذه وانضمّت إلى المسلمين وأعانتهم فقهروا الكفّار . وكان ذلك النور **السيّد محمّد جواد** . ثمّ استيقظتُ وجاء بعد ساعة ولدي الأكبر السيّد محمّد صادق يسأل الحقير عن دروس المدرسة ومسائل الحساب ، وكنت مشغولاً معه حين رأيت **السيّد محمّد جواد** جنب الحوض الصخريّ في ساحة المنزل يلعب بماء الحوض ، فهرعت إليه وأدخلته إلى الداخل عند أُمّه وكانت مشغولة بأعمال الخياطة ، وأوصيتها وأكّدتُ عليها بالمحافظة عليه ! فهذا الطفل مولع باللعب بالماء وسيعود إلى هناك . ثمّ عدت إلى القسم الخارجيّ من البيت (البرّاني) وانشغلت بملاحظة دروس ولدي الأكبر .

وبالتأكيد فلم تنقضِ دقائق خمس حتّى علا صراخ أُمّه من ساحة المنزل : الويل لي ! لقد مات ولدي ! فأسرعتُ من الغرفة إلى ساحة المنزل وشاهدت أن الأمر قد انتهى . ولقد نقلناه على الفور إلى المستشفى حيث أُجري له التنفّس بالأُوكسيجين ولكن بلا جدوى ، فأعدته بنفسي إلى المنزل ووضعته في زاوية الغرفة الخارجيّة وقلت لأُمّه ولباقي العائلة : إنّ حال الطفل جيّدة .

وكنتُ أنوي القيام بغسل الطفل ليلاً إلّا أنّ الحاجّ هادي الأبهريّ لم يدعني أفعل ذلك وقال : بأنّ الحاجّ محمّد إسماعيل سيغسله وأنّ آية الله الشيخ صدر الدين الحائريّ سيصبّ عليه الماء . ثمّ إنّه غُسِّل وكُفِّن ودُفِن بعد مراسم مفصّلة في مقبرة «چهل تن دولاب» .

والغرض من هذه القصّة : أنّ عيالي قد تألّمت بشدّة إثر هذه الواقعة ، وكانت تتأسّف وتتلهّف . حتّى أتت يوماً إلى مسجد القائم ونقلت الأمر إلى إحدى المخدّرات من مأمومات المسجد واسمها «فاطمة خانم» فقالت لها : لا تتأسّفي عليه ! فقد رأيتُ في المنام أنّ جبلاً كان يوشك أن ينهار على رأس السيّد أبيه ، وكان السيّد نائماً تحت ذلك الجبل ، فجاء هذا الولد ووقف أمام الجبل ومدّ يديه فأسند بها الجبل فمنعه من السقوط .

ويُستفاد من ذلك أنّ موته كان في الحقيقة اختياريّاً . وكان المرحوم الحاجّ هادي الأبهريّ يقول : كان البلاء يوشك أن يحلّ بهذا المنزل ، فضحّى هذا الطفل بنفسه وصدّ بلاءً أكبر من الوقوع . كما هو شأن عليّ الأصغر عليه السلام الذي اختار الاستشهاد بنفسه ، وكإبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الذى فدى بنفسه الإمام الحسين عليه السلام ورضي بأن يموت مكانه . وهذه نكتة تستحقّ التأمّل ، وهي أنّ الأطفال يمتلكون أرواحاً كبيرة واختياراً وانتخاباً وجدانيّاً .

ومن بين هذه الشواهد ، الأدلّة الشرعيّة لحجّ الأطفال واستحبابه الشرعيّ . بأن يُلبس الأطفال ـ ولو أُولئك الذين لا تتجاوز أعمارهم اليوم الواحد ـ ملابسَ الإحرام ، وأن ينوي وليّ الطفل نيابة عنه ويطوف به ويصلّي عنه ويأخذه معه إلى عرفات والمشعر ومنى ، وأن يضحّي ويقوم بجميع المناسك مكانه ؛ ويقيناً أنّ هذه الأعمال ليست من باب العمل التعبّديّ الصرف والتشبّه بالحجّاج ، بل لأنّ روح الطفل ونفسه تمتلك

القابليّة لأن تحجّ حقيقة وتلبّي وتنال الفوز ودرجات الشخص المُحْرِم والحاجّ ، أي أنّ آثار حجّ الشخص الحاجّ ستوجد بالاستعداد والقوّة في نفسه ؛ مع أنّ مسألة حِجّة الإسلام ووظيفة الحجّ الواجب مسألة أُخرى منفصلة . كما يستحبّ أخذ الطفل للعمرة والقيام بالعمرة المفردة بهذا النحو فيكون معتمِراً .

وكذلك لو أتى الطفل بجميع الواجبات والمستحبّات الأُخرى ، فإنّ الآثار الوجوديّة لتلك الأعمال ستؤثّر في روحه ؛ ومع أنّ الإلزام والتكليف قد أُزيل عنه ، إلّا أنّ أصل الأثر باقٍ . ولذا ، فقد قال فقهاؤنا رضوان الله عليهم : إنّ أيّ عمل واجب على المكلّفين ، له عنوان العمل المستحبّ للصغار غير المكلّفين ؛ وإنّ كلّ عمل حرام على المكلّفين ، له عنوان العمل المكروه لهم ؛ كما أنّ عباداتهم حقيقيّة وليست تمرينيّة .

وكان والد السيّد هاشم **السيّد قاسم** قد تزوّج بأُمّه واسمها **زينب** . وتزوّج السيّد الحدّاد بامرأة اسمها **هديّة** وتكنّى **بأُمّ مهدي** ، وتنتمي إلى عشيرة الجنابات وهي من العشائر العربيّة الأصيلة والعريقة والمشهورة بعراقتها وأصالتها ، وتتواجد حاليّاً في الحلّة وكربلاء والنجف الأشرف وبعض المناطق الأُخرى ، ومن عادة أفرادها أن لا يزوِّجوا بناتهم لغيرهم ولا يتزوَّجوا من غيرهم . ويشغل أفرادها غالباً المناصب الحكوميّة من الرؤساء والضبّاط ؛ لذا فحين ذهبت أُمّ مهدي مع السيّد الحدّاد مرّة إلى المحكمة لإصدار شهادة الجنسيّة لأولادها ، قال لها الحاكم : أليس من الحيف أن تتزوّجي من هذا السيّد الغريب الهنديّ المجهول الذي لا أصل له ولا نسب ؟!

فما كان من هذه المرأة الثابتة الجنان إلّا أن زمجرت في وجهه كاللبوة : أنت الذي لا أصل لك ولا نسب ! فهذا السيّد ابن رسول الله وابن

أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء . هذا هو نسبه ، فقل لي نسبك إلى ما قبل مائة سنة ، فضلاً عن ألف وأربعمائة سنة !

وهكذا فقد أذعن الحاكم أمام منطقها واعتذر منها .

وكان أبو زوجته كما أسلفنا هو **حسين أبو عَمْشة** ، وكان اسم أُمّ زوجته **نجيبة** .

وكانت كربلاء مسقط رأس السيّد هاشم ، كما كان أبوه من مواليد تلك المدينة أيضاً ؛ أمّا جدّه **السيّد حسن** فكان من شيعة الهند ، وكان قد وقع في الأسر خلال النزاع والحرب الدائرة بين طائفتَينِ من أهل الهند بِيَدِ الطائفة المنتصرة ، فباع هؤلاء المرحوم السيّد حسن ـ جدّ الحدّاد ـ إلى عائلة شيعيّة ملقّبة بـ «**أفضل خان**» ، ثمّ هاجرت هذه العائلة إلى كربلاء وأخذوا السيّد حسن معهم إليها . ثمّ إنّهم أطلقوه من الأسر لمّا شاهدوا منه الكرامات العديدة ولم يعودوا يكلّفوه بعمل . لكنّ السيّد حسن كان يأبى منهم تركه بلا عمل ؛ فخيّروه بين عدّة أعمال ، فاختار منها السقاية ، وقال : هي شغل عمّي العبّاس سلام الله عليه .

وهكذا فقد حطّ السيّد حسن رحاله في كربلاء المقدّسة ، ثمّ تزوّج بجدّة السيّد الحدّاد . ومن أبنائه **السيّد قاسم** الذي انجب ثلاثة أولاد : **السيّد هاشم** الذي وُلِد في «قلعة هندي» ، وكان ذلك بسبب الهجوم الذي وقع على كربلاء وقَطْع الماء عنها ، ممّا اضطرّ السيّد قاسم وعائلته إلى النزوح عنها والذهاب إلى المنطقة المذكورة ؛ و**السيّد محمود** و**السيّد حسين** . وقد التقى الحقير بالسيّد محمود والسيّد حسين كليهما . وكان السيّد محمود يعيش في كربلاء ، وقد توفّي قبل السيّد حسين . أمّا السيّد حسين فكان يعيش في بغداد ، ويعمل في صناعة الأحذية . ومع أنّهما كانا أصغر من السيّد هاشم ، إلّا أنّهما التحقا بالرحمة الأبديّة قبله .

هذا ، وقد عمل السيّد حسن في كربلاء بالسقاية ، حيث قصّ السيّد الحدّاد قصصاً عن شدّة نجابته وحيائه .

منها : أنّ العرب ذوي الغيرة كانوا أحياناً يرسلون معه نساءهم لوحدهنّ من القرى الواقعة في أطراف كربلاء ليشترين ما يحتجْن إليه من كربلاء ، فكانت إحداهن تركب الحمار فيسيرون فراسخ عديدة حتّى يصلون المدينة ، لكنّ نظره لم يكن ليقع عليهنّ ولو لمرّة واحدة ، أي أنّه كان متحفّظاً بحيث لا ينظر إليهنّ ولو سهواً .

وكان متعارفاً عند العرب أن يأتوا مع ابنتهم إلى المدينة عدّة أيّام لشراء لوازم زواج بناتهم فيهيّئون ما يحتاجونه بمساعدة أقاربهم ومعارفهم ، لكنّهم كانوا يعهدون في السيّد حسن الحياء والعصمة بحيث كانوا يُركبون ابنتهم على الحمار ويرسلونها معه إلى المدينة ليبقوا فيها عدّة أيّام ويشترون ما يحتاجونه ويعودون .

وكان سماحة السيّد الحدّاد يقول : وفي **كربلاء** نفسها حيث كان يسقي بعض البيوت ، كان ملتزماً بشكل ينحني معه إلى الجدار عند دخوله المنزل إلى حين خروجه لئلّا يرى امرأة ما ؛ سواء كان في البيت أحد أم لم يكن . ولهذا فقد كان أصحاب البيوت ـ وقد عرفوا هذه الروح فيه ـ يوصون أهاليهم بأنّ السيّد حسن لا يحتاج لإذن في دخوله البيوت ولا لقرع الأبواب ، بل يأتي فيفرغ الماء في المحلّ المعيّن له وينصرف .

لقد رحل **سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد** روحي فداه في سنّ السادسة والثمانين في شهر رمضان المبارك لسنة ألف وأربعمائة وأربع هجريّة قمريّة في مدينة كربلاء (مسقط رأسه وموطنه) ، لذا فإنّ ميلاده السعيد سيوافق سنة ١٣١٨ هـ. ق .

وكان أوّل لقاء الحقير به في سنة ١٣٧٦ هـ. ق ، ولي من العمر آنذاك

اثنتان وثلاثون سنة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ؛ ومن ثمّ فقد دامت مدّة استفادة الحقير ونهله من محضر أنواره ثمان وعشرين سنة .

وباعتبار أنّ رحلة سماحة الميرزا السيّد علي القاضي قدّس الله تربته كانت في السادس من ربيع الأوّل لسنة ١٣٦٦ هـ . ق ، فإنّ العمر الشريف للسيّد الحدّاد كان آنذاك ثمان وأربعين سنة . وإذا ما علمنا أنّ السيّد الحدّاد قد تشرّف وتتلمذ في محضر سماحة السيّد القاضي وهو في العشرين من عمره ، فإنّه سيكون ـ هو الآخر ـ قد استفاد من محضر السيّد القاضي ثمان وعشرين سنة . وكان الحاجّ الشيخ عبّاس يقول : لقد أدركتُ محضر السيّد القاضي ثلاث عشرة سنة .

وبما أنّ المرحوم السيّد حسن الإصفهانيّ المَسقطيّ ـ وكان من أعاظم تلامذة المرحوم القاضي وله علاقات ممتدّة وحسنة جدّاً مع السيّد الحدّاد ـ قد رحل عن الدنيا سنة ١٣٥٠ هـ . ق ، فإنّ المرحوم السيّد هاشم قد اكتسب من فيض المرحوم القاضي أكثر منه بستّ عشرة سنة .

فكم ـ يا ترى ـ استفاد المرحوم المسقطيّ من محضر المرحوم القاضي ؟ لو كانت الإجابة اثنتا عشرة سنة لاتّضح أنّ رفيقَي الطريق هذين قد تشرّفا في الحضور في محضر المرحوم القاضي في زمن واحد ، أمّا إذا كان ذلك أقلّ من اثنتي عشرة سنة ، فسيكون السيّد الحدّاد قد سبقه في الاستفادة من محضره .

وكان السيّد هاشم يذكر السيّد حسن المسقطيّ كثيراً في كلامه ويقول : كان له حماسٌ شديد وتوحيدٌ رفيع ، وكان أُستاذاً في البحث وتدريس الحكمة ، وكان متفوّقاً ومميّزاً في المجادلة ، فلم يكن أحد ليجرؤ أن يجادله أو ينازعه أو يبحث معه أمراً ؛ لأنّه لا يخرج من ذلك إلّا بنصيب الإدانة .

وكان يجلس في الصحن المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام فيدرّس الطلّاب درس الحكمة والعرفان ، وكان يثير الحماس والهيجان بحيث كان يبعث في طلّابه روح التوحيد والخلوص والطهارة بدروسه المتينة المحكمة ، ويسوقهم إلى الإعراض عن الدنيا والاتّجاه صوب العقبى وعالم التوحيد الحقّ .

ولقد نقل أتباع المرحوم آية الله السيّد أبي الحسن الإصفهانيّ قدّس سرّه له : بأنّ السيّد حسن لو استمرّ في دروسه لقلب الحوزة العلميّة إلى حوزة توحيديّة ، ولأوصل جميع الطلّاب إلى عالم الربوبيّة الحقّ وإلى حقيقة عبوديّتهم .

لذا فقد مُنِع تدريس علم الحكمة الإلهيّة والعرفان في النجف ؛ كما أُمِر السيّد حسن بالذهاب إلى «مسقط» للتبليغ وترويج الدين .

ولم يكن للسيّد حسن أدنى رغبة في الخروج من النجف الأشرف ، وكان فراق المرحوم القاضي بالنسبة له من أصعب الأُمور والمشكلات ؛ لذا فقد ذهب إلى أُستاذه السيّد القاضي وقال له : أتسمحون أن أستمرّ في الدرس وأتجاهل منع السيّد وأستمرّ في الجهاد في طريق التوحيد ؟!

فردّ المرحوم **آية الله القاضي** عليه : اذهب من النجف إلى مسقط حسب أمر السيّد ! إنّ الله معك ، وسيهديك ويأخذ بيدك حيثما كنت فيوصلك إلى المطلوب الغائيّ ونهاية درب السلوك وأعلى ذروة التوحيد والمعرفة .

وهكذا فقد سافر السيّد حسن إلى مسقط ، وكان إصفهانيّ الأصل ومعروفاً بالإصفهانيّ ، ثمّ عُرف بعد ذلك بالمَسْقَطيّ . وكان لا يرد ـ في طريقه إلى مسقط ـ فندقاً أو دار ضيافة ، بل كان يأوي إلى المساجد . وحين وصل مسقط كان له حظّ في التبليغ والترويج ، فقد جعل أهل مسقط

بأجمعهم من المؤمنين الموحّدين ، ودعاهم إلى الصدق والإخلاص وإهمال الزخارف المادّيّة والتعيّنات الصوريّة والاعتباريّة ؛ فعرفه الجميع على أنّه مرشد الكلّ وهادي السبل ، وأذعن أمام عظمته العالم والجاهل والعوامّ والخواصّ . وكان آخر عمره يعيش دوماً مرتدياً لباسَي الإحرام .

وكان أن دعوه للذهاب إلى الهند ، فأجاب دعوتهم وشدّ الرحال إلى تلك الديار في سبيله إلى المقصود . ولم يكن كذلك ليحلّ في طريقه بالفنادق بل كان يذهب إلى المساجد فيبيت فيها ؛ حتّى وجدوه ـ وهو في طريقه متنقّلاً من مدينة إلى أُخرى ـ في مسجد من المساجد مرتدياً نفس ثوبَي الإحرام وقد فارق الحياة حال سجوده .[1]

وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إلَى الثَّوَابِ وَخَوْفاً مِنَ العِقَابِ . عَظُمَ الخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ . فَهُمْ وَالجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ .

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً ؛ تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ

١ـ قال سماحة السيّد محمّد حسن القاضي أدام الله أيّام بركاته ابن المرحوم القاضي أعلى الله درجته:

لقد أُبرق بنبأ رحلة المرحوم المسقطيّ إلى سماحة السيّد أبي الحسن الإصفهانيّ ، فأرسل البرقيّة التي تتضمّن نبأ الوفاة بِيَدِ أحدهم إلى المرحوم القاضي ، وكان قد اتّخذ غرفة في مدرسة الهنديّ . وكنت في صحن المدرسة مع العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ والشيخ محمّد تقي الآملي وغيرهما من تلامذة المرحوم القاضي ، فلم يجرؤ أحد منهم أن ينقل خبر رحيل المسقطيّ إلى الغرفة العليا ويوصله إلى المرحوم القاضي ، فقد كانوا يعلمون أنّ هذا النبأ غير محتمل بالنسبة للمرحوم القاضي لفرط علاقته بالمسقطيّ ، لذا فقد اختاروا السيّد الحدّاد لهذه المهمّة ؛ فلمّا نقل إليه النبأ التفت إليه المرحوم القاضي قائلاً : أعلمُ بذلك!

رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا ، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ القُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً ، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ.

حتّى يصل إلى قوله عليه السلام :

يَنْظُرُ إلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ؛ وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا ؛ وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. [1]

نعم ! لقد أبعدت حوزة النجف السيّد حسن المسقطيّ ؛ ولم تعلم هذه الحوزة الضائعة المتحيّرة أيّ جوهر ثمين فقدت ! وأيّ رجل توحيد ، وأيّ شخصيّة إلهيّة ، وأيّ أُسطوانة عِلم وسَنَد فضيلة أضاعت ! ولو عَلَمَتْ لكان جهلاً بسيطاً ، ولكنّه ـ ويا للأسف الشديد ـ الجهل المركب ! فالسيّد حسن أينما ذهب ؛ إلى مسقط أو الهند أو البحر أو الصحراء ، فهو مع الله والله معه ، وهو الساجد الراكع والمرتدي لرداء الإحرام ظاهراً وباطناً ، وهو المستغرق في عالم الولاية ومع الوليّ المطلق . [2]

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٩١ (خطبة همّام) طبعة مصر ، مطبعة عيسى البابي ، مع هامش الشيخ محمّد عبده ، ج ١ ، ص ٣٩٦ و٣٩٧ .

٢ـ لقد كان بحث الحكمة والفلسفة شائعاً ورائجاً في الحوزات العلميّة للشيعة والمعتزلة، خلافاً للأشاعرة الذين لم يكونوا يبحثون في المطالب العقليّة . لذا فقد حاز متكلّمو الشيعة قصب السبق والظفر والتفوّق طوال الألف سنة الماضية ، وقد تخرّج من هذه الحوزات علماء وفقهاء أمثال هشام بن الحكم والسيّد المرتضى والشيخ المفيد والخواجة نصير الدين الطوسيّ والعلّامة الحلّيّ والميرداماد والملّا صدرا الشيرازيّ والقاضي نور الله التستريّ ، وأخيراً السيّد مهدي بحر العلوم والآخوند الملّا محمّد كاظم الخراسانيّ والحاجّ الميرزا محمّد حسن الآشتيانيّ وابنه الحاجّ الميرزا أحمد الآشتيانيّ والحاجّ الميرزا مهدي الآشتيانيّ والآخوند الملّا حسين قُلي الهمدانيّ والسيّد أحمد الكربلائيّ الطهرانيّ والحاجّ الميرزا محمّد حسن النائينيّ والحاجّ الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء والحاجّ الشيخ ⇦

....

⇐ محمّدحسين الإصفهانيّ الكمبانيّ والحاجّ الملّا مهدي النراقيّ والحاجّ الميرزا محمّدحسن الشيرازيّ والشيخ محمّدباقر الإصطهباناتيّ والشيخ أحمد الشيرازيّ والحاجّ الميرزا فتح‌الله المشهور بشيخ الشريعة الإصفهانيّ والحاجّ السيّد أحمد الخونساريّ والحاجّ الشيخ محمّدعلي الشاه‌آباديّ وتلميذه البارز القائد الكبير الفقيد للثورة الإسلامية آية‌الله الحاجّ روح‌الله الخمينيّ والحاجّ الميرزا أبي الحسن الرفيعيّ القزوينيّ والسيّد حسين بادكوبه‌اي وتلميذيه: أُستاذنا الأكرم العلّامة الطباطبائيّ وأخيه الحاجّ السيّد محمّدحسن إلهيّ التبريزيّ ، وغيرهم ممّن يضيق حصرهم وعدّهم ؛ أُولئك الذين كانوا حماةً للدين والقرآن ولشريعة سيّد المرسلين والأئمّة الطاهرين.

وبناءً على هذا الأساس ، فإنّ البحث التفسيريّ للقرآن الكريم وتدريس الحكمة والفلسفة والعلوم العقليّة وحوزات العرفان والأخلاق من الضرورات اللازمة لهذه الحوزات الفقهيّة، لا تنفك عنها . وكان المرحوم آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازيّ يتأسّف ليلةً في مجلس خلوة ويقول : كان هناك في النجف الأشرف حين قدمتُ للدراسة اثنتا عشرة حوزة رسميّة لتدريس الأخلاق والعرفان ، أمّا الآن فليس هناك حتّى حوزة واحدة.

نعم ، لقد استمرّت هذه الحوزات فعّالة بتدريس الأبحاث القرآنيّة والتفسيريّة والأخلاقيّة والعرفانيّة والحكميّة والفلسفيّة إلى زمن النهضة الدستوريّة (في إيران)، ثمّ سعى الاستعمار الكافر **أوّلاً** : إلى إنهاء وجود النجف كمركز علميّ وفقهيّ ، وإلى نقل الحوزات وتفريقها إلى أماكن أُخرى.

وثانياً : لإنهاء تدريس القرآن والتفسير والعلوم العقليّة والفلسفيّة من الحوزات الشيعيّة، ليصبح علماؤهم كالأشاعرة من العامّة والأخباريّين والحشويّين يهتمّون بالظواهر في حين يبقى المحتوى واللبّ خالياً فارغاً ؛ وذلك لئلّا يثور عليهم أحد أو يقف بوجههم، ولتهبط قدرة وإمكانيّة البحث والتفكير والمسائل العقليّة والعلميّة في الحوزات، فتتغلّب عليها خططهم ودسائسهم المموّهة . وإلى هذا اليوم فقد استؤصل بحث التفسير والبحوث القرآنيّة وبحوث الحكمة والفلسفة والعرفان استئصالاً تامّاً ، فصار العلماء الأعلام والفضلاء العظام يعدّون تدريسها من الأُمور الوضيعة.

وقد نقل المرحوم آية الله الشيخ مرتضى المطهريّ للحقير عن سماحة آية‌الله الحاجّ السيّد رضي الشيرازيّ دامت بركاته أنّه قال : قلتُ لأحد المراجع العظام المشهورين ⇐

نعم ، لقد قال السيّد هاشم : كنت مشغولاً في كربلاء بالدروس العلميّة وغيرها من دروس الطلبة ، فقرأتُ للسيوطيّ ، وحين تشرّفت بالذهاب إلى النجف للدراسة والتحصيل لأنهل من محضر السيّد المرحوم القاضي ولأقوم بخدمة المدرسة (المدرسة الهنديّة : محلّ إقامة المرحوم القاضي) ؛ وما إن دخلتُ هناك حتّى رأيت أمامي سيّداً جالساً فأحسست بانجذاب نحوه بلا إرادة ، فذهبتُ وسلّمت عليه وقبّلت يده ، فقال المرحوم القاضي : **لقد وصلتَ !**

ثمّ اتّخذتُ غرفة هناك لنفسي ، ومنذ ذلك الوقت ومن هناك فتح باب المراودة مع السيّد . وصادف أن كانت غرفة السيّد الحدّاد هي غرفة المرحوم السيّد بحر العلوم . وكان المرحوم القاضي يتردّد عليها كثيراً ؛ وكان يقول له أحياناً : أخلِ الغرفة الليلة ! أُريد أن أبيت هنا لوحدي !

وكان السيّد يقول : وبعد عودتي إلى كربلاء كنت أتشرّف أحياناً بالذهاب إلى النجف في أوقات الزيارة وغيرها ـ غير الأوقات التي كان السيّد القاضي يتشرّف فيها بالمجيء إلى كربلاء ـ فذهبتُ يوماً من كربلاء إلى النجف الأشرف وأخذتُ للسيّد خمسين فلساً (أي درهماً واحداً ،

⇦ والمعروفين في إحدى سفراتي الأخيرة إلى العتبات المقدّسة : لماذا لا تشرعون بدرس التفسير في الحوزة ؟ قال : ليس ذلك ممكناً مع وضعنا وموقعنا الحاليّ ! قلتُ : لماذا كان ذلك ممكنا للعلّامة الطباطبائيّ حين جعله درساً رسميّاً في حوزة قم العلميّة ؟!

قال : لقد قام بتضحية حين فعل ذلك (أي أنّه ضحّى بنفسه) ! أُوردُ هذا المطلب هنا ليعلم الجميع أنّ أساس مدرسة التشيّع قائم على التضحية ، وعلى العلماء العظام والفضلاء الفخام أن يكونوا السبّاقين في هذا المضمار ؛ وإلّا فما الفرق بين حوزاتنا مع حوزات العامّة من الحنابلة والشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة الذين يُشغِلون أنفسهم بالأبحاث والمسائل بدون الاستناد إلى مسألة الولاية ؟

والدينار العراقيّ عشرون درهماً) وكـان مـنزل السـيّد فـي مـحلّة الجُـدَيْدَة (الشارع الثاني) وكان الجوّ حارّاً ، فعلمتُ أنّ السيّد نائم ، وقلتُ في نفسي : إن طرقتُ الباب استيقظ السيّد . فجلستُ على الأرض جنب بـاب البـيت ، وكنت تعباً لدرجة أنّ النعاس سرعان ما غلبني . ثـمّ اسـتيقظت بـعد سـاعة فرأيت السيّد وقد خرج إليّ ولاطفني كثيراً ودعاني إلى الدخول ، ثمّ قدّمت له الخمسين فلساً وعدتُ .

ولقـد كـان المـرحـوم الحـدّاد مـتعبّداً كـثيراً بـالنسبة لأُمـور الشـرع وللأحكام الفقهيّة . وكان يستحيل أن يعلم بحكم فلا يعمل به ، حتّى العمل بالمستحبّات وترك المكروهات . وكان بنفسه مصباحاً نورانيّاً من العلم ، إلّا أنّه كان ـ من باب حفظ الشرع وأحكامه ـ يقلّد غيره فـي الأُمـور العـباديّة والأحكام الجزئيّة .

ولقد كنّا في ذلك السفر مجتمعين فوق سـطح البـيت ليـلة عـرفة مـع جمع من أهالي النجف والكاظميّة وبغداد والسماوة وغيرها ، وكان ذلك بعد صلاتَي المغرب والعشاء ، وكانوا يـريدون تـقديم طـعام بسـيط لـينصرف الحضور إلى الاشتغال بأعمال ليلة عرفة والزيارة ؛ فـقال السـيّد فـي بـهجة لا تفوقها بهجة : **إنّ السيّد فلاناً هو سيّد الطائفتَينِ !** (أي : أنّه مجتهد فـي أمر الشريعة ، ومجتهد في أمر الطريقة كذلك) . ثمّ قال : لقد كنتُ حتّى الآن أُقلِّدُ سماحة **الشيخ هادي الشيخ زين العابدين**[١] ، لكـنّي سأُقـلِّده مـن الآن

١ـ كان المرحوم الشيخ زيـن العـابدين المـرنديّ مـن أعـاظم العـلماء والمـجتهدين والزهّاد المعروفين في النجف الأشرف ، وله ثلاثة أولاد ، الشيخ مهدي ، والشيخ هـادي ، والشيخ هداية الله. وجميعهم مـن أعـاظم العـلماء والمـجتهدين والمشـهورين بـالقداسـة والتقوى. وقد التقى الحقير حين كنتُ في النجف الأشرف بولدَيهِ الجليلين ، لكنّي حُرِمت من فيض محضر الشيخ هداية الله لعودته إلى مرند وتبريز. ⇦

فصاعداً !

وكان السيّد ينتقد الحقير أحياناً في المسائل الشرعيّة ، فقد قال مرّة : حين تمسح على الرجلين ، ضعهما على مكان ثابت كي يكون مسحهما جيّداً ؛ لأنّ المسح عليهما معلّقتين ربما غفل خلاله الإنسان ، وعند ذلك فلن تكون اليدان هما اللتين تمسحان القدمين ، بل ستكون القدمان هما اللتين تمسحان اليدين . وقال مرّة أُخرى : إنّ البصاق في المرحاض أمر مكروه ، لأنّه من أجزاء بدن المؤمن وينبغي ألا يختلط بالقاذورات ؛ أمّا النخامة التي تلقى من فم الإنسان في المرحاض فليست كذلك ، لأنّها ليست من أجزاء البدن بل هي من الفضلات ، فلا إشكال في خلطها بسائر القاذورات .

وقال مرّة أُخرى : من الأفضل للمرء حين يعطي صدقاته المستحبّة والخيريّة ، أن تكون من أزكى أقسام أمواله ؛ فتقسيم المال وإعطاء قسمه المشكوك للفقراء وللسادة خاصّة أمر غير مقبول .

وحصل ذلك في وقت كان الحقير قد أرسل حديثاً مالاً بعنوان الصدقة المستحبّة والأُمور الخيريّة إلى أحد السادة ، وكنتُ قد استبقيتُ

⇦ وباعتبار أن الشيخ زين العابدين كان يبقى غالباً في المنزل وكان يتوجّب على أحد أبنائه البقاء في المنزل أيضاً للقيام باحتياجات المنزل ، فقد هيّأ لنفسه ولأولاده الثلاثة عباءتين فقط؛ فالعباءة في المنزل غير ضروريّة ، أمّا خارج المنزل فلم يكن بالإمكان أن يخرج أكثر من اثنين ، وكان ذلك من شدّة زهد ذلك المرحوم وورعه . لذا فحين توفّي وأرادوا حمل جنازته فقد كان هناك عباءتان لاثنين من أولاده ولم تكن هناك عباءة للثالث.

وعلى كلّ حال فلقد أنجب هؤلاء الأفاضل الأجلّاء والحمد والمنّة للّه أولاداً علماء فضلاء ومؤدّبين وهم : الحاجّ الشيخ محمّد المرنديّ ابن الشيخ مهدي ، والشيخ موسى والشيخ عبّاس والشيخ كاظم أبناء الشيخ هادي ، والشيخ أبو القاسم الغرويّ المرنديّ ابن الشيخ هداية‌الله؛ وكلّ هؤلاء من الآيات والحجج الإلهيّة أدام الله بقاءهم.

لنفسي وقت التعيين تلك القسمة الزاكية بلا شبهة ، واخترت القسم المشتبه ومجهول الحال لإرساله لذلك السيّد ؛ ويعلم الله أنّه لم يطّلع على ذلك غيري سواه سبحانه . فقام السيّد بهذا الإخبار باطّلاعي وتنبيهي لهذا الأمر المستور ، وأعطى كذلك الأمر بالعمل بفحوى الآية القرآنيّة الكريمة :

لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ.[1]

وصادف مرّة أن وضعتُ قدراً من الثلج في قدح فيه لبن رائب ممزوج بالماء ، وأردتُ تقديمه إليه فقمتُ بمزجه وخلطه بسبّابتي لتبريده قبل تقديمه ؛ فلم يشربه وقال : استعمل الملعقة للمزج ، فأحرى باليد أن تكون ملوّثة ! ثمّ قال : لقد اتّفق لي نفس هذا الأمر مع المرحوم السيّد (القاضي) فقد تشرّف يوماً بالمجيء إلى كربلاء وتفضّل بالمجيء إلى دكّاني ، فأعددتُ له قدحاً من اللبن الرائب الممزوج بالماء ووضعت فيه الثلج ثمّ مزجته بإصبعي لأُقدّمه له ، فاستنكف عن شربه وقال : لا تمزج بإصبعك !

وفي يوم **تاسوعاء** جرى قراءة زيارة **عاشوراء** في منزله ، ثمّ اللعن مائة مرّة والسلام مائة مرّة ، ثمّ قُرئ دعاء **علقمة** بعد صلاة الزيارة ؛ فسأل أحد الحاضرين في نهاية الدعاء : كيف تنسجم هذه اللعنات الشديدة الأكيدة بهذه المضامين المختلفة مع روح الإمام الصادق عليه السلام التي كانت مركزاً ومنبعاً للرحمة والمحبة ؟! ففي هذا الدعاء الذي يبدأ بـ «**يَا اللَهُ يَا اللَهُ يَا اللَهُ يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ**» يصل إلى القول :

اللَهُمَّ مَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ ! وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ ! وَاصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُ وَمَكْرَهُ وَبَأْسَهُ وَأَمَانِيَّهُ ! وَامْنَعْهُ عَنِّي كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّى شِئْتَ !

١ـ الآية ٩٢ ، من السورة ٣ : آل عمران .

اللَهُمَّ اشْغَلْهُ عَنِّي بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ ، وَبِبَلَاءٍ لَا تَسْتُرُهُ ، وَبِفَاقَةٍ لَا تَسُدُّهَا ، وَبِسُقْمٍ لَا تُعَافِيهِ ، وَذُلٍّ لَا تُعِزُّهُ ، وَبِمَسْكَنَةٍ لَا تَجْبُرُهَا!

اَللَهُمَّ اضْرِبْ بِالذُّلِّ نَصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الفَقْرَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَالعِلَّةَ وَالسُّقْمَ فِي بَدَنِهِ ؛ حَتَّى تَشْغَلَهُ عَنِّي بِشُغْلٍ شَاغِلٍ لَا فَرَاغَ لَهُ ، وَأَنْسِهِ ذِكْرِي كَمَا أَنْسَيْتَهُ ذِكْرَكَ ، وَخُذْ عَنِّي بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَقَلْبِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ السُّقْمَ ، وَلَا تَشْفِهِ حَتَّى تَجْعَلَ ذَلِكَ لَهُ شُغْلاً شَاغِلاً بِهِ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي . وَاكْفِنِي مَا لَا يَكْفِي سِوَاكَ ؛ فَإِنَّكَ الكَافِي لَا كَافِيَ سِوَاكَ ، وَمُفَرِّجٌ لَا مُفَرِّجَ سِوَاكَ ، وَمُغِيثٌ لَا مُغِيثَ سِوَاكَ ، وَجَارٌ لَا جَارَ سِوَاكَ.[1]

فكان جوابه على ذلك : أنّ هذا الدعاء كلّه طلب للخير والرحمة ، بالرغم من ظهوره بعبارات وكلمات اللعن . وبشكل عامّ فإنّ جميع اللعنات التي ترد على لسان الله تعالى أو على لسان النبيّ والأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي كلّها خير محض ؛ فلا ينضح عن الله وأوليائه غير الخير .

وتنصبّ جميع هذه اللعنات على الشخص المعتدي ، لا المؤمن المتّقي المشغول بعمله ؛ فمهما أُعطي ذلك المعتدي الظالم عمراً وصحّة وقدرة ، صرفها جميعاً في إضراره بالآخرين واعتدائه على حرمة المظلومين . ومن ثمّ فإنّ في تحديد سلامته وقدرته وحياته دفعاً للضرر ، ودفع الضرر ليس في الحقيقة إلّا نفعاً . وقد يخيّل إلينا بهذه النظرة الطبيعيّة

١ـ دعاء عَلْقَمة المعروف ، في «زاد المعاد» للمجلسيّ ، ص ٣٠٥ ، الباب ٦ ، في أعمال شهر المحرّم ، طبعة الحاجّ الشيخ فضل الله نوري ، بخطّ مصطفى نجم آبادي ، سنة ١٣٢١.

والحسّيّة أنّ الخير هو على الدوام في السلامة والقدرة والحياة ، من دون ملاحظة لواقعيّة الحياة في النيّة الحسنة أو السيّئة وفي الإرادة الحسنة أو السيّئة وفي الاعتقاد الحسن أو السيّئ ، لكن الأمر ليس كذلك إذ ينبغي أيضاً ملاحظة المعنى ؛ فالحياة خير للإنسان حين تكون منشأ خير لنفسه وللآخرين ، أمّا لو صارت منشأً للشرّ ، فإنّ إطالة عمره وزيادة سلامته وصحّته وزيادة قدرته ستؤدّي إلى ظلمه لنفسه وتعدّيه وتجاوزه على حرمة البشريّة ، ولا خير في تلك الحياة هنا ، ولا يصدق عليها عنوان الخير .[1]

١ـ ينقل في هامش «مفاتيح الجنان» ص ٣٥١ و ٣٥٢ ، كتاب الباقيات الصالحات ، الفصل ٤ ، من الباب ٤ ، الطبعة الإسلاميّة ، بخطّ طاهر خوش نويس ، سنة ١٣٧٩ هـ.ق دعاء عن الإمام محمّد التقيّ عليه السلام أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله كان يقول حين يفرغ من الصلاة:

اللَهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَإسْرَافِي عَلَى نَفْسِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . اللَهُمَّ أَنْتَ المُقَدِّمُ وَالمُؤَخِّرُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَجْمَعِينَ . مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي فَأَحْيِنِي ، وَتَوَفَّنِي إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي ـ إلى آخر الدعاء.

وورد في «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ضمن دعاء الاستخارة وهو الدعاء الثالث والثلاثين: **وَأَلْهِمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِن مَشِيَّتِكَ حَتَّى لَا نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا نُكْرِهَ مَا أَحْبَبْتَ وَلَا نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ .**

وفي نهاية دعاء أبي حمزة الثماليّ الذي يُقرأ في أسحار شهر رمضان (والوارد في «مفاتيح الجنان» : ص ١٩٨) يضرع الإمام زين العابدين عليه السلام في فناء ربّ العزّة : **اللَهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي ، وَيَقِيناً حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إلَّا مَا كَتَبْتَ لِي ، وَرَضِّنِي مِنَ العَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .**

ومعنى «**إيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي**» : يا ربّ لتكن لك أنت المباشرة في قلبي وفي اختيار أُموري ، واسلبْ بهذه المباشرة ـ بلا رادع أو مانع من إرادتي واختياري أو إرادة واختيار آخر ـ كلّ إرادة لي في محيط الأعمال والأفعال والصفات والعقائد والقصد والنيّة ، واجعل إرادتك بدل إرادتي ، أي لتكن إرادتي عين إرادتك . وهو معنى عظيم في مقام التوحيد ودرجة ⇦

وفي هذه الحال وفي هذا الفرض ، فإنّ ضدّه سيكون خيراً . أي أنّ الموت والمرض والمسكنة لهذا الرجل خير ، ولو لم يكن هو أو الآخرون يعلمون بذلك . فحين يستأصل مبضع الجرّاح عضواً فاسداً ، فإنّه يقوم بعمل خير ولو استلزم المرض والتخدير وإراقة دم المريض وتناول الأدوية المرّة ؛ وعلى الرغم من أنّ ذلك العضو الفاسد يعتبر نفسه صالحاً ، إلّا أنّ الحقيقة ليست كذلك .

وليست الرحمة مقرونة دائماً بالسمنة وتناول الأغذية الدسمة والحلويّات ، بل هي أحياناً في الهزال وتحمل الجوع والقنوع بتناول الأطعمة البسيطة . ومن شأن الطفل أن يطلب من أبيه الحلويّات ، لكنّ أباه العطوف لا يعطيه ذلك دوماً بل يعطيه منها أحياناً وبقدر معيّن ، فذلك خير للطفل ورحمة .كما أنّه يُعطيه أحياناً المسهل والمرّ ، ويزرقه أحياناً أُخرى بحقن الدواء ، ويُرقده على سرير المستشفى لإجراء عمليّة جراحيّة ، ويمنعه من اللعب ؛ فلا يرضى الطفل بهذا الأُسلوب ، لأنّه يرغب دوماً في الركض واللعب وتناول الحلوى ، لذا فإنّه ينتقد أباه لحصره ولمنعه له

⇦ عالية عرفانيّة.

والجدير بالملاحظة هنا أنّ هذه الفقرات المشتركة تتكرّر في جميع أدعية العشر الثالثة من ليالي شهر رمضان المبارك ، بالرغم من اختلاف الأدعية في مضامينها الأُخرى: **لَكَ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالأَمْثَالُ العُلْيَا وَالكِبْرِيَاءُ وَالآلَاءُ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَجْعَلَ اسْمِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي السُّعَدَاءِ وَرُوحِي مَعَ الشُّهَدَاءِ وَإحْسَانِي فِي عِلِّيِّينَ وَإسَاءَتِي مَغْفُورَةً ، وَأَنْ تَهَبَ لِي يَقِيناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي وَإيمَاناً يُذْهِبُ الشَّكَّ عَنِّي وَرَضِّنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي**. («مفاتيح الجنان» ص ٢٢٨ إلى ٢٣٣) كما ورد في «الصحيفة العلويّة الثانية» ص ٥٢، الطبعة الحجريّة ، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام : **اللَهُمَّ مُنَّ عَلَيَّ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ وَالتَّفْوِيضِ إلَيْكَ وَالرِّضَا بِقَدَرِكَ وَالتَّسْلِيمِ لِأمْرِكَ ، حَتَّى لَا أُحِبُّ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ وَلَا تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ ؛ يَا رَبَّ العَالَمِينَ**.

ولربّما خطر في باله أنّ أباه عدوّ له وشخص يتعمّد إيذاءه ! لكنّ حقيقة الأمر وواقعه غير ذلك ، فلقد كانت جميع تصرّفات الأب خيراً للطفل ورحمة لأنّها توجب حياته ولو جهل الطفل ذلك ولم يرضاه . لذا نرى الأب ينزعج كثيراً ممّا ينتاب طفله من سوء ، فيستعصي عليه النوم ويقف في المستشفى ساهراً عند سرير طفله وهو ما يمثّل عين الرحمة .

وقد تتجلّى الرحمة أحياناً في مجال الإعطاء وتقديم الحلوى ، وأحياناً في المنع وزرق المغذّي في الوريد ، وكلاهما رحمة بمظهرَينِ وكيفيتَينِ .

ولقد جاء الأنبياء والأئمّة من أجل الحياة الحقيقيّة والسعادة الخالدة للبشر وتركّزت رسالاتهم وانصبّت في هذا المجال ، لذا فأينما تعارضت الحياة الواقعيّة الحقيقيّة مع الحياة الطبيعيّة ، والصحّة الحقيقيّة مع الصحّة المجازيّة ، والقدرة الأصيلة مع القدرة الاعتباريّة ؛ غضّوا عن الثانية لحفظ الأُولى . فهم يُصدرون الأمر بالجهاد فيقتلون المشركين والكفّار ويؤدّبون المنافقين ويعاقبون المجرمين ، وهي جميعاً خير لإيصال الشخص المعتدي والظالم للهدف الإنسانيّ الرفيع .

كما أنّ عرك الأُذن للتأديب ، والإصابة بالإقعاد ، والفقر والفاقة ، والمرض وانحراف الصحّة هي خير جميعاً ، لأنّها تنبّه الإنسان وتعيده لنفسه ، وتقلّل من التمادي والغرور للنفس الأمّارة وتمنح الإنسان أصالة ، فهي خير ورحمة إذاً ـ انتهى مفاد ومحصّل جواب السيّد .

ويشاهد نظير هذا الدعاء في الكثير من الأدعية المرويّة عن الأئمّة الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن بينها دعاء الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليهما السلام الوارد في «الصحيفة الكاملة» في شأن حرّاس وحَفَظَة ثغور الإسلام والمسلمين ؛ فهو بعد أن يدعو لهم دعاء الخير والرحمة مفصّلاً ، يدعو في ساحة الربّ بشأن

أعدائهم الذين يواجهونهم :

اللَهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ المَدَدَ ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ العَدَدَ ، وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمْ الرُّعْبَ ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ .

اللَهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ ، وَيَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ ، وَلَا لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ ![1]

وعلى كلّ حال ، فلقد تشرّف الحقير في هذا السفر ـ كما فعل في السفر السابق ـ بالذهاب إلى النجف الأشرف أيّام عيد الغدير وأقمتُ هناك عشرة أيّام ، لكنّ السيّد الحدّاد لم يتشرّف هذه المرّة بالمجيء إلى النجف ؛ ثمّ عدتُ إلى كربلاء فبقيتُ إلى ما بعد شهادة الإمام بثلاثة أيّام ، وتشرّفت بعد ذلك بزيارة الكاظمين وسامرّاء بصحبة السيّد الحدّاد ، ثمّ عدت إلى طهران في أوائل العشرة الثالثة من محرّم الحرام .

١ـ الدعاء السابع والعشرون من دعائه عليه السلام لأهل الثغور : الفقرتان ٥ و٦ .

القسم الرابع

السفر الثالث للحقير إلى العتبات المقدسة

سنة ١٣٨٥ هجرية قمرية

السفر الثالث للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٨٥ هجريّة قمريّة

لقد كان محلّ نوم واستراحة عائلة السيّد الحدّاد وزوجات أبنائه في المنزل المستأجر الأخير خلال فصل الصيف منحصراً في سطح المنزل ، فمن المعهود عند عرب النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة أن يصعدوا في الليالي إلى سطوح منازلهم المسيّجة في فصل الصيف ، ذلك لأنّ شدّة الحرّ تجبرهم على النوم في الأماكن المرتفعة المكشوفة وتجعل الغرف غير صالحة كأماكن للنوم والاستراحة . وكنت مجبراً في سفري وحلولي على سماحة السيّد الحدّاد في منزله المستأجر هذا خلال فصل الربيع وأشهره الأخيرة على النوم مع سماحته على السطح ليلاً ، فكانت النساء يرقدن في الغرف ، وكنّ بالطبع يتحمّلن الأذى في ذلك ، وكان السطح مكشوفاً لا يمكن تجزئته ؛ لذا فقد قرّر الحقير أنّه من الأفضل أن تكون سفراتي الآتية للتشرّف بزيارة العتبات المقدّسة في فصل غير فصل الحرّ ، كي لا يسبّب ذلك الأذى لأهل بيت السيّد وعائلته ، وقد فاتحته بهذا الأمر فأيّد ذلك وأقرّه .

هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى فقد سمعتُ بنيّة السيّد على الذهاب لحجّ بيت الله الحرام هذه السنة ، حيث يستوعب سفره شهرَي ذي القعدة وذي الحجّة . ومن ثمّ فقد اخترت وقوع السفر التالي في فصل الشتاء وذلك للقيام بالزيارة **الرجبيّة والشعبانيّة** ، وهكذا تحرّكت نحو الكاظميّة قبل حلول شهر جمادى الآخرة لسنة ١٣٨٥ هجريّة قمريّة بأيّام ، حيث توقّفت

فيها عدّة أيّام لزيارة **ذينك الإمامين الهمامين** . ثمّ توجّهت صوب كربلاء وحللتُ في منزل سماحة السيّد الحدّاد فقضيت ليالي وأيّاماً في محضره المبارك .

وقد شرَّفنا بالمجئ صباح أحد أيّام الزيارة الرجبيّة تلك ، صديق الحقير الحميم ورفيقه الشفيق ، النزيه الفاضل من أهل الفضل : سماحة **آية الله السيّد إبراهيم خسروشاهي الكرمانشاهيّ** أدام الله أيّام بركاته حيث قَدِمَ للالتقاء بالحقير وكذلك لزيارة سماحة **الحاجّ السيّد الحدّاد** ضمناً . وكنتُ جالساً في زاوية الغرفة والسيّد الحدّاد نائماً في الجانب الآخر من الغرفة يتردّد صوت أنفاسه في النوم بشكل واضح .

وكان الحقير قد بحث سابقاً بشكل مفصّل مع هذا الصديق الذي يفوق الأخ في عطفه ، والأكثر إخلاصاً من كلّ صاحب وصديق ، والأكثر خلوصاً وتنزّهاً عن أيّ نوع من الشوائب والأوهام بشأن عظمة سماحة السيّد الحدّاد وقدرته العلميّة والتوحيديّة وسعة علومه الملكوتيّة وارداته القلبيّة ، والإجلال والإكرام اللذين كانا يبديهما له الأُستاذ الأعظم **آية الله الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي** قدّس الله تربته .

ومن ثمّ فقد دعوتُه بشكل جادّ إلى التبعيّة والتسليم مقابل **ولاية السيّد الحدّاد** ، وقلت له : لقد طفتم عمراً باحثين عن المعارف الإلهيّة ، ولم تتورّعوا عن بذل كلّ مسعى لكشف الحجب وللشهود العيانيّ ، بل إنّ السيّد الحدّاد يمثّل أُمنيتكم الكامنة في صدركم الشريف ، فلقد بحثتم عن إنسان كامل تسلّمون أنفسكم إليه على يقين وبيّنة ! فها هو ذا أمامكم نائماً في تلك الزاوية من الغرفة . ولقد تشرّفتم بالمجيء إلى كربلاء عدّة أيّام ، فتعالوا هنا وأنا معكم ، والأمل كبير إن شاء الله تعالى في أن تُقضى حوائجكم وتُحلّ مشاكلكم .

فقال : أخاف ألّا يكون هو من أبغي ، وحينذاك سأتورّط في الأمر ولن يكون لي من طريق للنجاة والخلاص .

قلتُ : لستم طفلاً قاصراً أو سفيهاً لتُخدعوا أو تضلّلوا ، فأنتم بحمد الله ومنّه من العلماء الذين لهم سابقتهم وفضلهم ولهم معرفتهم بالقرآن وبأخبار المعصومين عليهم السلام ، ولقد درستم دروس الحكمة عند **أُستاذنا العلّامة آية الله السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ** قدّس الله نفسه الشريفة ، وفهمتم جيّداً «شرح منازل السائرين» و«شرح القيصري» و«الفتوحات المكّيّة» لمحيي الدين بن عربي ، فليس مقبولاً مع كلّ هذه الأُمور أن تقولوا : إنّني أُخدع ، أو إنّني أتورّط في ورطة لا أمل في النجاة منها ! إنّ أحداً لا يُجبركم ،كما أنّ أحداً لا يدعوكم للتسليم لمحضره ؛ بل تعالوا بأنفسكم كشخص عادي وسلوا عن مشكلاتكم بكلّ حرّيّة ، ثمّ انظروا هل سيمكنه حلّها أم لا ؟! اختبروه في قدرة التوحيد والوصول إلى أعلى درجة اليقين ، وانظروا هل تجدون فيه ـ وهو الرجل العادي الحدّاد صانع النعل ـ ما قرأتموه وسمعتموه أم لا ؟

فإن لم تجدوا ذلك ، فإنّ شيئاً لن يضيركم وستستمرّون على انتهاج طريقكم السابق ، وإذا ما وجدتموه حائزاً للشرائط التي تتطلبونها بأنفسكم فالتزموا بتعاليمه . على أنّه ليس بالشخص الذي يفتح بابه لكلّ وارد ، وأنتم ترون انزواءه وعزلته وأنّ أحداً لا يطرق باب بيته ، وأنّه غير متفرّغ لمثل هذه الأُمور ؛ ولكن بناءً على العطف والمحبّة اللذان أبداهما للحقير بكرمه ولطفه ، فسأتوسّط في الأمر وأطلب منه ذلك ، وإذا ما وافق فلربّما ستجدون ضالّتكم المنشودة هنا !

إن هذا الرجل أُستاذ كامل خبير في العلوم العرفانيّة والمشاهدات الربّانيّة ، فهو يرفض الكثير من كلمات محيي الدين بن عربي وينقد

أُصولها ويُبَيِّن جانب الخطأ لديه ، فسلوه عن أعقد مطالب «منظومة» الحاجّ السبزواريّ و«أسفار» الآخوند وأقوال «شرح فصوص الحكم» و«مصباح الأُنس» و«شرح النصوص» الأشدّ إبهاماً وغموضاً ، وانظروا من أيّ أُفق سيطلع ، وكيف سيجيب ويعدّد مطالبها الصحيحة والسقيمة ! هذا الرجل لا ينام ، بل هو يقظ على الدوام ، يقظ في النوم والصحو ؛ نومه واستيقاظه على حدّ سواء ، فهو يغمض عينيه لكنّ قلبه صاحٍ متيقِّظ ، فما الذي تريدونه أكثر من هذا ؟!

قال : لو كان كما تقول ، فها هو الآن نائم ، فسله عن أمرٍ ما لنرى كيف يفهم في نومه ويجيب !

قلتُ : لا مانع عندي من السؤال ، ولكن أيليق برجل عظيم كهذا أن نُهبطه من ذلك العلو الملكوتيّ الروحيّ والمحو في جمال الحقّ ، فنسأل منه مطلباً للامتحان فقط ؟! إنّني لم يسبق لي أن قمت بمثل هذه الاختبارات ؛ وما هو مشهود لديّ قد تحقّق بنفسه تلقائيّاً .

وأخيراً استيقظ السيّد وذهب لتجديد وضوئه ، ثمّ عاد بعد أن توضّأ وجلسنا لتناول طعام الفطور . فقال لي السيّد إبراهيم : لا مجال لديّ الآن ، فأنا في زيارة لكربلاء لعدّة أيّام ـ ربّما لأنّه كان يرافق جماعة في سفره ـ وسيبقى ذلك إلى وقتٍ آخر إن شاء الله ، عسى الله أن يوفّقني له .

وهكذا فقد انقضى ما حصل اليوم . فلمّا كان اليوم التالي استيقظ السيّد من النوم ، فكان يتكلّم مع نفسه في الفراش : «**يقال عنه : إنّه لا ينام. يقول : لا أذكرُ في جميع عمري أنّني بقيتُ ليلةً لم أنم فيها ؛ فما الذي سيعود علينا لطفه ؟ فهو ليس لنا !**».

وكان الحقير قد دعى هذا الصديق المكرّم ـ قبل دعوتي له للسيّد هاشم ـ إلى المرحوم آية الله **الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ** قدّس الله تربته

زمن حياته ، وألححتُ عليه بإصرار وقلت له : إنّ ضالّتك عند هذا الرجل ، فهو **رجل إلهيّ** ذو صفات إلهيّة ، رجلٌ تخطّى نفسه وتجاوزها وفاز بدرجة **المخلَصين** .

وكان قد قبل دعوة الحقير يوماً وشرّفني بتناول طعام الغداء وكنت آنذاك في النجف الأشرف للتحصيل والدرس . فجلسنا في السرداب المتعارف للمنزل الذي ابتاعه الحقير في **محلّة العمارة** جنب السور نتحدّث حول مقامات وكمالات المرحوم الأنصاريّ من وقت الغداء ، أي بعد الفريضة لساعتين تقريباً . وكنتُ أعلم أن الحاجّ السيّد إبراهيم ـ شأنه شأن الحقير ـ والهٌ قد أضناه التمزّق ، فهو يبحث عن ضالّته المنشودة من سالف الأيّام ، لذا فقد أحببتُ كثيراً أن أدعوه هو الآخر إلى انتهاج السلوك العمليّ والعرفانيّ للمرحوم آية الله الأنصاريّ ومشيه ومنهجه .

فقال : أجل ، لقد كتبتُ قبل عدّة سنوات من مدينة قم (محلّ سكناه وتحصيله) رسالةً إلى آية الله الأنصاريّ سألته فيها عن أُمور أردت معرفتها ، فأجاب المرحوم الأنصاريّ على رسالتي بمحبّته ولطفه الوافر ، وأشار فيها إلى أنّ الطريق مفتوح ؛ لكنّي تعلّلت بعد ذلك بعلل ولم أُتابع الأمر لجهات عديدة .

منها : أنّه معروف في همدان بالتصوّف ، وواضح أنّ نهجنا وطريقتنا غير طريقة الصوفيّة ونهجهم .

ومنها : أنّ بعض علماء همدان وأئمّة الجماعة فيها ينتقده ولا يذكره بخير .

ومنها : أنّ السيّد ... نقل أنّ أحد أصحاب الأنصاريّ انتابته في جلسته حالة من التغيير وانقلاب الحال ، فادّعى الوصل ومشاهدات العالم الربوبيّ ، ثمّ عرضت له حالة تقيّؤ ، فاستبان أنّ انقلاب حاله وادّعاءه الوصل

والمشاهدة كانا من الإفراط في الأكل وامتلاء معدته وأمعائه .

فقال الحقير : لقد رافقتُ المرحوم الأنصاريّ في النجف الأشرف شهرين كاملين ، وصحبتُه في سفره إلى همدان لأُسبوعين كاملين شهدت فيها عن قرب حالاته ومقاماته وكمالاته وشدّة عبوديّته وعاينت حرصه المفرط على احترام الشريعة ، والذي كان بدرجة شديدة ربّما بدت أحياناً في نظر الحقير إفراطاً . ثمّ قصصتُ عليه عدّة قضايا ووقائع بالتفصيل .

ومن ثمّ فإنّ جميع هذه الأُمور المنقولة عنه كذب محض وافتراء ، **فأوّلاً** : أنّ المرحوم الأنصاريّ يخالف بشدّة طريقة الصوفيّين ، فقد كان يعدّ ذلك الطريق طريقاً لترقّي النفس وتقويتها لا طريقاً لفَناء النفس . وكان قد صرّح : أنّ طريق التكامل يكمن في الإتيان بأعمال التقرّب سواءً كان لها ظهور أم لم يكن .

نعم ، إنّ في عرف العوامّ والمحصّلين الجهلة عندنا أنّهم يلقّبون بالصوفيّ كلّ من يصلّي صلوات النافلة الليليّة والنهاريّة ويقوم بالإتيان بالسجدات الطويلة ويسعى وراء الحلال ، ويجتنب مجالس اللهو والغِيبة والكذب وأمثالها بشكل جادّ وحازم ويبتعد قدراً ـ لإصلاح نفسه ـ عن عامّة الناس من عبدة الدنيا . و ليس هذا إلّا من تعاسة وشقاء الوعّاظ غير المتّعظين ، فكيف بالعوامّ من الناس !

ألم يدعوا المرحوم الآخوند الملّا حسين قُلي الهمدانيّ في النجف صوفيّاً ؟! ألم يدعوا المرحوم الحاجّ الميرزا علي آقا القاضي صوفيّاً ؟! ألم يسمّوا المرحوم الحاجّ الشيخ محمّد حسين الإصفهانيّ الكمبانيّ صوفيّاً ، وقاموا بإحراق رسالته المطبوعة في المطبعة بهذه التهمة ؟! ألم يعدّوا المرحوم الحاجّ الميرزا جواد آقا التبريزيّ الملكيّ صوفيّاً ؟!

فيا أيّها العزيز ! ينبغي عدم الإصغاء لكلام المغرضين والمعاندين

واللاهثين وراء الدنيا وعَبدتها ولو تلبّسوا بلباس أهل العلم ، وإلّا فاتتك القافلة إلى يوم القيامة !

وثانياً : أنّ الأعاظم من علماء همدان ، كالحاجّ الشيخ هادي التألّهيّ ، والآقا الآخوند ملّا علي المعصوميّ الهمدانيّ وأمثالهما يمتدحونه بالقدسيّة والورع المفرط . فلماذا لا تسألون هؤلاء عن أحوال الأنصاريّ ليصفونه لكم بمرتبة تفوق مرتبة العدالة ولتتّضح لكم ـ بإقرارهم وعجزهم عن إدراك معلومات الأنصاريّ لقصور معلوماتهم ـ كمالاتُه بشكل مشهود ؟!

وثالثاً : أنّ تلامذة ومريدي المرحوم الأنصاريّ في همدان لا يتعدّون عدّة أشخاص وهذه هي أسماؤهم : الحاجّ محمّد البيك زاده ، الحاجّ السيّد أحمد الحسينيّ ، الحاجّ غلام حسين السبزواريّ ، غلام حسين الهمايونيّ ، محمّد حسن البياتيّ ، إبراهيم إسلاميّة ، ومحسن بينا ؛ أمّا بيان أحوالهم وترجمتهم فهو أشهر من الشمس في سطوعها ، فلأيّ شخص منهم حيكت هذه القصّة المختلقة فوصلت إلى قم ؛ حتّى ينتقد السيّد ... على المنبر المرحومَ الأنصاريّ تلويحاً وكناية بما هو **أبلغ من التصريح** ؟!

فلا تتصوّروا أنّ اتّهام أشخاص كهؤلاء أمر يسير ! وسيكون لكلّ منهم موقف يوم القيامة يعترضون فيه سبيل من اتّهمهم ويستوقفونه فلا يدعونه يتقدّم خطوةً واحدة ما لم يُجِب على ما فعل ، وليست تلك المواقف إلّا مواقف جزئيّة قبل الوصول إلى المواقف الكلّيّة والعظيمة .

فقال الحاجّ السيّد إبراهيم : أخشى أن أذهب إلى بيته في همدان فيصبح نفس ذهابي ـ ولو كان للتحقيق واستجلاء الأمر والحقيقة ـ في حال تبيّن خلاف الأمر ، تأييداً للباطل ؛ لأنّ ذهابي وأنا في لباس أهل العلم وزيّهم ليس كذهاب شخص عاديّ ولربّما صار لا سمح الله إمضاءً وتأييداً للباطل ونشراً له .

فقلت : فاذهبوا ليلاً ! اذهبوا سرّاً ! ضعوا عباءتكم فوق رأسكم واذهبوا ! ولا تذهبوا إلى منزله بل إلى منزل رفقائه الذين يذهب إليهم ! فلقد وضع الله سبحانه طرقاً متعدّدة . **مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَّ وَجَدَ ، وَمَنْ قَرَعَ باباً وَلَجَّ وَلَجَ** .[1]

وبعد اللتيّا والتي قال لي : استخيروا لي ! فاستخرت الله فطالعتنا هذه الآية :

بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ـ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَهِ شَدِيدٌ .[2]

ولم يقل لي لأيّ شيء كانت الاستخارة لكنّها كانت بعد تلك المذاكرة ، فحدستُ أنّها كانت للذهاب إلى همدان والحضور عند المرحوم الأنصاريّ قدّس الله نفسه . ثمّ قرأت عليه الآية فقال : من الواضح أنّها سيّئة . وانقطع الحديث بيننا بشأن آية الله الأنصاريّ إلى اليوم .

وقد ذكرتُ ذلك الأمر بعد مرور سنة إلى أحد السالكين[3] فقال : لقد

١ـ أورد في «نهج الفصاحة» لأبي القاسم باينده ، ص ٦٢٢ ، الحديث ٣٠٦٢، طبعة انتشارات جاويدان ، سنة ١٣٦٧ هـ ؛ وفي «وهج الفصاحة» لعلاء الدين الأعلميّ ، ص ٥٩٤ ، الحديث ٢٩٧٧ ، الطبعة الأُولى من منشورات مؤسّسة الأعلميّ ، بيروت ، ١٤٠٨ ، من كلمات رسول‌الله صلّى الله عليه وآله ، قال : **مَنْ طَلَبَ شَيْئاً وَجَدَّ وَجَدَ** . وأورد في «نهج الفصاحة» ص ٦٢٢ ، الحديث ٣٠٦٥ ؛ وفي «وهج الفصاحة» ص ٦٠٢ ، الحديث ٣٠٨٠ ، أنّه صلّى‌الله عليه وآله قال : **مَنْ يُدِمْ قَرْعَ البَابِ يُوشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ** .

٢ـ الآيتان ١ و٢ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣ـ وهو سماحة ثقة الإسلام العالم المعروف وصديقنا العزيز المتوفّى : السيّد عبدالله الفاطميّ الشيرازيّ رضوان الله عليه.

أخطأ في ذلك ، فهذه الآية لهذا القصد جيّدة جدّاً ؛ فهي تدلّ على أنّه لو ذهب إلى همدان وحضر عند آية الله الأنصاريّ لقامت قيامته ولزلزلت الزلزلة الملكوتيّة والجذبات الجلاليّة أركان وجوده ، ولأفنت كلّ أثر من شوائب الوجود والوجود المجازيّ المُعار فيه ، ولوصل إلى مقام الفناء المطلق ، فهذا هو تعبير هذه الآية وتفسيرها لهذا الغرض والهدف .

ومن الجدير بالذكر أنّ الصديق العزيز آية الله الحاجّ السيّد إبراهيم كان سابقاً في قم من التلامذة والمريدين المخلصين **لآية الله المرحوم الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ محمّد زادة** قدّس الله نفسه ، والمجدّين في دروسه الأخلاقيّة ونهجه وطريقته ، وكان ذلك المرحوم عالماً جليلاً متخلّقاً ومؤدّباً بالآداب الشرعيّة . وكان قد اختار الابتعاد في قم عن أبناء الدنيا في فترة اشتداد الانحراف والعمى في عهد البهلويّ الكبير ، فذهب إلى آخر المدينة وبنى بيتاً قرب مزارع الرمّان . وكانت له حكايات شيّقة في التوسّل بإمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه ، ودعوة طلّاب قم ومعاشريه إلى تجنّب آداب الكفر ، والابتعاد عن الحضارة الغربيّة الضالّة والمضلّة . وكان رجلاً مجاهداً صريح اللهجة ، وله علاقة صداقة حميمة وقرابة صميميّة وكمال المراودة والمعرفة مع الفقيد السعيد القائد الكبير للثورة الإسلاميّة آية الله الخمينيّ قدّس الله نفسه .[1]

١ـ كان عمر الحاجّ الشيخ عبّاس يزيد كثيراً على عمر آية الله الخمينيّ وآية الله الگلبايگاني ، وكان يقول : في الوقت الذي كنت أنا والحاجّ السيّد أحمد الخونساريّ والحاجّ الشيخ محمّدعلي الأراكيّ نذهب إلى درس الحاجّ الشيخ عبد الكريم الحائريّ ، كان آية الله الگلبايگانيّ وآية الله الخمينيّ يدرسان «المطوّل» . وكان يقول : رأيتُ في النوم ذات ليلة أنّي ذهبت إلى وليمة ، فلمّا أمسكت بلقمة رأيت السيّد الگلبايگانيّ قد أسرع فأخذها وتناولها. ثمّ قال بعد ذلك : وتأويل ذلك أنّه سيصبح مرجعاً . وكان اسم والد آية الله الحاجّ الشيخ ⇦

....

⇦ عبّاس الطهرانيّ : الحاجّ محمّد السيگاريّ .

ويلزم هنا بيان تفسير رؤياه وتوضيحه لئلّا يتصوّر بعض من غير ذوي المعرفة أنّ هدف مرجعيّة الشيعة التي تمثّل النيابة الحقّة عن مقام الإمامة ، هو الوصول إلى زخارف الدنيا والتمتّع باللذائذ الحيوانيّة ، بل إنّ الأمر على العكس من ذلك تماماً ، وليس للمراجع الحقّة الشيعيّة إلّا تحمّل ثقل المشكلات والصعوبات والأذى . كلّ ذلك إبقاءً للشريعة الحقّة منزّهة عن تلاعب أيدي الأجانب والمخالفين ، ولتربية تلامذة حقيقيّين وواقعيّين للنهج الجعفريّ ولإحياء علوم التشيّع وآدابه عند الشيعة .

ولقد كان المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ سالكاً ومراقباً لنفسه ، فهذه النِّعَم الدنيويّة واللذائذ المادّيّة والشهويّة تتجسّم للسالكين في طريق الله في عالم النوم والرؤيا بشكل آخر ، وهكذا الأمر بالنسبة للنِّعَم المعنويّة والروحيّة ونِعم الجنّة التي تتجلّى لهم بصورة أُخرى غير تلك التي يراها الناس العاديّين في منامهم . وبعبارة أُخرى فإنّ تعبير رؤيا السالكين يختلف عن تعبير نفس الرؤيا لغير السالكين . فالسالك يطوي الطريق إلى الله، وهذا الطريق عبارة عن العبور من النفس الأمّارة وترك المشتهيات المادّيّة واللذائذ الشهويّة للّه وفي الله . وترك هذه الأُمور ـ الذي عين أعمال التقرّب إلى الله ـ يتمثّل للسالك في النوم بصورة طعام لذيذ وفاكهة حلوة وبشكل روضة وبُستان وحشائش خضراء وماء صاف زلال .

أي أنّ السالك حين يمتنع اليوم ـ مثلاً ـ عن تناول تفّاحة فيعطيها ليتيم ، يرى في رؤياه أنّه منهمك بتناول تفّاحة كبيرة ذات لون ومذاق لطيف ، وإذا ما قدّم السالك أحياناً لذّة نفسه فإنّه يرى تلك الليلة كأنّ عقرباً تلسعه . لذا فإنّ رؤيا المريدين والسالكين إلى الله هي بأجمعها رؤيا جميلة مفرحة ومُبهجة ، على الرغم من ابتلائهم في الدنيا بأشدّ أنواع الفقر والمسكنة وتحمّلهم لأقسى أذى الناس .

ويستبين بهذا التوضيح المختصر الذي قُدّم هنا أنّ مائدة طعام الوليمة التي حضرها الحاجّ الشيخ عبّاس والسيّد الگلبايگانيّ كانت مائدة معنويّة ومائدة من الجنّة ، أي أنّها جزاء وثواب المرارات وتحمّل المشاكل في الدنيا في سبيل الله ، حيث توفّي الحاجّ الشيخ عبّاس قبل ثلاثين سنة فلم يصبح مرجعاً ، ويتفضّل الله على السيّد الگلبايگانيّ بطول العمر لينهض بهذا العبء . ولقد كانت أتعاب آية الله الگلبايگانيّ لإبقاء الحوزة المقدّسة العلميّة في قم ⇦

وقد استفاد الحقير من المحضر الشريف لآية الله الطهرانيّ ، وكنتُ أذهب في بعض أيّام الجمعة حين تشرّفت بالتحصيل والدرس في الحوزة المباركة في قم ، بمعيّة السيّد إبراهيم فنستفيد من محضره المنوّر ، ويفيض علينا من مواعظه ونصائحه. وكان له بعض الحالات الروحيّة التي تكشف عن نوع من الاتّصال ، لكنّ الآلام الشديدة التي كان يعاني منها في بطنه وقرحة المعدة التي أقعدته لسنين متمادية من جهة ، والمحافظة على الأسرار من جهة أُخرى ، لم تكونا لتسمحان له أن يكشف الستار عن الطلعة التي تختفي وراءه ويبيّن الحقائق كما فعل العلّامة الطباطبائيّ وآية الله الأنصاريّ .

وكان يقول : لقد وجدتُ **جوهرة في خَرِبَة** ، فلستُ أعلم طريق العثور عليها . ولقد سأله الحقير يوماً عن التوحيد الأفعاليّ فقال : صَهْ ! هذا من الأسرار ! واعلمْ إجمالاً أنّ جميع الأُمور من الله تعالى !

وهكذا فلم تتوثّق بيننا علاقة الأُستاذ والتلميذ ، لكنّني كنت أتشرّف بالحضور عنده بوصفه عالماً جليلاً مخلصاً ذا فؤاد كليل ، وله حُرقة ولوعة خاصّة عند قراءة دعاء الندبة . وحقّاً فلم يكن ليمنع شيئاً أو يبخل بشيء ، ولقد صار الكثير من مواعظه يتصدّر برنامج حياة الحقير حتّى اليوم . رحمة الله عليه رحمة واسعة .

لقد كان سماحة آية الله العلّامة فقط هو أُستاذ الحقير في السلوك

⇦ والحفاظ عليها أتعاباً تستحقّ التقدير ، ولقد بيّن بنفسه للحقير بعضها قبل عصر الثورة وبعده في مجلس لم يضمّ سوانا نحن الاثنين.

وقد قام الحقير بتدوين بعضها في كتاباتي الشخصيّة . إنّ نفس آية الله الگلبايگانيّ تمتاز بالصفاء والتألّق إلى حد كبير ، فهو حين يشخّص الحقّ يبقى عليه فلا يتجاوزه أو يتعدّاه. أبقاه الله وأيّده ذخراً للإسلام والمسلمين وعافاه الله من مرضه بمحمّد وآله الطيّبين.

حين كنت مشغولاً بالتحصيل في الحوزة الطيّبة في قم ، وكان يعطي تعليمات خاصّة ويشكّل جلسات تضمّ عدّة أفراد . لكنّ السيّد إبراهيم كان له علاقة قلبيّة والتفات أكثر إلى آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ ، فكان يطيعه في جميع الأُمور طاعة محضة ، وكان منزله آنذاك مع المرحومة والدته المكرّمة فقط ، وكان قرب منزل الحاجّ الشيخ عبّاس ، وكان يتردّد على محضره في أوقات الصلاة وفي لقاءات خاصّة .

وعلى هذا الأساس وعلى أثر شدّة علاقته به ، فقد صار أخيراً صهراً له ؛ بَيدَ أنّ الحقير لم يكن قد أوكل نفسه إلى ذلك المرحوم ، فكنت أمتلك الحرّيّة أكثر في البحث عن الحقيقة ، لذا فقد دعوتُه في النجف وكربلاء زمن حياة المرحوم الشيخ عبّاس لمتابعة المرحوم الأنصاريّ ، لكنّ دعوتي له لمتابعة سماحة السيّد هاشم كانت بعد ارتحال ذلك المرحوم .

ولقد كان آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ يحبّ الحقير كما يحبّ ولده ، كما هو الظاهر من رسالته التي أرسلها إلى النجف الأشرف جواباً لرسالة الحقير .[1]

١ـ ترجمة الرسالة : باسمه تعالى

يا إنسان العين وعين الإنسان ، ويا قرّة عيني وثمرة فؤادي ! عزيزي ، إنّ عدم استحقاق الحقير الغارق في التقصير لما أظهرتموه كتابةً وغياباً كان ملاك تأخير الرسالة ، ولقد صار في الحقيقة حجاباً للحقير ومانعاً من إبداء الجواب وبيان المودّة والإخلاص.

فتأمّل في أطوار النفس واستعذ بالله تعالى من شرّها واقرأ إحدى المناجاة المسمّاة بخمسة عشر المبدوّة بهذه الكلمات : اللَهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً ـ إلى آخرها ، في خلواتك مع كمال الانكسار أعاذنا الله من مكائدها وأطوارها.

وإجمالاً ، بلِّغْ خالص سلامي إلى المحضر المقدّس لسماحة آية الله الگلبايگانيّ دامت بركاته وقل له على لسان الحقير : لمْ أنسَ كلمة تفضّلتم بها أثناء تحرّككم من النجف خارج المدينة وقت التوديع ، قُلتم : أثملتَ من كأسٍ واحدة ! فيا سيّدي ! ليتني كنتُ ⇦

....

⇦ رشفت كأساً واحدة!

مجلس تمام گشت و به آخر رسيد عمر
ما همچنان به اول وصلش هم نرسيده‌ايم
حيران شدم حيران شدم مجنون و سرگردان شدم
از هر رهى گويد بيا دنبال من ، دنبال من
چون مى‌روم دنبال او ، نى زو خبر ، نى زو اثر
از هر درى گويد بيا كاينجا منم ، كاينجا منم
چون سوى آن در مى‌روم ، بينم كه گردد بسته در

يقول : «لقد انتهى المجلس وبلغ العمر آخره ، لكنّنا لم نحظَ بعدُ بأول وصاله.

صرتُ حائراً ، حائراً ومجنوناً والهاً ، فهو يناديني من كلّ صوب : تعال واتبعني واتبعني.

وحين أتبعه أجد أن لا أثر منه ولا خبر ؛ يقول من كلّ باب : تعال ها أناذا ، ها أناذا.

وحين أخطو صوب ذلك الباب أراه قد أغلق».

إنّ الله خِلوٌ عن خلقه ـ إلى آخره ، بائن عن خلقه ـ إلى آخره.

يا ربّ اين ترک پرى چهره عجب عيّارى است
كه كند تازه ز وصلش غم هجران مرا

يقول : «فيا ربّ عجباً من هذا التركيّ ذي القسمات الملائكيّة ، كم هو حاذق حين يجعل أوّلَ وصاله الخوفَ من هجرانه».

تبدو وتخفى ! إذن فالوصل محال ، وهجرانه خيال.

قولوا له : سيّدي ! أُقسم عليك بحقّ جدّتك الزهراء المرضيّة سلام الله عليها أن تعينني !

لم يكن المنزل بعيداً في السفر الروحانيّ . بل إنّ العمر بلغ منتهاه ، وها هي شمسه تودّع شرفات السطوح ؛ **يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ.**

پهلوى آب و تشنه لب از روى اختيار در جنب يار و منصرف از بوس و از كنار
يا ربّ مباد كس چو من خستۀ فكار غرق وصال ، سوخته جان از فراق يار ⇦

ولقد كان باب المكاتبة والمراودة بيننا وبينه مفتوحاً بحمد الله ومنّه حتّى آخر عمره الشريف ، وكان الحقير ، حتّى بعد العودة من النجف إلى طهران ، يتشرّف أحياناً بالحضور والاستفادة من محضره في قم أو في طهران في منزل المرحوم الحاجّ الميرزا أبي القاسم العطّار ؛ لكن علاقة الأُستاذ والتلميذ التي كانت تربط بين الحقير وبين سماحة العلّامة وسماحة الأنصاريّ وسماحة الحدّاد كانت شيئاً آخراً . وكان الحقير يحرص على دعوة الحاجّ السيّد إبراهيم إلى هذه المائدة ، فقد كانت روابط الخلوص والإخلاص عند الحقير تستوجب أن لا يجلس الحقير لوحده إلى هذه المائدة .

⇦ يقول : «أجلسُ عند الماء بشفةٍ ظمأى اختياراً ، وأكونُ قرب الحبيب فأعرض عن التقبيل والخلوة.

فعسى أن لا يكون هناك ـ يا ربّ ـ أحدٌ مثلي هدّه الفكر ، غارقاً في الوصال محترقَ الروح من فراق الحبيب».

ومع خوفي من أن لا يكون لذلك السيّد الجليل تلك العنايات السابقة لغلبة الأحكام الظاهريّة، وأن يكون قد انشغل بمقام الأحوط فالأحوط ، وأن يكون أولاده المحترمون قد شغلوه؛ على أنّ مقام «جمع الجمع» يزيل التنافي . فجميع الوجود **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ** .

وعلى أيّة حال أرجو الدعاء وأطلب المعونة والمدد ، وأنتظر آثارها الغيبيّة التلغرافيّة، وسأخبركم بالنتيجة إن شاء الله تعالى (... إلى آخر رسالته) . الأحقر عبّاس الطهرانيّ .

وكذلك فقد كتب صهره السيّد إبراهيم ضمن رسالته للحقير في النجف الأشرف:

گر چراغى نور شمعى را كشيد هر كه ديد آن نور را پس شمع ديد

يقول : «لو رشف المصباحُ نورَ الشمعة ، فإنّ من يرى ذلك النور فقد رأى الشمعة».

وكتب كذلك :

دردا كه در ديار دلم درد يار نيست و آن دل كه درد يار ندارد ديار نيست

يقول : «الغُصّة في أنّ ديار قلبي خالية من ألم الحبيب ، فذاك القلب الذي لا ألم للحبيب فيه ليس دياراً».

نعم ، لقد عاد الصديق **آية الله الحاجّ السيّد إبراهيم** أدام الله أيّام سعادته بعد رحيل المرحوم الحاجّ الشيخ عبّاس الطهرانيّ رضوان الله عليه ، إلى موطنه «باختران» مدّة فاشتغل في مسجد «الصاحب» هناك بإقامة صلوات الجماعة والتدريس وترويج الدين ، ثمّ ذهب إلى طهران فانصرف إلى وظائف إرشاد الناس وهدايتهم في مسجد بمنطقة «قلهك» ثمّ في «دزاشيب نياوران» في مسجد «المهدي» ، حيث يمرّ عليه حتّى الآن ما يقرب من خمسة عشر عاماً اشتغل فيها بإقامة صلوات الجماعة والإرشاد والتبليغ والتدريس والترويج للدين . وحقّاً فإنّه عالم حرّ وذو فهم عال ودقّة نظر ، كما أنّه حاضر البديهة ، حميم في علاقته بالدين والشريعة محزون لأجلها ؛ لذا فقد ابتلي بأمراض مختلفة كضعف الأعصاب وقرحة المعدة ولا يزال يعاني منها السنين الطويلة . **حفظه الله إن شاء الله وعافاه من جميع الآفات والعاهات وأبقاه الله ذخراً للإسلام والمسلمين بمحمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.**

لقد كان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يعيش في أُفق آخر ، وإذا ما أوفينا التعبير حقّه فقد كان يعيش في **اللاأُفق** ، حيث تخطّى التعيّن ، واجتاز الاسم والصفة ، **وصار جامعاً لجميع أسماء الحقّ المتعالي وصفاته بنحو أتمّ وأكمل ، وصار مورداً للتجلّيات الذاتيّة الوحدانيّة القهّاريّة ، ولقد طوى الأسفار الأربعة تماماً ووصل إلى مقام الإنسان الكامل.** [1]

١ـ نقل في «تفسير روح البيان» في تفسير آية الكرسي ، ج ١ ، ص ٣٩٩ ، الطبعة العثمانيّة ، عدّة أبيات في هذا المجال عن الملّا الجاميّ :

گرچه **لا** داشت تيرگيّ عدم ‏ ‏ ‏ دارد **إلّا** فروغ نور قدم

گر چه **لا** داشت كان كفر و جحود ‏ ‏ ‏ هست **إلّا** كليد گنج شهود

چون كند **لا** بساط كثرت طى ‏ ‏ ‏ دهد **إلّا** ز جام وحدت مِىْ

آن رهاند زنقش بيش و كمت ‏ ‏ ‏ وين رساند به وحدت قدمت ⇦

ولم يكن أيّاً من القوى والاستعدادات في جميع المنازل والمراحل السلوكيّة من الملكوت الأسفل والملكوت الأعلى وطيّ أدوار عالم اللاهوت والتجوال فيها ، إلّا وكان قد تحقّق في وجوده القيّم ووصل إلى الفعليّة .

ولقد كان السيّد هاشم إنساناً له الفعليّة التامّة في جميع زوايا الحياة المعنويّة ونواحيها .

ولقد كان الموت والحياة ، الصحّة والسقم ، الفقر والغناء ، مشاهدة الصور المعنويّة وعدمها ، والجنّة والجحيم ، بالنسبة له على حدّ سواء ؛ فقد كان رجلاً إلهيّاً انقطعت عنه جميع العلائق والنسب في جميع العوالم إلّا نسبة **الله** تعالى .

ولقد كنّا معه طيلة ثمان وعشرين سنة من اللقاءات ووصل الليل بالنهار والأسفار ، حيث حسبتُ مجموع الأوقات المتفرّقة التي كنت فيها

⇦ تا نسازی حجاب كثرت دور ندهد آفتاب وحدت نور

دائم آن آفتاب تابان است از حجاب تو از تو پنهان است

گر برون آیی از حجاب توئی مرتفع گردد از میانه دوئی

در زمین و زمان و كون و مكان همه او بینی آشكار و نهان

يقول : «مع أنّ «لا» كان فيها ظلمة العدم ، لكنّ «إلّا» لها سطوع نور القِدَم .

ومع أنّ «لا» كانت معدن الكفر والجحود ، فإنّ «إلّا» مفتاح كنز الشهود .

وبينما تطوي «لا» بساط الكثرة ، تسقي «إلّا» كأس شراب الوحدة .

تلك تُحرّرك من دور الزيادة والنقصان ، وهذه تُوصلك إلى وحدة القِدَم .

فإن لم تُزحْ عنك حجاب الكثرة ، فلن تمنحك شمس الوحدة نورها .

فتلك الشمس ساطعة على الدوام ، ولكنّها مستورة عنك بحجابك .

ولو خطوت خارج حجاب أنانيّتك ، لارتفعت الثنويّة من البين .

وستراه حينئذٍ في الأرض والزمان والكون والمكان ، ظاهراً ومستتراً» .

معه ليلاً ونهاراً بشكل دقيق ، فكانت لو ضممناها إلى بعضها سنتين كاملتين ؛ لم أُشاهده طيلتها يرجو أحداً أبداً ، لم أره يسأل أحداً أن يدعو له ، ولم يسأل غيره شيئاً أبداً ، كأن يقول له : ادعُ لي أن تكون عاقبة أمري خيراً ، أو أن تُغفر ذنوبي ، أو أن يوصلني الله إلى هدفي ، كلّا لم أرَ منه شيئاً من ذلك أبداً ومطلقاً ، لا تلك الأُمور ولا أمثالها . إذ كيف يسأل هذه المعاني امرؤ هو نفسه في مُنتهى الدرجة من الفقر والعبوديّة ، وليس له مقابل الحقّ الجليل إلا العبوديّة والتخلّي عن الإرادة والاختيار وفقدان الآمال والأماني ؟!

ومن البيّن أنّ التجلّيات الربوبيّة والمظهريّة التامّة للأسماء الجماليّة والجلاليّة للحق تعالى هي من لوازم هذه العبوديّة التي لا تنفكّ عنها .

لقد كان **الحاجّ السيّد هاشم** رجلاً وصل من الجزئيّة إلى الكلّيّة ، فلم يكن لينظر بعدُ إلى الكثرات ، بل كان محيطاً ومهيمناً ومسيطراً على الكثرات . ولم يكن له في جميع عمره كلام ينبع من مجاملة من المجاملات المعهودة المتداولة ، أو وفق مصلحة ، كما لن يكن يُظهِر في إجابته لأحد التواضع والانكسار المتعارف الذي لا ينطبق مع الواقع أبداً ، فلم يكن لينبس بجملة أو كلمة من باب التواضع والتذلّل والانكسار ، وذلك لأنّها كانت بأجمعها ـ طبقاً لحاله ومقامه ـ مجازاً وخلافاً للواقع . إذ كان قد وصل إلى مقام لا يحتاج إلى التلفّظ بهذه الجُمل صدقاً أو حسب المصالح العامّة .

ولقد كان عبداً للّه بما في الكلمة من معنى . لذا فقد كان من الخطأ أن يبحث عن شيء في هذا المجال أو يريده أو يطلبه ، ذلك لأنّ نفسه قد استقرّت في مقام أرفع وفي أُفق أرحب وفي ذروة أمنع ينظر منها إلى جميع كائنات ومخلوقات الحقّ المتعالي ، ولقد كان ناظراً من ذلك المقام المنيع وشاهداً على نفسه وعلى غيره ، **فهو مظهر التوحيد ، مظهر لا إله إلّا الله ، مظهر لا هو إلّا هو** .

وقد ذكرنا أنّه كان يقول : ما أشبهني بقشّة تبن تدور في فضاءٍ لا يتناهى ، بلا اختيار منّي أو إرادة ، وإنّني أخرج أحياناً من نفسي كالحيّة التي تلقي بجلدها ، فليس فِيَّ إلّا هذا الجِلد .

أتعلمون ما الذي كان يريد قوله في هذه الجملة القصيرة ؟!

إنّ الحيّات تبدّل جلودها كلّ سنة بشكل طبيعيّ ، أي أنّها تخرج من جِلدها السابق ، وإذا ما نظرتم إلى ذلك الجلد لرأيتم حيّة كاملة لها رأس وبدن وذيل ، كما أنّ لون جسمها ونقوشه وتعرّجاته يماثل ما كان للحيّة السابقة ، ولربّما يتصوّر الإنسان في البدء أنّ هذا الجلد حيّة حقيقيّة ، لكنّه حين يخطو إلى الأمام ويضع يده عليه يتّضح أنّه لم يكن إلّا جلداً وأنّ الحيّة قد خرجت منه .

لقد كان سماحة الحدّاد يقول : إنّ مثَلي كذلك ، فلقد كنت أتخطّى نفسي وأخرج منها فأذهب إلى مكان آخر .

أي : أنّني ـ أنا الذي خرجت منها ـ الحدّاد بجميع شؤونه من البدن والأفعال والأعمال والذهن والفعل وكلّ الآثار ولوازمها ، مع أنّها موجودة وتقوم بأعمالها الطبيعيّة كالعبادات والمعاملات والاتّصالات والنوم والأكل والعلوم الذهنيّة التفكيريّة والعلوم العقليّة الكلّيّة والعلوم القلبيّة المشاهديّة ، وبدون أيّة ذرّة من التغيّر ، فهي بأجمعها موجودة في مكانها ، لكنّني لم أعد موجوداً فيها ؛ لقد خرجت منها . أي إنّ جميع هذا البدن وآثاره وجميع علومه الذهنيّة والعقليّة والقلبيّة وآثارها وجميع قدراته وجميع أنحاء حياته تصبح كجلد الحيّة ، وليست بأجمعها مقابل حقيقتي إلا جلداً فقط ، في حين أنّ حقيقتي التي يُقال لها «أنا» في مكانٍ آخر .

فأين ذلك المكان الآخر يا تُرى ؟! من المسلّم أن يكون مكاناً أفضل وأعلى وأرقى من الجزئيّة والكلّيّة التي هي موطن البدن والمثال والعقل ،

هناك كلّيّة تفوق جميع الكلّيّات ، وتجرّد يفوق التجرّدات ، وبساطة أفضل من جميع البساطات ؛ مكان **لا يتناهى مدّةً وشدّة وعدّة بما لا يتناهى**.

هناك عالم الفناء المطلق والاندكاك في ذات الحقّ المتعالي جلّت عظمته، هناك مقام العبوديّة المطلقة ، العبوديّة التي قُدّمت على الرسالة في التشهّد فورد : **وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** . هناك الإحاطة بجميع النشآت وعوالم الملك والملكوت ، لا أن يكون العبد هناك مثل الله ، فهذا التعبير تعبير خاطئ ، إذ ليس ـ مع وجود ذات القهّار الأحد ـ من معنى **لِمِثل وشبه ونظير** ، ليس هناك إلّا الله تعالى ولا شيء سواه . وهذا هو التعبير الصحيح ؛ هناك : **الله «موجود» وحسب ، والعبد «فناء» وحسب** ، هناك ظهور ومظهر **لا هو إلّا هو**.[1]

١ـ ما أجمل وأبلغ ما أوفى العارف الجليل الشيخ محمود الشبستريّ هذه الحقيقة حقّها حين قال:

سؤال :

چرا مخلوق را گويند واصل ؟ — سلوک و سير او چون گشت حاصل ؟

جواب :

وصال حقّ ز خلقيّت جدائيست — زخود بيگانه گشتن آشنائى است
چو ممكن گرد إمكان برفشاند — بجز واجب دگر چيزى نماند
وجود هر دو عالم چون خيال است — كه در وقت بقا عين زوال است
نه مخلوق است آن كو گشت واصل — نگويد اين سخن را مرد كامل
عدم كى راه يابد اندرين باب — چه نسبت خاک را با ربّ ارباب ؟
عدم چبود كه با حقّ واصل آيد — وزو سير و سلوكى حاصل آيد
تو معدوم و عدم پيوسته ساكن — به واجب كى رسد معدوم ممكن ؟
اگر جانت شود زين معنى آگاه — بگوئى در زمان : أستغفرالله
ندارد هيچ جوهر بى عرض عين — عرض چبود و لايبقى زمانَيْن
حكيمى كاندرين فنّ كرد تصنيف — به طول و عرض و عمقش كرد تعريف ⇦

....

⇦ هيولا چيست جز معدوم مطلق   كه مى‌گردد بدو صورت محقّق
چه صورت بى‌هيولا در قدم نيست   هيولا نيز بى او جز عدم نيست
شده اجسام عالم زين دو معدوم   كه جز معدوم از ايشان نيست معلوم
ببين ماهيّتش را بى‌كم و بيش   نه موجود و نه معدوم است در خويش
نظر كن در حقيقت سوى إمكان   كه او بى‌هستى آمد عين نقصان
وجود اندر كمال خويش سارى است   تعيّن‌ها أُمور اعتبارى است
أُمور اعتبارى نيست موجود   عدد بسيار يک چيز است معدود
جهان را نيست هستى جز مجازى   سراسر كار او لهو است و بازى

(«گلشن راز» خط عماد أردبيلي ، سنة ١٣٣٣ ، ص ٤٣ إلى ٤٥).

سؤال :

يقول : «لماذا يقال للمخلوق واصلاً ؟ كيف حصل له السير والسلوك ؟».

الجواب :

يقول : «ذلك لأنّ وصال الحقّ انفكاك عن الخلقة ، والوصول إلى إنكار الذات هو المعرفة.

ولو نفض الممكن ذرّات الإمكان وغباره ، فلن يبقى شيء إلّا الواجب.

إنّ وجود كلا العالمَينِ خيال ، فهما في بقائهما ليسا إلّا محض الزوال.

وليس مخلوقاً ذلك الذي تمكّن من الوصول ، فهذا الكلام لا يدّعيه الرجل الكامل.

وأنّى للعدم أن يجد سبيلاً إلى داخل هذا الباب ، وما نسبة التراب إلى ربّ الأرباب ؟!

وما هو العدم حتّى يصل إلى الحقّ ، وليحصل منه السير والسلوك ؟

أنت معدوم ، والعدم ساكن على الدوام ، فمتى يصل المعدوم الممكن إلى الواجب ؟!

وإذا ما أيقنَتْ روحك هذا المعنى ، فقل على الفور : أستغفر الله !

ليس للجوهر الذي لا عَرَض له عينيّة ؛ وما العرض حين لا يبقى زمانَينِ ؟

لقد عرّفه الحكيم الذي صنّف في هذا الفنّ ، بالطول والعرض والعمق.

وليست الهيولى إلّا المعدوم المطلق ، الذي تتحقّق الصورة ببساطته.

ذلك لأنّ الصورة لا قِدَم لها بلا هيولى ، وكذا الهيولى بدون الصورة ليست إلّا عدماً.

صارت أجسام العالمين معدومة بسبب هذين الاثنين ، وصار لا يُعلم منها إلّا ⇦

ولقد كانت إشارات السيّد الحدّاد ودلالاته كلّها من هذا القبيل ، أي أنّه كان يستعين ويستهدي بأُفق الوحدانيّة لا من غطاء وجوده هو .

قال يوماً للحقير : أيّها السيّد محمّد الحسين ! أنت مشغول جداً ! أي أنّ لك الخواطر المتوالية والمشوّشة !

ولقد كان كلاماً عجيباً ! فقد كان للحقير في تلك الساعة كما ذكر ، الخواطر النفسيّة التي تتعب الذهن وترهقه ، ولم يكن لأحد إلّا الله اطّلاع على أفكاري .

وكان يقول : تعامل مع الله في كلّ حال ! أي : اجعل معاملتك لخلق الله معاملة مع الله . إذ إنّه ينبغي الالتفات إلى أنّ **العيال والأولاد والجار والشريك ومأمومي المسجد كلّهم مظاهر الباري تعالى .**

وكان يقول : لو تخاصمتَ مع الناس أو مع أولادك فليكن ذلك بشكل صوريّ لا يلحقك منه أذى ولا يحيق بهم الضرر ، فلو خاصمتهم بجدّ فإنّ ذلك سيلحق الأذى بالطرفين ؛ والعصبيّة والجدّيّة تضرّك وتضرّ الطرف المقابل .

كان يقول : أتفرّ من الناس كي لا يصيبك أذاهم ، أو كي لا يصيبهم أذاك ؟! إنّ الاحتمال الثاني هو الجيّد لا الأوّل ، وأفضل منهما أن لا تراهم ولا ترى نفسك !

⇦ عدمها.

فانظر ماهيّتها بلا زيادة ولا نقصان ، فهي في حدّ ذاتها لا موجودة ولا معدومة.

وانظر إلى حقيقة الإمكان ، فهو بلا وجود محض النقصان.

إنّ الوجود سارٍ في ذات كماله ، أمّا التعيّنات فهي أُمور اعتباريّة.

والأُمور الاعتباريّة ليست موجودة ، كما أنّ الأعداد كثيرة لكنّ المعدود واحد.

وليس للعالم وجود إلّا مجازاً ، وليس كلّ ما يدور فيه إلّا لهواً ولعباً».

وكان يوصي : عوّدْ أولادَك وأهل بيتك أن يبقوا مستيقظين فيما بين الطلوعَينِ .

وكان يقول : إنّ **الخواطر** على أربعة أقسام :

الأوّل : إلهيّة ، وهي الخواطر التي تصرف الإنسان عن نفسه وتوجّهه تجاه ربّه وتدعوه إلى قربه .

الثاني : شيطانيّة ، وهي الخواطر التي تجعل الإنسان غافلاً عن الله ، وتثير في قلبه الغضب والحقد والجشع والحسد .

الثالث : ملكوتيّة ، وهي الخواطر التي تقود الإنسان إلى العبادة والتقوى .

والرابع : نفسانيّة ، وهي الخواطر التي تدعو الإنسان إلى زينة الدنيا وإلى الشهوات .

وللإنسان قوّة رفيعة ومتعالية يمكنها تبديل جميع الخواطر الشيطانيّة والنفسانيّة إلى حسنات ، واستخدامها جميعاً في سبيل الله ؛ فيكون جمع المال والشهوة وجلب الزينة للّه تعالى لا للنفس .

كما أنّ له قوّة أعلى من تلك الأُولى ، يمكنه بها أن يبدّل جميع تلك الخواطر إلى خواطر ملكوتيّة وخواطر إلهيّة ، فيعدّها جميعاً من الله ويراها منه ، فلا يكون له أساساً معاملة مع غير الله سبحانه .

وكان يقول : إنّ الأدعية والتوسّلات أمر جيّد ، لكن على الإنسان أن يعتبر الأثر من الله تعالى وأن يطلب منه سبحانه .

وقد حدث أن التفت ذات يوم إلى أحد تلامذته من ذوي العلاقة به وكان له سابقته إلّا أنّه كان يتمرّد أحياناً فيُظهر آراءه الشخصيّة ، وكان يريد أن يخفي عن السيّد أمراً ما قد وقع ؛ فقال له بشدّة وخشونة :

ما الذي تريد إخفاءه عنّي ؟! أتريد أن أُنزل الأمر الفلانيّ من السماء

الرابعة فأضعه الآن نصب عينيك ؟!

وعلى كلّ حال ، فقد تشرّفنا في تلك الأثناء لمدّة عشرة أيّام بالذهاب إلى الكاظميّة وسامرّاء في سيّارة بعض الرفقاء من أهالي الكاظميّة ، وذلك في معيّة سماحة الحاجّ السيّد هاشم والحاجّ محمّد علي خلف زاده ، حيث عدنا إلى **الكاظميّة** بعد زيارة البقعة المباركة **لسامرّاء** ، فحللنا ضيوفاً في منزل ذلك الرفيق والصديق صاحب السيّارة : **الحاجّ أبو أحمد عبد الجليل محيي** . وكان الرفقاء من بغداد والكاظميّة ، ومن بينهم سماحة آية الله الحاجّ السيّد هادي التبريزيّ يأتون في الليالي إلى محضر السيّد ثمّ يعودون إلى منازلهم بعد ساعة من الاستفادة من محضره بعد تناول طعام العشاء .

وكانت الموائد في هذه الضيافات تحوي أنواع الأطعمة اللذيذة من الدجاج والسمك ومشهّياتها ، لكنّ السيّد كان يكتفي بلُقيمات من الخبز وورق الفجل ممّا هو أمامه على المائدة ، ولم يجرؤ أحد ـ بعد أن اطّلعوا على حاله ـ على مجاملته ودعوته لأكل ما لذّ وطاب ؛ وكان الرفقاء يتفرّقون بعد العشاء مباشرة .

وكان السيّد يستيقظ بعد نومه بساعتين أو ثلاث فينشغل بنفسه إلى طلوع الفجر ، ثمّ يتشرّف بعد أداء الفريضة إلى الحرم مشياً على الأقدام مع أنّ المسافة لم تكن يسيرة ، فقد كان منزل الحاجّ عبد الجليل يقع في أوائل شارع مسجد براثا وهو من النواحي الجديدة الملحقة بالكاظميّة .

ولم تحوِ هذه المجالس شيئاً غير ذكر الله والمطالب التوحيديّة ، ولم يكن الكلام ليدور في مجالس السيّد عموماً عن الدنيا وأوضاعها وعن العمل والكسب ، فما كان هناك هو التوحيد لا شيء سواه .

ثمّ إنّنا عدنا بعد إتمام فترة السفر بسيّارة المضيِّف تلك إلى كربلاء المقدّسة في معيّة السيّد الحدّاد .

نعم ، لقد كان سفري هذا بعد سفر السيّد إلى بيت الله الحرام ، فقد حجّ في شهر ذي الحجّة الحرام ١٣٨٤ هـ . ق ، ثمّ تشرّف الحقير في شهرَي رجب وشعبان بالذهاب إلى أعتابه المباركة ، لذا فقد كانت معظم أسئلة الحقير للسيّد حول سفره إلى الحجّ ، كما أنّه كان يتطوّع بذكر بعض الأُمور عن سفره .

وكان من جملة الأسئلة : كيف قُمتم بأعمال الحجّ ؟ وكيف طُفتم ؟ وكيف بدأتم من الحجر الأسود وعددتم الأشواط السبعة ؟ وهكذا الأمر في باقي الأعمال مع الحال والوضع الذي تمتلكونه بحيث تنسون معه بعض ضروريّات الحياة ويعسر عليكم معه الحساب والعدد ، ولا تميّزون معه اليد اليمنى عن اليسرى ؟!

أجاب : كان ذلك يتّضح لي تلقائيّاً فيكون عملي تبعاً له . فقد دخلتُ المسجد الحرام مثلاً فعرفت ركن الحجر الأسود بدون أن يدلّني عليه أحد ، وعلمت أنّه ينبغي أن أبدأ الطواف منه ، فبدأتُ من هناك ، وبدون أن أعدّ الأشواط ، فقد كان كلّ شوط مشخّصاً لي ، ثمّ انتهى الطواف تلقائيّاً في الشوط الأخير فخرجتُ من المطاف . وهكذا الأمر في محلّ الصلاة خلف مقام النبيّ إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام ، وهكذا الأمر في السعي والتقصير .

وقال : لقد كنتُ وجميع الرفقاء الذين سافرتُ بمعيّتهم نقضي أغلب أوقاتنا ليلاً ونهاراً في المسجد الحرام ، وكان منظر الطواف وبيت الله الحرام قد شدّني إليه وأعجبني كثيراً وقد بقيت مشغوفاً به .

وكان مسجد الخَيف في أرض منى هو الآخر مثيراً للإعجاب ، وكنّا نقضي أغلب أوقاتنا في أيّام التشريق هناك ، وكانت قصّة التوحيد تتجلّى في جميع مظاهر الحجّ وأعماله ، وخاصّة في المسجد الحرام ومسجد

الخيف .

ثمّ قال : دخلتُ ليلة مع الرفقاء إلى مسجد الخيف فرأيت الحاجّ السيّد أحمد الزنجانيّ[1] مع جميع الرفقاء الطهرانيّين والإيرانيّين جالسين حول بعضهم ، وكان متأثّراً جدّاً من وضع طهارة ونجاسة الحجّاج والمعابر ويبدو أنّه كان قد نضح على ملابسه بعض تلك المياه عند دخوله إلى مسجد الخيف ، فكان متأثّراً ومنقلب الحال إلى حدّ كبير ؛ وكان يقول : يا الله ، يا إلهي ! نريد أن نصلّي ركعتين في مسجدك على طهارة ، فانظر هل يدعنا هؤلاء الناس وهؤلاء القوم نفعل ذلك بهذا الوضع وهذه الكيفيّة ؟!

فنهرتُه وقلتُ : لقد ذهب أحد المريدين من عند أُستاذه إلى أحد الأجلّاء ، فقال له ذلك الرجل الجليل : **ما علّمكم أُستاذكم ؟!**

قال المريد : **علمنا أُستاذنا الالتزام بالطاعات وترك الذنوب .**

فقال ذلك الرجل الجليل : **تلك مجوسيّة محضة ؛ هلّا أمركم بالتبتّل إلى الله والتوجّه إليه برفض ما سواه ؟!**

فيا سيّدي ! لماذا تُغيّرون دين الله ؟ ولِمَ تُدخلون الشريعة في المتاهات والتعقيدات ؟ لماذا تقطعون الناس عن الله حين تسوقونهم إلى

١ـ يقصد سماحة آية الله الحاجّ السيّد أحمد الفهريّ الزنجانيّ دامت بركاته ، وهو من التلامذة الأخيرين للمرحوم القاضي ومن مريدي المرحوم الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ ، وهو رجل فاضل وعالم فاهم من الساعين في ترويج الدين . وقد انشغل بعد رجوعه من النجف مدّة في التدريس وإقامة الجماعة وتبليغ الأحكام في المسجد الجامع لباختران، ثمّ في طهران، ثمّ توجّه في زمن الثورة الإسلاميّة في إيران بطلب من القائد الكبير الفقيد إلى دمشق فاشتغل بإقامة الشعائر الدينيّة . وللحقير معه علاقة ومعرفة وصداقة قديمة ، وقد التقى الحقير معه في منى خلال سفره الأخير إلى بيت الله الحرام ، ثمّ التقيت به مرّة في الحرم المطهّر لمشهد المقدّسة ، فدعا الحقير في كلتا المرّتين إلى الشام للزيارة وتكفّل بإزالة موانع السفر بنفسه، وللأسف لم يحالفني التوفيق للتشرّف لإجابة دعوة سماحته.

أعمالهم دون التوجّه إليه سبحانه ؟

أوَ لم يكن دين رسول الله دين السهولة واليسر ؟! أو لم يقل : **بُعِثْتُ عَلَى شَرِيعَةٍ سَمْحَةٍ سَهْلَةٍ ؟!**

أوَ لم يقل رسول الله والأئمّة إنّ كلّ شيء (بأيّ شكل وفي أيّ زمان ومكان) لك طاهر حتّى تعلم يقيناً أنّه نجس ؟!

فلِمَ تعكسون الأمر فتقولون : كلّ شيء نجس حتّى تعلم طهارته يقيناً ؟!

لِمَ لا تَدَعون الناس وشأنهم ؟ لماذا لا تَدَعون الناس مع نبيّهم ودينهم السهل السمح ؟ ولِمَ تغلقون عليهم سبيل التوجّه والانقطاع إلى الله ؟ ولِمَ تقفلون هذا الباب المُشرع ؟

إنّ على كلّ الناس حين يحجّون ، منذ إحرامهم في الميقات حتّى تقصيرهم وتقديمهم الهَدْي وإحلالهم من الإحرام ، أن يكون توجّههم والتفاتهم إلى الله سبحانه ، وعليهم أن لا يروا إلّا الله ولا يسمعوا غيره ، وأن لا يغفلوا عن ذكر الله لحظة واحدة ، وأن لا ينظروا إلى أعمالهم وسلوكهم نظراً استقلاليّاً ، وأن يكون الله تعالى ـ لا العمل نفسه ـ هو المقصود في جميع الواجبات المنجزة من طواف وصلاة وغيرها . لابدّ أن يكون الفكر والنيّة متّجهَينِ إلى الله سبحانه ، لا إلى صحّة العمل أو بطلانه ؛ فهذه هي تلك المجوسيّة المحضة التي تخفي الإله الواحد وتبدّله بإلهَينِ للعمل الصالح والعمل السيّئ .

إنّكم تفصلون هؤلاء المساكين عن الله من الميقات إلى حين خروجهم من الإحرام ، وتثيرون التشويشات من وقت الإحرام بتحذيراتكم المتتالية : ينبغي الحذر لئلّا يرشح شيء إلى بدني وإلى إحرامي ، ولئلّا ينحرف كتفي عن البيت ولئلّا أخرج من المطاف حال الطواف ، ولئلّا

تبطل صلاتي أو يبطل طواف النساء الذي أطوفه فتصبح زوجتي عَلَيّ حراماً ! إذ لم يرد شيء من هذه الأُمور في الشريعة . هذه الصلاة العاديّة التي يصليها الناس صحيحة وطوافهم صحيح ، وها أنتم تبطلونها وتدمغونها بختم البطلان ! وها أنتم تعدّون نضح هذه المياه المشكوكة نجساً !

إنّ حجّ الناس سيضيع كلّيّاً في هذه الحال ، أي أنّ الحاجّ الذي ينبغي أن يكون على الدوام مع الله سبحانه ابتداءً من الميقات إلى نهاية حجّه وعمله ثمّ يخرج بالتقصير والحَلْق بالانقطاع إلى الله والإحرام مع الله ؛ هذا الحاجّ سينصرف عن الله من ابتداء الإحرام وسيبقى هذا الانصراف والتشويش والتزلزل لديه إلى نهاية العمل ، وحين سينتهي من عمله سيتنفّس الصعداء وسيجد الله من جديد .

إنّ جميع الاحتياطات التي تُجرى في هذه الموارد وتستدعي التوجّه إلى نفس العمل والغفلة عن الله سبحانه خاطئة بأجمعها ، فأين ورد أمثال هذه الاحتياطات المسبِّبة للعسر والحَرَج في شريعة رسول الله وفي زمنه ؟ إنّ الأصل والأساس الأوّل هو أصل عدم العسر وعدم الحَرَج وعدم الضرر ؛ أصلنا الأوّل في القرآن الكريم : **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا**[1] (أي تنصّل واقطع علاقتك تماماً مع الجميع واتّجه إلى الله) .

إن الاحتياط الذي كان المرحوم القاضي قدّس الله سرّه قد جعله برنامج عمل لجميع تلامذته ، والوارد ضمن حديث عنوان البصريّ : **وَخُذْ بِالاحْتِيَاطِ فِي جَمِيعِ مَا تَجِدُ إلَيْهِ سَبِيلًا**[2]، قد قُصِدَ به العمل الذي يفتح

١ـ الآية ٨ ، من السورة ٧٣ : المزمّل : **وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** .

٢ـ كان المرحوم آية الله الحاجّ السيّد علي آقا القاضي قدّس الله سرّه قد أمر جميع تلامذته بكتابة رواية عنوان البصريّ وحملها معهم في جيوبهم وبقراءتها مرّة أو مرّتين أُسبوعيّاً . ⇦

الطريق أمام الإنسان إلى الله ، لا أن يُسبِّب سدّ الطريق ويسلبه سبيل التوجّه والابتهال وحضور القلب . المقصود هو العمل الذي يجلب اليقين للمؤمن ويجعله مستحكماً في إيمانه ، لا الذي يزلزله ويشوّشه ويملؤه اضطراباً ، ويجسِّم لديه بيت الله الحرام كبيتٍ للعقاب ، ويصوِّر له حجّ هذا البيت كعمل إجباريّ اضطراريّ يؤدّيه خوفاً من العقاب ؛ فهذه أُمور تصدر من جهة الشيطان الخبيث ، وهي نفس المجوسيّة المحضة .

إنّ جميع أطعمة وأشربة المسافرين والفنادق حلال وطاهرة ، وجميع المياه الناضحة والراشحة من الميازيب وقنوات المياه طاهرة إلّا حين تُعلم نجاستها وتُحرز . فانهض يا سيّدي بهذه المياه التي نضحت عليك وأدِّ صلاتك ؛ فإنّ تصوّر النجاسة وعدم الطهارة لديك من تسويلات الشيطان بلا شكّ ، فهو يريد حرمان الإنسان من فيض الصلاة العظيم ومن المبيت والدعاء في هذا المسجد الشريف .

وقال سماحة السيّد الحدّاد : لقد كان **رمي جمرةِ العَقَبة** أمراً شغفني وأدهشني ، وذلك لأنّ الإنسان يقف في رمي **الجمرة الأُولى والجمرة الوسطى** مستقبلاً القبلة فيرميهما ، أي أنّ الإنسان يرمي الشيطان ويطرده باستقبال الكعبة والتوجّه إليها ؛ أمّا في جمرة العقبة فيجب على الإنسان أن يستدبر القبلة ويرمي، فما معنى ذلك ؟ معناه عين التوحيد . أي أنّ تلك الكعبة التي كنتُ حتّى الآن متوجّهاً إليها بهذه النفس ، قد جعلتُها الآن خلف ظهري وأُريد رمي الشيطان بالتفاتي إلى أصل التوحيد الذي ليس له جهة

⇦ وقد نقل المجلسيّ رضوان الله عليه هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٦ ، الطبعة الحروفيّة ، كتاب العلم ، الباب ٧ : باب آداب طلب العلم وأحكامه . وهي حقّاً رواية جامعة وكافية وشافية للمريدين والطالبين السالكين إلى الله.

معيّنة ، وبنفسٍ خرجت عن تلك النفس فلا تلتفت إلى تلك الجهة .

ومن ثمّ فإنّ حقيقة هذا **الرمي** تتبدّل أيضاً ، فهذه رمية أنزه من تينك الرميتينِ وأكثر صفاءً . ولربّما كان سرّ تعدّد **الرميات** هو تعدّد حقيقتها وواقعيّتها وليس الأمر التكراريّ .

وكان السيّد يتحدّث عن مجمل حالاته في المدينة الطيّبة فيقول : لقد غمرتني عظمة الزهراء سلام الله عليها في منزلها وفي مسجد النبيّ ، وخاصّةً في مسجد الرسول ؛ حيث كانت عظمتها متجلّية بشكل كأنّ جميع مقام النبوّة بجميع خصوصيّاته وجميع مدارجه ومعارجه وجميع درجاته ورُتبه كان متجلّياً فيها سلام الله عليها . ولقد كانت بضعة رسول الله تلك سرَّ رسول الله وحقيقته وجوهره ، لم يخلق الله تعالى كمثلها موجوداً حاملاً وضامناً لهذا السرّ ، هو في مقام الوحدة عين رسول الله .

وإجمالاً ، فقد أدّى الحقير بمعيّة السيّد هاشم زيارة النصف من شعبان ، ثمّ تحرّكت صوب طهران فوردتها يوم الثامن عشر ، حيث توفّيت **الوالدة رحمة الله عليها** بعد ذلك بعشرة أيّام ، أي في الثامن والعشرين من شهر شعبان المعظّم لسنة ١٣٨٥ هـ. ق أثر مرض القلب والصدر الذي ابتُلِيَتْ به لمدّة طويلة .

وكان الحقير قد دعا السيّد الحدّاد في مناسبات عديدة للمجيء إلى إيران وزيارة ثامن الحجج عليه السلام ، وقد أكّدتُ على ذلك في هذا السفر أيضاً ، لذا فقد عقد السيّد العزم على السفر إلى إيران .

القسم الخامس

سفر سماحة الحاج السيّد هاشم قدّس الله سرّه لإيران لمدّة شهرين للزيارة وتوقّفه في طهران وزيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا

عليه السلام

سفر سماحة الحاجّ السيّد هاشم قدّس الله سرّه
إلى إيران لمدّة شهرين للزيارة ، وتوقّفه في طهران وزيارته
للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه وأبنائه السلام

لم يكن السيّد قد سافر إلى إيران طوال عمره ، ولم يكن قد زار مرقد الإمام الثامن عليه السلام ، فرأى لزاماً بعد حجّ بيت الله الحرام وتوقّفه لزيارة رسول الله وفاطمة الزهراء وأئمّة البقيع الأربعة عليهم جميعاً السلام ، أن يسافر إلى إيران ليكون ذلك مسك الختام وليكون قد زار المعصومين الأربعة عشر .[1]

ومن ثمّ فقد كتب الحقير رسالة دعوة وأرسلتها له بعد عودتي إلى إيران بشهرين ، ثمّ شفعتُها برسالة أُخرى في شهر صفر ١٣٨٦ هـ.ق ، فلمّا تسلّم الرسالة في الكاظميّة واطّلع على مضامينها قال :

ليس من الجائز التأخير بعد هذه الرسالة ، وتوجّب أن نستعدّ للسفر .

هذا وقد بذل الرفقاء من الكاظميّة جهودهم لإصدار شهادة الجنسيّة وإعداد جواز السفر ، فأكملوه في مدّة شهر ، وهكذا قَدِمَ السيّد إلى طهران عبر الطريق البرّيّ مع **حليلته الجليلة المحترمة : أُمّ مهدي** ، وحلّ مكرّماً

١ـ المقصود بزيارة صاحب الأمر عليه السلام الذي ليس له مشهد ، والحيّ حاليّاً ، زيارة سرداب سامرّاء والسلام عليه وإقامة الصلاة وقراءة الأدعية المخصوصة.

على الحقير في منزلي الواقع في **أحمديّة دولاب** .[1]

١ـ ومن المناسب كثيراً أن نصف فاقتنا وتنزّلنا مع علوّ مقام وكرم نفس ومجد روح السيّد بغزل الخواجة حافظ أعلى الله مقامه في هذا المقام:

ای کـــه بـــا ســـلسلهٔ زلف دراز آمـــده‌ای
فــرصتت بـاد کـه دیـوانـه نـواز آمـده‌ای

آب و آتش بـــه هـــم آمـیخته‌ای از لب لعـل
چشـم بـد دور کـه بس شـعبده باز آمده‌ای

آفـرین بـر دل نـرم تـو کـه از بـهر ثـواب
کشـــتهٔ غـمزهٔ خـود را بـه نـماز آمـده‌ای

زهد من با تـو چـه سنجد کـه بـه یـغمای دلم
مست و آشـــفته بـــه خـلوتگه راز آمـده‌ای

پیش بالای تو میرم چه به صلح و چه به جنگ
کـه بـه هـر حـال بـرازنـدهٔ نـاز آمـده‌ای

گـفت حـافظ دگـرت خـرقه شـراب آلودست
مگـر از مـذهب ایـن طـائفه بـاز آمـده‌ای

(«ديوان حافظ شيرازي» ص ١٩٩ ، الغزل ٤٣٥ ،طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨.

يقول : «يا من أقبلت إلينا ومعك سلاسل طرّتك الطويلة ، يسّر الله فرصتك ، فقد أقبلت لترويض العاشق المجنون.

وقد مزجت الماء والنار على شفتك الياقوتيّة ، فليبعد عنك عين السوء فقد أصبحت مشعوذاً كبيراً.

وليبارك الله قلبك الرقيق حينما أقبلت تسعى إلى الثواب ، فأخذت تصلّي على قتيل غمزاتك.

وما قيمة زهدي معك ، وقد أتيت إلى خلوة أسراري نشوان الرأس مضطرب الحال تسعى إلى الغارة على قلبي.

وأنا على استعداد لأن أموت صلحاً أو حرباً أمام قامتك الطويلة ، لأنك أتيت على الحالين موفور الدلال كامل البهاء. ⇦

ولقد شرع السيّد بتفقّد المنزل فمرّ على أرجاء المنزل وجميع غـرفه واحدةً بعد أُخرى وهو محتفٍ غير ناعل ، ثم صعد إلى السطح فتمشّى فيه ، حتّى أنّه دخل الغرفة الموجودة عـلى السـطح و إلى المـرافـق الصـحّيّة فـي ساحة البيت ؛ ثمّ قال : لهذا المنزل روحـانيّة خـاصّة ، وهـو مـناسب جـدّاً للتوقّف والحلول فيه .

هذا وقد جعلنا محلّ استضافته في غـرفة مـن القسـم الخـارجـيّ مـن المنزل «البرّاني» لها باب منفصل ، في حين كانت **المخدّرة العليّة العـالية : أُمّ مهدي** في الداخل مع أهل البيت وسائر العائلة ، أمّا في الليالي فقد جعلنا محلّ استراحة السيّد مع **أُمّ مهدي** فوق السطح الواسع المسـيّج مـن جـميع أطرافه والذي لا يُشرف عليه أحد ، حيث كان يأوي إليه بعد انتهاء صلاتَي المغرب والعشاء وتناول طعام العشاء مع جميع الرفقاء الحاضرين في القسم الخارجيّ من البيت .

وكان جميع الرفقاء الخاصّين وأصدقائنا السلوكيّين في طهران يأتون إلى محضره صباح كلّ يوم ،كما كان الرفقاء الشيرازيّون من أمثال **آية اللـه الحاجّ الشيخ حسن علي نجابت** مع جميع تلامذته ، و**آية الله الحاجّ الشيخ صدر الدين الحائريّ** ، و**الحاجّ السيّد عبد اللـه الفـاطميّ الشـيرازيّ** مـن شيراز ، والرفقاء الإصـفهانيّون مـن إصـفهان ، والرفـقاء الهـمدانـيّون مـن همدان ، والأصدقاء القمّيّون من قم ؛ يأتون جميعاً إلى طهران فينهلون من محضره كلّ يوم إلى الليل ، وإنصافاً فقد كانت مـجالس سـاخنة وتـوحيديّة غريبة تنعكس فيها آثار التوحيد على وجوه الحاضرين .

⇦ ولقد قال لك «حافظ» لقد تلطّخت خرقتك بالشراب مرّة ثانية ، فهل أصبحت عـلى مذهب هذه الطائفة اللاهية ؟»

وكان السيّد يجلس ساكتاً غالباً ، فإذا وجّه إليه أحدهم سؤالاً أجاب عنه ، وكانت إجاباته ـ على الدوام ـ مختصرة وموجزة وشافية . وكان يصلّي الظهر عند الزوال ، وكان يؤمّ الحاضرين في جميع الأوقات ، باستثناء بعض الأوقات التي كان يحضر المجلس فيها شخص غريب ، فكان آنذاك يوصيني بالقيام بإمامتهم ، وذلك لدقّته الشديدة في حفظ ظواهر الشرع بحيث يستحيل أن يفوته شيء . وكان الطعام يُقدّم بعد الصلاة ، ثمّ ينهض بعض الرفقاء فيهبطون إلى السرداب للاستراحة ، ويستريح البعض الآخر في تلك الغرفة مع السيّد .

وبالرغم من أنّ أبواب الغرفة كانت مفتوحة من الطرفين على الدوام ، إلّا أنّ الفصل كان صيفاً ، ولم نكن نمتلك مبرّدة أو مروحة في البيت ، كما لم يكن لدينا ثلّاجة ، ولربّما كان ذلك يشقّ عليه ؛ ولكن أنّى **للسيّد هاشم الذي قضى عمره** جنب فرن الحدادة في جوّ كربلاء الحارّ يطرق الحديد المتّقد ، والذي كان يوقد الفرن بنفسه ؛ أن يُعير لهذه الأُمور أهمّيّة ، خاصّة وأنّ طبيعة ذلك الرجل الجليل كانت في ذروة العفّة والنجابة ، بحيث يستحيل أن ينبس ببنت شفة في أشدّ المشاكل النفسيّة والروحيّة ، ولم يكن لأحد اطّلاع على ما في نفسه ، ولديّ في خصوصيّاته هذه قضايا وحكايات لو شئت بيانها لخرج الأمر عن عهدة هذه الرسالة ، لذا أكتفي بهذا القدر مجملاً .

وكان يأتي البعض إلى محضره أوقات العصر ، أمّا ليلاً فقد قال بأنّه لا وقت لديه للالتقاء بأحد ؛ فكان المجلس يُختم بعد صلاتَي المغرب والعشاء وتناول شيء من الطعام للعشاء ، فيصعد إلى السطح مع أُمّ مهدي للاستراحة .

وأُمّ **مهدي** هذه لا تزال حيّة حتّى الآن بحمد الله ، وهي امرأة عفيفة

مجاهدة مضحّية وعطوفة ، تنتمي إلى قبيلة عربيّة تمتاز بـالأصالة والنـجابة والشجاعة وحبّ الضيف والتنزّه عن النفاق والرياء ، ولقدكانت هذه المرأة من البساطة و النزاهة وسلامة القلب والطويّة ممّا يثير العجب .

وكانت **أُمّ مهدي** قد قالت لأهل بيتنا : لقد جاء بي **السيّد هاشم** مـعه من كربلاء ، وبيّن لي أن الإيرانيّين لا يعدّون نوم الرجال بصحبة نسائهم ليلاً أمراً قبيحاً حتّى لوكانوا ضـيوفاً عـند غـيرهم (خـلافاً لعـادة العـرب الذيـن يعدّون ذلك أمراً مستهجناً ، فيستحيل أن يبيت الرجل مع زوجته حين يحلّ ضيفاً على أحد ، سواء كانا في السفر أم في الحضر ، ومن ثمّ فإنّ الرجل ينام في القسم الخارجيّ مع الرجال ، وتنام المرأة في داخل البيت مـع النسـاء) . لذا فإنّنا نصعد إلى السطح سويّاً ليلاً ، فيرقد السيّد هاشم أوّل الليل كمن يُريد مخادعتي وإرقادي ، ثمّ ينهض فيأوي إلى زاوية السطح فيصلّي أو يـجلس تجاه القبلة متأمّلاً متفكّراً إلى الصباح .

وكان يؤذّن في بيتنا لصلاة الصبح عند حلول وقتها ، فينزل السيّد من السطح ونأتمّ به في الصلاة . وكان يقرأ في صلاة المغرب السـور القـصار ، ويقرأ في صلاة العشاء والصبح سوراً أطول .

سفر الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد من طهران إلى همدان

انقضت عدّة أيّام في طهران عـلى هـذا المـنوال ، ثـمّ وجّـه الرفـقاء الهمدانيّون الدعوة للسيّد للـتفضّل بـالذهاب إلى هـمدان لعـدّة أيّـام ، فـلبّى دعوتهم وذهب معهم بسيّارة سفر (الحافلة) إلى همدان ، حيث صحبتُه فـي سفرته هذه .

واقتضت المصلحة عند الورود إلى همدان أن يحلّ أوّلاً عـلى مـنزل المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ قدس الله تربته ، ثـمّ

يذهب من هناك إلى مكان آخر ، وذلك أداءً لاحترام ذلك المرحوم وإجلالاً لابنه الأكبر الأرشد : الصديق العزيز **الحاجّ أحمد آقا الأنصاريّ** . وعليه فقد أمضينا في سفرنا هذا ليلةً في سيارة السفر ووصلنا همدان قبل الظهر بثلاث ساعات ، حيث توجّه السيّد الحدّاد مباشرة إلى منزل آية الله الأنصاريّ وبقي ساعة في القسم الخارجيّ لمنزل ذلك المرحوم ، الواقع في شارع «شِوِرين» زقاق «حاجّ خدا كَرَم» ، واستقبله هناك الحاجّ أحمد آقا حفظه الله تعالى ، ثمّ توجّه إلى منزل الحاجّ محمّد حسن البياتيّ .

وحين خرجنا من منزل المرحوم الأنصاريّ قال لي السيّد : لقد كنّا ننتظر من آثار المرحوم في القسم الخارجيّ من منزله شيئاً أكثر !

وكان الرفقاء الهمدانيّون قد سعوا لإعداد مكان يتمتّع بجوّ لطيف ، فاستأجروا بستاناً خارج همدان ، فكان السيّد يذهب إليه نهاراً ويعود إلى همدان ليلاً . وقد أمرني السيّد بإمامتهم في صلاة الجماعة وكان يقتدي على الدوام .

وكانت المجالس الجيّدة تعقد في الليالي بعد الصلاة ، وكان كثير من الرفقاء الطهرانيّين قد قَدِموا إلى هناك ، كما كان سماحة آية الله الحاجّ الشيخ هادي التألّهيّ الجولانيّ الهمدانيّ أدام الله بركاته والمرحوم حجّة الإسلام الحاجّ السيّد مصطفى الهاشميّ الخَرَقانيّ والمرحوم السيّد وليّ الله الجورقانيّ رحمة الله عليهما قد جاءوا أيضاً . وكانت جميع المذاكرات تحصل دائماً بعد قراءة قدر لابأس به من القرآن الكريم ، يتلوه تفسير يلقيه الحقير ، وكان الحديث يتطرّق أحياناً إلى أمر من المعارف فيطلبون منه بيانه وإيضاحه .[1]

١- سأل آية الله الحاجّ الشيخ هادي التألّهيّ ذات ليلة عن معنى هذه الزيارة ⇦

وكانت فترة التوقّف في همدان تسعة أيّام ، وقد اصطحبه الرفقاء يوماً إلى مزار **ابن سينا** فلم تبدُ شخصيّته في نظر السيّد مثيرة للإعجاب . ثمّ اصطحبوه يوماً آخر لزيارة أهل القبور في منطقة «بهار» التابعة لهمدان ، وكذلك لزيارة قبر **المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد البهاريّ** رضوان الله تعالى عليه ، وصحبه إلى هناك جميع الرفقاء الهمدانيّين والطهرانيّين في سيّارتي سفر صغيرتين (ذات ١٨ راكباً) حيث وقف مدّة مع الرفقاء على قبر المرحوم البهاريّ وهم مستقبلو القبلة ، قرأ فيها الفاتحة ودعا لعلوّ درجاته ومقاماته . ثمّ انصرف من ذلك القبر وشرع بالتجوال بين القبور والاستغفار للمدفونين هناك لمدّة نصف ساعة تقريباً .

وكنت أصحبه وحدي في تجواله بين القبور ويتبعه بفاصلة باقي الرفقاء ، فقال لي : لقد سمعنا بأنّ المرحوم الأنصاريّ كان يتردّد كثيراً على

⇦ لفاطمة الزهراء سلام الله عليها:

يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَةً، وَزَعَمْنا أَنَّا لَكِ أَوْلِيَاءُ [وَ] مُصَدِّقُونَ وَصَابِرُونَ لِكُلِّ ما أَتَانَا بِهِ أَبُوكِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَتَى بِهِ وَصِيُّهُ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ إلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنّا قَدْ طَهُرْنَا بِوِلَايَتِكِ . («مفاتيح الجنان» ص ٣١٧ الطبعة الإسلاميّة ، كتابة طاهر خوشنويس، سنة ١٣٧٩ هـ.ق)، ما معنى : **يَا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَكِ ؟** فبقي السيّد هاشم مدّة لاينبس بكلمة ، ولربّما كان يرغب أن أُجيبَ عن هذا السؤال بنفسي ؛ وكانت الغرفة الخارجيّة والاستقبال للحاجّ محمّد حسن البياتيّ زيد توفيقه ـ والتي كان طولها يقرب من ثمَانية أمتار ، وعرضها بحدود ثَلاثَة أمتار ونصف المتر ـ مشحونة بالحاضرين ، لكنّ الحقير كان يرى نفسه أصغر من أن يُجيب عن سؤال آية إلهيّة موجَّه إلى عارف وواصل ربّانيّ بدون أمر سماحة السيّد الحدّاد . وأخيراً أجاب السيّد بنفسه جواباً مجملاً لكنّه كان جامعاً وشافياً يحوي أسراراً ، ممّا بعث السرور والبهجة في نفس آية الله ، وارتياح الحاضرين وابتهاجهم.

هذه المقبرة ويأتي ليزور قبر المرحوم الحاجّ الشيخ محمّد البهاريّ ، وكم كان يأتي ماشياً من همدان التي تبعد عن بهار بمسافة فرسَخين ، وذلك للحصول على الأُمور الروحيّة والمعنويّة وللاستعانة بروحه . وقد اتّضح الآن أنّ المرحوم البهاريّ لم يكن ليمتلك تلك الدرجة التي تستأهل أن يستمدّ المرحوم الأنصاريّ العون منه ويستعين بروحه ويبحث عن ضالّته فيه ؛ لقدكان المرحوم الأنصاريّ يبحث عني ، وكان يأتي إلى هذا المكان ويطوي كلّ هذا الطريق لاستنشاق هذه الرائحة في هذه الساعة .

وعلى كلّ تقدير فقدكان ذلك اليوم يوماً عجيباً ! فقد منح السالكون الشيوخ والكهول بهذا العدد الذي استوعب سيّارتَي السفر الصغيرتين المقبرةَ منظراً معنويّاً وروحانيّاً عجيباً في سيرهم خلف السيّد .

ومن المعروف والمشهور أنّ الشيخ محمّد البهاريّ يستقبل ضيوفه وزائريه ويقوم بضيافتهم ، ولقد امتحن الحقير هذا الأمر بنفسه ، فكنتُ كلّما جئت إلى قبر المرحوم الشيخ ، سواء في حياة المرحوم الأنصاري أم بعد مماته ـ حيث كنت أتردّد كثيراً على همدان ـ فقدكان يستقبلني بنحوٍ خاصّ ،كما أنّ الكثير من الأصدقاء يدّعون هذا الواقع أيضاً . لكنّ استقبال الشيخ للسيّد كان ذلك اليوم على نحوٍ استوعب جميع منطقة بهار همدان ، فاتّجهوا نحو المقابر رجالاً ونساءً .

فقد جلس الحقير مع السيّد بعد التجوال بين القبور في الضلع الشماليّ للمقبرة مفترشين الأرض جنب جدار المقبرة لنستريح مدّة ثمّ نعود إلى المدينة ، فما كان من نساء البيوت الواقعة خلف المقبرة حين رأين السيّد إلّا أن أتيْنَ ببساط فرشْنَه للسيّد ، ثمّ جئن بفراش لجميع الرفقاء الذين كانوا قد تجمّعوا في المقبرة حول السيّد ، فصار الضلع الشماليّ للمقبرة مفروشاً . ثمّ هُرعت بعض النساء من البيوت خارج المقبرة فأخبرن رجالهن ، فجاؤوا

بمراوح يدويّة من الحصير للسيّد ولبقيّة الرفقاء ، لأنّ الجوّ كان حارّاً آنذاك ، ثمّ جاؤوا بشراب «البيدمشك» البارد فسقوا الجميع ، ثمّ عمد الرجال فوراً إلى جلب مقدار من البطيخ الأحمر المشهور لمنطقة بهار وقطّعوه بالسكاكين ووضعوه أمام الضيوف وهم يتمتمون مع أنفسهم : من هو هذا السيّد القادم من كربلاء ؟!

ولم يستطع الرفقاء الهمدانيّون أن يوضِّحوا لهم أكثر من أنّه **سيّد** من أهل **كربلاء** جاء لتقبيل أعتاب الإمام الثامن عليه السلام .

ولقد تقاطر أهل المدينة على المقبرة شيئاً فشيئاً حتّى غصّت المقبرة بالناس ، في حين لم يبقَ للغروب إلّا نصف ساعة ، وكان البعض منهم يقول : نريد أن نذبح ذبحاً تحت قدميه ! وبعض يقول : يجب أن يأتي السيّد عندنا الليلة فلا يمكن أن ندعكم ترجعون إلى المدينة .

وأخيراً قام السيّد من مكانه وتوجّه نحو باب المقبرة لركوب السيّارة وقال للجميع : لا مانع لديّ من البقاء هنا الليلة والضيافة عندكم ، لكنّ هذا السيّد المحترم كان قد دعانا الليلة إلى منزله وأعدّ الطعام ، وهذا الجمع مدعوّون لديه مع بعض آخر ، وهم في الانتظار ، وإن وفّقت وجئت إن شاء الله تعالى ثانيةً إلى منطقة **بهار** فسآتي وأكون في خدمتكم وأبيت عندكم .

وكان الشخص الذي دُعينا إلى منزله تلك الليلة هو **الحاجّ محمّد بيك زاده** ابن أُخت المرحوم الأنصاريّ ، وكان بائعاً للشاي ، وكان معنا في الجمع الحاضر ، فجاء وتحدّث مع أهل بهار ، فصار مسلّماً لديهم أنّ السيّد معذور في الذهاب .

أمّا حين أراد السيّد الركوب في السيّارة فقد أحاط به الناس ، فمنهم من يُقَبِّل يده ، ومنهم من يقبّل رِجلَيه ، وآخرون يقبّلون باب السيّارة ، ثمّ جلس السيّد في السيّارة فصاروا يقبّلون زجاج النوافذ من الخارج ، ثمّ

تحرّكت السيّارة من وسط هذا الجمع متّجهةً نحو همدان .

وهكذا ، وبعد أن قام الرفقاء الهمدانيّون بشرح مشكلاتهم السلوكيّة استفاضوا منه وارتَوَوا ونالوا مُناهم ، فقد عاد السيّد إلى طهران .

لقاء وخلوة المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ مرتضى المطهّريّ بسماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد رحمة الله عليهما

لقدكان للمرحوم المطهّريّ علاقات الصداقة والمعرفة الممتدّة مع الحقير ، وقد ورد الذِّكر المبارك للسيّد بيننا بعض الأحيان بشكل مقتضب غير كامل ، فتوجّب بعد مجيء السيّد من كربلاء إلى طهران أن يستفيد هذا الصديق القديم أيضاً من محضره . ومن ثمّ فقد قام الحقير بإخبار الشيخ المطهّريّ فتفضّل بالمجيء إلى منزلي في منطقة **أحمديّة دولاب** ، فالتقى بالسيّد في مجلس عامّ وقام بطرح بعض الأسئلة عليه ، فأجاب السيّد عليها ؛ فشغف المرحوم المطهّريّ به ، لكأنّه وجد فيه ضالّته المنشودة . ثمّ جاء مرةً أُخرى فتحادثا في هذه الغرفة الخارجيّة العموميّة . وعندها قال لي المرحوم الصديق العزيز المطهّريّ : أيمكن لسماحة السيّد أن يمنحني من وقته ساعة أُلاقيه فيها على انفراد ؟!

قلتُ : لا مانع في الأمر ، فالسيّد يعطيك هذا الوقت ، ولدينا كذلك مكان للخلوة !

ثمّ نقلت ذلك للسيّد ، فقال : لا مانع من ذلك ، فليأتِ وليسلْ ما يريد .

وكان لدينا غرفة صغيرة في سطح المنزل تُبنى عادة للاستفادة منها في حفظ بعض أثاث المنزل ولوازمه ، فأعدّها الحقير مكاناً لخلوتهما . ثمّ قام السيّد بتعيين ساعة معيّنة في اليوم التالي لذلك اللقاء الخاصّ . وقد جاء المرحوم الشهيد المطهّريّ في الموعد المقرّر فصحبتُه وسماحة السيّد

الحدّاد إلى سطح المنزل ، ثم أقفلتُ باب السطح عند نزولي لئلّا يصعد أحد إلى السطح ، حتّى من الأطفال أو من الرفقاء والأصدقاء الذين لا علم لهم بالأمر .

وقد استفسر المرحوم المطهّريّ منه وقتذاك ما شاء من الأسئلة القديمة والمخزونة التي لم يعثر لها على جواب ، ثمّ انقضت الساعة وهبط السيّد وخلفه المرحوم المطهّريّ ، فرأيت أنّ المطهّريّ كان مبتهجاً وسعيداً تلوح آثار المسرّة على وجناته .

ولم أسأل من سماحة السيّد ولا من الشيخ المطهّريّ عمّا دار بينهما ، ولست أعلم منه شيئاً حتّى يومنا هذا ، لكنّ المرحوم المطهّريّ قال للحقير بصوتٍ خافت عند خروجه : **إنّ هذا السيّد يبعث الحياة والروح في الإنسان!**

وجدير بالقول إنّ المرحوم المطهّريّ قال للحقير يوماً : لقد كنتُ مع السيّد محمّد الحسينيّ البهشتيّ في قم في ورطة مهلكة ، لكنّ لقاؤنا **بالعلّامة الطباطبائيّ** وإعانته لنا قد أنجانا من تلك الورطة .

وعليه ، فإنّ كلام المرحوم المطهّريّ بشأن سماحة الحاجّ السيّد هاشم وقوله : **إنّ هذا السيّد يبعث الحياة والروح في الإنسان** ،كان في زمن حياة سماحة العلّامة وقبل رحيله ـ الذي صادف في الثامن عشر من محرّم الحرام ١٤٠٢ هجريّة ـ بستّ عشرة سنة ؛ على أنّ العلّامة قد خلع لباس البدن وارتدى ثوب البقاء بعد المرحوم المطهّريّ .

وكان للمرحوم المطهّريّ لقاء خاصّ آخر وعلى انفراد مع السيّد استغرق ساعة كسالفه ، وكان بعد عودة السيّد من سفره إلى مشهد المقدّسة ـ الذي سيأتي تفصيله فيما بعد ـ ولم يكن للحقير هذه المرّة أيضاً اطّلاع عمّا تبادلا من أحاديث ، لكنّ ما أعلمه أنّ المرحوم المطهّريّ كان قد طلب من

سماحة السيّد في هذه الجلسة أن يعطيه برنامج عمل ، وأنّ السيّد قد أعطاه ذلك .

ثمّ طلب منّي المرحوم المطهّريّ أن أعطيه صورة للسيّد الحدّاد ليضعها في غرفته ، فقلت له : سأعطيكم صورته لتحتفظوا بها ، فلا تعلّقوها في غرفتكم ، بل ضعوا بدلاً منها صورة المرحوم القاضي ، وذلك لأنّ الحاجّ السيّد هاشم رجل غير معروف وأنتم من المشهورين الذين يتردّد عليكم جميع الطبقات ، وسيسألكم هؤلاء حين يرون صورته لديكم : مَن هذا الرجل ؟ ولماذا صورته هنا ؟ وهكذا فإن الأمر سيسبّب لكم الأذى ، كما أنّ السيّد لا يرغب أن يصبح اسمه مشهوراً ، أمّا بالنسبة للمرحوم القاضي فالأمر مختلف .

وهكذا فقد ذهب الحقير يوماً إلى منزل ذلك المرحوم ، فرأيت أنّه قد وضع في غرفته ثلاث صور : صورة المرحوم أبيه : الشيخ محمّد حسين المطهّريّ ، وصورة المرحوم الحاجّ الشيخ الميرزا علي آقا الشيرازيّ ، وصورة المرحوم آية الله الحاجّ الميرزا السيّد علي آقا القاضي التبريزيّ الطباطبائيّ قدّس الله أسرارهم وأعلى درجاتهم ومقاماتهم جميعاً .

وكنت كذلك قد أعطيت للمرحوم المطهّريّ عند سفره للتشرّف بزيارة العتبات المقدّسة عنوان منزل الحاجّ السيّد هاشم ، فذهب إليه في كربلاء مرّتين ، ودام لقاؤه الأوّل ساعة تقريباً ، ثمّ ذهب إليه يوماً آخر صباحاً فتناول معه طعام الفطور .

وكان المرحوم المطهّريّ مسروراً يبدو به الوجد عند عودته من هذه اللقاءات ، وكان يقول : ذهبتُ يوماً إليه فسألني : كيف تصلّي ؟

قلت : بانتباه كامل إلى معاني كلمات الصلاة وجملاتها !

فقال : **فمتى تصلّي إذاً** ؟! إنّ انتباهك والتفاتك لابدّ أن يكون في

الصلاة للّه فقط لا لسواه ، فلا تلتفت إلى المعاني !

ولقد كانت جملته هذه ـ إنصافاً ـ تضمّ الأسرار والدقائق ، وكانت حقيقة الأمر كما تفضّل ، وذلك لأنّ الإنسان إن توجّه في صلاته إلى معاني الكلمات ، كأن يركّز على معنى عبارة **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ، وهو : أنّني أعبدك إيّاك فقط وأستعين بك فقط ، فإنّ انتباه المصلّي وفكره سيتوجّه إلى هذه الحقيقة ، فيغفل عن التوجّه الكامل إلى الله سبحانه ؛ في حين أنّ التوجّه ينبغي أن يكون إلى الله تعالى ، وأن يكون المخاطب هو الله سبحانه فقط . وفي هذه الحال فإنّ المصلّي لن يتوجّه إلى المعنى إلّا باللحاظ **الآلي والمرآتيّ** . وهكذا في باقي الصلاة التي ينبغي ألّا يكون انتباه الإنسان إلى ألفاظها وعباراتها غير التوجّه **الآليّ والمرآتيّ** .

وذلك لأنّه إن بذل اهتمامه وانتباهه إلى ألفاظ الصلاة من جهة صحّة أدائها وتجويدها وأداء مخارج حروفها ، فلن تكون الصلاة عند ذاك صلاة ، لأنّها تفتقد التوجّه إلى الله والتوجّه إلى المعنى .

أمّا إذا كان التوجّه إلى الله سبحانه ، فلم يغفل الإنسان عن الله لحظةً واحدة في خطابه وكلامه معه ولم يفكّر في ألفاظ الصلاة ولا في معانيها ، فإنّ جميع الألفاظ ستأتي عند ذاك تلقائيّاً بنحو **آليّ ومرآتيّ** ، أي بالنظر غير الاستقلاليّ ، وتتبعها جميع المعاني أيضاً بالطريق **الآليّ والمرآتيّ** لا بالنظر الاستقلاليّ ، وستكون قد أُدّيت بأجمعها بالشكل الصحيح والمطلوب بدون أن يرد خلل في حضور القلب والتوجّه التامّ إلى الله سبحانه وتعالى .

وعلى سبيل المثال ، فلو لاحظنا هذه المكالمات والمحادثات التي تدور بيننا ليلاً ونهاراً ، والكلمات والخُطَب والمراجعات وفصل الخصومات وسائر الأُمور التي تضمّ عنوان التخاطب والمحادثة ، لوجدنا أنّ

جميع تركيزنا يتوجّه على الشخص المخاطب لا على الخطاب ، وسيكون ما يجري في الخطاب عند ذاك من عقل الإنسان وفكره على لسانه صحيحاً وصائباً بأجمعه بدون أن نلتفت إلى صحّته وصوابه . أمّا إذا انتبهنا إلى العبارات والمطالب المتبادلة ، فإنّ أساس الالتفات في الخطاب سيزول ، ولن يكون في تلك اللحظة وجود لمخاطب ما .

ولقد قال أعلامنا : **إنّ الجمع بين لحاظين استقلاليّ وآليّ أمر غير ممكن**. فلو كان لحاظنا في الصلاة مستقلّاً إلى الله تعالى فإنّ ألفاظها ومعانيها ينبغي حتماً أن تكون **آليّة وغير استقلاليّة وتبعيّة** . أمّا إذا كان لحاظنا مصروفاً إلى **ألفاظ الصلاة أو معانيها بشكل مستقلّ** ، فإنّ التفاتنا إلى الله سيكون ـ بشكل قهريّ واضطراريّ ـ **تبعيّاً ضمنيّاً** وغير استقلاليّ .

وحين أتكلّم معكم فأقول مثلاً : «أيّها السيّد ! لا تسافروا اليوم وابقوا في حرم الإمام الرضا !» فإنّ التفاتي وانتباهي ينصبّ بأكمله عليكم وعلى حقيقتكم ، وهذا ما يدعونه بالنظر الاستقلاليّ . وبالطبع فإنّ هذه المعاني ستخطر في ذهني بلا خطأ ، فيقوم ذهني باستخدام ألفاظ تتناسب مع تلك المعاني وتُجري هذه المعاني والألفاظ على لساني بشكل متعاقب بدون أيّ خطأ ليظهر لكم ذلك المقصود . أمّا لو شئت استحضار معنى «لا تسافروا اليوم» في ذهني ، أو تصوّر ألفاظه على الخصوص ، فإنّ مسألة كونكم مخاطبين ستزول وستفقد استقلاليّتها ، ولا مفرّ من أن تكون أمراً ضمنيّاً وتبعيّاً وآليّاً ومرآتيّاً .

ولابدّ أن يكون الإنسان في صلاته ـ وهي أهمّ الأُمور ـ منقطعاً إلى الله في حضور قلب ، فلا تمرّ في ذهنه أيّة خاطرة أو فكرة ، وهذا الأمر يمكن تحقّقه فقط حين تخطر في الذهن جملات الصلاة وعباراتها المتضمّنة لمعانيها بالطبع ، ثمّ تجري على اللسان بدون أيّ التفات إليها .

وحينذاك ستكتسب الصلاة حقيقتها وواقعيّتها ، فيصحّ تسميتها بالصلاة . أي أنّ المخاطب فيها هو الله وحضور القلب فيها كان مع الله ، أمّا بغير ذلك فإنّ حضور القلب سيكون إلى الألفاظ و**المعاني** ، وسيكون الله العليّ الأعلى مهجوراً لم تجْر ملاحظته والالتفات إليه إلّا بالنظر الضمنيّ الذي ليس في الحقيقة نظراً .

نعم ، لقد كان المرحوم الحاجّ السيّد هاشم يحبّ المرحوم المطهّريّ ، وحين التقى الحقير في سفره الأخير إلى الشام بعد شهادة المرحوم المطهّريّ بسماحة السيّد ـ الذي تشرّف هو الآخر بالذهاب إلى هناك للزيارة ـ فقد أبدى السيّد تأسّفه لتلك الخسارة . **رحم الله الغابرين وألحق الباقين بهم إن شاء الله تعالى .**

ولقد سأل أحدهم الحاجّ السيّد هاشم ذات يوم : ما هو **التجرّد** ؟ فأجاب :

التجرّد عبارة عن معرفة الإنسان بالمشاهدة أنّ حقيقته هي غير هذه الظواهر والمظاهر .

ثمّ أردف بعد سكوت قليل : لقد عمد شخص ـ من أجل أن لا يُضيع نفسه ـ إلى قَرْعَةٍ فثقبها وعلّقها في عنقه ، فكانت معلّقة في عنقه في الحضر والسفر ، وفي النوم واليقظة ، وكان سعيداً على الدوام ، يفكّر : لم يحدث حتّى الآن أن أضعت نفسي مع وجود هذه العلامة الكبيرة ، ولن أُضيع نفسي معها إلى آخر العمر .

وحدث أن سافر مع رفيق له ، فناما ذات ليلة مظلمة ، فاستيقظ رفيقه منتصف الليل ، فنهض وفكّ القَرعة من عنق صاحبه وعلّقها في عنقه ، ثمّ أخلد إلى النوم من جديد . فلمّا أصبحا نهض الرجل صاحب القرعة ، فرأى أنّها ليست معلّقة في عنقه ، وأنّه لذلك سيضيّع نفسه ، ثمّ لاحظ أنّ القَرعة

معلّقة في رقبة رفيقه النائم ، فقال : من المؤكَّد أنّني أنا ذلك الرفيق النائم ، لأنّ علامتي معلّقة في عنقه .

وهكذا فقد بقي مدّة متحيّراً يفكّر : يا إلهي ! ما الذي حدث لي فتبدّلتُ ! فأنا أجد ـ من جهة ـ أنّني أنا ، ولكن أين صارت القَرعة التي في عنقي ؟!

وأجد ـ من جهة أُخرى ـ أنّ القَرعة كانت علامتي التي لا تنفكّ عنّي ، فأنا إذاً هذا الرجل النائم الذي عُلِّقَت القَرعة في عنقه . وبقي مترنّماً مع نفسه :

اگـــر تـــو مـنى پس مـن كـيَمْ
اگر من مَنَم پس كو كدوى گـردنم[1]

نعم ، تجب ملاحظة كيف أنّ ذلك التفسير ، ومن ثمّ هذا المثال اللطيف الذي بيّنه السيّد هاشم قدّس الله تربته المنيفة كانا في نهاية الوضوح والبيان لهذا المعنى ، وكم كان بيانه مثيراً للعجب حين أوضح حقيقة التجرّد بهذا الجلاء !

إنّ الإنسان العاديّ والعامّيّ الخارج عن مسيرة السلوك والعرفان ، يفصل نفسه عن عالم الحقيقة بهذه الآثار واللوازم الطبيعيّة والمادّيّة والنفسيّة ، كالنسبة للأب والأُمّ والمحيط والزمان والمكان والعلوم المحدودة والقدرة المحدودة والحياة المحدودة وسائر الصفات والأعمال والآثار التي يعتبرها تابعة له وينسبها لنفسه ، في حين أنّه يعدّ الله القادر القاهر الحيّ القيّوم العليم السميع البصير إلهاً خياليّاً وتصوّريّاً ، يتصوّره موجوداً محدوداً ومقيّداً في زاوية الحياة وفي الموارد الاستثنائيّة كالزلزلة

١ـ يقول : «إن كنتَ أنت أنا ، فمن أنا ؟ وإن كنتُ أنا أنا ، فأين قَرْعَةُ رقبتي ؟!».

والسيل والموت وأمثالها ، أو في أعالي السماء ؛ بينما الواقع غير هذا ، فالله سبحانه هو الأصل والأصيل وليست باقي الموجودات مع جميع آثارها ولوازمها إلّا فرعاً منه وتابعاً له .

الله سبحانه هو **أصل الوجود ، وكمال الوجود ، وحقيقة الحياة والعلم والقدرة** ، وجميع ما سواه أُمور اعتباريّة وماهيّات إمكانيّة ، حياتها وعلمها وقدرتها مجاز وتبع وظلّ . الله قائم بذاته ، أمّا جميع الموجودات فقائمة به .

وهذا الأمر ، وهذه النظريّة وهذا النظر إلى الذات والنظرة الاستقلاليّة أمر موجود في الطبيعة البشريّة ، اللهمّ إلّا مَن وضع قدمه بثبات على جادّة التوحيد ، واستطاع بتربية الأُستاذ الإلهيّ في المعارف الدينيّة للشريعة الإسلاميّة الحقّة ، وبالمجاهدة للنفس الأمّارة أن يعمد إلى هذا الإله التصوّريّ الذي ليس إلّا وجوده هو ، مع الصفات والآثار المتعلّقة بذاته والتي يراها جميعاً ويعتبرها عائدة له فينسبها لنفسه ، ويتصوّر نفسه مستقلّاً على الدوام عملاً وفعلاً ـ ولو لم يفه بذلك لساناً ـ فيعمد إلى صنم النظرة الاستقلاليّة هذا فيسقطه ، وإلى قصر الاستبداد هذا فيهدمه ، وإلى الجبل العظيم للأنانيّة وهوى النفس الأمّارة فيدّكه ، فيلمس حقيقة **لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ** .[1] أو حقيقة كلام النبيّ يوسف **على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام** لصاحبَيه اللذين كانا معه في السجن :

يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ .[2]

فالسالك في طريق الله يرى نفسه بالوجدان والمشاهدة وباللمس

١ـ الآية ١٦ ، من السورة ٤٠ : غافر .

٢ـ الآية ٣٩ ، من السورة ١٢ : يوسف .

والعيان ـ لا بالدليل والبرهان ـ خارج هذه الحدود وخارج هذه النِّسَب الاستقلاليّة. فهو يرى أنّه ـ ويا للعجب ـ كان وجوداً أفضل وأعلى وأسمى وأرقى، وأن لا وجود لذاك الوجود المجازيّ الذي كان حتّى الآن ينسبه لنفسه ويتصوّره أنّه هو، فنفسه شيء آخر مجرّد ومنوّر وبسيط، يمتلك حياةً وعلماً وقدرة حقيقيّة، في حين كان ذلك الوجود السابق شيئاً قذراً ظلمانيّاً ومحدوداً ومقيّداً وذا حياة وعلم وقدرة محدودة ومجازيّة.

فهو يرى من جهة أنّه كان كذلك فصار هكذا وظهر بهذه الصورة القيّمة البسيطة والجميلة، فلا شكّ ولا ريب أنّ هذا ليس إلّا نفسه. ويرى من جهة أُخرى أنّ هذا ليس ذاك، فلا تناسب ولا تشابه بينهما؛ فذاك ميّت وهذا حيّ، وذاك جاهل وهذا عالم، وذاك عاجز وهذا قادر، وهو محدود وهذا مجرّد، وذاك ظلمة وهذا نور ومنير، وذاك ثقيل وهذا خفيف متسام.

وخلاصة الأمر أنّ جميع صفاته وأسمائه قد تغيّرت، فصارت له صفات إلهيّة وأنّه خرج من لباس الشيطان فارتدى خلعة المَلَك والملكوت واللباس الإلهيّ، فلا شكّ لديه أنّ هذا ليس ذاك.

تماماً، كتلك القَرْعة التي علّقها ذلك الرجل في عنقه. على أنّ بعض القَرْع كبير جدّاً ومجوّف يجعله البعض إناءً فيستفيدون منه، وقد شاهد الحقير أنّهم كانوا يصنعون منه سابقاً كوزاً لغليون التدخين. وباعتبار أنّ القَرْع خفيف الوزن ومجوّف، فهو إذا جُفِّف صار يرنّ لو نُقر بإصبع واحدة، ولأنّه كبير الحجم فقد كان اختياراً ملائماً ليصبح هويّة وعلامةً لهذا الرجل.

أي أنّ الإنسان بشكل عامّ يحاول حفظ ذاتيّته بهذه الزينة والحليّ، وبهذه التعيّنات الاعتباريّة، وبهذه التصوّرات الجوفاء الخالية الرنّانة. لكنّ جميع هذه التعيّنات تزول دفعة واحدة لدى السالك في طريق الله، فيشاهد

علامات العلم والقدرة والحياة وآثارها في وجود آخر يمثّل حقيقته هـو . فيتأمّل ويتساءل أن : لو كانت هذه الآثار لي أنـا ، فـلِمَ هـي غـير مـوجودة الآن ؟ وإن كانت هذه الآثار لحقيقتي ، فلِمَ كانت لهذا المـوجود المـجازيّ الذي هو أنا ؟ فيعترف أخيراً أن **لَا مُؤَثِّرَ فِي الوُجُودِ سِوَى اللَه**.[1]

١ـ ورد في «مصباح الشريعة» ص ٦٦ ، طبعة مركز نشر الكـتاب ، سـنة ١٣٧٩ هـ.ق، الباب ١٠٠ في حقيقة العبوديّة:

قال الصادق عليه السلام : **العُبُودِيَّةُ جَوْهَرَةٌ كُنْهُهَا الرُّبُوبِيَّةُ ؛ فَمَا فُقِدَ مِنَ العُبُودِيَّةِ وُجِدَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ ، وَمَا خَفِيَ عَنِ الرُّبُوبِيَّةِ أُصِيبَ فِي العُبُودِيَّةِ . قَالَ اللَهُ تَعَالَى : «سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ». أَيْ مَوْجُودٌ فِي غَيْبَتِكَ وَفِي حَضْرَتِكَ** ـ الحديث.

ويقول عماد الحكماء والمفسّرين والمحدّثين : المحقِّق الفيض الكاشانيّ في كـتاب «كلمات مكنونة» ص ٧٥ و٧٦ ، الطبعة الحجريّة:

وَرَوَى ابْنُ جُمْهُورٍ الأَحْسَائِيّ عَنْهُ (أَيْ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّـلَامُ) قَـالَ : إنَّ لِـلَّهِ شَـرَاباً لِأَوْلِيَائِهِ ؛ إذَا شَرِبُوا سَكِرُوا ، وَإذَا سَكِرُوا طَرِبُوا ، وَإذَا طَرِبُوا طَابُوا ، وَإذَا طَابُوا ذَابُوا ، وَإذَا ذَابُوا خَلَصُوا ، وَإذَا خَلَصُوا طَلَبُوا ، وَإذَا طَلَبُوا وَجَدُوا ، وَإذَا وَجَدُوا وَصَلُوا ، وَإذَا وَصَلُوا اتَّصَلُوا، وَإذَا اتَّصَلُوا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَبِيبِهِمْ.

ثمّ يقول المحقّق الفيض : ومن جملة ما يناسب هذا المـقام مـا ورد فـي الحـديث القدسيّ :

مَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي ، وَمَنْ وَجَدَنِي عَرَفَنِي ، وَمَنْ عَرَفَنِي أحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي عَشَقَنِي ، وَمَنْ عَشِقَنِي عَشِقْتُهُ ، وَمَنْ عَشِقْتُهُ قَتَلْتُهُ ، وَمَنْ قَتَلْتُهُ فَعَلَيَّ دِيَتُهُ ، وَمَنْ عَلَيَّ دِيَتُهُ فَأَنَا دِيَتُهُ .

ويقول صدر المتألّهين الشيرازيّ نوّر الله مرقده في تفسير سورة السجدة (انـتشارات بيدار قم ، ص ٩٧) : ذيل الآية ١٤ : **فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ـ حتّى يصل إلى قوله:

وعليه ، فإنّ حياة أهل الإيمان هي مطلقاً مرتبة ليست لغيرهم ، لأنّهم المخصوصون بكلام رسول الله صلّى الله عليه وآله في قوله : **المُؤْمِنُ حَيٌّ فِي الدَّارَيْنِ** . وحياة الشـهداء مرتبة فوق هذه المرتبة ، لقول الله تعالى : **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَٰتًا** ⇦

ما عَدَم هائيم و هستی‌های ما تو وجود مطلقی فانی نما[1]

ولقد أورد الحكماء الإلهيّون والعرفاء الربّانيّون هذه الحقيقة بالتفصيل في كتبهم وشرعوا في بيانها وشرحها، ونكتفي هنا بذكر أبيات للعارف الجليل الشيخ محمود الشبستريّ :

در إشاره به تَرْسَائی[2]

ز ترسائی غرض تجرید دیدم
خلاص از ربقهٔ تقلید دیدم[3]

⇦ **بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ** (الآية ١٦٩، وذيل الآية ١٧٠، من السورة ٣: آل عمران).

وحياة أولياء الله حياة فوق الجميع، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله : **أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي***. وهم الذين يقول الله فيهم : **مَنْ قَتَلْتُهُ فَأَنَا دِيَتُهُ** ؛ أي حياته.

* ـ «البخاري» ج ٩، ص ٩٧، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب ما يكره من التعمّق والتنازع في العلم، طبعة بولاق. وورد هذا الحديث كذلك في بقيّة الصحاح، يراجع «المعجم المفهرس» ج ٢، ص ٤٨١، في مادّة سَقَى، طبعة دار الدعوة، إستانبول.

١ـ كتاب «مثنوي معنوي مولوي» ج ١، ص ١٦، السطر ١٦، طبعة آقا ميرزا محمود؛ وفي طبعة ميرخاني : ص ١٧، السطر ١٨. وأورد الأوّل في هامشه أن «ما عدم‌هائيم» قد فُسِّرت على نحوَينِ : فمنهم من جعل «هستيهاى ما» معطوفة على «ما»، أي : نحن، أي ماهيّاتنا ووجوداتنا التي هي محض وجود رابط، معدومون وفانون، لكنّنا نبدو موجودينَ ؛ بينما تبدو أنت ـ وأنت الوجود المطلق الأصليّ ـ في نظرنا القاصر فانياً. والبعض يعتبر «هستيهاى ما» مبتدأ، أي : وجوداتُنا أنت ومنك ؛ فأنت الوجود المطلق الأصيل الذي لا فناء لك.

٢ـ **إشارة إلى الرهبة**

٣ـ «گلشن راز» ص ٨٤ إلى ٩٠، طبعة عماد الدين الأردبيليّ.

يقول: «رأيت التجرّد والخلاص من ربقة التقليد هو الهدف من التجرّد».

جناب قُدس وحدت دیْرِ جـان است
کـــه سـیمرغ بـقا را آشـیان است
ز روح اللـــه پـیدا گشت ایـن کـار
کـــه از روح القـدس آمـد پـدیدار
هم از اللـهْ در پـیش تـو جـانی است
که از روح القدس در وی نشانی است
اگر یـابی خـلاص از نـفس نـاسوت
در آیـی در جـناب قـدس لاهـوت
هر آن کس کو مجرّد چون مَلَک شـد
چـو روح اللـه بـر چـارم فـلک شـد[1]

«تمثيل»

بـود مـحبوس طـفل شـیر خـواره
بـــه نـــزد مـادر انـدر گـاهواره
چه گشت او بـالغ و مـرد سـفر شـد
اگـر مـرد است هـمراه پـدر شـد[2]

١ـ يقول: «فإنّ قدس الوحدة هو دير الروح ، وعشّ عنقاء البقاء الحقيقيّ.
فقد ظهر هذا التنزّه والتجرّد عند عيسى روح الله ، من روح القدس (إشارةً إلى «ونفخت فيه من روحي»).
كذلك فإنّ فيك روحاً من الله وأثراً من روح القدس.
فإن تخلّصتَ من النفس الناسوتيّة ، فستدخل في حريم قدس اللاهوت.
فالذي تجرّد كالمَلَك عَرَج كروح الله إلى الفلك الرابع».
٢ـ يقول : «إنّ الطفل الرضيع محبوس في المهد عند أُمّه.
لكنّه عندما يصبح بالغاً ، فإنّه يتبع أباه ويرافقه إن كان رجلاً».

عـناصر مـرتو را چـون امّ سِـفلِى است
تــو فــرزند و پــدر آبـاءِ عِـلْوى است
از آن گــفته است عــيسى گــاهِ اسْــرا
كـــه آهـــنگ پـــدر دارم بـــه بـــالا
تــو هــم جــان پـدر سـوى پـدر شـو
بــه در رفــتند هــمراهــان بـه در شـو
اگــر خـواهـى كـه گـردى مـرغ پـرواز
جـــهان جـيفه پـيش كـركس انــداز
بــه دونــان ده مــر ايــن دنـياى غـدّار
كـــه جــز سگ را نشــايد داد مــردار
نسب چِــبْوَد مــناسب را طَـلَب كـن
بـــه حــقّ رو آور و تــرك نسب كــن
بـــه بــحر نــيستى هــركو فــرو شــد
فَـــلَا أنســابَ نــقد وقت او شــد[1]

١ـ يقول : «والعناصر هي لك كالأُمّ السفليّة ، أنت ابن وأبوك علويّ كالأفلاك.

ولأنّ للأفلاك حكم الأب ، فقد قال عيسى عند إسرائه : إنّني أعرج إلى أبي وأبيكم السماويّ.

وأنت يا بُنَيَّ اتّجه نحو أبيك ، فالذين كانوا يرافقونك قد اتّجهوا نحو العالَم العلويّ فاتّجه أنت بدورك.

وإن شئت التحليق كالطائر ، فألقِ جيفة الدنيا إلى العُقبان التي تقتات على الموتى.

ودَعْ إلى السَّفَلة هذه الدنيا الغدّارة ، فالجيفة لا تُلقى إلّا إلى الكلاب.

وما الذي سيعود عليك من النسب ؟ فاطلب المُناسب واللائق ويمّمْ نحو الحقّ واترك النسب والعلائق الدنيويّة.

فإنّ من غاصت قدماه في بحر العدم سيكون نصيبه **فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ**».

هر آن نسبت كه پيدا شد ز شهوت
ندارد حاصلى جز گَرْدِ نخوت
اگر شهوت نبودى در ميانه
نَسَبْها جمله ميگشتى فَسانه
چه شهوت در ميانه كارگر شد
يكى مادر شد آن ديگر پدر شد
نميگويم كه : مادر يا پدر كيست !
كه با ايشان به حرمت بايدت زيست
نهاده ناقصى را نام خواهر
حسودى را لقب كرده برادر
عَدُوِ خويش را فرزند خوانى
ز خود بيگانه خويشاوند خوانى
مرا بارى بگو : تا خال و عم كيست
وز ايشان حاصلى جز درد و غم نيست[1]

١ـ يقول : «وكلّ نسبةٍ وُجدت من شهوة ، لا تجلب لك إلّا غبار الأنانيّة.

ولو عُدِمَت الشهوة في اجتماع الرجل والمرأة ، لصار النسب خيالاً ولانقطعت الأنساب.

لكنّ هذه الشهوة كانت فعّالة أوجبت الزواج ، فصار أحدهما أُمّاً والآخر أباً.

ولست بذامّ للأب والأُمّ ، فالعيش مهما كان يجب أن يقترن بالاحترام والتوقير.

لقد دُعي ناقص العقل والدين أُختاً ، ودُعي الحسود (كإخوة يوسف) أخاً.

وها أنت تدعو عدوّك ابناً **(إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ)** ، وتدعو الغريب عنك قريباً لك.

فقل لي : مَن هم الخال والعمّ ، وماذا يعود على المرء منهم غير الأذى والغمّ ؟».

رفـــيقانی کـــه بـا تـو در طـریقند
پـــی هـــزل ای بـرادر هـم رفـیقند
بـه کـوی جِـدّ اگـر یک دم نشـینی
از ایشـان مـن چـه گـویم تـا چـه بـینی
هــمه اَفســانه و اَفســون و بـند است
به جان خواجـه کـاینها ریشـخند است
به مـردی وارهـان خـود را چـه مـردان
و لیکـــن حـقّ کس ضـایع مگـردان
ز شـــرع ار یک دقـیقه مـاند مُـهْمَل
شـوی در هـر دو کـون از دیـن مـعطّل
حـــقوق شـــرع را زیـــنهار مگـذار
ولیکـــن خـویشتن را هـم نگـهدار
ز ســـوزن[1] نـــیست الّا مـایهٔ غـم
بـه جـا بگـذار چـون عِـیسیِّ مـریم[2]

١ـ أورد في «گلشن راز» طبعة طهوري ، تحقيق الدكتور صمد موحّد ، هذا البيت بلفظ: «زر و زن» (= الذهب والمرأة).

٢ـ يقول : «فإنّ أصحابك الذين يرافقونك فى الحياة ، إنّما يا أخي يرافقونك هزلاً.
فإن صِرتَ إلى الجِدّ سمعتَ منهم ورأيت ما يجلّ عن الوصف.
لكنّ هذه الأنساب بأجمعها ليست ـلعمرك ـ إلّا خيالاً وقيداً وضحكاً على الذقون.
فكن رجلاً وخلّص نفسك كما فعل الرجال ، وتحرّر من هذه القيود ، دون أن تضيّع حقّاً لأحد.
ولو أهملت الشرع دقيقة واحدة ، لصرت بلا دين في الكونَينِ.
فارْعَ حقوق الشرع وإيّاك أن تهملها ، ولكن عليك أيضاً أن تحفظ نفسك وتتعاهدها.
فليس من شيء تافه ـولو كالإبرة ـ إلّا وكان منشأً للغمّ ، فدعها كما فعل عيسى ابن ⇦

حـــــنيفی شـــو ز قـــيد هـــر مـــذاهب
درآ در دَيْـــــرِ ديـــــن مــــانند راهب
تـــو را تـــا در نـظر أغـيار و غـير است
اگـــر در مسـجدی آن عـين دَيْـر است
چـــو بـر خـيزد ز پـيشت كسـوت غـير
شـــود بـــهر تـــو مسجد صـورت ديـر
نـــميدانـــم بـــه هـــر جـائی كـه هسـتی
خـــلاف نـــفس كـــافر كـــن كـه رسـتی
بت و زُنّـــــار و تـــــرسائیّ و نـــاقوس
إشـــارت شـــد هـــمه بـا تـرک نـاموس
اگـر خـواهـی كـه گـردی بـندۀ خـاص
مُـــهَيّا شـــو بـــرای صِـــدق و اخـلاص
بـــــرو خـــود را ز راه خـــويش بـــرگير
بـــه هـــر يک لحـظه ايـمان دگـر گـير[1]

⇦ مريم».

١ـ يقول : «وكن حنيفاً إبراهيميّاً وتحرّر من قيد كلّ مذهب ، وانقطع في دَيْـر الديـن (المسجد) كالراهب.

إن أنت رأيت الأشياء غير الحقّ فقد كفرت ، فلو كنت في المسجد فكأنّك في الدير.

ولو خلعت عنك ثياب الغيريّة ، فسترى أنّ المسجد والدير ليسا إلّا شيئاً واحداً.

ولستُ بعالم ما تقول ، ولكن أنّى كنتَ فخالف نفسك كي تفوز وتحظى.

إنّ الصنم والزنار والرهبانيّة والناقوس إشارات للعارفين لترك الناموس والجاه واللجوء إلى الفقر.

وإن شئت أن تصبح عبداً من الخواصّ ، فاستعدّ للزوم الصدق والإخلاص.

واذهب وأزل الـ«أنا» من طريقك ، وتعاهد إيمانك فجدّده كلّ لحظة».

به باطن نفس ما چون هست كافر
مشو راضى بدين اسلام ظاهر
ز نو هر لحظه ايمان تازه گردان
مسلمان شو مسلمان شو مسلمان
بسى ايمان بود كان كفر زايد
نه كفر است آن كزو ايمان فزايد
ريا و سُمْعَه و ناموس بگذار
بيفكن خرقه و بر بند زنّار
چو پير ما شو اندر كفر فردى
اگر مَردى بده دل را به مَردى
مجرّد شو ز هر إقرار و إنكار
به ترسازاده‌اى ده دل به يكبار[1]

حتّى يصل إلى قوله :

يكى پيمانه پر كرد و به من داد
كه از آب وى آتش در من افتاد

١ـ يقول : «إنّ هناك كافراً كامناً في باطننا ، فلا تقنع أو تطمئنّ بظاهر إسلامك.
وجدّد كلّ لحظة إيمانك ، وكن مسلماً من جديد ، كن مسلماً كلّ لحظة.
رُبَّ إيمان يلد كفراً ، كما ليس بكفر ذاك الذي يزيدك إيماناً.
دع الرياء والسمعة والناموس (الجاه) ، وألقِ بخرقة الزاهد واطوِ زنّاراً.
وكن كشيخ طريقتنا في الكفر وحيداً (الكفر بالعلائق والقيود ...) ، وإن كنت ذا رجولة فأعطِ قلبك لرجل.
وصِرْ مجرّداً من كلّ إقرار وإنكار ، واعشق بكلّ وجودك وليد الترهّب (أي المرشد الكامل)».

كـنون گـفت از مـى بـى‌رنگ و بـى‌بو
نـــقوش تـخته‌ٔ هسـتى فـرو شـو
چـــه آشـاميدم آن پـيمانه را پـاک
در افـتادم زمسـتى بـر سـر خـاک
كـنون نـه نـيستم در خـود نـه هسـتم
نـه هشـيارم نـه مـخمورم نـه مستم
گهى چون چشم او دارم سَرِى خَوش
گـهى چـون زلف او بـاشم مُشَـوَّش
گـهى از خـون خـود در گـلخنم مـن
گـــهى از روى او در گــلشنم مــن[1]

المرّة الأُولى لحصول التجرّد للسيّد هاشم الحدّاد في كربلاء بمتابعة أمر الأُستاذ المرحوم القاضي بالصبر والتحمّل ومخالفة النفس مقابل الشدائد وأذى الناس

قال سماحة السيّد الحدّاد : لقـد حـصل لي التـجرّد للـمرّة الأُولى فـي

١ـ يقول : «ملأ الكأس وأعطاني ، فشبّ من مائها النار في كياني .
ثمّ قال : اغسل نقوش لوح وجودك بصهباء بلا لون ولا ريح .
وحين شربتُ الكأس المصفّاة حتّى الثمالة ، هويت على التراب ثملاً .
فلست بموجود في ذاتي ولا معدوم ، ولست بصاح ولا ثمل ولا سكران .
فأنا تارة ـ كعينيه ـ نشوان جذلان ، وتارة ـ كزلفه ـ في اضطراب .
وأنا تارة ـ من دمائي ـ في أتون ، وأنا تارة ـ من محيّاه ـ في روضة من رياض الورود» .

كربلاء ، وتفصيل ذلك أنّه كان يعيش مضطرّاً لعُسر المعيشة مع أبوي زوجته ، فكان أُولئك يعيشون في جانب من البيت وهؤلاء في جانب ، في غرفة أعطاها إيّاه والد زوجته مجّاناً ، ودام ذلك اثنتي عشرة سنة . وكان والد زوجته ـ **حسين ، أبو عمشة** ـ يحبّه كثيراً ، أمّا والدتها فكانت على العكس من ذلك ، ولم تكن لتفتقد مشاعر العطف والمحبة نحوه فقط ، بل كانت لا تتورّع عن إبداء أنواع الأذى في القول والفعل . وكانت امرأة قويّة البُنية بذيئة اللسان ومن عشيرة **الجنابات العربيّة** ، امرأة شجاعة وجريئة بشكل لم يكن لأيّ رجلٍ الحقّ في العبور ليلاً قرب منزلها خوفاً منها ، فكان لها القدم الراسخ في حفظ عائلتها وبناتها إلى حدّ كبير ، وإذا ما صادف أحياناً أن يعبر شخص فقد كانت تذهب إليه بمفردها وتحاسبه على ذلك .

وكان السيّد يقول : لم يكن يفصل بين غرفتهم وغرفتنا في هذا الجانب سوى أكياس الرزّ الذي له رائحة العنبر وظروف السمن المعدنيّة المكدّسة على بعضها ، لكنّهم لم يكونوا ليعطونا منها شيئاً ، بل كانت أُمّ زوجتي ـ واسمها نجيبة ـ تتعمّد أن ترانا في شدّة وعسر ، لكأنّها كانت تسعد بذلك وتسرّ . وكنت وزوجتي نفتقد الفراش والغطاء ، وكنا نسحب نصف الحصير من أسفلنا أحياناً فنلقيه علينا من شدّة البرد .

وبالرغم من أنّني كنت أذهب للعمل بصورة منتظمة ، لكنّ أكثر المراجعين كانوا من الفقراء الذين يعرفونني ، والذين كانوا يأخذون منّي نسيئة ، وكان بعضهم لا يدفع الثمن . كما كان معاوني يأخذ ما يحتاج من مصارف ، فلم يَبْقَ لي شيء غالباً إلّا مائة أو خمسون فلساً كانت بالكادّ تغطّي نفقات شراء الخبز والنفط وفتيلة المصباح وأمثالها ، وكانت الأشهر تتصرّم فأعجز خلالها عن شراء قليل من اللحم لأحمله لعائلتي .

وكان سبب نفور هذه المرأة منّي مسألة الفقر التي كانت في نظرها

أمراً قبيحاً ، ومع هذا الوضع الذي كانت تلمسه والذي كان يوجب عليها أن تمدّ يد المساعدة لنا ، إذ كانت متمكّنة وثريّة ، لكنّها كـانت عـلى العكس تسعى إلى أن يتلف لدينا شيء ليزداد ضيقنا ومحنتنا .[1]

ومن جهة أُخرى فلم تكن شدّة الحـالات الروحـيّة والاسـتفادة مـن محضر سماحة المرحوم القاضي لتسمح لي بجمع المال وتكـديسه ، أو ردّ الفقير والمحتاج ، أو رفض إقراض الآخرين ، وكانت حالتي بهذه الكـيفيّة التي لم يكن يسعني أن أمتلك غيرها .

وكـانت زوجـتي تـتحمّل وتـصبر ، لكـنّ صـبرها وتـحمّلها كـانا محدودَينِ . وهكذا فقد ذكرتُ للمرحوم القاضي بأنّ أذى حماتي لي بالقول والفعل قد بلغ حدّه الأقصى ، ولقد عِيل صبري في الحقيقة فلم أعُدْ أمـتلك الصبر والحلم والتحمّل على أذاها ، وطلبتُ منه الإذن في طلاق زوجتي .

فقال المرحوم القاضي : بغضّ النظر عـن هـذه الأُمـور ، فـهل تـحبّ زوجتك ؟ أجبتُ : نعم !

قال : أفتحبّك زوجتك ؟ قلت : نعم !

قال : لا إذْن لك في الطلاق أبداً ! فاذهب واصبر ، فإنّ تربيتك على يد زوجتك ، وبهذا الشكل الذي بيّنته ، فإنّ اللـه سـبحانه قـد قـرّر أن يكـون تأديبك على يد زوجتك ؛ فعليك بالتحمّل والمداراة والحلم !

ولم أكن لأتخطّى تعليمات المرحـوم القـاضي أو أتـجاوزها أبـداً ،

١ـ أورد في «نهج البلاغة» في القسم الثاني من الأقسام الخـمسة مـن الخـطبة ١٩٠: القاصعة، وفي الطبعة المصريّة ، مطبعة عيسى البابيّ مع هامش الشيخ محمّد عبده: ج ١، ص ٣٨٠: **وَلَكِنَّ اللَهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولَي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ القُلُوبَ وَالعُيونَ غِنىً ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الأَبْصَارَ والأَسمَاعَ أَذىً .**

وكنت أتحمّل ما تضيفه أُمّ زوجتي هذه فوق مصائبنا . حتّى كانت ليلة من ليالي الصيف ، عدت فيها إلى المنزل من الخارج بعد أن مرّ جزء من الليل ، تعباً مرهقاً وجائعاً وعطشاناً أُريد الذهاب إلى الغرفة ، فرأيت أُمّ زوجتي جالسة قرب الحوض في ساحة المنزل وقد كشفت عن ساقيها من شدّة الحرّ وشرعتْ بصبّ الماء عليهما من الحنفيّة الموضوعة فوق الحوض ، وحين علمتْ أنّني قد دخلتُ المنزل ، شرعتْ في كيل كلمات التجريح والسباب والشتائم التي تخاطبني بها ، ولم أدخل إلى الغرفة ، بل اتّجهت نحو السلّم فصعدت إلى السطح لأستلقي هناك ، فرأيت أنّها رفعت عقيرتها وزادت نبرات صراخها بحيث صار الجيران يسمعونه فضلاً عنّي ، وهكذا فقد كالت لي سيل الشتائم والسباب ، واستمرّت تعدّد وتعدّد حتّى عِيل صبري ، فهبطتُ الدرج بدون أن أنتهرها أو أردّ عليها بكلمة واحدة ، وخرجتُ من باب البيت فهمتُ على وجهي بلا هدف ، ورُحتُ أسير في الشوارع بلا قصد أو انتباه ، بل هكذا أسير فى الشوارع دون أن أعرف إلى أين أذهب ؛كنت أسير فقط .

وفجأة رأيت في تلك الحال أنّني صرت **اثنين** : أحدهما السيّد هاشم الذي اعتدتْ عليه أُمّ زوجته وسبّته وشتمته ، والآخر هو أنا مجرّد ومحيط ومتسام لم ينلني سبابها وشتائمها ، فلم تكن أساساً تسبّ سيّد هاشم هذا ، ولم تكن لتسبّني أو تشتمني ، بل كان سيّد هاشم ذاك هو الجدير بكلّ أنواع القبيح من القول . أمّا سيّد هاشم هذا ، الذي هو أنا ، فلا يستحقّ أن يسبّ ، بل إنّها مهما سبّت وشتمت فإنّ ذلك لن يصل إليّ .

فانكشف لي في تلك الحال أنّ تلك الحالة الرائعة التي حصلت لي والتي تبعث على السرور والبهجة إنّما حصلت إثر تحمّل تلك الشتائم والألفاظ القبيحة التي كالتها لي أُمّ زوجتي ، وأنّ إطاعة أمر الأُستاذ المرحوم

القاضي قد فتحت لي هذا الباب ، فلو لم أُطعه ولم أتحمّل أذى حماتي ، لبقيت إلى الأبد ذلك السيّد هاشم المحزون المغموم الضعيف المشتّت الفكر والمحدود .

وللّه الحمد فأنا الآن سيّد هاشم هذا ، حيث أتربّع في مكان رفيع ومقام كريم وعزيز ، لا ينالني غبار جميع الهموم والأحزان والغموم الدنيويّة بذرّة منه ، ولا يتمكّن من أن ينالني بشيء من ذلك .

وهكذا فقد عدت **فوراً** من هناك إلى البيت ، فانكببت على يَدَيْ أُمّ زوجتي ورِجليها أقبّلهما وأقول : لا تتخيّلي أنّني انزعجت من كلامك ذلك ، فقولي فيَّ بعد الآن ما شئتِ فإنّه مفيد لي !

لقد كان المرحوم الأُستاذ الكبير ، عارف القرن الذي لا نظير له ، بل هو حسب تعبير أُستاذنا سماحة الحاجّ السيّد هاشم : «**لم يأت منذ صدر الإسلام حتّى الآن في مثل شمول وجامعيّة المرحوم القاضي**» ، كان قد أصدر تعليماته لتلامذته ومريديه في السير والسلوك **إلى الله** ، أن يكتبوا رواية عنوان البصريّ ويعملوا بها من أجل تخطّي النفس الأمّارة والرغبات المادّيّة والطبعيّة والشهويّة والغضبيّة التي تنشأ غالباً من الحقد والحرص والشهوة والغضب والإفراط في الملذّات .

أي أنّ العمل وفق مضمون هذه الرواية كان أمراً أساسيّاً ومهمّاً . وكان يقول مضافاً إلى ذلك : ينبغي أن تحتفظوا بها في جيوبكم وتطالعونها مرّة أو مرّتين كلّ أُسبوع . فهذه الرواية تحظى بالأهمّيّة الكبيرة وتحوي مطالب شاملة وجامعة في بيان كيفيّة المعاشرة والخلوة ، وكيفيّة ومقدار تناول الغذاء ، وكيفيّة تحصيل العلم ، وكيفيّة الحلم ومقدار الصبر والاستقامة وتحمّل الشدائد أمام أقوال الطاعنين ؛ وأخيراً مقام العبوديّة والتسليم والرضا والوصول إلى **أعلى ذروة العرفان وقِمّة التوحيد**.

لذا ، فلم يكن المرحوم القاضي ليقبل تلميذاً لا يلتزم بمضمون هـذه الرواية . وهذه الرواية منقولة عن **الإمام جعفر الصادق** عليه السلام ، وقـد ذكرها **المجلسيّ** في كتاب «بحار الأنوار» .

ولمّا كانت تمثّل برنامجاً عمليّاً شاملاً نُقِلَ عن ذلك الإمام الهمام ، لذا نوردها بألفاظها وعباراتها بلا تصرّف ليستفيد منها مُحبّو وعشّاق السـلوك إلى الله تعالى :

١٧ ـ أَقُولُ : وَجَدْتُ بِخَطِّ شَيْخِنَا البَهَائِيِّ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ مَا هَـذَا لَفْظُهُ :

قَالَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ : نَقَلْتُ مِـنْ خَـطِّ الشَّـيْخِ أَحْمَدَ الفَرَاهَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ ، عَنْ عُنْوَانِ[1] البَصْرِيِّ ـ وكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ أَتَى عَلَيْهِ[2] أَرْبَعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً ـ قَالَ : كُنْتُ أَخْـتَلِفُ إِلَـى مَـالِكِ بْـنِ أَنَسٍ سِنِينَ ، فَلَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ الصَّـادِقُ عَـلَيْهِ السَّـلَامُ المَـدِينَةَ اخْـتَلَفْتُ إِلَـيْهِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ آخُذَ عَنْهُ كَمَا أَخَذْتُ عَنْ مَالِكٍ .

فَقَالَ لِي يَوْماً : إِنِّي رَجُلٌ مَطْلُوبٌ وَمَعَ ذَلِكَ لِي أَوْرَادٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، فَلَا تَشْغَلْنِي عَنْ وِرْدِي ؛ وَخُذْ عَنْ مَالِكٍ وَاخْتَلِفْ إِلَيْهِ كَمَا كُنْتَ تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ . فَاغْتَمَمْتُ مِنْ ذَلِكَ ، وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ تَفَرَّسَ فِيَّ خَيْراً لَمَا زَجَرَنِي عَنِ الاخْتِلَافِ إِلَيْهِ وَالأَخْذِ عَنْهُ .

١ـ يقول في «أقرب الموارد» : **عَنْوَنَ الكِتَابَ عَنْوَنَةً : كَتَبَ عُنْوَانَهُ ؛ وَيُقَالُ : عَنْوَنَهُ وعَنَّهُ وعَنَّنَهُ وعَنَّاهُ . وَالاسْمُ : العُنْوَانُ ؛ عُنْوَانُ الكِتَابِ وَعِنْوَانُهُ وَعُنْيَانُهُ وَعِنْيَانُهُ : سِمَتُهُ وَدِيبَاجَتُهُ ؛ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَعِنُّ لَهُ مِنْ نَاحِيَتِهِ . وَأَصْلُهُ عُنَّانٌ كَرُمَّانٍ . وَكُلُّ مَا اسْتَدْلَلْتَ بِشَيءٍ يُظْهِرُكَ عَلَى غَيْرِهِ فَعُنْوَانٌ لَهُ ؛ يُقَالُ : «الظَّاهِرُ عُنْوَانُ البَاطِنِ»**.

٢ـ يقول في «أقرب الموارد» : **أَتَا ـ ض ـ أَتْياً وَإِتْيَاناً وإِتْيَانَةً ؛ وَمأْتَاةً وَأُتِيّاً (وَيُكْسَرُ) عَلَى الشَّيءِ : أَنْفَدَهُ وَبَلَغَ آخِرَهُ وَمَرَّ بِهِ ؛ وَ ـ عَلَيْهِ الدَّهْرُ : أَهْلَكَهُ .**

فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ رَجَعْتُ مِنَ الغَدِ إلَى الرَّوْضَةِ[1] وَصَلَّيْتُ فِيهَا رَكْعَتَيْنِ وَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ يَا اللهُ يَا اللهُ ! أَنْ تَعْطِفَ عَلَيَّ قَلْبَ جَعْفَرٍ وَتَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِهِ مَا أَهْتَدِي بِهِ إلَى صِرَاطِكَ المُسْتَقِيم !

وَرَجَعْتُ إلَى دَارِي مُغْتَمّاً وَلَمْ أَخْتَلِفْ إلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ لِمَا أُشْرِبَ قَلْبِي مِنْ حُبِّ جَعْفَرٍ . فَمَا خَرَجْتُ مِنْ دَارِي إلَّا إلَى الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي .

فَلَمَّا ضَاقَ صَدْرِي تَنَعَّلْتُ وَتَرَدَّيْتُ وَقَصَدْتُ جَعْفَراً وَكَانَ بَعْدَمَا صَلَّيْتُ العَصْرَ . فَلَمَّا حَضَرْتُ بَابَ دَارِهِ اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَخَرَجَ خَادِمٌ لَهُ فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟! فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَى الشَّرِيفِ !

فَقَالَ : هُوَ قَائِمٌ فِي مُصَلَّاهُ . فَجَلَسْتُ بِحِذاءِ بَابِهِ ، فَمَا لَبِثْتُ إلَّا يَسِيراً. إذْ خَرَجَ خَادِمٌ فَقَالَ : ادْخُلْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ . فَدَخَلْتُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَرَدَّ السَّلَامَ وَقَالَ : اجْلِسْ غَفَرَ اللهُ لَكَ !

فَجَلَسْتُ . فَأَطْرَقَ مَلِيّاً ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَبُو مَنْ ؟!

قُلْتُ : أَبُو عَبْدِ اللهِ !

قَالَ : ثَبَّتَ اللهُ كُنْيَتَكَ وَوَفَّقَكَ ؛ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! مَا مَسْأَلَتُكَ ؟!

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ زِيَارَتِهِ وَالتَّسْلِيمِ غَيْرُ هَذَا الدُّعَاءِ

١ـ المقصود بالروضة : الموضع الواقع بين القبر المطهّر للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ومنبره . روى الكلينيّ في «فروع الكافي» ، ج ٤ ، ص ٥٥٣ و ٥٥٤ ، كتاب الحجّ ، باب المنبر والروضة ومقام النبيّ ، طبعة دار الكتب الإسلاميّة ، طهران ، سنة ١٣٩١ : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : **مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ** . وقد أورد هذه الرواية المحقّق الفيض الكاشانيّ في «المحجّة البيضاء» ج ٢ ، ص ١٨٧ ، طبعة مكتبة الصدوق، من كتاب «أسرار الحجّ» بلفظ : **مَا بَيْنَ قَبْرِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ** .

لَكَانَ كَثِيراً . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ : مَا مَسْأَلَتُكَ ؟!

فَقُلْتُ : سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَعْطِفَ قَلْبَكَ عَلَيَّ وَيَرْزُقَنِي مِنْ عِلْمِكَ ؛ وَأَرْجُو أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَجَابَنِي فِي الشَّرِيفِ مَا سَأَلْتُهُ.

فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! لَيْسَ العِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، إنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلْبِ مَنْ يُرِيدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَهُ ؛ فَإنْ أَرَدْتَ العِلْمَ فَاطْلُبْ أَوَّلاً فِي نَفْسِكَ حَقِيقَةَ العُبُودِيَّةِ ، وَاطْلُبِ العِلْمَ بِاسْتِعْمَالِهِ ، وَاسْتَفْهِمِ اللهَ يُفْهِمْكَ !

قُلْتُ : يَا شَرِيفُ ! فَقَالَ : قُلْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ !

قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! مَا حَقِيقَةُ العُبُودِيَّةِ ؟!

قَالَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : أَنْ لَا يَرَى العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ مِلْكاً ، لِأَنَّ العَبِيدَ لَا يَكُونُ لَهُمْ مِلْكٌ ؛ يَرَوْنَ المَالَ مَالَ اللهِ يَضَعُونَهُ حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللهُ بِهِ . وَلَا يُدَبِّرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ تَدْبِيراً . وَجُمْلَةُ اشْتِغَالِهِ فِيمَا أَمَرَهُ تَعَالَى بِهِ وَنَهَاهُ عَنْهُ.

فَإذَا لَمْ يَرَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ فِيمَا خَوَّلَهُ اللهُ تَعَالَى مِلْكاً ، هَانَ عَلَيْهِ الإنْفَاقُ فِيمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُنْفِقَ فِيهِ . وَإذَا فَوَّضَ العَبْدُ تَدْبِيرَ نَفْسِهِ عَلَى مُدَبِّرِهِ ، هَانَ عَلَيْهِ مَصَائِبُ الدُّنْيَا . وَإذَا اشْتَغَلَ العَبْدُ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى وَنَهَاهُ ، لَا يَتَفَرَّغُ مِنْهُمَا إلَى المِرَاءِ وَالمُبَاهَاةِ مَعَ النَّاسِ .

فَإذَا أَكْرَمَ اللهُ العَبْدَ بِهَذِهِ الثَّلَاثَةِ هَانَ عَلَيْهِ الدُّنْيَا ، وَإبْلِيسُ ، وَالخَلْقُ . وَلَا يَطْلُبُ الدُّنْيَا تَكَاثُراً وَتَفَاخُراً ، وَلَا يَطْلُبُ مَا عِنْدَ النَّاسِ عِزّاً وَعُلُوّاً ، وَلَا يَدَعُ أَيَّامَهُ بَاطِلًا .

فَهَذَا أَوَّلُ دَرَجَةِ التُّقَى ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

«تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ

وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».[1]

قُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! أَوْصِنِي !

قَالَ : أُوصِيكَ بِتِسْعَةِ أَشْيَاءَ ، فَإِنَّهَا وَصِيَّتِي لِمُرِيدِي الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ؛ وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِاسْتِعْمَالِهِ .

ثَلاثَةٌ مِنْهَا فِي رِيَاضَةِ النَّفْسِ ، وَثَلاثَةٌ مِنْهَا فِي الحِلْمِ ، وَثَلاثَةٌ مِنْهَا فِي العِلْمِ . فَاحْفَظْهَا ؛ وَإِيَّاكَ وَالتَّهَاوُنَ بِهَا !

قَالَ عُنْوَانٌ : فَفَرَّغْتُ قَلْبِي لَهُ .

فَقَالَ : أَمَّا اللَوَاتِي فِي الرِّيَاضَةِ :

فَإِيَّاكَ أَنْ تَأْكُلَ مَا لَا تَشْتَهِيهِ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الحَمَاقَةَ وَالبَلَهَ . وَلَا تَأْكُلْ إِلَّا عِنْدَ الجُوعِ . وَإِذَا أَكَلْتَ فَكُلْ حَلَالاً وَسَمِّ اللَهَ ، وَاذْكُرْ حَدِيثَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ . فَإِنْ كَانَ وَلَابُدَّ فَثُلْثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلْثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلْثٌ لِنَفَسِهِ.[2]

وَأَمَّا اللَوَاتِي فِي الحِلْمِ :

فَمَنْ قَالَ لَكَ : إِنْ قُلْتَ وَاحِدَةً سَمِعْتَ عَشْراً ، فَقُلْ : إِنْ قُلْتَ عَشْراً لَمْ تَسْمَعْ وَاحِدَةً. وَمَنْ شَتَمَكَ فَقُلْ لَهُ : إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فِيمَا تَقُولُ فَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي ؛ وَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فِيمَا تَقُولُ فَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَكَ .

وَمَنْ وَعَدَكَ بِالخَنَى فَعِدْهُ بِالنَّصِيحَةِ وَالرَّعَاءِ .

وَأَمَّا اللَوَاتِي فِي العِلْمِ :

فَاسْأَلِ العُلَمَاءَ مَا جَهِلْتَ ؛ وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعَنُّتاً[3] وَتَجْرِبَةً . وَإِيَّاكَ

١ـ الآية ٨٣ ، من السورة ٢٨ : القصص.

٢ـ كان من ضمن كلام السيّد الحدّاد قوله : أنت تأكل ما يلزمك من الغذاء ، أمّا ما زاد عليه فإنّ الغذاء يأكلك.

٣ـ يقول في «أقرب الموارد» : **تَعَنَّتَهُ : أَدْخَلَ عَلَيْهِ الأَذَى وَطَلَبَ زَلَّتَهُ وَمشَقَّتَهُ .** ⇦

أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئاً ؛ وَخُذْ بِالِاحْتِيَاطِ فِي جَمِيعِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلاً. وَاهْرَبْ مِنَ الْفُتْيَا هَرْبَكَ مِنَ الأَسَدِ ؛ وَلَا تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ لِلنَّاسِ جِسْراً !

قُمْ عَنِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللَهِ ! فَقَدْ نَصَحْتُ لَكَ ، وَلَا تُفْسِدْ عَلَيَّ وِرْدِي ؛ فَإِنِّي امْرُءٌ ضَنِينٌ بِنَفْسِي. «وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ».[1]

وبالتأمّل والتدقيق في المطالب الواردة في هذا الحديث المبارك في مراده ، والعظيم في مفاده ، تتّضح لنا درجة السمو والرفعة التي ارتقت إليها تعاليم آية الحقّ والعرفان ، وسند التحقيق والإيقان ، وعماد البصيرة والبرهان : **الحاجّ السيّد علي القاضي** قدّس الله تربته الزكيّة . فلقد كان يعطي هذه التعاليم التي تنصبّ بشكل كامل في طريق الإعراض عن مشاعر العداء والانتقام وكسر صولة النفس الأمّارة ، والعثور على نافذة للإطلال على عالم المعنى والتجرّد والملكوت ، ومن ثمّ لعرفان ذات الحقّ تعالى واندكاك الوجود المعار المجازيّ في الوجود المطلق والوجود المحض والصرف السرمديّ الأزليّ الأبديّ الذي لا يُتناهى لذاته القدسيّة .

فرواية عنوان البصريّ ينبغي أن تُؤَلَّف الكتب في شرحها وتفصيلها ، وبالرغم من أنّ ذلك قد حصل فعلاً ، إلّا أنّ تلك الكتب لم تأت باسم شرح رواية عنوان البصريّ . أوَ ليس كتاب «إحياء الإحياء» القيّم الجليل للفيض الكاشانيّ الذي دعاه بـ «**المحجّة البيضاء**» وكتاب «**جامع السعادات**» **للحاجّ الملّا مهدي النراقيّ** جدّنا الجليل ، وكتاب «**عدّة الداعي**»

⇦ **يُقَالُ : جَاءَهُ مُتَعَنِّتاً ، أَيْ طَالِباً زَلَّتَهُ . وَ ـ فِي السُّؤَالِ : سَأَلَهُ عَلَى جِهَةِ التَّلْبِيسِ عَلَيْهِ . وَرُبَّمَا عُدِّيَ بِـ «عَلَى»**.

١ـ «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٢٢٤ إلى ٢٢٦ ، كتاب العلم ، الباب ٧ : باب آداب طلب العلم وأحكامه ، الحديث ١٧ ، الطبعة الحروفيّة ، المطبعة الحيدريّة.

وغيرها من الكتب بالحمل الشايع الصناعيّ غير شرح وتفصيل هذه المطالب القيّمة ؟!

ولقد استشهد الإمام الصادق عليه السلام في هذه الرواية بهذه الآية المباركة : **تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** . يعني : أيّها السيّد هاشم ! إن كنتَ تطلب عالم النور والتجرّد والمنزل الباقي والخالد للقاء الله والورود في حرم أمنه وأمانه ، وإن كنت تفتّش عن رضا المحبوب ، وإن جعلتَ همّك الأكبر في عرفان الذات القدسيّة ، وإن كنت قد عشقته فعلاً ، فأنت تسعى لوصال المعشوق ونيل المُنى ؛ فليس أمامك من سبيل إلّا التسامي والتعالي والتنزّه عن الفساد في الأرض .

وإن كنت جادّاً في السعي لنيل ذلك المقام المنيع ، فعليك الإغماض عن أذى أُمّ زوجتك وتجاهله ، وإلّا فلو رددتَ عليها وجازيتها على فعلها أو طلّقت زوجتك ـ مع أنّ ذلك حقّك الشرعيّ ـ فإنّك لن تصل إلى هذا المقام . فهذا هو الشرع الأعلى ، والجهاد الأكبر ، وهذه هي الهجرة الكبرى ؛ وينبغي تطبيق هذه التعاليم بصورة صحيحة للوصول إلى ذلك الهدف .

ولقد كانت تعاليم الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه الرواية أيضاً مُتّخذة من آيات القرآن الكريم المعجزة في قوله :

خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ.[1]

أو قوله : **وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا سَلَـٰمًا**.[2]

١ـ الآية ١٩٩ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ الآية ٦٣ ، من السورة ٢٥ : الفرقان .

حتّى يصل إلى قوله:

وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا.[1]

ولدينا في القرآن الكريم أن: **لَن تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**[2]؛ حيث إنّ الوصول إلى لقاء الأحديّة ومشاهدة الجمال والجلال الأزليّ هو من أفضل أقسام البرّ والخير، ولن يكون ميسوراً بالطبع، إلّا إذا صرف سالك طريق الله نظره عمّا يملك وأنفقه في سبيل الوصول لهذا الهدف الأعلى والمقصد الأسنى.

كما أنّ مخاصمة وشتم المخاصم المعتدي، والردّ عليه بالمثل هي من الغرائز الطبيعيّة للإنسان، ومن الطبيعيّ أن يرغب كلّ شخص في إحقاق حقّه والاقتصاص من شاتمه، لكنّ هذه الرغبات ناشئة جميعاً من الأهواء والرغبات النفسيّة؛ فما لم يتخطّ الإنسان رغبات نفسه وآثارها، فلن يصل إلى ما وراء النفس. فالتجرّد عن الهوى والهوس تجرّد عن الميول والرغبات النفسيّة، كما أنّ الإصرار والإبقاء على المشتهيات النفسيّة واللذائذ الطبيعيّة والانغماس في الشهوات الحيوانيّة والأوهام الشيطانيّة وثورات الغضب السبعيّة كلّ ذلك يجعل وصول الإنسان إلى مقام التجرّد محالاً، لأنّه يمثل **الجمع بين النقيضَين**.

التجرّد هو التنزّه من النفس وآثارها النفسانيّة، بينما الإصرار على مشتهيات النفس يعني الإصرار على إبقاء النفس وآثارها النفسانيّة، وهما أمران يقعان على طرفي نقيض. ومن ثمّ ينبغي رفع اليد عن الرغبات والميول النفسيّة وتجاهلها، ليتجلّى جمال زينة عالم ما وراء النفس.

١ـ الآية ٧٢، من السورة ٢٥: الفرقان.

٢ـ الآية ٩٢، من السورة ٣: آل عمران.

لقدكان سماحة **الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد** يعدّ الكثير من أعمال الخير من حظوظ النفس ، لأنّ النفس تلتذّ به ، وكان يقول : إنّ المجالس التي يشكّلها بعض السالكين فيقرؤون فيها الشعر ، هي غالباً من حظوظ النفس ، ومع أنّهم يحصلون فيها على لذّة معنويّة لكنّها تبقى من حظوظ النفس ،كذلك الذين يأتون بالكثير من الأذكار والأوراد لأغراض النفس وحظوظها .

فالقرآن الذي يتلونه ، إن جذبهم فيه جمال جلده وورقه وخطّه ، ولو تلوه وهو على رَحْل مشبّك بحيث أثَّر ذلك الرحل في حال قراءتهم لكان ذلك من حظّ النفس .كما أنّ السجّادة البيضاء بلا نقوش أمر مطلوب ومقبول ، في حين أنّ السجّاد الجميل الملوّن الذي تنتظمه النقوش هو من حظّ النفس .كذلك فإنّ تربة سيّد الشهداء عليه السلام أمر مطلوب لوكانت على هيئة القالب المعيّن المعهود المستعمل للسجود عليه في الصلاة ولو كان سطحها خشناً غير مستوٍ ، أمّا لو اشترط فيها صفاء سطحها وصقله لتحوّلت إلى حظوظ النفس .

ومن ثمّ ينبغي الانتباه بدقّة كم أنّ الشيطان قد وسّع دائرة نفوذه ، بحيث إنّه يرغب في إعمال تأثيره في محلّ سجود المؤمن الشيعيّ ، وذلك على التربة الطاهرة لتلك الأرض المقدّسة .

كما أنّ المِسبحات الجميلة التي تؤثّر في ذِكر الإنسان هي جميعاً من حظّ النفس ، وهكذا الأمر بالنسبة للعمامة والعباءة والرداء وغيرها من الأشياء التي تؤثّر في عبادة وصلاة ودعاء وزيارة وتلاوة وذِكر المؤمن ووِرده .

وكان السيّد الحدّاد يقول : إنّ الرغبة في الأحلام والرؤيا المعنويّة والروحيّة هي من حظوظ النفس ،كما أنّ طلب المكاشفات والاتّصال بعالم

الغيب والاطّلاع على الضمائر والعبور على الماء والهواء والنار والتصرّف في موادّ الكائنات وشفاء المرضى هي بأجمعها من حظوظ النفس .

وكان يقول : **أعجبُ لتلك الجماعة من السالكين الذين يريدون المكاشفة ! فليفتحوا أعينهم ، فهذا العالم كلّه مكاشفات.**

إن المكاشفة ليست مشاهدة صورة في زاوية على هيئة خاصّة وحالة استثنائيّة ، بل إنّ كلّ كشف عن إرادة الحقّ واختياره وعلمه وقدرته وحياته هو **مكاشفة** . فافتح عينيك وتأمّل أنّ كلّ ذرّة في هذا العالم الخارجيّ مكاشفة ، وأنّها تحوي عجائب وغرائب لا سبيل للفكر إلى منتهاها .

وإذا ما أراد السالك في السير والسلوك ـ أو في غير هذا الطريق عموماً ـ شيئاً غير الله ، فإنّه لم يرد الله سبحانه ، وستكون إرادته ورغبته النفسيّة هذه مانعة من وصوله إلى ذات الحقّ القدسيّة .

فإن طلبتَ الجنّة ، أو الحوريّة والغلمان ، فلن تكون قد طلبت الله أو أردته ! وإن طلبت المقامات والدرجات فمن الممكن أن يمنّ بها الله عليك ، لكنّك لم ترد الله ؛ لذا فقد تسمّرت في ذلك المقام والدرجة واستحال عليك الارتقاء منها إلى أعلى منها ، وذلك لأنّك لم ترد ولم تطلب .

ولو جاءك جبرئيل مثلاً فقال لك : تَمَنَّ ما شئت من الدرجات والمقامات والسيطرة على الجنّة والجحيم وخلّة سماحة النبيّ إبراهيم عليه السلام ومقام الشفاعة الكبرى لمحمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والحبّ له ، فقل : ما أنا إلّا عبد ! ولا طلب للعبد في شيء ؛ فما أراده لي ربيّ فهو المطلوب . وإن أنا أردتُ ، لتخطّيت بذلك القدر من إرادتي المتعلّقة بي ، ساحةَ عبوديّتي ولوضعتُ قدمي في ساحة عزّ الربوبيّة ، لأنّ الإرادة والاختيار مختصّان به وحده سبحانه .

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ.[1]

كما لا تقل : أُريد الله ! فمن تكون أنت ـ ترى ـ لتريد الله ؟! فأنت لا تقدر ولن تقدر أن تريده وتطلبه ! فهو غير محدود وأنت محدود وطلبك بنفسك والناشئ عن نفسك محدود ، فلن تقدر به أبداً أن تريد الله **اللامتناهي** أو أن تطلبه . وذلك لأنّ الإله الذي تطلبه محدود في إطار طلبك ومحدود ومقيّد بإرادتك ، ووارد في حدود مجال نفسك بسبب طلبك ، وذلك الإله ليس هو الله ، بل إنّ ذلك الإله المتصوَّر والمتوهَّم بتصوّرك وتوهّمك ، ليس في الحقيقة إلّا نفسك التي تصوّرتها إلهاً .

بناءً على هذا ، عليك أن تكفّ عن طلبك ، فادفن أُمنيتك هذه معك فى القبر : أن ترى الله أو أن تصل إلى لقائه أو أن تطلبه ! فعليك أن تخرج بنفسك من الطلب ، وأن تترك طلبك ورغبتك التي كانت لك حتّى الآن ، وأن تَكِلَ نفسك إلى الله وتدعه يُرِد لك ويطلب لك !

وستكون في هذه الحالة غير واصل إلى الله ، كما لم تصله قبل ولن تصله بعد ؛ بَيدَ أنّك لمّا خرجت وتنصّلت من طلبك وإرادتك فأوليتَه زمامك وسلّمته قيادك ، فإنّه سيقودك في معارج ومدارج الكمال الذي حقيقته السير **إلى الله** مع فناء المراحل والمنازل وآثار النفس ، واندكاك وفناء جميع وجودك في النهاية في وجود ذاته المقدّسة . فالله سبحانه هو العارف بنفسه ، ولست أنت العارف بالله ! إنّ **وصول الممكن إلى الواجب** أمر محال . فوجود شيئَين هناك محال .

إنّ **الممكن** و**الواجب** و**الوصول** هي بأجمعها ضمّ وضميمة تستلزم

---

[1] ـ الآية ٦٨ ، من السورة ٢٨ : القصص .

تركيب ذاته القدسيّة ، وتنتهي أخيراً إلى حدوثه الذي ينافي قِدَمه سبحانه .

أمّا الفَناء المطلق للعبد واندكاكه في ذاته تعالى ، واضمحلاله في جلاله وجماله فلا إشكال فيه ! ولكن ينبغي العلم أنّ العبد لا يمكنه الورود في تلك الذات البحتة المحضة غير المتناهية ، لأنّه عنوان العبد ، أو عنوان فَناء العبد حيث لا تقبله الذات ، وليس هناك أيّ شيّ غير الذات ، لا العبد ولا فَناؤه ، بل هناك الذات ؛ والذات هي الذات . هناك الله ، والله هو الله .

كَانَ اللَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ وَالآنَ كَمَا كَانَ .[1]

١ـ يروي المرحوم الصدوق في كتاب «التوحيد» ص ١٧٨ و ١٧٩ ، باب نفي المكان والزمان والحركة عنه تعالى ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٩٨ ؛ والمرحوم المولى محسن الفيض في كتاب «الوافي» ج ١ ، ص ٤٠٣ ، الطبعة الحروفيّة في إصفهان ، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، أبواب معرفة الله ، باب إحاطته بكل شيء ؛ والمرحوم المجلسيّ في كتاب «بحار الأنوار» ج ٣ ، ص ٣٢٧ ، الحديث ٢٧ ، الطبعة الحروفيّة ، المطبعة الحيدريّة ، كتاب التوحيد ، الباب ٤ ، وهذان الأخيران عن الصدوق حيث يروي الصدوق عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق ، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ ، عن عليّ بن عبّاس ، عن حسن بن راشد ، عن يعقوب بن الجعفريّ ، عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام ، أنّه قال:

إنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا زَمَانٍ وَلا مَكَانٍ ؛ وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ . لَا يَخْلُوُ مِنْهُ مَكَانٌ وَلَا يَشْغَلُ بِهِ مَكَانٌ وَلَا يَحِلُّ فِي مَكَانٍ . مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إلَّا هَوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كَانُوا . لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ حِجَابٌ غَيْرُ خَلْقِهِ . احْتَجَبَ بِغَيْرِ حِجابٍ مَحْجُوبٍ ، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سَتْرٍ مَسْتُورٍ ، لَا إلَهَ إلَّا هُوَ الكَبِيرُ المُتَعَالِ .

وأورد سماحة أُستاذنا العلّامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله نفسه الشريفة في كتاب «التوحيد» ص ٦ ، النسخة الخطّيّة للحقير : **كَمَا فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : كَانَ اللَهُ وَلَا شَيءَ مَعَهُ ؛ وَهُوَ الآنَ كَمَا كَانَ .**

وذكر المرحوم السيّد حيدر الآمليّ في موضعَين من «جامع الأسرار» طبعة المجمع ⇦

وينبغي أن يعلم الجميع أنّ المراد بلفظ الوصول ولقاء الذات الأحديّة ومعرفتها ليس ذلك النحو من المعاني الذي يستلزم **الثنائيّة والبينونة** ، بل المراد بالمعرفة والمشاهدة واللقاء وأمثالها جميعاً هو الاندكاك ومقام الفناء المطلق . وذلك لأنّ **المعرفة مختصّة بالله وحده** ، فمعرفته من قبل غيره أمر محال . **فالأفراد الذين لم يصلوا إلى الفَناء المطلق لم يعرفوه**

⇦ الفرنسيّ لمعرفة إيران وشركة الانتشارات العلميّة والثقافيّة ، هذه العبارة : **كَانَ اللَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ وَالآنَ كَمَا كَانَ** ؛ الموضع الأوّل : ص ٥٦ ، رقم ١١٢ في الأصل الأوّل في القاعدة الأُولى: **وَبالنَّظَرِ إلَى هَذَا المَقَامِ قَالَ أَرْبَابُ الكَشْفِ وَالشُّهُودِ : التَّوحِيدُ إسْقَاطُ الإضَافَاتِ ؛ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : كَانَ اللَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ . وَقَالَ العَارِفُ : (وَهُوَ) الآنَ كَمَا كَانَ . لِأَنَّ الإضَافَاتِ غَيْرُ مَوْجُودةٍ كَمَا مَرَّ . وَأَيْضاً «كَانَ» فِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَعْنَى الحَالِ لَا بِمَعْنَى المَاضِي ؛ مِثْلَ : «كَانَ ٱللَهُ غَفُورًا رَحِيمًا»**.

والموضع الثاني : في الأصل الثالث، ص ٦٩٦ ، رقم ١٨١ : **لِأَنَّهُ تَعَالَى دَائِماً «هُوَ» عَلَى تَنَزُّهِهِ الذَّاتِيِّ وَتَقَدُّسِهِ الأَزَلِيِّ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ اللَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ ، وَلِقَوْلِ (بَعْضِ) عَارِفِي أُمَّتِهِ : وَالآنَ كَمَا كَانَ** . والمراد من «بعض عارفي أُمّته» الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام.

وقد ورد في «الكلمات المكنونة» للفيض ، ص ٣٣ ، الطبعة الحروفيّة ، مؤسّسة انتشارات فراهاني : ولأنّ التعيّن أمر اعتباريّ ، فإنّ ظهوره بواسطة نور سارٍ في الرُّتب. وحين سمع الجُنيد حديث **كَانَ اللَهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيءٌ** ، قال : **الآنَ كَمَا كَانَ** . فأُدرجت هذه الإضافة مع الحديث. و«**كَانَ اللَهُ**» فيها من قبيل : **وَكَانَ ٱللَهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**.

وقد نقل المرحوم المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٤ ، ص ٣٠٥ ، الحديث ٣٤ ، كتاب التوحيد، الباب ٤ ، من أبواب أسمائه تعالى ، الطبعة الحروفيّة الحيدريّة ، عن «توحيد الصدوق» ثمانية أبيات لأمير المؤمنين عليه السلام في جوابه على ذعلب أوردها في نهاية الخطبة، أوّلها:

وَلَمْ يَزَلْ سَيِّدِي بِالحَمْدِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يَزَلْ سَيِّدِي بِالجُودِ مَوْصُوفاً

فكتب أُستاذنا العلّامة في هامشها : الأشعار من أحسن الدليل على أن الخلقة غير منقطعة من حيث أوّلها ، كما أنّها كذلك من حيث آخرها.

بعد، لأنّ المحدود لا يعرف غير المحدود . أمّا الأفراد الذين وصلوا إلى الفَناء المطلق فلم يعد لديهم وجود ليعرفوا الله ، لأنّ الوجود هو وجود واحد لا غير، وهو وجود الحقّ جلّ وعلا ، فهو الذي يعرف نفسه، عرفها أوّلاً كما يعرفها الآنَ ؛ والآنَ كَمَا كَانَ.

إنّ نهاية سير كلّ موجود هو الفَناء في الموجود الأفضل والأعلى منه، أي فناء كلّ ظهور في مُظهره ، وكلّ معلول في علّته ؛ ونهاية سير الإنسان الكامل الذي وصلت جميع قواه وإمكاناته إلى مرحلة الفعليّة هو الفناء في الذات الأحديّة والفناء في ذات الله سبحانه ، والفناء في «هو»، والفناء في ما لا اسم له ولا رسم له.

فهذه هي غاية سير كلّ موجود وغاية السير المتصوّرة للإنسان الكامل ، وغاية سير الأنبياء والمرسلين والأئمّة الطيّبين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والمراد والمقصود الصحيح من المعرفة ونتيجة السلوك والسير نحو مقامه المقدّس جلّ شأنه والسير العمليّ العرفانيّ والبحوث العلميّة للعرفاء بالله علت أسماؤهم ؛ لا شيء آخر سواه .

فَتَأَمَّلْ يَا أَخِي فِي هَذَا المَقَامِ فَإنَّهُ مِنْ مَزَالِّ الأَقْدَامِ . وَهَبَكَ اللَهُ هَذَا بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ أجْمَعِينَ. [1]

١ـ ولربّما أشار إلى هذا المعنى بيتا الشعر اللذان أنشدهما صدر المتألّهين الشيرازيّ في العشق وعرفان الله ؛ قال:

آنانكه ره دوست گزيدند همه	در كوى شهادت آرميدند همه
در معركهٔ دو كون فتح از عشق است	هر چند سپاه او شهيدند همه

يقول : «إنّ أُولئك الذين اختاروا سبيل الحبيب قد رقدوا جميعاً في طريق الشهادة. ولقد كان الفتح والظفر بين الجانبَين من نصيب العشق مع أنّ جنده قد استشهدوا ⇦

تشرّف الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد بزيارة المرقد المطهّر للإمام الثامن الضامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وإقامته عشرة أيّام في ذلك البلد المبارك

استعدّ سماحة الحاجّ السيّد هاشم للسفر إلى خراسان ، وكان يرغب بالسفر في الحافلات العاديّة ، لكنّ زوجته ـ **أُمّ مهدي** ـ التي لم يسبق لها السفر بالطائرة ، أصرّت على أن يكون سفرهم من طهران إلى مشهد للتشرّف بالزيارة بواسطة الطائرة ، فوافقها السيّد على ذلك . لذا فقد سافرا بالطائرة وتبعهم بالسيّارات بقيّة الرفقاء للتشرّف بالزيارة ، وكان عددهم يقرب من خمسة عشر شخصاً من طهران وغيرها .

ولا يخفى أنّ الحقير كان في نيّته اصطحاب ولديه الكبيرين ـ **السيّد محمّد صادق** ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، **والسيّد محمّد محسن** وله من العمر إحدى عشرة سنة ونصف ـ ولم يكن في نيّتي اصطحاب أخيهما الأصغر منهما ـ واسمه **السيّد أبو الحسن** وله ثمان سنين ـ فقد كان الأوّلان يستطيعان إدارة أُمورهما بنفسهما تقريباً ، أمّا بالنسبة لهذا الطفل الصغير فقد كان الأمر صعباً ، لذا فلم أقطع له ـ كأخويه ـ تذكرة للسفر حين أعددت تذاكر السفر بالسيّارة مع الرفقاء . وحين عرف سماحة السيّد الحدّاد بذلك قال : أيّها السيّد محمّد الحسين ! لِمَ لَم تقطع تذكرة سفر للسيّد أبي الحسن ؟!

قلت : إنّه طفل صغير ، وسيبقى مع أُمّه . فردّ قائلاً : كلّا ، إنّ السيّد

⇦ جميعاً».

قيل إنّه لم ينشد بالفارسيّة غيرهما ؛ لكنّه ذكر في تفسير سورة السجدة ، طبعة أنتشارات بيدار ، ص ١٠ أبياتاً بالفارسيّة في عظمة القرآن ، وفي ص ٣٤ أبياتاً بالفارسيّة أيضاً في عظمة رسول الله وارتباطها مع يوم الجمعة ، وقال : أنشدتُ هذه الأبيات في حال الوجد.

أبا الحسن كبير ، فاقطع له تذكرة هو الآخر !

قلت : سأفعل ذلك . وهكذا فقد قطعت له تذكرة معنا . وقد وصلنا مشهد بالسيّارة مع الرفقاء ، وصادف وصولنا بعد وصول السيّد الحدّاد . وكان الصديق العزيز **الحاجّ عبد الجليل محيي (أبو أحمد)** قد جاء كذلك إلى مشهد مع عائلته وأعدّ مكاناً مستقلّاً للسيّد وله . ومع أنّ ذلك المكان كان واسعاً نسبيّاً إلّا أنّه لم يكن ليتّسع لحلول جميع الرفقاء ، لذا فقد ضمّ إليه مكاناً آخر ، فكان السيّد يتردّد على هذين المكانَين في الأيّام العشرة من إقامته .

وكان من دأب السيّد حين يتشرّف بزيارة الحرم المطهّر ، أن يغتسل أوّلاً ، ثمّ يُقبّل باب الصحن كلّما ورده ، ثمّ يُقبّل باب محلّ خلع الأحذية وإيداعها ، ثمّ باب الرواق وباب الحرم . وكان عند وروده يقبّل العتبة المباركة بعد الاستئذان ، ثمّ يطوف بالقبر الشريف سبعة أشواط قبل أن يزور ، ويبدأ طوافه من جانب اليسار ، ثمّ يزور الإمام ويصلّي عند رأس الإمام عليه السلام أو حيثما أمكن ذلك . وكان الحقير مع جميع الرفقاء الذين تشرّفوا للزيارة معه وفي معيّته نزور على هذا النحو ، فنقبّل إطار الأبواب ، ونطوف سبعة أشواط ، ثمّ نزور ونصلّي .

وباعتبار أنّ فعل أولياء الله حجّة ، فقد دأب الحقير حتّى الآن على هذا النحو في الزيارة ، من تقبيل الأبواب والطواف ، أي إلى الزمن الذي لم يكونوا قد وضعوا عند الضريح المطهّر حائلاً يفصل بين الرجال والنساء . فكان الحقير يفعل ذلك لمدّة أربع عشرة سنة تقريباً كلّما وُفِّق للزيارة في أشهر الصيف وبعض الأوقات الأُخرى ، كشهر رجب أو في الثالث والعشرين من ذي القعدة الحرام . وكنت أقوم بالطواف بهذه الأشواط السبعة بناءً على متابعة سماحة السيّد الحدّاد .

وأجد لزاماً هنا أن أقوم ببيان هذا المطلب لسائر الإخوة في الدين والأخلّاء الروحانيّين سواء بالنسبة إلى الطواف أم في تقبيل العتبة المباركة، وبإيراد بحث فقهيّ بهذا الشأن للبرهنة على جواز الطواف وجواز تقبيل العتبة في كلّ من المراقد الشريفة للأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين .

بحث فقهيّ في جواز الطواف حول أضرحة الأئمّة الأطهار عليهم السلام

أقول : عقد **الشيخ الحرّ العامليّ** عامله الله بلطفه في كتاب مزار «وسائل الشيعة» (ج ٢ ، ص ٤١١ ، طبعة أمير بهادر) باباً في عدم جواز الطواف بالقبور ، ذكر فيه روايتَين لعدم الجواز .

الأُولى : محمّد بن عليّ بن الحسين في «العِلَل» عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن أبي عمير ، عن حمّاد ، عن الحلبيّ ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : **لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ ، وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ ، وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ . فَإنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ** ـ الحديث . وتتمّة الحديث هي : **وَمَنْ فَعَلَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، لَمْ يَكُنْ يُفَارِقُهُ إلَّا مَا شَاءَ اللَهُ**.

الثانية : محمّد بن يعقوب ، عن عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن صفوان ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال : **لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ ، وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ ، وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ** ـ الحديث .

وأقول : هاتان الروايتان بالرغم من قوّتهما من جهة السند ، لأنّ كليهما رواية صحيحة ؛ لكنّهما ـ من جهة الدلالة ـ غير راجعتَين إلى

الطواف بمعنى الدوران حول شيء ، بل إنّهما غريبتان عن المقام تماماً . فالمراد **بالطوف بالقبر** في هذين الحديثَين هو التغوّط ، لا الطواف والدوران حول القبر . يشهد على هذا الكلام عبارة الطُّرَيْحيّ في «مجمع البحرين» حيث يقول في مادّة **طَوَفَ** : والطَّوْفُ : الغائطُ ، ومنه الخبر : **لَا يُصَلِّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُدَافِعُ الطَّوْفَ** . ومنه الحديث : **لَا تَبُلْ فِي مُسْتَنْقَعٍ وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ !**

ومضافاً إلى ذلك ، فإنّ فقرات الحديث التي تتحدّث عن الشرب حال القيام والتبوّل في الماء الراكد النقيع تناسب التغوّط على القبور ولا تناسب الطواف والدوران حولها ، وخاصّة مع ورود التعليل في الرواية الأُولى في أنّ من ارتكب هذه الأُمور : **فَإِنْ أَصَابَهُ شَيءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ** ؛ والذي يناسب التغوّط الذي يفعله الإنسان ، فلربّما لدغته عقرب أو حيّة ، خاصّة في الأزمنة التي كان التغوّط فيها على القبور في المقابر أمراً شائعاً ، فقد كانت الحيّات والعقارب وسائر الحشرات والهوامّ الأرضيّة تكثر في المقابر . كما أنّ التغوّط على قبور المؤمنين يسبّب هتك حُرْمَة ويمنع من نزول الملائكة .

ومضافاً إلى قولنا ، فإنّ الشاهد والدليل على جواز الطواف رواية أُخرى يذكرها في «الوسائل» :

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى [وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ ـ خ ل] عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الحُسَيْنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الطَّيِّبِ ، عَنْ عَبْدِ الوَهَّابِ ابْنِ مَنْصُورٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي العَلَاءِ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فِي حَدِيثٍ .

قَالَ : بَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ دَخَلْتُ أَطُوفُ بِقَبْرِ رَسُولِ اللهِ ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الرِّضَا يَطُوفُ بِهِ ، فَنَاظَرْتُهُ فِي مَسَائِلَ عِنْدِي ـ الحديث .

ويذكر صاحب «الوسائل» هنا محامل لهذه الرواية ليمكنه الجمع بين

مفادها في جواز الطواف وبين تينك الروايتَين ، فيقول :

أَقُولُ : هَذَا غَيْرُ صَرِيحٍ فِي أَكْثَرَ مِنْ دَوْرَةٍ وَاحِدَةٍ لأَجْلِ إتْمَامِ الزِّيَارَةِ وَالدُّعَاءِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ ، كَمَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الزِّيَارَاتِ لَا بِقَصْدِ الطَّوَافِ . عَلَى أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِقَبْرِ رَسُولِ اللَهِ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ وَلَا غَيْرِهِمْ ؛ وَالقِيَاسُ بَاطِلٌ . وَرَاوِيهِ عَامِّيٌّ ضَعِيفٌ وَقَدْ تَفَرَّدَ بِرِوَايَتِهِ . وَيُحْتَمَلُ كَوْنُ الطَّوَافِ فِيهِ بِمَعْنَى الإِلْمَامِ وَالنُّزُولِ كَمَا ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ اللُّغَة ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الزِّيَارَةِ . وَيُحْتَمَلُ الحَمْلُ عَلَى التَّقِيَّةِ بِقَرِينَةِ رَاوِيهِ ، لأَنَّ العَامَّةَ يُجَوِّزُونَهُ ، وَالصُّوفِيَّةُ مِنَ العَامَّةِ يَطُوفُونَ بِقُبُورِ مَشَايِخِهِمْ ؛ وَاللهُ أَعْلَمُ ـ انتهى .

لكن الأمر هو ما ذكرناه هنا ، والذي أخذنا فيه معنى الطواف بمعنى التغوّط . لذا فإنّ هاتَين الروايتَين تخرجان عن عهدة الاستدلال بهما ، كما أنّ هذه المحامل والتأويلات التي ذكرها الشيخ الحرّ في هذه الرواية الأخيرة ليست صحيحة على الإطلاق ، فالمتعيّن في معنى الطواف في هذه الرواية الأخيرة هو الطواف . ونورد هنا لدعم كلامنا شواهد من كتب لغويّة أُخرى :

١ ـ يقول في شرح «قاموس اللغة» (بالفارسيّة) في مادّة **طَوَفَ** : **والطَّوْف** بمعنى الغائط . **طَافَ** أي جلس للتغوّط ، مثل **اطّافَ** من باب الافتعال .

٢ ـ يقول في «صحاح اللغة» : **وَالطَّوْفُ : الغَائِطُ ، تَقَولُ مِنْهُ : طَافَ يَطُوفُ طَوْفاً واطَّافَ اطِّيَافاً : إذَا ذَهَبَ إلَى البَرَازِ لِيَتَغَوَّطَ .**

٣ ـ ويقول في «تاج العروس» : **وَالطَّوْفُ : الغَائِطُ وَهُوَ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الرِّضَاعِ ، وَأَمَّا مَا كَانَ قَبْلَهُ فَهُوَ عِقْيٌ ؛ قَالَهُ الأَحْمَرُ . وَفِي الحَدِيثِ : لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ عَلَى طَوْفِهِمَا ! وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ :**

لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُدَافِعُ الطَّوْفَ وَالبَوْلَ . وَفِي كَلَامِ الرَّاغِبِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الكِنَايَةِ . وَطَافَ يَطُوفُ طَوْفاً : إذَا ذَهَبَ إلَى البَرَازِ لِيَتَغَوَّطَ . وَزَادَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ : كَاطَّافَ اطِّيَافاً إذَا أَلْقَى مَا فِي جَوْفِهِ ، وَأَنْشَدَ :

عَشَّيْتُ جَابَان حَتَّى اسْتَدَّ مَغْرِضُهُ

وَكَادَ يَنْقَدُّ إلَّا أنَّه اطَّافَا

٤ ـ وذكر في «لسان العرب» ما يشبه ما نقلنا عن «تاج العروس» .

وَالعِقْيُ كَمَا ذَكَرَهُ اللُّغَوِيُّونَ : شَيءٌ لَزِجٌ أَسْوَدُ يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ المَوْلُودِ قَبْلَ أَنْ يَأكُلَ وَيَشْرَبَ .

وقد أورد جدّنا العلّامة المجلسيّ رضوان الله تعالى عليه في هذا الشأن بحثاً بليغاً أدّى فيه حقّ البحث ، لذا نذكر نصّ بحثه هنا ، فبعد أن نقل الرواية الأُولى عن «علل الشرايع» قال في بيانه لها :

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ عَنِ الطَّوَافِ بالعَدَدِ المَخْصُوصِ الَّذِي يُطَافُ بِالبَيْت ، وَسَيَأْتِي فِي بَعْضِ الزِّيَارَاتِ [الجَامِعَةِ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا آلَ المُصْطَفَى إلَّا أَنَّا لَا نَمْلِكُ][1] إلَّا أَنْ نَطُوفَ حَوْلَ مَشَاهِدِكُمْ . وَفِي الرِّوَايَاتِ : قَبِّلْ جَوَانِبَ القَبْرِ .

ثمّ يروي الرواية الواردة بشأن الطواف في كتاب «الكافي» عن جواد الأئمّة الإمام محمّد التقيّ عليه السلام بنفس الإسناد عن يحيى بن أكثم ، فيقول في ذيلها :

وَالأَحْوَطُ أَنْ لَا يَطُوفَ إلَّا للإتْيَانِ بِالأَدْعِيَة وَالأَعْمَالِ المَأثُورَةِ ، وَإنْ أَمْكَنَ تَخْصِيصُ النَّهْيِ بِقَبْرِ غَيْرِ المَعْصُوم ، إنْ كَانَ مُعَارِضٌ صَرِيحٌ . وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المُرَادُ بِالطَّوَافِ المَنْفِيِّ هُنَا التَّغَوُّطَ .

١ـ ما بين المعقوفتَين عبارة «سفينة البحار».

ثمّ يقول بعده : **قَالَ فِي «النِّهَايَة» : الطَّوْفُ : الحَدَثُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَمِنْهُ الحَدِيثُ : نُهِيَ عَنْ مُتَحَدِّثَيْنِ عَلَى طَوْفِهِمَا ، أَيْ عِنْدَ الغَائِطِ . وَيُؤَيِّدُ هَذَا الوَجْهَ أَنَّهُ رَوَى الكُلَيْنِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ :**

مَنْ تَخَلَّى عِنْدَ قَبْرٍ ، أَوْ بَالَ قَائِماً ، أَوْ بَالَ فِي مَاءٍ قَائِمٍ ، أَوْ مَشَى فِي حِذَاءٍ وَاحِدٍ ، أَوْ شَرِبَ قَائِماً ، أَوْ خَلَى فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، أَوْ بَاتَ عَلَى غَمَرٍ [1] ، فَأَصَابَهُ شَيءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمْ يَدَعْهُ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَهُ . وَأَسْرَعُ مَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ إلَى الإنْسَانِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الحَالَاتِ .

مَعَ أَنَّهُ رُوِيَ أَيْضاً بِسَنَدٍ آخَرَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ رَاوِي هَذَا الحَدِيثِ ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ :

لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ ، وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ ، وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ ، وَلَا تَخْلُ [2] فِي بَيْتٍ وَحْدَكَ ، وَلَا تَمْشِ بِنَعْلٍ وَاحِدَةٍ ! فَإنَّ الشَّيْطَانَ أَسْرَعُ مَا يَكُونُ إلَى العَبْدِ إذَا كَانَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الحَالَاتِ . وَقَالَ : إنَّهُ مَا أَصَابَ أَحَداً شَيءٌ عَلَى هَذِهِ الحَالِ فَكَادَ أَنْ يُفَارِقَهُ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ .

ثمّ قال : **فَإنَّ كَوْنَ كُلِّ مَا فِي هَذَا الخَبَرِ مَوْجُوداً فِي الخَبَرِ السَّابِقِ سِوَى قَوْلِهِ «لَا تَطُفْ بِقَبْرٍ» ، مَعَ أَنَّ فِيهِ مَكَانَهُ «مَنْ تَخَلَّى عَلَى قَبْرٍ» ، لَاسِيَّمَا مَعَ اتِّحَادِ الرَّاوِي وَاشْتِرَاكِ المَفْسَدَةِ المُتَرَتِّبَةِ فِيهِمَا ، مَا يُورِثُ ظَنَّاً قَوِيَّاً بِكَوْنِ الطَّوْفِ هُنَا بِمَعْنَى التَّخَلِّي . وَكَذَا اشْتِرَاكُ المَفْسَدَةِ وَسَائِرِ الخِصَالِ بَيْنَ خَبَرِ الحَلَبِيِّ وَالخَبَرِ الأَوَّلِ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّوْفَ فِيهِ أَيْضاً بِهَذَا المَعْنَى .**

١ـ الغَمَر : الدَّسم والزهومة من اللحم تبقى في اليدين.

٢ـ خَلَا يَخلُو خُلُوّاً وخَلَاءً الرجلُ : انفرد في مكانه.

وَلَا أَظُنُّكَ تَرْتَابُ بَعْدَ التَّأَمُّلِ الصَّادِقِ فِي الأَخْبَارِ الثَّلَاثَةِ فِي أَنَّ الأَظْهَرَ مَا ذَكَرْنَا.

وحين يتأمّل أهل التحقيق في هذا الاستدلال فإنّهم سيرون أنّ المجلسيّ رحمة الله عليه قد أدّى في هذا البحث البليغ الذي أوردناه هنا، حقّ المطلب كما ينبغي. **جَزَاهُ اللَهُ خَيْراً**.

وقد أوردنا كلامه من «**البحار**» ج ٢٢، من طبعة الكمبانيّ، الباب ٣، من مجلّد **المزار**، ص ٩؛ و ج ١٠٠، من الطبعة الحيدريّة الباب الثالث من مجلّد المزار، الحديث ٣ إلى ٦، ص ١٢٦ إلى ١٢٨؛ كما أشار المحدِّث القمّيّ إلى هذه المطالب في «سفينة البحار» الطبعة الحجريّة، المجلّد الثاني، في مادّة طوَف، ص ٩٩.

وكذلك فقد قام المرحوم **المحدِّث النوريّ الحاجّ الميرزا حسين أعلى الله مقامه** بإيفاء المطلب حقّه في «مستدرك الوسائل» كتاب المزار، المجلّد الثاني ص ٢٢٦ و ٢٢٧، فقد عقد أوّلاً باباً دعاه: **جواز الطواف حول القبور**، خلافاً لصاحب «الوسائل» الذي كان قد عقد **باباً في عدم جواز الطواف بالقبور**. وقد اعتبر رأساً الطوف بمعنى الغائط والحدث كما ذكرنا. ونورد هنا عين عباراته لئلّا نحرم من فوائدها:

٧٢: بَابُ جَوَازِ الطَّوَافِ بِالقُبُورِ:

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، وَحَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي قِصَّةِ فَدَكٍ قَالَ فِي آخِرِهِ: وَدَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ المَسْجِدَ وَطَافَتْ بِقَبْرِ أَبِيهَا وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ: إنَّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الأَرْضِ وَابِلَهَا ـ الخبر.

وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الطَّبْرِسِيِّ فِي «الاحْتِجَاجِ» عَنْ

حَمَّادِ بْنَ عُثْمَانَ ، عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُهُ .

٢ ـ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ المَشْهَدِيِّ فِي «المَزَارِ» وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ طَاوُوسٍ فِي «المِصْبَاحِ» قَالَا : زِيَارَةٌ مَرْوِيَةٌ عَنِ الأَئِمَّةِ عَلِيهِمُ السَّلَامُ : إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ ... إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثُمَّ قَبِّلْهُ وَقُلْ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا آلَ المُصْطَفَى إِنَّا لَا نَمْلِكُ إِلَّا أَنْ نَطُوفَ حَوْلَ مَشَاهِدِكُمْ وَنُعَزِّي فِيهَا أَرْوَاحَكُمْ ـ الزيارة .

قُلْتُ : جَعَلَ الشَّيْخُ[١] عُنْوَانَ البَابِ عَدَمَ جَوَازِ الطَّوَافِ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ إِلَّا الصَّادِقِيَّ وَغَيْرَهُ : لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ ، وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ ، وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ ـ إلى آخر الحديث .

وَالمُرَادُ بِالطَّوْفِ الحَدَثُ فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ ، بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ : وَلَا تَبُلْ . وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ الكُلَيْنِيَّ رَوَى فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مَنْ تَخَلَّى عَلَى قَبْرٍ ، أَوْ بَالَ قَائِماً فِي مَاءٍ قَائِمٍ ، أَوْ مَشَى فِي حِذَاءٍ وَاحِدٍ ، أَوْ شَرِبَ قَائِماً ، أَوْ خَلَا فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، أَوْ بَاتَ عَلَى غَمَرٍ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمْ يَدَعْهُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ . وَأَسْرَعُ مَا يَكُونُ الشَّيْطَانُ إِلَى الإِنْسَانِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الحَالَاتِ .

وَرَوَى أَيْضاً بِسَنَدٍ آخَرَ عَنْ مَحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ ، وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ ، وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ ، وَلَا تَخْلُ فِي بَيْتٍ وَحْدَكَ ، وَذَكَرَ بَاقِي الخَبَرَ بِاخْتِلَافٍ فِي الأَلْفَاظِ .

وَالمُتَأَمِّلُ يَعْلَمُ اتِّحَادَ الخَبَرَيْنِ وَأَنَّ أَحَدَهُمَا نَقْلٌ لِآخَرَ .

وَقَالَ الجَزَرِيُّ : الطَّوْفُ : الحَدَثُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَمِنْهُ الحَدِيثُ : نُهِيَ

١ـ يعني **الشيخ الحرّ العامليّ** صاحب «الوسائل» الذي جعل النوريّ كتابه مستدركاً لكتابه.

عَنِ المُتَحَدِّثَيْنِ عَلَى طَوْفِهِمَا : أَيْ عِنْدَ الغَائِطِ.

فَظَهَرَ أَنَّهُ لَا مُعَارِض لِمَا دَلَّ عَلَى جَوَازِ الطَّوَافِ بِالقُبُورِ بِمَعْنَاهُ الشَّائِعِ. وَلِذَا ذَكَرْنَا العُنْوَانِ : جَوَازَ الطَّوَافِ. وَلَوْ سُلِّمَ فَالنِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا بِالعُمُومِ وَالخُصُوصِ.

فَلَا بَأسَ بَالطَّوَافِ حَوْلَ قُبُورِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» ـ انتهى .

أذكر جيّداً أنّني كنت قد تشرّفت بالذهاب إلى أرض قم المقدّسة لتحصيل العلوم الدينيّة في شهر شوّال لسنة ألف وثلاثمائة وأربع وستّين هجريّة قمريّة ، فحللتُ أوّلاً في منزل آية الله السيّد حسن سيّدي القمّيّ وهو ابن عمّة أبي ؛ فجاء يوماً آية الله العظمى **السيّد محمّد حجّت كوه‌كمري** لرؤية أبناء عمّته (آية الله السيّد حسن وإخوته الحاجّ السيّد علي محمّد والسيّد محمّد وآية الله الحاجّ السيّد عبد الحسين) وكان الحقير قد جلس في زاوية الغرفة معهم . فدار الحديث عن مواضيع متعدّدة كان من بينها قول **لا تَطُفْ بِقَبْرٍ** ، فقال المرحوم حجّت رضوان الله عليه : ليس المراد به الطواف بل التغوُّط ، وأورد شاهداً من كتاب «مجمع البحرين» اللغويّ . **رحمة الله عليه رحمةً واسعة.**

بحث فقهيّ في جواز تقبيل إطار أبواب الدخول لقبور الأئمّة عليهم السلام

كان ما ذكرناه ، حول جواز الطواف حول قبورهم المطهّرة ، ونورد الآن بحثنا لجواز **التقبيل** ، أي تقبيل إطار أبواب أضرحة الأئمّة عليهم السلام ، أي أبواب الصحن الشريف ومحلّ إيداع الأحذية وأبواب الرواق والحرم المطهّر .

إنّ تقبيل أبواب قبور الأئمّة عليهم السلام أمر لا شبهة ولا إشكال

فيه ، كما أنّه قد ورد في بعض الروايات الواردة في كتاب المزار . وإذا ما قصرنا اللفظ وجمّدناه على معنى **العَتَبَة** ، فإنّ تقبيل الأرض التي أمام الباب وتقبيل الجزء الأسفل من الباب سيكون كذلك جائزاً . فقد ورد في هذه الروايات أن : **قَبِّل العَتَبَة ثمّ ادخُل !.**

وقال في «شرح قاموس اللغة» (بالفارسيّة) : **العَتَبَة** بالتحريك هي أُسكُفَّة الباب أو العارضة العليا التي تعلو قِشْمَي الباب .

وقال في «صحاح اللغة» **وَالعَتَبُ : الدَّرَجُ وَكُلُّ مِرْقَاةٍ مِنْهَا عَتَبَةٌ. وَالجَمْعُ عَتَبٌ وعَتَبَاتٌ . وَالعَتَبَةُ : أُسْكُفَّةُ البَابَ ، وَالجَمْعُ : عَتَبٌ.**

وقال في «تاج العروس» : **(العَتَبَةُ ، مُحَرَّكَةً) كَذَا فِي نُسْخَتِنَا وَسَقَطَ مِنْ نُسْخَةِ شَيْخِنَا (أُسْكُفَّة البَابَ) الَّتِي تُوطَأُ (أَو) العَتَبَةُ (العُلْيَا مِنْهُمَا) وَالخَشَبَةُ الَّتِي فَوْقَ الأَعْلَى : الحَاجِبُ ، وَالأُسْكُفَّةُ السُّفْلَى وَالعَارِضَتَانِ: العُضَادَتَانِ. وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الإشَارَةُ إلَيْهِ فِي «ح ج ب» ، وَالجَمْعُ : عَتَبٌ وَعَتَبَاتٌ.**

وفي اللغة أنّ الأُسْكُفَّةَ والأُسْكُوفَةَ **هي خَشَبَةُ البَابِ الَّتِي تُوطَأُ عَلَيْهَا.**

لكنّ سماحة أُستاذنا المكرّم المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ مرتضى الحائريّ أعلى الله درجته نقل عن المرحوم آية الله الحاجّ حسين الطباطبائيّ البروجرديّ قدّس الله نفسه أنّه قال : إنّ الانحناء وتقبيل مقدّم الباب له حكم السجدة ؛ فالمراد بالسجدة ليس فقط وضع الجبهة على الأرض ، بل الانكباب على الأرض والتواضع إلى حدّ جعل الجبهة قُرب الأرض ، وعليه فالأفضل تقبيل إطار الباب من غير قسمه الأسفل .

وقد نقل للحقير هذا المطلب عن آية الله البروجرديّ ، آية الله الحائريّ ، وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر شوّال المكرّم لسنة ألف وأربعمائة هجريّة قمريّة في مشهد المقدّسة .

* * * * *

نعم ، لقد كان دأب سماحة السيّد الحدّاد في مشهد المقدّسة أن يتناول ليلاً ـ بعد صلاتَي المغرب والعشاء ـ طعاماً يسيراً ثمّ يأوي للنوم مبكّراً ، ويدأب على زيارة المرقد المطهّر بعد أذان الصبح بين الطلوعَين ، وفي وقت صلاة الظهر التي كان يؤدّيها في الحضرة . أمّا في باقي الأوقات فكان غالباً ما يبقى في المنزل ، فإذا شاء أحد لقاءه فإنّ ذلك كان يحصل نهاراً وفي البيت . وكان الرفقاء يجتمعون في المنزل حين يكون السيّد هناك . وقد وجّه أمره للحقير ـ من أجل بعث الحيويّة والنشاط وذكر الله في المجالس ـ لأقوم بتفسير سورة التوحيد للرفقاء بحضوره .

فشرع الحقير بتفسير هذه السورة المباركة ، فانقضى اليوم الأوّل في تفسير معنى **بِسْمِ** ، أي معنى الاسم ومعنى باء الاسم ، واستغرق ذلك ساعة كاملة . ومرّ اليوم الثاني في تفسير معنى **ٱللَهِ** واستغرق ساعة كاملة أيضاً . ثمّ قمتُ في اليوم الثالث بتفسير معنى **ٱلرَّحْمَـٰنِ** ، وفي اليوم الرابع بتفسير معنى **ٱلرَّحِيمِ** ، وفي اليوم الخامس في معنى **قُلْ** ، وفي اليوم السادس في معنى **هُوَ** ، وفي اليوم السابع في معنى **أَحَدٌ** ، وفي اليوم الثامن في معنى **ٱلصَّمَدُ** ، وفي اليوم التاسع في معنى **لَمْ يَلِدْ** ، وفي اليوم العاشر في معنى **لَمْ يُولَدْ** . وبقيت الفقرة الحادية عشرة من السورة إلى حين ذهابنا في معيّته إلى إصفهان بعد العودة من أرض مشهد المقدّسة ، فكنّا مجتمعين يوماً بحضور الرفقاء ، فجاء ذلك اليوم سماحة حجّة الإسلام **الحاجّ السيّد شهاب الدين الصفويّ** وفّقه الله لرؤية السيّد ، فقال (السيّد الحدّاد) : أتمم باقي السورة ! فشرع الحقير في الكلام ساعة كاملة في معنى **وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ** وتفسيرها . وبحمد الله ومنّه فقد ختمت هذه المجالس لهذه الدورة التفسيريّة بعدد (١١) المساوي للكلمة المباركة «هُوَ» .

وكان من عجائب وغرائب هذا التفسير :

أوّلاً : أنّ الحقير لم يُطالع أساساً ولو سطراً واحداً ، ولم اصطحب معي أصلاً كتاباً أو تفسيراً ما ، فما ورد من التفسير إنّما كان عبارة عن إنشاءات يجري بيانها ، ومطالب لم تُسمَع ولم تُقرَأ ولم تُقل ، وكنت بدوري أعجب من رقّة معانيها وعلوّ مفاهيمها ودقّة مغزاها . وكان من الجليّ البيِّن أنّها كانت إلقاءات من سماحة السيّد ، بينما كان الحقير في حكم مكبِّر الصوت الذي يحكي هذه المعاني ، ذلك لأنّني لم أقم حتّى الآن ببيان تفسير بهذا الوضع والكيفيّة ، فأنا الآن أتأسّف لأنّ تلك المطالب لو كانت قد سُجِّلت لمثّلت بنفسها تفسيراً كاملاً لهذه السورة المباركة يصبح في متناول أيدي أهل العرفان والتوحيد لمطالعته والنظر فيه ، بالرغم من أنّ هذه المطالب ـ حسب قول المرحوم القاضي ـ هي المطالب التي تأتي من هناك ثمّ تعود من حيث جاءت .

وثانياً : فلم يكن الحقير في ابتداء هذا التفسير قد قام بتقسيمه هذا التقسيم ، بل كنت احتمل في اليوم الأوّل أنّ تفسير هذه السورة بأجمعها والتي لا تعدو أكثر من سطر واحد ، سينتهي في نفس اليوم ، وأنّ البحث حولها وفي جوانبها سينتهي خلال ساعة واحدة . لكنّ الأمر جاء على هذه الصورة والكيفيّة بحيث انتهى في إحدى عشرة جلسة بدون تكرار للمطالب .

وثالثاً : مساواة عدد الجلسات الإحدى عشرة **للكلمة المباركة** «**هُوَ**» أمر عميق جدّاً ، وذلك لأنّ سماحة السيّد الحدّاد كان في درجة قويّة من الفَناء في اسم **هو** ، بحيث كان المرحوم القاضي يقول : إنّ **السيّد هاشم** مثله كمثل هؤلاء السنّة المتعصّبين ، فهو لا يتنازل ولا يتخلّى أبداً عن عقيدته في التوحيد ، فهو في تعصّبه في الإيقان والإذعان بالتوحيد لا يفرِّق بين رأسه

وقدميه .

إنّك لو أعطيت بعض هؤلاء العامّة المال والمقام والدنيا بأسرها ، لما أمكنك أن تزعزع عقيدتهم ، وكانت مسألة **السيّد هاشم في مسألة توحيد الذات المقدّسة بهذه الكيفيّة . جَزَاهُمَا اللَهُ عَنِ التَّوْحِيد وَالعِرْفَانِ أَفْضَلَ الجَزَاءِ ، بِحَقِّ سَيِّدِ البَرَرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِحَقِّ مَزُورِهِ الإمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ آلَافُ التَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَالنِّعْمَةِ وَالإكْرَامِ .**

ولم يزر السيّد في مشهد إلّا العلماء الذين كانوا يأتون أحياناً لزيارته نهاراً فيسألونه عن بعض غوامض مسائل التوحيد وبعض المعارف ، فيجيب على أسئلتهم تلك ، ولقد وُجّهت إليه ثلاثة أسئلة مهمّة تدور حول الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام تتعلّق ببقعته المقدّسة وزيارته ، فأجاب عنها السيّد بصورة مفصّلة نسبيّاً . ويجدر بنا هنا أن نُقَدِّم للقرّاء الأعزّاء هذه الأسئلة الثلاثة وأجوبتها ونضمّ إليها الشرح والبيان اللازم .

المسألة الأُولى : لماذا اشتهر الإمام الثامن عليه السلام وعُرف من بين الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بعنوان **الإمام الغريب** ؟!

المسألة الثانية : لماذا دُعِيَ عليه السلام من بين الأئمّة عليهم السلام باسم **غَوْثُ الأُمَّةِ وَغِيَاثُهَا** ؟!

المسألة الثالثة : ما هي العلاقة بين زيارته عليه السلام وزيارة بيت الله ، حيث جرى التأكيد على استحباب زيارته في شهر رجب المرجّب ، كما أُكِّدَ على فضيلة العُمرة في شهر رجب . فعدّت العمرة في هذا الشهر تلي الحجّ مباشرة ، وعدّ الإحرام والقيام بالعمرة في شهر رجب جائزاً وكافياً لمن يخشى عدم الوصول للكعبة ، فإذا أحرم شخص من الميقات قبل انقضاء شهر رجب وذهب إلى بيت الله الحرام فاعتمر ، فإنّ

عمرته هذه تُعَدّ عمرة **رجبيّة** ولو وقعت في **شهر شعبان**، مع علمنا أنّ عمرته وقعت في شهر شعبان وأنّ إحرامها فقط كان في شهر رجب، وليس ذلك إلّا للفضيلة الأكيدة والسنّة المؤكَّدة للإتيان بالعُمرة الرجبيّة. كما وردت الفضيلة والأهمّيّة الشديدة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في شهر رجب وذلك بتعبيرات مؤكّدة.

أمّا المسألة الأُولى:
علّة اشتهاره عليه السلام بالإمام الغريب

إنّ هناك عدّة أُمور ربّما كان لها الأثر في عنوان اتّصافه عليه السلام باسم الغريب وصفته.

الأمر الأوّل: يُعتبر عنوان الولاية في حدّ نفسه بعيد عن متناول البشر وإدراكهم، وقريب إلى مقام القرب من الله وحرمه الخاصّ، وهذه الحقيقة تستلزم عدم أُنس عموم الناس وتعرّفهم على آثار وخصائص الولاية وصفات **وليّ الله**. وذلك لأنّ هناك في ظهور الولاية بالنسبة للناس بسطاً وانفتاحاً كما أنّ هناك أيضاً قبضاً وانكماشاً، أي الرحمة والغضب معاً، فهناك جزاء الإحسان وهناك الانتقام والعقوبة والتنكيل، لذا فإنّ الناس حين يلمسون آثار الولاية في التخفيف والمحبّة والجمال فإنّهم سيتقبّلونها ويحبّونها، أمّا مع آثارها في القهر والشدّة والجلال، فإنّهم سيكرهونها فيواجهونها بعواطف الحقد والشدّة والمحاربة.

إنّ الأنبياء العظام الذين فعلهم هو فعل الله سبحانه، يبقون في معزل لا يتصدّى أحد لمواجهتهم ماداموا تحت ستار الخلوة والمناجاة، وطالما لم يطّلع أحد على حالاتهم الباطنيّة، ولكن ما إن يُكلّفوا من جانب الله تعالى بالإرشاد والدعوة، فيسعون إلى نقل الناس من آدابهم القوميّة وسُننهم

الجاهليّة القديمة إلى الآداب العقلائيّة والسنن والأعراف والآداب التكميليّة في الصراط المستقيم والمنهج القويم ؛ فإنّ الناس سينهضون من كلّ حدب وصوب إلى قتالهم ومحاربتهم عن جهل أو عن علم ،لا يتورّعون عن القتل والإغارة والنهب والأسر والتعذيب ، ولا تنطفئ نائرتهم ، ولا يخمد عطش غضبهم وشهوتهم وأوهامهم وغرائزهم في التكبّر والعناد والأنانيّة إلّا عند سفكهم دماء هؤلاء الأنبياء .

كما أنّ من شأن الشخص المتّصف بالولاية أن يكون على الدوام منهمكاً مع نفسه مستغرقاً في عالم عزّه ، فهو في غيبة سواء كان بادياً في الظاهر أم لم يكن . ومن الجليّ أنّ عامّة الناس الذين لا تتعدّى أفكارهم المشتهيات النفسيّة واللذائذ الخسيسة الطبعيّة عن عالم الروح وحقيقته ، وعن لطافة تلك الأنوار الملكوتيّة القدسيّة ؛كما أنّ عدم التسانخ بين عالم الكثرة وآثاره ـ من التمسّك بالآداب والتقاليد الاجتماعيّة والأفكار المصلحيّة والاعتبارات الجوفاء ـ وبين عالم الوحدة وآثاره ـ المتمثّلة في كسر قيود أسر الهوى والرغبات وتخطّي مراحل اللذائذ الطبيعيّة والمنازل الوهميّة الخياليّة الاعتباريّة ـ إنّ عدم التسانخ هذا قد منح مقام الولاية عنوان العزّة ، وهذا ما ألزم تغرّبهم عن الناس .

وعلى هذا الأساس ، فقدكان الأنبياء والأولياء غرباء في هذا العالم على الدوام ، فقضوا حياتهم غرباء لا يلتحمون بهذه المجتمعات المتجبِّرة الظالمة .

**مُحِبُّ اللَهِ فِي الدُّنْيَا سَقِيمُ		تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فَدَوَاهُ دَاهُ**
**سَقَاهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ بِكَأْسٍ		فَأَرْوَاهُ المُهَيْمِنُ إذْ سَقَاهُ**
**فَهَامَ بِحُبِّهِ وَسَمَا إلَيْهِ		فَلَيْسَ يُرِيدُ مَحْبُوباً سِوَاهُ**

كَذَاكَ مَنِ ادَّعَى شَـوْقاً إلَـيْهِ   يَــهِيمُ بِــحُبِّهِ حــتَّى يَـرَاهُ[1]

١ـ هذه الأشعار لجارية هامت بعشق الله سبحانه ، وقد أورد الملّا جامي قصّتها العجيبة في «نفحات الأُنس» ص ٦٢٥ فما بعد (طبعة انتشارات مكتبة المحموديّ ، في ذكر التحفة ضمن عنوان «ذكر النساء العارفات الواصلات إلى مراتب الرجال») فراجع .

وإلى هنا **جَفَّ قَلَمُ الحَقِير** الفقير ، حيث نُقلتُ إلى مستشفى «القائم» صباح يوم الأربعاء الثامن من شهر شعبان المعظم ١٤١٢ هجريّة قمريّة لإجراء عمليّة الفتق الجراحيّة ، واستغرقت مدّة العمليّة والبقاء في المستشفى مع الاستراحة التي تلتها أحد عشر يوماً ، وهكذا فقد مَنّ الباري سبحانه عَلَيّ صباح يوم الأحد التاسع عشر من شعبان لأمسك القلم من جديد فأُسَطِّر بقيّة هذا الكتاب .

وقد أُجرِيَت العمليّة الجراحيّة من قبل الصديق القديم العزيز والمؤمن الملتزم الدكتور الحاجّ محمّد التوسّليّ أدام الله توفيقه ، وذلك بدون تخدير ولمدّة ساعة كاملة تكلّلت بالنجاح الكامل وللّه الحمد وله الشكر . والدكتور محمّد التوسّليّ في الوقت الحاضر من الأساتذة المبرَّزين والممتازين في كلّيّة الطبّ في مشهد المقدّسة ، ورئيس قسم الجراحة في مستشفى القائم. وكان قد أجرى للحقير قبل ثمان سنين عمليّة جراحيّة في كيس الصفراء ، أجراها هي الأُخرى في منتهى الإتقان والدقّة ، **جَزَاهُ اللَهُ خَيْراً وَجَعَلَهُ ذُخْراً لِلْمُسْلِمِينَ وَأُسْوَةً لِلأَطِبَّاءِ العَامِلِينَ** .

وكنت قد أحسست قبل ظهر يوم الاثنين ٢٣ جُمادى الأُولى لسنة ١٤٠٤ هجريّة قمريّة بألم في الجانب الأيمن من البطن اقترن برجفة وتقيّؤ ، واستمرّ ذلك ليومين . ثمّ ظهرت تدريجيّاً صُفرة في الجسم والوجه والعينين شخّصها على أنّها مرض اليرقان ، وألزمني بالذهاب إلى مستشفى القائم للمعالجة . وبعد إجراء الفحوصات والتحاليل العديدة وأخذ صور الأشعة المتعدّدة ، تحقّق أخيراً بعد المعاينة بجهاز السونوغرافي (ويتضمّن معاينة بالصور التلفزيونيّة بطريقة خاصّة) أنّه مرض اليرقان الانسداديّ لا الكبدي ، حيث ظهر أثر انسداد قناة ومجرى كيس الصفراء المسمّى بقناة «كوليدوك» بحصاة . وهكذا فقد أُجريت العمليّة الجراحيّة في تلك المستشفى وأُخْرِجْتُ منها يوم الخميس الثالث من شهر رجب المرجّب، حيث استمرّت مدّة المرض أربعين يوماً لم تنقص ولم تزد يوماً . **وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ** .

هذا وقد كان آنذاك الصديق العزيز الدكتور السيّد أبو القاسم الحسينيّ الهمدانيّ ⇦

....

⇦ رئيساً لقسم الأمراض النفسيّة في مشهد ، والدكتور السيّد رضا فريد الحسينيّ رئيساً لمستشفى القائم والدكتور عبد العليّ الخوارزميّ معاوناً للمستشفى ، حيث تمتدّ إلى سنواتٍ عديدة أواصرُ المودّة والمحبّة بيني وبين هؤلاء السادة الأجلّاء ، وكانوا قد أجمعوا على وجوب إجراء العمليّة الجراحيّة وأوصوا بأن يتولّى إجرائها الدكتور الحاجّ محمّد التوسّليّ. وأضافوا: أنّ هذا الرجل دكتور أخصّائيّ ومتديّن ، وقد ترك طبابته في فرنسا وهاجر إلى كندا فاستوطنها هو وعائلته وامتلك هناك عيادة شخصيّة ومستشفى ، وثمّ عاد وحيداً ليقف في صفّ الثورة الإسلاميّة مضحّياً بكلّ ما يملك ، ومع عدم امتلاكه بيتاً ولا تلفوناً ! ومع عدم مساعدة الدولة له بأيّ نحو كان ، فإنّه يقضي أيّامه ولياليه لتعليم الأطبّاء الشباب أُصول إجراء العمليّات الجراحيّة، وذلك للسيل المتدفّق من جرحى الحرب الذين أُخلِيَت لهم أَسِرَّة مستشفى القائم.

هذا وقد قال لي بنفسه : حين حدثت الثورة الإسلاميّة في إيران كنت أشعر دوماً برغبة تعتمل في أعماقي للتوجّه نحو هذا البلد ، لكنّني كنت أختلق الأعذار وأتعلّل في ذلك، أمّا حين نشبت الحرب المفروضة واعتدى العراق على إيران ، فقد رأيت أنّ من الخطأ بقائي في كندا بعد هذا ، وأنّ عَلَيّ أن أحضر فوراً إلى بلد الإسلام لإجراء العمليّات الجراحيّة، ولهذا جئت إلى هنا.

وقال للحقير : إنّ في إمكاني إجراء عمليّة كيس الصفراء ، ولكن ينبغي قبل ذلك أن يجري التشخيص لمعرفة سبب انسداد الصفراء لديكم ، هل هو من حصاة أو من شيء آخر. وكان جهاز المعاينة (السونوغرافي) عاطلاً آنذاك في مستشفى القائم ، ولم يكن هناك جهاز آخر في مشهد. لذا فقد سافرتُ إلى طهران بالطائرة في أوج مرضي لمدّة يومين حيث أُجرِيَت هذه الفحوصات وعدتُ إلى مشهد فأجرى لي العمليّة المذكورة على الفور.

ولقد أصرّ الكثيرون في طهران وأكّدوا عَلَيّ بالذهاب للمعالجة في الخارج ، وكان بعض الأصدقاء يقول : إنّ عمليّة كيس الصفراء من أهمّ العمليّات التي تُجرَى للبدن بعد عمليّة القلب. أي أنّهم كانوا يلفتون نظري إلى خطورة العمليّة . وقد أرسل بعض الأرحام العاجزين عن الحضور إلى الحقير مَن يقول على لسانهم : لماذا يتعلّل فلان في الذهاب إلى الخارج؟ لماذا لا يرحم نفسه وحياته ؟ وكان أحد أبناء أُختي ـ وكان آنذاك في كندا ـ قد قال عندما علم بمرضي: أحضِروا إليّ خالي وسأتكفّل بالباقي . وقال البعض : سنعدّ لك خلال ٢٤ ساعة ⇦

. . . .

⇦ جواز السفر وتذكرة الطائرة إلى أيّ مكان في العالم تشاء الذهاب إليه.

لكنّني لم أصغ إلى كلامهم أبداً ، بل إنّني لم أكن مستعدّاً للبقاء في طهران وإجراء العمليّة على أيدي الأطبّاء والجرّاحين المعروفين من ذوي الخبرة . وكنت أقول : إنّ ذهابي إلى الخارج أمرٌ محال ، كما أنّ بقائي في طهران لا معنى له ، ذلك لأنّني لم آتِ إلى طهران لإجراء العمليّة ، بل لإجراء التشخيص بجهاز السونوغرافي ، والآن ـ وقد تمّ التشخيص بأنّ علّة الانسداد كانت حصاةً ـ فإنّ عَلَيّ أن أعود إلى أرض مشهد المقدّسة . كما أنّ العمليّة ينبغي أن يُجْريها الدكتور التوسّليّ لا سواه.

أَمّا وجوب إجراء العمليّة في مشهد فكان سببه أنّ مرضي قد حصل في مشهد، وقد نُقلت إلى مستشفى القائم ، وأرض هذه المستشفى من أملاك الإمام الرضا عليه السلام، فنحن في الحقيقة ضيوف الإمام الرضا ، وفي مُلكه وفي بيته ، كما أنّه لم يخذلنا ولم يطردنا لنذهب إلى غيره.

وأمّا سبب إصراري على إجراء الدكتور التوسّليّ للعمليّة فهو معرفتي بأنّه أخصّائيّ وملتزم أيضاً ، فحين ترك البلاد سيل الأطباء الفاقدين للشعور بالمسؤوليّة والباحثين عن الفرص والمصالح الشخصيّة الاستقلاليّة ، فقد كان هو على العكس تماماً حين عاد إلى إيران بسترته وسرواله فقط . كما أنّه الصائم المصلّي الصادق ، والذي لا يقبل أن يؤدّي عملاً خارجاً عن مدى قدرته وعلمه . وعليه فإنّ النجاح والصحّة والعافية ستقارن عمله بشكل أكيد. أمّا بالنسبة لنا فقد كان الموت والحياة على السواء ، فإن خسرنا روحنا في هذه العمليّة فسنذهب إلى رحمة الله إن شاء الله تعالى.

أما سبب رفض الحقير للذهاب إلى الخارج فيعود إلى الأُمور التالية:

الأوّل : أنّ تلك البلاد هي بلاد الكفر ومدن اليهود والنصارى والمشركين والملحدين، فالذهاب للمعالجة هناك ينطوي في الحقيقة على مدّ يد الاستجداء نحوهم والاستعانة بهم لإدامة الحياة، وهذا ممّا لا يتّفق وشرف المسلم الغيور في أن يدع الأطبّاء المسلمين ويستجدي أُولئك لإبقاء حياته.

الثاني : باعتباري لست شخصاً عاديّاً ، فالناس يعرفونني اليوم كرجل دين أو كفقيه أو أيّاً ما تفرضون ؛ ومن ثمّ فإنّ عملي سيكون قدوة لهم ، وآنذاك سيفكّر كلّ من أصابه صداع بسيط في الذهاب للخارج ، لأنّ فلاناً ذهب للخارج ! أمّا لو أُجريت العمليّة هنا فإنّ ذلك ⇦

....

⇦ لن يخلّف تلك العواقب السيّئة ولو أدّى الأمر إلى الوفاة. وخاصّة أنّنا عموماً نُعير حياتنا الخاصّة أهمّيّةً زائدة لا نقول بمثلها لحياة النوع ولا لحياة المجتمع؛ في حين أنّها لا تستحقّ ذلك.

الثالث: أنّ تكاليف إجراء العمليّة في الخارج هو مئات أضعاف تكاليف إجرائها في الداخل، فهذه الأموال مهما كان موردها، ستنقص في النتيجة من صندوق المسلمين وتنصبّ في صندوق الكفّار وخزينة الاستعمار الكافر، فلِمَ نكون من المشجّعين على ذلك؟

الرابع: أنّنا نعتبر أنفسنا ـويا للشقاء والتعاسة ـ مسلمين! ونتصوّر أنّنا من أهل التوحيد والقرآن، فنعتبر الحياة والموت والنفع والضرر من جانب الله مباشرة. أوَلمْ نقرأ في القرآن:

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ. (الآية ١٠٧، من السورة ١٠: يونس).

مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. (الآية ٢، من السورة ٣٥: فاطر).

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ. (الآية ٣٨، من السورة ٣٩: الزمر).

إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ. (الآية ٥٦، من السورة ١١: هود).

قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ. (الآية ٥١، من السورة ٩: التوبة).

وأمثال هذه الآيات ونظائرها كثير في القرآن، فمع وجود هذه الآيات ومع استعداد الطبيب الأخصّائيّ الملتزم لإجراء العلاج، ومع علمنا أنّ جميع الأُمور بِيَدِ الله سبحانه وأنّ النفع والضرر من جهته، أفلا يكون فرارنا وذهابنا للخارج ـمع علمنا أن ذلك النفع والضرر مهما كان فهو من جانب الله تعالى ـ انحرافاً عن الطريق؟ أوَ ليس هذا العمل شركاً فعليّاً وعمليّاً وإن لم يكن شركاً في القول؟

الخامس: أنّ علينا نحن العبيد أن نكون مطيعين لأمر الله تعالى؛ فهو سبحانه يعلم ⇦

....

⇐ أنّ مصلحة إنسانٍ ما في زمن معيّن تتمثّل في حياته ، كما يعلم أنّ مصلحته في زمن آخر تتمثّل في مماته؛ فإن كان صلاح الإنسان في الحقيقة في موته وراح يسعى نحو الحياة ، فإنّه سيكون بذلك طالباً لشرّ نفسه لا لخيرها . إنّ على الإنسان أن يذهب إلى الطبيب حين يمرض وينشد العافية وطول العمر ، لأنّ هذه الأُمور هي في حدّ ذاتها خير ، لكن عليه أن يكون مسلّماً أمره للّه في كلّ حال ، موطّناً نفسه على ما قُدِّر له ، فإن جاء أجله فعليه أن يستقبله بَاسِم الوجه غير ملتفت إلى عالم الطبيعة بنظره ، ولا باكٍ على ما ضاع من نعمها ، ففي ذلك يكمن الخطر الكبير.

ونحن بحمد الله ومنّه نعيش في ظلّ مدرسة التشيّع ، حيث تتألّف أمامنا «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» كالمصباح الكبير المشعّ للاقتداء بنهج ذلك الإمام الصادق ، لذا نبتهل بدعاء الاستخارة وهو الدعاء الثالث والثلاثين ، إلى ساحة الجليل سبحانه : **وَأَلْهِمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ حَتَّى لَا نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ ، وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ ، وَلَا نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ ، وَلَا نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ** ـ الدعاء.

ونقرأ في الدعاء المرويّ عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله:

اللَهُمَ أَحْيِنِي مَادَامَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لِي وَأَمِتْنِي إذَا كَانَ المَمَاتُ خَيْراً لِي .

وقد ورد في كتاب «مفاتيح الجنان» ص ٣٥١ و ٣٥٢ ، كتاب «الباقيات الصالحات» أنّ الإمام محمّد التقيّ عليه السلام قال : **وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ إذَا فَرِغَ مِنَ الصَّلَاةِ :**

اللَهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَإسْرَافِي عَلَى نَفْسِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . اللَهُمَّ أَنْتَ المُقَدِّمُ وَالمُؤَخِّرُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ ، بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي فَأَحْيِنِي ؛ وَتَوَفَّنِي إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي ـ الدعاء.

فإن كنّا جادّين في سؤالنا الحياة من الله سبحانه مادام الموت خيراً لنا ، أفلانكون خاطئين إذاً ؟ أَوَ لا نكون قد طلبنا خلاف الحقّ والواقع ؟!

نعم ، لقد كانت حالي تسوء يوماً بعد آخر ، ومرض اليرقان يستشري في جميع سطح بدني حتّى آل الأمر بحيث لم تعد صفرة المنديل الأصفر تتميّز عن صفرة الجلد ، وذلك لأنّ مادّة السوداء السامّة لم تكن لتجد طريقها إلى الخارج بسبب انسداد قناة «كوليدوك»؛ ثمّ ⇐

من كه ملول گشتمى از نفس فـرشتگان
قال و مقال عالمى ميكشم از براى تـو[1]

⇦ أُجريت العمليّة الجـراحيّة واسـتغرقت أكثر من ثلاث سـاعات ،كان الحقير خلالها فاقداً للوعي ، واستمرّ فقدان الوعي سبع ساعات كاملة . وكانت العمليّة بلطف الباري تعالى شأنه العزيز موفّقة وسليمة للحدّ الذي شهد معه جميع أطبّاء مستشفى القائم أنّني لو كنت قـد ذهبت إلى الخارج وأجريتها في أرقى مركز طبّيّ في العالم لما كان يتصوّر أن تُجرى أفضل ممّا أُجريت فعلاً.

نعم ، لقد اتّفق لعيني نظير هذه المسألة بعد ذلك بسنتَين ، فقد تمزّقت شبكيّة العين اليمنى بلا سابق إنذار أو سبب ظاهر ، وكان تمزّقها يشبه حدوة الحصان ، وحسب اصطلاح الأطبّاء «في محور الساعة ١٢ و٢٠ دقيقة» ، ولم أعد أرى فيها ، وعجز جميع أطبّاء مشهد وطهران عن معالجتها وأجمعوا على ضرورة الذهاب للخارج ، فقلت كذلك إنّني لن أذهب إلى الخارج ولو فقدتُ البصر.

ولكن ، وبعد أن فحص عيني الشابّ الغيور القيّم الفاهم : الدكتور الحاجّ السيّد حميد السجّاديّ ، قال: يجب أن تُجرى لهذه العين عمليّة جراحيّة على الفور وبلا تأخير ؛ وحتّى أنّه لم يعطِ الرخصة في مغادرة المستشفى ، وقال : أعجب من قول الأطبّاء في وجوب الذهاب إلى الخارج، فالعين كانت ستتلف في هذه المدّة القصيرة.

ثمّ قام بإجراء العمليّة بمعونة ومساعدة تلميذه الممتاز الصديق العزيز المؤمن الملتزم الدكتور الحاجّ حسن علي الشهرياريّ ، حيث دامت سبع ساعات كاملة ، وللّه الحمد والمنّة فقد تكلّلت بالنجاح التامّ والسلامة ممّا أدهش الجميع وأثار إعجابهم. وكما ترون فإنّني أكتب بالاستعانة بهذه العين التي أُجريت لها العمليّة بعد ستّ سنوات من إجرائها.

قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ * وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ * وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ * وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ. (الآيات ٧٥إلى ٨٥، من السورة ٢٦ : الشعراء).

١ـ «ديوان حافظ الشيرازي» ص ٢٨٤ ، الغزل ٤١١ ، طبعة محمّد القزويني والدكتور قاسم غني ، مطبعة سينا ، طهران. ⇦

مَعْشَرَ النَّاسِ مَا جُنِنْتُ وَلَكِنْ أَنَا سَكْرَانَةٌ وَقَلْبِيَ صَاحِ
أَغَلَلْتُمْ يَدَيَّ وَلَمْ آتِ ذَنْباً غَيْرَ جَهْرِي فِي حُبِّهِ وَافْتِضَاحِي
أَنَا مَفْتُونَةٌ بِحُبِّ حَبِيبٍ لَسْتُ أَبْغِي عَنْ بَابِهِ مِنْبَراح
فَصَلَاحِي الَّذِي زَعَمْتُمْ فَسَادِي وَفَسَادِي الَّذِي زَعَمْتُمْ صَلَاحِي
مَا عَلَى مَنْ أَحَبَّ مَوْلَى المَوَالِي وَارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ مِنْ جُنَاحِ[1]

إنّ الأنبياء والأولياء حين يرشفون كأس الوصال يترنّم لسان حالهم بهذه الأبيات :

أَلْبِسْتَنِي ثَوْبَ وَصْلٍ طَابَ مَلْبَسُهُ
فَأَنْتَ مَوْلَى الوَرَى حَقّاً وَمَوْلَائي
كَانَتْ لِقَلْبِيَ أَهْوَاءٌ مُفَرَّقَةٌ
فَاسْتَجْمَعَتْ مُذْ رَأَتْكَ العَيْنُ أَهْوَائِي
مَنْ غَصَّ دَاوَى بِشُرْبِ المَاءِ غُصَّتَه
فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالمَاءِ
قَلْبِي حَزِينٌ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ زَلَلِي
فَالنَّفْسُ فِي جَسَدِي مِنْ أَعْظَمِ الدَّاءِ
وَالشَّوْقُ فِي خَاطِرِي وَالحَرُّ فِي كَبِدِي
وَالحُبُّ مِنِّي مَصُونٌ فِي سُوَيدَائِي
تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمْ
شُغْلاً بِذِكْرِكَ يَا دِينِي وَدُنْيَائِي

⇦ يقول : «أنا الذي كنتُ أتكدّر بأنفاس الملائكة ، صرتُ أتجرّع لأجلك عَذْلَ الخلائق!».

١ـ «نفحات الأُنس» للجاميّ ، ص ٦٢٥ فما بعد.

فَـصَارَ يَـحْسُدُنِي مَـنْ كُـنْتُ أَحْسُـدُهُ

وَصِرْتُ مَوْلَى الوَرَى إذْ صِرْتَ مَوْلَائِي [1]

إنّ أغلب العقبات والمشاكل التي تواجه السالكين في طريق التوحيد نتيجة عدم أُنس الناس ومعرفتهم لهذه المراحل ، ممّا يعقب إيجاد المشقّة والمضايقة وسدّ الطريق ؛ فيدفع ذلك بالسالك طوعاً أو كرهاً إلى الاعتزال والبُعد عن الجماعة :

من از ديار حبيبم نه از بلاد غريب

مُهَيمنا به رفيقان خود رسان بازم [2]

اگر ز خون دلم بوى شوق مى‌آيد

عجب مدار كه همدرد نافهٔ ختنم [3]

١ـ أورد في «ريحانة الأدب» ج ٢ ، ص ٦٢ ، الطبعة الثالثة ، مطبعة شفق ، تبريز ، الأبيات الثاني والسادس والسابع عن المنصور الحلّاج . وقد وردت بتمامها في «مكاتيب» گرامي إصفهاني ضمن نقل قصّة مفصّلة لجارية عاشقة للّه باسم تحفة ، ولقاء السرّيّ السقطيّ بها في المستشفى ، وذلك بأُسلوب شيّق وإنشاء جميل . كما ذُكرت تلك القصّة بذلك التفصيل في «المستطرف» للأبشيهيّ ، ص ١٢٢ و١٢٣ ، ووردت كذلك في «النفحات» للجاميّ ، بالتفصيل المذكور عدا هذه الأبيات . هذا وقد ذكر العلّامة الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ في كتاب «الذريعة» ج ٢٢ ، ص ١٤٠ ، رقم ٦٤٢٠ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة المجلس ، طهران، سنة ١٣٦٩ ، «مكاتيب» گرامي إصفهاني . كما ذكر ديوانه في ج ٩ ، ص ٩٢٩ ، رقم ٦١١٧ ، وأضاف: أنّ اسمه كان «أبو القاسم خان» ، وقد سافر إلى دهلي وتوفّي هناك ، ويُعرف على لسان العامّة بـ«آقا بابا».

٢ـ «ديوان خواجه حافظ شيرازي» ص ٥٠ ، الغزل ٣٣٤ ، طبعة پژمان ، طبعة انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨.

يقول : «مِنْ ديار الحبيب أنا لا من بلاد الغريب ، فعُدْ بي أيّها المهيمن إلى رفاق الطريق».

٣ـ «ديوان خواجه حافظ شيرازي» ص ١٤٩ ، الغزل ٣٣٢ ، طبعة پژمان ، طبعة ⇦

وأما تلك الجهات الخاصّة التي أوجبت غربة ثامن الحُجج عليه السلام فهي :

الأُولى : ابتلاء ذلك الإمام بسياسة المأمون الشيطانيّة ، الذي جاء به عليه السلام بخطّة عجيبة مجبوراً مراقباً من مقرّه ووطنه الذي ألفه ، جوار قبر جدّه الرسول الأكرم ، فوضعه قُربه بحيث صار يُحصي عليه حركاته وسكناته ، فهو حين أعطى الإمام ولاية مرو ، فقد وضعه في حقيقة الأمر في سجن وأبعده ونفاه عن وطنه ، ومع أنّه ولّاه في الظاهر وأعطاه الحكم لكنّه في باطن الأمر قد عزله عن جميع الشؤون ، فلم يكن يجيز له الإفتاء أو إقامة صلاة الجمعة والعيد ، وكان يسقي الإمام السمّ النقيع كلّ لحظة بأنظاره الخفيّة ونكاته الدقيقة وخططه وأحابيله الماهرة ، فيخيّل للناس أنّه كان يضع الإخلاص والتفاني في طَبَقٍ من الصدق والصفاء فيقدّمه إلى الإمام ، وأنّه قد جعله مطلق العنان ومبسوط اليد في جميع الأُمور ، وفي رَتْق الشؤون وفَتْقها وتدبير أُمور الجيش والدولة .

وكان المأمون في الظاهر يضع لخدمة الإمام جارية جميلة من النصارى ويحيطه بالخدم والحشم والغلمان ، لكنّه كان يمانع عمليّاً من استقدام أهل الإمام وعياله وولده الحبيب أبي جعفر : الإمام محمّد التقيّ عليه السلام ، فيُستشهد وحيداً غريباً في حجرة مقفلة بسمّ الغدر والجفاء . ثمّ يمشي المأمون في جنازته فيشقّ جيبه ويذرف الدموع حرّى ويعقد مجالس العزاء والمأتم ويعلن الحِداد والعزاء العامّ والعطلة الرسميّة إجلالاً

⇦ انتشارات بروخيم ، سنة ١٣١٨.

يقول : «لو فاحت من دماء قلبي رائحة الشوق والتمنان ، فلي أُسوة بنافة مسك غزالٍ من ختن». (خُتَنْ : اسم منطقة في تركستان يكثر فيها غزال المسك).

واحتراماً للإمام ، فيتخيّل للجهلة التعساء الحظّ أنّ هذه الأعمال تنبع من الإخلاص والمودّة .

وَبِمِثْلِ هَذَا عَمِلَ السِّيَاسِيُّونَ ، فَهُوَ لَعَنَهُ اللَهُ رَئِيسُهُمْ وَقَائِدُهُمْ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، وَأَعْلَمُ مِنْ أَبِيهِ هَارُونَ الَّذِي اشْتَبَهَ فِي سِيَاسَةِ مَدِينَتِهِ بِقَتْلِ أَبِيهِ مَوْسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَسْجُوناً بَعْدَ سِنِينَ عَدِيدَةٍ جِهَاراً .

الثانية : أنّ أتباع ووكلاء أبيه ومواليه ومطيعيه بدلاً من أن يتمسّكوا بالإمام الرضا بعد شهادة أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام في سجن السنديّ بن شاهك رئيس شرطة بغداد ، وبدلاً من أن يذعنوا لإمامته ويبجّلونه ويكرّمونه ويَدْعون جميع شيعة أبيه له ، ويُسلّموه الأموال الخطيرة التي تَسلّموها من الناس وكالةً عن أبيه ، وبدلاً من أن يعمدوا إلى تقوية دعائم إمامته وولايته ؛ فقد أنكر هؤلاء المجحفون أمره ورفضوا الانقياد له وتسليمه الأموال ، وإعادة الجاه والاعتبار الذي اكتسبوه ببركة أبيه إلى أصله ومحوره وقطبه . وهكذا فقد قام كلٌّ من هؤلاء الوكلاء المهمّين المأذونين بهذه المهامّ باتّخاذ عنوان لنفسه وتكوين وجود لشخصه ، فصار لهم محافلهم ومجالسهم وفتواهم وقضاؤهم وفتقهم ورتقهم ورواياتهم وأحاديثهم وتفسيرهم للآيات والسور . وعمدوا من ثَمّ إلى إنفاق الأموال الضخمة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وصرفها في الأهواء والآراء الشخصيّة وعلى أتباعهم ومؤيّديهم ؛ رافضين الإذعان والانقياد لإمام زمانهم .

ولقد رجعوا ونكصوا بأجمعهم عن القول بالإمام الرضا عليه السلام ، وقالوا إنّ موسى بن جعفر حيّ يرزق لم يمت بعدُ ، وصاروا كالكيسانيّة القائلين بحياة محمّد ابن الحنفيّة من أجل أن لا ينقادوا إلى إمامهم الحيّ السجّاد زين العابدين عليه السلام .

وكمثل عُمر الذي نادى بعد رحيل رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ محمّداً لم يمت وسيعود بعد أربعين يوماً فيحارب المنافقين ، كلّ ذلك من أجل أن يهب الفرصة لأبي بكر الذي كان خارج المدينة في سُنْح[1] ليعود إليها ، ولئلّا يبايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا وصل أبو بكر وقال : إنّ رسول الله قد مات ، تابعه عمر فقال : إنّ النبيّ قد مات حقّاً !

نعم ، لقد قال وكلاء الإمام موسى بن جعفر بعد شهادته : إنّ الإمامة قد خُتمت بهذا الإمام ، فلا إمام بعده . لذا صاروا يُدعون **بالواقفيّة** . ولقد جحد هؤلاء علناً واستكبروا في إنكارهم حجّة الله عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وكذّبوه وهو والي هذه الولاية ؛ فأيّة غربة أشدّ من هذه وأمضّ ؟!

ولم يكتفِ هؤلاء بجحودهم وعدم انقيادهم له ، بل صاروا كذلك يدعون شيعة أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام إلى أنفسهم ويمنعونهم من متابعة ثامن الأئمّة ، ولجؤوا إلى تشكيل جماعات وأحزاب لأنفسهم وإلى إحداث البدعة في هذا الدين ، وشكّلوا فرقة خاصّة في الإسلام تدعى بالواقفيّة .

ونورد هنا إجمالاً ـ كشاهد ومثال ـ مطالب عن أحد كبار وكلاء الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ومن دعائم فرقة الواقفيّة وهو **عليّ بن أبي حمزة البطائنيّ** ؛ قال في «رجال المامقانيّ» : عليّ بن أبي حمزة بن سالم البطائنيّ ، لقد كان أبوه رجلاً صالحاً ، وقد عدّه الشيخ (الطوسيّ) من أصحاب الصادق ومن أصحاب الكاظم عليهما السلام ، وقال عنه إنّه واقفيّ المذهب .

١ـ بالسين المهموسة المضمومة وبعدها النون الساكنة والحاء المهملة : مكان يبعد فرسخاً عن المدينة كان يسكن فيه أهل أبي بكر وكان قد ذهب لرؤيتهم.

وَقَالَ عنه النَّجَاشِيُّ : رَوَى عَنْ أَبِي الحَسَـنِ مُـوسَى عَـلَيْهِ السَّـلَامُ وَرَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ وَقَفَ ؛ وَهُوَ أَحَدُ عُمُدِ الوَاقِفَةِ .

وَمِثْلُهُ فِي «الخُلَاصَةِ» مُضِيفاً إِلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ : قَالَ الشَّـيْخُ الطُّـوسِيُّ رَحِمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِع : إِنَّهُ واقِفِيٌّ . وَقَالَ : أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بْنِ فَضَّالٍ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ كَذَّابٌ مُتَّهَمٌ مَلْعُونٌ . قَدْ رَوَيْتُ عَنْهُ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً وَكَتَبْتُ عَنْهُ تَفْسِيرَ القُـرْآنِ مِـنْ أَوَّلِـهِ إِلَـى آخِـرِهِ إِلَّا أَنِّـي لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ أَرْوِيَ عَنْهُ حَدِيثاً وَاحِداً .

وَقَالَ ابْنُ الغَضَائِرِيُّ : عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ لَعَنَهُ اللَـهُ أَصْـلُ الوَقْـفِ وَأَشَدُّ الخَلْقِ عَدَاوَةً لِلْمَوْلَى (يَعْنِي الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ) بَعْدَ أَبِي إِبْرَاهِـيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ انْتَهَى مَا فِي «الخُلَاصَة» ـ انتهى موضع الحاجة .

ثمّ يورد روايات كشاهد على المطلب نذكر بعضها هنا ، وقد وردت هذه الروايات في «رجال» الكشّيّ .

ومِنْهَا مَا رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَـيْنِ ، قَـالَ : حَـدَّثَنِي أَبُـو عَـلِيٍّ الفَارِسِيُّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ،فَقَالَ : مَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ ؟ قُلْتُ : نَـعَمْ ! قَالَ : قَدْ دَخَلَ النَّارَ .

فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : أَمَا إِنَّهُ سُئِلَ عَنِ الإِمَامِ بَعْدَ مُـوسَى عَـلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَعْرِفُ إِمَاماً بَعْدَهُ ، فَضُرِبَ فِي قَبْرِهِ ضَـرْبَةً اشْـتَعَلَ قَبْرُهُ نَاراً .

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَنْ حَمْدَوَيْهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الحَسَنُ بْن مُوسَى ، عَنْ دَاوُدبْنِ مُحَمَّدِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قال : **وَقَفَ أَبُو الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَنِي زُرَيْقٍ فَقَالَ لِي وَهُوَ رَافِعٌ صَوْتَهُ : يَا أَحْـمَدُ ! قُلْتُ : لَبَّيْكَ . قَالَ : إِنَّهُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ**

جَهَدَ النَّاسُ فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللَهِ فَأَبَى اللَهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ فِي إِطْفَاءِ نُورِ اللَهِ ، فَأَبَى اللَهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.

وَإِنَّ أَهْلَ الحَقِّ إِذَا دَخَلَ فِيهِمْ دَاخِلٌ سَرُّوا بِهِ وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَارِجٌ لَمْ يَجْزَعُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَإِنَّ أَهْلَ البَاطِلِ إِذَا دَخَلَ فِيهِمْ دَاخِلٌ سَرُّوا بِهِ وَإِذَا خَرَجَ مِنْهُمْ خَارِجٌ جَزَعُوا عَلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَلَى شَكٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ . إِنَّ اللَهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ : «فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ».[1]

قَالَ : ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : المُسْتَقَرُّ : الثَّابِتُ ، وَالمُسْتَوْدَعُ: المُعَارُ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الحُسَيْنِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الفَضْلِ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : مَاتَ أَبُو الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ مِنْ قُوَّامِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَعِنْدَهُ المَالُ الكَثِيرُ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ وَقْفِهِمْ ، وَجُحُودِهِمْ مَوْتَهُ، وَكَانَ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَهِ الرَّازِيِّ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الفُضَيْلِ ، عَنْ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إِنِّي خَلَّفْتُ ابْنَ أَبِي حَمْزَةَ وَابْنَ مَهْرَانَ وَابْنَ أَبِي سَعِيدٍ أَشَدَّ أَهْلِ الدُّنْيَا عَدَاوَةً لِلَّهِ.

قَالَ : فَقَالَ : مَا ضَرَّكَ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتَ ! إِنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَّبُوا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَذَّبُوا

١ـ الآية ٩٨ ، من السورة ٦ : الأنعام : وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ .

فُلَاناً وَفُلَاناً ، وَكَذَّبُوا جَعْفَراً وَمُوسَى ؛ وَلِيَ بِآبَائِي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أُسْوَةٌ.

قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! إنَّا نَرْوِي أَنَّكَ قُلْتَ لِابْنِ مَهْرَانَ : أَذْهَبَ اللهُ نُورَ قَلْبِكَ ؛ وَأَدْخَلَ الفَقْرَ بَيْتَكَ ! فَقَالَ : كَيْفَ حَالُهُ وَحَالُ بِرِّهِ ؟ قُلْتُ : يَا سَيِّدِي ! أَشَدُّ حَالٍ ؛ هُمْ مَكْرُوبُونَ بِبَغْدَادَ وَلَمْ يَقْدِرِ الحُسَيْنُ أَنْ يَخْرُجَ إلَى العُمْرَةِ ، فَسَكَتَ.

وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي حَمْزَةَ : أَمَا اسْتَبَانَ لَكُمْ كِذْبُهُ ؟! أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَرْوِي أَنَّ رَأْسَ المَهْدِيِّ يُهْدَى إلَى عِيسَى بْنِ مُوسَى وَهُوَ صَاحِبُ السُّفْيَانِيِّ ؟! وَقَالَ : إنَّ أَبَا الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعُودُ إلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ ؟

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ بِسَنَدٍ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ سَهْلٍ فِي حَدِيثٍ أَسْبَقْنَا نَقْلَهُ فِي تَرْجَمَةِ الحَسَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المُكَارِيِّ تَضَمَّنَ مُكَالَمَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ هَذَا مَعَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإنْكَارَهُ إمَامَتَهُ وَوَقْفَهُ عَلَى أَبِيهِ الكَاظِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإنْكَارَهُ مَوْتَهُ.[1]

نقلنا هنا بعض الروايات الواردة في «رجال الكشّيّ» . ثمّ ينقل المرحوم المامقانيّ بعض الروايات الواردة عن الشيخ في كتاب «الغيبة» توضّح شدّة عناده مقابل ثامن الحجج عليهم السلام ، مع أنّه كان قبل ذلك يُعلن أمر الوصاية إلى الإمام عليه السلام . ثمّ يذكر أيضاً :

وَرَوَى فِي «العُيُونِ» فِي الصَّحِيحِ عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الخَزَّازِ قَالَ : خَرَجْنَا إلَى مَكَّةَ وَمَعَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ ، وَمَعَهُ مَالٌ وَمَتَاعٌ . فَقُلْنَا: مَا هَذَا ؟ فَقَالَ: هَذَا لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ أَمَرَنِي أَنْ أَحْمِلَهُ إلَى عَلِيٍّ ابْنِهِ ، وَقَدْ أَوْصَى إلَيْهِ.

١ـ «تنقيح المقال» ج ٢ ، ص ٢٦٠ و ٢٦١ ، ذيل الرقم ٨١١١ ، طبعة القطع الكبير (الرحليّ).

ثُمَّ قَالَ : قَالَ مُصَنِّفُ هَذَا الكِتَابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : إنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي حَمْزَةَ أَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ مُوسَى ، وَحَبَسَ المَالَ عَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ.[1]

نعم ، تتّضح غُربة الإمام عليه السلام في عصر المحنة ذلك ، وهو عصر هارون الرشيد ثمّ المأمون بن الرشيد بمطالعة أحوال الواقفيّة وعناد رؤسائهم بشأن الإمام الرضا عليه السلام .

الثالثة : إنكار إمامة ولده محمّد بن عليّ سلام الله عليهما ، بل إنكار أنّ له ولد أصلاً . ولم يصدر هذا الأمر من الغرباء فقط ، بل إنّ الأقارب مثل أعمام الإمام وأولاد أعمامه كانوا قد أنكروا إمامة ووصاية قرّة العين ذلك الإمام ، وكانت تبدر منهم المخالفات التي يواجهون بها الإمام ، مثل مخالفة أخيه زيد النار .

وفي «بحار الأنوار» رواية مفصّلة حول مجيء ثمانين نفراً من علماء بغداد وعلماء سائر البلدان لحجّ بيت الله الحرام ، فيأتون المدينة لمشاهدة أبي جعفر عليه السلام .

وورد في تلك الرواية أنّ **عبد الله بن موسى** عمّ الإمام الجواد ورد في ذلك المجلس الذي انعقد في بيت الإمام الصادق عليه السلام ، فقام منادٍ فنادى : هذا ابن رسول الله ، فمن أراد السؤال فليسأله .

فيطرح عليه الحضور أسئلتهم فلا يجيبهم عبد الله جواباً شافياً ، ثمّ يدخل جواد الأئمّة عليه السلام وهو صبيّ لم يتجاوز السبع سنين فيجيب الحاضرين على أسئلتهم ، فيسرّون بذلك ويدعون له ويُثنون عليه . ثمّ قالوا له : إنّ عمّك عبد الله أفتى بكيت وكيت ! فنظر الإمام عليه السلام إلى عمّه فقال :

١ـ «تنقيح المقال» ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ . يَا عَمِّ ! إنَّهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَهِ أَنْ تَقِفَ غَداً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَكَ : لِمَ تُفْتِي عِبَادِي بِمَا لَمْ تَعْلَمْ وَفِي الأُمَّةِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ إلى آخر الرواية التي حوت مطالب نفيسة وقيّمة . وقد روى هذه الرواية جدّنا المرحوم المجلسيّ رضوان الله عليه عن كتاب «عيون المعجزات» .[1]

وقد نقل المرحوم الشيخ الأنصاريّ في «المكاسب المحرَّمة» في باب **حرمة القيافة** رواية جديرة بالتأمّل :

عَنِ «الكَافِي» عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى بْنِ النُّعْمَانِ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ جَعْفَرٍ يُحَدِّثُ الحَسَنَ بْنَ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ فَقَالَ : وَاللَهِ لَقَدْ نَصَرَ اللَهُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ الحَسَنُ : إي وَاللَهِ جُعِلْتُ فِدَاكَ ؛ لَقَدْ بَغَى عَلَيْهِ إخْوَتُهُ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ : إي وَاللَهِ ؛ وَنَحْنُ عُمُومَتُهُ بَغَيْنَا عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الحَسَنُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ صَنَعْتُمْ ؟ فَإنِّي لَمْ أَحْضُرْكُمْ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ إخْوَتُهُ وَنَحْنُ أَيْضاً : مَا كَانَ فِينَا إمَامٌ قَطُّ حَائِلُ اللَوْنِ .[2]

فَقَالَ لَهُمُ الرِّضَا : هُوَ ابْنِي . فَقَالُوا : إنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَضَى بِالقَافَةِ[3]**، فَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ القَافَةُ . فَقَالَ : ابْعَثُوا أَنْتُمْ إلَيْهِمْ وَأَمَّا أَنَا فَلَا . وَلَا تُعْلِمُوهُمْ لِمَا دَعَوْتُمُوهُمْ إلَيْهِ ، وَلْتَكُونُوا فِي بُيُوتِكُمْ !**

فَلَمَّا جَاؤُوا وَقَعَدْنَا فِي البُسْتَانِ وَاصْطَفَّ عُمُومَتُهُ وَإخْوَتُهُ وَأَخَوَاتُهُ

١ـ «بحار الأنوار» ج ١٢ ، ص ١٢٤ ، طبعة الكمبانيّ ، في تأريخ الإمام أبي جعفر محمّدبن عليّ الجواد عليه السلام ، باب فضائله وأحوال خلفاء زمانه وأصحابه، عن «عيون المعجزات»: **لَمَّا قُبِضَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ سِنُّ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْوَ سَبْعِ سِنِينَ فَاخْتُلِفَتِ الكَلِمَةُ بين النَّاسِ بِبَغْدَادَ وَفِي الأَمْصَارِ** ـ الرواية، وهي رواية طويلة.

٢ـ **حَالَ لَوْنُهُ : تَغَيَّرَ وَاسْوَدَّ .**

٣ـ**القَافَةُ : جَمْعُ القَائِفِ ، وَهُوَ الَّذِي يَعْرِفُ الآثَارَ وَالأَشْبَاهَ وَيَحْكُمُ بِالنَّسَبِ .**

وَأَخَذُوا الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَلْبَسُوهُ جُبَّةً مِنْ صُوفٍ وَقَلَنْسُوَةً وَوَضَعُوا عَلَى عُنُقِهِ مِسْحَاةً وَقَالُوا لَهُ : ادْخُلِ الْبُسْتَانَ كَأَنَّكَ تَعْمَلُ فِيهِ ! ثُمَّ جَاؤُوا بِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالُوا : أَلْحِقُوا هَذَا الغُلَامَ بِأَبِيهِ ! فَقَالُوا : لَيْسَ لَهُ هُنَا أَبٌ ؛ وَلَكِنْ هَذَا عَمُّ أَبِيهِ ، وَهَذَا عَمُّهُ ، وَهَذِهِ عَمَّتُهُ ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُ هُنَا أَبٌ فَهُوَ صَاحِبُ البُسْتَانِ ؛ فَإِنَّ قَدَمَيْهِ وَقَدَمَيْهِ وَاحِدَةٌ.

فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا : هَذَا أَبُوهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ : فَقُمْتُ وَمَصَصْتُ رِيقَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُلْتُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ إمَامِي عِنْدَ اللهِ . فَبَكَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ : يَا عَمِّ ! أَلَمْ تَسْمَعْ أَبِي وَهُوَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الإمَاءِ ! ابْنُ النُّوْبِيَّةِ الطَّيِّبَةِ الفَمِ ، المُنْتَجَبَةِ الرَّحِمِ. وَيْلَهُمْ ! لَعَنَ اللهُ الأُعَيْبِسَ وَذُرِّيَّتَهُ صَاحِبَ الفِتْنَةِ ؛ وَيَقْتُلُهُمْ سِنِينَ وَشُهُوراً وَأَيَّاماً يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسْقِيهِمْ كَأْساً مُصَبَّرَةً.

وَهُوَ الطَّرِيدُ الشَّرِيدُ المَوْتُورُ[1] بِأَبِيهِ وَجَدِّهِ صَاحِبُ الغَيْبَةِ ؛ يُقَالُ: مَاتَ أَوْ هَلَكَ ، أَيَّ وَادٍ سَلَكَ ! أَفَيَكُونُ هَذَا يَا عَمِّ إلَّا مِنِّي ؟! فَقُلْتُ : صَدَقْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ !

وقد روى المرحوم الأنصاريّ هذه الرواية إلى فقرة **أَشْهَدُ أَنَّكَ إمَامِي** ، وأوردنا تتمّتها من «أُصول الكافي» .[2]

أفليس غريباً هذا الإمام الذي يبكي وينكسر قلبه لإجباره على

١ـ أورد في «أقرب الموارد» : **وَتَرَهُ** (باب ض) **يَتِرُهُ وَتْراً وَتِرَةً : أَصَابَهُ بِذُحْلٍ أَوْ ظُلْمٍ فِيهِ . وَفِي «الأَسَاسِ» : وَتَرتُ الرَّجُلَ : قَتَلْتُ حَمِيمَهُ فَأَفْرَدْتُهُ مِنْهُ . المَوتُورُ : اسْمُ مَفْعُولٍ؛ يُقَالُ : فُلَانٌ مَوْفُورٌ غَيْرُ مَوْتُورٍ ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَلَمْ يُدرِكْ بِدْمِهِ .**

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٢٢ و٣٢٣ ، كتاب الحجّة ، باب الإشارة والنصّ على أبي جعفر الثاني عليه السلام ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٩١ .

التحاكم إلى القافة لتعريف ابنه إلى أعمامه وهم أقرب الناس إليه ، في حين أنّه لم يكن ليرضى بالقيافة التي نهى عنها رسول الله صلّى الله عليه و آله ؟!

هذا وقد روى هذه الرواية في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعليّ بن محمّد القاسانيّ جميعاً عن زكريا بن يحيى الصيرفيّ .

كما أنّ إحدى جهات غربة الإمام الرضا عليه السلام أنّه قد بيّن مطالب نفيسة وراقية في باب معرفة وتوحيد ذات الباري القدسيّة ، مسطورة في «عيون أخبار الرضا» وسائر الكتب ، وكان ينبغي إيجاد مدارس للبحث والتأمّل في هذه الروايات وإدراجها في الحوزات العلميّة لتحليلها ودراستها وفهم معانيها ، ولكن وللأسف فلم يجر أيّ بحث لها ، بل بقيت حقائق هذه المعاني في بوتقة الخفاء مستورة عن أفهام الطلبة ، وهي غربة تفوق في مضاضتها وشدّتها جميع مراتب غربته السابقة ، صلوات الله عليه .

وأمّا المسألة الثانية :علّة اشتهاره بـ: «غَوْثِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَغِيَاثِهَا»

في «عيون أخبار الرضا» في باب النصّ على إمامته : **حَدَّثَنَا أَبِي ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الوَلِيدِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ المُتَوَكِّلِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى العَطَّارِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَاجِيلَوَيْهِ ؛ قَالُوا:**

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى العَطَّارِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الأَشْعَرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّامِيِّ ، عَنْ الحَسَنِ بْنِ مُوسَى الخَشَّابِ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ ، عَنِ الحُسَيْنِ مَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ ، عَنْ أَبِي الحَكَمِ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ إبْرَاهِيمَ الجَعْفَرِيِّ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ سَلِيطٍ الزَّيْدِيِّ ؛ قَالَ : لَقِينَا أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ .

فَقُلْتُ لَهُ : بِأَبِـي أَنْتَ وَأُمِّـي ! أَنْـتُمُ الأَئِـمَّةُ المُـطَهَّرُونَ ، وَالمَـوْتُ لَا يَعْرَى[1] مِنْهُ أَحَدٌ ؛ فَأَحْدِثْ إِلَيَّ شَيْئاً أُلْقِيهِ إِلَى مَنْ يَخْلِفُنِي.[2]

فَقَالَ لِي: نَعَمْ هَؤُلَاءِ وُلْدِي ، وَهَذَا سَيِّدُهُمْ ـوَأَشَارَ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ وَفِيهِ الحِلْمُ ، وَعِلْمُ الحُكْمِ[3]، وَالفَهْمُ ، وَالسَّخَاءُ ، وَالمَعْرِفَةُ بِمَا[4] يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ ، وَفِيهِ حُسْنُ الخُلُقِ وَحُسْنُ الجَوَارِ[5]، وَهُوَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ اللهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ ، وَفِيهِ أُخْـرَى هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ.

فَقَالَ لَهُ أَبِي : وَمَا هِيَ ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟

قَالَ : يُخْرِجُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ غَوْثَ[6] هَذِهِ الأُمَّةِ وَغِـيَاثَهَا وَعِـلْمَهَا وَنُورَهَا وَفَهْمَهَا وَحُكْمَهَا[7].

خَيْرُ مَوْلُودٍ وَخَيْرُ نَاشِئٍ ، يَحقِنُ اللَهُ بِهِ الدِّمَاءَ ، وَيُصْلِحُ بِهِ ذَاتَ البَيْنِ وَيَلُمُّ بِهِ الشَّعَثَ[8]، وَيَشْعَبُ بِهِ الصَّدْعَ[9]، وَيَكْسُو بِهِ العَارِي ، وَيُشْـبِـعُ بِـهِ

١ـ لا يبرئ ـخ ل.

٢ـ خلفي ـخ ل.

٣ـ قال المجلسيّ في «مرآة العقول» : المراد بالحكم : الحكمة وفصل الخصام.

٤ـ ممّا ـخ ل.

٥ـ ورد في نسخة «الكافي» : «حسن الجواب» بدل «حسن الجوار» ؛ أي أنّه عليه السلام يدّل كلّ سائل إلى حقيقة مطلبه.

٦ـ الغوث ، إعانة المضطرّ ؛ والغياث : بمعنى الشيء الذي ينحصر به رفع الحاجة. أي أنّ الإمام الرضا عليه السلام هو العماد والأساس الوحيد لمساعدة المضطرّين من هذه الأُمّة وإعانتهم، وملجؤهم الوحيد ، سواء كانوا من الشيعة أم من غيرهم.

٧ـ يعني حكمته وفصله للخصام وحكمه القاطع أمام الآراء والأفكار.

٨ـ **الشَّعَثُ : الأَمْرُ ، وَلَمَّ اللهُ بِهِ شَعَثَهُمْ : جَمَعَ بِهِ أَمْرَهُمْ.**

٩ـ **شَعَبَ شَعْباً الشَّيءَ : جَمَعَهُ ، وَالشَّعْبُ : الجَمْعُ . والصَّـدْع : التَّـفَرُّقُ .** ومعنى ⇦

الجَائِعَ ، وَيُؤْمِنُ بِهِ الخَائِفَ ، وَيُنْزِلُ بِهِ القَطْرَ ، وَيَأْتَمِرُ بِهِ العِبَادُ[1]. خَيْرُ كَهْلٍ وَخَيْرُ نَاشِئٍ ، يُبَشِّرُ بِهِ عَشِيرَتَهُ قَبْلَ أَوَانِ حُلُمِهِ.[2]

قَوْلُهُ حُكْمٌ ؛ وَصَمْتُهُ عِلْمٌ ؛ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ.

قَالَ : فَقَالَ أَبِي : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ بَعْدَهُ ؟!

فَقَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ قَطَعَ الكَلَامَ.

قَالَ يَزِيدُ : ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الحَسَنِ ـ يَعْنِي مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ بَعْدُ ، فَقُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! إنِّي أُرِيدُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمِثْلِ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبُوكَ !

⇦ **وَيَشْعَبُ بِهِ الصَّدْعَ** ، أي يلمّ به التفرّق ويجمعه.

١ـ **يَأْتَمِرُ بِهِ العِبَادُ أي يتشاوَرَ العِبادُ به.**

٢ـ ورد في نسخة «الكافي» : **يَسُودُ عَشِيرَتَهُ** ، أي أنّه كان عليه السلام على قدر من الهيبة والمتانة والرزانة والدراية بحيث كان له التفوّق والسيادة قبل بلوغه على جميع أفراد عشيرته من أعمامه وبني عمومته.

وورد هنا في نسخة «الكافي» : **فَقَالَ لَهُ أَبِي : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! وَهَلْ وُلِدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَمَرَّتْ بِهِ سِنُونَ.**

وقد أشكل على ذلك المرحوم المجلسيّ في شرحه لهذه العبارة في «مرآة العقول» ج ٣ ، ص ٣٥٠ ، الطبعة الحروفيّة ، المطبعة الحيدريّة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٤ هـ.ق؛ لأنّ ولادة الرضا عليه السلام كانت في سنة وفاة الصادق عليه السلام . (الولادة ١١ ذي القعدة ١٤٨ هـق، ووفاة الصادق ٢٥ شوّال ١٤٨ هـق) وعليه فإمّا يجب أن يقال «فقال له» بدون لفظ «أبي» كما ورد في بعض النسخ ، وفي هذه الحال فإنّ السائل ليس بسليط ، بل السائل يزيد أو من روى عن يزيد ، والمسؤول هو أبو إبراهيم عليه السلام وليس الصادق عليه السلام . وإمّا في النسخ التي ورد فيها لفظ «أبي» فإنّ هذا التوجيه لا يصحّ وينبغي أن نقول إنّ السائل كان سليطاً والمسؤول أبا إبراهيم ولكن ذلك بعد سنوات من هذا اللقاء . وأمّا الرواية الواردة في «العيون» فقد وردت بلفظ **فَقَالَ أَبِي : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! فَيَكُونُ لَهُ وَلَدٌ بَعْدَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ قَطَعَ الكَلَامَ** . فلا حاجة للتكلّف في تأويل العبارة.

قَالَ : فَقَالَ : كَانَ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زَمَنٍ[1] لَيْسَ هَذَا مِثْلَهُ.

قَالَ يَزِيدُ : فَقُلْتُ : مَنْ يَرْضَى مِنْكَ بِهَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ !

قَالَ : فَضَحِكَ ، ثُمَّ قَالَ : أُخْبِرُكَ يَا أَبَا عِمَارَةَ : إِنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَنْزِلِي ، فَأَوْصَيْتُ فِي الظَّاهِرِ إِلَى بَنِيَّ فَأَشْرَكْتُهُمْ مَعَ ابْنِي عَلِيٍّ ؛ وَأَفْرَدْتُهُ بِوَصِيَّتِي فِي البَاطِنِ ؛ وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ فِي المَنَامِ وَأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ وَمَعَهُ خَاتَمٌ وَسَيْفٌ وَعَصَىً[2] وَكِتَابٌ وَعِمَامَةٌ.

فَقُلْتُ لَهُ : مَا هَذَا ؟

فَقَالَ : أَمَّا العِمَامَةُ فَسُلْطَانُ اللهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا السَّيْفُ فَعِزَّةُ اللهِ ، وَأَمَّا الكِتَابُ فَنُورُ اللهِ ، وَأَمَّا العَصَا فَقُوَّةُ اللهِ ، وَأَمَّا الخَاتَمُ فَجَامِعُ هَذِهِ الأُمُورِ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وَالأَمْرُ يَخْرُجُ إِلَى عَلِيٍّ ابْنِكَ.

قَالَ : ثُمَّ قَالَ : يَا يَزِيدُ ! إِنَّهَا وَدِيعَةٌ عِنْدَكَ ؛ فَلَا تُخْبِرْ بِهَا إِلَّا عَاقِلاً، أَوْ عَبْداً امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ ، أَوْ صَادِقاً . وَلَا تَكْفُرْ نِعَمَ اللهِ تَعَالَى، وَإِنْ سُئِلْتَ عَنِ الشَّهَادَةِ فَأَدِّهَا ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : «إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا»[3]، وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ».[4]

فَقُلْتُ : وَاللهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ هَذَا أَبَداً.

قَالَ : ثُمَّ قَالَ أَبُو الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ثُمَّ وَصَفَهُ لِي رَسُولُ اللهِ

١ـ زمان ـ خ ل.

٢ـ حسب قواعد الكتابة ، حين تقع الواو ثالثةً وتُقلب ألفاً ، فإنّها يجب أن تُكتب ألفاً لا ياءً ولأن «عصو» من باب الناقص الواوي ، فإنّها يجب أن تكتب «عصاً».

٣ـ صدر الآية ٥٨ ، من السورة ٤ : النساء.

٤ـ الآية ١٤٠ ، من السورة ٢ : البقرة.

صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : عَلِيٌّ ابْـنُكَ الَّـذِي يَـنْظُرُ بِـنُورِ اللَـهِ ، وَيَسْمَعُ بِتَفْهِيمِهِ [بِتَفَهُّمِهِ ـ خ ل] ، وَيَنْطِقُ بِحِكْمَتِهِ ، يُصِيبُ وَلَا يُـخْطِئُ ، وَيَعْلَمُ وَلَا يَجْهَلُ ، وَقَدْ مُلِئَ حُكْماً [حِلْماً ـ خ ل] وَعِلْماً . وَمَا أَقَلَّ مَقَامَكَ مَعَهُ ، إنَّمَا هُوَ شَيءٌ كَأَنْ لَم يَكُنْ . فَإذَا رَجَعْتَ مِنْ سَفَرِكَ فَأَصْـلِحْ أَمْـرَكَ وَافْرُغْ مِمَّا أَرَدْتَ ، فَإنَّكَ مُنْتَقِلٌ عَنْهُ وَمُجَاوِرٌ غَيْرَهُ ، فَاجْمَعْ وُلْدَكَ وَأَشْهِدِ اللَهَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً وَكَفَى بِاللَهِ شَهِيداً .

ثُمَّ قَالَ : يَا يَزِيدُ ! إنِّي أُوخَذُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَعَلِيٌّ ابْنِي سَمِيُّ عَلِيِّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَمِيُّ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أُعْطِيَ فَهْمَ الأَوَّلِ وَعِلْمَهُ وَنَصْرَهُ [بَصَرَهُ ـ خ ل] وَرِدَاءَهُ . وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ إلَّا بَعْدَ هَارُونَ بِأَرْبَعِ سِنِينَ ، فَإذَا مَضَتْ أَرْبَعُ سِنِينَ فَاسْأَلْهُ عَمَّا شِئتَ يُجِيبُكَ إنْ شَاءَ اللَهُ تَعَالَى .[1]

وقد روى المرحوم الكلينيّ هذه الرواية الشريفة مع تتمّتها باختلاف يسير في اللفظ في «أُصول الكافي» بسند آخر عن أبي الحكم الأرمنيّ ، ورواها أبو الحكم الأرمنيّ بسند آخر عن يزيد بن سليط[2]، وهي تستحقّ الرجوع إليها . وأوردها في «إثبات الهداة» بروايتَين منفصلتَين عن الإمام الصادق والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قطّعهما وأثبتهما بشكل مختصر تحت رقم ١١ و١٢ .[3]

١ـ «عيون أخبار الرضا» ص ١٥ إلى ١٧ ، في باب النصّ على إمامته ، الباب ٤ ، الطبعة الحجريّة .

٢ـ «أُصول الكافي» ج ١ ، ص ٣١٣ ، الحديث ١٤ ، كتاب الحجّة ، باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الرضا عليه السلام ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٩١ هـ.ق.

٣ـ «إثبات الهداة» ج ٦ ، ص ٦ و٧ ، في الباب ٢٤ ، في النصوص على إمامة أبي الحسن الرضا عليه السلام ، طبعة دار الكتب الإسلاميّة ، طهران .

وقال في «رجال الأردبيليّ» : يَزِيدُ بْنُ سَلِيطٍ الزَّيْدِيُّ ، مِنْ أَصْحَابِ الكَاظِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [صه . جخ] حَدِيُثُه طَوِيلٌ [كش . صه] عَدَّهُ المُفِيدُ فِي إرْشَادِهِ مِنْ خَاصَّةِ أَبِي الحَسَنِ مُوسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثِقَاتِهِ وَمَنْ أَهْلِ الوَرَعِ وَالعِلْمِ وَالفِقْهِ مِنْ شِيعَتِهِ «مح». [1]

وقال في رسالة «توضيح الاشتباه والإشكال» تأليف الشيخ محمّد علي ساروي : يزيد بن سَليط ـ بفتح السين ـ الزيديّ ، من أصحاب الكاظم عليه السلام . [2]

وقال في «تنقيح المقال» : عدّه الشيخ في رجاله والكشّيّ وغيرهما ، من أصحاب الكاظم عليه السلام . وقال عنه الشيخ : من خواصّ أصحاب الكاظم عليه السلام وثقاته ومن أهل العلم والورع والفقه والرواة من شيعته ، روى النصّ على إمامة الرضا عليه السلام [3]. ومن هنا صرّح جمع من الأساطين منهم الملّا صالح المازندرانيّ بأنّ هذه النسبة «الزيديّة» باعتبار النسب لا باعتبار المذهب ، والعلّامة الحلّيّ قد زعم أنّ النسبة باعتبار المذهب ؛ وتوهّم العلّامة وظنّه هذا من الغرائب ، ولعلّ العلّامة لم يلاحظ ذلك الحديث الطويل الذي رواه عن إمامة الإمام الرضا عليه السلام ليتّضح لديه عدم كونه زيديّ المذهب .

ثمّ يقول : وقد روي عنه في «الكافي» حديثان طويلان فيهما دلالة على جلالته وأمانته وعدالته ، حيث استودعه الإمام عليه السلام سرّاً

١ـ «رجال الأردبيليّ» ج ٢ ، ص ٣٤٣ ، طبعة شركة (چاپ رنگين)، سنة ١٣٣٤ هـ.ق.

٢ـ «رسالة توضيح الاشتباه والإشكال» ص ٣٠٣ ، تحت الرقم ١٤٨٥ ، طبعة جامعة طهران، سنة ١٣٤٤ هـ.ش.

٣ـ «تنقيح المقال» ج ٣ ، ص ٣٢٦ ، تحت الرقم ١٣١٢٨ ، طبعة القطع الكبير (الرحليّ).

لا يودع إلّا عند عدل أمين . ثمّ ينقل مقداراً من تلك الروايتين ، إحداهما الرواية التي نقلناها .

أقول : لم ترد صفة «**الغَوْث**» و«**الغِيَاث**» و«**يَلُمُّ بِهِ الشَّعَثَ وَيَشْعَبُ بِهِ الصَّدْعَ وَيُؤْمِنُ بِهِ الخَائِفَ**» في ألقاب الأئمّة عليهم السلام غير بقيّة الله عجّل الله فرجه ، وكان الإمام الرضا عليه السلام هو الوحيد الذي وُصِفَ في هذه الرواية بهذه الصفات والألقاب .

والغوث في اللغة بمعنى المعونة والمساعدة ، والغياث الذي أصله غواث بمعنى الشيء الذي ترفع به حاجة المضطرّ ، كالغذاء والطعام ورأس مال الكسب وغير ذلك .

الغَـوْثُ وَالغُـوَاثُ وَالغَـوَاثُ : المَـعُونَةُ . الغَـوْثُ أَيْـضاً وَالغِـيَاثُ وَالغَوِيثُ : مَا أَغَثْتَ بِهِ المُضْطَرَّ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نَجْدَةٍ .

ويقول في «لسان العرب» : **وغَـوَّثَ الرَّجُـلُ ، وَاسْـتَغَاثَ : صَـاحَ وَاغَوْثَاهُ ! وَالاسْمُ : الغَوْثُ وَالغُوَاثُ وَالغَوَاثُ . وَاسْتَغَاثَنِي فُلَانٌ فَأَغَـثْتُهُ ، وَالاسْمُ : الغِيَاثُ ؛ صَارَتِ الوَاوُ ياءً لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا .**

وينبغي العلم أنّ «الغياث» لم يأتِ في ألقاب الإمام الحجّة أيضاً ، بل إنّه ذكر فقط بلقب الغَوْث **وغَوْث الفُقَرَاءِ** .

يقول في «نجم ثاقب» (بالفارسيّة) :

سيأتي في الباب التاسع الوجه في تسميته عليه السلام بالغوث[1] .

ثمّ يُورد في الباب التاسع ، ص ١٥٢ ، رواية ينقل فيها أنّ شخصاً رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في عالم الرؤيا فعلّمه فيمَ ينبغي له أن يتوسّل بكلّ واحد من الأئمّة ، حتّى يصل إلى الحجّة فيقول : إنّه ينبغي

١ـ «نجم ثاقب» (= النجم الثاقب) ص ١٥٢ و١٥٣ ، الباب ٩ ، الطبعة الحجريّة .

التوسّل به في الاستغاثة من المحن والشدائد، فيقول مَن يستغيث به: **يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ أَغِثْنِي ! يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ أَدْرِكْنِي !** أو يقول: **يَا مَوْلَايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ ! أَنَا مُسْتَغِيثٌ بِكَ !**

ثمّ يقول كذلك: وقد مرّ الوجه في تسميته بغوث الفقراء في رواية سلفت في اللقب الثامن والعشرين. ويقول في ص ٢٣:

الثامن والعشرين: **بَقِيَّةُ الأَنْبِيَاءِ**؛ وهو مذكور مع ألقاب عدّة أُخرى في الخبر الذي رواه الحافظ البرسيّ في «مشارق الأنوار» عن حكيمة خاتون بالنحو الذي نقله عنه العالم الجليل السيّد حسين المفتي الكركيّ سبط المحقّق الثاني في كتاب «دفع المناداة [المناواة]» أنّها قالت: كان مولد القائم عليه السلام ليلة النصف من شعبان ـ حتّى تصل إلى القول: فجئت به إلى أخِي الحسن بن عليّ عليه السلام فمسح يده الشريفة على وجهه المتلألئ نوراً الذي كان نور الأنوار، وقال: تكلّم **يَا حُجَّةَ اللَهِ، وَبَقِيَّةَ الأَنْبِيَاءِ، وَنُورَ الأَصْفِيَاءِ، وَغَوْثَ الفُقَرَاءِ، وَخَاتَمَ الأَوْصِيَاءِ، وَنُورَ الأَتْقِيَاءِ، وَصَاحِبَ الكَرَةِ البَيْضَاءِ !**

وأمّا المسألة الثالثة: العلاقة بين زيارته عليه السلام وزيارة بيت الله في شهر رجب المرجّب

فقد روى في «فروع الكافي»: **أَبُو عَلِيٍّ الأَشْعَرِيّ، عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الكُوفِيِّ، عَنِ الحُسَيْنِ بْنِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ:**

سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَجُلٍ حَجَّ حِجَّةَ الإسْلَامِ، فَدَخَلَ مُتَمَتِّعاً بِالعُمْرَةِ إلَى الحَجِّ، فَأَعَانَهُ اللهُ عَلَى عُمْرَتِهِ وَحَجِّهِ، ثُمَّ أَتَى المَدِينَةَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وَسَلَّمَ] ثُمَّ أَتَاكَ عَارِفاً بِحَقِّكَ؛ يَعْلَمُ

أَنَّكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَبَابُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ ، فَسَلَّمَ عَلَيْكَ ، ثُمَّ أَتَى أَبَا عَبْدِ اللهِ الحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بَغْدَادَ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي الحَسَنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَى بِلَادِهِ ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَقْتِ الحَجِّ رَزَقَهُ اللهُ الحَجَّ ؛ فَأَيُّهُمَا أَفْضَلُ : هَذَا الَّذِي قَدْ حَجَّ حِجَّةَ الإسْلَامِ يَرْجِعُ أَيْضاً فَيَحُجُّ ، أَوْ يَخْرُجُ إلَى خُرَاسَانَ إلَى أَبِيكَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيُسَلِّمَ عَلَيْهِ ؟!

قَالَ : [لَا] بَلْ يَأْتِي خُرَاسَانَ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ ؛ وَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ ؛ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا [فِي] هَذَا اليَوْمِ ؛ فَإنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ مِنَ السُّلْطَانِ شُنْعَةً.[1]

ويروي شيخ الطائفة المقدّم المتوفّى سنة ٣٦٧ : **أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولَوَيْه** هذه الرواية المباركة بسند صحيح آخر في كتابه النفيس المعتبر : «**كامل الزيارات**» نقلاً عن أبيه وعن محمّد بن الحسن وعليّ بن الحسين جميعاً ، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف ، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة ، عن الحسين بن سيف بن عميرة ، عن محمّد بن أسلم الجبليّ ، عن محمّد بن سليمان قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام ... ثمّ يورد الرواية بنفس العبارة التي أوردناها عن «الكافي» .

بَيدَ أنّ العلّامة الشيخ عبد الحسين الأمينيّ رحمه الله يقول في هامشه على الكتاب : وردتْ عبارة **ثُمَّ أَتَاكَ** بهذه الكيفيّة في نُسخ الكتاب ، كما رواها المشهديّ في «المزار الكبير» بإسناده بنفس الطريق الذي ورد في الكتاب . وكذلك رواها الشيخ الصدوق أيضاً بنفس السند ، لكنّه أورد مكان

١ـ «فروع الكافي» ج ٤ ، ص ٥٨٤ ، الحديث ٢ ، كتاب الحجّ والمزار ، باب فضل زيارة أبي الحسن الرضا عليه السلام ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٩١.

قوله : **ثُمَّ أَتَاكَ** إلى قوله : **ثُمَّ أَتَى** عبارة : **ثُمَّ أَتَى أَبَاكَ أَمِيرَ المُـؤْمِنِينَ عَـلَيْهِ السَّلَامُ عَارِفاً بِحَقِّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَبَابُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَى** ـ إلى آخره ؛ ورواية الصدوق تلك أقرب للصواب .[1]

وتبدو هناك في تفسير ذيل هذا الحديث المبارك وجهتا نظر :

الأُولى : أنّ المراد بـ **هَذَا اليَوْمِ** زمن خلافة الخـليفة الجـائر فـي ذلك الوقت ، وعليه فإن معنى الحديث سيصبح : أنّ الزيارة ينبغي الإتيان بها في رجب ، ولكن عليكم أن لا تقوموا بها في هذا الوقت ، والعصر الذي يُخشى فيه علينا وعليكم من تشنيع السلطان ، وعليكم أن تصبروا حتّى ينقضي هذا الزمن ، ثمّ زوروا آنذاك في شهر رجب .

والإشكال الذي يرد على هذا الاحتمال أنّ هذه الخلافة الجائرة ربّما دامت إلى سنوات عديدة فلم تتصرّم ولم ينتهِ أمدها ، فلِمَ منع جواد الأئـمّة عليه السلام ذلك الرجل مـن الحـجّ فـي مـوسمه مـع عـدم تـمكنه ـ حسب الفرض ـ من زيارة الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ؟!

الثانية : أنّ المراد بـ **هَذَا اليَوْمِ** هو يوم الحجّ ومـوسم الحـجّ ، فـيكون عليه السلام قد قال لهذا الرجل إنّه إذا أتى موسم الحـجّ ودار الأمـر بـين أن يحجّ أو يزور أبي فالزيارة مقدَّمة ، لكنّه ينبغي ألّا يذهب فـي أيّـام الحـجّ وموسمه إلى خراسان ليزور ، لأنّ الخليفة سيقول إنّ هؤلاء قد جعلوا حجّهم زيارة قبر الإمام الرضا ؛ ومن المشهود في مـوسم الحـجّ أنّ جـميع زائـري بيت الله الحرام يغادرون أوطانهم متوجّهين إلى مكّة ، فلو سافر آنذاك أحد إلى خراسان للزيارة فسيكون سفره المستلفت للأنـظار مشـخّصاً ومـميّزاً ،

١ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٥ ، الباب ١٠١ : **ثواب زيارة أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بطوس** ، طبعة المطبعة المرتضويّة ، النجف ، سنة ١٣٥٧ هـ.ق.

وسيقول الخليفة إنّ هؤلاء يُعرضون عن عمل الحجّ مع أهمّيّته الكذائيّة ويقصدون مكاناً آخر هو قبر إمامهم فيحجّون إليه ! وعليكم لذلك أن لا تذهبوا للزيارة في موسم الحجّ ، وأن تصبروا إلى وقت يغاير موسم الحجّ ويقابله وهو شهر رجب ، شهر الله الأصبّ الذي له الشرف والفضيلة كي تزوروا فيه ، ليزول عنكم احتمال التشنيع وتكونوا آنذاك قد زرتم ولم تثيروا شكّ السلطان فيكم واتّهامه لكم !

وهذا الوجه من الاحتمال مناسب جدّاً وخال من الإشكال والإيراد ، مضافاً إلى أنّ الخوف من التشنيع حسب البيان السابق يختصّ بزيارة الرضا عليه السلام في موسم الحجّ لا مطلق الزيارة ولو حصلت في شهر رجب ، وذلك لأنّ زيارة الأئمّة عليهم السلام بشكل مطلق كانت رائجة ودارجة في تلك الأزمان ، وكان من المتعارف والمعهود من الشيعة أن يقوموا بزيارة قبور أئمّتهم .

وعلى أيٍّ من الاحتمالَينِ السابقَينِ فإنّ عبارة الرواية كانت بلفظ **رجب** بالجيم المعجمة ، بَيدَ أنّ أحد الأصدقاء ، وهو سماحة آية الله الحاجّ السيّد موسى الشُّبيريّ الزنجانيّ دامت بركاته قال : إنّ كلمة رجب في نُسخة «الكافي» التي طُبعت بتصحيح المرحوم آية الله الشهيد الشيخ فضل الله النوريّ أعلى الله مقامه قد ضبطت بالحاء المُهملة . وقد رجّح أحد الآيات العظام دامت بركاتهم في كتاب ألّفه في باب زيارة الإمام الرضا عليه السلام هذا الضبط ، وقال : إنّ عبارة «رَحْب» تعني أنّ عليكم القيام بالزيارة في سعة ، وأن تمتنعوا عنها في زمن الشدّة والضيق خوفاً من تشنيع السلطان ؛ وعليه فلا خصوصيّة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في شهر رجب ، لأنّ مناط توهّم الخصوصيّة هذه الرواية فقط ، وهذا المناط يزول بعد معرفة أنّ عبارة الرواية كانت بلفظ رَحْب لا رَجَب .

أقول : يرد على هذا الاحتمال ، أي احتمال ضبط رَحْب بالحاء المهملة وجوه من الإيرادات :

أوّلاً : أنّ المرحوم المحدِّث العلّامة المجلسيّ روى هذا الحديث في «بحار الأنوار» عن كتاب «عيون أخبار الرضا» بسندٍ آخر عن ابن المغيرة ، عن جدّه الحسن ، عن الحسين بن سيف ، عن محمّد بن أسلم ، عن محمّد بن سليمان ، عن أبي جعفر عليه السلام ، وقد ضبط لفظ رَجَب في الرواية بالجيم المعجمة .[1]

وقال في آخر هذا الباب ، ص ٢٢٦ : **وَقَدْ مَرَّ اسْتِحْبَابُ كَوْنِهَا فِي رَجَب .**

وثانياً : أنّ المرحوم المجلسيّ ضبطها في «تحفة الزائر» بلفظ رَجَب ، حيث يقول في هذا الكتاب ضمن ترجمة هذا الحديث الشريف : «وبايدكه در ماه رجب باشد ، ودر اين زمان مكنيدكه بر ما وشما از خليفه خوف تشنيع هست»[2]. وقد أورد المرحوم المحدِّث القمّيّ في «هديّة الزائرين» عين ترجمة المجلسيّ في هذه الفقرة من الحديث .[3]

وثالثاً : روى ابن قولَوَيْه عين هذه الرواية بلفظ رجب بالجيم المعجمة في «كامل الزيارات» بسنده المتّصل عن أبيه ومحمّد بن الحسن وعليّ بن الحسين جميعاً ، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف ، عن الحسن ابن عليّ بن عبد الله بن المغيرة ، عن الحسين بن سيف بن عُمَيرة ، عن

١ـ «بحار الأنوار» ، ج ٢٢ ، ص ٢٢٥ ، كتاب المزار ، طبعة الكمبانيّ .

٢ـ الترجمة الفارسيّة للفقرة : **وَلْيَكُنْ ذلِكَ في رَجَبٍ . وَلا يَنْبَغي أنْ تَفْعَلوا [في] هَذا اليَوْمِ فَإنَّ عَلَيْنا وَعَلَيْكُمْ مِنَ السُّلْطانِ شُنْعَةً** ، الواردة في الرواية الشريفة ؛ «تحفة الزائر» ص ٤٠٢ ، الطبعة الحجريّة.

٣ـ «هديّة الزائرين» ص ٢٣٨ ، الطبعة الحجريّة.

محمّد بن أسلم الجبليّ ، عن محمّد بن سليمان ، عن أبي جعفر الجواد عليه السلام .[1]

وقد عقد في «وسائل الشيعة» باباً تحت عنوان استحباب اختيار زيارة الرضا عليه السلام وخصوصاً في رجب .[2]

ورابعاً : أنّ المرحوم الشيخ فضل الله النوريّ لم يضبط «رجب» في هذا الحديث الشريف بالحاء المهملة ولم يصرِّح بمادّة رَحْب ،كلّ ما في الأمر ، وكما هو مُلاحظ من الجزء الأوّل لـ «فروع الكافي» ص **٣٢٦** ، أنّ العبارة جاءت بلفظ رَحْب ؛ ومن ثمّ فبأيّ دليل يمكن القول إنّ هذا هو تصحيح ذلك المرحوم ؟! بل إنّ الظنّ القريب من اليقين هو أنّ الكاتب لم يضع نقطة الجيم أثناء الكتابة .

وخامساً : لو شككنا في الكلمة أكانت في الأصل رَحْب أم رَجَب ، فإنّ أصالة عدم زيادة النقطة مقدَّمة على أصالة عدم النقيصة ، ولذا ينبغي القول بأنّ لفظ رَجَب هو الصحيح في النُّسخ لا رَحْب .

وسادساً : عدم ملاءمة معنى رَحْب للمقام ، لأنّ رَحْب بمعنى السعة في المكان والمحلّ لا كلّ سعة ؛ ويشاهد في موارد استعمالها الاستفادة منها دوماً في موارد سعة المكان والمحلّ ، وإذا ما وردت أحياناً بمعنى مطلق السعة فإنّ ذلك يكون بعناية استعمال لفظ خاصّ في ذلك المعنى المطلق لها .

يقول في «لسان العرب» : **وَالرَّحْبُ بِالفَتْح ، وَالرَّحِيبُ : الشَّيءُ الوَاسِعُ . تَقَولُ مِنْهُ : بَلَدٌ رَحْبٌ وَأرْضٌ رَحْبَةٌ . الأَزْهَرِيُّ : ذَهَبَ الفَرَّاءُ إلَى**

١ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٦ ، طبعة المطبعة المرتضويّة ، النجف ، سنة ١٣٥٧هـ.ق.

٢ـ «وسائل الشيعة» ج ٢ ، ص ٤١٠ ، طبعة أمير بهادر.

أَنَّهُ يُقَالُ : بَلَدٌ رَحْبٌ وبلَادٌ رَحْبَةٌ كَمَا يُقَالُ : بَلَدٌ سَهْلٌ وَبِلَادٌ سَهْلَةٌ . وَقَدْ رَحُبَتْ تَرْحُبُ ورَحُبَ يَرْحُبُ رُحْباً ورَحَابَةً ورَحِبَتْ رَحَباً . قَالَ الأَزْهَرِيُّ : وَأَرْحَبَتْ : لُغَةٌ بِذَلِكَ المَعْنَى . وَقِدْرٌ رُحَابٌ أَيْ وَاسِعَةٌ... ابْنُ الأَعْرَابِيِّ : والرَّحْبَةُ : مَا اتَّسَعَ مِنَ الأَرْضِ ، وَجَمْعُهَا رُحَبٌ مِثْلُ قَرْيَةٍ وَقُرىً ـ إلَى أَنْ قَالَ صَاحِبُ «لِسَانِ العَرَبِ» :

وَرَحَبَةُ المَسْجِدِ وَالدَّارِ بِالتَّحْرِيكِ : سَاحَتُهُمَا وَمُتَّسَعُهُمَا. قَالَ سِيبَوَيْهِ: رَحَبَةٌ وَرِحَابٌ كَرَقَبَةٍ وَرِقَابٍ وَرَحَبٌ ورَحَبَاتٌ.

الأَزْهَرِيُّ : قَالَ الفَرَّاءُ : يُقَالُ لِلصَّحْرَاءِ بَيْنَ أَفْنِيَةِ القَوْمِ وَالمَسْجِدِ : رَحْبَةٌ وَرَحَبَةٌ . وَسُمِّيَتْ الرَّحَبَةُ رَحَبَةً لِسَعَتِهَا . بِمَا رَحُبَتْ أَيْ بِمَا اتَّسَعَتْ ، يُقَالُ : مَنْزِلٌ رَحِيبٌ وَرَحْبٌ.

ويقول في «صحاح اللغة» : **الرُّحْبُ ـ بِالضَّمِّ ـ: السَّعَةُ ، تَقُولُ مِنْهُ: فُلَانٌ رُحْبُ الصَّدْرِ . وَالرَّحْبُ ـ بِالفَتْحِ ـ: الوَاسِعُ ، تَقُولُ مِنْهُ : بَلَدٌ رَحْبٌ وأَرْضٌ رَحْبَةٌ ؛ وَقَدْ رَحُبَتْ ـ بِالضَّمِّ ـ تَرْحُبُ رُحْباً وَرَحَابَةً . وَقَوْلُهُمْ : مَرْحَباً وَأَهْلاً أَيْ أَتَيْتَ سَعَةً وأَتَيْتَ أَهْلاً فَاسْتَأْنِسْ ولَا تَسْتَوْحِشْ. وَقَدْ رَحَّبَ بِهِ تَرْحِيباً إذَا قَالَ لَهُ : مَرْحَباً...**

وَقِدْرٌ رُحَابٌ أَيْ وَاسِعَةٌ . وَالرُّحْبَى : أَعْرَضُ الأَضْلاعِ وَإِنَّمَا يَكُونُ النَّاحِزُ فِي الرُّحْبَيَيْنِ وَهُمَا مَرْجِعُ المِرْفَقَيْنِ ، وَهُوَ أَيْضاً سِمَةٌ فِي جَنْبِ البَعِيرِ. وَالرَّحِيبُ : الأَكُولُ . وَفُلَانٌ رَحِيبُ الصَّدْرِ أَيْ وَاسِعُ الصَّدْرِ . وَرَحَائِبُ التُّخُومِ : سَعَةُ أَقْطَارِ الأَرْضِ . وَرَحُبَتِ الدَّارُ وَأَرْحَبَتْ بِمَعْنىً ، أَيِ اتَّسَعَتْ ـإلى آخر ما أفاده .

كما ورد في «تاج العروس» ما يشبه ذلك .

ومحصّل ما ذُكر أنّ هذا التوهّم إنّما حدث نتيجة عدم وضع نقطة رَجَب . **وَبِمَا ذَكَرْنَا كُلَّهُ عَرَفْتَ أَنَّهُ تَوَهُّمٌ بِلَا مَوْرِدٍ ؛ فَلَا تَغْفُلْ.**

وسابعاً : يتّضح ممّا ذُكُر أخيراً في معنى رَحْب أنّ الرُّحب بمعنى السعة ، والرَّحب بمعنى الواسع ، وعليه فإنّ هذه الرواية الشريفة ـ على افتراض صحّة عدم وجود النقطة وورودها بالحاء المهملة ـ ينبغي أن تكون بلفظ رُحب بالضمّ لا رَحْب بالفتح ؛ ولأنّ الكلمة قد وردت في نسخة «الكافي» المطبوعة للمرحوم الشيخ بلفظ رَحْب بالفتحة المشهودة على الراء ، لذا يتعيّن حذف النقطة من الجيم المعجمة سهواً ، وليس جعل الضمّة فتحة .

والعلّة في تعيين الإمام الجواد عليه السلام لشهر رجب ـ مضافاً إلى ما ذكرنا ـ هي أنّ زيارة جميع الأئمّة عليهم السلام مستحبّة في شهر رجب وحائزة لفضيلة تفوق فضيلتها في سائر الشهور ، كما يقول في «الإقبال» بشأن استحباب زيارة كلّ من المشاهد المشرّفة في شهر رجب : **رَوَيْنَاهَا بِإسْنَادِنَا إلَى جَدِّي أَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا ذَكَرَهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي جُبَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَهِ عَنْ مَوْلاَنَا ـ يَعْنِي أَبَا القَاسِمِ بْنَ رُوحٍ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ ـ قَالَ : زُرْ أَيَّ المَشَاهِدِ كُنْتَ بِحَضْرَتِهَا فِي رَجَبٍ ، تَقُولُ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِهِ فِي رَجَبٍ وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِمْ مَا قَدْ وَجَبَ** ـ إلى آخر الزيارة الشريفة الواردة .[1]

والنصّ على استحباب زيارة ثامن الحُجج عليه السلام في شهر رجب ينحصر في هذه الرواية ، فليس لدينا رواية غيرها ، ولكن باعتبار قوّة سندها ، فإنّها كافية لعقد باب استحباب زيارته عليه السلام في شهر رجب.

والروايات في فضيلة زيارته عليه السلام بوجه مطلق كثيرة جدّاً ، وقد وُعِدَ الزائر في بعضها بالجَنَّة ، وعُدَّت في بعضها عِدْلاً لشهادة شهداء

١ـ «إقبال الأعمال» ص ٦٣١ ، في باب أعمال رجب ، الطبعة الحجريّة الرحليّة.

بدر ، وذُكر لبعضها ثواب ألف حجّ وألف ألف حجّ يترتَّب عليها .

يروي **جعفر بن محمّد بن قولويه** ، عن الحسن بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن محمّد بن عيسى ، عن داود الصَّرْميّ [1] ، عن **أبي جعفر الثاني** (الإمام محمّد التقيّ) عليه السلام **قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي فَلَهُ الجَنَّةُ** [2] .

ويروي **أيضاً** عن أبيه ، عن سعد بن إبراهيم بن ريّان قال : حدّثني يحيى بن الحسن الحسينيّ قال : حدّثني عليّ بن عبد الله بن قُطْرب ، عن **أبي الحسن موسى** عليه السلام :

قَالَ : مَرَّ بِهِ ابْنُهُ وَهُوَ شَابٌّ حَدَثٌ وَبَنُوهُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ : إنَّ ابْنِي هَذَا يَمُوتُ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ . فَمَنْ زَارَهُ مُسَلِّماً لِأَمْرِهِ عَارِفاً بِحَقِّهِ كَانَ عِنْدَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ كَشُهَدَاءِ بَدْرٍ . [3]

ويروي **أيضاً** عن أبيه وعن محمّد بن يعقوب ، عن عليّ بن إبراهيم ابن حَمْدان بن إسحاق قال : سمعتُ أبا جعفر عليه السلام ، أو حكى لي رجل عن أبي جعفر عليه السلام (الشكّ من عليّ بن إبراهيم) أنّ أبا جعفر عليه السلام قال :

مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي بِطُوسٍ غَفَرَ اللَهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ .

١ـ يقول العلّامة الشيخ عبد الحسين الأمينيّ رحمة الله عليه في الهامش : **الصَّـرْمِيُّ بِفَتْحِ الصَّادِ المُهْمَلَةِ ـ وَقِيلَ بِكَسْرِهَا ـ وَبَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ، يُنْسَبُ إِلَى بَنِي صَرْمَةَ بْنِ كَثِيرٍ : بَطْنٌ مِنْ عُذْرَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ مِنَ القُحْطَانِيَّةِ ، أَوَ إِلَى صَرْمَةَ بْنِ مرَّةَ حَيٌّ مِنْ ذُبْيَانَ . وَدَاوُدُ هَذَا هُوَ دَاوُدُ بْنُ مَافِئَةِ الصَّرْمِيّ بِقَرِينَةِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى ، لَا دَاوُدُ الصَّرْمِيُّ الَّذِي مِنْ أَصْحَابِ الهَادِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَرْوِي عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَهِ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضٌ إِلَى اتِّحَادِهِمَا .**

٢ ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٣ الباب ١٠١ .

٣ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٥ ، الباب ١٠١ .

قَالَ : فَحَجَجْتُ بَعْدَ الزِّيَارَةِ فَلَقِيتُ أَيُّوبَ بْنَ نُوح فَقَالَ لِي [قَالَ ـ ظ] أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي بِطُوسٍ غَفَرَ اللَهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، وَبَنَى لَهُ مِنْبَراً بِحِذَاءِ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَفْرُغَ اللَهُ مِنْ حِسَابِ الخَلَائِقِ.

فَرَأَيْتُ أَيُّوبَ بْنَ نُوحٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ زَارَ فَقَالَ : جِئْتُ أَطْلُبُ المِنْبَرَ[1].

ويروي **أيضاً** عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن الحسن الصفّار ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ ؛ **قَالَ :**

قَرَأْتُ فِي كِتَابِ أَبِي الحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَبْلِغْ شِيعَتِي : إنَّ زِيَارَتِي تَعْدِلُ عِنْدَ اللَهِ أَلْفَ حَجَّةٍ.

قَالَ : فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلْفَ حَجَّةٍ ؟!

قَالَ : إي وَاللَهِ ؛ وَأَلْفَ أَلْفِ حَجَّةٍ لِمَنْ زَارَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ.[2]

نعم ، ربّما سيتّضح بما ذُكِر سرّ استحباب زيارة ثامن الأئمّة عليه السلام في شهر رجب المرجّب ، والارتباط القويم لتلك الزيارة مع زيارة بيت الله الحرام . وذلك لأنّ شهر رجب من الأشهر الحُرُم ، انفرد لوحده خلافاً لباقي الأشهر الحُرُم الثلاثة ـ ذي القعدة الحرام وذي الحجّة الحرام ومحرم الحرام ـ التي توالت وتعاقبت ، فالحرب في شهر رجب حرام ، هذا مضافاً إلى الخصائص والاعتبارات التي تُمَيِّزه عن باقي الشهور ، فهو **شهر الله** ، وكثيراً ما يحصل في هذا الشهر فتح باب لسالكي طريق الله ، كما أنّ

١ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٥ ، الباب ١٠١.

٢ـ «كامل الزيارات» ص ٣٠٦ ، الباب ١٠١.

وقوع ولادة أمير المؤمنين وبعثة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما فيه موجب لمزيد التكريم والتشريف لهذا الشهر .

وعليه ، فليس أيّاً من أقسام العمرة كالعمرة الرجبيّة ، العمرة التي تدنو في فضيلتها إلى فضيلة الحجّ بفارق درجة واحدة . وقد شاهدنا في هذه الرواية الأخيرة أنّ ثواب زيارة الإمام الثامن للشيعة المخلَصين والعارفين بمقامه ومنزلته وحقّه تعدل في ثوابها ألف حجّة ، بل ألف ألف حجّة . ولا استبعاد في الأمر مطلقاً ، لأنّ حياة الكعبة بالولاية ؛ ولذا فإنّ هذه الولاية هي المحور والمركز ، والكعبة في حكم محيط الدائرة . ألا ترى كيف يطوف الناس حول الكعبة التي وُلد **عليّ** فيها ؟! فهم ـ شاءوا أم أبوا ، طوعاً أم كرهاً ـ مضطرّون إلى التسليم للواقع ولهذه الحقيقة .

إنّ جميع المسلمين ، الشيعة منهم والعامّة ، يجلسون إلى مائدته عليه السلام ، لأنّ تلك المائدة متّسعة بالقدر الذي لا يُتصوّر فيها وجود لمائدة أُخرى .

بل إنّ جميع العالم يتمتّعون من البركات الوجوديّة لذلك الإمام ومن ولايته التكوينيّة والوجوديّة . وينبغي لذلك أن لا تستبعد كيف يكون ثواب زيارة واحدة للإمام الرضا عليه السلام **للعارف بحقّه** تعادل ثواب ألف ألف حجّة لبيت الله . فهناك كعبة الظاهر ، وهنا كعبة الباطن . هناك التكليف ، وهنا المحبّة . وهناك الجسم ، وهنا الروح .

نعم ، لو شئنا التوسّع في الكلام في هذا المجال لجرّنا ذلك إلى الإطالة ، فطرف هذا الأمر في أيدينا وطرفه الآخر في اللامتناهي . وعلينا آنذاك أن نوسّع الكلام ونبسطه ، ليس فقط ليشمل الدنيا ، بل ليشمل عالم البرزخ والمثال ، بل في سعة القيامة والجنّة والنار ، وأعلى من ذلك وأسمى . ومن ثمّ فإنّ من الصلاح الاكتفاء بهذا القدر كي لا يتحطّم القلم في يدي ،

ولا تتشرّد أنت عن بيتك ودكّانك ومحلّ استقرارك ودعتك !

وأكتفي بذكر إحدى الرؤيا الصادقة لإحدى أخوات الحقير ثمّ أختم الموضوع . لقد كنت قبل تشرّفي بالذهاب إلى النجف الأشرف قد تشرّفت بزيارة ثامن الأئمّة عليه السلام لثلاث مرّات فقط ، وباعتبار أنّ محطّ دروسنا التحصيليّة لم يكن مطالعة الأخبار والأحاديث ، فلم أكن أعلم أنّ زيارة ذلك الإمام تعدل ثواب حجّ بيت الله ، وخاصّة زيارته المخصوصة في شهر رجب . وكنت أُراجع ـ في مدّة إقامتي في النجف والتي دامت سبع سنين ـ أحاديثَ زيارة أمير المؤمنين وسيّد الشهداء عليهما السلام التي كانت محلّ الابتلاء ، لكنّي لم أُراجع أحاديثَ ثواب زيارة الإمام الرضا عليه السلام .

وعند الرجوع من النجف الأشرف وعلى الرغم من شدّة شوقي للزيارة ، إلّا أنّ التوفيق لم يحالفني إلّا بعد سنة كاملة ، حتّى كان في أواسط شهر رجب لسنة ١٣٧٨ هجريّة قمريّة ، حيث عزمتُ على التشرّف بالزيارة مع عدد من أصدقاء السلوك ، وبناء على دعوتهم وطلبهم . ولم يكن قد طرق سمعي حتّى ذلك الوقت أنّ زيارته عليه السلام تعدل ثواب الحجّ ، وأنّ لها خصوصيّة في شهر رجب ، فوقع سفرنا في شهر رجب بلا تعمّد ولا قصد .

هذا وقد ذهبت قبل يوم أو يومين من السفر لتوديع كبار العائلة والأقارب والأرحام ، فزرتُ منزل أُختي التي تصغرني ، فلما عَرَفَتْ بعزمي على السفر لتقبيل أعتاب الإمام الثامن ، قالت : **سُبَحَانَ اللَهِ ! سُبْحَانَ اللَهِ !** لقد رأيتُكَ ليلة أمس في منامي مرتدياً لباس الإحرام وعازماً على السفر إلى بيت الله !

قلتُ : حسناً ، وأين العجب في هذه الرؤيا ؟

قالت : إنّ تفسيره واضح : إنك عازم على زيارة الإمام الرضا عليه السلام ؛ فقد ورد في الرواية أنّ من زاره عليه السلام كأنّه قام بالحجّ والعمرة ، فقد كنتَ ـ بعزمك على السفر للزيارة ـ مرتدياً لباس الإحرام في عالم الرؤيا وقاصداً بيت الله الحرام !

ولقد عجبتُ أنا الآخر من هذه الرؤيا ، وقلتُ لها : لم أكن لأعلم حتّى الآن أن لزيارته عليه السلام علاقة بالحجّ والعمرة .

وعلى الإجمال فإنّ هذه الحقيقة يمكن استفادتها من أشعار السيّد بحر العلوم التي تصف **كربلاء** في مرتبة أعلى ، ودرجة أفضل من الكعبة ، ثمّ يضع في البيت اللاحق باقي المشاهد المشرّفة في درجة كربلاء ومنزلتها :

أكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ فِي المَشَاهِدِ
خَيْرِ البِقَاعِ أَفْضَل المَعَابِدِ
لِفَضْلِهَا اخْتِيَرتْ[1] لِمَنْ بِهِنَّ حَلّْ
ثُمَّ بِمَنْ قَدْ حَلَّهَا سَمَا المَحَلّْ
وَالِّسرُّ فِي فَضْلِ صَلَاةِ المَسْجِدِ
قَبْرٌ لِمَعْصُومٍ بِهِ مُسْتَشْهَدِ
بِرَشَّةٍ مِنْ دَمِهِ مُطَهَّرَهْ
طَهَّرَهُ اللَهُ لِعَبْدٍ ذَكَرَهْ

١ـ يرجع الضمير في «اختيرت» إلى البقاع والمشاهد لا إلى الصلاة ، وبناء عليه فإنّ اللام الأُولى تكون للتعليل واللام الثانية للاختصاص . ولأنّنا قد فسّرنا هذه الأبيات في ج ١١، ص ٢٥٥ من «معرفة الإمام» (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة) وأرجعنا الضمير في «اختيرت» إلى الصلاة ، لذلك يجب أن يصحّح ذلك التفسير ويحلّ مكانه هذا التفسير.

هْـــــيَ بُــــيُوتٌ أَذِنَ اللَــــهُ بِأَنْ
تُرْفَعَ حَـتّى يُـذْكَـرَ اسْـمُهُ الحَسَـنْ
وَمِــــنْ حَــدِيثِ كَــرْبَلَا وَالكَــعْبَهْ
لِكَــــرْبَلَا بَـــــانَ عُـــلِوُّ الرُّتْــبَهْ[1]
وَغَــــيْرُهَا مِــنْ سَــائِرِ المَشَــاهِدِ
أَمْــــثَالُهَا بِــالنَّقْل ذِي الشَّــوَاهِـدِ
فَأَدِّ فِـــــي جَـــمِيعِهَا المُـــفْتَرَضَا
وَالنَّفْلَ وَاقْضِ مَا عَـلَيْك مِـنْ قَـضَا
وَرَاعِ فِـــــــيهِنَّ اقْـــتَرابَ الرَّمْسِ
وَآثِــــرِ الصَّــــلَاةَ عِـــنْدَ الرَّأْسِ
وَالنَّـــهْيُ عَـــنْ تَــقَدُّمٍ فِــيَها أَدَبْ
وَالنَّصُّ فِي حُكْمِ المُسَاوَاة اضْطَرَبْ
وَصَـــلِّ خَــلْفَ القَــبْرِ فَــالصَّحِيحُ
كَـــــغَيْرِهِ فِـــــي نَــــدْبِهَا صَــرِيحُ
وَالفَـــــرْقُ بَـــــيْنَ هَـــذِهِ القُــبُورِ
وَغَـــــيْرِهَا كَــالنُّورِ فَــوْقَ الطُّــورِ

١ـ قال آية الله المحقّق السيّد محمود الطباطبائيّ قدّس الله سرّه في كتاب «المواهب السنيّة في شرح الدُّرَّة الغَرَويّة» («الدرّة الغرويّة» للعلّامة السيّد مهدي بحر العلوم) ص ٢١٥، في شرح هذا البيت:

فَفِي خَبَرِ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: خَلَقَ اللهُ كَرْبَلَاءَ قَـبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الكَعْبَةَ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ، وَقَدَّسَهَا وَبَارَكَ عَلَيْهَا، فَمَا زَالَتْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ الخَلْقَ مُقَدَّسَةً مُبَارَكَةً لَا تَزَالُ كَذَلِكَ، جَعَلَهَا اللهُ أَفْضَلَ الأَرْضِ فِي الجَنَّةِ.

وَيُمْكِنُ الاسْتِنَادُ فِي ذَلِكَ إلىَ الأَخْبَارِ الوَارِدَةِ فِي فَضْلِ زِيَارَتِهِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ عَلَى الحَجِّ والعُمْرَةِ مِرَاراً، مَعَ أَنَّ فِيهِمَا الطَّوَافَ بِالبَيْتِ ... إلى آخر ما أفاده في الشرح على طوله.

فَـــالسَّعْيُ لِـــلصَّلَاةِ عِـــنْدَهَا نُـدِبْ
وَقُــرْبُهَا بَــلِ اللُّـصُوقُ قَـدْ طُـلِبْ
وَالاتِّـــــخَاذُ قِـــبْلَةً وَإنْ مُـــنِعْ
فَــلَيْسَ بِــالدَّافِـعِ إذْنـاً قَـدْ سُـمِعْ[1]

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم بعد الزيارة والطّواف يُصَلّي بحذاء الرأس الشريف إن وَجَدَ مكاناً خالياً ، وإلّا فكان يصلّي في أيّ موضع خال في الحضرة بحيث لا يزاحم أحداً ؛ وكانت هذه هي طريقته في جميع المشاهد المشرّفة كالنجف وكربلاء والكاظميّة وسامرّاء .

في ذكر المعجزات والكرامات
الصادرة من الإمام الرضا عليه السلام

لم تحصل معجزة خاصّة للإمام الرضا عليه السلام خلال تلك الأيّام العشرة لتوقّف السيّد الحدّاد في أرض مشهد المقدّسة ليدوّنها الحقير هنا ، لكنّ الكثير من أصحاب الحوائج كانوا قد جاؤوا من المناطق البعيدة واجتمعوا فشدّوا أنفسهم إلى شبّاك الضريح أو شبّاك الصحن الكبير طلباً للشفاء من أمراضهم . هذا وقد دار الحديث يوماً مع السيّد بشأن المعجزات الخاصّة بثامن الأئمّة عليه السلام ، فتفضّل بإبداء بيان أذكر خلاصته :

أنّ وجود الأئمّة عليهم السلام أنفسهم هو أكبر معجزة ، كما أنّ أفعالهم أحياءً وأمواتاً هي كلّها معجزة ، وينبغي أن لا يبحث الإنسان عن إعجازهم في الموارد الاستثنائيّة فقط ، أو ينظر إلى عظمتهم من نافذة وزاوية واحدة.

١ـ منظومة العلّامة السيّد مهدي بحر العلوم المعروفة بـ «الدُّرَّة النجفيّة».

إنّ مَن يصل إلى مقام الولاية عمليّاً لا علميّاً ، فيصبح وليّاً للّه ويكون الله وليّه ، فإنّ جميع أعماله وسنّته وصفاته تصبح فعل الله وسنّته وصفاته . ولا يعني هذا أن يصبح هو الله ، أو أن يفصل الله عن ذاته المقدّسة شيئاً فيعطيه له ، أو أنّه لا يفصل عن ذاته شيئاً لكنّه يتكرّم عليه بمثل ما يمتلكه هو ، فهذه بأجمعها تصوّرات خاطئة وغير صحيحة ؛ بل إنّ العبد قد تخطّى وجوده المجازيّ والاعتباريّ بواسطة شدّة الصفاء والخلوص الذي حصل عليه وجوده فصار فانياً في ذات الله وتجلّى الله سبحانه فيه . أي أنّ وجوده وسرّه وواقعيّته صار مرآة محضة لتمام الذات الأحديّة وكمالها وجمالها وجلالها ، وصار مظهراً لتجلّي الله .

ولا ريب أنّ ممكن الوجود مهما سمى وترقّى ، فمن المحال أن يكتسب شيئاً من الله فينسبه لنفسه ، بل إنّ معنى الترقّي والسموّ لا يعني غير التخلّص والتنزّه من شوائب الوجود ، والخلوص والإخلاص في سبيل الله وطيّ درجات ومراتب الفَناء في الله ؛ ولا يعني إلّا التحقّق بحقيقة معنى العبوديّة المحضة والسجدة المطلقة والتواضع بلا قيد ولا حدّ .

فليست الولاية بمعنى حيازة الصفات الإلهيّة بالاستقلال ومع عزّة الشخصيّة ، فهذا الفرض خاطئ ثبوتاً وإثباتاً ، وليست أيضاً بمعنى المشاركة والمساهمة مع صفاته ، فهذا أيضاً خاطئ ثبوتاً وإثباتاً ؛ بل الولاية بمعنى العبوديّة المحضة مقابل ربوبيّته المطلقة ، وبمعنى الذلّة المحضة مقابل عزّته المطلقة . فالولاية المطلقة والكاملة والتامّة ، يعني تحقّق جميع مراتب العبوديّة والاندكاك والفَناء المحض في ذاته القدسيّة ؛ أمّا الولاية المقيّدة والجزئيّة فتعني تحقّق بعض مراحل العبوديّة والاندكاك في الفعل أو الاسم والصفة ، أو الاندكاك الإجماليّ والمؤقّت في ذاته والذي لم يصل بعدُ إلى مرحلة الفعليّة التامّة ولم يتخطَّ بعدُ بشكل كامل مراحلَ القوّة

والاستعداد .

وفي هذه الحال ، فإنّ **وليّ الله** الذي تحقّقت فيه الولاية التامّة لا يمتلك بنفسه رغبة وإرادة وطلباً واختياراً ، فما يُشاهَد منه من رغبة وطلب وإرادة واختيار ليس إلّا نفس صفات وأسماء الله التي ظهرت فيه ، كما ينعكس شعاع الشمس ونورها في الماء الصافي أو في المرآة الصقيلة . وهذا المعنى هو الصحيح في باب الولاية .

فلهذا فإنّ الأئمّة عليهم السلام الذين يمتلكون مقام الولاية المطلقة والكلّيّة لا تعني ولايتهم أنّهم يقدرون على فعل ما يشاؤون بأنفسهم مهما كان ذلك ، منفصلاً ومستقلّاً عن مشيئة الله سبحانه ،كما لا تعني أنّهم يمتلكون بأنفسهم إرادة تشبه إرادة الله ، فيمكنهم ـ بتلك الإرادة التي منحها الله لهم ـ أن يحقّقوا ما يريدون في عالم الخارج ، بصورة منحازة ومستقلّة ؛ بل إنّها تعني أن لا وجود في الخارج إلّا لإرادة واختيار ومشيئة واحدة ، وهي إرادة واختيار ومشيئة الله لا غير .

إنّ جميع الناس المحجوبين والعميان والذين يشكون من عشو البصر أو رمد العين يرون العالم مفرّقاً مجزّءاً مشتّتاً ، فيشاهدون لكلّ واحد من الموجودات وجوداً مستقلّاً ويقولون بوجود الإرادة والعلم والقدرة والحياة المستقلّة ، أمّا هؤلاء الخواصّ الذين استيقظوا من غفلتهم وأفاقوا من سكرة الطبع والطبيعة والشهوة والغضب والوهم ، وكحّلوا العيون الرمداء بكحل التبصّر والتطلّع إلى الحقيقة ، فقد تبيّن لهم بجلاء أنْ : **لَا مُؤَثِّرَ فِي الوُجُودِ إلَّا اللَهُ ، وَلَا عَالِمَ فِي الوُجُودِ إلَّا اللَهُ ، وَلَا قَادِرَ فِي الوُجُودِ إلَّا اللَهُ ، وَلَا حَيَّ فِي الوُجُودِ إلَّا اللَهُ ، وَلَا ذَاتَ مُسْتَقِلَّةً فِي الوُجُودِ إلَّا اللَهُ** .

وباعتبار أنّ جميع إرادتهم واختيارهم وعلمهم وقدرتهم هي عين إرادة واختيار وعلم وقدرة الله سبحانه ، فقد كانت جميع الموجودات ابتداء

من الموجودات السفليّة إلى العلويّة ، ومن المُلكيّة إلى الملكوتيّة ومن الجسميّة إلى الروحيّة ، ومن الظاهريّة إلى الباطنيّة ، ومن الدنيويّة إلى الأُخرويّة ، ومن موجودات عالم الطبع والطبيعة من الهيولى الأوليّة وصولاً إلى آخر نقطة للفعليّة والكمال ، وما وُجد وما سيوجد ؛ هي بأجمعها مخلوقاتهم ومقدوراتهم ومعلوماتهم هم ، وذلك لأنّها جميعاً مخلوقات الله وحده ، وليس هناك في هذه المرحلة من الولاية شيئاً متصوّراً إلّا الله ، فهم معدومون ، أمّا الموجود فهو الله سبحانه ، وهذا هو الوجود المحض في مقام الفَناء المحض .

یکی قطره باران ز ابری چکید		خجل شد چو پهنای دریا بدید
که جائیکه دریاست من کیستم ؟		گر او هست حقّا که من نیستم
چو خود را به چشم حقارت بدید		صدف در کنارش به جان پرورید
سپهرش به جائی رسانید کار		که شد نامور لؤلؤ شاهوار
بلندی از آن یافت کو پست شد		درِ نیستی کوفت تا هست شد[1]

* * *

بزرگان نکردند در خود نگاه		خدا بینی از خویشتن بین مخواه

١ـ «كلّيات سعدي» مختارات من ص ١٢٢ إلى ١٢٤ ، بوستان ، الباب الرابع في التواضع، طبعة محمّد علي فروغي .

يقول : «هطلت من غيم السماء قطرة مطر ، فذابت حياء إذ رأت سعة البحر الممتدّ .

فقالت : مَن أنا مقابل هذا البحر الخضمّ ؟ إنّني لست في الحقيقة أمام وجوده إلّا عدماً .

ولأنّها نظرت باستصغار إلى نفسها ، تسامت لها الأصداف التي كانت حولها فغذّتها بروحها.

وهكذا أوصلتها الصدفة إلى أن صارت لؤلؤة ملكيّة نادرة المثال.

تواضع تجد السموَّ والعلو والرفعة ، وكن عدَمَاً تصبح الوجود مدى الدهر».

بزرگی به ناموس و گفتار نیست بلندی به دعوی و پندار نیست
تواضع سر رفعت افرازدت تکبّر به خاک اندر اندازدت
ز مغرور دنیا ره دین مجوی خدا بینی از خویشتن بین مجوی[1]

ولذلك ينبغي أن لا ينحصر الانتظار من مقام الولاية في القيام ببعض الكرامات النادرة وبعض المعجزات القاهرة ، فارجع البصر إلى السماء والأرض والنجوم والأفلاك والشجر والحجر والمدر والإنسان والحيوان والنبات والجماد والمَلَك والجنّ والشيطان ، فإنّ كلّ ما ترى وتسمع هو جميعاً من الولاية ومن آثار الولاية ومن شؤون الولاية .

افتح عينيك وانظر إلى الجنين في بطن أُمّه وإلى نموّه وعقله وكماله ، وانظر إلى حركة الشمس والأرض والقمر وسائر السيّارات والثوابت والمجرّة والمجرّات جميعاً في نظمها البديع المحيّر ، فهي جميعاً من الولاية وخواصّها .

افتح عينيك وانظر إلى نفسك ، إلى بدايتك ونهايتك وسيرك وظاهرك وباطنك ونومك واستيقاظك وسكونك وحركتك وعلمك وقدرتك وحياتك ، فهي جميعاً من لوازم الولاية وخصائصها .

فما أشدّ قصور نظرنا وضحالته وتفاهته إن نحن نظرنا إلى الولاية في

١ـ يقول : «إنّ الكبار لم ينظروا إلى ذواتهم وأنفسهم ، فلا تطلب رؤية الله ممّن يتطلّع إلى نفسه.

وليس الجلال بالشرف والأقوال ، ولا السموّ بالادّعاء والخيال.

بل إنّ التواضع هو أساس الرفعة والشموخ ، كما أنّ التكبّر هو الذي يهبط بالمرء إلى التراب.

فلا تبغِ سبيل الدين عند المغرور بالدنيا ، ولا تبحث عن معرفة الله في الأنانيّة والتطلّع للنفس».

مسائل شقّ القمر ، أو تسبيح الحصى ، أو حنين الأسطوانة الحنّانة ، أو إحياء أمير المؤمنين عليه السلام الموتى ، أو سائر المعجزات التي نُقلت عن الأئمّة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ! تماماً كنملة تسير في حديقة السلطان بين ورودها ورياحينها وخدمها وحشمها ، ومع عزّة السلطان وجلالته وسعة سلطانه ونفوذه وأمره ونهيه ؛ لكنّها لا ترى لطفه إلّا في حَبّة تسحبها إلى بيتها ، ولا تعرف من غضبه وقهره إلا الندى الذي يتسرّب إلى بيتها !

پشّه كِيْ داند كه اين باغ از كِيْ است
كو بهاران زاد و مرگش در ديْ است[1]

بلى ، يصدق هنا كلام مولانا في شأن نظر الناس المحجوبين عن الولاية الكلّيّة الإلهيّة :

حقّ آن شه كه تو را صاف آفريد كرد چندان مشعله در تو پديد
آن چنان معمور و باقى داشتت تا كه دهرى در[2] أزل پنداشتت
شكر دانستيم آغاز تو را أنبيا گفتند آن راز تو را[3]

١ـ يقول «: أنّى للبعوضة أن تعرف متى وُجِدَ هذا الحقل ، فقد وُلدت في الربيع وستموت عند الخريف».

٢ـ في النسخة الأُخرى ورد لفظ «از».

٣ـ «مثنوي مولوي» ج ٢ ، ص ١٥٥ و١٥٦ ، السطر ٢٣ فما بعد ، طبعة آقا ميرزا محمود الحجريّة.

يقول : «بحقّ ذلك الذي خلقَك بهذا الصفاء ، وجعل فيك مشاعلَ متوهّجة.
والذي حفظك باقياً معموراً ، حتّى ظنّك الدهريُّ أزليّاً.
شكراً للّه إذ علّمنا بدايتك ، وأطلعنا الأنبياءُ على سرّك».

آدمـی دانـد کـه خـانه حـادث است
عنکبوتی نی که در وی عابث است
پشّه کِیْ داند که این‌باغ از کِـیْ است
کو بها ران زاد و مرگش در دیْ است
کرم کاندر چـوب زائـید است حـال
کــی بــدانـد چـوب را وقت نـهال
ور بـــدانـــد کــــرم از مــاهیّتش
عـقل بـاشد ، کـرم بـاشد صـورتش
عــقل[1] خــود وا مـی‌نماید رنگ‌هـا
چون پریّ دور است از آن فرسنگها
از مَــلک بـالاست چـه جـای پـری
تو مگس پـرّی بـه پسـتی مـی‌پری[2]

١ـ المراد هو العقل الجزئيّ ، أي عقل المعاش.

٢ـ يقول : «يعلم الآدميّ حدوثَ البيت الذي يقطن فيه ، لكنّ العنكبوت العابث فيه لا يعلم بهذا السرّ.

وأنّى للبعوضة أنّ تعرف متى وُجِدَ هذا الحقل ، فقد وُلِدَتْ في الربيع وستموت عند الخريف.

وكيف ومتى ستعلم الدودة التي وُلدت في ثنايا الخشب ، أنّه كان يوماً ما غرساً يافعاً ؟

وإن أمكن للدودة أن تدرك من ماهيّة الخشب أنّه كان غرساً صغيراً ، عندئذٍ فهي ليست إلّا عقلاً تصوّر بشكل دودة.

إنّ العقل يظهر بصور مختلفة ، لكنّه بعيد عنها بفراسخ شأنه في ذلك شأن الجنّ.

فهو أعلى من الملائكة فضلاً عن الجانّ ، أمّا أنت فقد أشبهتَ الذبابَ بطيرانك لأنّك تنظر دوماً إلى الأسفل».

گرچه عقلت سوی بالا می‌پرد
مرغ تقلیدت به پستی می‌چرد
علم تقلیدی وبال جان ماست
عاریه است و ما نشسته کان ماست
زین خرد جاهل همی باید شدن
دست در دیوانگی باید زدن
هر چه بینی سود خود زان می‌گریز
زهر نوش و آب حیوان را بریز
هر که بستاید تو را دشنام ده
سود و سرمایه به مفلس وام ده
ایمنی بگذار و جای خوف باش
بگذر از ناموس و رسوا باش فاش
آزمودم عقل دور اندیش را
بعد از این دیوانه سازم خویش را[1]

أو ما ذكره في المقدِّمة الرائعة القيّمة لكتابه الشريف ، والتي لها

١ـ يقول : «ومع أنّ عقلك يحلّق إلى الأعالي ، لكنّ طائر التقليد لديك مشغول بالاجترار في العوالم السفلى.
إنّ العلم التقليديّ بلاء على روحنا ، ومع أنّه ليس إلّا عارية لكنّنا نظنّ أنّه يعود إلينا.
لذا ينبغي التبرّي من هذا العلم والعقل ، فلنصبح جهّالاً منه ولندّعِ الجنون.
اهربْ من كلّ ما رأيتَ أنّه ينفعك ، واجرع السمّ وأرِقْ ماء الحياة على الأرض.
واشتمْ مَنْ مدحكَ وبجّلك ، وأقرضْ المفلس رأس مالك وربحك.
أعرِضْ عن الأمان وعِشْ في خوفٍ وهلع ، وأغضض عن الناموس واختر الفضيحة.
لقد جرّبتُ هذا العقل المتفكّر ، وسأختار الجنون بعد هذا لنفسي».

حكم براعة الاستهلال لجميع أبيات الديوان :

من بـه هـر جـمعيّتى نـالان شـدم
جفت بـدحالان و خـوش‌حالان شـدم

هـر كسـى از ظـنّ خـود شـد يـار مـن
وز درون مـن نـجست أسـرار مـن

سـرّ مـن از نـالهٔ مـن دور نـيست
ليک چشم و گـوش را آن نـور نـيست

تن ز جان ، و جان ز تن مستور نيست
ليک كس را ديـد آن دسـتور نـيست[1]

ولذلك فإنّ عمل أولياء الله هو عمل الحقّ ، فهم قادرون على القيام بجميع الأعمال من شفاء المرضى وإحياء الموتى وإظهار المعجزات والكرامات وخوارق العادات والتصرّف في موادّ الطبيعة والقيام بالأعمال التي لا تنسجم أبداً مع العقل التجريبيّ الحسّيّ .

لكنّ النكتة المهمّة هنا ، أنّهم لا يصدر عنهم عمل غير صحيح ، ولا يفعلون ما يخالف الحكمة والمصلحة ، ولا يخطون خطوة في إلحاق

١ـ «مثنوي مولوي» ج ١ ، ص ١ ، السطر ٤ ، طبعة آقا ميرزا محمود.

يقول : «علا صوت أنيني في كلّ نادٍ وجمع ، ورافقت ذوي الأحوال السيّئة والحسنة. فخُيّل لكلّ منهم أنّه صار رفيقي وصاحبي ، بَيدَ أنّ أحداً لم يطّلع على سرّي ومكنون ضميري .

إنّ سرّي مودع في أنيني وشجوي لا ينفكّ عنهما ، لكنّ أعين الآخرين وآذانهم ينقصها ذلك النور فقصرت عن أن تسمع أو ترى.

لقد اقترن البدن بالروح فلم يغبْ أحدهما عن الآخر أو يستتر عنه يوماً ، ولكن لم يُعهد من أحد أن يرى الروح عياناً».

الضرر والأذى بالبشر ، وذلك لأنّهم بالفرض اسم الله ؛ والله لا يفعل شيئاً عبثاً ولغواً ولهواً . إنّ عمل أولياء الله الحقيقيّين من اللطافة والدقّة والظرافة وفقدان الاسم والأثر والظهور ، بالقدر الذي يحصل أحياناً بدون أن يعلموا هم أنفسهم بأفعالهم ، فهم يفعلون ذلك لكنّ نفوسهم ومُثُلهم تفتقد الاطّلاع على ذلك . ولو حدثَ أن قطّعت وليَّ الله إرباً إرباً ، أو فصلت مفاصله واحدة واحدة ، ولو سلختَ جلده عن بدنه حال حياته ، لما فعل شيئاً خلاف رضا الله سبحانه . ولذلك نرى أنّ الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، مع هذه السعة فيالعظمة والامتداد في القدرة الروحيّة والتكوينيّة ، لا يستجيبون لجميع طلبات الناس وأدعيتهم ، وذلك لعدّة أسباب :

الأوّل : أنّ أغلب أدعية الناس غير جادّة ، ولا تصدر من أعماق قلوبهم . فما أكثر أدعية الناس التي تصدر للعادة والتقليد والاستناد على الأسباب الظاهريّة والاعتماد على الأُمور الاعتباريّة ، وفي هذه الحال فإنّ حقيقة الدعاء لا تنبع من ضمائرهم وقلوبهم ؛ ولولا ذلك فإنّ هذه الأدعية والرغبات كانت ستستجاب في حال الاضطرار والانقطاع الكامل .

أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ .[1]

الثاني : أنّ الأدعية تنصبّ غالباً على المنافع الشخصيّة مع الإعراض عن المنافع العامّة . أي أنّ الشخص الذي يدعو ، يطلب لنفسه شيئاً خاصّاً لو استجيب له فيه لاستلزم ذلك سلب ذلك الشيء منه .

فقد يتوسّل امرؤ بالإمام مثلاً فيدعو بإصرار من أجل أن يرتفع عنه ظلم جاره ، مع أنّه نفسه يُلحق في بيته وباستمرار ظلماً أشدّ بزوجته لا يعلم عنه أحد شيئاً ؛ فإن استجاب الله دعاءه بحقّ جاره فأهلكه ، فإنّه سيكون قد

١ـ صدر الآية ٦٢ ، من السورة ٢٧ : النمل .

ألحق الظلم والحيف بامرأة هذا الظالم ، وذلك لأنّ ظلمه لزوجته سيدوم . ولو استجاب الله بشأن جميع الظَّلَمة بمقتضى سعة أسمائه الجلاليّة لتوجّب من ذلك أن يهلك في الوهلة الأُولى نفس هذا الرجل ، لأنّه يظلم امرأته في بيته !

لكنّ الإنسان يُحسن الظنّ بنفسه دوماً فلا يعد ظلمه قبيحاً ، بل لا يرى ظلمه ظلماً وتعدّياً ، وحينذاك يدعو لرفع ظلم الغير . ومن ثمّ فإنّ أمثال هذه الأدعية لا تستجاب لأنّ مآلها هلاك جميع الظلمة من جملتهم نفس الداعي .

الثالث : أنّ أدعية الناس هي غالباً خلاف مصلحتهم ، أي أنّهم يطلبون وفق فكرهم وتعقّلهم شيئاً ويلحّون في طلبه ، فإن استجيب لهم فيه كان فيه ضررهم . لكنّهم ـ باعتبار وقوعهم في ستار الحجاب وعدم اطّلاعهم على الأسرار ـ يتخيّلون في الغالب منفعتهم . ولذا فإنّ الناس غافلون عن المصالح والمفاسد المعنويّة والحقيقيّة ويتصوّرون المصلحة والمفسدة على أساس الإفراط في الشهوة والتمتّع باللذائذ الدنيويّة الخسيسة ، واكتناز المال والثروة وما أشبه ذلك ، سواء أدّى ذلك إلى استقرار بالهم أم إلى تعكيره ، وسواء أبقى ذلك على تحرّر روحهم أم لم يبقِ ، وسواء أتعبَ ذلك نفوسهم أم لم يتعبها ؛ وبشكل عامّ سواء زاد ذلك في درجتهم ومقامهم العلمي وقربهم من الله سبحانه أم لم يزد ؛ في حين أنّ هذا النمط من التفكير خلاف صالحهم . فكم من ملعقة من الحلويات اللذيذة كانت باعثاً على إيجاد السمّ القاتل في أبدانهم ! وكم ساقتهم زيادة الثروة واكتناز الذهب إلى الطغيان والتمرّد ! وما أكثر ما دعتهم صحّة مزاجهم وعافيتهم إلى الغفلة والمرح والفخر ! وما أكثر ما دعتهم قدرتهم البدنيّة والبطوليّة إلى تمريغ منافسهم في التراب ، وأدخلتْ إلى نفوسهم

العُجب والغرور ! وأمثال ذلك كثير . فهم سيكونون حينذاك قد جَنَوْا منفعة قليلة ومؤقّتة أعقبتهم مضرّة كثيرة ودائمة دون أن يعلموا بذلك . وعند ذلك يذهب هؤلاء المساكين إلى اللهو واللعب ، ويسمّرون أنظارهم على اللذّات الفانية لا يتعدّونها ، جاهلين بالتعب والنَّصَب والتداعي الروحيّ الذي لحقهم .

كان سماحة السيّد الحدّاد قدّس الله سرّه يقول : أرى الناس في جميع المشاهد المشرّفة يُلصقون أنفسهم بالضريح ويضرعون باكين بالدعاء فيقولون: أضفْ خرقة إلى خرق لباسنا المتهرّئ ليصبح أثقل. وليس هناك مَن يقول : خذ هذه الخرقة منّي ليخفّ كاهلي وليصبح ردائي أبسط وألطف وأرقّ !

إنّ حاجات الناس تنصبّ غالباً على الأُمور المادّيّة ولو كانت مشروعة ،كأداء دَين ، أو الحصول على رأس مال للتجارة والكسب ، وشراء بيت ، والزواج من فتاة ، وشفاء مريض ، والقيام باستضافة الناس وإطعامهم في شهر رمضان وأمثال ذلك . وهذه الأُمور جيّدة لو أدّت إلى قرب الإنسان وتجرّده ، لا إلى زيادة شخصيّته وأنانيّته وتقوية وجوده . لأنّ تقوية الوجود هذه ستؤدّي إلى ثقل النفس وبُعدها عن سبيل الله ، لا إلى خفّة النفس وانبساطها وقربها .

إنّ العمل الصالح للبشر وصلاحه الحقيقيّ هو الذي يؤدّي إلى قُربه من الله تعالى وإلى تحرير نفسه ، سواء اقترن بالمنفعة الطبعيّة والطبيعيّة أم لم يقترن .

وبعبارةٍ أُخرى فإنّ مجموعة الإنسان ليست كمجموعة الحيوان والنبات والجماد ليلحظ فيها البدن فقط ، بل إنّ الإنسان يمتلك نفساً ناطقة وقابليّة للارتقاء إلى أعلى علّيّين . فإن قَصَرَ عنايته على البدن وأبهج بذلك

نفسه ، فقد أصابه الضرر وأيّما ضرر ! فهو قد باع حقيقة وجوده وثمرة حياته بثمن بخس ، وبقي محروماً في ميدان اللهو الدنيويّ . ولو أراد الأئمّة عليهم السلام في مثل هذه الافتراضات أن يقضوا حاجات الجميع ويستجيبوا لجميع الأدعية لكانوا قد ساروا خلاف مصالحهم .

إنّ الأئمّة هم مصلحو عالم البشريّة ، فهم في حكم الطبيب الذي يصف للمريض الأغذية والأدوية المُرَّة أحياناً ، ويجري له العمليّة الجراحيّة والتزريق ، وينصحه بالامتناع عن بعض الأغذية ، ويداويه بالجوع أحياناً أُخرى . أمّا العقلاء فيُدركون ذلك ولا يتمرّدون على تعاليم الطبيب ، وأمّا الجهلة وعبدة الشهوات أو الأطفال الذين لا كافل لهم ، فلا يُعيرون ذلك أُذناً صاغية ، ويقومون من ثمّ بحفر قبورهم بأيديهم .

وبالطبع فإنّ نفس الالتجاء والدعاء يمتلك المحبوبيّة ، وهؤلاء المتوسّلون والداعون يحصلون على أجر معنويّ ، ويحسّون ببهجة ونشاط وصفاء في هذه العتبات المشرّفة ويتمتّعون بلذّة الدنيا والعبادة . ونحن نشاهد أحياناً أنّ حاجاتهم تقضى حين تقتضي المصلحة ذلك ، فيشفى المرضى المشرفون على الموت والعميان والمشلولون ، فيعودون إلى أوطانهم وقد نالوا مرادهم وقضيت حاجاتهم .

كما أنّه لا اختصاص بقضاء الحاجات بالأعتاب المباركة لثامن الأئمّة عليه السلام ، فهذا الأمر عامّ في جميع العتبات المباركة الأُخرى ، ولقد سمعنا في حياتنا من كرامات كلّ واحد من هؤلاء العظام في كلّ مكان بالقدر الذي يضيق على الحصر والعدّ ، حتّى أنّ هذا الحقير حين كان منزلنا في طهران كان يتشرّف كثيراً بزيارة السيّد عبد العظيم الحسنيّ سلام الله عليه ، وكنت أدعو في ذلك المحلّ المبارك ، فلا أذكر أنّي دعوت بشيء ولم يُستجب لي فيه .

ولقد كان منزلنا يقع في زقاق «حمّام وزير» ، وكان هناك رجل يعمل في خياطة الأحذية وإصلاحها ، وكنا نُصلح أحذيتنا عنده . وأذكر جيّداً أنّه جاء إلى منزلنا يوماً باكياً وشرح لوالدي الذي كان عالِم المحلّة تفصيل ما وقع له ، وكنت آنذاك صغيراً .

قال : إنّ من عادتنا نحن الحذّائين أن نضع في فمنا قدراً من المسامير التي نريد تثبيتها في الأحذية ، ثمّ نستخرجها واحداً فواحداً فنسمّرها في الحذاء . وكنتُ يوماً قد وضعتُ في فمي قدراً من هذه المسامير السوداء (المسامير الطويلة المدبّبة المعهودة في إصلاح الأحذية) وذلك لتثبيتها في أحد الأحذية . فجاء أحد الأشخاص فجأة وشرع بالتحدّث معي ، وهكذا غفلت عن المسامير في فمي فابتلعتُها فجأة .

لقد تجسّد الموت آنذاك أمام ناظري ، فها هي معدتي وأمعائي ستتقطّع إرباً إرباً ، فما كان منّي إلّا أن أغلقت دكّاني بلا تأخير وهرعت إلى السيّد عبد العظيم عليه السلام والتجأت إلى ضريحه فألصقت نفسي به وضرعتُ إليه : **أيّها السيّد الكريم !** أنت تعلم أنّ لديّ عائلة كبيرة ، وها أنا قصدتُك أُريد شفائي منك !

كان وضعي منقلباً حينها ، وهكذا خرجت من حضرته وجلست إلى جانب الحوض وسط الصحن ، فأحسست فجأة بحالة تقيّؤ تعتريني ، فخرج ما في معدتي ورأيتُ فيه جميع تلك المسامير !

أمّا بالنسبة لقضاء حوائج الناس من قِبَلِ الإمام الرضا عليه السلام فلا يتّسع له الحصر والعدّ ، والحقير يعرف بعض الأرامنة في طهران من الذين كانوا ينذرون للإمام الرضا عليه السلام لقضاء حوائجهم ويذهبون إلى مشهد المقدّسة فيصحبون معهم سجّادة أو رأساً من الغنم أو قطعة من الذهب ، لأداء نذرهم .

يقول المرحوم المحدِّث القمّيّ : يقول المؤلّف : لقد ذُكرت في كتب المعجزات وخاصّة كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» تأليف الشيخ **الصدوق** عليه الرحمة كرامات ومعجزات كثيرة للروضة المقدّسة الرضويّة على مشرّفها السلام ، لا مجال لذكرها في المقام ، على أنّ المعجزات والكرامات التي تظهر في كلّ زمان هي بالقدر الذي يغني عن نقل الوقايع السابقة .[1]

وأقول أيضاً : ولا ينبغي أن تستبعد هذا الأمر ، فتلك المعجزات والكرامات التي ظهرت من هذه المشاهد المشرّفة ووصلت حدّ التواتر هي أكثر من أن تُحصى . ولقد حصل في شهر شوّال السابق ، لسنة ألف وثلاثمائة وثلاث وأربعين (هجريّة قمريّة) أن أشفى ثامن الأئمّة الهداة وضامن الأُمّة العصاة **مولانا أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا** صلوات الله عليه في الحرم المطهّر ثلاث نساء مقعدات بالشلل وغيره ،كان الأطبّاء قد عجزوا عن علاجهنّ . وهذه المعجزات لذلك القبر المطهّر قد بانت وظهرت للملأ ناصعة كالشمس في السماء الصاحية ، وكان من شأنها انفتاح بوّابة النجف الأشرف أمام أعراب البادية . ولقد كانت هذه القضيّة من الوضوح والاشتهار بحيث صادق عليها الأطبّاء الذين كانوا قد اطّلعوا على مرض هؤلاء النسوة بالرغم من تبيّنهم للأمر ودقّتهم المتناهية فيه ، بل إنّ بعضهم كتب مصادقته على شفائهنّ ، ولولا مراعاة الاختصار وضيق المجال لنقلنا قصّتهن بالتفصيل . **وَلَقَدْ أَجَادَ شَيْخُنَا الحُرُّ العَامِلِيُّ فِي أُرْجُوزَتِهِ :**

١ـ «هديّة الزائرين» ص ٢٨٤ و ٢٨٥ (بالفارسيّة) ، الطبعة الحجريّة ، في فضيلة زيارة الإمام الرضا عليه السلام ، وقد أوردنا في المتن الترجمة العربيّة.

وَمَا بَدَا مِنْ بَرَكَاتِ مَشْهَدِهْ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَمْسُهُ مِثْلُ غَدِهْ
وَكَشِفَاءِ العُمْيِ وَالَمْرضَى بِهِ إجَابَةُ الدُّعَاءِ فِي أَعْتَابِهِ[1]

وكان من دأب الحقير في جميع كتاباتي أن أنقل ما رأيته بنفسي ، أو ما ذكره لي بعض الثقات المعروفين والمشهورين بلا واسطة ، لا أن أذكر ما سبق أن دوّنه السابقون شكر الله مساعيهم في كتبهم ودفاترهم ؛ وبعبارة أُخرى فقد اعتمدتُ الدراية والمشاهدة لا الرواية والمحاكاة . لذا فقد رغبت هنا في نقل قضيّتَين فقط من معجزات الإمام الرضا عليه السلام حصلتا لبعض أقاربنا القريبين ، وقضيّتَين سمعتهما من الثقات الأعلام والأعاظم من الآيات والرجال . وأمّا القضيّتان المتعلّقتان بالأقرباء ، فأُعرض عن ذكر إحداهما باعتبار أنّها وقعت لشخص لا يزال بحمد الله ومنّته على قيد الحياة ، وأكتفي بذكر حكاية حال الشخص الآخر الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى .

لقد كان أحد أرحامنا القريبين شابّاً وسيماً وناجحاً ، يفيض قوّةً ونشاطاً ، وكان يتّجر في السوق ، وحدث أن ابتلي فجأة بمرض في إحدى عينيه فَقَدَ على أثره القدرة على الإبصار . ومرّت الأيّام دون أن تتحسّن حاله ، فراجع الأطبّاء السابقين المعروفين في طهران ، مثل الدكتور حسن العلويّ ، والدكتور لشكري ، والدكتور محسن زاده ، والدكتور ضرّابي

١ـ «مفاتيح الجنان» ص ١٤٩ و ١٥٠ ، طبعة الإسلاميّة ، بخطّ طاهر خوشنويس، سنة ١٣٧٩ ، أعمال الليلة السابعة والعشرين من رجب.

وقد ضُبطت أبيات المرحوم الشيخ الحرّ العامليّ بلفظ **وكَشْفَا العِمَى** ، وربّما أخطأ الناسخ في الكتابة لأنّ الصواب هو **وَكَشِفَاءِ العُمْيِ** ، لأنّ شفاء بالمدّ لا بالقصر : **شَفَى يَشْفِي شِفَاءً، وعُمْي** ـعلى وزن **حُمْر** ـ : جمع **أَعْمَى** ؛ يشهد على ذلك عطف كلمة **مَرْضَى** وهي جمع مريض على كلمة **العُمْي**.

وأمثالهم ، فاتّفقت كلمتهم على أنّ العِرق الموجود في أدنى نقطة من العين والذي يغذيّ العين بالدم ، قد سدّت مجراه بقعة دمويّة متخثّرة نجمت من انقباض العرق وانبساطه ، وهكذا فقد انقطعت الرابطة الحيويّة للعين في التغذية الدمويّة ، وهي جلطة فيالعين لا علاج لها ولا عمليّة جراحيّة ، وقالوا له : إنّك لو ذهبتَ إلى جميع أقطار العالم فإنّ الأمر لن يتغيّر عمّا قلنا لك ، إلّا أنّ هناك احتمالاً ضعيفاً جدّاً وهو : أن تتحرّك هذه البقعة من مكانها بواسطة تسييل الدم وتقليل كثافته .

لذا فقد منعوا هذا الشخص من تناول الأغذية التي تزيد كثافة الدم ، كالبيض والسمن واللحم الأحمر وأمثالها ، وأعطوه أقراصاً لتسييل الدم استعملها بانتظام مدّةً بدون أيّة فائدة .

ثمّ ظهرت لديه تدريجيّاً عوارض أُخرى :

الأوّل : أنّ العين صارت تفقد حالتها العاديّة الأُولى ، فصارت تنقبض وتتجمّع ، وأخذت الأملاح تغطّي أطراف الأهداب ؛ لقد كانت عينه تموت . وكان الأطبّاء قد قالوا باحتمال سريان هذا المرض إلى العين الأُخرى ، حيث بدأت أعراض هذا المرض وآثاره تظهر على العين الأُخرى .

الثاني : أنّ انخفاض كثافة الدم وسيلانه بشكل غير عاديّ كان قد أدّى إلى ظهور نزيف دمويّ تحت اللثّة .

والثالث : أنّه صار يصاب بحالات تشنّج ورجفة ، فكان يرتجف طوال اليوم ، وبدنه يتشنّج بشدّة لخمس دقائق ولعشر دقائق ولنصف ساعة أحياناً .

وهكذا فقد تداعى هذا الشابّ القويّ الثريّ متهالكاً في البيت ، لا قوّة له ، وكان بيته (بيت والده في ذلك الوقت) يضجّ بأصوات بكاء الأقارب

والأرحام ليلاً ونهاراً ، فيرتفع نحيبهم حتّى يسمعه الجيران . وكان أقاربه وأرحامه يذهبون باستمرار لرؤيته ، فكان مجلسهم أشبه بمجلس العزاء ، لا تجفّ فيه دموع الواردين ولا أصحاب المنزل جميعاً .

ولقد انهارت معنويّات هذا الشابّ بسبب هذه الأعراض ، فلم يعد يستطيع أن يصمّم على شيء أو يختار شيئاً ، فكان يذهب حيثما أخذوه ويقبل ما يفعلونه به ، وكان متزوّجاً وله أطفال .

ثمّ عزم الأفراد المحيطون به آنذاك على إرساله إلى إسبانيا أو إلى النمسا ، فقدكان في هذين البلدين طبيبان عالميّان مشهوران في أمراض العيون . ثمّ رجّحوا بعد التشاور إرساله إلى النمسا ، وعملوا على تهيئة جواز سفر له بسرعة ، فأرسلوه من طهران إلى لندن بالطائرة بصحبة أحد الشباب الإيرانيّين الذين يدرسون هناك ، إلى النمسا ، وكانوا قد أخذوا موعداً من ذلك الطبيب .

ولو أمكنكم أن تتخيّلوا كيف نُقل هذا الشابّ إلى مطار «مهرآباد» طهران ذلك اليوم وقد جاء أبوه العجوز وأقاربه ومعارفه وأصدقاؤه لتوديعه ، وحاله في ضعفه ومرضه وعجزه عن صعود سلّم الطائرة ، لأمكنكم حقّاً تصوّر عظمة معجزة الإمام الرضا عليه السلام ممّا يصعب بيانه .

يصل الشابّ إلى لندن ، ثمّ يذهب بعد أيّام إلى النمسا فيرقد في أشْهَر مستشفيات العيون هناك تحت مراقبة ذلك الطبيب ، لكنّه يقول هو الآخر : لا فائدة من إجراء عمليّة جراحيّة . ثمّ لجأوا إلى استخدام الأجهزة التي تنتزع العين فكانوا يقومون بصبّ الأدوية في قعرها في محاولة لإزالة تلك البقعة الدمويّة بعمليّات أشبه بالعمليّات الفيزياويّة منها إلى العمليّات الكيمياويّة والدوائيّة ، ولكن دون جدوى .

ومرّ شهران كاملان قضاهما ذلك الشابّ هناك دون أيّة نتيجة ، على أنّ مرضاً آخر أُضيف إلى عينه ، فلقد دارت حدقة العين في مكانها فصار سوادها إلى الداخل وبياضها إلى الخارج !

وكان الطبيب يقول : إنّ كلّ ما يمكننا عمله بالمعالجة الطويلة هو أن نعيد العين إلى وضعها الأوّل ، أمّا الإبصار وعودة النور فذلك من المحال بالنسبة لي . وهذه الأحداث نقلها الشابّ لي بعد عودته . وأنقل هنا نصّ كلامه ، لبيان ما جرى له :

يقول الشابّ : كان جميع العاملات في تلك المستشفى من الراهبات النصارى اللواتي تركن الدنيا ، وقد رققن لحالي ، ولكن ما الذي كان بإمكان أُولئك المسكينات أن يفعلن ؟! كلّا ، لم يكن باليد من حيلة .

حتّى كانت ليلة ذهب فيها الشخص الذي كان يرافقني إلى لندن لقضاء أعماله الخاصّة ليعود فيعدّ مستلزمات عودتي . فنهضتُ ليلاً وصلّيت كثيراً ، ثمّ قلت : **يَا عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا !** أُشهدك أنّي كنت أتوسّل إليك في المهمّات وأُكْثِرُ من زيارتك . ولو كان أمري بيدي لما جعلتُهم يأتون بي إلى مدينة المسيحيّين والكفّار هذه ؛ ولجئتك حتماً فقبّلتُ أعتابك وأخذت حاجتي منك .

أنت الذي فعلت بي كذا ! وأنت الذي فعلت بي كذا ! وأنت وأنت ... وهكذا عدّدتُ الحوائج التي عجز عنها الجميع فقضاها الإمام لي ، وغرقتُ في البكاء . وقلتُ له :

لقد عُلِّمنا نحن الشيعة أنّ الإمام المعصوم يستوي لديه الموت والحياة ، ويستوي لديه شرق الأرض وغربها ، فأنا الآن أرى نفسي كأنّي واقف في حرمك المبارك وأندبك أن تهب لعيني شفاءها ! قلتُ هذا ثمّ رقدت ونمت نوماً مريحاً لساعات ، ثمّ شاهدت قرب طلوع الفجر الإمام

الرضا عليه السلام في عالم الرؤيا ، لكأنّ حقيقة الإمام وروحه كانت تنزل وتهبط شيئاً فشيئاً من عوالم الملكوت والحُجب التي لا توصف ، حتّى وقف بجانبي ببدنه وجسمه الخارجيّ وفي يده لوحة كُتبت عليها سطور خضراء تتوهّج بالنور ، فأعطاني تلك اللوحة وقال لي : اقرأ !

فشرعت بالقراءة ، ثمّ استيقظت بعد أن قرأت منها شيئاً فوجدت أنّ عيني قد عادت إلى حالتها الطبيعيّة وأنّها تبصر بشكل كامل !

ثمّ نهضتُ للصلاة فصلّيتُ في ظلام الليل ، ثمّ صلّيتُ صلاة الصبح وعُدت إلى سريري ، وصمّمت في نفسي أن لا أبوح بشيء أبداً .

ويبدو أنّه قد أُشير عليه في عالم الرؤيا بأنّ هذا من الأسرار فلا تُظهِرْ شيئاً ، وكان ذلك المرحوم يقول : لقد بُحتُ بهذا السرّ ، حتّى أنّي أَطلعتُ عليه بعض الرفقاء والأصدقاء العاديّين ، ولم يكن لي أن أفعل ذلك ؛ وكان يُظهر الندم على ذلك .

وفي موعد الفطور جاءت الممرّضات لغسل العين فعجبن من الأمر وأعلمنَ الأطبّاء بذلك ، ومن ثمّ فقد انتهى الأمر إلى ذلك الطبيب المعروف فجاء وفحص عيني ؛ فكانت كلمتهم جميعاً متّفقة :

أنّ هذا أمر خارق للعادة ! هذه معجزة للمسيح ! هذه معجزة ! هذه معجزة !

ولم أنبس ببنت شفة وقلتُ في نفسي : نعم ، هي معجزة ، ولكن لأُستاذ المسيح ومعلّمه وسيّده .

وقد نقل الحقير ، بعد مرور ثلاثين عاماً تفاصيل هذه الواقعة ، إلى الصديق العزيز الكريم : الدكتور السيّد حميد السجّاديّ وفّقه الله تعالى وهو من أطبّاء العيون المعروفين في العالم ، فقال : هذا صحيح ! وكما تصفون فإنّ هذا المرض لا يمكن علاجه في العالم ، ولا يمكن أن يكون لشفائه

علّة إلّا المعجزة .

ثمّ أضاف : كان أحد مرضانا الرجال قد تجمّع في قزحيّة عينه ماء ، وكنّا قد أعطيناه موعداً في يوم معيّن لإجراء عمليّة جراحيّة ، لكنّه جاء قبل العمليّة فقال : لقد ذهبتُ عند مولاي الإمام الرضا عليه السلام وأخذتُ منه شفائي . فأعدنا فحص عينه ومعاينتها ، فرأينا أن لا أثر لماء القزحيّة على الإطلاق !

وكان الدكتور يقول : يمكن أحياناً أن يزول ماء القزحيّة تلقائيّاً ، ولكنّ ذلك يحصل خلال مدّة طويلة ، ولم يكن قد سبق لي أن شاهدتُ أنّ ماء القزحيّة يزول في عدّة أيّام ، لذا فلم يكن ذلك إلّا معجزة لثامن الأئمّة عليه السلام .

وأمّا القصّتان المنقولتان عن الأعلام ، **فالأُولى** : قضيّة نقلها للحقير أُستاذنا المكرّم آية الله المرحوم الشيخ مرتضى الحائريّ قدّس الله سرّه في جلسة لقاء معه في مشهد المقدّسة ، خلال سفره بين الثاني عشر من شهر رمضان المبارك إلى الثالث من شهر شوّال المكرّم لسنة ١٤٠٠ هجريّة قمريّة .

وقد تفضّل بالقول : حكى لي آية الله الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الأراكيّ، وهو رجل مسنّ من علماء أراك البارزين يقرب عمره من التسعين سنة ، ولا يزال على قيد الحياة حتّى الآن ، وهو الأخ الأكبر لآية الله الشيخ مجتبى الأراكيّ الساكن في قم ، ومن رفقائنا المخلصين ، ولا محلّ للشكّ في كلام هذين الأخوين . قال :

لقد ابتُلِيَتْ زوجتي في شبابها وقبل زواجها بألمٍ شديد في عينيها ، فعالجتهما مدّة في أراك وهمدان بلا فائدة ، حيث يئس الأطبّاء هناك من تحسّنها وأعلنوا عجزهم عن معالجتها ، وكانت عيناها تقتربان من العمى ،

حتّى أشرفت هذه الفتاة على فقدان البصر .

وكان والداها مضطرَبينِ قلقَينِ ، فسمعا أنّ صاحب الحاجة لو سافر إلى مشهد المقدّسة ، فأقام فيها أربعين يوماً بعنوان الزيارة وقضاء الحاجة لقضيت حاجته . فاصطحبا ابنتهما إلى أرض مشهد المقدّسة وقصدا الإقامة فيها أربعين يوماً ، وكانا دوماً في حال اضطرار والتجاء ، لا ينقضي تضرّعهما واستكانتهما .

وصادف أن عينَيْ الفتاة لم يشاهد فيهما أيّ تحسّن ، بل كانت القدرة على الإبصار تتناقص فيهما شيئاً فشيئاً ، فصارت تعجز عن التشرّف بالذهاب إلى الحضرة المطهّرة وتقضي الأيّام حبيسة البيت . حتّى شارفت الأربعون يوماً على الانتهاء ، وكان الأبوان حزينَينِ مهمومَينِ يقولان في ضجر وانفعال : وا أسفاه ! لقد انقضت الأربعون يوماً بغير فائدة ! وحدث في اليوم أو اليومين الأخيرين أن كانا مشغولَينِ بجمع أمتعتهم استعداداً للعودة ، فسقط شيء من سقف الغرفة أشبه بقطعة من الجصّ أو ذرق طائر ، فأُلهم قلباهما أنّ هذا هو دواء عينَيْ ابنتهما ، فعمدا فوراً إلى طحنه وخلطه بالماء ، ثمّ قطّراه في عينيها ، فشفيت **كَأَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً !**

ثمّ بقوا عدّة أيّام أُخرى للتشرّف بالزيارة مع ابنتهما ، ثمّ حزموا الأمتعة وعادوا إلى أراك .

والقصة الثانية : نقل سماحة آية الله الحاجّ السيّد علي اللواسانيّ دامت بركاته ـ ابن المرحوم آية الله الحاجّ السيّد أبي القاسم اللواسانيّ وصيّ المرحوم آية الله السيّد أحمد الكربلائيّ الطهرانيّ ـ للحقير يوم الأحد من شهر صفر الخير لسنة ١٤٠٤ هجريّة قمريّة في منزل الحقير في مشهد المقدّسة الرضويّة على مشرّفها السلام حكاية شيّقة من كرامات الإمام . وهذه الحكاية متعلّقة بابنة المرحوم السيّد علي النقي الحيدريّ صاحب

كتاب «أُصول الاستنباط» ابن المرحوم آية الله السيّد مهدي الحيدريّ صاحب كتاب «جنگ إنگليس وعراق»[1] ابن المرحوم السيّد أحمد الحيدريّ باني الحسينيّة الحيدريّة في الكاظميّة .

وكانت ابنة المرحوم السيّد علي النقي الحيدريّ قد تزوّجت قبل عشرة سنوات تقريباً فلم تنجب أطفالاً ، فقدمت يوماً مع جمع من أرحامها وبدون زوجها مسافرة من الكاظميّة نحو أرض مشهد المقدّسة لزيارة القبر المطهّر للإمام **عليّ بن موسى الرضا** عليه السلام .

ثمّ جاءت يوماً إلى بيتنا لزيارة الأهل ، وكان لهم مع بعضهم علاقة ممتدّة ، فرحّب بهم أهلنا ؛ لكنّهم رأوا الهمّ والغمّ يكتنفهم ، فسألوهم عن السبب فقالوا : لقد تزوّجت هذه الفتاة منذ سنين طويلة فلم تنجب حتّى الآن ، وقد صمّم زوجها على الزواج بأُخرى ، وحين علمت الفتاة بهذا النبأ تنكّد عيشها وصار مُرّاً ، وصارت لا تميّز ليلاً من نهار ؛ فهي قلقة مضطربة يغمرها الذبول والذهول .

فقال لهم أهل بيتنا : إنّ مَن يأتي لزيارة الإمام الرضا عليه السلام فيطلب ثلاث حاجات فإنّ تلك الحوائج أو أحدها (الشكّ من الناقل) ستُقضى . فانهضي الآن وتوضّأي وتشرّفي بالذهاب إلى الضريح المطهّر واطلبي من الإمام أطفالاً !

فنهضت الفتاة فتوضّأت وتشرّفت بالذهاب إلى الضريح المطهّر وابتهلت بالدعاء ، ثمّ عادت هذه العائلة بعد زيارة مشهد المقدّسة إلى الكاظميّة .

يقول آية الله الحاجّ السيّد علي اللواسانيّ : اعتدنا على التشرّف

١ـ «الحرب الإنجليزيّة العراقيّة».

بالذهاب لزيارة العتبات المقدّسة مرّة كلّ عام ، وكـنّا نـقضي فـصل الشـتاء هناك . وحين تشرّفنا بالذهاب إلى الكاظميّة وذهـبنا إلى مـنزل المـرحـوم الحيدريّ ، سمعنا صراخ طفل رضـيع وشـاهدنا أهـل البـيت لا يـتمالكون أنفسهم فرحاً وابتهاجاً ، وقالوا لنا : حالما عدنا مـن أرض مشـهد المـقدّسة وقام زوج هذه المخدّرة بمضاجعتها فإنّها حملت منه على الفور ، وهـا قـد انقضت أشهرٌ تسع فولد لها طفل هو أفضل وأحلى مواهب وعـطايا ثـامن الأئمّة عليه السلام التي وصلتنا .

ضيافة آية الله العظمى الحاجّ السيّد محمّد هادي الميلانيّ لسماحة الحدّاد

كانت الليلة الأخيرة لتوقّف الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ الحدّاد فـي مشهد المقدّسة في ضيافة أعدّها له سماحة آية اللـه العـظمى الحـاجّ السـيّد محمّد هادي الميلانيّ في مدرسته ، دامت من بعد صلاتي المغرب والعشاء إلى قدر من الليل .

وقد حازت تلك الضيافة أهمّيّة كبيرة ؛ فقد حضرها أوّلاً جميع رفقاء سفره ومعارفه من طهران وهمدان وإصفهان وشيراز ، يقرب عـددهم مـن سبعين إلى ثمانين نفراً ، كان من بينهم آية الله الحـاجّ الشـيخ حسـن عـلي نجابت الشيرازيّ مع جميع تلامذته في السلوك ومرافقيه ، وكان حضور هذه الجماعة بهذا العدد من الأُمور المهمّة .

وثانياً فقد حفلت المائدة التي بُسطت في ساحة المدرسة وقت العشاء بأنواع الأغذية على أحسن وجه وأكمله ، يصدق في شأنها : **وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ** .

وكان ذلك في الأوقات التي كان سماحته فيها مراقباً من قبل جهاز الأمن (السافاك) أشدّ رقابة ، فكان أحد مأموريهم يقف دائماً في وسط الزقاق والآخر في رأس الزقاق ، يراقبان الواردين ويستفسران عن هويّة الداخلين عليه ، فلم يكن ارتياد بيته من قِبَل عامّة الناس ممكناً ، بل كان ذلك منحصراً بخصوص أفراد عائلته وأمثالهم . وكانت الصلاة ـ التي يقيمها في الصحن الواقع جهة قدمَي الإمام عليه السلام ـ تحت المراقبة ، وكان طريق عبوره للصلاة منحصراً عن طريق صحن المتحف ، لئلّا يقابل أحداً من الناس .

ولهذا فقد كانت استضافته لسماحة السيّد الحدّاد بهذه الخصوصيّات مثيرة لأسئلة جهاز الأمن : مَنْ يكون هذا السيّد ؟ ولماذا حلّ في ضيافته ؟ ومن هم هؤلاء الأفراد من أهل العلم وغيرهم ؟ أيجوز أن يكون لديهم خطّة للتآمر على أمرٍ ما ؟

ولذا ، فقد قامت مديريّة الأمن بمحاصرة المدرسة بمأموريها وقت تناول العشاء وبمراقبة جماعته عند خروجهم من المدرسة . حتّى قيل إنّ مسير سماحة السيّد الحدّاد من المدرسة إلى الفندق الواقع في سوق «حاجّ آقا جان» كان يمرّ من الصحن المطهّر ، لذا فقد قام مأمورو الأمن ـ بمجرّد دخول السيّد إلى الصحن ـ بامتطاء درّاجاتهم وأسرعوا بالتوجّه إلى أبواب الصحن المختلفة لمعرفة خروجه ومحلّ إقامته ، ثمّ جاءوا إلى الفندق بعد خروجه من باب سوق «سنگتراشها» المعاكس لجهة القِبلة ، وظلّوا حتّى الصباح يتردّدون على الفندق وباقي منازل المعروفين من مرافقيه .

وفي الصباح ، كان السيّد يقف مع رفقائه الطهرانيّين ومَن لحق بهم ، وكان عددهم يقارب عدد ركّاب سيّارة ركّاب كبيرة (حافلة) ، وكان عليهم أن يتحرّكوا للسفر من موقف السيّارات السابق في مشهد ، وقد تواجد

مأمورو الأمن هناك أيضاً ، حتّى أنّ رئيس دائرة الأمن في مشهد جاء بنفسه إلى موقف السيّارات واستفسر من الشباب الشيرازيّين الذين جاؤوا للتوديع : مَن هذا السيّد ؟ فكانوا يقفون صامتين في أدب دون أن يجيبوا على سؤاله ، لذا فقد كان هائجاً وعصبيّاً جدّاً .

ثمّ تحرّكت سيّارتنا من مشهد إلى طهران ، فوردت محطّة توقّف شركة نقليات «ميهن تور» في شارع ناصر خسرو بطهران ، وبمجرّد أن هبطتُ من السيّارة شاهدتُ شخصاً مجهولاً يقترب منّي من جنب ساحة المحمولات ويسأل : مَنْ هذا السيّد ؟ قلت : إنّ اسمه **الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد** ، من الزوّار الكربلائيّين ، وقد جاء للتشرّف بزيارة مشهد ، وها هو يعود مع مصاحبيه .

نعم ! كان السيّد يقول : كان بلاء عجيب يلاحقنا تلك الليلة ، وقد أزاله الله عنّا ببركة الإمام الرضا عليه السلام. [1]

١ـ كان السيّد يقف في محطّة السيّارات في مشهد ينتظر ركوب السيّارة والتحرّك إلى طهران، ولم يكن أحد ليعلم ما كان يدور في ضميره وباطنه في وداعه للإمام الرضا عليه السلام. وكان الحقير يقف إلى جانبه فسمعته يتمتم بهذا البيت عدّة مرّات:

فَأَنْـتُمُ المَـلأُ الأَعْـلَى وَعِـنْدَكُـمُ — عِلْمُ الكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّوَرُ

وهو من جملة أبيات أنشدها أبو نواس في مدح الإمام عليّ بن موسى الرضا، وهي موجودة في تأريخ «وفيّات الأعيان» لابن خلّكان ، ج ٣ ، ص ٢٧١ ؛ وتمام الأبيات:

مُـطَهَّرُونَ نَـقِيَّاتٌ جُـيُوبُهُمُ — تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا
مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَوِيّاً حِيَن تَنْسِبُهُ — فَمَا لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مُفْتَخَرُ
اللَـهُ لَـمَّا بَـرَا خَـلْقاً فَأَتْـقَنَهُ — صَفَّاكُمُ وَاصْطَفَاكُمْ أَيُّهَا البَشَرُ
فَأَنْـتُمُ المَـلأُ الأَعْـلَى وَعِـنْدَكُمُ — عِلْمُ الكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّوَرُ

وكذلك فقد أنشد في مدحه عليه السلام هذه الأبيات حسب رواية كتاب «النقض» ص ٢٤٥ ، و«وفيّات الأعيان» في أحوال الإمام الرضا عليه السلام ، ج ٣، ص ٢٧٠ : ⇦

سفر سماحة الحدّاد
لزيارة المرقد المطهّر للمعصومة سلام الله عليها
وسفره لمدينة إصفهان

تشرّف سماحة الأُستاذ الفقيد المرحوم الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ خلال مدّة توقّفه في طهران ولعدّة مرّات بزيارة السيّد عبد العظيم الحسنيّ سلام الله عليه ، والسيّد حمزة وهو أحد أبناء الأئمّة ، والشيخ الصدوق (ابن بابويه) ، وكانت حركته من طهران صوبَ تلك البقاع المقدّسة بعد صلاة الصبح ، وكان يقضي هناك الفترة بين الطلوعين وقدراً من الوقت بعد طلوع الشمس ، ثمّ يعود إلى طهران بعد ساعة من بدء النهار تقريباً .

هذا وقد عزم بعد عودته من مشهد المقدّسة على زيارة السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في مدينة قم ، ومنها إلى إصفهان بناءً على دعوة الأحبّة والأعزّاء من الأصدقاء الإصفهانيّين ، ومن بينهم الحاجّ محمّد حسن شركت الإصفهانيّ ، وكانوا قد دعوه لزيارتها ولزيارة مساجد وقبور العظماء في مقبرة «تخت فولاد» .

وهكذا فقد كنّا في خدمته ابتداءً في قم لمدّة ثلاث ليالٍ ، ومن ثمّ في إصفهان لليالٍ أربع ، ثمّ لليلةٍ واحدة في قم أيضاً .

وكانت زيارته لقبر السيّدة المعصومة سلام الله عليها في قم بعد طلوع بياض الفجر ، أي أنّه كان يتشرّف بالذهاب للحضرة المطهّرة بعد طلوع

⇦ قِيلَ لِي أَنْتَ أَشْعَرُ النَّاسِ طُرَّاً إذْ تَفَوَّهْتَ بِالكَلَامِ البَدِيهِ
لَكَ مِنْ جَوْهَرِ الكَلَامِ قَرِيضٌ يُثْمِرُ الدُّرَّ فِي يَدَيْ مُجْتَنِيهِ
فَلِمَاذَا تَرَكْتَ مَدْحَ ابْنِ مُوسَى وَالخِصَالَ الَّتِي تَجَمَّعْنَ فِيهِ
قُلْتُ : لَا أَهْتَدِي لِمَدْحِ إمَامٍ كَانَ جِبْرِيلُ خَادِماً لأَبِيهِ

الفجر الصادق بقليل ، فيصلّي عدّة ركعات للنافلة وصلاة التحيّة وصلاة الصبح . وبعد قدر من التفكّر والتأمّل يزور في زاوية الرواق فيما بين الطلوعين ، ثمّ كان يأتي إلى بعض المقابر مثل مقبرة **عليّ بن جعفر** أو مقبرة «شيخان» أو مقبرة المرحوم الحاجّ الشيخ . ولم يكن ليدور بين القبور ، بل كان يقف في زاوية فيتطلّع إلى المقبرة ، بعمق ثمّ يقرأ الفاتحة ويستغفر لهم ، ثمّ يعود إلى المنزل بعد طلوع الشمس بساعة تقريباً .

ولمّا كان الفصل صيفاً والحوزة قد عطّلت دروسها ، فلم يكن الكثير من أعاظم الحوزة وفضلائها موجودين آنذاك ، لكن البعض ـ وقد علم بوجوده ـ جاءَ لملاقاته . وكان سماحة أُستاذنا العلّامة الحاجّ السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ نوّر الله مرقده موجوداً لم يسافر وقتها ، فقلتُ للسيّد الحدّاد : أتحبّون أن أُعلمه ليأتي للقائكم ؟!

أجاب : لي رغبة شديدة في لقائه ، ولكنّنا سنتشرّف بالذهاب إليه ، فلا تدعه يتكلّف بالقدوم بنفسه .

لذا فقد قام الحقير بأخذ موعد من سماحة الأُستاذ ، وتشرّفنا بالذهاب إليه قبل الظهر بساعتين تقريباً (عند الضُّحى) . وبعد السلام والمعانقة والاستفسار عن أحوال بعضهما البعض والقيام بواجبات الاستقبال ، فقد دام المجلس حدود ساعة واحدة لم يجر فيها تبادل الحديث ، بل كان هذان الشخصان الجليلان يجلسان صامتَين . وكان هذا بالطبع ظاهر الأمر ، أمّا حديثهما المتبادل في باطنهما وما حصلا عليه من التطلّع إلى سيماء أحدهما الآخر ، فهي حقائق تفوق مستوى أفكارنا وعلومنا ، لا يطّلع عليها إلا الله المتعالى ورسوله وأولياؤه الحقيقيّون .

وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ .[1]

١ـ صدر الآية ١٠٥ ، من السورة ٩ : التوبة .

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم مبتهجاً كثيراً من المقبرة المعروفة بـ «شيخان» وكان يقول : إنّها تفيض بالنور والبركة ، والله وحده يعلم ما هي النفوس الزكيّة والطيّبة التي دُفنت هنا . وليس هناك من مكان يماثل هذه المقبرة نورانيّة ورحمة ـ بعد القبر المطهّر للمعصومة ـ الذي جعل فضاء قم وأطرافها رحباً وواسعاً ونورانيّاً يبعث على النشاط ، حتّى كأنّ بركاتها قد أزالت التعب والكآبة من أرض قم وترابها . يماثل هذه المقبرة نورانيّة ورحمة .

ومن الجدير بالطلّاب وسائر الناس أن يهتمّوا بهذا المكان أكثر ، ويستفيدوا من فضائله وفواضله المعنويّة والملكوتيّة ، وأن لا يَدَعوا هذه الآثار تمّحي وتنالها يد النسيان والاندثار ـ انتهى كلام الحدّاد .

وتضمّ هذه المقبرة رفات الكثير من أعلام التشيّع **كزكريّا بن إدريس وزكريّا بن آدم ، ومحمّد بن قولويه** ، وأخيراً قبر المرحوم هيدجي السالك الواله المتحرِّر ، وقبر المرحوم الحاجّ الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ ، وقبر المرحوم الحاجّ الميرزا علي آقا الشيرازيّ وأمثالهم ، الذين كانوا يمثِّلون أساطين العظمة والجلال الراسخة .

ولقد قال المرحوم الصديق العزيز آية الله الشيخ مرتضى المطهّريّ رحمة الله عليه للحقير : سمعتُ بنفسي القائد العظيم للثورة : آية الله الخمينيّ أعلى الله تعالى مقامه يقول : **يرقد في مقبرة قم رجل وهو الحاجّ الميرزا جواد آقا التبريزيّ** .[1] وسمعته أيضاً يقول : **كان القاضي جبلاً في**

١ـ المرحوم الحاجّ الميرزا جواد آقا التبريزيّ من أعاظم تلامذة المرحوم آية الحقّ وسند التوحيد ، المعلّم الربّانيّ الحاجّ الشيخ حسين قلي الهمدانيّ رضوان الله عليهما. وكتبه هي : «لقاء الله» ، «أسرار الصلاة» ، «المراقبات» و«أعمال السنة» . وهي حقّاً غنيّة عن التعريف، وخاصّة كتاب «لقاء الله» الذي يتميّز بحرقة خاصّة ، ويمثّل مفتاحاً ودليلاً ⇦

العظمة ومقام التوحيد.

أجل ، وبما أنّ الكلام قد وصل إلى هنا ، فيجدر أن نذكر للإخوان في الدين والأخلّاء الروحانيّين مطالب عن المرحوم ثقة المحدِّثين المحدِّث القمّيّ لتكون دافعاً لزيادة الاهتمام وإدراك هذه القبور الشريفة ، وليستفيض المقيمون في مدينة قم المقدّسة من الطلبة والزوّار وغيرهم من بركاتها . يقول المحدِّث القمّيّ في كتابه «هديّة الزائرين»[1] :

نعم ، وباعتبار امتلاء مقبرة بلدة قم الطيّبة بالعلماء والمحدِّثين ، كما أشار **العلّامة المجلسيّ** ، فإنّ من الأجدر تزيين هذا المقام بذكر عدّة نفر من مشاهيرهم ممّن لهم مزار معروف ووُصفوا بكثرة الفضيلة وعلوّ الشأن ؛ مثل **الشيخ الجليل أبي جرير زكريا بن إدريس** الذي صرّح علماء الرجال بجلالته ووثاقته والذي أدرك عدّة من الأئمّة وروى عن الإمام الصادق

⇦ للموفقيّة في فتح الباب للسالكين إلى الله.

ونكتفي هنا بذكر واحد من الإرشادات من كتابه «أسرار الصلاة» ص ٤٦ ، الطبعة الحجريّة؛ يقول:

ثمّ إنّي سألتُ بعض مشايخي الأجلّة الذي لم أرَ مثله حكيماً عارفاً ومعلّماً للخير حاذقاً وطبيباً كاملاً: أيّ عمل من أعمال الجوارح جرّبتم أثره في تأثّر القلب ؟ قال : سجدة طويلة في كلّ يوم يديمها ويطيلها جدّاً ساعة أو ثلاثة أرباعها ، يقول فيها : **لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ** ؛ مشاهداً نفسه مسجوناً في سجن الطبيعة ، ومقيّداً بقيود الأخلاق الرذيلة، ومنزّهاً للّه تعالى بأنّك لم تفعل بي ظلماً ، وأنا ظلمتُ نفسي وأوقعتها في هذه المهلكة العظيمة ؛ وقراءة القدر في ليالي الجمعات وعصرها مائة مرّة.

قال قُدِّس سرّه : ما وجدتُ شيئاً من الأعمال المستحبّة يؤثّر تأثير هذه الثلاثة. وقد ورد في الأخبار ما حاصله أنّه ينزل يوم الجمعة مائة نفحة أو رحمة ؛ تسع وتسعين منها لمن قرأها مائة مرّة في عصرها ، وله نصيب في الواحدة أيضاً ـ انتهى.

١ـ الكتاب بالفارسيّة ، وقد أوردنا الفقرات المنقولة عنه مترجمة.(م)

والإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا عليهم السلام .

روى الشيخ الكشّيّ بسند صحيح عن **زكريّا بن آدم** القمّيّ قال : دخلتُ على الرضا عليه السلام أوّل الليل في حدثان موت **أبي جرير زكريا ابن إدريس** ، فسألني عنه وترحّم عليه ، ولم يزل يحدّثني وأُحدِّثه حتّى طلع الفجر ، ثمّ قام فصلّى صلاة الفجر .

وعلى كلّ حال ، فإنّ ، جلالة شأن ذلك العظيم كبيرة ، وقبره الشريف في وسط مقبرة المدينة : «شيخان بزرگ» مشهور ومعروف ، وإلى جانبه قبور جملة من العلماء .

ومثل **الشيخ المعظّم النبيل الثقة الجليل القدر زكريّا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعريّ القمّيّ** من خواصّ أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ، أدرك عدّة من الائمّة عليهم السلام وروى عنهم الأحاديث . وقد رُويت الأخبار الكثيرة في فضله . وكان يجلس مع الإمام الرضا عليه السلام في السفر إلى مكّة في محملٍ واحد ، وورد في حقّه حديث **المَأْمُونُ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا**.

روى الشيخ **الكشّيّ** بسند صحيح عن **زكريّا بن آدم** قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّي أُريد الخروج عن أهل بيتي ، أي أخرج من قم ؛ فقد كثر السفهاءُ فيهم . فقال : لا تفعل ! فإنّ أهل بيتك يُدفع البلاء عنهم بك كما يُدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .

وروى كذلك عن **عليّ بن المُسَيِّبِ الهمدانيّ** قال : قلت للرضا عليه السلام : شقّتي بعيدة ولست أصلُ إليك في كلّ وقت ، فممّن آخذ معالم ديني ؟

فقال : من **زكريّا بن آدم** القمّيّ ، المأمون على الدِّين والدنيا !

وغيرها من الأخبار الدالّة على سموّ فخامة شأن ذلك المعظَّم . وقبره الشريف معروف في المكان المشهور بـ **شيخان بـزرگ** وله بـقعة كـبيرة ، وقد دفن إلى جنبه جماعة من العلماء من بينهم العالم الفاضل الخبير الماهر الآخوند **الملّا محمّد طاهر القمّيّ** مؤلّف كتاب «الأربعين» وكتاب «حكـمة العين»[1] وغيرهما .

ومثل **الشيخ المعظّم الجليل النبيه عليّ بن بابويه القمّيّ الصـدوق الأوّل** ، والد رئيس المحدِّثين الشيخ أبي جعفر محمّد الذي يُطلق عليه اسم الصدوق ، وجلالة وعظمة هذين العالمَينِ الجليلَينِ معلومة وظاهرة للجميع .

وقد ذكر في «**احتجاج**» **الطبرسيّ** أنّ **الإمام العسكريّ** عـليه السـلام كتب رسالة إلى **عليّ بن بابويه** ؛ ورد فيها بعد الحمد والصلاة :

أَمَّا بَعْدُ ! يَا شَيْخِي وَمُعْتَمَدِي ، يَا أَبَـا الحَسَـنِ عَـلِيِّ بْـنِ الحُسَـيْنِ القُمِّيِّ ! وَفَّقَكَ اللهُ لِمَرْضَاتِهِ وَجَعَلَ مِنْ صُلْبِكَ أَوْلَاداً صَالِحِينَ بِرَحْمَتِهِ ـ إلى آخر التوقيع الشريف الذي حوى في فقراته الأخيرة عبارة :

يَا شَيْخِي ! وَأْمُرْ جَمِيعَ شِيعَتِي بِالصَّبْرِ .

فما أحسن شرف العلم الذي يوصل صـاحبه للـدرجـة التـي يـخاطبه الإمام عليه السلام فيها بهذه الألفاظ ! وقبره الشريف في مقبرة قم معروف ، وله بقعة كبيرة وقُبَّة عالية . ومزار نجله الشريف رئيس المحدِّثين في الريّ قرب بلد **السيّد عبد العظيم** وسط حديقة نضرة ، وله بقعة وقبّة عالية ومزار يقصده عامّة الناس ، رضوان الله عليهما .

١ـ ضبط المرحوم الشيخ آقا بزرگ اسم الكتاب بـ «حكمة العـارفين» فـي «الذريـعة» ج ٧، ص ٥٨ ؛ وكذا ضبطه المرحوم المحدِّث القمّيّ بنفس ما ذكره صاحب «الذريعة» فـي «الفوائد الرضويّة» ص ٥٤٨ .

ومثل **الشيخ الجليل المحدِّث محمّد بن قولَوَيه القمّيّ** ، الذي يقع قبره الشريف في مقبرة قم المعروفة وسط المنطقة المسيّجة المعروفة بـ **شيخان** صغير وهذا الشيخ المعظَّم هو والد **الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولويه** [1] أُستاذ الشيخ المفيد والمدفون في الكاظميّة كما مرّ بيانه سابقاً .

ومثل **الشيخ الفاضل السديد قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ** ، وهو من مشاهير العلماء ، وهو مؤلّف كتاب «**الخرائج**» وكتاب «**قصص الأنبياء**» ، ومزاره الشريف معروف في الصحن الجديد للسيّدة المعصومة في قم .

ومثل **خاتم الفقهاء والمجتهدين** وأفضل المدقّقين والمحقّقين ، حاوي المكارم والمفاخر ، سماحة الآقا **الميرزا أبي القاسم** المعروف بالمحقّق القمّيّ صاحب كتاب «القوانين» وغيره الذي يعدّ فعلاً مصدراً لدراسة الفضلاء . يقع قبره الشريف قرب قبر **زكريّا بن آدم** وسط بقعة عليها قبّة عالية ، وفي جوانبه وأطرافه قبور الكثير من العلماء والفضلاء لا يتّسع المجال لعدّهم .

وهناك قبر يقع قرب بوّابة «معصومه شهر» في السوق ، مقابل مسجد الإمام[2]، في بقعة عالية ومعروفة يقال إنّه قبر **أحمد بن إسحاق الأشعريّ** وكيل الإمام **العسكريّ** عليه السلام . وهو أمر مُستبعد ، إذ إنّ موته حسبما

١ـ صاحب الكتاب المعتبر النفيس : «كامل الزيارات» الذي طبع بالمساعي الجميلة للعلّامة الأمينيّ رحمه الله ومع تعليقته.

٢ـ ورد في كتاب «مرآت البلدان ناصري» أنّ المسجد المعروف بمسجد الإمام عليه السلام والواقع في قم ، قد بناه أحمد بن إسحاق الأشعريّ ، وكيل موقوفات الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بأمر من الإمام ـ منه عُفي عنه . (أي التعليقة من المحدِّث القمّيّ رضوان الله عليه).

يستفاد من الروايات قد وقع في **حُلْوان**، وقد ذكر كيفيّته في كتاب «النجم الثاقب».

وقال **الشيخ أبو جعفر محمّد بن جرير** [الطَبَرسيّ] في كتاب دلائله: وكان **أحمد بن إسحاق القمّيّ الأشعريّ شيخ الصدوق** وكيل **أبي محمّد** عليه السلام، فلمّا مضى أبو محمّد إلى كرامة الله عزّ وجلّ، أقام على وكالته مع مولانا **صاحب الزمان**، تخرج إليه توقيعاته، وتُحمل إليه الأموال من سائر النواحي التي فيها موالي مولانا فيتسلّمها، إلى أن استأذن في المسير إلى قم، فخرج الإذن بالمضي، وذكر أنّه لا يبلَغ إلى قم وأنّه يمرض ويموت في الطريق، فمرض **بحُلْوان** ومات ودُفن بها. وأقام مولانا عليه السلام بعد مضي أحمد بن إسحاق الأشعريّ بسُرّ مَن رَآهُ مدّة ثمّ غاب ـ إلى آخره.

ثمّ يقول الشيخ المرحوم ثقة الإسلام النوريّ طاب ثراه في كتابه ذلك بعد هذه الفقرة[1]: **أحمد بن إسحاق الأشعريّ** من كبار أصحاب الأئمّة عليهم السلام وصاحب الدرجات العالية عندهم، وكان من الوكلاء المعروفين.

وقد ذُكرت وفاته على نحو آخر في حياة الإمام العسكريّ فأرسل الإمام عليه السلام خادمه كافور ومعه كفن إلى حُلْوان، فغسّله كافور (أو من يشابهه) وكفّنه بغير علم من كان معه، كما في الخبر الطويل **لسعد بن عبد الله القمّيّ** الذي كان معه في سفر وفاته، لكنّ النجاشيّ نقل عن البعض تضعيف هذا الخبر.

و**حُلْوان** هي **ذهاب** المعروفة الواقعة في طريق كرمانشاهان إلى بغداد، و يقع قبر ذلك المعظّم قرب نهر تلك القرية المعروفة بـ **سَرْ پُل**

١ـ الكتاب بالفارسيّة، وقد أوردنا فقراته مترجمة. (م)

بمسافة ألف قدم تقريباً إلى الجنوب ، وعلى ذلك القبر بناءٌ محقّر صار كالخربة ، وبقي بلا اسم وعنوان بسبب نقص همّة ومعرفة الأثرياء من أهالي تلك المنطقة ، بل وأهالي كرمانشاهان والمتردّدين هناك ، إذ لا يزوره شخص واحد من كلّ ألف من الزوّار ؛ مع أنّ من الأولى أن يُعَامَل هذا الشخص الذي بعث الإمام عليه السلام خادمه إليه بطيّ الأرض ليكفّنه ويجهّزه ، والذي بُنِيَ مسجد قم المعروف بأمره ، والذي كان وكيلاً للإمام سنين عديدة في تلك النواحي ، أفضل من هذه المعاملة وأجمل ، وأن يُجعل قبره مزاراً معتبراً لينالوا من بركة صاحب القبر وبوساطته من الفيوضات الإلهيّة ـ انتهى كلام الحاجّ النوريّ .[1]

نعم ، لقد ذهبنا في معيّة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد قدّس الله نفسه أحد أيّام توقّفه لأداء الصلاة في مسجد **جَمْكَران** المعروف قبل الغروب بساعة ، وقد أدّى سماحة السيّد في ذلك المحلّ الخاصّ صلاة تحيّة المسجد وصلاة التوسّل بصاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه طبق الرواية التي أوردها الحاجّ النوريّ في «النجم الثاقب» والمحدِّث القمّيّ في «هديّة الزائرين» ؛[2]

١ـ «هديّة الزائرين» للمحدِّث القمّيّ ، ص ٣٥٩ إلى ٣٦٢ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ ذكر المرحوم النوريّ في كتاب «النجم الثاقب» ص ٥ إلى ٧ الطبعة الحجريّة الرحليّة، سنة ١٣٠٨ هجريّة قمريّة ، الباب السابع ، في ذكر أُولئك الذين تشرّفوا برؤية الإمام في الغيبة الكبرى، في الحكاية الأُولى بشأن بناء مسجد جمكران ؛ وكذلك في كتاب «هديّة الزائرين» ص ٣٦٣؛ وذكر في حاشية «مفاتيح الجنان» طبعة الإسلاميّة، بخطّ طاهر خوشنويس، سنة ١٣٧٩ هـ . ق ، كتاب «الباقيات الصالحات» ص ٢٥٤ فما بعد ، الباب الثاني ، ضمن صلاة الاستغاثة، كيفيّة صلاة المسجد في جمكران الواقع على بعد فرسخ واحد من بلدة قم الطيّبة بأمر إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف بهذه الكيفيّة:

لِيصَلُّوا فيه أربع ، ركعتان منها لتحيّة المسجد ، يقرأ في كلّ ركعة منها الحمد مرّة ⇦

....

⇦ و**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** سبع مرّات ، ويسبح سبعاً في كلّ ركوع وسجود ؛ وركعتان منها صلاة الحجّة عليه السلام ، يقرأ المُصَلِّي في الأُولى سورة الفاتحة ، فإذا بلغ الآية : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** كرّرها مائة مرّة ، ثمّ أتمّ الفاتحة ، ويفعل مثل ذلك في الركعة الثانية ، ويُسَبِّح سبعاً في كلّ ركوع وسجود ؛ فإذا أتمّ الصلاة هلّل وسبّح تسبيح الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، فإذا فرغ من التسبيح سجد وصلّى على النبيّ وآله مائة مرّة . وهذه الكلمة مرويّة بنصّها عنه عليه السلام قال : **فَمَنْ صَلَّاهُمَا فَكَأَنَّمَا صَلَّى فِي البَيْتِ العَتِيقِ** ـ انتهى.

أقول : يلزم هنا ذكر نكات ثلاثة ، **الأُولى :** أنّ المرحوم الحاجّ النوريّ رحمة الله عليه نقل في كتاب «نجم ثاقب» قصّة إحضار حسن **مُثلة** الجمكرانيّ عند صاحب الزمان أرواحنا فداه عن الشيخ الفاضل **حسن بن محمّد بن حسن القمّيّ** المعاصر للصدوق في كتاب «تأريخ قم» عن كتاب «**مؤنس الحزين في معرفة الحقّ واليقين**» وهو من مصنّفات الشيخ **أبي جعفر محمّد بن بابويه القمّيّ** ، ثمّ يذكر شرح القضيّة مفصّلاً ، ولا يبدو في السند ولا في المتن إشكال مخالف للأُصول.

والثانية : أنّ قصّة تشرّفه طبق متن الكتاب كانت ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ثلاث وتسعين ومائتين (٢٩٣ هـ. ق) . وباعتبار أنّ بقيّة الله سلام الله عليه قد ولد سنة ٢٥٥ هـ. ق ، فإنّه كان له آنذاك ٣٨ سنة . ولأنّنا نعلم أنّ وقوع الغيبة الكبرى كان في سنة ٣٢٩ هـ. ق ، لذا ينبغي اعتبار تشرّف حسن **مُثلة** في زمرة الذين تشرّفوا برؤية الإمام ولقائه في الغيبة الصغرى.

والثالثة : أنّ المرحوم النوريّ قدّس الله سرّه قال في ذيل القصّة : وفي النسخة الفارسيّة لـ«تأريخ قم» وفي نسخته العربيّة التي نقل العالم الجليل محمّد عليّ الكرمانشاهيّ مختصر هذه القصّة عنها ، فإنّ المير مصطفى قد ذكر في «حواشي الرجال» في باب حَسَن أنّ تأريخ القصّة سنة ثلاث وتسعين ، أي سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ويبدو أنّه قد اشتبه على الناسخ، وكان أصله سبعين ، لأنّ وفاة الصدوق كانت قبل سنة تسعين.

أقول : صحيح أنّ وفاة الصدوق كانت قبل سنة تسعين ، لكنّها كانت قبل القرن الرابع لا القرن الثالث ، فقد توفّي المرحوم الصدوق سنة ٣٨١ هجريّة قمريّة ، وهو من مسلّمات التأريخ وليس سنة ٢٨١ هـ. ق ، أي قبل قرن من وفاته . لذا فإنّ نقله لقضيّة حسن **مُثلة** الجمكرانيّ كان بعد وقوع القصّة بعشرات السنين ـ لا قبلها ـ ليحتاج إلى تصحيح التسعين ⇦

ثمّ عاد إلى قم بعد صلاتي المغرب والعشاء .

وبعد أن توقّف السيّد الحدّاد في مدينة قم المقدّسة ثلاثة أيّام للزيارة ، اتّجه نحو مدينة إصفهان وورد على منزل الحاجّ محمّد حسن شركت دام توفيقه . وكان غالباً ما يبقى في المنزل لملاقاة بعض المعارف والأصدقاء وللإجابة على بعض أسئلة الواردين . ثمّ أشار لي يوماً ـ وقد اجتمعت جماعة هناك ـ لأُبيِّن تفسير القسم الأخير من سورة التوحيد ، وقد نُفِّذ ذلك بحمد الله .

وكان الرفقاء والأصدقاء قد امتدحوا كثيراً في محضر السيّد شخصيّة وكمالات المرحومة المخدّرة السيّدة العلويّة هاشميّ الإصفهانيّ ، ونقلوا قصصاً عن مكاشفاتها العرفانيّة ودرجاتها التوحيديّة بوجه خاصّ ، لذا فقد رغب في رؤيتها والتحدّث معها . وقد قام الحاجّ شركت بإخبارها بذلك وعُيِّن لذلك وقت للِّقاء . وهكذا فقد ذهب الحقير في معيّة السيّد والحاجّ شركت والحاجّ محمّد علي خلف زاده وهو من الرفقاء والأصدقاء وكان قد جاء من كربلاء للزيارة ، فدخلنا منزل تلك المخدّرة الجليلة قبل الظهر بساعتين ، وأُدخلنا في غرفة الاستقبال ، ثمّ جاءت مخدّرة عفيفة محترمة ترتدي إزاراً أبيضاً فدخلت الغرفة ، وكان لها آنذاك ثمانون سنة ، فرحّبت بنا ، ثمّ استفسرت بعد مراسم الاستقبال عن هويّة السيّد الحدّاد ومحلّ سكناه .

⇦ إلى سبعين. وبصرف النظر عن ذلك ، فقد ورد في متن الحكاية أنّ حسن **مُثلة** قال : كان هناك شابّ يجلس على أريكة (إمام الزمان عليه السلام) في سنّ الثلاثين ، وهذا السنّ يناسب السنّ الحقيقيّ للإمام حيث كان عمره الشريف آنذاك ٣٨ عاماً ، في حين أنّنا لو اعتبرنا تأريخ ذلك في السبعين، أي ٢٧٣ هـ. ق فإن عمره الشريف سيكون آنذاك ١٨ عاماً ، فلا يشبه عندئذٍ رجلاً في الثلاثين.

ثمّ قال السيّد الحدّاد لي : فليكن الحديث مع هذه العلويّة المجلّلة حول التوحيد وليس حول العلوم والمسائل الفقهيّة والأُصوليّة والتفسيريّة أو المكاشفات المثاليّة والحالات النفسانيّة والتقارير عمّا سبق وما سيأتي . وكان يقصد بذلك عدم إتلاف وقت المجلس عبثاً بالكلام والمجاملات العاديّة ، وأن يُشخّص في هذا المجلس مقدار درجاتها وسيرها التوحيديّ والعرفان العمليّ .

لذا فقد فتح الحقير باب البحث حول التوحيد ، فوجهتُ أسئلة أجابت عنها تلك المخدّرة بأجوبة مقبولة ومناسبة .

ثمّ أشار السيّد لي : ادخل في البحث بدقّة أكثر !

فبسط الحقير الكلام في كيفيّة اضمحلال السالك وفنائه بعد فناء الاسم في فناء الذات وأصل الوجود ، وأخيراً عن حقيقة وواقعيّة **نُقْطَة الوَحْدَةِ بَيْنَ قَوْسَي الأَحَدِيَّةِ وَالوَاحِدِيَّةِ** ، وسألتُ عن كيفيّة وحقيقة وحدة مقام الولاية الكلّيّة للأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين مع الذات القدسيّة الإلهيّة وكيفيّة هو هويّتها ؛ فتلجلجت تلك المخدّرة هنا وبدا اضطرابها في جوابها بشكل جليّ ، فأشار السيّد لي أن : أقْصِرْ ! وهكذا فلم أُتابع البحث الذي انقطع إلى هذا الحدّ .

وباعتبار أنّ المخدّرة عَلِمَتْ بأن سماحة السيّد جاء للزيارة وأنّه سيعود إلى العتبات المقدّسة ، فقد سألته الدعاء لها هناك . ثمّ دعا لها السيّد بالتوفيق والتأييد وحسن العاقبة والترقّي في معارج الكمال ومدارجه ، ثمّ وُدِّعنا بعد مرور ساعة تقريباً وانصرفنا .

وكان السيّد يصلّي صلاتي الظهر والعصر في المنزل ، أمّا صلاتي المغرب والعشاء فكان يصلّيهما في أحد المساجد المعروفة ؛ وهكذا فقد صلّى ليلة في مسجد المرحوم السيّد ، وليلة في المسجد الجامع ، وأُخرى في

مسجد الشاه سابقاً (الخمينيّ) ، وليلة في مسجد الشيخ لطف الله . وقد حضر بعد أداء الصلاة في المسجدين الأوّلين عند مزار المرحوم السيّد والمرحومين المجلسيَّينِ ودعا إلى الله المتعالي لعلوِّ أرواحهم .

وكان يذهب صباحاً بعد أداء صلاة الصبح وعند أوّل طلوع الفجر الصادق لزيارة أهل القبور في مقبرة «تخت فولاد» ، فيبقى مدّة بين الطلوعين بأكملها هناك . وكانت المقبرة واسعة جدّاً فكان يذهب كلّ يوم إلى إحدى نواحيها فقط ، فذهب يوماً إلى أطراف قبر المرحوم مير فندرسك ، ويوماً عند قبر المرحوم الحاجّ آقا محمّد البيد آباديّ[1]

١ـ آقا محمّد البيدآباديّ من العرفاء المشهورين ، وله مقامات ودرجات ، وكانت رحلته سنة ١١٩٧ هجريّة قمريّة ، وقد ذهب الحقير لزيارة قبره مراراً . والمراد من **البيد آباديّ** مطلقاً هو هذا الشيخ ، أمّا آقا **محمّد جواد البيد آباديّ** فهو من عرفاء العصر المتأخّر وأُستاذ والد الصديق المكرّم الحاجّ محمّد حسن شركت . وقد قال الحاجّ محمّد حسن دام توفيقه: كان المرحوم أبي يقول : إنّ أحداً لم يعرف آقا **محمّد جواد البيد آباديّ** . وكان المرحوم البيدآباديّ قد أنشد بيتاً دوّنه عنه أبي :

صد گنج نهان بود مرا در دل و یاران
نادیده گرفتند که این خانه خراب است

يقول : «إنّ لديّ مائة كنز مخبوء في القلب ، لكنّ أصحابي أهملوها فزعموا أنّ هذا البيت خَرِب».

وللمرحوم آقا محمّد البيدآباديّ المعروف بالبيدآباديّ الكبير مطالب شيقّة كان الحقير قد استنسخها لنفسه حين كنتُ في النجف الأشرف ، ثمّ تبيّن أنّ المرحوم العلّامة الطهرانيّ الشيخ آقا بزرگ أُستاذ الحقير في فنّ الدراية والحديث والإجازات قد ذكرها في كتاب «الذريعة» ج ١٢، ص ٢٨٣ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة الجامعة ، سنة ١٣٨٠ هـ. ق ، تحت عنوان «رسالة في السير والسلوك* فارسيّة لآغا محمّد البيدآباديّ أيضاً كتبها مراسلة إلى بعض تلاميذه». وباعتبار أنّها مختصرة من جهة ، وحاوية لمطالب عميقة من جهة أُخرى ، لذا نوردها بعينها هنا للمزيد من الفائدة للمطالعين الكرام: ⇦

....

⇦ **بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين**

يقول البيد آباديّ :

يَا أَخِي وَحَبِيبِي ! إنْ كُنتَ عَبْدَ اللهِ فَارْفَعْ هِمَّتَكَ ، وَكِلْ عَلَى اللهِ أَمْرَ مَا يُهِمُّكَ ! اجعل همّتك عالية ما أمكنك **لِأَنَّ المَرْءَ يَطِيرُ بِهِمَّتِهِ كَمَا أَنَّ الطَّيْرَ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ .**

غلام همت آنم كـه زيـر چـرخ كـبود

ز هر چه رنگ تعلق پذيرد آزاد است

يقول : «تسترقّني همّةُ مَن يعيش تحت فلك السماء الزرقاء حرّاً لا يعلق بـه أيّ لون واعتبار».

هر چه در اين خانه نشانت دهند گـر نسـتانى بـه از آنت دهـند

يقول : «كلّ ما أروك في هذه الدنيا ، إن لم تأخذه فستُعطى خيراً منه».

يعني : أخلِ قلبك عن غير الحقّ تعالى بالتأمّلات الصحيحة وكثرة ذكر الموت . أنّ لك قلباً واحداً فليكْفك حبيبٌ واحد! **أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ . مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ .**

در دو عـالم گـر تـو آگـاهى از او

از چه بد ديدى كه درخـواهـى از او

يقول : «إن كنتَ تعيه في كلا العالمَينِ ، فأيّ شيء ساءك كي تطلب منه غيره؟!».

إلهى زاهد از تو حور مى‌خواهد قصورش بـين

به جنت مى‌گريزد از درت يا رب شعورش بين

يقول : «إلهي ! انظر قصور الزاهد حين يطلب منك الحور ! وانظر إلى فهمه وشعوره حين يهرب من بابك إلى الجنة».

ما عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نارِكَ وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ ، بَلْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبادَةِ فَعَبَدْتُكَ .

أخلينا القلب الضيّق بالمرّة من كلا العالَمينِ ليصبح مكاناً لك.

ولا يمكن تحصيل هذا العمل بالهوس ، بل إنّك إنْ لم تـتخطَّ الهـوس لمـا أمكـنك تحصيل ذلك.

أَبَى اللَهُ أَنْ يُجْرِيَ الأُمُورَ إلَّا بِأَسْبَابِهَا . وَالأَسْبَابُ لَابُدَّ مِنْ اتِّصَالِهَا بِمُسَبِّبَاتِهَا ، وَالأُمُورُ العِظَامُ لَا تُنَالُ بِالمُنَى وَلَا تُدْرَكُ بِالهَوَى . وَاسْتَعِينُوا فِي كُلِّ صَنْعَةٍ بِأَرْبَابِهَا ، وَأْتُوا البُيُوتَ ⇦

....

⇦ **مِنْ أَبْوَابِهَا. فَإنَّ التَّمَنِّي بِضَاعَةُ الهَلْكَى.**

آئينه شو جـمال پـرى طـلعتان طـلب
جاروب كن خانه و پس ميهمان طلب

يقول : «كن مرآةً ثمّ ابحث عن جمال الوجوه الملائكيّة ، اكنس بيتك ثمّ ابحث عن الضيف».

چو مستعدّ نظر نـيستى وصـال مـجوى
كه جام جم نكند سود وقت بى بصرى

يقول : «إن لم تكن مؤهّلاً للنظر فلا تبحث عن الوصال ، فالمرآة التي تبدو فيها الدنيا لا تُجدي مع العمى».

لابدّ لك أوّلاً أن تطلب الهداية من المرشد العامّ والهادي إلى السبل ، وأن تـتمسّك بأذيال المتابعة لأئمّة الهدى عليهم السلام . وأعرِضْ عن الدنيا وحصِّل العشق . **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ .**

عشق مولى كى كم از ليلى بود　　　محو گشتن بـهر او أولى بـود

يقول : «مَتى كان عشق المولى أدنى من عشق ليلى ؟! ولقد كان المحو فـيه أجـمل وأولى».

حاصل عشق همان بس كه اسير غم او
دل به جائى ندهد ميل بـه جـائى نكـند

يقول : «يكفي في عشقه أن يصبح المرء أسير غـمّه وحـبّه ، فـلا يـهب قـلبه لأحـد ولا يرغب في مكان».

فاجعل همومك همّاً واحداً ، وضع قدمك بجدٍّ واجتهاد على جادّة الشريعة ، واطلب مَلَكة التقوى!

أي ينبغي اجتناب الحرام والشبهة والمباحات قولاً وفعلاً وحالاً وخيالاً واعتقاداً لنيل الطهارة الصوريّة والمعنويّة التي هي شرط للعبادة ، كي يكون هناك أثر للعبادة ، فلا تكون صورةً محضة . **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ . وَلَن تُقْبَلَ نَفَقَاتُكُم إن كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ . وَمَا مَنَعَهُ عَن قَبُولِ صَدَقَاتِهِمْ إلَّا كَوْنُهُمْ فَاسِقِينَ . لَن يُقْبَلَ عَمَلُ رَجُلٍ عَلَيْهِ جِلْبَابٌ مِنْ حَرَامٍ . مَنْ أَكَلَ حَـرَاماً لَن يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُ صَـرْفاً وَلَا عَدْلاً . وَتَـرْكُ لُقْمَةٍ حَرَامٍ أَحَبُّ إلَى اللهِ مِنْ أَلْفَيْ** ⇦

....

⇦ **رَكْعَةٍ تَطَوَّعاً، وَرَدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ تَعْدِلُ سَبْعِينَ حِجَّةٍ مَبْرُورَةٍ.**

وهكذا فإنّ سعة الفهم ستزداد تدريجيّاً. **وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ فُرْقَاناً**** . **وَٱتَّقُوا ٱللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللهُ.**

وينبغي أن لا يقصّر دقيقةً واحدة من هذا الوقت عن الواجبات والطاعات المقرّرة الواجبة والمندوبة من أجل تقوية السرّ والروح القدسيّة. **وَنَحْنُ نُؤَيِّدُ رُوحَ القُدْسِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ؛ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ بَعْضُهُ مَنْ بَعْضٍ**. وكي ينال شرح الصدر، وكي يتبادل نور العبادات البدنيّة ونور الملكات النفسيّة تقوية بعضهما البعض فيصبحان **نُوراً عَلَى نُورٍ؛ الطَّاعَةُ تَجُرَّ الطَّاعَةَ**، فتصل الأحوال السابقة بأقلّ زمن إلى درجة المقام، وتُنال الملكات الحسنة والأخلاق الجميلة، وتصل العقائد الحقّة إلى الرسوخ الكامل، وتنبع ينابيع الحكمة من القلب فتجري على اللسان، ويُعرض بشكل كامل عن غير الحقّ تعالى.

فإن كان آنذاك من زمرة السابقين فإن جذبة العناية ستستقبله فتسلب منه ذاته، ويُعوَّض عنها بـ**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**. ويشاهد بعينه حقيقة **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَإِنَّ هُدَى ٱللَّـهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ**، وسينجذب السالك ويُشاهد **إذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَتَحَ عَيْنَ قَلْبِهِ.**

إلَهي تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ المَزَارِ؛ فَاجْذِبْنِي بِجَذْبَةٍ تُوصِلُنِي إلَى قُرْبِكَ، وَاسْلُكْنِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ، وَخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا. جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الرَّبِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ. إن أحداً لم يخسر في المعاملة مع الكبار.

طالع اگر مدد كند دامنش آورم به كف
ار بكشم زهى طرب ور بكشد زهى شرف

يقول: «إن حالفني الطالع لتعلّقت بذيل ردائه، فإن جذبتُ كفاني طرباً، وإن جذبَ كفاني شرفاً».

ما بدان مقصد عالى نتوانيم رسيد
هم مگر لطف شما پيش نهد گامى چند

يقول: «لقد كنّا عاجزين عن الوصول إلى ذلك الهدف الرفيع، لولا أنّ فضلك خطى إلينا أوّلاً خطواتٍ عدة».

تا به دنيا فكر اسب و زين بود بعد از آنت مركب چوبين بود ⇦

....

⇦ يقول: «مادام تفكيرك في هذه الدنيا بالجواد والسرج، فسيكون مركبك بعد ذلك تابوتاً خشبياً».

حتّى يوصله هبوب نسمات الرحمة إلى إحدى الجزائر الخالدات في بحرَي الجلال والجمال التي تليق باستعداده وحسن سعيه وهمّته. **إنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ، أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَها.**

وهذه المراتب المذكورة هي منازل السير إلى الله والمجاهدة في سبيل الله تعالى؛ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ.**

وبعدها: **إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا** الذي سيكون سفر **السير في الله** تعالى؛ ولاضرورة لذكر ذلك بل هو مضرّ.

درِ دير مى زدم من ز درون صدا بر آمد
که تو در برون چه کردى که درون خانه آئى

يقول: «كنت أقرع باب الدير فجاء النداء من الداخل: ما الذي فعلته خارجاً حتّى تدخل هذا البيت؟!».

الإيمَانُ مَرَاتِبُ وَمَنَازِلُ لَوْ حُمِّلَتْ عَلَى صَاحِبِ الاثْنَيْنِ ثَلَاثَةٌ لَتَقَطَّعَ كَمَا تَقَطَّعَ البَيْضُ عَلَى الصَّفَا. رَحِمَ اللهُ امْرُؤٌ [امْرَءاً] عَرَفَ قَدْرَهُ وَلَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ.

چون نديدى شبى سليمان را تو چه دانى زبان مرغان را

يقول: «ماذا تعلم من لسان الطيور ولغتها، وأنت لم ترَ سليمان ولو لليلة؟!».

فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ. ولَئِن **شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ.**

با كه گويم اندرين ره زنده كو بهر آب زندگى پوينده كو
آنچه من گفتم به قدر فهم توست مُردم اندر حسرت فهم درست

يقول: «هل مِن حيّ فأتحدّث له عن طريق السرّ والباطن؟! أين الباحث عن ماء الحياة؟!

إنّ ما قلتُه هو بقدر فهمك وإدراكك، ولقد متُّ في حسرة الفهم الصحيح».

رَحِمَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ قَوْلِي وَعَمِلَ فَاهْتَدَى بِهِ.

واعلم يقيناً أنّ من شرع في السلوك بالنحو المذكور فأدركه الأجل الموعود في مرحلة من المراحل فسيُحشر في زمرة **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَـٰجِرًا إِلَى ٱللَهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ** ⇦

ويوماً عند قبر المرحوم الآخوند الكاشيّ والمرحوم جهانگيرخان.

وكان يقول: إنّ هناك شيئَينِ حَفَظَا فضاء إصفهان صافياً: وجود الموحّدين والعارفين وحكماء الإسلام من أعاظم العلماء الذين يرقدون في هذه المقبرة منذ قرون متمادية، ووجود الفتيات الشابّات المعصومات والمتديّنات اللاتي يبسطن سجّاداتهنّ ليلاً وخاصّة قرب الصبح فيقفن عليها لعبادة الله في قيامهن وركوعهن وسجودهن.

وكان يقول: لم أُشاهد في أيّ مكان آخر كثرة الفتيات المتعبّدات والمتهجّدات كما في إصفهان؛ إنّ نفوسهن الطاهرة تحيل فضاء إصفهان

⇦ **يُدْرِكهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَهِ**.

فإن كنت رجل السفر فقد دللتُك على الدرب. **وَٱللَهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ**.

دوّنتُ بقلمي ما كان بخاطري لعلّ من ينتفع!

هر كس كه ز شهر آشنائى است　　داند كه متاع ما كجائى است

يقول: «إنّ كلّ من له معرفة بالمدينة، يعلم أين نحطّ الرحال!».

يا حاجّ! إنّ درب الهدى ـ والله ـ ليس إلّا العشق.

وقد قلنا: وأنت لا تعلم مدى نشوة هذه الخمرة حتّى تذوقها.

وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰ.

* ـ ذكر صاحب «الذريعة» هذه الرسالة برقم ١٩٠٥، وأورد في الرسالة التي سبقتها برقم ١٩٠٤ هذه العبارة: «**رِسَالَةٌ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ» لِجَمَالِ السَّالِكِينَ العَالِمِ العَارِفِ المُتَشَرِّعِ الحَكِيمِ الآغَا مُحَمَّدٍ البِيْدآبَادِيِّ الإصْفَهَّانِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ رَفِيعِ الجِيلَانِيِّ الأَصْلِ، المَوْلُودِ بِإصْفَهَانَ وَالمُتَوَفَّى بِهَا** ١١٩٧ **هـ. ق، كَتَبَهَا جَوَاباً عَمَّا كَتَبَهُ إلَيْهِ المُحَقِّقُ القُمِّيُّ صَاحِبُ «القَوَانِين» يَسْأَلُهُ فِيهِ عَنْ بَيَانِ مَا هُوَ لَازِمٌ لَهُ فِي السُّلُوكِ. أَوَّلُها: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَمَّرَ بِيَدَيْ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً طِينَةَ الإنَسانِ، وَأَوْدَعَ فِيهِ أَسْرَارَ الأَسْمَاءِ كُلِّهَا وَعَلَّمَهُ المَعَانِي وَالبَيَانَ**.

** ـ مقتبس من الآية ٢٩، من السورة ٨: الأنفال: **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن تَتَّقُوا ٱللَهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**؛ والآية ٢، من من السورة ٦٥: الطلاق: **وَمَن يَتَّقِ ٱللَهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا**.

ليلاً إلى شكل آخر .

ولكن ويا للأسف ! فهم يقومون بتخريب هذه المقابر . ليس في إصفهان وحدها ، بل في شيراز وقم وسائر الأماكن الأُخرى ، أي أنّهم يسقون الأرض ويزرعون الأشجار فيحوّلونها إلى حديقة شعبيّة ومتنزّهات بالرغم من أنّ هناك نفوس طيّبة وطاهرة من العلماء الكبار والحكماء العظام والعرفاء ذوي القدر والاعتبار ترقد في هذه الأماكن ، فذكر هؤلاء وأسمائهم وآثار قبورهم وزيارتهم والتردّد على قبورهم ممّا يوجب الرحمة ونزول النعمة .

إنّ هؤلاء يمثّلون ذخائر علميّة وحياتيّة وكنوز معنويّة وروحيّة ، ولقد كان هؤلاء ثرواتنا الحياتيّة والواقعيّة ، فهم أساطين العلم والأدب والتوحيد والمعرفة . فلو دُمّرت قبورهم ، ومُحيت آثارهم وضاعت ، وانقطع تردّد الناس على مزارهم للتوسّل والاستفادة من نفوسهم ، فلن يبق هناك بيننا من روح ومعنويّة أو طهارة وصفاء .

إنّ زيارة القبور ينبغي أن تذكِّر الإنسان بالآخرة وبانعدام عالم الطبيعة ، من أجل أن لا يكون الإنسان مطلق العنان في هذه الدنيا في حين أنّ الحديقة والخضرة والماء والفَوَّارات هي من الحظوظ الدنيويّة ومتعها . ولو قام هؤلاء بتبديل الصحارى الواسعة الممتدّة إلى أماكن خضراء لما اعترض عليهم أحد ، أمّا زراعة قبور الآباء والأُمّهات بالأشجار فلا يمثّل إلّا غفلة عن الواقع والحقيقة .

ما الضرر في أن تكون المقبرة داخل المدينة ؟ وأن تكون هناك مقبرة خاصّة لكلّ محلّة ؟كي لا ينسى الناس ذِكر الموت فيبقى مجسّماً في ذهنهم على الدوام . إنّ ذلك الموت يمثّل حقيقةً وأمراً واقعاً ، وسيأتي إلينا شئنا أم أبينا .

إنّنا سنقترب من الإسلام الحقيقيّ حين يقترب كلّ وجودنا منه ، كما أن سياستنا ستصبح عين ديننا حين تكون العلاقة بين جسمنا وروحنا ، دنيانا وآخرتنا ، ظاهرنا وباطننا ، حياتنا وموتنا ؛ وأخيراً جميع جهاتنا واحدةً غير مجزّأة .

إنّ علينا أن ننظر بصواب إلى أُصول الإسلام وسنّته ونهجه ، لنرى أنّ زيارة أهل القبور وتذكّر الموت هو عين تعاليمنا العمليّة والإسلاميّة ، فذلك سيحدّ من شدّة طغيان نفوسنا الأمّارة ، ويقلّل بنسبة كبيرة من الجنايات والجرائم في المجتمع . أمّا لو تابعنا عبدة الدنيا ، وتأبّيْنا أن نورد لأبينا المتوفّى ذِكراً ، فجعلنا قبره في نقطة بعيدة يتوجّب علينا طيّ الفراسخ للوصول إليها . وفي النتيجة فلو فصلناهم عنّا وفصلنا أنفسنا عنهم فجعلناهم نسياً منسياً وأودعناهم تراب النسيان ، فسنواجه آنذاك خطراً عظيماً وضرراً كبيراً . وذلك لأنّنا قد نسينا نصفَ ، بل مُعظمَ ، بل أصل وجودنا وحياتنا ، أعني الروح ، وتجاهلنا النظرة الواقعيّة والتفكير الواقعيّ ، في حين أنّ مسلكنا في الإسلام شيء آخر .

إنّ الإسلام يعلّمنا ويربّي فينا روح النظرة الواقعيّة ورفض الوهميّات والتخيّلات والأُمور الاعتباريّة الواهية ، ويجعل حياتنا توأماً مع الصلاة والصيام والعبادة والعبوديّة .

ومن ثمّ فإنّنا سنكون قد اقتربنا من الإسلام الحقيقيّ حين تكون ثقافتنا قد اقتربتْ منه ، وحين تكون روح النظر إلى الواقع والأصالة ورفض الباطل فينا قد اقتربت منه . وبغير ذلك ، فلو اعتبرنا أنفسنا مسلمين ، وكان سلوكنا ومسلكنا سلوك ومسلك الغافلين وعبدة الدنيا ، ونهجنا ومنهجنا تابعاً لسيرة الكفار وأُسلوبهم ؛ فلن نستفيد من الإسلام إلّا الألفاظ والعبارات .

نعم ، إن المحافظة على روح العلم والتقوى ، وحراسة حقيقة الحكمة

والعرفان ، تتمثّل في رعاية آثار وقبور العلماء المتّقين والمحافظة على قبور وأسماء وعلائم الحكماء والعرفاء بالله . ولو أُهمل هذا الأمر المهم ـ لا سمح الله ـ فإنّ علينا انتظار عذاب الله .

إنّ الله سبحانه حين يريد إنزال نقمته بقوم فإنّه يرفع آثار رحمته واسم أوليائه من بينهم ؛ ولقد رأينا أخيراً في تعاليم الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام **لزكريّا بن آدم** أنّه قال له حين استأذنه بالخروج من قم :

لا تفعل ! فإنّ أهل بيتك يُدفع البلاءُ عنهم بك كما يُدفع البلاءُ عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام .[1]

إنّ هناك بيننا الكثير من هذه الأرواح الطيّبة والمجاهدة في سبيل الله بالجهاد الأكبر ، والأحرار في عالم التوحيد لا نفطن لقدْرهم وقيمتهم ، ولا نسعى لحفظ آثارهم وتعاهد قبورهم ؛ في حين أنّ كلّاً منهم دُرّة وجوهرة ثمينة لا نظير لها ، بل هم أعلى من أن يُقيَّموا بشيء ، يزيد قدْرهم وقيمتهم على الدنيا والآخرة معاً .

وهكذا فإنّ القحط والشحّة ، والسيول المفاجئة ، والزلازل المدمّرة ، والحروب بلا داع وبلا أساس ، والإسراف والترف والإفراط بلا سبب الذي يجرّ الإنسان إلى الطغيان ، هي كلّها نتيجة وردّ فعل لنكران الجميل هذا ، ولهذا الأُسلوب من إهانة المقدّسات العلميّة والدينيّة والآثار المذهبيّة والإسلاميّة للتشيّع[2]؛ هذه المصائب التي يتحيّر لها الإنسان عند حلولها

١ـ مرّ ذكره ، نقلاً عن كتاب «هديّة الزائرين» للمرحوم الحاجّ الشيخ عبّاس المحدِّث القمّيّ أعلى الله مقامه.

٢ـ يقول أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في «نهج البلاغة» : **لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إلَّا فَتَحَ اللَهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ** . (الحكمة ١٠٦ ، وفي طبعة مصر وتعليق الشيخ محمّد عبده : ج ٢ ، ص ١٦١). ⇦

وورودها ، فيبحث هذا المسكين عن العلل الطبيعيّة والفيزيائيّة ويحاول أن يقف بهذه التجارب أمام المقدّرات السماويّة ، لكنّه لم يقرأ هذه الآية : **وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ**.[1]

لقد سافر المرحوم آية الحقّ والعرفان آية الله الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ أواخر عمره إلى باكستان بالرغم من توارد الضعف الشديد ووهن القلب ، وكان ذلك أمراً شاقّاً وعسيراً لعدم توفّر وسائل النقل آنذاك كما هي عليه اليوم . ولم يذكر المرحوم علّة سفره لأحد ، فجرى الحديث عن سبب سفره في محافل الأصدقاء ومجالسهم ، فكان كلٌّ يتكلّم بحدسه وظنّه ، حتّى سألتُ عن ذلك يوماً من سماحة السيّد الحدّاد بعد مرور سنين طويلة وبعد وفاة ذلك المرحوم فقال : إنّ سفر أمثال هؤلاء الأجلّاء لا يخلو من أحد أمرَينِ :

⇦ ويقول محيي الدين بن عربي في كتابه «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» ج ٢ ، ص ١٦٦ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة السعادة ، مصر ، سنة ١٣٢٤ هـ . ق.

قال الشاطبيّ : كان سبب موت هذا السيّد [عليم بن هانئ العمريّ] أنّه اضطرّ إلى الاجتماع بالسلطان في نازلة نزلت به فسار إليه . فلمّا جاء البلد الذي فيه السلطان ، خلا بنفسه في ليلة جمعة فصلّى بسورة فيها **سجدة** ، فلمّا سجد سأل ربّه الموت وأن لا يجتمع بالسلطان فانقطع كلامه وهو ساجد فرفع وهو كذلك فلبث يومين وهو لا يتكلّم ومات.

وكان هذا الشيخ قد نهبت داره فجعل يبكي ، فاجتمع إليه الفقهاء والأُدباء يصبّرونه ويهوّنون عليه ما جرى ، فقال لهم : ما أبكي لما جرى من ذهاب الدنيا لكن فيما روي عن النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلم أنّه قال : **مَا اسْتَخَفَّ قَوْمٌ بِعالِمِهِمْ وَانْتَهَكُوا حُرْمَتَهُ إلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمُ العَدُوُّ** . وتُوفّي الشيخ من عامه كما ذكرنا وسُلّط العدوّ على البلد في العام الذي بعده فأخذهم شرّ أخذة وبقوا حديثاً شنيعاً على وجه الدهور ، على أنّه كان لهم عدد عظيم ومدد جسيم فلم يغن عنهم ذلك شياء وظهر فيهم ما ذكره الشيخ رضي الله عنه.

١ـ ذيل الآية ٧٦ ، من السورة ١٢ : يوسف.

الأوّل : أن يكــون هــناك فـي تـلك النـواحـي والديـار عـاشق واله ومتحمّس ومتحرّر ، فيكون علاج داء هجرانه في عالم التوحيد على يـدي هــذا الرجـل ، فـيأمره اللـه تـعالى بـالذهاب إلى ذلك العـاشق للأخـذ بـيده ومساعدته ومعالجة دائه .

والثاني : أن يكون الله قد قدّر ، وفق المقدّرات العامّة والكلّيّة ، إنزال عذاب على تلك النواحي ، فـيأمر اللـه عـبده هـذا بـالعبور إلى جـميع تـلك النواحي ، ليرفع الله بأثر بركة ورحمة النفس الرحمانيّة لهذا العبد عذابَه عن أُولئك القوم .

وعلى كلّ حال ، فقد دعى المضيِّف المحترم السيّد وبعض الأصـدقاء الآخرين من إصفهان للاطّلاع على الآثار القديمة لمدينة إصفهان فأجاب : ليس لديّ الرغبة ولا الاستعداد لذلك . ثمّ قال بعد قدرٍ من التأمّل :

هر كه در خانه‌اش صنم دارد گر نيايد برون چه غم دارد؟[1]

لكنّه قال يوماً بشأن لقاء وردّ زيارة أحد الطلّاب السالكين والمحبّين ممّن يعرفه : فلنذهب إلى غرفته !

وكان ذلك الشخص هو حجّة الإسلام الشيخ أسد اللـه طـيّارة ، وكـان يقطن آنذاك في غرفة في مدرسة الصدر في سوق إصفهان .

وكـان الجـوّ حـارّاً ذلك اليـوم ، فـتوقّف السـيّد سـاعات عـديدة فـي المدرسة استضاف الشيخ طيّارة خلالها السيّد وجميع الحاضرين وقدّم لهـم عصيراً بارداً قد أعدّه سلفاً .

ثمّ عاد السيّد إلى قم بعد توقّفه في إصفهان لأيّام أربعة ، وبقي ليلة في قم عند السيّدة المعصومة سلام الله عليها وعاد في اليوم التالي إلى طـهران .

١ـ يقول : «ما ضرّ مَنْ كان في بيته صَنَم ، لو لَزِم بيته لا يبرحه ؟!».

هذا وقد وجّه إليه الدعوة بعض الأحبّة والأعزّة من الرفقاء والأرحام لزيارتهم في منازلهم ، ومن بينهم صهرنا المكرّم الحاجّ السيّد جواد الحسينيّ ، وهو أبو ابن الأُخت المحترم حجّة الإسلام والمسلمين الحاجّ السيّد عبد الصاحب (السيّد علي أكبر) الحسينيّ أدام الله توفيقهما .

وحين وفد السيّد عليه ودخل الغرفة وقع نظره على صورة كبيرة نسبيّاً وذات إطار موضوعة على رفّ يعلو المدفئة ، فتطلّع إليها بدقّة ثمّ سأل الحقير : أيّها السيّد محمّد الحسين ! لمن هذه الصورة ؟!

قلتُ : إنّها صورة أبي !

قال : ما أعجبه من عالِم ! استنسخْ عليها صورة أُخرى لآخذها معي إلى كربلاء . قلت : أمرك مُطاع !

وهكذا قام الحقير بإعطاء الصورة إلى مصوّر فوتوغرافيّ فاستنسخ عليها صورة أُخرى وضعتُها في إطار وجعلتُها مع أمتعة السيّد عند سفره .

ثمّ ذهب الحقير إلى كربلاء في سفره التالي ، فلم أُشاهد الصورة في غرفته ، وقال السيّد : لقد حدث تغيير في ملامح الصورة عند الاستنساخ ، ولقد كانت تلك الصورة الأُولى شيئاً آخر ، ولقد وضعتُ هذه الصورة في الغرفة السفلى .

ولقد كنّا ذاهبين يوماً إلى مكان مع أحد الأصدقاء في سيّارته ، وكان يريد الذهاب إلى الجامعة لعمل ما ، فأوقف سيّارته قرب سياجها لينجز عمله ويعود ، وتأخّر ذلك لبعض الوقت ، وكان السيّد مبتهجاً جدّاً آنذاك وكان يقول : عجباً لقابليّة هذه النفوس المستعدّة لهؤلاء الشباب الموجودين في هذا المحيط ! ويا للحيف والأسى من أن لا يتمكّن الإنسان من البوح بشيء والكشف عن الأسرار والخفايا .

لقد دامت إقامة السيّد في طهران ومشهد وقم وإصفهان وهمدان

شهرين كاملين ، ثمّ عزم على العودة . وقد رغّب إليه الرفقاء الهمدانيّون البقاء ليلتين في همدان باعتبار أنّ مسيره كان يمرّ بهمدان ، فوافق على ذلك وتحرّك من طهران إلى همدان فبقي هناك ليلتين .

ولقد بقي السيّد ينتظر ساعةً في شركة السفر في همدان للتحرّك قرب الغروب نحو الكاظميّة ، فقال له الرفقاء : من الأفضل أن نقضي هذه الساعة في مزار «شاهزاده حسين» وهو من أبناء الأئمّة ونسلهم ، وكانت الفاصلة بين شركة السفر وبينه هي عبور الشارع الواقع عند «سبزه ميدان» .

يقول سماحة الحاجّ محمّد حسن البياتيّ أدام الله توفيقه : كنتُ في معيّة السيّد حين تحرّكنا من شركة السفر إلى مزار «شاهزاده حسين» ، وحين أردنا عبور الشارع قال لي السيّد : كان المرحوم آية الله الأنصاريّ يوصل سالكي طريق الله عبر طريق واحد ، لكنّي أوصلهم عبر طُرق ثلاث .

وهكذا وبعد تأخير بسيط في ذلك المكان ، وإذا بالشمس على وشك الغروب ، ركب السيّد مع أهل بيته وآقا خلف زاده سيّارة السفر (الحافلة) وتحرّكوا نحو الكاظميّة بين توديع الأحبّة والأصدقاء من همدان وطهران وشيراز وإصفهان . لقد تحرّك السيّد نحو العتبات المشرّفة غانماً موفّقاً في كمال العزّ والحسن والفخر ، تتبعه وتلاحقه عيون الحقير والرفقاء الولهين الذين ابتلوا بمحنة الفراق ، حتّى غابت السيّارة عن أبصارنا .

وكم هو مناسب لمقام العزّ والتمكّن ذلك ، ولمقام المسكنة والفاقة منّا في تلك الحال ، ما ورد في غزل حافظ أعلى الله درجته :

اى آفتاب آينه دار جمال تو

مشگ سياه مجمره گردان خال تو[1]

۱ـ «ديوان حافظ الشيرازيّ» ص ۱۸۹ و ۱۹۰ ، الغزل ٤١٦ ، طبعة پژمان.

يقول : «يا من تحمل الشمس المرآة لجمالك والمسكُ الأسود المجمرة لخالك».

صحن سرای دیـده بشسـتم ولی چـه سـود
کاین گوشه نیست در خور خیل خـیال تـو
در اوج نــاز و نــعمتی ای آفــتاب حسـن
یــا رب مــباد تــا بــه قــیامت زوال تــو
مـطبوعتر ز نـقش تـو صـورت نـبست بـاز
طــغرا نــویس ابـروی هـمچون هـلال تـو
در چین زلفش ای دل مسکـین چگـونه‌ای
کآشــفته گــفت بـاد صبا شـرح حـال تـو
بــرخــاست بــوی گــل ز در آشـتی درآی
ای نــوبهار مــا رخ فــرخــنده فــال تــو
تــا آســمان زحــلقه بگــوشان مــا شــود
کو عشوه‌ای ز ابروی هـمچون هـلال تـو[1]

١ـ يقول : «لقد غسلتُ فِناء عيني بدموعي ولكن ما الفائدة ، فهذا الركن الأعزل لايليق لخيل خيالك.

ويا مليك الحسن ! أنت في أوج النعمة والدلال ، وإنّي أدعو الله ألّا يسمح إلى يوم القيامة بزوالك.

لم يصوّر كاتب طغراء حاجبك الأسود ، صورة أبدع من مثال طلعتك.

ويا قلبي المسكين ! كيف حالك في طيّات ذؤابته ، فقد حكى نسيم الصبا في اضطراب شرح أحوالك.

لقد هبّ أريج الورد فأقبل إلينا في صلحٍ ووئام ، فطلعتك السعيدة يا ربيعنا النضير موجودة في فالك.

وأين هذه النظرة التي تصدر من حاجبك الشبيه بالهلال ، حتّى تصبح السماوات خاضعة لنا ؟».

تــا پــيش بــخت بــاز روم تــهنيت كـنان
كــو مــژده‌اى ز مــقدم عــيد وصــال تـو
ايـــن نــقطهٔ ســياه كــه آمــد مــدار نــور
عكسى است در حديقهٔ بـينش ز خـال تـو
در پــيش شـاه عـرض كـدامـين جـفا كـنم
شـــرح نــيازمندى خــود يــا مــلال تــو
حافظ درين كمند سرِ سركشان بسـى است
ســوداى كــج مـپز كـه نـباشد مـجال تـو[1]

١ـ يقول : «ولكي أعود إلى حظّي وأحمل إليه التهنئة ، أين البشرى التي تنبئ بمقدم عيد وصالك ؟

وهذه النقطة السوداء التي صارت مدار النور والضياء ، ما هي إلّا صورة انعكست في حديقة الرؤية من خالك.

وأيّ الجفائين أعرضها على مسمع المليك ، أأعرض شرح ضراعتي أم أحوال ملالك ؟

ويا «حافظ» ما أكثر رؤوس المتمرّدين التي وقعت في هذا الحبل ، فلا تحاول الأماني المعوجّة فليس فيها مجالك».

القسم السادس

السفر الرابع للحقير لزيارة العتبات المقدسة

سنة ١٣٨٧ هجرية قمرية

السفر الرابع للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٨٧ هجريّة قمريّة

جرى هذا السفر أيضاً في أواخر شهر ذي القعدة الحرام ، واستمرّ إلى ما بعد العشرة الثانية من محرّم ، قدّر الباري المنّان فيه زيارة أبي عبد الله الحسين سيّد الشهداء عليه السلام في عرفة وفي الأيّام العشرة من محرّم ويوم عاشوراء ، وزيارة والده العظيم أمير المؤمنين عليه السلام يوم العيد السعيد لغدير خمّ ، ثمّ زيارة الكاظمين عليهما السلام وأئمّة سامرّاء عليهم السلام .

وخلال أيّام توقّف الحقير في كربلاء ، لقد قدم إليها ، سماحة آية الله الحاجّ السيّد مصطفى الخمينيّ رحمة الله عليه عدّة مرّات قادماً من النجف للتشرّف بالزيارة ، وكان يأتي إلى منزل سماحة السيّد . وكان للحقير مع ذلك المرحوم سابق المودّة ، لذا فقد كانت لي معه في هذا المنزل لقاءات عديدة ومحادثات طويلة ومفيدة نسبيّاً .

وكان من جملة الذين تشرّفوا بالمجيء من النجف إلى كربلاء وقدموا إلى بيت السيّد عدّة مرّات وكانت لديهم أسئلة ومذاكرات ، سماحة آية الله الصديق العزيز الحاجّ السيّد عبد الكريم الكشميريّ دامت معاليه ، وكانت تلك المجالس غنيمة للحقير هي الأُخرى .

ومن بين الذين تردّدوا في هذا السفر عدّة مرّات ، بل تكراراً ومراراً ، على منزل السيّد : رفيقنا الصديق الحميم وصاحبنا الشفيق القديم العزيز سماحة آية الله المرحوم الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب الشيرازيّ

رحمة الله تعالى عليه ، وكان قد تشرّف بالقدوم من شيراز لزيارة العتبات المقدّسة تلك الأيّام . وقد رافقت سماحة السيّد الحدّاد مرّة إلى فندق كربلاء ، حيث ذهبنا إلى زيارته ، وكانت علاقته مع سماحة السيّد قد توطّدت منذ زمن طويل ، واستمرّت علاقات المودّة والصفاء بينهما على الدوام .

وكانت حالات السيّد في هذا السفر قويّة جدّاً ، أي أنّ مقامات التوحيد ومراتبه كانت مستقرّة في باطنه ، متمكّنة في نفسه ، فندر أن تظهر لها بروزات وظهورات خارجيّة .

وكان في هذا السفر كثير الاشتغال في مطالعة كتاب «الفتوحات المكّيّة» **لمحيي الدين بن عربي** ، لا للاستفادة منه ، بل لمطابقة محتوياته مع حالاته ؛ فكان يمرّ على بعضه مرّ الكرام ، وحين كان لا يرى في موضوع ما إشكالاً فقد كان يتعدّاه إلى غيره ، وكان ذلك هو الغالب .

لكنّه لوحظ وهو يعترض عليه أحياناً حين يكون الأمر غير مقبول لديه ، ولم يكن آنذاك ليتعدّى هذا المطلب بسهولة ، بل كان يتأخّر أيّاماً لمقارنة مطلب الكتاب مع وارداته الحاليّة ، قبل اتّخاذ قرار برفض ذلك المطلب أو إمضائه وإقراره .

وكان من بين المطالب التي كانت مقبولة لديه تلك الأيّام والتي كان يمتدحها ـ التي كانت مكشوفة لديه هو الآخر حقيقة ـ وهي أنّ حقيقة جميع القوى نور ، وأنّ النور أمر واحد قد اتّخذ لنفسه أسماء مختلفة بحسب الموارد والعوالم ؛ وكما أورد محيي الدين :

وَاعْلَمْ أَيَّدَكَ اللهُ أَنَّ الأَمْرَ يُعْطَى أَنَّه لَوْلَا النُّورُ مَا أُدْرِكَ شَيءٌ ، لَا مَعْلُومٌ وَلَا مَحْسُوسٌ وَلَا مُتَخَيَّلٌ أَصْلاً . وَتَخْتَلِفُ عَلَى النُّورِ الأَسْمَاءُ المَوْضُوعَةُ لِلْقُوَى . فَهِيَ عِنْدَ العَامَّةِ أَسْمَاءٌ لِلْقُوَى . وَعِنْدَ العَارِفِينَ أَسْمَاءٌ

لِلنُّورِ المُدْرِكِ بِهِ.

فَإِذَا أَدْرَكْتَ المَسْمُوعَاتِ سَمَّيْتَ ذَلِكَ النَّورَ سَمْعاً، وَإِذَا أَدْرَكْتَ المُبْصَرَاتِ سَمَّيْتَ ذَلِكَ النُّورَ بَصراً، وَإِذَا أَدْرَكْتَ المَلْمُوسَاتِ سَمَّيْتَ ذَلِكَ المُدْرَكَ بِهِ لَمْساً؛ وَهَكَذَا المُتَخَيَّلَاتُ.

فَهُوَ القُوَّةُ اللَّامِسَةُ لَيْسَ غَيْرَهُ، وَالشَّامَّةُ وَالذَّائِقَةُ وَالمُتَخَيِّلَةُ وَالحَافِظَةُ وَالعَاقِلَةُ وَالمُفَكِّرَةُ وَالمُصَوِّرَةُ. وَكُلُّ مَا يَقَعُ بِهِ إدْرَاكٌ فَلَيْسَ إلَّا النُّورَ» ـ إلَى آخِرُ مَا أَفَادَهُ.[1]

ويمكن لمس هذا المطلب أيضاً من هذه الفقرة في دعاء كميل: **وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيءٍ**. الذي بُيّنت فيه قاعدة الوحدة في كثرة الأسماء والصفات الإلهيّة.

ونقرأ في دعاء الجوشن الكبير، الفقرة ٤٧:

يَا نُورَ النُّورِ! يَا مُنَوِّرَ النُّورِ! يَا خَالِقَ النُّورِ! يَا مُدَبِّرَ النُّورِ! يَا مُقَدِّرَ النُّورِ! يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ! يَا نُوراً قَبْلَ كُلِّ نُورٍ! يَا نُوراً بَعْدَ كُلِّ نُورٍ! يَا نُوراً فَوقَ كُلِّ نُورٍ! يَا نُوراً لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ!

وفي آية النور المباركة:

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، حتّى يصل إلى قوله: **نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ**[2]، حيث يمكن منها استفادة جميع مراحل النور في شبكات عالم الإمكان باختلاف درجاتها، وصولاً إلى النور القاهر لتجلّي الجلال، الذي إذا ظهر قضى على وجود السالك وجعله في الفَناء والاندكاك المحض:

١ـ «الفتوحات المكيّة» ج ٣، ص ٢٧٦ و٢٧٧ الباب ٣٦٠، الوصل الأوّل.

٢ـ مقطع من الآية ٣٥، من السورة ٢٤: النور.

وَبِنُورِكَ الَّذِي قَدْ خَرَّ مِنْ فَزَعِهِ طُورُ سَيْنَاءَ ...[1] **وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً .**

وعليه ، فإنّ مقام التوحيد المحض هذا هو أعلى درجات النور وأسمى رُتبه ، كما قد كتب المرحوم الحاجّ السيّد هاشم في رسالة صغيرة لأحد أصدقائه هذه العبارة فقط :

بِسْمِ اللَهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوحِيدُ نُورٌ ، وَالشِّرْكُ نَارٌ . التَّوحِيدُ يُحْرِقُ جَمِيعَ سَيِّئَاتِ المُوَحِّدِينَ ؛ وَالشِّرْكُ نَارٌ يُحْرِقُ جَمِيعَ حَسَنَاتِ المُشْرِكِينَ . وَالسَّلَامُ .[2]

ومن بين المطالب الواردة في «الفتوحات» والتي أعجبت سماحة الحاجّ السيّد هاشم ، عبارته في الباب ٣٦٦ ، في شأن إمام الزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف . فكان السيّد يقرأ هذه العبارة مراراً ، ويورد من كلّ فقرة من فقراتها دليلاً على سلامة طويّة الشيخ . ولمزيد من الاطّلاع نورد هنا تلك العبارة ، حسب نقل شيخ الفقهاء والمتكلّمين بهاء الملّة والدين الشيخ بهاء الدين العامليّ أعلى الله مقامه في كتابه «الأربعين» في خاتمة الحديث السادس والثلاثين ، ذلك لأنّه هو أيضاً قد تفطّن من كنايات تلك العبارة إلى تشيّعه . وعين عبارة الشيخ بهاء الدين هي :

خَاتِمَةٌ : إنَّهُ لَيُعْجِبُنِي كَلَامٌ فِي هَذَا المَقَامِ لِلشَّيْخِ العَارِفِ الكَامِلِ الشَّيْخِ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَرَبِيٍّ أَوْرَدَهُ فِي كِتَابِهِ : «الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ» .

---

١ ـ فقرتان من دعاء السمات.

٢ـ أورد في «تذكرة الأولياء» ص ٣٢٠ ، الباب ٣٥ ، طبعة صفي علي شاه ، في ترجمة أحوال يحيى معاذ الرازيّ حكاية عنه أنّه قال (بالفارسيّة):

التوحيد نور ، والشرك نار . نور التوحيد يحرق جملة سيّئات الموحّدين ؛ ونار الشرك تحيل جملة حسنات المشركين رماداً .

قَالَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِـي البَـابِ الثَّـلاثْمِائَةِ وَالسِّتِّ وَالسِّـتِّينَ مِـنَ الكِتَابِ المَذْكُورِ:

إنَّ لِلَّهِ خَلِيفَةً يَخْرُجُ ، مِنْ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللهُ عَـلَيْهِ [وَآلِـهِ] وَسَلَّمَ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ [عَلَيْهَا السَّـلَامُ] ، يُوَاطِـئُ اسْـمُهُ اسْـمَ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ جَدُّهُ الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] ، يُبَايَعُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالمَقَامِ . يُشْبِهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِـهِ] وَسَـلَّمَ فِـي الخَلْقِ ـ بِفَتْحِ الخَاءِ ـ وَيَنْزِلُ عَنْهُ فِي الخُلْقِ ـ بِضَمِّ الخَاءِ ـ .

أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ الكُوفَةِ . يَعِيشُ خَمْساً أَوْ سَبْعاً أَوْ تِسْعاً .

يَضَعُ الجِزْيَةَ ، وَيَدْعُو إلَى اللَـهِ بِـالسَّيْفِ . وَيَـرْفَعُ المَـذَاهِبَ عَـنِ الأَرْضِ . فَلَا يَبْقَى إلَّا الدِّينُ الخَالِصُ .

أَعْدَاؤُهُ مُقَلِّدَةُ العُلَمَاءِ أَهْلِ الاجْتِهَادِ ، وَلِمَا يَرَوْنَهُ يَحْكُمُ بِخِلَافِ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ أَئِمَّتُهُمْ ؛ فَيَدْخُلُونَ كُرْهاً تَحْتَ حُكْمِهِ خَوْفاً مِنْ سَيْفِهِ .

يَفْرَحُ بِهِ عَامَّةُ المُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْ خَوَاصِّهِمْ . يُبَايِعُهُ العَـارِفُونَ مِـنْ أَهْلِ الحَقَائِقِ عَنْ شُهُودٍ وكَشْفٍ بِتَعْرِيفٍ إلَهِيٍّ .

لَهُ رِجَالٌ إلَهِيُّونَ يُقِيمُونَ دَعْوَتَهُ وَيَنْصُرُونَهُ . وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ بِـيَدِهِ لَأَفْتَى الفُقَهَاءُ بِـقَتْلِهِ . وَلَكِـنَّ اللَـهَ يُـظْهِرُهُ بِـالسَّيْفِ وَالكَـرَمِ . فَـيَطْمَعُونَ وَيَخَافُونَ . وَيَقْبَلُونَ حُكْمَهُ مِنْ غَيْرِ إيمَانٍ وَيُضْمِرُونَ خِلَافَهُ ، وَيَـعْتَقِدُونَ فِيهِ إذَا حَكَمَ فِيهِمْ بِغَيْرِ مَذْهَبِ أَئِمَّتِهِمْ أَنَّهُ عَلَى ضَلَالٍ فِـي ذَلِك . لأَنَّـهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الاجْتِهَادِ وَزَمَانِهِ قَـدِ انْقَطَـعَ وَمَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ فِي العَالَمِ ؛ وَأَنَّ اللهَ لَا يُوجِدُ بَعْدَ أَئِمَّتِهِمْ أَحَداً لَهُ دَرَجَةُ الاجْتِهَادِ .

وَأَمَّا مَن يَدَّعِي التَّعْرِيفَ الإلَهِيَّ بِـالأَحْكَامِ الشَّـرْعِيَّةِ فَـهُوَ عِـنْدَهُمْ

مَجْنُونٌ فَاسِدُ الخَيَالِ ـ انْتَهَى كَلَامُهُ.[١]

فَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنِ البَصِيرَةِ، وَتَنَاوَلْهُ بِيَدٍ غَيْرِ قَصِيرَةٍ ؛ خُصُوصاً قَوْلَهُ : «إنَّ لِلَّهِ خَلِيفَةً» ، وَقَوْلَهُ : «أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ الكُوفَةِ» ، وَقَوْلَهُ : «أَعْدَاؤُهُ مُقَلِّدَةُ العُلَمَاءِ أَهْلِ الاجْتِهَادِ» ، وَقَوْلَهُ : «لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الاجْتِهَادِ وَزَمَانَهُ قَدِ انْقَطَعَ» ـ إلَى آخِرِ كَلَامِهِ ؛ عَسَى أَنْ تَطَّلِعَ عَلَى مَرَامِهِ ، وَاللَهُ وَلِيُّ التَّوفِيقِ.[٢]

١ـ أورد المرحوم الشهيد القاضي نور الله التستريّ عين هذه العبارة في «مجالس المؤمنين» ج ٢ ، ص ٢٨١ ، المجلس السادس ، الطبعة الحجريّة في ترجمة محيي الدين.

٢ـ «الأربعين» للشيخ البهائيّ ، ص ٣١٢ و٣١٣ ، في ذيل الحديث ٣٦ ، الطبعة الحجريّة. وقد ذكر عبد الوهّاب الشعرانيّ في كتاب «اليواقيت والجواهر» ج ٢ ، ص ١٤٣ ، المبحث الخامس والستّون ، طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبيّ ، سنة ١٣٧٨ ، **في بيان أنّ جميع أشراط الساعة التي أخبرنا بها الشارع حقّ لابدّ أن تقع كلّها قبل قيام الساعة**. ونقل قصّة المهديّ مفصّلة من ص ١٤٢ إلى ١٤٥ ، وذكر أنّه الابن بلا فصل للإمام الحسن العسكريّ مع عدّ أجداده واحداً بعد واحد إلى أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سلام الله عليهم أجمعين، وذكر زمن ولادته في سنة ٢٥٥ هـ . ق ومقدار عمره إلى زمن كتابة «اليواقيت» ووزرائه وخصائصه. وهذه المطالب مقتبسة من مطالب الشيخ محيي الدين بن عربي في «الفتوحات».

يقول شارح «مناقب محيي الدين» ، ص ٣٤ إلى ٣٦ الطبعة الحجريّة : حاصل القصد إظهار العقيدة الصحيحة في وجود الإمام القائم عجّل الله تعالى فرجه . ووجه دلالة هذه العبارة على تشيّعه كما عرض شيخنا البهائيّ قدّس سرّه ، عدّة وجوه:

أوّلها : قوله في أوّل العبارة : **إنَّ لِلَّهِ خَلَيفَةً يَخْرُجُ** ـ انتهى ؛ وهذه العقيدة خلافاً للكفّار والسنّة، فهؤلاء مع اعترافهم بظهور المهديّ الموعود إلّا أنّ الاعتقاد بحياة ووجود المهديّ هو من مختصّات جماعة الإ ماميّة.

والآخر : قوله : **وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ الكُوفَة** ؛ وهذه العقيدة أيضاً من مختصّات الطائفة الاثني عشريّة الذين يقولون إنّ شمس إ مامة القائم عليه السلام تطلع من مكّة ثمّ يقدم الكوفة مباشرة فيرسل ـ بعد السيطرة على الكوفة وطاعة أهلها له ـ الجيوش إلى سائر البلاد ⇦

أقول : ما ذكره المرحوم الشيخ بهاء الدين العامليّ هنا ، موجود في «الفتوحات المكّيّة» ج ٣ ، ص ٣٢٧ الباب ٣٦٦ ، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ، مصر ، في أربعة أجزاء ؛ وذلك إلى عبارة : **يُقِيمُونَ دَعْوَتَهُ وَيَنْصُرُونَهُ** وقد ذُكرت باقي العبارات في ص ٣٣٦ ، في نفس الباب ، من السطر ٧ إلى ١٣ بشكل متفرّق ؛ وعليه فإنّ مطالب الشيخ بهاء الدين بهذه الصورة الكاملة هي ملتقطات من كلام محيي الدين في جميع هذا الباب .

والنكتة الأُخرى هي أنّه ذكر اسم الإمام المهديّ حيثما ورد في «الفتوحات» (طبعة بولاق ، في ستّة أجزاء) وكذلك في «اليواقيت» للشعرانيّ فعدّه من أولاد الحسين بن عليّ بن أبي طالب وقال : «وَجَدُّهُ الحُسَيْن» . لكنّ الطبعة التي طبعتها دار الكتب العربيّة (في أربعة أجزاء) أوردت اسم أبيه : الحسن بن عليّ بن أبي طالب ؛ ومن الجليّ أنّ هذا خطأ مطبعيّ .

وقد عدّ الكثير من أعلام الشيعة عبارة الشيخ محيي الدين هذه دليلاً على تشيّعه ، لأنّها نفس معتقدات الشيعة .

أضف إلى ذلك المطالب الأُخرى الواردة في «الفتوحات» بشأن

⇦ الأُخرى.

والآخر : أنّ جميع التشنيعات التي أوردها في هذه العبارة منحصرة بفقهاء الجماعة وأتباعهم، فهو يصرِّح بقوله : **لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَهْلَ الاجْتِهَادِ وَزَمَانَهُ قَدِ انْقَطَعَ** ؛ أي أنّ فقهاء الجماعة لن يؤمنوا به بعد ظهوره إيماناً واقعيّاً ، بل يلتزمون طريق المعارضة والمخاصمة، وذلك لأنّهم يقولون : إنّ طرق الاجتهاد مسدودة تماماً بعد الأئمّة الأربعة : **محمّد بن النعمان أبو حنيفة ، ومالك بن أنس ، وأحمد بن حنبل ، ومحمّد بن إدريس الشافعيّ** ؛ وإنّ أيّة فتوى خلافاً لآراء هؤلاء الفقهاء الأربعة تُعدّ مرفوضة ؛ لذا فإنّهم يعدّون الأحكام الإلهيّة للإمام الحجّة والتي تخالف تلك المجعولات ، أمراً غير مشروع ويتخيّلون التعريفات الإلهيّة محالة بغير طريق الاجتهاد الظاهريّ.

القياس ، وقوله : «وأما القياس فلا أقول به» .

أقول : لا يوجد أبداً بين العامّة من لا يعمل بالقياس ، وأبو حنيفة غاطس في القياس من رأسه إلى أخمص قدميه . ولقد كان محيي الدين بن عربي حسب الظاهر مالكيّ المذهب[١]، ومالك هو الآخر يعمل بالقياس ، ولكن بدرجة أقلّ من أبي حنيفة .

بَيدَ أنّ هناك بين العامّة من يقترب من الشيعة في عدم العمل بالقياس ، وهو الشافعيّ . فإنّه يكاد يعتبر : تنقيح المناط القطعيّ حجّة ، كما نعدّه حجّة ، ولا يعمل بالقياس مع أنّه يختلف في مبانيه الفقهيّة مع الشيعة .

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يمتدح أيضاً هذه الجملة الواردة عن محيي الدين في قوله : **وَأَمَّا القِيَاسُ فَلَا أَقُولُ بِهِ ، وَلَا أُقَلِّدُ فِيهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً** .

وقد أورد **الملّا السيّد صالح الخلخاليّ الموسويّ** ، وهو من التلامذة البارزين **للسيّد الميرزا أبي الحسن جلوه الإصفهانيّ** في كتابه باسم «شرح مناقب محيي الدين بن عربي» بياناً عن المحدِّث النيسابوريّ في تشيّع محيي الدين ، حيث ذكر من بين الأدلّة على تشيّعه مخالفته للقياس ؛ وعبارة الشارح هي :

ومن بين الدلائل التي أوردها المحدِّث النيسابوريّ والحاكية عن صراحة تشيّعه هذه العبارة :

١ـ عدّه المرحوم الحاجّ النوريّ قدّس سرّه في كتاب «النجم الثاقب» ص ١٢٨ ، السطر الأخير ، الباب ٧ ؛ مالكيّاً ، واعتبره المرحوم الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ قدّس سرّه شاميّاً دون أن يذكر مذهبه ، وذلك في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ٨ ، ص ٢٦٩ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة الجامعة ، سنة ١٣٨٠ .

قوله في الباب الثامن عشر وثلاثمائة ما لفـظه : ... **فَمَا ثَمَّةَ شَارِعٌ إلَّا اللهُ . قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ : «لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ»[1] ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ بِمَا رَأَيْتَ . بَلْ عَاتَبَهُ سُبْحَانَهُ لِمَا حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ بِاليَمِينِ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ بِقَوْلِهِ جَلَّ وَعلَا : «يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ».[2]**

وَكَانَ هَذَا مِمَّا أَرَتْهُ نَفْسُهُ فَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ رَأْيُ النَّبِيِّ أَوْلَى مِنْ رَأْيِ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ ـ إلَى أَنْ قَالَ فِي بَابٍ آخَرَ مِنْهُ :[3]

١ـ مقطع من الآية ١٠٥ ، من السورة ٤ : النساء : **إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا.**

٢ـ صدر الآية ١ ، من السورة ٦٦ : التحريم.

٣ـ «الفتوحات المكّيّة» ج ٣ ، ص ٦٨ إلى ص ٧٢ ، طبعة دار الكتب العربيّة، الباب ٣١٨ ، وعنوان الباب هو : **فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلِ نَسْخِ الشَّرِيعَةِ المُحَمَّدِيَّةِ وَغَيْرِ المُحَمَّدِيَّةِ بِالأَغْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ بِمَنِّهِ .**

وندعو القرّاء الأعزّاء وخاصّة الطلّاب إلى مطالعة هذا الباب ، لاحتوائه على مطالب مفيدة جدّاً وُفق آراء الشيعة والمذهب الجعفريّ في عدم صحّة العمل بالرأي ؛ فـهو يـثبت بشكل عامّ أنّ علّة ظهور العمل بالرأي متابعة فقهاء العامّة من عبدة الدنيا لأهـواء الخـلفاء والحكّام في عصرهم . من بينها قوله:

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا غَلَبَتِ الأَهْوَاءُ عَلَى النُّفُوسِ وَطَلَبَتِ العُلَمَاءُ المَرَاتِبَ عِنْدَ المُلُوكِ تَرَكُوا المَحَجَّةَ البَيْضَاءَ وَجَنَحُوا إلَى التَّأْوِيلَاتِ البَعِيدَةِ لِيَمْشُوا أَغْرَاضَ المُلُوكِ فِيمَا لَهُمْ فِيهِ هَوَى نَفْسٍ لِيَسْتَنِدُوا فِي ذَلِكَ إلَى أَمْرٍ شَرْعِيٍّ ، مَعَ كَوْنِ الفَقِيهِ رُبَّمَا لَا يَعْتَقِدُ ذَلِكَ وَيُفْتِي بِهِ .

وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ جَمَاعَةً عَلَى هَذَا مِنْ قُضَاتِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ . وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي المَلِكُ الظَّاهِرُ غَازِي بْنُ المَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ وَقَدْ وَقَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي مِثْلِ هَـذَا كَلَامٌ ، فَنَادَى بِمَمْلُوكٍ وَقَالَ : جِئْنِي بِالحَرْمَدَانِ . فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُ الحَرْمَدَانِ ؟! قَالَ : أَنْتَ تُنْكِرُ عَلَيَّ مَا يَجْرِي فِي بَلَدِي وَمَمْلَكَتِي مِنَ المُنْكَرَاتِ وَالظُّلْمِ ، وَأَنَا وَاللهِ أَعْتَقِدُ مِثْلَ مَا تَعْتَقِدُ أَنْتَ فِيهِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُنْكَرٌ وَلكِنْ وَاللهِ يَا سَيِّدِي ، مَا مِنْهُ مُنْكَرٌ إلَّا بِفَتْوَى فَقِيهٍ وَخَطِّ ⇦

لَا يَجُوزُ أَن يُدَانَ اللهُ بالرَّأْيِ . وَهُوَ القَوْلُ بِغَيرِ حُجَّةٍ وَبُـرْهَانٍ مِـنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ وَلَا إجْمَاعٍ . وَأَمَّا القِيَاسُ فَلَا أَقُولُ بِهِ وَلَا أُقَلِّدُ فِيهِ جُـمْلَةً وَاحِدَةً . فَمَا أَوْجَبَ اللَهُ عَلَيْنَا الأَخْذَ بِقَوْلِ أَحَدٍ غَيْرِ رَسْولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.[1]

ثمّ يقول الشارح هنا : وأمّا دلالة هذه العبارة على تشيّعه كـما تـصوّر المحدِّث النيسابوريّ فـهي أنّ عـلماء السـنّة اعـتبروا فـي إجـراء الأحكـام الشرعيّة ، دليل القياس برهاناً مستقلاًّ مقابل الكتاب والسنّة ، وعدّوا العمل بمقتضاه متّبعاً .

وباعتبار مخالفة عقيدة الشيخ لاعتقاد علماء الجماعة ، فقد أنكر هذا المعنى بشدّة ، بقوله : «فلو كان هذا الدِّين بـالرأي لكـان رأي النـبيّ أولى ، لأنّ له مقام ومنزلة العصمة ... ومن المؤكّد أنّ رأيه الشـريف مـعصوم مـن

⇦ **يَدِهِ عِنْدِي بِجَوَازِ ذَلِكَ ، فَعَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ . وَلَقَدْ أَفْتَانِي فَقِيهٌ هُوَفُلَانٌ ـ وَعَيَّنَ لِي أَفْضَلَ فَقِيهٍ عِنْدَهُ فِي بَلَدِهِ فِي الدِّينِ وَالتَّقَشُّفِ ـ بِأَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيَّ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ هَذَا بِعَيْنِهِ ، بَـلِ الوَاجِبُ عَلَيَّ شَهْرٌ فِي السَّنَةِ وَالاخْتِيَارُ لِي فِيهِ أَيَّ شَهْرٍ شِئْتُ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ . قَالَ السُّلْطَانُ : فَلَعَنْتُهُ فِي بَاطِنِي وَلَمْ أُظْهِرْ لَهُ ذَلِكَ وَهُوَ فُلَانٌ ، وَسَمَّاهُ لِي رَحِمَ اللهُ جَمِيعَهُمْ .**

فَلْتَعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ مَكَّنَهُ اللهُ مِنْ حَضْرَةِ الخَيَالِ وَجَعَلَ لَهُ سُلْطَاناً فِيهَا ، فَإذَا رَأَى الفَقِيهَ يَمِيلُ إلَى هَوَىً يَعْرِفُ أَنَّهُ يَرْدَى عِنْدَ اللهِ زَيَّنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ بِتَأْوِيلِ غَرِيبٍ يُمَهِّدُ لَهُ فِيهِ وَجْهاً يُحَسِّنُهُ فِي نَظَرِهِ وَيَقُولُ لَهُ : إنَّ الصَّدْرَ الأَوَّلَ قَدْ دَانُوا اللهَ بِالرَّأْيِ وَقَاسَ العُلَمَاءُ فِـي الأَحْكَامِ وَاسْتَنْبَطُوا العِلَلَ لِلأَشْيَاءِ وَطَرَّدُوهَا وَحَكَمُوا فِي المَسْكُوتِ عَنْهُ بِمَا حَكَمُوا بِهِ فِي المَنْصُوصِ عَلَيهِ لِلْعِلَّةِ الجَامِعَةِ بَيْنَهُمَا ؛ وَالعِلَّةُ مِن اسْتِنْبَاطِهِ . فَإذَا مَهَّدَ لَهُ هَذِهِ السَّبِيلَ جَنَحَ إلَى نَيْلِ هَوَاهُ وَشَهْوَتِهِ بِوَجْهٍ شَرْعِيٍّ فِي زَعْمِهِ ، فَلَا يَزَالُ هَكَذَا فِعْلُهُ فِي كُلِّ مَا لَهُ أَوْ لِسُلْطَانِهِ فِيهِ هَوَى نَفْسٍ وَيَرُدُّ الأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ . إلى آخر ما أفاده ؛ والحقّ أنّه أجاد فيما قال.

١ـ «روضـات الجنّـات» ج ٤ ، ص ١٩٥ ، الطبعـة الحجـريّـة ، نقـلاً عـن المـحـدِّث النيسابوريّ في رجاله الكبير.

الزلّة ، ومع ذلك عاتبه سبحانه على اتّباعه رأيه بقوله جلّ وعلا : **يَـٰأَيُّـهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ** ، إذاً في هذه الحالة لا يجوز لأحد العمل بالقياس الذي هو في الواقع رأي بلا دليل» .[1]

وعموماً فقد قال الكثير من العلماء الأعلام بتشيّع محيي الدين ، وأثبتوا هذا الأمر بطرق عديدة .

وللملّا السيّد صالح الموسويّ الخلخاليّ قدّس الله سرّه بيان جميل ومفصّل في مقدِّمة كتابه «شرح مناقب» التي خصّصها تقريباً لهذا الأمر ، يقول فيها : ولد **محيي الدين** في شهر رمضان المبارك لسنة ٥٦٠ هـ. ق في مدينة مُرْسِيَة ، وهي من المدن الشرقيّة لجزر الأندلس[2]، وارتحل في العاشر من شهر رمضان المبارك لسنة ٦٣٨ هـ. ق[3] ، ودُفن في ظاهر دمشق[4] في المحلّ المعروف **بالصالحيّة** . ثمّ يحكي الملّا صالح عن أُستاذه المرحوم الحكيم جلوه أنّه قال : لقد قال الملّا الروميّ هذا البيت من الشعر حين كان مشغولاً عند قبر الشيخ بالرياضة والاستفاضات الروحيّة :

اندر جبل صالحه كانى است ز گوهر

زان است كه ما غرقهٔ درياى دمشقيم[5]

١ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٢٩ إلى ص ٣١ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ١٢ الطبعة الحجريّة ؛ و«روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٣ إلى ١٩٥ ، الطبعة الحجريّة.

٣ـ يقول **القاضي نور الله التستريّ** في كتاب «مجالس المؤمنين» ص ٢٨٤ ، المجلس السادس، في شرح أحوال محيي الدين ، الطبعة الحجريّة : كانت ولادة الشيخ محيي الدين في الثامن عشر من شهر رمضان لسنة ستّين وخمسمائة ، ووفاته ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الآخر لسنة ثمان وثلاثين وستمائة.

٤ـ أي خارج مدينة دمشق ؛ ظاهر البلد : خارجه.

٥ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٦١ .

⇦

ولقد كتب محيي الدين «الفتوحات المكّيّة» في **مكّة** ، ثمّ قَدِم إلى دمشق ؛ وكان جمع من رؤساء مشايخ الطريقة آنذاك قد جعلوا مدينة دمشق مقرّاً لإقامتهم ، مثل **الشيخ سعد الدين الحمويّ** و**الشيخ عثمان** الروميّ و**أوحد الدين الكرمانيّ** و**جلال الدين محمّد الروميّ** صاحب «المثنويّ» ، فكانوا جليسي خلوة الشيخ الكامل وأنيسي وحدته .

وقد ألَّف الشيخ كتاب «**فصوص الحكم**» وهو من كتبه النفيسة أيّام إقامته في دمشق حسب أمر خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .[1]

ويصرّ على إثبات تشيّع الشيخ أشخاص أمثال **ابن فَهْد الحلّيّ والشيخ البهائيّ والمحقّق الفيض الكاشانيّ والمرحوم المجلسيّ الأوّل والقاضي نور الله التستريّ** ، **والمحدِّث النيسابوريّ** وغيرهم .

يقول الفاضل المعاصر في كتاب «الروضات» :

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ المَغْرِبِيُّ الحَاتِمِيُّ الإشْبِيلِيُّ الأَنْدُلُسِيُّ ثُمَّ المَكِّيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ المُلَقَّبُ مُحْيِي الدِّينِ بْنِ العَرَبِيِّ ؛ كَانَ مِنْ أَرْكَانِ سِلْسِلَةِ العُرَفَاءِ وَأَقْطَابِ أَرْبَابِ المُكَاشَفَةِ وَالصَّفَاءِ مُمَاثِلاً وَمُعَاصِراً لِلشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الحَسَنِيِّ الجِيلَانِيِّ المُشْتَهِرِ قَبْرُهُ بِبَغْدَادَ ، بَلْ جَمَاعَةٍ أُخْرَى مِنْ كِبَارِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ المُنْتَشِرِ ذِكْرُهُمْ فِي البِلَادِ ؛ إلَّا أَنَّ القَائِلَ بِكَوْنِهِ مِنْ جُمْلَةِ الشِّيعَةِ الإمَامِيَّةِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ مَوْجُودٌ بِخِلَافِ أُولئِكَ الجُنُودِ.[2]

ويقول المحدِّث النيسابوريّ في كتاب رجاله الكبير : ...**ظَاهِرُ تَصَانِيفِهِ عَلَى مَذْهَبِ العَامَّةِ لأَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنٍ شَدِيدٍ ، وَقَدْ أَخْرَجْنَا عِبَارَاتِهِ**

⇦ يقول : «تحت جبل «صالحة» معدن من الجوهر ، غرقنا بسببه في بحر دمشق».

١ ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ١٧ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٢٥ .

النَّاصَّةَ عَلَى خَصَائِصِ مَذْهَبِ الإمَامِيَّةِ الاثْنَي عَشَرِيَّةِ فِـي كِـتَابِ «مِـيزَانِ التَّمْيِيزِ فِي العِلْمِ العَزِيزِ» ـ انتهى.[1]

ويقول المحدِّث السيّد الجزائريّ بعد نقل عبارته المذكورة في «الفتوحات» بشأن صاحب الزمان: **وَهُوَ كَلَامٌ أَنِيقٌ، بَلْ رُبَّمَا لَاحَ مِنْهُ حُسْنُ الاعْتِقَادِ وَالرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الرَّأْيِ وَالقِيَاسِ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَضْرَابِهِ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ كَلَامُ خَالٍ عَنِ التَّعَصُّبِ وَإنْ كَانَ صَاحِبُهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بِلَا كَلَام.**[2]

وقد روى صاحب «الروضات» هذه الأشعار عن كتاب وصاياه وأسندها إليه:

وَصَّى الإلَـهُ وَوَصَّتْ رُسْـلُهُ فَـلِذَا
كَانَ التَّأَسِّي بِهِمْ مِنْ أَفْضَلِ العَـمَلِ
لَوْلَا الوَصِيَّةُ كَانَ الخَلْقُ فِـي عَـمَهٍ
وَبِـالوَصِيَّةِ دَامَ المُـلْكُ فِـي الدُّوَلِ
فَـاعْمِدْ إلَـيْهَا وَلَا تُـهْمِلْ طَـرِيقَتَهَا
إنَّ الوَصِيَّةَ حُكْـمُ اللَـهِ فِـي الأَزَلِ[3]

١ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٢٦؛ و«روضات الجنّات» ج ٢، ص ١٩٣ إلى ١٩٥، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «شرح مناقب»، ص ٣٦ و٣٧ الطبعة الحجريّة؛ و«روضات الجنّات» ج ٤، ص ١٩٥.

٣ـ وردت هذه الأبيات مع أبيات أُخرى مجموعها ٢١ بيتاً في صدر الباب ٥٦٠ من «الفتوحات» وهو آخر باب في هذا الكتاب، يقول في عنوانه: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، «البَابُ المُوفِي سِتِّينَ وَخَمسْمِائَةٍ، فِي وَصِيَّةٍ حِكَمِيَّةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا المُرِيدُ السَّالِكُ وَالوَاصِلُ وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.** ⇦

وحاصل القصد : أنّ الله تعالى شأنه قد عيّن الخلافة في عالم الناسوت لإجراء النواميس الإلهيّة ، وذلك بقوله تعالى : **إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** .[١]

وقد عيّن لكلٍّ من سائر الأنبياء المرسلين وصيّاً يخلف النبيّ لتكميل الشريعة وحفظها ؛ ولو لم تكن التوصية هي طريقة الأنبياء منذ القِدَم ، لآلَ أمر جميع الناس إلى الحيرة والضلال .

وهذه الأشعار الناضجة التي كانت من نسج خاطره ، قد كشفت عن حسن ضميره وصفاء نيّته ؛ وذلك لأنّ عقيدة علماء السنّة هي عدم وجوب تعيين وصيّ للّه ونبيّه . فقد أظهر تلويحاً بحسن طويّته وصفاء عقيدته في هذه الأشعار النضرة ، وعرّض بمخالفة طريقة الجماعة .

أورد **القاضي نور الله التستريّ** في كتاب «المجالس» في ترجمته :

أَوْحَدُ المُوَحِّدِينَ مُحْيِي الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ العَرَبِيُّ الطَّائِيُّ الحَاتِمِيُّ الأَنْدُلُسِيُّ ، انحدر من عائلة الفضل والجود ، وارتقى من حضيض التعلّقات والقيود إلى أوج الإطلاق والشهود . تصل نسبة خرقته بواسطة واحدة إلى **الخضر** على نبيّنا وعليه السلام . والخضر حسب تصريح مولانا

⇦ وقد جاءت وصيّته هذه في طبعة دار الكتب العربيّة ، مصر : ج ٤ ، ص ٤٤٤ ؛ وشغلت بقيّة الباب وصاياه النافعة وكثيرة الفائدة التي تستوعب الكتاب إلى ص ٥٦١ .

وقد بُذلت همّة كبيرة في إخراج هذا الباب وطباعته بشكل كتاب مستقلّ ، وطبع للمرّة الثانية في مكتبة قصيباتي في دمشق ، سنة ١٣٧٦ هجريّة قمريّة باسم «**الوَصَايَا لِلشَّيْخ مُحْيِي الدِّين بْنِ عَرَبِي الحَاتِمِيِّ الطَّائِيِّ**» وطُبعت هذه الأبيات في الصفحة الأُولى للكتاب (الصفحة الرابعة حسب الترقيم) . وكذلك وردت هذه الوصيّة في «الروضات» ج ٤ ، ص ١٩٣ ، حكاية عنه .

١ـ مقطع من الآية ٣٠ ، من السورة ٢ : البقرة .

قطب الدين الأنصاريّ صاحب «المكاتيب» هو خليفة الإمام **عليّ بن الحسين** عليه السلام .

روى **الشيخ أبو الفتوح الرازيّ** في تفسير هذه الآية : **قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ**[1] ، أنّ الخضر قال لبعض العرفاء الواصلين : أنا من موالي عليّ ومن جملة الموكّلين بشيعته .

وقد سمع من بعض الدراويش من سلسلة النوربخشيّة أنّ كلّ مَن أظهر ملاقاته للخضر من مشايخ الصوفيّة أو نسب خرقته إليه فقد أخبر في الحقيقة عن التزامه **مذهب الشيعة** ، ولوّح بعقيدته في باب الإمامة .

وكلام الشيخ في «الفتوحات» على الوجه الذي ذُكر ، صريح في اعتقاده بإمامة ووصاية الأئمّة الاثني عشر **لسيّد البشر** صلوات الله عليهم . ولقد أومأ بدقّة إلى حديث **المنزلة** تحت عنوان **فَصّ هارونيّ** من كتاب «**الفصوص**» . وقد أعرض في رسالته المشهودة عن ذكر إيمانه بإمامة الخلفاء ، ونوّه بلطف إلى وجوب الاعتقاد بالأُمور الواقعة في يوم الغدير ومن جملتها تعيين خلافة الأمير عليه السلام ، حتّى يصل إلى قوله :

وَوَقَفَ فِي حِجَّةِ وَدَاعِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ مِنْ أَتْبَاعِهِ ، فَخَطَبَ وَذَكَرَ وَخَوَّفَ وَحَذَّرَ وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ ـ إلى أن قال : **هَلْ بَلَّغْتُ ؟! فَقَالُوا : بَلَّغْتَ يَا رَسُولَ اللَهِ ! فَقَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ !**

ويقول كذلك : إنّ جناب غوث المتأخِّرين السيّد **محمّد نور بخش** نوّر الله مرقده ، الذي كان جامعاً للعلوم الظاهريّة والباطنيّة ، قد أكّد صحّة عقيدة الشيخ على أكمل وجه وأتمّه ؛ كما أسند إليه القاضي التستريّ هذه الأشعار :

١ـ صدر الآية ٢٦ ، من السورة ٥ : المائدة.

رَأَيتُ وَلَائِـــي آل طَـــه وَسِــيلَةً
لِأُرْغِمَ أَهْـلَ البُـعْدِ يُـورِثُنِي القُـرْبَى
فَمَا طَلَبَ المَبْعُوثُ أَجْراً عَلَى الهُدَى
بِــتَبْلِيغِهِ إلَّا المَــوَدَّةَ فِــي القُــرْبَى [١]

يقول مُطَرِّزُ الأوراق : إنّ عبارة **الفصّ الهارونيّ** التي بشّر القاضي التستريّ من إشارتها بتشيّعه هي : **فَصُّ حِكْمَةٍ إمَامِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ هَارُونِيَّةٍ .**

ويلزم لبيان إشعار هذه العبارة بحديث المنزلة أن نورد شرحاً مبسوطاً لذلك . ينبغي العلم أنّ : حديث المنزلة من الأحاديث المستفيضة ، وهو عند البعض من الأحاديث المتواترة ؛ فقد روى كلّ من جماعة الشيعة والسنّة ذلك الحديث الشريف على وجه خاصّ .

فقد رواه **جمال الدين يوسف** سبط أبي الفرج الجوزيّ ، وهو من فضلاء أهل السنّة والجماعة ، عن أحمد بن حنبل أحد الأئمّة الأربعة لتلك الجماعة بهذه الكيفيّة :

قَالَ : آخَى رَسُولُ اللهِ بَيْنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ . فَبَكَى عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ : مَا يُبْكِيكَ ؟!

فَقَالَ : لَمْ تُوَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ ! فَقَالَ : إنَّمَا ادَّخَرْتُكَ لِنَفْسِي ؛ ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى !

وروى **محمّد بن** [**محمّد بن**] **النعمان** المعروف **بالشيخ المفيد** أعلى

١ـ وردت جميع المطالب المنقولة عن القاضي نور الله في كتاب «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٥ و١٩٦ ، الطبعة الحجريّة ؛ ويقول المرحوم القاضي نور الله في خصوص هذين البيتين في المجلس السادس من «مجالس المؤمنين» ج ٢ ، ص ٢٨١ : ومن أشعار جناب الشيخ في مدائح آل طه هذان البيتان المذكوران في كتاب «الإحياء».

الله مقامه والمشهور **بابن المعلم**، هذا الحديث الشريف في كتابه «الإرشاد» بهذا النحو:

لمّا أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله الخروج إلى غزوة تبوك استخلف أمير المؤمنين عليه السلام مكانه على المدينة المنوّرة، فأرجف منافقو المدينة به عليه السلام. فلما بلغه إرجافهم به لحق بالنبيّ حتّى التحق بموكبه الميمون، وقال له:

يَا رَسُولَ اللَهِ ! إنَّ المُنَافِقِينَ يَزْعَمُونَ أَنَّكَ إنَّمَا خَلَّفْتَنِي مَقْتاً وَاسْتِثْقَالاً !

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: ارْجِعْ يَا أَخِي إلَى مَكَانِكَ ! فَإنَّ المَدِينَةَ لَا تَصْلَحُ إلَّا بِي أَوْ بِكَ. فَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي وَدَارِ هِجْرَتِي وَقَوْمِي ![1] **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟!**

وعموماً فقد استنبط رؤساء علماء الإماميّة رضوان الله عليهم أجمعين من هذا الحديث الشريف، البرهان القاطع على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام؛ فهم يقولون: إنّ جميع المنازل الهارونيّة ثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام بمقتضى هذا الحديث المتواتر، بقرينة **عموم المنزلة** ووجود استثناء النبوّة، ومن جملتها منزلة خلافته لموسى عليه السلام. لذا فإنّ لأمير المؤمنين هو الآخر حسب الميزان العامّ لهذا الحديث، الخلافة بلا فصل لمحمّد صلوات الله عليه وآله كما في **هَارُونَ لِمُوسَى**.

حتّى يصل إلى قوله: وبعد اتّضاح هذه المقدّمات نقول: باعتبار وجود الرغبة في التشيّع في نفس الشيخ، فإنّ له في عبارته هذه نوعين من البشارة من حديث المنزلة:

١ـ في نسخة «الإرشاد» للمفيد: قومي.

أُولاهما : أنّه نصب في ظاهر العبارة إيهاماً ، بحيث يمكن الإيهام من ظاهر العبارة بأنّ القصد منها أن : حكمة الطائفة الإماميّة في **الكَلِمَةِ الهَارُونِيَّةِ** وهي حديث المنزلة ولفظ «**اخْلُفْنِي**» .

وثانيهما : من أجل مخالفة علماء الجماعة في عقيدتهم في إنكارهم الخلافة الهارونيّة ، فقد أورد في عبارته المقام الهارونيّ صريحاً بلفظ «**الإمامة**» ولم يبالِ بمخالفة تلك الجماعة .

وكذلك يروي القاضي التستريّ في ترجمة **سلمان الفارسيّ** هذه العبارة عن «الفتوحات» دليلاً على حسن طويّة الشيخ :

هَذَا شَهَادَةٌ مِنَ النَّبِيِّ لِسَلْمَانَ الفَارِسِيِّ بِالطَّهَارَةِ وَحِفْظِ الآلِ ، حَيْثُ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ : سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ ؛ وَشَهِدَ اللهُ لَهُمْ بِالتَّطْهِيرِ وَذَهَابِ الرِّجْسِ عَنْهُمْ . وَإذَا كَانَ لَا يُضَافُ إِلَيْهِمْ إلَّا مُطَهَّرٌ مُقَدَّسٌ وَحَصَلَتْ لَهُ العِنَايَةُ الإلَهِيَّةِ بِمُجَرَّدِ الإضَافَةِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ البَيْتِ فِي نُفُوسِهِمْ وَهُمُ المُطَهَّرُونَ بَلْ عَيْنُ الطَّهَارَةِ ؟![1]

وعموماً فعلى الرغم من صعوبة إثبات تشيّعه بأمثال هذه العبارات مع وجود كلمات متضافرة أُخرى ترجّح سنّيّته ، ولكن بعد ملاحظة تضاعيف هذه العبارات التي ملئت بها دفاتره وتصانيفه ، فإنّ اليقين العاديّ يحصل بأنّ ضميره قد مُلئ سروراً وبهجة بمحبّة تلك الأرواح المقدّسة ، وأنّ قلبه السليم قد اكتسب النور من مشكاة أنوارهم الطاهرة ؛ حيث اعتبر جماعة أنّ مناقب الأئمّة الاثني عشريّة هذه كانت من نتائج فكره وخاطره[2]، وأنّ ذلك

١ـ «الفتوحات» ج ١ ، ص ١٩٦ ، الباب ٢٩.

٢ـ يقول المرحوم العلّامة أُستاذنا المكرّم : الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ قدّس الله سرّه في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ١٣ ، ص ٢٦١ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة المجلس، ⇦

التصنيف الشريف آية محكمة على سلامة طويّته، وعدّوه برهاناً أعظم على قوّة إيمانه.[1]

ثمّ يتوسّع شارح «المناقب» هنا في المطلب، فيورد شرحاً مفصّلاً لأحوال السالكين في البدايات والنهايات، حتّى يصل إلى قوله:

وكما يقول محيي الدين نفسه في الفصّ الداوديّ:

وَلِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلَائِفُ عَنِ اللهِ هُمُ الرُّسُلُ، وَأَمَّا الخِلَافَةُ اليَوْمَ، فَعَنِ الرُّسُلِ لَا عَنِ اللهِ، فَإنَّهُمْ لَا يَحْكِمُونَ إلَّا بِمَا شَرَعَ لَهُمُ الرَّسُولُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْ ذَلِكَ. غَيْرَ أَنَّ هُنَا دَقِيقَةً لَا يَعْلَمُهَا إلَّا أَمْثَالُنَا وَذَلِكَ فِي أَخذِ مَا يَحْكِمُونَ بِهِ عَمَّا هُوَ شَرْعٌ لِلرَّسُولِ.

فَقَدْ يَظْهَرُ مِنَ الخَلِيفَةِ مَا يُخَالِفُ حَدِيثاً مَا مِنَ الحُكْمِ فَيُتَخَيَّلُ أَنَّهُ مِنَ الاجْتِهَادِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإنَّمَا هَذَا الإمَامُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ مِنْ جَهَةِ الكَشْفِ

⇦ طهران، سنة ١٣٦٩: «شرح دوازده إمام» من إنشاء محيي الدين بن العربيّ للحكيم المعاصر السيّد صالح الخلخاليّ (المتوفّى في سنة ١٣٠٦ هـ. ق) تلميذ الحكيم الميرزا أبي الحسن جلوه. ذكر في «المآثر والآثار» أنّه ألّفه لمحمّد حسن خان صنيع الدولة ثمّ اعتماد السلطنة، وهو فارسيّ كما ذكره في «دانشمندان آذربايجان»، وقد طبع بطهران. ويقول في «الذريعة» ج ٨، ص ٢٦٩، تحت الرقم ١١٣٩: «دوازده إمام» يُنسب إلى محيي الدين بن العربيّ أبي عبدالله محمّد بن علي بن محمّد الطائيّ الأندلسيّ المكّيّ الشاميّ المدفون بصالحيّة دمشق في سنة ٦٣٨ هـ. ق. ويقول في «الذريعة» ج ٢٢، ص ٣١٧ و٣١٨: «المناقب» مرّ بعنوان «دوازده إمام» منسوباً إلى محيي الدين بن العربيّ، ولعلّه من إنشاء **العَيانيّ الخَفْريّ** المذكور في ج ٩، ص ٧٧٧.

ويقول في «الذريعة» ج ٩، ص ٧٧٧: **العَيانيّ الخَفْريّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنَ مَحْمُود الشِّيرَازِيّ المتخلّص: عيانيّ، الملقب: دَهدار**، صاحب «خلاصة الترجمان» الذي ألّفه ١٠١٣، و«جامع الفوائد»، ألّفه بعد الرجوع من الهند.

١ـ «شرح مناقب» ص ٣٧ إلى ٤٨، الطبعة الحجريّة.

ذَلِكَ الخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ، وَلَوْ ثَبَتَ لَحَكَمَ بِهِ ؛ وَإنْ كَانَ الطَّرِيقُ فِيهِ العَدْلَ عَنِ العَدْلِ ، فَمَا هُوَ بِمَعْصُومٍ مِنَ الوَهْمِ وَلَا مِنَ النَّقْلِ عَلَى المَعْنَى ؛ فَمِثْلُ هَذَا يَقَعُ مِنَ الخَلِيفَةِ اليَوْمَ.

ويقول أيضاً في الفصّ الإسحاقيّ :

فَمَنْ شَهِدَ الأَمْرَ الَّذِي قَدْ شَهِدْتُهُ
يَقُولُ بِقَولِي فِي خِفَاءٍ وَإعْلَانِ
وَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلاً يُخَالِفُ قَوْلَنَا
وَلَا تَبْذُرِ السَّمْرَاءَ[1] فِي أَرْضِ عُمْيَانِ[2]

كما ذكر صدر الحكماء والمتألّهين صدر الدين الشيرازيّ حاصل هذا التقرير في موارد متعدّدة ، من جملتها قوله في كتاب «المفاتيح» :

فَالوَاجِبُ عَلَى الطَّالِبِ المُسْتَرْشِدِ اتِّبَاعُ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ فِي العِبَادَاتِ وَمُتَابَعَةُ الأَوْلِيَاءِ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ ، لِيَفْتَحَ لَهُ أَبْوَابُ الغَيْبِ.

وَعِنْدَ هَذَا الفَتْحِ يَجِبُ لَهُ العَمَلُ بِمُقْتَضَى عِلْمِ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ مَهْمَا أَمْكَنَ. وَإنْ لَمْ يُمْكِنِ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا ، فَمَادَامَ لَمْ يَكُنْ مَغْلُوباً لِحُكْمِ الوَارِدَةِ وَالحَالِ أَيْضاً يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعُ العِلْمِ الظَّاهِرِ ، وَإنْ كَانَ مَغْلُوباً لِحَالِهِ بِحَيْثُ يَخْرُجُ عَنْ مَقَامِ التَّكْلِيفِ فَيَعْمَلُ بِمُقْتَضَى حَالِهِ ، لِكَوْنِهِ فِي حُكْمِ المَجْذُوبِينَ[3].

وَكَذَلِكَ العُلَمَاءُ الرَّاسِخونَ ؛ فَإنَّهُمْ فِي الظَّاهِرِ مُتابِعونَ لِلْفُقَهَاءِ المُجْتَهِدِينَ ، وَأَمَّا فِي البَاطِنِ فَلَا يَلْزَمُ لَهُمُ الاتِّبَاعُ ، لِشُهُودِهِمُ الأَمْرَ عَلَى مَا

١ـ السمراء : الحنطة .

٢ـ عُميان : الأرض البَوار التي لا تصلح للزراعة .

٣ـ الذين شملتهم الجذبة الإلهيّة وأخرجتهم من الإرادة والاختيار.

فِي نَفْسِهِ.

فَإذَا كَانَ إجْمَاعُ عُلَمَاءِ الظَّاهِرِ فِي أَمْرٍ مُخَالِفَ مُقْتَضَى الكَشْفِ الصَّحِيحِ المُوَافِقِ لِلْكَشْفِ الصَّرِيحِ النَّبِوِيِّ وَالفَتْحِ المُصْطَفَوِيِّ، لَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِمْ.

فَلَوْ خَالَفَ فِي عَمَلِ نَفْسِهِ مَن لَهُ المُشَاهَدَةُ وَالكَشْفُ إجْمَاعَ مَن لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ لَا يَكُونُ مَلُوماً فِي المُخَالَفَةِ وَلَا خَارِجاً عَنِ الشَّرِيعَةِ، لأَخْذِهِ ذَلِكَ عَنْ بَاطِنِ الرَّسُولِ وَبَاطِنِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ـ انتَهَى.

لكنّ بلوغ هذه المرتبة لا يحصل إلّا للنادر من العرفاء والأوحديّ من الناس، كما يقول الشيخ الرئيس حسين بن عبد الله بن سينا:

ز منزلات هوس گر برون نهی گامی

نزول در حرم کبریا توانی کرد

ولیک این عمل رهروان چالاک است

تو نازنین جهانی کجا توانی کرد[1]

وعلى العموم فلأنّ من كانوا بهذه الكيفيّة يعدّون أنفسهم من أصحاب مقامات المكاشفة، فإنّهم يجعلون جميع أحكامهم وفق مشاهداتهم الشخصيّة. لذا فإنّ بعض المتتبّعين لكتبهم، يجد فيها جملة من أحكام هؤلاء الأشخاص توافق قواعد الشيعة فيحكم بتشيّعهم، بينما يجد البعض الآخر أحكاماً أُخرى توافق قوانين أهل الجماعة فيعدّهم من أتباع علماء السنّة وجماعتهم؛ كما يرى البعض اختلاف مدارك هذه الأحكام ويجد

١ـ يقول: «إن خطوتَ خطوةً خارج منازل الهوى والهوس، لأمكنك النزول في حرم الكبرياء.

لكن هذا مسلك السائرين من ذوي الحزم، فأنّى لك ذلك وأنت المنعّم في الدنيا؟!».

بعض تلك الأحكام موافقاً لرأي السنّة وبعضها موافقاً لرأي الشيعة ، لكنّه لم يطّلع على علّة ومنشأ تلك الاختلافات ، لذلك نراه ينسب لهؤلاء الأشخاص التجرّد والتردّد في المذهب وعدم الاستقلال في رأي واحد .[١]

وقد نقل شارح «المناقب» عن السيّد الأُستاذ الميرزا أبي الحسن جلوه قوله : إنّ من بين الأشخاص الذين كانت لهم المبادرة البليغة في باب تشيّع الشيخ ، **القاضي السيّد القمّيّ** ، فقد أورد في كتابه «شرح الأربعين» كلمات صريحة في تشيّع الشيخ التقطها من كتاب «الفتوحات المكّيّة» فأدرجها هناك .[٢]

أقول : أورد محيي الدين في «فصوص الحكم» الفصّ الداوديّ ، عبارة مفادها عدم نصّ رسول الله على خلافة أحد من بعده ، يقول :

وَكَذَلِكَ أَخْذُ الخَلِيفَةِ عَنِ اللَهِ عَيْنُ ما أَخَذَهُ مِنْهُ الرَّسُولُ . فَنَقُولُ فِيهِ بِلِسانِ الكَشْفِ : خَلِيفَةُ اللَهِ ، وَبِلِسَانِ الظَّاهِرِ : خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَهِ .

وَلِهَذَا مَاتَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَا نَصَّ بِخِلَافَتِهِ عَنهُ إلَى أَحَدٍ وَلَا عَيَّنَهُ ، لِعِلْمِهِ أَنَّ فِي أُمَّتِهِ مَن يَأْخُذُ الخِلَافَةَ عَن رَبِّهِ ، فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنِ اللَهِ مَعَ المُوَافَقَةِ فِي الحُكْمِ المَشْرُوع . فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَحْجُرِ[٣] الأَمْرَ .[٤]

ويجيب القائد المُعظَّم للثورة : آية الله الخمينيّ أعلى الله درجته في تعليقاته على «شرح فصوص الحكم» إجابة رائعة وجميلة على هذا الكلام ،

١ـ «شرح المناقب» ص ٥٧ إلى ٦١ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ «شرح المناقب» ص ٦٢ ، الطبعة الحجريّة.

٣ـ حَجَرَه يَحْجُره حجْراً وحجراناً بتثليث الحاء في المصدرَين : مَنَعه ، حَجَر علَيه القاضي : مَنَعه من التَّصرُّفِ بِمالِه ؛ وحَجْراً ومَحْجَراً ـ علَيه الأمرَ : حَرّمه.

٤ـ «شرح فصوص الحكم» قيصري ، ص ٣٧٣ ، الطبعة الحجريّة.

فيقول :

قَوْلُهُ : «وَمَا نَصَّ بِخِلَافَتِهِ عَنْهُ» ، الخِلَافَةُ المَعْنَوِيَّةُ الَّتِي هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ المُكَاشَفَةِ المَعْنَوِيَّةِ لِلْحَقَائِقِ بِالاِطِّلَاعِ عَلَى عَالَمِ الأَسْمَاءِ أَوِ الأَعْيَانِ لَا يَجِبُ النَّصُّ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الخِلَافَةُ الظَّاهِرَةُ الَّتِي هِيَ مِن شُؤُونِ الإِنْبَاءِ وَالرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ تَحْتَ الأَسْمَاءِ الكَوْنِيَّةِ فَهِيَ وَاجِبٌ إِظْهَارُهَا . وَلِهَذَا نَصَّ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى الخُلَفَاءِ الظَّاهِرَةِ .

وَالخِلَافَةُ الظَّاهِرَةُ كَالنُّبُوَّةِ تَكُونُ تَحْتَ الأَسْمَاءِ الكَوْنِيَّةِ .

فَكَمَا يَكُونُ النُّبُوَّةُ مِنَ المَنَاصِبِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي مِنْ آثَارِهَا الأَوْلَوِيَّةِ عَلَى الأَنْفُسِ وَالأَمْوَالِ ، فَكَذَا الخِلَافَةُ الظَّاهِرَةُ ؛ وَالمَنْصَبُ الإِلَهِيُّ أَمْرٌ خَفِيٌّ عَلَى الخَلْقِ لَابُدَّ مِنْ إِظْهَارِهِ بِالتَّنْصِيصِ .

وَلَعَمْرُ الحَبِيبِ يَكُونُ التَّنْصِيصُ عَلَى الخِلَافَةِ مِنْ أَعْظَمِ الفَرَائِضِ عَلَى رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . فَإِنَّ تَضْيِيعَ هَذَا الأَمْرِ الخَطِيرِ الَّذِي بِتَضْيِيعِهِ يَتَشَتَّتُ أَمْرُ الأُمَّةِ وَيَخْتَلُّ أَسَاسُ النُّبُوَّةِ وَيَضْمَحِلُّ آثَارُ الشَّرِيعَةِ ، مِنْ أَقْبَحِ القَبَائِحِ الَّتِي لَا يَرْضَى أَحَدٌ أَنْ يَنْسِبَهَا إِلَى أَوْسَطِ النَّاسِ فَضْلاً عَن نَبِيٍّ مُكَرَّمٍ وَرَسُولٍ مُعَظَّمٍ . نَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ـ تَدَبَّرْ ![1]

أقول : بالرغم من أنّ كتب محيي الدين مشحونة بمناقب أهل البيت عليهم السلام ، ككتاب «**محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار**» ، إلّا أنّ أساس مطالبه على أُصول أهل السنّة ، كمثل هذا الفصّ الداوديّ الذي ذكر ، أمّا في فتوحاته المكّيّة الذي ألّفه في مكّة فليس فيه ما يوافق أُصول السنّة ، ثمّ هاجر إلى دمشق فألّف كتابه «فصوص الحكم» هناك .

١ـ «تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأُنس» لسماحة آية الله العظمى الخمينيّ ، ص ١٩٦ و١٩٧ نشر مؤسّسة پاسدار إسلام.

يقول القاضي نور الله التستريّ : بسبب ظروف التقيّة الشديدة في الشام والتي لم يجرأ أحد بسببها أن يتحدّث عن التشيّع ، فقد أُجبر الشيخ على كتمان ولائه ، وسار في كتبه على نهج العامّة ونحوهم .

وقد ذكر القاضي في كتاب «مجالس المؤمنين» ترجمة الشيخ مفصّلاً ، حتّى يصل إلى قوله :

لقد قام السيّد محمّد نور بخش نوّر الله مرقده ـ وكان جامعاً للعلوم الظاهريّة والباطنيّة ـ بتزكية عقيدة الشيخ على أكمل وجه ، وقال في بعض رسائله المشهورة : كان الشيخ محيي الدين معذوراً في كتمان حب **آدم الأولياء : عليّ المرتضى** عليه السلام ، وذلك لأنّ المملكة كانت مرتع المتعصّبين ، وكان للشيخ أعداء كثيرون يقصدون قتله .

حتّى يقول : وقد اعترف الشيخ علاء الدولة السمنانيّ مع تصلّبه المعروف في فقاهته بعظمة الشيخ ، فخاطبه في كثير من حواشي «الفتوحات» بألفاظ :

أَيُّهَا الصَّدِيقُ ، وَأَيُّهَا المُقَرَّبُ ، وَأَيُّهَا الوَلِيُّ ، وَأَيُّهَا العَارِفُ الحَقَّانِيُّ ، لكنّه خطّأه في قوله بأنّ الحقّ تعالى وجود مطلق ، **وَلَيْسَ هَذَا أَوَّلُ قَارُورَةٍ كُسِرَتْ فِي الإسْلَامِ** ؛ فقد قام كذلك الكثير من علماء الشام بتكفير الشيخ محيي الدين وتضليله .

ثمّ يتابع القاضي الشهيد المطلب حتّى يصل إلى القول :

وهذه التقيّة والخوف هي من أهل السنّة ، فقد كانوا من شدّة تعصّبهم وضلالتهم يحمون الكافر المحارب المتظاهر بالفسق ويرعونه ويساندونه ، في حين يصل الأمر بهم مع الشيعيّ المتّقيّ إلى القتل والإحراق ، حتّى وصل الأمر في ولاية الشام ومحلّ الحكم المشؤوم لبني أُميّة وأتباعهم ومقلّديهم وفي بلاد ما وراء النهر التي فتحت في زمن أُولئك الفراعنة ووصلت

الأحكام المبتدعة والعادات المخترعة لأُولئك القوم ؛ بحيث لو قال كافر هناك : إنّ **محمّداً** ليس رسول الله لما تعرّضوا له بسوء ، أمّا لو قال مسلم : **عليّ** وليُّ الله لنسبوه إلى الرفض ولصار في معرض القتل والإحراق من قِبَلهم ، حتّى صاروا يلقّبون **بهاء الدين نَقْشْبَنْد** الذي ادّعى كذباً وتلفيقاً أنّه «شيخ» باسم وليّ الله ، وصاروا يستمدّون البركات من باطنه القاتم المظلم .

ويؤيّد ذلك ما أورده **أبو بكر البيهقيّ** في كتابه الذي ألّفه في مناقب الشافعيّ ، قال فيه : قيل للإمام الشافعيّ : إنّ الجماعة لا يصبرون على سماع صفة أو فضيلة تذكرها في شأن أهل البيت ، فهم كلّما سمعوا شخصاً يذكر من هذه المقولة شيئاً قالوا : دعوا هذا فهو حديث الروافض ! فأنشأ الإمام الشافعي آنذاك هذه الأبيات :

إذَا مَا فِي مَجْلِسٍ نَذْكُرْ عَلِيًّا وَسِبْطَيْهِ وَفاطِمَةَ الزَّكِيَّةْ
يُقَالُ : تَجَاوَزُوا يَا قَوْمِ هَذَا فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّةْ
بَرِئْتُ إلَى المُهَيْمِنِ مِنْ أُنَاسٍ يَرَوْنَ الرَّفْضَ حُبَّ الفَاطِمِيَّةْ

ويؤيّد ذلك أنّه لو بادر أحد في بلادهم إلى الزنا واللواط التي لا تحلّها أيّة شريعة لما تعرّضوا له ، لكنّه لو أقدم على نكاح المتعة التي أحلّها الله ورسوله ، وحكم عمر بحرمتها **خِلَافاً عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ** لعدّوا فعله ذلك رفضاً لاتّباع الله ورسوله وأهل بيته ، ولسعوا في قتله .

وقد أورد الشيخ محمّد بن أبي جمهور في بعض مؤلّفاته أنّ شخصاً من أهل السنّة في دمشق كان له جارة أرملة ، فكان يرى رجلاً غريباً يتردّد على بيتها كلّ يوم ، فسأله : ما علّة مجيئك إلى بيت هذه المرأة ؟

قال : تزوّجتها بنكاح المتعة . فلمّا سمع ذلك السنّيّ قوله استبدت به عصبيّته ، فأمسكه وجرّه من شعر رأسه إلى السوق منادياً :

تعالوا أيّها المسلمون ! فلقد أمسكت رافضيّاً مستحلّاً للمتعة !

فاجتمع عليه خلق كثير من السنّة من كلّ صوب ، وجرّوا ذلك الغريب المسكين إلى القاضي . فسأل القاضي :

ما بالكم مع هذا الرجل الغريب ؟!

قالوا : يقول : تمتّعت بجارة فلان .

فنهض أحد نوّاب القاضي ـ وكان يخفي تشيّعه ـ وقال للقاضي : ائذن لي باستجواب هذا الرجل على انفراد **!** فأذن له القاضي .

فخلى به ذلك النائب ، وقال له : إن أردت نجاتك فعليك أن تقول أمام القاضي : لقد زنيت .

ثمّ عاد إلى القاضي ، فقال : هذا الرجل الغريب مظلوم ، فهو يقول غير ما يقوله هؤلاء الجماعة .

فاستفسر القاضي عن الأمر من الرجل ، فاعترف بالزنا كما علّمه النائب ، فأطلق القاضي سراحه وكفّ عنه أُولئك الذين جاؤوا به معتذرين بقولهم : لقد سمعناه يقول : تمتّعت ، ولو قال : زنيت ، لما تعرّضنا له .

ثمّ تفرّق ذلك الجمع ونجا ذلك الرجل الغريب من شرّهم باعترافه بالزنا **!** ولله در القائل :

زناؤُكُم تَعْفُونَ عَنْهَا وَمَنْ أَتَى ... إلَيْكُمْ مِنَ المُسْتَمْتِعِينَ قَتَلْتُمُ

وسمع من بعض الثقات أنّه حدث في بداية حكم الملك الغازيّ السلطان جلال الدين محمّد أكبر أن قام مخدوم الملك الهنديّ ، وكان قبل ذلك مخدوماً لابن مروان الحمار ، بإصدار فتوى بقتل آحاد الشيعة من ملازمي ذلك الملك ، فقتل على إثر ذلك **المير حبشي تربتي** و**الميرزا مقيم الهرويّ** . لذا فقد أُصيب **الملّا غزالي المشهديّ** بالخوف والاضطراب من مشاهدة تلك الحال ، فلجأ إلى **الملّا قاسم الكاهيّ** المشهور وكان صوفيّاً

ملامتيّاً [1] ، وكانت طائفة **جغتاي** يتابعونه ، فشرح له الأمر وسأله تدبيراً لخلاصه . فقال مولانا قاسم : التدبير أن تتظاهر مثلي بالإلحاد لتكون في أمان من أذى هذه الطائفة ! [2]

لقد كان سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد قدّس الله روحه يقول : كان للمرحوم السيّد (القاضي) اهتمام كبير **بمحيي الدين بن عربي** وكتابه «الفتوحات المكّيّة» ، وكان يقول : إنّ محيي الدين من الكاملين ، وهناك في فتوحاته شواهد وأدلّة جمّة على كونه من الشيعة ، وهناك مطالب كثيرة فيه تُناقض الأُصول المسلّمة لأهل السنّة .

لقد كتب محيي الدين كتاب «الفتوحات» في **مكّة المكرّمة** ، ثمّ بسط جميع أوراقه على سقف الكعبة وتركها سنة لتمحى المطالب الباطلة منها ـ إن وجدت ـ بهطول الأمطار ، فيتشخّص الحقّ منها عن الباطل . وبعد سنة من هطول الأمطار المتعاقبة جمع تلك الأوراق المنشورة فشاهد أنّ كلمة واحدة منها لم تُمحَ ولم تُغسلْ .

كما كان يعدّ **الملّا الروميّ** أيضاً عارفاً رفيع المرتبة ، ويستشهد بأشعاره ؛ ويعتبره من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين عليه السلام .

وكان المرحوم القاضي يقول بأنّ : من المحال أن يصل امرؤ إلى مرحلة الكمال فلا تصبح حقيقة الولاية مشهودة لديه . وكان يقول :

إنّ الوصول إلى التوحيد ينحصر بالولاية ؛ الولاية والتوحيد هما

١ـ الملامتيّة جماعة من الصوفيّة لهم منهج خاصّ في السلوك يتلبّسون ببعض المناهي كي يُعاب عليهم فيرفضهم الناس ، ومن هنا أُطلق على منهجهم بالمنهج الملامتيّ .

٢ـ «مجالس المؤمنين» في ترجمة محيي الدين محمّد بن علي العربيّ الطائيّ الحاتميّ الأندلسيّ ، ص ٢٨١ إلى ٢٨٣ ، المجلس السادس ، الطبعة الحجريّة.

حقيقة واحدة.

وعليه فإنّ العظماء المعروفين والمشهورين من عرفاء أهل السنّة ، إمّا أنّهم كانوا يعملون بالتقيّة ويخفون تشيّعهم ، أو أنّهم لم يصلوا إلى الكمال .

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يقول : كان للمرحوم القاضي كذلك دورة من «الفتوحات المكّيّة» باللغة التركيّة يطالعها وينظر فيها أحياناً .

وكان سماحة آية الله الشيخ عبّاس القوجانيّ يقول : كنت أذهب يوميّاً قبل الظهر إلى محضر المرحوم القاضي لساعتين ، وهو الوقت الذي يتشرّف فيه جميع تلامذته والمشغوفون به بالحضور عنده . وكنت في هذه السنوات الأخيرة أقرأ له كتاب «الفتوحات» فكان يستمع لي ، فإذا ورد علينا شخص غريب فقد كنتُ أقطع قراءتي فيتكلّم المرحوم القاضي عن مواضيع أُخرى .

ولقد كان المرحوم القاضي رحمة الله عليه يعتبر **حافظ الشيرازيّ** عارفاً كاملاً ، ويفسّر أشعاره المختلفة على أنّها شرح منازل السلوك ومراحله ، لكنّه كان يعتقد أنّ **ابن الفارض** تلميذ محيي الدين كان أكمل منه . وكان يذكر لهذا الأمر شواهد من «ديوان حافظ» ومن أشعار ابن الفارض في «**نظم السلوك**» (التائيّة الكبرى) . وكان يقول في جملتها :

يقول حافظ في تمثيل وبيان أصالة عشق ومحبّة الله والوَلَه والتَّيَمان به :

عشق تو در وجودم و مهر تو در دلم

با شير اندرون شد و با جان به در شود[1]

١ـ «ديوان حافظ» تصحيح الدكتور رشيد عيوضي والدكتور أكبر بهروز ، ص ٢٣٥ ، طبعة انتشارات أمير كبير ، سنة ١٣٦٣ . ⇦

ويبيّن ابن الفارض هذه المحبّة والعشق بهذا التعبير :

وَعِنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي مَعِي أَبَداً تَبْقَى وَإنْ بَلِيَ العَظْمُ[1]

أي أنّ عشقي وسكري من شرابه كان قبل خلقي وإيجادي وسيبقى هكذا إلى الأبد ولو بليت عظامي ونخرت .

فلقد جعل حافظ بدء العشق مقترناً من بدء الخلقة المادّيّة والطبيعيّة وقرن نهايته بالموت الطبيعيّ ، لكن ابن الفارض يعتبر بدايته قبل الخلقة بآلاف السنين وهو باق ومستمرّ إلى النهاية بعد الخلقة .

وحقّاً فقد ضمّن ابن الفارض في هذه النكتة الواردة في هذا البيت معنى التجرّد عن الزمان والمكان للنفس الآدميّة ، وعدّ لها الأبديّة والأزليّة في سير مدارج النزول والصعود ، بينما لم يبلغ شعر حافظ هذه الذروة .

يقول ابن الفارض في البيت اللاحق :

عَلَيْكَ بِهَا صِرْفاً وَإنْ شِئْتَ مَزْجَهَا
فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيبِ هُوَ الظُّلْمُ

والظَّلْم بالظاء المفتوحة هو الريق وماء الفم ، فيكون معنى البيت :

عليك بذات المحبوبة ونفسها (وعدم التنازل عنها إلى غيرها) وإن شئتَ أحياناً التنازل عن ذاتها ونفسها فأردت مزج تلك الذات الصرفة والنفس المجرّدة النورانيّة بشيء آخر ، فلا تتعدّ ريقها ورحيقها وامزجه بذات المحبوبة ؛ ولا تلتفت إلى شيء آخر غير رحيق فمها ، لأنّ ذلك ظلم ،

⇦ يقول : «ورد عشقك في وجودي وحبّك في قلبي مع اللبن الذي رضعتُه ، ولن يخرج إلّا مع روحي».

[1] ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٣ ، السطر ٣٥ ، القصيدة الميميّة ، طبعة دار صادر ، بيروت، سنة ١٣٨٢ هـ. ق.

بل هو الظلم الأوحد .

كان يقول المرحوم القاضي : المراد من «**ظَلْم الحَبيب**» **آل محمّد** عليهم السلام ، لأنّ في هذا البيت دعوة إلى التوحيد المحض والاستغراق في الذات الأحديّة وعدم التنازل عنها بأي شيء آخر يمكن فرضه وتصوّره . أمّا آل محمّد عليهم السلام في هذا التعبير العرفانيّ الراقي والكناية السلوكيّة البديعة ، فهم بمنزلة ظَلم الحبيب ، أي ريق الحبيب الذي هو أعذب وألذّ من أيّ شيء آخر ، وأكثر بعثاً على الطمأنينة والراحة ، وبغضّ النظر عن نفس الحبيب ؛ فليس هناك شيء آخر بحلاوته .

ومن ثمّ ففي مقام الكثرة والتنزّل عن تلك الوحدة الحقيقيّة ، فاعدلْ فقط إلى آل محمّد عليهم السلام وامزجهم معها ، فليس في أيّة من نشآت عالم الوجود من الملك والملكوت بمثابتهم موجود يبعث على الطمأنينة ، ولا كمثلهم شيء في سعة الولاية وشمول الآيتيّة والأقربيّة من الذات الأحديّة .

إنّ ارتضاع شفاه الحبيب وارتشاف رحيق فمه هو ـ بلحاظ القرب والفناء والاندكاك في وجود ذات الحبيب ونفسه ـ من أشدّ الأشياء وأكثرها إظهاراً للاتّحاد بنفس الحبيب ، وأكثرها حكاية عن نفس الحبيب عند مزجها بشيء آخر . ولقد جعل آل محمّد عليهم السلام في هذا التشبيه والاستعارة البديعة العرفانيّة ، متّحدين ومتوحّدين مع الذات الأحديّة والفناء والاندكاك في ذات **مَا لَا اسْمَ لَهُ وَلَا رَسْمَ لهُ** بالشكل الذي لا يتصوّر أقرب منه .

وعليه ، فإنّ ظَلم الحبيب اللازم في مقام البقاء بعد الفناء ، والضروريّ للسالك لن يكون شيئاً غير عترة خاتم الأنبياء وغير آل محمّد عليهم السلام .

والشاهد على هذا المدّعى ما يقوله هذا العارف الجليل في يائيّته :

ذَهَبَ العُــمْرُ ضَـيَاعاً وَانْـقَضَى بَـاطِلاً إذْ لَـمْ أَفُـزْ مِـنْكُمْ بِشَـي
غَيْرَ مَا أُولِـيتُ مِـنْ عِـقْدِي وَلَا عِتْرَةِ المَبْعُوثِ حَقّاً مِنْ قُـصَي[1]

أي أنّ حاصل قضاء عمر في السير والسلوك إلى الله هو الوصول إلى ولاية العترة الطاهرة وعقد الولاء لهم الذي وُهِبَ لي وأُوليتُه ففزت بـذلك ونلت مناي .

ويستفاد من ذلك **أوّلاً** : أنّ السير والسلوك الصحيح المنزَّه عن الغشّ والخالص من شوائب النفس الأمّارة ، يـوصل السـالك آخـر المـطاف إلى العترة الطيّبة ، ويمتّعه من أنوارهم الجماليّة والجـلاليّة فـي مـرحـلة كشـف الحجب . وأنّ ابن الفارض الذي كان من العامّة ومتّبعاً لمذهب السنّة بشكل مسلّم ، حتّى أنّ كنيته واسمه هما **أبو حفص عمر** ، قد ارتوى آخـر الأمـر والعمر من شراب مَعِين الولاية ، وأنّه سعد واستفاض من رحيق فم محبوب الأزل .

وثانياً : وكما قال المرحوم القاضي قدّس الله نفسه ، فإنّ الوصول إلى

١ـ «ديوان ابن الفارض» القصيدة اليائيّة التي مطلعها * **سَائِقُ الأَظْعانِ يَـطْوِي البَـيْدَ طَي** * ص ٢٥ . وقد كتب العالم العزيز والمحقّق الجليل صديقنا القديم الحاجّ السيّد جلال‌الدين الآشتيانيّ دامت بركاته في مقدِّمة كتاب «**مشارق الدراريّ**» لسعيد فرغاني ، ص ١١ :

يعتقد ابن الفارض في هذا الأثر حسب نهج التحقيق والاختيار بأنّ جهة ولاية خاتم الأنبياء لاتنقطع ، وأنّ الوليّ الكامل في كل عصر والقائم بمقام النبوّة ووارث هذا المقام هم العترة وأهل بيت النبوّة ، لذا فهو يقول:

بِعِتْرَتِهِ اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّسْـلِ الوَرَى وَأَوْلَادِهِ الطَّـاهِرِينَ الأَئِـمَّةِ

وقد ورد في بعض النسخ المطبوعة والخطّيّة للتائيّة عبارة «**وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ**» ؛ وباعتبار أنّ بعض النسّاخ من أهل السنّة ، فقد أبدلوا «**أَوْلَادِهِ**» إلى «**أَصْحَابِهِ**» .

مقام التوحيد والسير الصحيح **إِلَى اللَهِ** وعرفان ذات أحديّته عَزَّ اسمه محال بدون ولاية أئمّة الشيعة والخلفاء الحقيقيّين : عليّ بن أبي طالب وأولاده من البتول العذراء صلوات الله عليهم . وهذا الأمر مشهود لابن الفارض ، وقد ثبت وتحقّق لكثير من العرفاء الأجلّاء ، **كمحيي الدين بن عربي** ، **والملّا محمّد الروميّ** ، **وفريد الدين العطّار النيسابوريّ** وأمثالهم .

وحاصل الأمر أنّه بواسطة الارتباط الدقيق لمعاني «الفتوحات» مع أشعار ابن الفارض ، وبالأخذ بنظر الاعتبار كون محيي الدين بن عربي أُستاذ ابن الفارض المصريّ ، وتناغم وانسجام أقوالهما في السير والسلوك بل تشابهها واتّحادها ، وباعتبار أنّ نتيجة سلوك ابن الفارض كانت الوصول إلى **ولاء أهل بيت العصمة** ، فإن هذه النتيجة والثمرة يمكن مشاهدتها في سلوك وسير محيي الدين أيضاً .

كان المرحوم القاضي يقول : قال محيي الدين يوماً لابن الفارض : من الأفضل أن تكتبوا شرحاً لديوانكم !

فردّ ابن الفارض : أيّها الأُستاذ ! إنّ فتوحاتكم المكّيّة هي شرح لديواني !

ينقل فخر العلماء والمفسّرين ورأس أهل الرواية والمحدِّثين وعَلَم الحكماء والعارفين المرحوم المحقّق الفيض الكاشانيّ في كتابه « كلمات مكنونة» مطلباً عن محيي الدين يسطع ويتوهّج كالشمس إلى يوم القيامة ويشعّ متلألئاً إلى الأبد كخطوط منقوشة بالأنوار الملكوتيّة على طلعة الأُفق الزرقاء ؛ يقول :

وَقَالَ صَاحِبُ «الفُتُوحَاتِ» بَعْدَ ذِكْرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَنَّهُ أوَّلُ ظاهِرٍ في الوُجُودِ ؛ قَالَ :

وَأَقْرَبُ النَّاسِ إلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، إمَامُ العَالَمِ وَسِرُّ الأَنْبِيَاءِ

أَجْمَعِينَ.[1]

تحقيق من الحقير حول سير وسلوك الأفراد من الأديان والمذاهب المختلفة من العامّة وغيرهم ونتيجته السلبيّة أو الإيجابيّة في الوصول للتوحيد وعرفان ذات الحقّ المتعال

الحقّ في الخارج واحد لا غير ، لأنّه بمعنى أصل الوجود والتحقّق ، ومعلوم أنّ حقيقة الوجود والموجود لا تتغيّر ولا تتبدّل ؛ وفي مقابله الباطل الذي هو بمعنى غير الأصيل والمعدوم غير المتحقّق .

والذين يمتلكون إرادة السير والسلوك إلى الله وحقيقة الحقائق وأصل الوجود وعلّة العلل ومبدأ الوجود ومُنتهاه ، سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين من يهود ونصارى ومجوس وأتباع بوذا وكونفوشيوس ، وسواء كان المسلمون منهم شيعةً أم غيرهم من أنواع المذاهب الحادثة في الإسلام ، فهم في ذلك لا يعدون إحدى حالتَينِ :

الأُولى : أُولئك الذين يفتقدون النزاهة والإخلاص في النيّة ، فهم لا يسيرون في طريق السلوك إخلاصاً وتقرّباً ، بل يردون في السلوك لدواعٍ نفسانيّة ، وهؤلاء لا يبلغون مقصدهم وغايتهم أبداً ، ويقنعون خلال طيّ الطريق بكشفٍ أو كرامة ، أو بتقوية النفوس والتأثير في موادّ الكائنات ، أو الإخبار عن الضمائر والبواطن ، أو تحصيل الكيمياء وأمثالها ، فيدفنون في النهاية في هذه المراحل المختلفة كلّاً حسب وضعه ونفسه .

١ـ «كلمات مكنونة» ص ١٨١ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«اليواقيت والجواهر» للشعرانيّ ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، المبحث ٣٢ ، باختلاف يسير في اللفظ.

والثـــانية : أُولئك الذيـن يـتمثّل هـدفهم فـي الوصـول إلى الحـقيقة فلا تشوب نيّتهم شائبة . فإن كانوا ـ والحال هذه ـ مسلمين تـابعين لخـاتم الأنبياء والمرسلين ومن شيعة سيّد الأوصياء أمير المؤمنين عليهما أفـضل صلوات الله وملائكته المقرّبين ومن المتابعين له ، فإنّهم سيسيرون في هذا الطريق وينتهون إلى قصدهم وهدفهم ، لأنّ هذا الطـريق أوحـد لا طـريق سواه ، كما أنّ باقي الطرق سلبيّة ومرفوضة .

أمّا لو لم يكونوا مسلمين ، أو لم يكونوا من الشيعة فسيكونون مـن المستضعفين حتماً ، وذلك لأنّهم لا يـحملون ـ حسب الفـرض ـ غـلّاً أو غشّاً ، فهؤلاء هم الذين لم يصل سعيهم وتحقيقهم بشأن الإسـلام والتشـيّع إلى نتيجة إيجابيّة ، وإلّا عدّوا ضمن المجموعة الأُولى مع وضعها المعلوم .

والله جلّ وعلا يمدّ يد الإعانة لمثل هؤلاء الأفراد ، فيجتازوا بمعونته الدرجات والمراتب عن طريق نـفس الولايـة التكـوينيّة التـي يـجهلونها ، فيردون أخيراً في الحرم الإلهيّ والحريم الكبريائيّ ، ويحصلون على الفناء في ذات الحقّ تعالى .

ولأنّنا نعلم أنّ الحـقّ واحـد ، وأنّ صـراطـه وطـريقه مسـتقيم ، وأنّ شريعته صحيحة ، فإنّ هؤلاء المستضعفين الذين لا يحملون في قلوبهم غلّاً ولا مرضاً سيصلون بأنفسهم ـ خـلال الطـريق أو فـي نـهايته ـ إلى حـقيقة التــوحيد والإسـلام والتشـيّع وسـيفهمونها ويـدركونها ، لأنّ الوصـول إلى التوحيد بدون الإسـلام أمـر مـحال ، ولأنّ الإسـلام بـدون التشـيّع ليس إلّا مفهوماً لا حقيقة له .

ومن ثمّ فإنّ أُولئك الذين يدركون بنور الكشف والشهود أنّ الولاية تمثّل متن النبوّة وأصلها ، وأنّ النبوّة والولاية هما طريق التوحيد وسبيله ، لو أُقسـم لهم ألف مـرّة ولو أُقيم لهم ألف دليل على أنّ عليّاً عـليه الســلام

لم يكن خليفة رسول الله ، وأنّ النبيّ لم يعيّن بنفسه الخليفة بعده ولم ينصّب وصيّاً يخلفه ، لما قبلوا بذلك ولما أمكنهم قبوله ؛ ذلك لأنّهم يدركون الله وجميع الحقائق نصب أعينهم **بِالشُّهُودِ وَالعَيَانِ لَا بِالخَبَرِ وَالسَّمَاع** ، لأنّ الشخص الذي وجد الله وجد معه جميع الأشياء .

أفَيمكن ـ يا ترى ـ تصوّر أن يصل امرؤٌ ما إلى التوحيد ، فلا يجد النبوّة والولاية اللتين هما حقيقة التوحيد وعينه ؟! كلّا ، ليس ذلك معقولاً أبداً .

وحاصل ذلك أنّ جميع العرفاء الذين دوّن التأريخ أسماءهم ، سواء كانوا من غير المسلمين ، أم من المسلمين غير الشيعة ، فإمّا أن يكونوا في باطن الأمر مسلمين وشيعة ، كلّ ما في الأمر أنّهم احترزوا عن إظهار تلك الحقيقة لعدم ملاءمة ظروف البيئة الاجتماعيّة ، وخوفاً من الحكومات والقضاة الجائرين ومن عوامّ الناس الذين هم كالأنعام ؛ إذ تعرّض الكثير من أجلّاء العرفاء لعدم كتمان السرّ ولإظهار المكنونات ، إلى الحُكم عليهم بالقتل والإغارة والنهب والإحراق والشنق .

وليس ثمّة من عاقل يتّضح لديه هذا الأمر فيرضى أن يفشي سرّه ، ليصبح طعمة للكلاب المفترسة والذئاب المتعطّشة لدماء البشر .

وإمّا أن يكون هؤلاء لم يصلوا قصدهم وهدفهم ، فهم يدّعون العرفان والوصول ثمّ يجعلون أنفسهم فراعنة بمجرّد كشف أمرٍ ما ، فيدعون الناس إلى السجود لهم .

ولقد كان **محيي الدين بن عربي** ، **وابن الفارض** ، **والملّا محمّد البلخيّ** صاحب «المثنويّ» ، **والعطّار** وأمثالهم ممّن دُوّنت أحوالهم في التراجم في ابتداء أمرهم على مذهب السنّة بلا شكّ ، ولقد نشأ هؤلاء وترعرعوا في ظلّ حكومة سنّيّة المذهب وفي مدينة يقطنها السنّة ، كما

أنّهم انحدروا من عوائل سنّيّة وعاشوا في مجتمع حاكمه ومفتيه وقاضيه وإمام جماعته ومؤذّنه ، وصولاً إلى بقّاله وعطّاره وجامع نفاياته بأجمعهم من السنّة ، وكان نهجهم ومذهبهم سنّيّاً ، وكانت مكتباتهم مليئة بكتب العامّة ، فلم يكن يوجد في جميع مدنهم ولو كتاب شيعيّ واحد .

لكنّ هؤلاء خطوا في طريق السير والتعالي يوماً بعد آخر ، وتطلّعوا إلى عالم الشريعة بعين منصفة وقلب سليم منزّه ، فاكتشفوا الحقائق تدريجيّاً بالشهود والوجدان ، ومزّقوا عنهم ستار العصبيّة والحميّة الجاهليّة ، وصاروا من مخلصي الموحّدين ومن الشيعة الذين يفدون أرواحهم في محبّة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ كلّ ما في الأمر أنّ التسمّي باسم الشيعة وإظهار البغض والعداء للخلفاء الغاصبين كان أمراً محالاً ، ولا يختصّ الأمر بذلك الزمان وحده ، بل إنّكم ترون أنّه يصدق أيضاً في يومنا هذا بالنسبة للكثير من الدول ذات الغالبيّة السنّيّة .

اليوم أيضاً لو وقف امرؤ في أيّة زاوية من المدينة : بيت رسول الله وبيت فاطمة ومحلّ انتشار جهاد وعلوم أمير المؤمنين عليهم السلام جميعاً ، فنادى في الأذان أو غيره : **أَشْهَدُ أَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَوَلِيُّ اللَهِ !** لسفكوا دمه ولتناهبت القبائل والطوائف دمه ولحمه تبرّكاً ، فلا يدعون له جسداً فيدفن ؛ لكنّه لو وقف ساعة كاملة يتحدّث في مدح عائشة ويثني عليها مع سوابقها المشؤومة تلك ومع تأريخها الأسود الحالك ، لتحلّقوا حوله ونثروا عليه الحلوى ، ولاستقبلوه بالزغاريد والأهاليل .

ولذلك ، فلا ينبغي علينا أن نقبل كلّ ما أورده هؤلاء العظماء في كتبهم بلا مناقشة ، بل علينا أن نحكّم فيه العقل والسنّة الصحيحة وأقوال أئمّة الحقّ ؛ فما صحّ منه قبلناه واستفدنا منه ؛ وإن لاح لنا في كتبهم أمر باطل رفضناه وحملنا صدوره منهم على التقيّة وأمثالها ، وهذا هو دأبنا

وديدننا في جميع الكتب، حتّى في كتب الشيعة نفسها.

وهناك في «محاضرات» محيي الدين الكثير من المطالب المخالفة لعقيدتنا والمرفوضة من قبلنا، لكنّنا نقبل منها ما وافق التأريخ الصحيح ولم يتنافَ مع أُصولنا. وهذا الأمر ينطبق على كتابه «الفتوحات» وسائر كتبه الأُخرى.

والمطلب الآخر هو أنّ العرفاء الأجلّاء الذين وصلوا إلى مقام الفَناء في الله، يتبعون ـ بعد هذا المقام وفي مقام البقاء بالله ـ سعتهم وأعيانهم الثابتة، فبعضهم نورانيّ ووسيع جدّاً والبعض الآخر في مراحل ودرجات مختلفة، في حين يمتلك البعض الآخر من العرفاء نوراً وسعة وجوديّة ضئيلة. وبشكل عامّ فإنّ كلّاً منهم يمتلك نوراً خاصّاً وإحاطة خاصّة به. يقول **القاضي نور الله** في ترجمة عبد الرزّاق الكاشيّ: «يقول صاحب «جامع الأسرار» قدّس الله سرّه (السيّد حيدر الآمليّ) مع مخالفته للشيخ محيي الدين في عدّة أُمور، وبعد الاستدلال على مخالفته للشيخ عقلاً ونقلاً وكشفاً: **وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ**.[1]

كما أثنى على الشيخ عبد الرزّاق في الكثير من المواضع واعترف بصحّة كشفه وابتهل إلى الله سبحانه في الوصول إلى مقامه».

كما يقول **القاضي نور الله** أيضاً في ترجمة الشيخ شهاب الدين السهرورديّ: نُقل في الرسالة «الإقباليّة» عن الشيخ علاء الدولة السمنانيّ أنّ الشيخ **سعد الدين الحمويّ** سُئل: كيف وجدت الشيخ محيي الدين بن عربي؟!

قال: **بَحْرٌ مَوَّاجٌ لَا نِهَايَةَ لَهُ**.

١ـ ذيل الآية ٧٦، من السورة ١٢: يوسف.

قيل : وكيف وجدت الشيخ شهاب الدين السهرورديّ ؟!

أجاب : **نُورُ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ فِي جَبِينِ السُّهْرَوَرْدِيِّ شَيءٌ آخر .**[١]

وقد ذكر القاضي نور الله نسبه وأوصله إلى **القاسم بن محمّد بن أبي بكر** ، فيقول : ومع أنّ كنيته **أبا حَفْص** واسمه **عُمَر** لكنّه من أحفاد محمّد بن أبي بكر ، وسلسلة نسبه إلى محمّد بهذه الكيفيّة :

شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمّد بن السَّهْرَوَرْدِيّ بن النضير ابن القاسم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمّد بن أبى بكر .[٢]

كما أنّ نسب محيي الدين بن عربي يصل إلى **عَدِيِّ بن حاتم الطائيّ** ؛ ولعديّ في ولائه لأمير المؤمنين عليه السلام حكايات وقصص .

ومن الجدير هنا بيان عدّة نكات :

الأُولى : أنّ الوارد على «الفتوحات المكّيّة» لمحيي الدين بن عربي يجد أنّها ـ مع احتوائها لنكات دقيقة وعميقة ولأسرار عجيبة وعلوم بديعة متنوّعة ـ تضمّ بعض مكاشفاته التي لا تنطبق مع الواقع ومع عقائد الشيعة . ومثال ذلك قوله في الدعاء عند خاتمة المجلس في آخر كتاب وصاياه ، وهو الباب الأخير من «الفتوحات» :

اللَهُمَّ أَسْمِعْنَا خَيْراً ، وَأَطْلِعْنَا خَيْراً ! وَرَزَقَنَا اللَهُ العَافِيَةَ وَأَدَامَهَا لَنَا ، وَجَمَعَ اللَهُ قُلُوبَنَا عَلَى التَّقْوَى ، وَوَفَّقَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضى ! «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَاتَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ .[٣]

---

١ و٢ـ «مجالس المؤمنين» ص ٢٨٥ ، المجلس السادس.

٣ـ قسم من الآية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة.

ثمّ يقول : هذا الدعاء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في المنام يدعو به بعد فراغ القارئ عليه من كتاب «صحيح البخاريّ» ؛ وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمكّة بين باب الحزورة وباب أجياد ، يقرأه الرجل الصالح محمّد بن خالد الصدفيّ التلمسانيّ وهو الذي كان يقرأ علينا كتاب «الإحياء» لأبي حامد الغزّاليّ .

وسألت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في تلك الرؤيا عن المطلّقة بالثلاث في لفظ واحد وهو أن يقول لها : **أَنْتِ طَالِقٌ ثَلاثاً** ؟

فقال لي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : «**هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ : [فَـ] لَا تَحِلُّ لَهُۥ [مِن بَعْدُ] حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ**».[1]

فكنت أقول له : **يَا رَسُولَ اللَهِ !** فإنّ قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة ؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : أُولئك حكموا بما وصل إليهم وأصابوا .

ففهمتُ من هذا تقرير حكم كلّ مجتهد ، وأنّ كلّ مجتهد مصيب ، فكنت أقول له : **يا رَسولَ اللَهِ** ؛ فما أُريد في هذه المسألة إلّا ما تحكم به أنت إذا استُفتيتَ ، وما لو وقع منك ما كنت تصنع ؟

فقال : **هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ** : «**لَا تَحِلُّ لَهُۥ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ**».

فرأيت شخصاً قد قام من آخر الناس ورفع صوته وقال بسوء أدب يخاطب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول له :

يَا هَذَا ـ بِهَذَا اللَفْظِ ـ لَا نُحَكِّمُكَ بِإمْضَاءِ الثَّلَاثِ وَلَا بِتَصْوِيبِكَ حُكْمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ رَدُّوهَا إلَى واحِدَةٍ !

١ـ مقطع من الآية ٢٣٠ ، من السورة ٢ : البقرة.

فاحمرّ وجه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم غضباً على ذلك المتكلّم ورفع صوته يصيح : **هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ [تَعَالَى]** : «**لَا تَحِلُّ لَهُۥ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ**» . **تَسْتَحِلُّونَ الفُرُوجَ ؟!**

فما زال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يصيح بهذه الكلمات حتّى أسمع مَن كان في الطواف من الناس وذلك المتكلّم يذوب ويضمحل حتّى ما بقي منه على الأرض شيء .

فكنت أسأل عنه : من هو هذا الذي أغضب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ؟ فيقال لي : هو إبليس لعنه الله . فاستيقظت .[1]

ومع وجود هذا النحو من الكشفيّات والمطالب في «الفتوحات» ، فإن قال أحد : كيف يصحّ إذاً كلام المرحوم القاضي من أنّ محيي الدين ـ بعد فراغه من تصنيف كتاب فتوحاته المكّيّة استظهاراً بدون أن يراجع كتاباً ـ وضعه على سطح الكعبة فيبقي هناك سنة ثمّ أنزله بعد ذلك فكان باقياً كما كتبه لم تبتلّ منه ورقة ولم تتناثر أوراقه بالرياح مع كثرة رياح مكّة وأمطارها ، ولم يأذن للناس في استنساخها إلّا بعد ذلك ؟!

وَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا وَضَعَهَا فِي سَطْحِ الكَعْبَةِ المُعَظَّمَةِ فَأَقَامَتْ فِيهِ سَنَةً ثُمَّ أَنْزَلَهَا فَوَجَدَهَا كَمَا وَضَعَهَا لَمْ يَبْتَلَّ مِنهَا وَرَقَةٌ وَلَا لَعِبَتْ بِهَا الرِّيَاحُ مَعَ كَثْرَةِ أَمْطَارِ مَكَّةَ وَرِيَاحِهَا ، وَمَا أَذِنَ لِلنَّاسِ فِي كِتَابَتِهَا وَقِرَاءَتِهَا إلَّا بَعْدَ ذلِكَ.[2]

فالجواب على ذلك لاعتبارين :

١ـ «الفتوحات المكّيّة» ج ٤ ، ص ٥٥٢ ، طبعة دار الكتب العربيّة.

وهو مذكور أيضاً في ص ٢٧٤ و ٢٧٥ من كتاب «وصايا» محيي الدين الذي أعادت مكتبة قصيباتي طبعه مجدّداً.

٢ـ «اليواقيت والجواهر» لعبد الوهّاب الشعرانيّ ، ج ١ ، ص ١٠ ، ضمن الفصل الأوّل.

أوّلهما : أنّ محيي الدين قد كتب بنفسه نسختين من «الفتوحات» ، لكلّ واحد من ولديه نسخة منهما ، فهذه النسخة الفعليّة من «الفتوحات» التي في أيدينا إنمّا هي النسخة الثانية المكتوبة في دمشق ، والتي تشمل مطالب النسخة المكتوبة في مكّة مضافاً إليها الزيادات التي ألحقها بها بنفسه ، وكان تأريخ ختم كتابة هذه النسخة قبل وفاته بعامين . فهو يقول في آخر الكتاب بعد كتاب وصاياه :

«انتهى الباب بحمد الله بانتهاء الكتاب على أمكن ما يكون من الإيجاز والاختصار على يدي منشيه ، وهو النسخة الثانية من الكتاب بخطّ يدي ، وكان الفراغ من هذا الباب الذي هو خاتمة الكتاب بكرة يوم الأربعاء ، الرابع والعشرين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وثلاثين وستمائة . وكتب منشيه بخطّه محمّد بن عليّ بن محمّد بن العربيّ الطائيّ الحاتميّ وفّقه الله . هذه النسخة سبعة وثلاثون مجلداً وفيها زيادات على النسخة الأُولى التي وقفتها على ولدي محمّد الكبير الذي أُمّه فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين وفّقه الله ، وعلى عقبه وعلى المسلمين بعد ذلك شرقاً وغرباً ، بَرّاً وبحراً ، **وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ** [1]

وثانيهما : أنّ هناك تلاعباً كثيراً قد وقع في هذه النسخة المطبوعة من «الفتوحات» فأُدخلت فيها إضافات وحذفت منها أُمور .

وقد ذكر عبد الوهّاب الشعرانيّ ـ وهو من أكثر العلماء اطّلاعاً على كتب محيي الدين ـ شرحاً مفصّلاً للتحريفات الواردة في كتب

١ـ «الفتوحات» ج ٤ ، ص ٥٥٣ و ٥٥٤ .

محيي الدين .[1]

كما أورد **محمّد قطّة العدويّ** ابن الشيخ عبد الرحمن مصحّح دار الطباعة المصريّة في خاتمة «الفتوحات» صورة لترجمة حال محيي الدين وفتوحاته كانت موجودة في الطبعة الأُولى ، فورد فيها :

[وله تآليف] وكتب أُخرى عديدة كـ «الفصوص» و«الفتوحات المدنيّة» وهي مختصرة في قدر عشر ورقات ، وكهذا الكتاب أعني «الفتوحات المكّيّة» الذي اختصره سيّدي عبد الوهّاب بن أحمد الشعرانيّ ، المتوفّى سنة ٩٧٣ هـ . ق ، وسمّى ذلك المختصر «**لَوَاقِحُ الأَنْوَارِ القُدْسِيَّةِ المُنْتَقَاةُ مِنَ الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ**» ثمّ اختصر هذا المختصر وسمّاه «**الكِبْرِيتُ الأَحْمَرُ مِنْ عُلُومِ الشَّيخِ الأَكْبَرِ**».

وذكر [الشعرانيّ] في «مختصر الفتوحات» ما نصّه :

وقد توقّفت حال الاختصار لكتاب «الفتوحات» في مواضع كثيرة منه لم يظهر لي موافقتها لما عليه أهل السنّة والجماعة فحذفتها من هذا المختصر ، وربما سهوت فتبعت ما في الكتاب كما وقع للبيضاويّ مع الزمخشريّ .[2]

١ـ «اليواقيت والجواهر» ج ١ ، ص ٧ إلى ١٣.

٢ـ يقول الشعرانيّ في مقدِّمة «اليواقيت والجواهر» ص ٣ : ثمّ اعلم يا أخي : أنّني طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل ، وما رأيت في عباراتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقّق مربّي العارفين الشيخ محيي الدين بن العربيّ رحمه الله ، فلذلك شيّدت هذا الكتاب (اليواقيت والجواهر) بكلامه من «الفتوحات» وغيرها . لكنّي رأيت في «الفتوحات» مواضع لم أفهمها فذكرتها لينظر فيها علماء الإسلام ويحقّوا الحقّ ويبطلوا الباطل إن وجدوه . فلا تظنّ يا أخي أنّي ذكرتها لكوني أعتقد بصحّتها وأرضاها في عقيدتي كما يقع فيه المتهوّرون في أعراض الناس فيقولون : لولا أنّه ارتضى ذلك الكلام واعتقد ⇦

ثمّ لم أزل كذلك أظنّ أنّ المواضع التي حذفت ثابتة عن الشيخ محيي الدين وقد حذفتها لعدم موافقتها مع العامّة ، حتّى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين السيّد محمّد بن السيّد أبي الطيب المدنيّ ، المتوفّى سنة ٩٥٥ ، فذاكرته في ذلك ، فأخرج إليّ نسخة من «الفتوحات» التي قابلها على النسخة التي عليها خطّ الشيخ محيي الدين نفسه بقونية ، فلم أر فيها شيئاً ممّا توقّفت فيه وحذفته ، فعلمت أنّ النُّسَخَ التي في مصر الآن كلّها كتبت من النسخة التي دسّوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنّة والجماعة كما وقع له ذلك في كتاب «الفصوص» وغيره .[1]

يشهد على هذا الكلام أنّه قد ذكر في هذه الطبعة من «الفتوحات» أنّ إمام العصر هو من وُلْد الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام . مضافاً إلى ذلك أنّ المحقّق الفيض قد أورد في كتابه «كلمات مكنونة» في شأن أمير المؤمنين عليه السلام نقلاً عن «الفتوحات» : **إنَّهُ ذَكَرَ نَبِيَّنا صَلَّى اللَهُ عَلَيهِ وآلِهِ وأنَّهُ أَوَّلُ ظَاهِرٍ فِي الوُجُودِ . قَالَ : وَأَقْرَبُ النَّاسِ إلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إمَامُ العَالَمِ وَسِرُّ الأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ.**[2] بينما لا يوجد هذا المطلب في النسخة الحاليّة من «الفتوحات» .

بَيدَ أنّ الشعرانيّ قد ذكرها في «اليواقيت» بهذه العبارة :

وَإيضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ اللَهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ بَدْءَ ظُهُورِ العَالَمِ عَلَى

⇐ بصحّته ما ذكره في مؤلّفه ؛ **مَعاذَ اللَهِ** أن أُخالف جمهور المتكلِّمين وأعتقد صحّة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف غير المعصوم ، فإنّ في الحديث : **يَدُ اللَهِ مَعَ الجَماعَةِ**. ولذلك أقول غالباً عقب كلام أهل الكشف : «انتهى» ليشخص كلامه فلا يمتزج مع بياني وعقيدتي .

١ـ «الفتوحات» ج ٤ ، ص ٥٥٥ .

٢ـ «الروح المجرّد» ص ٣٣٣ (في الطبعة الأُولى ، وفي هذه الطبعة ص ٣٤٦) ، نقلاً عن «كلمات مكنونة» للفيض ، ص ١٨١ ، الطبعة الحجريّة.

حَدِّ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ ، انْفَعَلَ العَالَمُ عَنْ تِلْكَ الإرَادَةِ المُقَدَّسَةِ بِضَرْبٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِ التَّنْزِيهِ إِلَى الحَقِيقَةِ الكُلِّيَّةِ.

فَحَدَثَ الهَبَاءُ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ طَرْحِ البَنّاءِ الجَصَّ لِيَفْتَتِحَ فِيهِ مِنَ الأَشْكَالِ وَالصُّوَرِ مَا شَاءَ . وَهَذَا أَوَّلُ مَوجُودٍ فِي العَالَمِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى تَجَلَّى بِنُورِهِ إِلَى ذَلِكَ الهَبَاءِ وَالعَالَمُ كُلُّهُ فِيهِ بِالقُوَّةِ؛ فَقَبِلَ مِنهُ كُلُّ شَيءٍ فِي ذَلِكَ الهَبَاءِ عَلَى حَسَبِ قُرْبِهِ مِنَ النُّورِ كَقَبُولِ زَوَايَا البَيْتِ نُورَ السِّرَاجِ فَعَلَى حَسَبِ قُرْبِهِ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَشْتَدُّ ضَوْءُهُ وَقَبُولُهُ. وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ حَقِيقَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ (وَآلِهِ) وسَلَّمَ؛ فَكَانَ أَقْرَبَ قَبُولاً مِنْ جَمِيعِ مَا فِي ذَلِكَ الهَبَاءِ . فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وسَلَّمَ مَبْدَأَ ظُهُورِ العَالَمِ وَأَوَّلَ مَوْجُودٍ . قَالَ الشَّيْخُ مُحْيِي الدِّينِ: وَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الهَبَاءِ عَلِيُّ ابْنُ أَبِى طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ الجَامِعُ لِأَسْرَارِ الأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ ـ انتهى.[1]

النكتة الثانية :

يقول **الحاجّ الميرزا أبو الفضل الطهرانيّ** في كتاب «شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور» : ليس هناك من علماء الإسلام من يتمسّك بهذا الأمر إلّا عبد المغيث البغداديّ الذي كتب رسالة في منع لعن يزيد ، ومحيي الدين بن عربي ، وعبد القادر الجيلانيّ ، وعامّة النواصب الذين ليس أحد منهم من المسلمين .[2]

ويقول أيضاً : ونقل في «الصواعق» عن محيي الدين بن عربي تصريحه بجميع ما قلناه مجملاً ، **وَعِبَارَتُهُ هكَذَا :لَمْ يَقْتُلْ يَزِيدُ الحُسَيْنَ إلَّا**

١ـ «اليواقيت والجواهر» ج ٢ ،ص ٢٠ ، المبحث ٣٢.

٢ـ «شفاء الصدور» ص ٣٠٢ ، الطبعة الحجريّة.

بِسَيْفِ جَدِّهِ ، أَي بِحَسَبِ اعْتِقادِهِ البَاطِلِ أَنَّهُ الخَلِيفَةُ ، وَالحُسَيْنَ بَاغٍ عَلَيهِ ، وَالبَيْعَةُ سَبَقَتْ لِيَزِيدَ وَيَكْفِي فِيهَا بَعْضُ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ . وَبَيْعَتُهُ كَذَلِكَ ، لأَنَّ كَثِيرينَ أَقْدَمُوا عَلَيْهَا مُخْتَارِينَ لَهَا . هَذَا مَعَ عَدَمِ النَّظَرِ إلَى اسْتِخْلَافِ أَبِيهِ لَهُ ، أَمَّا مَعَ النَّظَرِ لِذَلِكَ ، فَلَا تُشْتَرَطُ مُوَافَقَةُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ عَلَى ذَلِكَ .[1]

وقد تفحّص الحقير مرّة بدقّة كاملة كتاب «الصواعق المحرقة» في الأبواب المناسبة لهذا المطلب فلم أعثر فيه على عبارة كهذه عن محيي الدين . ثمّ تفحّص اثنان من أولادي : الحاجّ السيّد محمّد محسن والحاجّ السيّد علي جميع كتاب «الصواعق» من أوّله إلى آخره كما ورد في طبعتين مختلفتين ، فلم يعثرا على شيء من ذلك ، حتّى أنّ هذا الفحص شمل كتاب «تطهير الجنان» المطبوع في هامش «الصواعق» فلم يكن هناك أيضاً شيء من ذلك .

وَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ مِنَ المُؤَلِّفِ ، أَعْنِي مُؤَلِّفَ «شِفَاءِ الصُّدُورِ» ، لِأَنَّهُ مَعَ دِقَّتِهِ وضَبْطِهِ وَحُسْنِ كَمَالِهِ كَيْفَ أَسْنَدَ هَذَا الكَلَامَ إلَى مُحْيِي الدِّينِ عن طَرِيقِ «الصَّوَاعِقِ» ؟!

وقد حالفني التوفيق بعد سنتين من ذلك لحلّ هذه المشكلة ، وذلك أنّ تلك العبارة لم تصدر عن محيي الدين أبداً ، بل من القاضي **أبي بكر ابن عربي المالكيّ** ، فنسبها صاحب «شفاء الصدور» اشتباهاً وخطأً إلى محيي الدين ، ولعلّه رأى في مكان أنّها نُقلت عن ابن عربي ، فتخيّل بدون الفحص عن مصدرها أنّها عن محيي الدين . ومن جهة أُخرى فإنّ عبارة القاضي أبي بكر بن عربي ـ بدورها ـ لم ترد في كتاب «الصواعق» ؛ فهذا

١ـ «شفاء الصدور» ص ٣١٠ و ٣١١ ،الطبعة الحجريّة.

خطأ في خطأ .

هذا وقد أورد آية الله السيّد شرف الدين العامليّ عبارته في هـامش كتاب «الفصول المهمّة» : **وَنَقَلَ ابْنُ خَلْدُونٍ فِي صَفْحَةِ ٢٤١، أَثْنَاءَ الفَصْلِ الَّذِي عَقَدَهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ لِوِلَايَةِ العَهْدِ عَنِ القَاضِي أَبِـي بَكْـرِ بْـنِ العَـرَبِيِّ المَالِكِيِّ ؛ أَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِـ«العَوَاصِمِ وَالقَوَاصِمِ» مَا مَعْنَاهُ: أَنَّ الحُسَيْنَ قُتِلَ بِشَرْعِ جَدِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وسَلَّمَ.**[1]

وقد حكى صاحب «الروضات» في ترجمة محيي الدين عن المحدِّث النيسابوريّ في كتاب رجاله الكبير أنّه قال : **وَمَا نَسَبَ إلَيهِ بَعْضُ الغَـاغَةِ**[2] **أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَقْتُلْ يَزِيدُ الحُسَيْنَ إلَّا بِسَيْفِ جَـدِّهِ ، فَـذَلِكَ قَـوْلُ القَـاضِي أَبِى بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَهِ بْنِ العَرَبيِّ المَعَافِرِيِّ تِلْمِيذِ الغَزَّالِيِّ في شَرحِ قَصيدَتِهِ الهَمْزِيَّةِ ، وَفَسَّرَهُ ابْنُ حَجَرٍ وَقَالَ : أَيْ لِأَنَّهُ الخَلِيفَةُ وَالحُسَيْنَ عَلَيهِ السَّلَامُ بَاغٍ عَلَيْهِ.**[3]

١ـ «الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة» ص ١١٩ ، الطبعة الثانية.

٢ـ السفلة من الناس ، تستعمل الغوغاء للجلبة واللغط. (م)

٣ـ «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ١٩٥ ، الطبعة الحجريّة . ورد في كتاب «ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق» الذي متنه وشرحه كلاهما لمحيي الدين بن عربي ، في مقدِّمة محقّق الكتاب والمعلِّق عليه : عبد الرحمن كردي ، مدرِّس اللغة العربيّة في جامعة الأزهر، في الصفحة «ط» من المقدِّمة:

«نسبه : أبو بكر محيي الدين محمّد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن عبد الله الحاتميّ الطائيّ ، ويقال له في بلاد الأندلس **ابن العربيّ** بألف ولام ؛ أمّا في بلاد الشرق فيُدعى **ابن عربي** بدون ألف ولام ، وذلك من أجل التفريق بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربيّ المعافريّ الذي كان قاضي قضاة إشبيلية ، ثمّ هاجر إلى الشرق وتوفّي سنة خمسمائة وثلاث وأربعين (٥٤٣)هـ».

واعلم أنّه كان تلميذ الغزّاليّ ، وعصره يسبق عصر محيي الدين بما يقرب من قرن ⇦

وينبغي أن يُعلم هنا، مدى الظلم والحيف الذي لحق بمحيي الدين بن عربي بهذه الاتّهامات الباطلة ! فقد عُدّ أوّلاً ممّن منع من لعن يزيد، وعُـدّ ثانياً من نواصب العامّة، واتُّهم ثالثاً بهذا الكلام القبيح، ورابعاً فإنّه لم يُـعدّ من المسلمين أصلاً .

النكتة الثالثة :

أورد **السيّد محمّد باقر الخوانساريّ الإصفهانيّ** في كتاب «روضات الجنّات» ترجمة حال محيي الدين بن عربي بهذه الكيفيّة : «**قُدْوَةُ العارِفِينَ وَأُسْوَةُ العَاسِفِينَ**[1] **أَبُو عَبْدِ اللَهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْـنِ مُـحَمّدِ بْـنِ مُحَمَّدٍ المَغْرِبِيُّ الحَـاتِمِيُّ الطَّـائِيُّ الإشْـبِيلِيُّ الأَنْـدُلُسِيُّ ثُـمَّ المَكِّـيُّ ثُـمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّامِيُّ المُلَقَّبُ** [بـ] **مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ العَرَبيِّ**».

ومضافاً إلى أنّه عدّه منحرفاً مخطئاً ضالاًّ، فإنّه كذلك قد اعتبر جميع العارفين ـ بعطفه هذه الجملة على قدوة العارفين ـ ضالّين مثله ومـتحيّرين

⇐ واحد، وذلك لأنّ ولادة محيي الدين في سنة خمسمائة وستّين(٥٦٠) هجريّة ووفاته في سنة ستمائة وثمان وثلاثين(٦٣٨) هـ. ق . ولذلك فإنّ محيي الدين كان بعد القاضي المعافريّ بمدّة خمس وتسعين سنة، أي قريباً من قرن كامل.

وقد اشتهر محيي الدين ـ مضافاً إلى شهرته بابن عربي ـ بالحاتميّ الطائيّ العـدويّ أيضاً ؛ الحاتميّ لكونه من أولاد حاتم، والطائيّ لأنّ حاتم كان من قبيلة طيّ، والعدويّ لأنّه من أولاد عديّ بن حاتم . وجلالة وعظمة مقام عديّ بن حاتم وإخـلاصه وولاؤه لسـاحة أميرالمؤمنين عليه السلام المقدّسة وتشيّعه أمر لا يتطرّق إليه الشكّ، فالصحف والتواريخ والسير مشحونة وحافلة بهذه المعاني التي ازدانت بها صحائف الدهر . وكان انتسابه لعديّ وجوهره وكونه حفيده الوجوديّ قد أوجب بنفسه فناءه واندكاكه في ولاء أهل البيت.

١ـ عَسَفَ الطريقَ و ـ عنه (من باب ضرب يضرب) عسفاً : مالَ عنه وعدل . وقيلَ : خَبَطَه على غير هداية . و ـ المفازة : قطعها بغير قصد ولا هداية ولا توخّي طريقٍ مسلوك. («أقرب الموارد» ج ٢، ص ٧٨١).

وتائهين .

حتّى يصل إلى قوله : «**وَفِي هَذَا الكِتَابِ مَوَاضِعُ مِنَ الدِّلَالَةِ عَلَى تَسَنُّنِهِ وَاعْوِجَاجِهِ أَوْ تَحَيُّرِهِ فِي سَبِيلِهِ وَمِنْهَاجِهِ أَوْ وُقُوعِ تَصَرُّفٍ مِنَ الأَبَالِسَةِ فِي مِزاجِهِ**» .

ثمّ يقول بعد ذكر مكاشفتينِ له :

فَهَلْ هَذَا مِنْهُ إلَّا خُرُوجٌ عَنْ دَائِرَةِ الشَّرْعِ وَالدِّينِ أَوْ دُخُولٌ فِي أَهْلِ السَّفْسَطَةِ وَالخَيْلِ المَجَانِينَ ؟!

بَلْ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُؤَيِّدُ كَوْنَ نَطَقَاتِ الرَّجُلِ مِنْ بَابِ الوَسْوَسَةِ وَالخَيَالِ ، وَكَلِمَاتِهِ مِنْ قَبِيلِ كَلِمَاتِ أَرْبَابِ الحَيْرَةِ وَالضَّلَالِ...» .

كما يقول بعد نقل قضيّتينِ أُخريَين عن الدميريّ في «حياة الحيوان» بشأن نكاح محيي الدين لامرأة جنّيّة : قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام :

ابْنُ عَرَبِيٍّ شَيْخُ سَوْءٍ كَذَّابٌ . فَقِيلَ لَهُ : وَكَذَّابٌ أَيْضاً ؟! قَالَ : نَعَمْ !

ثمّ يقول في بيان هذه القضيّة : قال الإمام الذهبيّ : **وَمَا أَظُنُّ ابْنَ عَرَبِيّ تَعَمَّدَ هَذِهِ الكِذْبَةَ ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ خُرَافَةِ الرِّيَاضَةِ** .

ثمّ ينقل صاحب «الروضات» هنا كلاماً عن **آقا محمّد علي البهبهانيّ نجل آية الله آقا محمّد باقر البهبهانيّ** في كتابه المسمّى «مقامع الفضل» في جواب مَن سأله عن أدلّة القائلين بوحدة الوجود ؛ حيث يقول آقا محمّد علي في هذا الجواب بعد بيان المير سيّد شريف في حواشي «شرح التجريد» :

إنّ الشيخ العارف علاء الدين السمنانيّ مع نهاية اعتقاده وغلوّه بشأن الشيخ العارف محيي الدين بن عربي ، حتّى أنّه خاطبه في حواشيه على «الفتوحات» بقوله : **أَيُّهَا الصِّدِيقُ ، وَأَيُّهَا المُقَرَّبُ ، وَأَيُّهَا الوَلِيُّ ، وَأَيُّهَا العَارِفُ الحَقَّانِيُّ** ؛ قد كتب في حاشيته على قول محيي الدين في أوّل

«الفتوحات» : **سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الأَشْيَاءَ وَهُوَ عَيْنُهَا !** ما لفظه :

إنَّ اللَهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ ؛ أَيُّهَا الشَّيْخُ ! لُوْ سَمِعْتَ مِنْ أَحَدٍ أَنَّهُ يَقُولُ: فَضْلَةُ الشَّيْخِ عَيْنُ وُجُودِ الشَّيْخِ ، لَا تُسَامِحُهُ البَتَّةَ بَلْ تَغْضِبُ عَلَيْهِ ؛ فَكَيْفَ يَسُوغُ لَكَ أَنْ تَنْسِبَ هَذَا الهَذَيَانَ إلَى المَلِكِ الدَّيَّانِ ؟!

تُبْ إلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً لِتَنْجُوَ مِنْ هَذِهِ الوَرْطَةِ الوَعِرَةِ الَّتِي يَسْتَنكِفُ مِنْهَا الدَّهْرِيُّونَ وَالطَّبِيعِيُّونَ وَاليُونَانِيُّونَ ؛ وَٱلسَّلَامُ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ الهُدَى !

ثمّ قال آقا محمّد علي بالفارسيّة ما معناه : إنّ الشيخ محيي الدين يقول في «الفصوص» و«الفتوحات» بأنّ مَن عبد صنماً فقد عبد الله بذلك ، وإنّ السامريّ حين صنع عجلاً ودعا الناس إلى عبادته فإنّ الحقّ تعالى لم يُعن هارون على السامريّ لأنه أراد أن يُعبد على أيّة صورة كانت ، وإنّ الحقّ تعالى لم يكفّر النصارى لقولهم بأُلوهيّة عيسى ،بل لاعتبارهم الأُلوهيّة منحصرة بعيسى ،كما قال : **لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ**[1]، وقد عدّ نفسه خاتم الأولياء وقال إنّ الولاية قد خُتمت به ، وإنّ الأنبياء حضروا عنده لتهنئته بختم الولاية .

وقال أيضاً بأنّ جميع الأنبياء يقتبسون العلم من مشكاة خاتم الأنبياء ، وإنّ جميع الأولياء يقتبسون العلم من مشكاة خاتم الأولياء .

وقال بأنّ خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء في الولاية ،كما أنّ خاتم الأنبياء أفضل من سائر الأنبياء في الرسالة .

وقال أيضاً بأنّ أهل النار والجحيم يتنعّمون ويرتاحون إلى النار ويلتذّون بها ، وإنّ عذاب الكافر سينقطع ، وإنّ «العذاب» مشتقّ من «عذب»

١ـ صدر الآية ١٧ وصدر الآية ٧٢ ، من السورة ٥ : المائدة.

أي اللذّة والحلاوة .

وكذلك فقد نسب محيي الدين جميع العرفاء إلى مذهب الجبريّة ، وقد قال الشبستريّ أيضاً في «گلشن راز» :

هر آن كس را كه مذهب غير جَبر است

نبى گفتا كه او مانند گبر است[1]

ثمّ ينقل صاحب «الروضات» هنا عن المحدِّث النيسابوريّ أدلّته على تشيّع محيي الدين ، حتّى يصل إلى قول المحدِّث :

أَشَارَ فِي الفَصِّ الهَارُونِيِّ إلَى حَدِيثِ المَنْزِلَةِ وَقَالَ فِي «الفُتُوحَاتِ»: إنَّ بَيْنَ الفَلَكِ الثَّامِنِ وَالتَّاسع قَصْراً لَهُ اثْنَا عَشَرَ بُرْجاً عَلَى مِثالِ النَّبِيِّ وَالأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ . ـ إلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ عِبَارَاتِ فُصُوصِهِ وَفُتُوحَاتِهِ الظَّاهِرَةِ فِي صَفَاءِ طَوِيَّتِهِ وَحُسْنِ اعْتِقَادَاتِهِ ، مَعَ أَنَّهَا أَعَمُّ مِنَ المُدَّعَى عِنْدَ مَنْ وَجَدَ أَضْعَافَ هَذِهِ العِبَارَاتِ فِي كُتُبِ العَامَّةِ العَمْيَاءِ؛ لِاعْتِرَافِ جَمِيعِ الأُمَّةِ بِالأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ مِن ذَوِي القُرْبَى ، وَكَذَا يَكُونُ المَهْدِيُّ المُنْتَظَرُ مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَنَسْلِ عَلِيٍّ المُرْتَضَى ، فَكَيْفَ بِمِثْلِ هَذَا الفَهِمِ العَارِفِ الحَاذِقِ المُدَّعِي لِلْمَرْتَبَةِ العُلْيَا وَالمُتَحَيِّرِ فِي أَمْرِهِ عُقُولُ أَبْنَاءِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ؟

ويذكر هنا أدلّة المحدِّث ثمّ يقول : ولقد نقل هذا المحدِّث وغيره في الباب الثلاثمائة والستّة والستّين من «الفتوحات» : **إنَّ لِلَّهِ خَلِيفَةً يَخْرُجُ مِنْ عِتْرَةِ رَسُولِ اللَهِ** ـ إلى آخر المطلب الذى ذكرناه سابقاً .

وبعد نقله هذا المطلب عن السيّد نعمة الله الجزائريّ يقول :

١ـ يقول : «قال النبيّ بأنّ مَن يعتقد بغير مذهب الجبر ، فإنّ شأنه شأن الزرادشتيّة (المجوس)».

وَأَقُولُ : بَلْ لَوْ ثَبَتَ مِنْهُ هَذَا الكَلَامُ لَدَلَّ عَلَى كَوْنِهِ عَلَاوَةً عَلَى الفَضِيلَةِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الصَّابِئَةِ[1]**، النَّابِئَةِ**[2] **عَنِ الطَّرِيقَةِ ، العَائِبَةِ بِمَرَاسِمِ الشَّرِيعَةِ ؛ وَعَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مَعْذُورٌ فِيمَا يَنْطِقُ وَيَلُوكُ**[3]**، وَمَخْذُولٌ مِنَ اللَهِ وَرَسُولِهِ فِي هَذَا السَّيْرِ وَالسُّلُوكَ.**

ثمّ ينقل صاحب «الروضات» إشكالاً عن المولى إسماعيل الخاجوئيّ رحمة الله عليه في تعليقته على قول محيي الدين ، عقب نقل قول عن سيّدنا المعظم عليه[4] في كتاب شرحه على أسماء الله الحسنى فيحكي عن قول ذلك السيّد أن :

وَأَمَّا الصَّلَاةُ وَالعِبَادَاتُ فَمَشَايِخُهُمْ يَتْرُكُونَهَا اسْتِنَاداً إلَى أَنَّهَا وَسَائِطُ بَيْنَ الرَّبِّ وَالعَبْدِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ العَارِفِينَ حِجَابٌ . وَيَسْتَدِلُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ»[5]**؛ وَشُيُوخُ الصُّوفِيَّةِ تَرَقَّوْا إلَى دَرَجَةِ اليَقِينِ .**

أَقُولُ : ويَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ أَكْمَلُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَائِهِمْ ، وَلَعَلَّ الصُّوفِيَّةَ يَلْتَزِمُونَ ذَلِكَ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ كَلَامِ مُحْيِي الدِّينِ الأَعْرَابِيّ - انتهى .

ويقول صاحب «الروضات» أيضاً : **وَلِذَا سَمَّاهُ بَعْضُ مَشَايِخِ عُرَفَائِنَا المُتَأَخِّرِينَ بِمُمِيتِ الدِّينِ ، وَعَبَّرَ عَنْهُ مَوْلَانَا الوَالِدُ المَرْحُومُ المُحْتَرَمُ أَعْلَى**

١ـ صَبَأَ : خَرج من دينٍ إلى آخر .

٢ـ نَبَأَ : تَجافى وتَباعد . (نَبَأَ بهذا المعنى لغةٌ في نَبا من الناقص ـ م) .

٣ـ لاكَ يَلوكُ اللُّقمةَ : مَضَغَها أهونَ المَضْغِ وأدارَها في فَمِه ، أوْ هوَ مَضْغُ صُلبٍ .

٤ـ المراد : السيّد الجزائريّ ، فقد كتب حسب نقل «الذريعة» ج ١٣ ، ص ٩٠ ، كتاباً في شرح الأسماء الحسنى ومنعه العلّامة المجلسيّ من إتمامه .

٥ـ الآية ٩٩ ، من السورة ١٥ : الحجر .

اللَهُ مَقَامَهُ فِي عِلِّيِّينَ بِلَقَبٍ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ اللَقَبِ ، هُوَ مَاحِي الدِّينِ .

ويتابع صاحب «الروضات» كلامه فيقول :

نَعَمْ ، فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ جَمَاعَةٌ عَلَى حِدَةٍ يَنْظُرُونَ دَائِماً إلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ المَلَاحِدَةِ بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ ؛ مِثْلُ ابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ ، وَشَيْخِنَا البَهَائِيِّ ، وَمَوْلَانَا مُحْسِنِ الكَاشِيِّ ، وَالمَوْلَى مُحَمَّد تَقِيٍّ المَجْلِسِيِّ ، وَالقَاضِي نُورِ اللَهِ التُّسْتَرِيِّ ، وَلاَ سِيَّمَا المُتَأَخِّرِ مِنْهُمُ المُتَلَقِّبِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِـ«شيعه تراش».

ثمّ يذكر صاحب «الروضات» تفصيلاً لبيان القاضي نور الله في إثبات تشيّع محيي الدين ، ثمّ ينتهي المطلب بإشارته إلى أنّ القاضي نور الله قد أخذ في تأويل كلمات محيي الدين الكفريّة والإلحاديّة المنبعثة عن الزندقة وأنّى له ذلك ؟![1]

ولقد أوردنا هنا بشمول نسبيّ ، المطالب التي ذكرها صاحب «الروضات» بشأن محيي الدين بن عربي بجميع جهات الضعف ونقاط الإشكال التي أوردها فيها ، ليقوم المطالعون الكرام وأصحاب النظر ـ بدقّة وتفحّص تامّين ـ بملاحظة جميع جوانبها من المدح والذمّ ، والاستحسان والاستقباح ، والتسليم والتكفير ، والتعديل والتفسيق ، واعتباره من السنّة أو الشيعة ، لئلّا نكون قد نظرنا إليه لا سمح الله بعين واحدة كأُولئك الذين وصفهم المصنِّف .[2]

١ـ «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٣ إلى ١٩٦ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ من جملة المعترضين على محيي الدين بن عربي ، الملّا محسن الفيض الكاشانيّ ؛ فقد قام في كتابه «بشارة الشيعة» «المطبوع بالطبعة الحجريّة مع كتبه الخمسة الأُخرى، في مجلّد واحد» بالردّ على محيي الدين بشكل مفصّل في الأُصول والفروع. وهذه الإشكالات بأجمعها واردة عليه فيما لو عددناه شيعيّاً ، إذ سترد عليه آنذاك إشكالات ⇦

. . . .

⇦ سواء في الأُصول أم في الفروع. أمّا على أساس كونه سنيّاً ومالكيّاً فإنّ تلك الإشكالات لن ترد عليه بأيّ وجه؛ وسيبقى الإشكال الوحيد عليه هو أمر تشيّعه هو بدوره يزول لو عددناه من المستضعفين. وقد جاء في ص ١٥٠ أحد الإشكالات المهمّة الواردة عليه من قبل المرحوم الفيض، وهو إشكال ينبغي مناقشته، وعين عبارته هي:

وَهَذَا شَيْخُهُمُ الأَكْبَرُ مُحيِي الدِّينِ بْنِ العَرَبيِّ وَهُوَ مِنْ أَئِمَّةِ صُوفِيَّتِهِمْ وَرُؤسَاءِ أَهْلِ مَعْرِفِتِهِمْ يَقُولُ فِي فُتُوحَاتِهِ: «إنِّي لَمْ أَسْأَلِ اللهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي إمَامَ زَمَانِي؛ وَلَو كُنْتُ سَأَلْتُهُ لَعَرَّفَنِي» فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار! فَإنَّهُ لَمَّا اسْتَغْنَى عَنْ هَذِهِ المَعْرِفَةِ مَعَ سَمَاعِهِ حَدِيثَ «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» المَشْهُورَةَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كَافَّةً؛ كَيْفَ خَذَلَهُ اللهُ وَتَرَكَهُ وَنَفْسَهُ فَاسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي أَرْضِ العُلُومِ حَيْرَانَ، فَصَارَ مَعَ وُفُورِ عِلْمِهِ وَدِقَّةِ نَظَرِهِ وَسَيْرِهِ فِي أَرضِ الحَقَائِقِ وَفَهْمِهِ لِلأَسْرَارِ وَالدَّقَائِقِ لَمْ يَسْتَقِمْ فِي شَيءٍ مِنْ عُلُومِ الشَّرَائِعِ وَلَمْ يَعَضَّ عَلَى حُدُودِهَا بِضِرْسٍ قَاطِعٍ - الكلام.

وقد اقتبس المولى إسماعيل الخاجوئيّ نظير هذا الإشكال من الفيض وأورده على ابن عربي، فقد قال حسب نقل صاحب «الروضات» ج ٢، أواخر ص ١٩٥، الطبعة الحجريّة:

قَوْلُهُ: إنَّ لِلَّهِ خَلِيفَةً -إلى آخره، هَذَا يُنَاقِضُ مَا نُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ فِي فُتُوحَاتِهِ:

«إنِّي لَمْ أَسْأَلِ اللهَ أَنْ يُعَرِّفَنِي إمَامَ زَمَانِي؛ وَلَو كُنْتُ سَأَلْتُهُ لَعَرَّفَنِي» فَانْظُرْ كَيْفَ خَذَلَهُ اللهُ وَتَرَكَهُ وَنَفْسَهُ، فَإنَّهُ مَعَ سَمَاعِهِ حَدِيثَ «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» المَشْهُورَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كَافَّةً كَيْفَ يَسَعَهُ الاِسْتِغْنَاءُ عَنْ هَذِهِ المَعْرِفَةِ وَكَيْفَ يَسُوغُهُ عَدَمُ السُّؤَالِ عَنْهَا؟!

وهذا الإيراد على محيي الدين من هذين الجليلين اللذين كانا من أهل الحكمة والمعقول يستدعي العجب، لأنّ محيي الدين قد صرّح تكراراً في «الفتوحات» بأنّه قد تخطّى مراتب الرغبة والطلب، فليس لديه وجود لرغبة أو طلب، وأنّ كلّ ما يقوله ويعمله هو إرادة الله عزّ شأنه. ولذا فإنّه فانٍ أمام عظمة الحقّ وليس له في نفسه كيان ووجود وإرادة واختيار؛ فما أراده الله هو إرادته وليس هناك في البين إرادتين ومشيئتين.

هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ ابن عربي نفسه قد ادّعى: لقد نلتُ مقام زيارة الأنبياء والأولياء وأوصيائهم بحقّ المعرفة، وشاهدتهم وأدركتهم بالحقيقة والنورانيّة والولاية الكلّيّة. وأساس معرفة إمام زمان معرفته بالنورانيّة، لا مجرّد التشرّف الخارجيّ ⇦

ولقد استنتجتُ من جميع الإشكالات التى وردت عليه ، والتي وجّهها إليه الأعلام والكبار من أمثال المصنِّف نفسه ووالده المحترم والمولى إسماعيل الخاجوئيّ وعلاء الدولة السمنانيّ وآقا محمّد علي الكرمانشاهيّ البهبهانيّ وأمثالهم ، أنّ منشأ وأساس ذلك كلّه قوله بـ «وحدة الوجود» ، ذلك القول الذي إذا اكتفي بلفظه وعبارته دون فهمه وإدراكه حقّ الفهم ، فإنّه سيستلزم هذه الإشكالات ، بل وأشدّ منها .

أمّا ولعمر الحبيب فإنّ قصده وهدفه من الوحدة ليس هذا المعنى البسيط المتهالك ، فليست الوحدة بمعنى اتّحاد وحلول ذات الخالق مع المخلوق وحلولها فيه ، وليست بمعنى عينيّة ذات ما لا يتناهى وما لا اسم له ولا رسم مع هذه الوجودات المتعيّنة الكثيفة المتقيّدة المحدودة بألف عيب وعلّة .

الوحدة ، تعني استقلال ذات الحقّ تعالى شأنه في الوجود ، فليس

⇦ والمعرفة بشخصه ، وجميع روايات الشيعة في شأن معرفة تلك الذوات المقدّسة بالنورانيّة ترجع إلى هذه المسألة ، وهي أهمّ من جميع الأُمور بحيث تستحقّ أن يفدي الإنسان نفسه وجميع أقاربه لمشاهدتهم بالنورانيّة وبالولاية المطلقة الكلّيّة . ولمّا حصلت تلك المعرفة ـ وفرضنا أنّ السالك تخطّى أمر الاختيار ـ فلم يقدّر الله المتعال لديه في الخارج زيارة الوجود الجسميّ والبدنيّ لإمامه ، فأيّة حسرة وندامة ستبقى لديه ؟ هذا هو مراد ابن عربي ومرامه الذي يظهر من كلّ واحدة من جملاته وحالاته ، وهذا هو الذي يدفع الملّا صدرا ، ذلك الحكيم البصير الحاذق ، إلى التواضع أمامه وإلى الخضوع مقابله ، فتبدر منه تلك العبارة المتينة الموزونة أمام عظمة ابن عربي ، ومن هنا ندرك أنّه لا المرحوم الملّا محسن الفيض الذي كان نفسه تلميذاً وصهراً للملّا صدرا ، ولا الملّا إسماعيل الخاجوئيّ قد فهم روح كلمات محيي الدين ومعانيها ، وأنّهما قد مرّا مروراً سطحيّاً على تلك الظرائف والدقائق ، أمّا الحكيم الملّا هادي السبزواريّ فلم يكن كذلك ـ فتأمّل وافهم لأنّ هذا من مزالّ الأقدام .

هناك مع وجود هذا الاستقلال والعِزّة ، قدرةُ على الاستقلال لأيّ موجود آخر ؛ بل سيكون وجوده وجوداً ظلّيّاً وتبعيّاً كظلّ الشاخص الذي يتبعه .

كما أنّ وجود جميع الموجودات من الحقّ تعالى ، فهي جميعاً آية وممثّل له ، لذا فإنّها بأجمعها ظهوراته وتجلّيات ذاته القدسيّة . لكن الظاهر ليس منفصلاً عن المظهِر ، والمتجلّي لا يمكن أن ينفكّ عن المتجلّى فيه ، وإلّا لما كان ظهوراً وتجلّياً ، بل لصار ذلك وجوداً منفصلاً وهذا وجود منفصل . وسيزول عنوان المخلوق والربط والرابطة في هذه الحال ، فتصبح جميع الكائنات مولوداً للّه ، في حين أنّه **لَمْ يَلِدْ**[1] تعالى شأنه .

إنّ عينيّة الحقّ مع الأشياء ليست عينيّة الذات البسيطة ـ أي ما لا اسم له ولا رسم ـ مع الأشياء ، لأنّ تلك ممّا لا يوصف وهذه الأشياء قابلة للوصف ، وتلك لا تعيّن لها ولا حدّ ، بينما هذه محدودة بأجمعها ومتعيّنة . بل إنّ العينيّة ، بمعنى عينيّة العلّة للمعلول والخالق للفعل والظاهر للظهور ، بمعنى أنّه لو فُرض ارتفاع الحدود والتعيّنات فلن يبقى شيء ولا يمكن أن يبقى هناك شيء غير الوجود البحت البسيط المجرّد .

ووحدة الوجود بمعنى التعلّق والارتباط الحقيقيّ ـ لا الاعتباريّ والوهميّ والخياليّ ـ لجميع الموجودات مع خالقها ، ومن ثمّ فإنّ فرض وجود صدأ الاستقلال في الموجودات سيكون أمراً لا معنى له ، فالجميع مرتبط بالله سبحانه ، بل إنّهم ليسوا إلّا الارتباط المحض والعلاقة المحضة .

كما أنّ الخالق المتعال الذي هو **حقيقة الوجود وأصل الجود والوجود** له معيّة مع جميع الأشياء ، لا معيّة ١+١ التي تمثّل فرضاً مخطئاً هو عين الشرك ، بل هي في المثل كمعيّة النفس الناطقة للبدن ، ومعيّة العقل

١ـ صدر الآية ٣ ، من السورة ١١٢ : التوحيد .

والإرادة للأفعال الصادرة من الإنسان ، فهي ـ على وجه التحقيق ـ ليست واحدة في المفهوم والمفاد والمعنى لكنّها لا تنفكّ ولا تتميّز عن بعضها .

أفلم نقرأ ـ أيّها العزيز ! ـ آيات القرآن القائلة : **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**[1]؟

أفهذه المعيّة حقيقيّة أم اعتباريّة ومجازيّة ؟ لو قلتَ إنّها اعتباريّة ، فلن تكون عند ذلك علاقة بيننا وبينه بأيّ وجه من الوجوه ، وستصبح كلّ ذرّة من ذرّات العالم وكلّ موجود من الملك إلى الملكوت بأجمعهاً موجودات مستقلّة ، وعلينا أن نقول بأن هناك قديماً وأزلاً ودائماً بعددها جميعاً ؛ وسيصدق بشأننا آنذاك قول النبيّ المحترم يوسف على نبيّنا وآله وعليه السلام لرفيقَيهِ وصاحبَيهِ في السجن :

يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَهُ ٱلْوَ ٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ.[2]

ذلك الله الذي لم يدع بعزّته واستقلاله في الوجود وباسم قهّاريّته الذي هو من لوازم وحدته ، مجالاً لربّ أو أرباب آخرين مستقلّين ومنفصلين ، بل إنّ وحدة ذاته القدسيّة قد أحرقت جميع الوحدات الاعتباريّة والمجازيّة وأزالت هذا الهشيم عن الدرب .

أو هل تأمّلنا في هذه الآية القرآنيّة المباركة :

مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَ ٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا.[3]

فكيف ترى نتصوّر معيّة الله لنا إن نحن اعتبرناه منفصلاً عنّا وعددنا

١ـ مقطع من الآية ٤ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٢ـ الآية ٣٩ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٣ـ مقطع من الآية ٧ ، من السورة ٥٨ : المجادلة.

أنفسنا منفصلين عنه ،كمثل رفيقين يسافران معاً أو كشخصَين لهما معيّة العمل في شركة معيّنة ؟ إذ لن تكون المعيّة في هذه الحال معيّةً واقعيّة وحقيقيّة ، بل ستكون معيّة اعتباريّة ومجازيّة وكاذبة .

إنّ للّه سبحانه معنا معيّة حقيقيّة أي معيّة وجوديّة لكنّه كمثل الشمس ونحن كمثل الشعاع ، أو حسب التعبير القرآنيّ الأفضل كمثل الظلّ . فهو الاستقلال ونحن التبعيّة ، وهو العزيز ونحن الأذلّاء ، وهو الحقيقة ونحن الآية والمرآة .

أُقسم بالله عليكم ! أيمكن تصوّر أن يقوم القرآن ببيان وإيضاح معنى المعيّة وإيضاحه أفضل ممّا فعل ؟!

أوَ هل فكرّنا في هذه الآية الكريمة الشريفة :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْأَخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ .[1]

لكنّ إدراك هذا المعنى بالمشاهدة والوجدان والعيان ليس ميسوراً لكلّ أحد ، فهذا هو مقام التوحيد العالي ؛ حيث ينبغي أن يصل المسلم حقيقة إلى درجة يرى الله سبحانه فيها ـ قلباً وسرّاً ـ إلهاً واحداً ، ويدرك أن جميع الموجودات ليست إلّا موجودات فانية مضمحلّة ومندكّة ومعدومة ، بلا قدرة ولا حياة أمام ذلك الوجود العزيز المستقلّ والقادر والحيّ .

هنا يصمت أهل التوحيد فلا ينبسون بكلمة ، فلو تكلّموا وقالوا إنّ هناك في عالم الوجود وجوداً واحداً مستقلّاً مختاراً مريداً ، وأن ليس هناك إلّا وجود عليم سميع قدير بصير حيّ قيّوم ، وإنّ جميع الموجودات هي فَناء محض أمام ذلك الوجود ؛ لعدّهم الناس زنادقة وكفّاراً ولاستنكروا عليهم بقولهم : كيف تقولون عن هذه القدرات ومراكز العظمة والحياة والعلم في

١ـ الآية ٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

الدنيا إنّها بلا أثر وإنّها ليست إلّا فَناءً محضاً ؟!

وكيف تعتبرون أمثال فرعون ونمرود والشيطان مقهورين مسخّرين لأمر الحقّ ؟ ليس هذا منكم إلّا عين الكفر ونسبة القبح إلى الله تعالى .

بَيدَ أنّ هؤلاء يجهلون أنّ هناك فارقاً بين التكوين والتشريع ، فعالَم التكوين والوجود والإيجاد يتحرّك في طريقٍ له معيّن ، كما أنّ مسائل عالم التشريع تمثّل مسائل أُخرى مختلفة ينبغي عدم خلطها ومزجها مع بعضها ، وإلّا كانت العاقبة ظهور أمثال هذا التكفير والتفسيق .

ومن العجيب أنّ محيي الدين بن عربي نفسه قد استشهد في مقدِّمة «الفتوحات» بكلام سيّد العابدين وإمام الساجدين عليه السلام ونقل عنه بيتين من الشعر . يقول محيي الدين : لو لم يكن كتمان السرّ واجباً ، وكانت أسرار التوحيد قابلة لإدراك جميع الناس ، **لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِ الرَّضِيِّ مِن حَفَدَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْنىً إذْ قَالَ :**

يَا رُبَّ جَوْهَرِ عِلْمٍ لَوْ أَبُوحُ بِهِ   لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَا
وَلاَسْتَحَلَّ رِجَالٌ مُسْلِمُونَ دَمِي   يَرَوْنَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنَا[1]

١ـ «الفتوحات المكّيّة» ج ١ ، ص ٣٢ ، طبعة المطبعة الأميريّة ، مصر ، في مقدِّمة الكتاب؛ أقول : مجموع هذه الأشعار أبيات أربعة:

إنّي لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ   كَيْلَا يَرَى الحَقَّ ذُو جَهْلٍ فَيَفْتَتِنِنَا
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا أَبُو حَسَنٍ   إلَى الحُسَيْنِ وَأَوْصَى قَبْلَهُ الحَسَنَا

مع البيتين اللذين ذكرهما محيي الدين . وقد نقل صاحب «الغدير» هذه الأبيات في كتابه، ج ٧ ، ص ٣٥ و٣٦ ، الطبعة الأُولى ، المطبعة الحيدريّة ، طهران ، سنة ١٣٧٢ ، عنه عليه السلام، ويقول في الهامش : أوردها الآلوسيّ في تفسيره ، ج ٦ ، ص ١٩٠ ، عنه عليه السلام.

وأقول : أوردها المرحوم المحقّق الفيض الكاشانيّ في مقدِّمة كتاب «الوافي» وفي «الأُصول الأصيلة» ص ١٦٧ ، عن الإمام عليه السلام . ويقول المحدِّث الأُرمويّ في هامشه عليه: إنّ نسبة هذه الأشعار للإمام زين العابدين عليه السلام مشهورة ، وهي مأثورة عنه ⇦

فتأمّلوا جيّداً ! أنّ الإمام يقول هنا : إنّ الحقائق التي فهمتها وأدركتها عن التوحيد هي عند الناس كعبادة الأصنام ، أُولئك الناس الذين يرون أقبح أعمالهم (التي هي عين الشرك) عملاً حسناً ؛ أي أنّ إيماني يغاير ويعاكس كلّ المغايرة والمعاكسة إيمان هؤلاء القوم ، وكلّ ما أعرفه عن التوحيد فهو عندهم شرك ، وما يعدّه هؤلاء من الإسلام وسيرة المسلمين فينجزون أعمالهم ـ على أساسه ـ عن نيّة وعقيدة حسنة فيحجّون ويجاهدون ويقومون بسائر الأعمال الحسنة ، ويحلّون سفك دمي ـ من ثمّ ـ عن عصبيّة إسلاميّة ، فإنّ جميع هذه الأعمال باعتبارها غير مقترنة برؤية جمال الحقّ وانكشاف وحدته ، وباعتبار أنّهم ينسبونها لأنفسهم ، ويتخيّلون أنفسهم أساس الفعل والعمل والاختيار ، هي أقبح الأعمال ، ولو بدت جميعها في الظاهر خيراً ، ومهما اتّخذت شكل الدرس والبحث والتعليم والتعلّم ، ذلك لأنّها لم تصطبغ بصبغة الوحدة ولم يُجلَ عنها صدأ الأنانيّة والإنّيّة ، فهي لذلك من أخبث الأفعال والأعمال .

فَتَأَمَّلْ يَا أَخِي وَأَرْسِلْ فِكْرَكَ حَتَّى يَخْطُرَ عَلَى بَالِكَ مَا لَمْ يَخْطُرْ قَبْلَ

⇐ في أغلب كتب المصنّف رحمة الله عليه حتّى أنّ الغزّاليّ قد نقلها في كتبه ونسبها إلى الإمام عليه السلام.

وقد أورد عبد الوهّاب الشعرانيّ في مقدِّمة الجزء الأوّل ص ٢١ من «اليواقيت والجواهر» طبعة مكتبة الحلبيّ لسنة ١٣٧٨ ، الفصل الثالث ، في بيان إقامة العذر لأهل الطريق في تكلّمهم في العبارات المغلقة على غيرهم ، حكاية عن محيي الدين **قَالَ : نَقَل الإمَامُ الغَزَّالِيُّ فِي «الإحْيَاء» وَغَيْرِهِ عَنِ الإمَامِ زَيْنِ العَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ :** ... يذكر هنا البيتين الواردين في «الفتوحات» ثمّ يقول بعدها : **وَالمُرَادُ بِهَذَا العِلْمِ الَّذِي يَسْتَحِلُّونَ بِهِ دَمَهُ هُوَ العِلْمُ اللَدُنِّيُّ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الأَسْرَارِ ، لاَ مَنْ يَتَوَلَّى مِنَ الخُلَفَاءِ وَمَنْ يَعْزِلُ كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ ، لِأَنَّ ذَلِكَ لاَ يَسْتَحِلُّ عُلَمَاءُ الشَّرِيعَةِ دَمَ صَاحِبِهِ وَلاَ يَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ مِمَّنْ يَعْبُدُ الوَثَنَ** ـ انتهى . **فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الفَصْلِ فَإنَّهُ نَافِعٌ لَكَ وَاللَهُ يَتَوَلَّى هُدَاكَ .**

التَّأَمُّلِ فِي هَذِهِ المَعَانِي عَلَيْهَا !

وبطبيعة الحال فإنّ مَن ينظر إلى جميع الموجودات بالنظر التوحيديّ سيراها بشكل آخر ، ولولا ذلك لما قال عليه السلام إنّه يتكتّم على علمه فلا يظهره ولا يجريه على لسانه . وحيث إنّ السبيل الوحيد للعلاج منحصر في أن نخطو بقدم صدق على صراط التوحيد من أجل نيل مشاهدة الإمام السجّاد عليه السلام ، وحينذاك ستصدق مسألة إمامته لنا ومأموميّتنا له ؛ لا أن نصرّ على هذه الدرجة من إدراكنا ونتخبّط في مكاننا دون حركة للأمام ولا نزيل عن قلوبنا صدأ الشرك الذي هو **أَقْبَحُ مَا نَأْتِي** ، ولا نعالج رمد عيوننا كي نشاهد إشراق الشمس التي تسطع على العالم كلّه ، ثمّ نعدّ أنفسنا على حقّ ونعدّ مدركاتنا الفعليّة حقّاً .

ولأنّنا نقصر عن تكفير أو تفسيق الإمام السجّاد ،كما ليس في وسعنا في زمننا هذا أن نريق دمه ، فإنّنا نقوم بتكفير وتفسيق العرفاء بالله وأولياء الحقّ أمثال محيي الدين بن عربي ؛ ونقتل كلّ بائس عاجز ووالهٍ منقلب ، بحجّة التصوّف والقول بوحدة الوجود ، فيصبح قتل الدراويش سنّتنا معنىً وظاهراً .

إنّ كلامنا هنا بشأن القول بوحدة الوجود يختلف عن الردود التي قدّمها المرحوم شهيد الفضل والولاية والعلم والدراية القاضي **السيّد نور الله التستريّ** في «مجالس المؤمنين» [1] فإجابتنا أكثر وضوحاً وصراحة . ولقد اتّضح بهذا البيان الذي سبق أنّ إنكار وحدة الوجود يعني إنكار الاستقلال في ربوبيّة وخلّاقيّة الباري تعالى شأنه العزيز ، فمنكر وحدة الوجود منكر للتوحيد ، ومحارب ومعارض ومخاصم للآيات المباركة

١ـ «مجالس المؤمنين» ، ص ٢٨٣ ،المجلس السادس ، الطبعة الحجريّة.

المذكورة .

لقد بذل القاضي نور الله حشره ربّه مع شهداء الطفّ جهوداً كبيرة ، وكان كتابه النفيس «**إحقاق الحقّ**» تاج فخر يزهو على مفرق رأس الشيعة إلى يوم القيامة ، ولكن وللأسف فلم يطبع متنه الكامل ولا ملحقاته حتّى الآن . ولقد تطرّق في «مجالس المؤمنين» في دفاعه عن محيي الدين حيث يقول :

فيظهر أنّ منشأ الإشكال هو عدم فهم مراد الشيخ ، إذ لم تتّضح لديهم معاني كلام الشيخ بكاملها ، وكان التفاتهم إلى جانب آخر .

صوفى اگر آن روى نبيند بگذارش
كان مرغ ندانست كه انجير كدام است[1]

كما أنّ استناد الشيخ في وحدة الوجود عائد إلى الكشف الصحيح والذوق الصريح لا إلى الدليل العقليّ أو المقدّمات النقليّة .

يقول المير السيّد شريف في حواشي «شرح التجريد» : **إنْ قُلْتَ : مَاذَا تَقُولُ في مَن يَرَى أَنَّ الوُجُودَ مَعَ كَوْنِهِ عَيْنَ الوَاجِبِ وَغَيْرَ قَابِلٍ لِلتَّجَزئَةِ وَالاِنْقِسَامِ قَدِ انْبَسَطَ عَلَى هَيَاكِلِ المَوْجُودَاتِ ، يَظْهَرُ فِيهَا فَلَا يَخْلُو عَنْهُ شَيءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ بَلْ هُوَ حَقِيقَتُهَا وَعَيْنُهَا ؛ وَإِنَّمَا امْتَازَتْ وَتَعَدَّدَتْ بِتَقَيُّداتٍ وَتَعَيُّنَاتٍ اعْتِبَارِيَّةٍ ، وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ بِالبَحْرِ وَظُهُورِهِ فِي صُورَةِ الأَمْوَاجِ المُتَكَثِّرَةِ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إلَّا حَقِيقَةُ البَحْرِ فَقَطْ ؟**

قُلْتُ : هَذَا طَوْرٌ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ لَا يُتَوَصَّلُ إلَيْهِ إلَّا بِالمُشَاهَدَاتِ الكَشْفِيَّةِ دُونَ المُنَاظَرَاتِ العَقْلِيَّةِ ، وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ .[2]

١ـ يقول : «دع الصوفيّ الذي لا يرى الباطن والوجه الآخر لحقيقة الأُمور ، فهو كالطائر الذي لا يميّز التين عن غيره (إذ لم يره ولم يعرفه قبلاً).

٢ـ كلام المير السيّد شريف منقول في «الروضات» ، ج ٤ ، ص ١٩٤ ، الطبعة ⇦

وأمّا قول الشيخ علاء الدولة أخيراً من أنّه إذا قال أحد بأنّ فضلة الشيخ هي عين وجود الشيخ فإنّه سيغضب ولا يسامحه ، فهو تمثيل قبيح جدّاً ، ملوَّث بفضلة غير الدراويش ؛ وذلك لأنّ أصحاب التوحيد لو اعتبروا معيّة الحقّ للأشياء كمعيّة جسم لجسم لاستلزم ذلك الفساد .

أمّا المعيّة بزعمهم فهي كمعيّة الوجود للماهيّات ، والماهيّات غير ملوَّثة ، بخلاف معيّة الشخص للفضلة التي هي من قبيل معيّة جسم لجسم والتي يمكن التلوّث بها .

وكان الكلام كذلك في نفي وجود الممكنات التي هي آثار وجود الحقّ ، فأثر الشيء ليس فضلة ذلك الشيء ليصحّ التمثيل والتشبيه الذي أورده . ولهذا فلو قال أحد للشيخ علاء الدولة : إنّ كتاب «العروة» هو فضلتك ! لغضب ولما سامحه وتجاوز عنه .

وعموماً فإنّ أمثال هذه الكلمات المضطربة لا تليق بعلوّ شأنه ، فما الذي سيقوله ويكتبه ـ بعدُ ـ درويش الدراويش ؟![1]

أقول : حقّاً لقد أحسن المرحوم الشيخ القاضي الإجابة عن الشيخ ، ولقد أوفى المطلب حقّه كما ينبغي .

يقول الحقير : إنّ إشكال علاء الدولة على الشيخ محيي الدين ليس إشكالاً برهانيّاً ، بل هو خطابة وشعر ، بل مغالطة ؛ وهو أمر مستبعد من شخص يعدّ نفسه حكيماً . ولقد كان إشكاله أشبه بافتعال الضجّة والصخب بلا داعٍ وإثارة للشغب والقلاقل والاضطرابات . وسيقول الشيخ محيي الدين

⇦ الحجريّة عن «مقامع الفضل».

١ـ «مجالس المؤمنين» ص ٢٨٣ ، المجلس السادس في أحوال محيي الدين بن عربي .

في جوابه : إن كان المراد بعينيّة الفضلة ، العينيّة مع النفس الناطقة والروح فهو مثال مع الفارق ؛ وإن كان العينيّة مع الجسم والبدن ، فنعم ، نحن نلتزم بهذه العينيّة .

أفلستم تقومون في المختبر بتحليل مقدار من هذه الفضلة أو البول أو الدم النجس والمتلوّث ، فتدركون بتحليلها جميع أحوال بدن الإنسان من السلامة والمرض والعنصر وأقسام جهات اختلاف الأنواع ؟! فإن كانت الفضلة لا تمتلك بأيّة حال نسبة إلى البدن فمن أين تكشف هذه العجائب ؟!

أزيلوا العنوان القبيح عن الفضلة ونجاسة الدم والبول ، وعندئذٍ أيّ تفاوت سيكون بينها وبين سائر أجزاء وأعضاء وآثار البدن ؟!

لكنّ نجل آية الله البهبهانيّ : الشيخ محمّد علي الكرمانشاهيّ لم يُجب في «مقامع الفضل» عن وحدة الوجود بهذه الأجوبة التي شاهدتموها ، لكنّه أضاف إلى محيي الدين البائس - مضافاً إلى التكفير - ألف عيب وعيب آخر ينبغي له أن يجيب عنها في المواقف القادمة .

فلقد اكتفى بذكر مقولة المير السيّد شريف في «حاشية التجريد» ثمّ شرع بانتقاد العرفاء ومحيي الدين بن عربي .

ولقد كان قتل الدراويش شائعاً في زمنه ، وكان العوامّ آنذاك كالأنعام أينما رأوا مسكيناً والهاً يرفع شعار الدراويش أغاروا على بيته ونهبوه ثمّ قتلوه .

ولقد تفضّل آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ بالقول ضمن نصائحه ومواعظه وقضايا أُخرى ذكرها ، ليلة الجمعة ، الليلة الثانية عشرة من شهر جمادى الآخرة لسنة ألف وثلاثمائة وسبع وسبعين هجريّة قمريّة حين كان الحقير في همدان في منزل ومحضر سماحته ؛ قال :

لقد قام محمّد علي البهبهانيّ [١] بـقتل السـيّد مـعصوم عـلي شـاه [٢] فـي

١ـ ذكر آية الله الحاجّ السيّد محسن العـامليّ تـرجـمته فـي «أعـيان الشـيعة» ج ٤٦ ، ص ١٥٦ ، برقم ٢٥٨٦ ، الطبعة الثانية ،سنة ١٣٧٨ ، بهذه الكيفيّة : الآقا محمّد علي ابن الآقا محمّد باقر البهبهانيّ ولد سنة ١١٤٤ وتوفي سنة ١٢١٦ فـي كـرمانشاه . هـو ولد الوحـيد البهبهانيّ المشهور ؛ أصله من إصفهان ثمّ بهبهان ، وسكن والده كربلاء وولد هو بها، وهو أفضل ولدي الوحيد البهبهانيّ . قرأ على أبيه مدّة إقامته في بهبهان ثمّ بكربلاء ثمّ انتقل إلى الكاظميّة ثمّ إلى إيران.

في «تكملة أمل الآمل» : كان من جبال العلم وأركان الدين وأعلام علماء المـذهب، لم يكن في عصره أفضل منه ولا أطول باعاً ؛ كان أعلم النـاس بأُصـول المـذاهب الأربـعة وفروعها فضلاً عن علوم مذهب الإ ماميّة.

٢ـ تفضّل سماحة الحاجّ الشيخ محمّد جواد بـالقول فـي نـفس الليلة : كـان السـيّد معصوم علي شاه تلميذ السيّد علي رضا الدكنيّ ، وكان يعيش في دكن من بلاد الهند. ثمّ جاء من الهند إلى إيران ولم يكن يملك إلّا مـا يسـتر بـه عـورته . وكـان الحـاجّ مـحمّد جـعفر البروجرديّ والحاجّ محمّد رضا التبريزيّ من تلامذة السيّد علي رضا الدكنيّ ، إلّا أنّهم كانوا يعدّون في نفس الوقت من المشغوفين بالسيّد معصوم علي شاه . وكان الحاجّ محمّدرضا والحاجّ محمّد جعفر رجلين جليلين لكنّهما ينتهجان نهج الدراويش . وكان للـحاجّ مـحمّد رضا مقام علميّ ، وله كتاب «الدرّ النظيم» و«مفاتيح الأبواب» والكثير من الكتب الأُخرى، وكان يسكن بروجرد فقام أهلها بنهب جميع أمواله وأخرجوه مـن بـروجرد وحـيداً بـتهمة التصوّف.

وقد ذهب الحاجّ محمّد رضا إلى مدينة تـبريز فأصـبح هـناك مـحطّ اهـتمام النـاس وتقديرهم وصار يحضر عند منبره جمع كثير منهم ، وكان يوماً يتكلّم على المنبر والناس مجتمعون بأجمعهم يُنصتون وكان لذلك منظر عجيب ، فخطر في قلبه أنّ استقبال أهل تبريز هو تعويض عن أذى أهل بروجرد . وفجأة دخل الباب درويش قد شدّ قدميه ، فجاء من فوره إلى المنبر وهمس في أُذن الحاجّ محمّد رضا شيئاً . ويظهر أنّه قال له : أأفعل ما ينبغي عَلَيّ فعله أم لا ؟ فقال الحاجّ محمّد رضا : افعل!

فألقى الدرويش عمامة الحاجّ محمّد رضا في عنقه وجرّه مـن المـنبر إلى الأ سـفل، وأخرجه من المسـجد تَلَافِياً لِهَذَا الخُطُورِ النفسـانيّ . وكان السـيّد علي رضا الدكنيّ قد ⇦

كرمانشاه ، وقتل محمّد علي ثلاثة من أولياء الله ، وكان اسم ثالثهم **بُدَلا** ، فأصدر أمره بقتله ، فقال له بُدلا : إن قتلتني دفنت قبلي !

فردّ عليه محمّد علي : أنّ مظفّر علي شاه والسيّد معصوم علي شاه الذين كانوا أهمّ منك لم تصدر منهم معجزة كهذه ، أفتريد أن يصدر منك أنت ذلك ؟! فقال بُدَلا : الأمر كذلك ، فأُولئك كانا كاملين لا فرق لديهما بين الموت والحياة ، لكنّي لم أصبح كاملاً حتّى الآن وكوني غير واصل ، فإن قتلتني ظلمتني !

فلم يُلقِ إليه آقا محمّد علي بالاً وقتله ، وكانت جنازة بُدَلا لا تزال موضوعة على الأرض حين انهار سقف الممرّ على آقا محمّد علي بينما كان يجتازه ففارق الحياة . وباعتبار كونه العالم المعروف والمشهور لكرمانشاه ، وللاحترام الذي كان يحظى به لدى الناس ، فقد شُيِّعت جنازته ودفنت ، بينما لم يُلقِ أحد آنذاك بالاً إلى جنازة بُدَلا المطروحة في إحدى الزوايا التي لم تدفن .

كما قال المرحوم آية الله الأنصاريّ : بالرغم من أنّ مظفّر علي شاه والسيّد معصوم علي شاه وبُدَلا كان لهم مسلك الدراويش وهو مسلك غير مقبول ، إلّا أنّ إصدار أمر بقتل أولياء الله ليس بالأمر الهيّن .

وكان سماحة الأُستاذ آية الله العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله نفسه يقول :

إنّ هذه النهضة الدستوريّة والحرّيّة والنزعة التقليديّة للغرب والإلحاديّة واللا أُباليّة التي جاءت هديّة لنا من الكفّار ، قد أثمرت نسخ قتل

⇦ أرسل هذا الدرويش من دكن وقال له : اذهب إلى تبريز فوراً وأنقِذْ أحد محبّي الله المشرفين على الهلاك. وهكذا فقد نجى الحاجّ محمّد رضا.

الدراويش ، ووجدت عندها الأقوال العرفانيّة والتوحيديّة حرّيّة نسبيّة ، ولولا ذلك لرأيتم اليوم أيضاً نفس تلك الاتّهامات والقتل والنهب والشنق لسالكي طريق الله .

وإجمالاً فقد تابع المرحوم الشهيد السيّد القاضي نور الله دفاعه عن محيي الدين في صواب قوله بوحدة الوجود وفي الردّ على علاء الدولة السمنانيّ ، فأورد هذه العبارات :

أورد صاحب «النفحات» أنّ بعض المعاصرين ممّن له تتبُّع زائد لكِلَا كلمات الشيخَين ، وممّن له اعتقاد بهما وإخلاص تامّ لهما قد كتب في بعض رسائله : أنّه لا خلاف في حقيقة التوحيد بينهما ، ولقد كانت تخطئة وتكفير الشيخ علاء الدولة للشيخ (ابن عربي) قدّس سرّه ترجع إلى المعنى الذي فهمه من كلامه ، لا إلى المعنى الذي أراده الشيخ ورمى إليه . حيث إنّ للوجود اعتبارات ثلاثةً :

أوّلها : اعتباره بشرط شيء وهو المقيّد . والثاني : بشرط لا شيء وهو الوجود العامّ . والثالث : لا بشرط وهو الوجود المطلق .

فقول الشيخ قدّس سرّه بأن ذات الحقّ سبحانه وجود مطلق إنّما هو بالمعنى الأخير ، لكنّ الشيخ علاء الدولة حمله على الوجود العامّ فبالغ في نفيه وإنكاره . مع أنّه قد أشار بنفسه إلى إطلاق الوجود على الذات بالمعنى الأخير ، فقد قال في بعض رسائله : **الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الإيمَانِ بِوُجُوبِ وُجُودِهِ ونَزَاهَتِهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ مُقَيَّداً مَحْدُوداً وَمُطْلَقاً لَا يَكُونُ بِلَا مُقَيَّدَاتِهِ .**

والوجود إن لم يكن مقيّداً محدوداً ، ولا مطلقاً يتوقّف وجوده على مقيّدات ، فسيكون بلا ريب مطلقاً لا بشرط شيء ، أي غير مشروط بأيٍّ من التقيّدات ، إذ القيود والتعيّنات شرط ظهوره في المراتب ، لا شرط وجوده في حدّ ذاته . ويمكن أن يكون النزاع بين الشيخ علاء الدولة والشيخ

عبد الرزّاق الكاشانيّ من هذا القبيل .

وبصورة مجملة فإنّ الطائفة الصوفيّة الموحِّدة حين يحكمون بعينيّة الأشياء فيسمّون الجميع بالوجود الحقّ والوجود المطلق ، يحكمون كذلك بغيريّة الأشياء فيقولون بأنّ الأشياء هي غير الحقّ ، لا عينه ولا غيره .

كما قد وردت الإشارة في «الفصوص» إلى هذه العبارة والإطلاقات .

وكذلك فقد قال الثمل بالشراب القيّوميّ : الملّا الروميّ :

گاه كوه قاف و گه عنقا شوى
گاه خورشيد و گهى دريا شوى

تو نه اين باشى نه آن در ذات خويش
اى برون از وهمها در پيش پيش[1]

كما أنّهم يقولون إنّ طريقة الاعتدال في التوحيد هي :

كه جهان پرتوى است از رخ دوست
جملۀ كائنات سايۀ اوست[2]

* * *

هر آن چيزى كه در عالم عيان است
چو عكسى ز آفتاب آن جهان است[3]

* * *

١ـ يقول :«تصبح أحياناً جبل القاف وأحياناً العنقاء نفسها ، تصير الشمس تارةً والبحر تارةً أُخرى.

لكنّك في حقيقة الذات لا هذا ولا ذاك ، يا من تخطّيتَ حدَّ الأوهام والوصف».

٢ـ يقول : «إنّما هذا العالم أشعّة من وجه الله ، وكلّ الكائنات ظلّ وخيال له».

٣ـ يقول : «كلّ الأشياء التي تُرى في هذا العالم بالعيان ، ليست إلّا صورة شمس ذلك العالم».

اي جلوه‌گر از جمال جانان همه تو
مقصود دل و آرزوی جان همه تو
اعيان همه آئينه و عكس رخ خويش
بنموده در آئينهٔ اعيان همه تو[١]

على أنّ كلّاً من هذه الإطلاقات هو باعتبار معيّن من التشبيه والتنزيه والجمع والتفصيل ، والنظر إلى بعض الحيثيّات لا إلى جميعها ، ولذلك يظهر في كلامهم ما يوهم التهافت كثيراً ، **كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى المُتَتَبِّعِ لِكَلَامِهِمْ وَالمُتَفَطِّنِ لِمَرَامِهِمْ** . ومن جملة ذلك هذا النظم الجميل المنسوب لبعض الموحّدين الأجلّاء : **شعر :**

يَا جَلِيَّ الظُّهُورِ وَالإشْرَاقْ كيست جز تو در أنفس وآفاق
لَيْسَ فِي الكَائِنَاتِ غَيْرَكَ شَيء **أَنْتَ شَمْسُ الضُّحَى وَغَيْرُكَ فَيْء**
دو جهان سايه است و نور توئی سايه را مايهٔ ظهور توئی
حرف ما و من از دلم بتراش محو كن غير را و جمله تو باش
خود چه غير و كدام غير اينجا هم ز تو سوی توست سير اينجا
در بدايت زتوست سير رجال در نهايت به سوی توست آمال[٢]

١ـ يقول : «يا مَن تتجلّى الأرواح كلّها من جمالك ، أنتَ ـ لا سواك ـ الجمال المطلق، وأنت وحدك مقصود القلوب ومحطّ آمال الأرواح.

ليست الأعيان والموجودات إلّا مَرايا ، يا مَن أظهرتَ حقيقةَ وجودك للعالمين في مرايا الأعيان».

٢ـ يقول : «يا جليّ الظهور والإشراق ، مَن ـ ترى ـ سواك في الأنفس والآفاق؟
ليس في الكائنات غيرك شيء ، أنت شمس الضحى وغيرك فيء.
كِلا العالَمينِ ظلّ ، والنور أنت ، فأنت السبب لظهور الظلّ.
أزِلْ عن قلبي كلمات «أنا» و«نحن» ، وامح ما سواك ليصبح الكلّ أنت. ⇦

اللَهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَإلَيْكَ يَرْجِعُ السَّلَامُ !

يقول **اليافعيّ** في «الإرشاد» : قال الشيخ **عز الدين عبد السلام الدمشقيّ** : إنّ الشيخ زنديق . ثمّ قال له بعض أصحابه يوماً : نريد أن نرى القُطب . فأشار إلى الشيخ . فقالوا : إنك تطعن فيه !

فقال : إنّ ذلك لحفظ ظاهر الشرع .

گر پير مغان مُرشد من شد چه تفاوت

در هيچ سرى نيست كه سِرِّى ز خدا نيست

در صومعهٔ زاهد و در خلوت صوفي

جز گوشهٔ ابروى تو محراب دعا نيست[1]

أقول : إنّ محيي الدين نفسه يجيب على جميع هذه الإشكالات وجميع هذه الأقوال المتعارضة فقط بتلك العبارة التي صارت مورداً للإشكال عليه : **سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ الأَشْيَاءَ مِنَ العَدَمِ وَهُوَ عَيْنُهَا .**

«سُبحان» أي أنّني أُنزّه تلك الذات العالية الراقية ، العظيمة الرتبة ، الجليلة المقام ، التي لا توصف ، عن شوائب الثنويّة والغيريّة والامتزاج بالأشياء التي أوجدتها من العدم وخلعت عليها خلعة الحياة ، في حين أنّها عينها . أي تلك الذات التي تفوق تصوّرنا وخيالنا ، والتي هي أسمى من

⇦ ليس غيرك مِن شيء ، بل أيّ شيء سواك ؟ كما أنّ السير يبدأ منك وإليك.

منك في البدء كان سير الرجال ، وإليك في الختام تطمح الآمال».

١ـ «مجالس المؤمنين» ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ، المجلس السادس ،الطبعة الحجريّة ، ضمن ترجمة أحوال الشيخ العارف بالله محيي الدين بن عربي.

يقول : «ما الفرق لو صار شيخ المجوس (المُرشد الكامل) مرشدي ، فليس هناك من رأسٍ يخلو من سرّ الله.

فلا محراب للدعاء في صومعة الزاهد ، وفي خلوة الصوفي ، غير زاوية حاجبك».

الوهم والوصف وأعلى من الاسم والرسم ؛ وحقيقة الوجود وأصالته ؛ فالأشياء التي أظهرتها ليست إلا ظلّاً لها وتبعاً ، وعينيّة وارتباطها بالذات في عين حفظ مقام الكثرة ـ اندكاكها وفناؤها ـ لن يستوجب التركيب والحدوث والتجزئة والانقسام .

دائماً او پادشاه مطلق است
در كمال عزّ خود مستغرق است
او به سَر نايد زخود آنجا كه اوست
كى رسد عقل وجود آنجا كه اوست[1]

هذا وقد استظهر أيضاً صاحب «الروضات» لتحطيم ودحر صولة محيي الدين بكلمات الشيخ أحمد الأحسائيّ الذي كان يلقّبه بدل محيي الدين بـ «مُميت الدين» ويدعوه في كتبه ودروسه بمميت الدين ؛ مُشيراً إلى الشيخ أحمد الأحسائيّ بعبارة **بَعْضُ مَشَايِخِ عُرَفَائِنَا المُتَأَخِّرِينَ !**[2]

والشيخ أحمد الأحسائيّ لا تخفى ترجمة حاله اليوم على أحد ؛ فهو رجل زاهد عابد يمتاز بقدرة جيّدة على الحفظ والاستظهار ، لكنّه سعى إلى فهم مطالب الحكماء بدون الاستعانة بأُستاذ ، وشرع بمطالعة كتب الحكمة فلم يُدرك حقيقة مطلبها فتحيّر . وبما عنده من اطّلاع كافٍ بالأخبار ، فقد حاول موافقة حقائق المعاني الحكميّة مع ظواهر عبارات الأحاديث ، فلم يوفّق في ذلك . ثمّ صار يعتقد بأصالة الوجود وكذلك بأصالة الماهيّة في

١ـ من أشعار الشيخ العارف : فريد الدين العطّار النيسابوريّ في كتابه المشهور «منطق الطير»؛ يقول: «هو الملك المطلق دائماً ، المستغرق في كمال عزّه.
لم يزل قائماً بذاته حيثُ كان ولا يزال ، فكيف يُدركه عقلُ الوجود حيثُ هو».
٢ـ «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٦ ، الطبعة الحجريّة.

مسألة توحيد الوجود والأصل القديم للعالم ، وهو خطأ فادح يمثل عين الثنويّة ومذهب المجوس قد سجّله له التأريخ .

وحين عجز عن إدراك مسائل الحكمة ولم يصل إلى مغزى ومفاد آراء الحكماء ، فقد دعا جميع الحكماء زنادقة ومُلحدين ، وأيضاً سمّى جميع أهل العرفان زنادقة وملحدين ، لأنّه عدّ ظواهر كلامهم غير منطبقة ـ كما هي الحال لدى الأخباريّين ـ مع ظواهر الكلمات الواردة في الأحاديث .

ومن هنا فقد جرّد سيف الكلام القاطع في وجههم وأنكر أصل العرفان والمعرفة الإلهيّة فقال : إنّ طريق الوصول وعرفان الذات الأحديّة مسدود ، وإنّ غاية سير البشر هي معرفة الواسطة والإمام .

وقد بلغت خصومته ومعاندته لمحيي الدين أقصاها ، فلقّبه بـ «مُميت الدين» ، كما نصب الخصومة مع فخر الشيعة وفخر العلماء والمفسّرين والمحدِّثين والحكماء وعرفاء الإسلام : المحقّق الفيض الكاشانيّ ، وكان اسمه الملاّ محسن فدعاه بـ «الملّا مُسيء» ، وكان يذكره بهذا اللقب في كتبه ودروسه .[1]

أمّا تلامذته المتأخّرون الذين ربّاهم والذين دعاهم صاحب «الروضات» عرفاءنا المتأخّرين ، فهم عبارة عن السيّد كاظم الرشتيّ وربيبه وتلميذ مدرسته السيّد علي محمّد الشيرازيّ مؤسّس مذهب البابيّة الذي ادّعى بابيّة إمام العصر ، ثمّ ادّعى الإمامة ؛ فهؤلاء هم الذين كانوا على رأس مخالفي العرفان الإلهيّ ، أُولئك الذين أفسدوا الأرض والنسل البشريّ .

١ـ أوردنا مطالب عديدة عن الشيخ أحمد الأحسائيّ في الجزء الخامس من سلسلة «معرفة الإمام» من «دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة» الدرس ٦٨ إلى ٧١.

يكتب صاحب «الروضات» في ترجمة الشيخ أحمد الأحسائيّ فيمتدحه بهذه العبارات :

تَرْجُمَانُ الحُكَمَاءِ المُتَأَلِّهِينَ ، وَلِسَانُ العُرَفَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ ، غُرَّةُ الدَّهْرِ ، وفَيْلَسُوفُ العَصْرِ ، العَالِمُ بِأَسْرَارِ المَبَانِي وَالمَعَانِي ، شَيْخُنَا أَحْمَدُ ابْنُ الشَّيْخِ زَيْنُ الدِّينِ بْنِ الشَّيْخِ إبْرَاهِيمَ الأَحْسَائِيِّ البَحْرَانِيِّ ، لَمْ يُعْهَدْ فِي هَذِهِ الأَوَاخِرِ مِثْلُهُ فِي المَعْرِفَةِ وَالفَهْمِ وَالمَكْرَمَةِ وَالحَزْمِ ، وَجَوْدَةِ السَّلِيقَةِ وحُسْنِ الطَّرِيقَةِ وَصَفَاءِ الحَقِيقَةِ وَكَثْرَةِ المَعْنَوِيَّةِ وَالعِلْمِ بِالعَرَبِيَّةِ وَالأَخْلَاقِ السَّنِيَّةِ وَالشِّيَمِ المَرْضِيَّةِ وَالحِكَمِ العِلْمِيَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ وَحُسْنِ التَّعْبِيرِ وَالفَصَاحَةِ وَلُطْفِ التَّقْرِيرِ وَالمَلَاحَةِ وَخُلُوصِ المَحَبَّةِ وَالوَدَادِ لِأَهْلِ بَيْتِ الرَّسُولِ الأَمْجَادِ ؛ بِحَيْثُ يُرْمَى عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الظَّاهِرِ مِنْ عُلَمَائِنَا بِالإِفْرَاطِ وَالغُلُوِّ ، مَعَ أَنَّهُ لَا شَكَّ مِنْ أَهْلِ الجَلَالَةِ وَالعُلُوِّ ، وَقَدْ رَأَيْتُ صُورَةَ إجَازَةِ سَيِّدِنَا صَاحِبِ «الدُّرَّةِ» أَجْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِرَّهُ ، لِأَجْلِهِ مُفْصِحَةً عَنْ غَايَةِ جَلَالَتِهِ وَفَضْلِهِ وَنُبْلِه.

ثمّ يبيّن صاحب «الروضات» كتبه المصنَّفة فيقول :

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ شَدِيدَ الإنْكَارِ عَلَى طَرِيقَةِ المُتَصَوِّفَةِ المَوْهُونَةِ ، بَلْ عَلَى طَرِيقَةِ الفَيْضِ فِي العِرْفَانِ ، بِحَيْثُ قَدْ يُنْسَبُ إلَيْهِ أَنَّهُ يُكَفِّرُهُ.

حتّى يصل إلى قوله : وكان للشيخ أحمد ولدان فاضلان مجتهدان سُمّيا محمّداً وعليّاً ، إلّا أنّ الشيخ محمّد ولده الأكبر كان ينكر على طريقة أبيه أشدّ الإنكار ، ويقول عند ذكر ما كان لأبيه : **كَذَا فَهِمَ عَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.**

وَقَدْ يُحْكَى أَيْضاً أَنَّ الحَكِيمَ المُتَأَلِّهَ المُحَقِّقَ النُّورِيَّ المُعَاصِرَ أَيضاً كَانَ يُنْكِرُ فَضْلَهُ بَلْ كَوْنَهُ فِي عِدَادِ الفُضَلَاءِ.

إلَّا أَنَّ تِلْمِيذَهُ العَزِيزَ ، وَقُدْوَةَ أَرْبَابِ الفَهْمِ وَالتَّمْيِيزِ ، بَلْ قُرَّةَ عَيْنِهِ

الزَّاهِرَةِ وقُوَّةَ قَلْبِهِ البَاهِرَةَ الفَاخِرَةَ بَلْ حَلِيفُهُ فِي شَدَائِدِهِ وَمِحَنِهِ وَمَنْ كَانَ بِمَنْزِلَةِ القَمِيصِ عَلَى بَدَنِهِ ؛ أَعْنِي السَّيِّدَ الفَاضِلَ الجَامِعَ البَارِعَ الجَلِيلَ الحَازِمَ سَلِيلَ الأَجِلَّةِ السَّادَةِ القَادَةِ الأَفَاخِمِ الأَعَاظِمِ ، ابْنَ الأَمِيرِ سَيِّد قَاسِم الحُسَيْنِيِّ الجِيلَانِيِّ الحَاجَّ ، سَيِّد كَاظِمَ ؛ النَّائِبَ فِي الأُمُورِ مَنَابَهُ وَإِمَامَ أَصْحَابِهِ المُقْتَدِينَ بِهِ بِالحَائِرِ المُطَهَّرِ الشَّرِيفِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا !

ثمّ يقول صاحب «الروضات» بعد ذكر مصنَّفاته بالتفصيل :

لَقَدْ أَطْرَأَ وَأَفْرَطَ فِي الثَّنَاءِ عَلَى هَذَا الشَّيخ وَتَفْضِيلِهِ عَلَى مَنْ كَانَ فِي عَصْرِهِ مِنَ الأَفَاضِلِ المَشْهُورِينَ ، وَادِّعَائِهِ الإِجْمَاعَ مِنهُمْ عَلَى ثِقَتِهِ وَفَضلِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَنُبْلِهِ تَعْرِيضاً عَلَى مَنْ أَنْكَرَ طَرِيقَتَهُ مِنَ القَوْمِ وَإِلْحَاقاً لَهُ بِالمَعْدُوم .

وَقَدْ ذَكَرَ فِي وَصْفِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي جَمِيعِ مَا يُتَخَيَّلُ مِنَ المَرَاتِبِ وَالأَفَانِينِ حَتَّى الفِقْهِ وَالأُصُولِ وَالرِّجَالِ وَالحَدِيثِ وَالعُلُومِ الغَرِيبَةِ بِأَسْرِهَا وَالعَرَبِيَّةِ بِرُمَّتِهَا ، مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِالجَمِيعِ وَأَبْدَعِهِمْ لِكُلِّ بَدِيع .

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ أَنَّهُ : لَمَّا وَصَلَ الشَّيْخُ المَرْحُومُ إِلَى بَلْدَةِ إِصْفَهَانَ وَخُصَّ بِأَفَاضِلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّكْرِيم مِنْ عُلَمَائِهَا الأَعْيَانِ ، وَكُنْتُ إِذْ ذَاكَ بِحَضْرَتِهِ العَالِيَةِ ، سُئِلَ المَوْلَى الأَعْلَى المُلَّا عَلِيُّ النُّورِيُّ عَنْ نِسْبَةِ مَقَامِهِ مَعَ مَقَامِ المَرْحُومِ الآقَا مُحَمَّدٍ البِيدْآبَادِيِّ ، فَأَجَابَ المَرْحُومُ بِأَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ المُمَيِّزِ مَقَامَهُمَا ، وَأَيْنَ أَنَا مِنْ ذَاكَ ؟!

ثمّ يشرع السيّد الرشتيّ ببيان مخالفة علماء كربلاء والعتبات المقدّسة معه وسعايتهم عليه عند وزير بغداد : أنّه غير مسلم ، وإراءتهم له ورقة مزوّرة بأنّه يعتقد أنّ مولانا وسيّدنا أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام هو وحده الخالق والرازق والمُحيي والمميت ؛ فتصاعدت الفتنة لذلك ، لذا فقد سافر خوفاً من كربلاء إلى الحجاز مع أهله وعياله في سنٍّ تقرب على

التسعين عاماً مع ضعف بنيته ، فلمّا بلغ منزل **هَديّة** وهي تبعد عن المدينة المنوّرة بثلاث مراحل ، توفّي هناك ودُفنت جثّته في البقيع .

يقول صاحب «الروضات» : وقد كان وقوع تلك الداهية العظمى والواقعة الكبرى في أوائل سنة ثلاث وأربعين ومائتين بعد ألف هجريّة .[1]

ويستلفتنا هنا مدح صاحب «الروضات» للشيخ أحمد الأحسائيّ وكَيله له أنواع الثناء والتكريم ، ووضعه له ـ حسب نقل السيّد كاظم الرشتيّ ـ في مصافّ آقا محمّد البيدآباديّ ، والحقّ أنّ ذلك ممّا يستدعي عجب المرء .

ولم ينقضِ وقت طويل حتّى ظهرت آثار عداوة الشيخ أحمد الأحسائيّ والسيّد كاظم الرشتيّ على يد ربيبه السيّد علي محمّد باب الشيرازيّ ، وظهرت جليّةً فيه نتائج عدم وجود أُستاذ للشيخ أحمد في الحكمة والسير والسلوك ، وذلك في هالة من التخبّطات العقليّة والأفكار الخاطئة والشيطانيّة ، فظهرت منه ادّعاءات باطلة مخالفة للواقع ـ سواء كانت توافق معتقداته أم لا ـ بالقدر الذي جعل في مدّة قصيرة أرضيّة التشيّع وبلاد إيران ملوّثة بالفساد ، فعمّت الفتنة وتصاعد الاضطراب وسُفكت الدماء ، فتبيّن بجلاء أنّ العرفان الحقيقيّ والتوحيد الواقعيّ هو غير الخيالات والخواطر النفسيّة والشيطانيّة ، وأنّه ينبغي عدم الانخداع بظواهر الرياضة والزهد والورع .

فالعرفان الحقيقيّ يختلف عن تخيّل العرفان ، كاختلاف الثريّا عن الثرى ، كما أنّ أمثال محيي الدين والملّا محسن لم يقولوا جزافاً ، بل كان الجزاف هو أقوال «مشايخ عرفائنا المتأخّرين» هؤلاء الذين عملوا مع

١ـ «روضات الجنّات» الطبعة الحجريّة : ج ١ ، ص ٢٥ و٢٦ ؛ وفي الطبعة البيروتيّة (أُوفسيت طبعة إسماعيليّان ـ سنة ١٣٩٠ هـ . ق) : ج ١ ، ص ٨٨ إلى ٩٤.

«عرفائنا المتأخّرين» **بآرائهم** وأفكارهم على سدّ طريق وصول البشر إلى الله وقاموا بإنكار المعرفة ، أُولئك الذين لم تمثّل علومهم غير الخيالات والأوهام والتصوّرات ، أُولئك الذين لم يرد العلم في قلوبهم ولم يرتووا من مَعِين حقيقة التوحيد والولاية ، على أنّ ادّعاء محبّة أهل البيت غير حقيقة الولاء لهم ،كما أنّ التزهّد غير الزهد .

لقد كان صاحب «الروضات» لا يزال بعدُ على قيد الحياة حين ظهرت أثار عرفان الشيخ أحمد الأحسائيّ وعمّت في إيران فتنة البابيّة والبهائيّة ، بحيث صرنا نرى أنّ ذلك المدح والثناء قد تبدّل إلى تكذيب ؛ فلقد وصف بنفسه عند ترجمته للشيخ حافظ رجب البُرسيّ ، الشيخَ أحمد الأحسائيّ بأنّه كان كالعُلوج الثلاثة الذين قاموا بعد عيسى عليه السلام بتبديل مذهبه وتغييره .

وينبغي أن ننظر الآن إلى قدر مختصر من ترجمة الحافظ البُرسيّ في كتاب «روضات الجنّات» لتصبح الحقيقة مشهودة جليّة ؛ إذ يقول عنه :

المَوْلَى العَالِمُ ، وَالشَّيْخُ المُرْشِدُ الكَامِلُ ، وَالقُطْبُ الوَاقِفُ الإنْسِيُّ وَالإنْسُ العَارِفُ القُدْسِيُّ ، رَضِيُّ الدِّينِ رَجَبُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ رَجَبٍ المَعْرُوفُ بِالحَافِظِ البُرْسِيّ .[1]

١ـ يقول في «روضات الجنّات» : سكن الحلّة ، وأصله من قرية بُرس الواقعة بينها وبين الكوفة كما في «القاموس» ، وضبطه بضمّ الباء الموحّدة وإسكان الراء والسين المهملة، وهي قرية معروفة بالعراق ، كما ذكره في «مجمع البحرين» في ذيل قوله في الخبر : **أَحْلَى مِنْ مَاءِ بُرْسٍ** ـ إلى أن قال : ويريد بمائها ماء الفرات لأنّها واقعة على شفيره . وحافظ رجب البُرسيّ من علماء أواخر المائة الثامنة للهجرة أو أوائل المائة بعدها ، معاصراً لأمثال صاحب «المطوّل» والسيّد شريف من علماء العامّة ، ولأشباه الشيخ مقداد السيوريّ وابن المتوّج البحرانيّ من فقهاء أصحابنا المعروفين. ⇦

حتّى يصل إلى القول : ومن جملة ما ذكره صاحب «رياض العلماء» في ترجمة أحوال حافظ رجب البرسيّ :

وقال أُستاذ استنادنا في مقدّمة كتاب «بحار الأنوار» عند عدّه الكتب التى نقل عنها في «البحار» يقول ضمنها : وكتاب **«مشارق الأنوار»** وكتاب **«الألفين»** للحافظ رجب البُرسيّ ، ولا أعتمد على ما يتفرّد بنقله لاشتمال كتابَيهِ على ما يُوهم الخبط والخلط والغلو . والمحتمل عندي لكون لفظ «الحافظ» تخلصّاً له لا بمعانيه المعروفة عند أهل القراءة والحديث والتجويد .

وقال الشيخ المعاصر في «أمل الآمل» : الشيخ رجب الحافظ البرسيّ ، كان فاضلاً محدِّثاً شاعراً منشياً أديباً ، له كتاب **«مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام»** ورسائل في التوحيد وغيره . وفي

⇦ ومن جملة ما ذكره صاحب «رياض العلماء» في ترجمته : أنّه البُرسي مولداً والحلّيّ محتداً ، الفقيه المحدِّث الصوفيّ المعروف ، صاحب كتاب «مشارق الأنوار» وغيره من المصنّفات الكثيرة على ما يظهر من نقل الكفعميّ عنها . ومنها كتاب «مشارق الأمان ولباب حقائق الإيمان» رأيتُه بمازندران وغيرها ، وهو غير «مشارق الأنوار» المذكور وأخصر منه وتأريخ تأليفه سنة إحدى وثمانمائة . وله أيضاً صورة زيارة معروفة طويلة الذيل لسيّدنا أميرالمؤمنين عليه السلام في نهاية اللطف والفصاحة ، ورسالة «اللمعة» كشف فيها أسرار الأسماء والصفات والحروف والآيات وما يناسبها من الدعوات أو يقاربها من الكلمات، رتّبها على ترتيب الساعات وتعاقب الأوقات في الليالي والأيّام ، لاختلاف الأُمور والأحكام، وكتاب «الدرّ الثمين» في ذكر خمسمائة آية نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام ، وكتاب «لوامع أنوار التمجيد وجوامع أسرار التوحيد» ورسالة في «تفسير سورة الإخلاص» ورسالة أُخرى في كيفيّة «إنشاء التوحيد والصلوات على النبيّ وآله» مختصرة.

(«روضات الجنّات» الطبعة الحجريّة : ص ٢٨٤ و ٢٨٥ ؛ وفي الطبعة الحروفيّة البيروتيّة: ج ٣، ص ٣٣٧ و ٣٣٨).

كتابه إفراط وربّما نسب إلى الغلوّ، وأورد لنفسه فيه أشعاراً جيّدة وذكر فيه أنّ بين ولادة المهديّ عليه السلام وبين تأليف ذلك الكتاب خمسمائة وثمانية عشر سنة. ومن شعره المذكور فيه:

فَرْضِي وَنَفْلِي وَحَدِيثِي أَنْتُمُ وَكُلُّ كُلِّي مِنْكُمُ وَعَنْكُمُ
وَأَنتُمُ عِنْدَ الصَّلَاةِ قِبْلَتِي إذَا وَقَفْتُ عِنْدَكُمُ أُيَمِّمُ
خَيَالُكُمْ نَصْبٌ لِعَيْنِي أَبَداً وَحُبُّكُمْ فِي خَاطِرِي مُخَيَّمُ
يَا سَادَتِي وَقَادَتِي أَعْتَابُكُمْ بِجَفْنِ عَيْنِي لِثَرَاهَا أَلْثَمُ
وَقْفاً عَلَى حَدِيثِكُمْ وَمَدْحِكُمْ جَعَلْتُ عُمْرِي فَاقْبَلُوهُ وَارْحَمُوا
مِنُّوا عَلَى الحَافِظِ مِنْ فَضْلِكُمُ وَاسْتَنْقِذُوهُ فِي غَدٍ وَأَنْعِمُوا[1]

ثمّ يقول: ومن جملة أشعاره الفاخرة في مدح سيّدنا أمير المؤمنين

١ـ هذه الأبيات نظير أبيات ابن الفارض، ولربّما أنشدها بعد قراءة أشعار ابن الفارض، فلقد أنشد ابن الفارض (المولود سنة ٥٧٦ والمتوفّى سنة ٦٣٢ هـ. ق) أشعاره بهذه الكلمات:

أنتُم فُروضي ونَفْلي أنتُم حَديثي وشُغْلي
يا قِبْلَتي في صَلاتي إذا وَقَفْتُ أُصَلّي
جَمالُكُم نَصْبُ عَيْني إليه وَجَّهتُ كُلّي
وسِرُّكم في ضَميري والقَلبُ طورُ التَّجلّي
آنَستُ في الحيّ ناراً لَيلاً فَبَشَّرتُ أهلي
قُلتُ امْكُثوا فلَعَلّي أجِدْ هُدايَ لَعَلّي
دَنَوتُ مِنها فكانَتْ نارُ المُكَلَّم قبلي
نوديتُ مِنها جِهاراً: رُدّوا لَياليَ وَصلي
حتَّى إذا ما تَدانَى الـ ـميقاتُ في جَمْع شَمْلي
صارَتْ جِبالِيَ دَكّاً مِن هَيْبَةِ المُتَجَلّي
وَلاحَ سِرٌّ خَفيٌّ يَدْريهِ مَن كانَ مِثْلي
فالمَوتُ فيه حَياتي وفي حَياتيَ قَتلي

(«ديوان ابن الفارض» ص ١٧٥ و١٧٦، طبعة بيروت، سنة ١٣٨٢ هجريّة قمريّة).

عليه السلام حسب نقل السيّد نعمة الله الجزائريّ قدّس سرّه :

العَقْلُ نُورٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ وَالكَوْنُ سِرٌّ وَأَنْتَ مَبْدَاهُ
وَالخَلْقُ فِي جَمْعِهِمْ إذَا جُمِعُوا الكُلُّ عَبْدٌ وَأَنْتَ مَوْلَاهُ
أَنْتَ الوَلِيُّ الَّذِي مَنَاقِبُهُ مَا لِعُلَاهَا فِي الخَلْقِ أَشْبَاهُ
يَا آيَةَ اللَهِ فِي العِبَادِ وَيَا سِرَّ الَّذِي لَا إلَه إلَّا هُو
فَقَالَ قَوْمٌ بِأَنَّهُ بَشَرٌ وَقَالَ قَوْمٌ : لَا بَلْ هُوَ اللَهُ
يَا صَاحِبَ الحَشْرِ وَالمَعَادِ وَمَنْ مَوْلَاهُ حُكْمَ العِبَادِ وَلَّاهُ
يَا قَاسِمَ النَّارِ وَالجِنَانِ غَداً أَنْتَ مَلَاذُ الرَّاجِي وَمَنْجَاهُ
كَيْفَ يَخَافُ «البُرْسِيُّ» حَرَّ لَظىَ وَأَنْتَ عِنْدَ الحِسَابِ غَوْثَاهُ
لَا يَخْتَشِي النَّارَ عَبْدُ حَيْدَرَةٍ إذْ لَيْسَ فِي النَّارِ مَنْ تَوَلَّاهُ

ثمّ يشتطّ القلم في يد صاحب «الروضات» ويفلت زمامه فيشرع بانتقاد البُرسيّ ومؤاخذته ونسبة الغلوّ والارتفاع له وعدّه من المجدّدين لمراسم المبتدعين وأهل الضلالة . واعتبره صراحةً من مخالفي الشريعة وطريقة الفقهاء والمجتهدين ؛ وأدناه نصّ كلامه:

وَأَقُولُ : بَلْ أَمْرُ الرَّجُلِ فِي تَشْييدِهِ لِدَعَائِمِ المُرْتَفِعِينَ ، وَتَجْدِيدِهِ لِمَرَاسِمِ المُبْتَدِعِينَ ، وَخُرُوجِهِ عَنْ دَائِرَةِ ظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ المُحْكَمَةِ أُصُولُهَا بِالفُرُوعِ ، وَعُرُوجِهِ عَلَى قَوَاعِدِ الغَالِينَ وَالمُفَوِّضَةِ المُلْتَزِمِ وُصُولُهَا إلَى غَيْرِ المَشْرُوعِ ، وَالْتِزَامِهِ لِتَخْطِئَةِ كُبَرَاءِ أَهْلِ المِلَّةِ وَالدِّينِ ، وَتَزْكِيَةِ مَنْ يُخَالِفُ طَرِيقَةَ الفُقَهَاءِ وَالمُجْتَهِدِينَ ، وَفَتْحِهِ بِكَلِمَاتِهِ الخِطَابِيَّةِ الَّتِي تُشْبِهُ مَقَالَاتِ المُغِيرِيَّةِ وَالخَطَّابِيَّةِ أَبْوابَ المُسَامَحَةِ فِي أُمُورِ التَّكَالِيفِ العَظِيمَةِ عَلَى وُجُوهِ العَوَامِّ الَّذِينَ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الأَنْعَامِ ، وَاعْتِقَادِهِ لِعَدَمِ مُؤَاخَذَةِ أَحَدٍ مِنْ أَحِبَّةِ أَهْلِ البَيْتِ المَعْصُومِينَ عَلَيهُمُ السَّلَامُ بِشَيءٍ مِنَ الجَرَائِمِ وَالآثَامِ ، وبَنَائِهِ المَذْهَبَ عَلَى التَّأْوِيلَاتِ الهَوَائِيَّةِ الفَاسِدَةِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ ، مَعَ أَنَّ أَوَّلَ

مَرَاتِبِ الإلْحَادِ ـ كَمَا اسْتَفَاضَتْ عَلَيْهِ الكَلِمَةُ ـ فَتْحُ بَابِ التَّأْوِيلِ ؛ مِمَّا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ المُتَدَرِّبِينَ لِكَلِمَاتِهِ عَلَيْهِ نِقَابٌ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ المُتَأَمِّلِينَ فِي تَصْنِيفَاتِهِ مَوْضِعُ تَأَمُّلٍ وَارْتِيَابٍ.

ثمّ يقول :

إلّا أنّه سامحه الله تبارك وتعالى فيما أفاد ، لمّا كان أوّل من جلب قلبه إلى تمشية هذا المراد ، وسلب لبّه على محبّة أهل بيت نبيّه الأمجاد ، ولم يكن من المقلّدة الذين يمشون على أثر ما يسمعونه ويقبلون من المشايخ كلّما يدعونه ، ولا يستكشفون عن حقيقة ما يشرعونه ويكونون بمنزلة عبدة الأصنام الذين اتّبعوا أسلافهم المستقبلين إليها في عبادتهم من غير بصيرة لهم بأنّ ذلك العمل من أُولئك إنّما كان لتذكّر عبادات مَن كان على صور تلك الأصنام من قدمائهم المتعبّدين ، كما ورد عليه نصّ المعصوم عليه السلام .

من المحتمل الراجح إذاً في نظر مَن تأمّل أن يكون هو الناجي المهديّ إلى سبيل المعرفة بحقوق أهل البيت عليهم السلام ؛ ومقلّدوه مقلّدون بسلاسل النقمة على كلّ ما لهجوا به عليه في حقّ أُولئك من كيت وكيت .

ثمّ يشتطّ الأمر بصاحب «الروضات» فيوسّع كلامه ليشمل المُفَضَّل ابن عمر ، وجابر بن يزيد الجعفيّ ، والصفّار ، والشيخ الطوسيّ ، وعليّ بن عيسى الأربليّ ، والراونديّ ، وشاذان وولده ، وسائر الأفراد الذين صنّفوا كتباً في هذا الشأن ورووا حديثاً فيه :

وَإنِ احْتُمِلَ أَنْ يَكُونَ بُرُوزُ نَائِرَةِ هَذِهِ الفِتْنَةِ النَّائِمَةِ مِنْ لَدُنْ تَعَرُّضِ رَاوِيَي «التَّفْسِيرِ المَنْسُوبِ إلَى الإمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ» لِوَضْعِ ذَلِكَ مِنَ البَدْوِ

إلَى الخِتَامِ عَلَى حَسَبِ المَرَامِ ، أَوْ مِنْ زَمَنِ شُيُوعِ «تَفْسِيرِ فُرَاتِ بْنِ إبْرَاهِيمَ الكُوفِيِّ» ، أَمْ وُقُوعِ «تَفْصِيلِ» [تَفْضِيلِ] فَارِسِ بْنِ حَاتِمِ القَزْوِينِيِّ الصُّوفِيِّ عَلَى أَيْدِي الأَنَامِ ، بَلْ مِنْ آوِنَةِ انْتِشَارِ أَخْبَارِ المُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ وَجَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الجُعفِيَّيْنِ بَيْنَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، وَتَدْوِينِ طَائِفَةٍ مِنْهَا فِي «بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ» وَ«مَجَالِسِ» الشَّيْخِ وَ«كَشْفِ الغُمَّةِ» وَ«خَرَائِجِ» الرَّاوَنْدِيِّ وَ«فَضَائِلِ» شَاذَانَ وَوُلْدِهِ وَسَائِرِ كُتُبِ المَنَاقِبِ وَالفَضَائِلِ العَرَبِيَّةِ وَالفَارِسِيَّةِ وَتَفَاسِيرِ المُرْتَفِعِينَ وَالأَخْبَارِيَّةِ .

وَأَنْ يَكُونَ أَوَّلُ مَنَ تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الخِطَابِيَّاتِ المُنْطَبِعَةِ فِي قُلُوبِ العَوَامِّ بِالنِّسْبَةِ إلَى أَهْلِ البَيْتِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ أَيْضاً هُمْ أَمْثَالُ أُولَئِكَ ، أَوْ مَنْ كَانَ مِنْ نَظَائِرِ أَبِي الحُسَيْنِ بْنِ البِطْرِيقِ الأَسَدِيِّ فِي كِتَابِ عُمْدَتِهِ وَخَصَائِصِهِ وَالسَّيِّدِ الرَّضِيِّ وَرَضِيِّ الدِّينِ بْنِ طَاوُوسٍ وَبَعْضِ فُضَلَاءِ البَحْرَيْنِ وَقُمَّ المُطَهَّرِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ كُتُبِهِمْ .

ثُمَّ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَنْ جَاءَ عَلَى أَثَرِ هَذَا المَذْهَبِ وَأُشْرِبَ فِي قُلُوبِهِمُ المُلَائَمَةُ لِهَذَا المَشْرَبِ ، زَادَ فِي الطُّنْبُورِ نَغْمَةً وَهَتَكَ عِصْمَةً ، وَرَفَعَ وَقْعاً وَأَبْدَعَ وَضْعاً وَجَمَعَ جَمْعاً وَأَسْمَعَ سَمْعاً وَأَرَاقَ عَاراً وَأَظْهَرَ شَنَاراً وَرَدَّ عَلَى فَقِيهٍ مِنْ فُقَهَاءِ الشِّيعَةِ وَهَدَّ سَدّاً مِنْ سنُّونِ[1] الشَّرِيعَةِ .

إلَى أَنِ انْتَهَتِ النَّوْبَةُ إلَى هَذَا الرَّجُلِ فَكَتَبَ فِي ذَلِكَ كِتَاباً وَفَتَحَ أَبْوَاباً وَكَشَفَ نِقَاباً وَخَلَّفَ أَصْحَاباً فَسُمِّيَ أَتْبَاعُهُمُ المُقَلِّدَةُ لَهُ فِي ذَلِكَ بِالكَشْفِيَّةِ لِزَعْمِهِمُ الاطِّلَاعَ عَلَى الأَسَارِيرِ المَخْفِيَّةِ .

١ـ لم نجد معنىً مناسباً لكلمة «سنّون» التي وردت بهذا اللفظ في الطبعتين الحجريّة والحروفيّة لـ«الروضات» ؛ ومن المحتمل أن يكون «ستّون» بالتاء ، ولكنّ «ستّون» لم تأت بهذا المعنى والوزن.

ثُمَّ أَتْبَاعُ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ آلَتْ مُعَامَلَةُ التَّأْوِيلِ إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الأَوَاخِرِ وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ أَعْمَهُونَ بِكَثِيرٍ مِنْ غُلَاةِ زَمَنِ الصَّدُوقَيْنِ فِي قُمَّ ، الَّذِينَ كَانُوا يَنْسِبُونَ الفُقَهَاءَ الأَجِلَّةَ إِلَى التَّقْصِيرِ ، بِسِمَةِ الشَّيْخِيَّةِ وَ(الپُشْتِ سَرِيَّة) وَهِيَ مِنَ اللُّغَاتِ الفَارِسِيَّةِ ، لِنِسْبَتِهِمْ إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ الأَحْسَائِيِّ المُتَقَدَّم ذِكْرُهُ وَتَرْجَمَتُهُ.

وَكَانَ هُوَ يُصَلِّي الجَمَاعَةَ بِقَوْمِهِ خَلْفَ الحَضْرَةِ المُقَدَّسَةِ الحُسَيْنِيَّةِ فِي الحَائِرِ الشَّرِيفِ ؛ بِخِلَافِ المُنْكِرِينَ عَلَى طَرِيقَتِهِ مِنْ فُقَهَاءِ تِلْكَ البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَهَا مِنْ قِبَلِ رَأْسِ الإمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلِهَذَا يُسَمُّونَ عِنْدَ أُولَئِكَ بِالـ(بَالاَ سَرِيَّة).

وَلَا يَذْهَبْ عَلَيْكَ غِبَّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ كُلَّهُ أَنَّ مَنْزِلَةَ ذَلِكَ الشَّيْخِ المُقَدَّمِ مِنْ هَذِهِ المُقَلِّدَةِ الغَاوِيَةِ المُغْوِيَةِ ، إِنَّمَا هِيَ مَنْزِلَةُ العُلُوجِ[1] الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ ادَّعَوُا النَّصْرَانِيَّةَ وَأَفْسَدُوهَا بِإِظْهَارِهِمُ البِدَعَ الثَّلَاثَ مِنْ بَعْدِ أَنْ عُرِجَ بِنَبِيِّهِمُ المَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كَيْفَ لَا ، وَقَدِ ارْتَفَعَ بِهَذِهِ المُقَلِّدَةِ المُتَمَرِّدَةِ ـ وَاللهِ ـ الأَمَانُ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ وَوَهَنَتْ بِقُوَّتِهِمْ أَرْكَانُ الشَّرِيعَةِ وَالإيمَانِ ، بَلْ حَدَاهُمْ خِذْلَانُ اللهِ وضَعْفُ سِلْسِلَةِ العُلَمَاءِ إِلَى أَنِ ادَّعَوُا البَابِيَّةَ وَالنِّيَابَةَ الخَاصَّةَ عَنْ مَوْلَانَا الحُجَّةِ صَاحِبِ العَصْرِ وَالزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وظَهَرَ فِيهِمْ مَنْ أَظْهَرَ التَّحَدِّيَ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الكَلِمَاتِ المَلْحُونَةِ عَلَى أَهْلِ البَيَانِ ، وَوَسَمَ أَقَاوِيلَهُ الكَاذِبَةَ

١ـ العِلْج بالكسر : العَيْر ، و ـ : الحمار ، و ـ : حمار الوحش السمين القويّ ، و ـ: الرغيف، وقيل الرغيف الغليظ الحرف ، و ـ : الرجل القويّ الضخم من كفّار العجم ؛ وبعض العرب يطلق العِلج على الكافر مطلقاً ، ج : عُلُوج وأعلاج وعِلجَة واسم الجمع : مَعْلوجاء، وكلّ ذي لحية عِلجٌ ولا يُقال للأمرد عِلْجٌ . («أقرب الموارد» ج ٢ ، مادّة علج).

وَمُزَخْـرَفَـاتِهِ البَاطِـلَةَ ـوَالعَيَـاذُ بِاللَهِ تَبَـارَكَ وَتَعَالَى ـ بِوَسْـمَةِ الصَّـحِيفَـةِ وَالقُرْآنِ، بَلْ لَمْ يَكْتَفِ بِكُلِّ ذَلِكَ حَتَّى أَنَّهُ طَالَبَ المُجْتَهِدِينَ الأَجِلَّةَ بِأَنْ يَتَعَرَّضُوا لِمِثْلِ هَذَا الإتْيَانِ ، وَيَظْهَرُوا مِنْ نَظَائِرِ ذَلِكَ التِّبْيَانِ ، وَيُبَارِزُوا مَعَهُ مَيْدَانَ المُبَارَزَةِ لَدَى جَمَاعَةِ الأَجَامِرَةِ وَالنِّسْوَانِ.

مَعَ أَنَّ عَلَى كُلِّ مَا انْتَحَلَهُ مِنَ البَاطِلِ ، أَمْ أَوْلَعَهُ مِنَ الفَاسِدِ العَاطِلِ ، وَصْمَةٌ مِنْ وَصَمَاتِ المَلْعَنَةِ وَالخُرُوجِ عَنِ الإسْلَامِ إلَى دِينٍ جَدِيدٍ ، مُضَافاً إلَى مَا انْكَشَفَ مِنْ تَعَوُّمِهِ وَسَفَهِهِ عَنِ الحَقِّ لِمَنْ كَانَ لَـهُ قَـلْبٌ أَوْ أَلْـقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَا انْحَسَرَ عَنْهُ مِنْ أَكَاذِيبِهِ الوَاضِحَةِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ ظُهُورِ نُورِ الحَقِّ فِيمَا سَلَفَ عَنَّا مِنْ قُرْبِ هَذَا الزَّمَانِ.

ثُمَّ اعْتَذَرَ عَنْهُ لَمَّا أَنْ ظَهَرَ كِذْبُهُ الصَّرِيحُ بِإمْكَانِ وُقُـوعِ البَـدَا فِـيمَا أُوحِيَ إلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّيْطَانِ.[1]

كانت هذه نظريّات أبداها صاحب «الروضات» عبّر فيها عن وجهة نظره ، وهكذا فقد كان فساد طريقة وأُسلوب الشيخ أحـمد الأحسـائيّ فـي عدم إمكان الوصول إلى العرفان الإلهيّ وحقيقة معرفة أصل الجـود ومـبدأ الوجود ، واعتبار الأئمّة المعصومين عليهم السلام مسـتقلّين فـي الفـيض ، وقطع رابطة المخلوقات مع خالقها ، وإغلاق باب معرفة الله في وجه الأنـام وجعله منحصراً بالأئمّة ، ولزوم الركن الرابع الذي تمثّل معرفته غـاية سـير البشر غير المعصوم ؛ قد أثمر وأنتج كلّ هذه الأُمور التي أجبرت صـاحب «الروضات» واضطرّته في النهاية ـ بعد كلّ المدح والثناء ـ ليطلق عنان قلمه في تقبيح الشيخيّة وأتباعهم والتشنيع عليهم ، ثمّ عاد إلى الشيخ الأحسـائيّ

١ـ «روضات الجنّات» : ج ١ ، ص ٢٨٤ إلى ٢٨٦ ؛ وفي الطبعة الحروفيّة ـ بيروت: ج ٣، ص ٣٣٧ إلى ٣٤٣.

فوصفه بأنّه كالعلوج الثلاثة الذين قاموا بعد عروج المسيح بإفساد مذهبه وهدمه .

هذه هي نتيجة محاربة العرفان والوقوف بوجهه ، وعاقبة قطع علاقة البشر عن ذات الحقّ سبحانه وتعالى والنظر إلى الأسماء والصفات الكلّيّة والجزئيّة بصورة مستقلّة ؛ وبشكل عامّ النظر إلى كلّ واحد من المخلوقات في مقامه ومنزلته بصورة مستقلّة .

ولقد شاهدنا كيف يصبح المرء في طيّه مسيرة معاداة العرفان ، أسير الأوهام والتخيّلات ، حتّى يضطرّه ذلك التحيّر والضياع إلى الجسارة على أعيان المذهب ،كالمفضّل بن عمر ، وجابر بن يزيد ، والفضل بن شاذان ، والشيخ الطوسيّ ، والسيّد بن طاووس وأمثالهم ، وإلى الطعن في الروايات الواردة في كتبهم بشأن فضائل أهل البيت عليهم السلام ؛ وهكذا يهاجم بهذه الكلمات ا لوجيزة المختصرة أصل التشيّع وأساس بنائه بحيث ينتاب الإنسان الشكّ : أصَدَرَ هذا الكلام حقيقةً عن صديق أم عن أمثال ابن تيميّة الذي كان قد عقد العزم على هدم أُصول التشيّع وفروعه ، فكان يشير في كتابه «منهاج السنّة» إلى الروافض بلفظ «لعنهم الله» ويذكر رئيسَهم آية الله العلّامة الحلّيّ بلفظ **قَالَ الرَّافِضِيُّ خَذَلَهُ اللهُ** ؟!

لكنّنا سعداء بأنّ اليراع المقتدر لمحيي أساس المذهب : **العلّامة الأمينيّ** لم يَعْبُر في كتابه القيّم الثمين عن هذا الأمر ويتجاوزه ، بل توقّف عنده فأدّى المطلب حقّه في ترجمة **الحافظ رجب البُرسيّ** ، **جَزَاهُ اللَّه عَنِ الإسْلَامِ وَالقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ وَالعِتَرةِ خَيْراً**.

يقول الأمينيّ بعد ذكر قصيدة غديريّة له في مقام التعريف به وترجمة أحواله :

شاعرنا : الحافظ الشيخ رضي الدين رجب بن محمّد بن رجب

البُرسيّ الحلّيّ ، من عرفاء علماء الإماميّة وفقهائها المشاركين في العلوم ، على فضله الواضح في فنّ الحديث ، وتقدّمه في الأدب وقرض الشعر وإجادته ، وتضلّعه في علوم الحروف وأسرارها واستخراج فوائدها .

وبذلك كلّه تجد كتبه طافحة بالتحقيق ودقّة النظر ، وله في علم العرفان وعلم الحروف مسالك خاصّة ، كما أنّ له في ولاء أئمّة الدين عليهم السلام آراء ونظريّات لا يرتضيها صنف من الناس ، ولذلك رموه بالغلوّ والارتفاع ؛ غير أنّ الحقّ أنّ جميع ما يثبته المترجَم لهم عليهم السلام من الشؤون هي دون مرتبة الغلوّ وغير درجة النبوّة ، وقد جاء عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : **إيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِينَا ؛ قُولُوا : إنَّا عَبِيدٌ مَرْبُوبُونَ ، وَقُولُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُمْ .**[1]

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

اجْعَلْ لَنَا رَبَّاً نَؤُوبُ إلَيْهِ ، وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ .

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اجْعَلُونَا مَخْلُوقِينَ وَقُولُوا فِينَا مَا شِئْتُمْ ، فَلَنْ تَبْلُغُوا .[2]

وأنّى لنا البلاغ مدى ما منحهم المولى سبحانه من فضائل ومآثر ؟ وأنّى لنا الوقوف على غاية ما شرّفهم الله به من ملكات فاضلة ونفسيّات نفيسة وروحيّات قدسيّة وخلائق كريمة ومكارم ومحامد ؟

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الإمَامِ ؟ أَوْ يُمْكِنُهُ اخْتِيَارُهُ ؟

هَيْهَاتَ ! هَيْهَاتَ ! ضَلَّتِ العُقُولُ ، وَتَاهَتِ الحُلُومُ ، وَحَارَتِ الأَلْبَابُ وَخَسَأَتِ[3] **العُيُونُ ، وَتَصَاغَرَتِ العُظَمَاءُ ، وَتَحَيَّرَتِ الحُكَمَاءُ ، وَتَقَاصَرَتِ**

١ـ «الخصال» للشيخ الصدوق.

٢ـ «بصائر الدرجات» للصفّار.

٣ـ خَسَأَ البصرُ (ع) خَسْأً وخُسُوءاً : كَلَّ وأعْيا ، ومنه في القرآن : **يَنقَلِبْ إلَيْكَ** ⇦

الحُلَمَاءُ، وَحَصَرَتِ الخُطَبَاءُ ، وَجَهِلَتِ الأَلِبَّاءُ ، وَكَلَّتِ الشُّعَرَاءُ ، وَعَجَزَتِ الأُدَبَاءُ، وَعَيِيَتِ البُلَغَاءُ عَنْ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ ، وَفَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقَرَّتْ بِالعَجْزِ وَالتَّقْصِيرِ .

وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ ؟ أَوْ يُنْعَتُ بِكُنْهِهِ ؟ أَوْ يُفْهَمُ شَيءٌ مِنْ أَمْرِهِ ؟ أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُغْنِي غِنَاهُ ؟ لَا .

كَيْفَ ؟ وَأَنَّى ؟ فَهُوَ بِحَيْثُ النَّجْمُ مِنْ يَدِ المُتَنَاوِلِينَ وَوَصْفِ الوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الاِخْتِيَارُ مِنْ هَذَا ؟ وَأَيْنَ العُقُولُ عَنْ هَذَا ؟ وَأَيْنَ يُوجَدُ مِثْلُ هَذَا ؟[1]

ولذلك تجد كثيراً من علمائنا المحقّقين في المعرفة بالأسرار يُثبتون لأئمّة الهدى صلوات الله عليهم كلّ هاتيك الشؤون وغيرها ممّا لا يتحمّله غيرهم . وكان في علماء قُم مَن يرمي بالغلوّ كلّ مَن روى شيئاً من تلكم الأسرار ، حتّى قال قائلهم :

إنَّ أَوَّلَ مَرَاتِبِ الغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. إلى أن جاء بعدهم المحقّقون وعرفوا الحقيقة ، فلم يقيموا لكثير من تلكم التضعيفات وزناً .

وهذه بليّة مُنِيَ بها كثيرون من أهل الحقائق والعرفان ومنهم المترجَم ، ولم تزل الفئتان على طرَفَي نقيض ، وقد تقوم الحرب بينهما على أشدّها ؛ **وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** .[2]

⇐ **ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** . («أقرب الموارد» ج ١ ، مادّة خَسَأَ).

١ـ يقول العلّامة الأمينيّ : من قولنا : «فمن ذا الذي يبلغ» إلى هنا مأخوذ من حديث رواه شيخنا الكلينيّ ثقة الإسلام في «أُصول الكافي» ص ٩٩ ، عن الإمام الرضا صلوات الله عليه.

٢ـ الآية ١٢٨ ، من السورة ٤ : النساء : **وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ** ⇐

وفذلكة المقام أنّ النفوس تتفاوت على حسب جبلّاتها واستعداداتها في تلقّي الحقائق الراهنة ؛ فمنها ما تبهظه المعضلات والأسرار ، ومنها ما ينبسط لها فيبسط لها ذراعاً ويمدّ لها باعا [١] . وبطبع الحال فإن الفئة الأُولى لا يسعها الرضوخ لما لا يعلمون ، كما أنّ الآخرين لا تبيح لهم المعرفة أن يذروا ما حقّقوه في مِدْحرة البطلان ؛ فهنالك تثور المنافرة وتحتدم الضغائن ، ونحن نقدّر للفريقَينِ مسعاهم لما نعلم من نواياهم الحسنة وسلوكهم جدد السبيل في طلب الحقّ ، ونقول :

عَلَى المَرْءِ أَنْ يَسْعَى بِمِقْدَارِ جُهْدِهِ

وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَفَّقَا

ونعلم : **إنَّ النَّاسَ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ** . [٢]

وقد تواتر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام :

إنَّ أَمْرَنَا ـ أَوْ حَدِيثَنَا ـ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ؛ لَا يَتَحَمَّلُهُ إلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، أَوْ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَهُ قَلْبَهُ بِالإيمَانِ . [٣]

إذاً فلا نتحرّى وقيعةً في علماء الدين ولا نمسّ كرامة العارفين ولا ننقم من أحد عدم بلوغه إلى مرتبة من هو أرقى منه ، إذ :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَهُ نَفْساً إلَّا وُسْعَهَا . [٤]

⇦ **إعْرَاضًا فَلَاجُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** .

١ـ الباع : مسافة ما بين الكفّين إذا انبسطت الذراعان يميناً وشمالاً ، أي المسافة بين رؤوس الأصابع في تلك الحال.

٢ـ حديثٌ ثابت عند الفريقين.

٣ـ «بصائر الدرجات» للصفّار ، ص ٦ ؛ «أُصول الكافي» ص ٢١٦ ، «التعليقة».

٤ـ صدر الآية ٢٨٦ ، من السورة ٢ : البقرة.

وقال مولانا أميرُ المؤمنين عليه السلام :

لَوْ جَلَسْتُ أُحَدِّثُكُمْ مَا سَمِعْتُ مِنْ فَم أَبِي القَاسِمِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وآلِهِ لَخَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : إنَّ عَلِيّاً مِنْ أَكْذَبِ الكَاذِبِينَ.[1]

وقال إمامنا السجّاد :

لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ ، وَلَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَهُمَا ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِسَائِرِ الخَلْقِ ؟[2]

وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا.[3]

وإلى هذا يشير سيّدنا الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام بقوله :

إنِّى لَأَكْتُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ كَيْلَا يَرَى الحَقَّ ذُو جَهْلٍ فَيُفْتَتَنَنَا

ويورد العلّامة الأمينيّ هنا الأبيات الأربعة التي أوردناها عنه عليه السلام في هذا الكتاب (الروح المجرّد) .

ثمّ يقول : **لسيّدنا الأمين** في «أعيان الشيعة» ج ٣١ ، ص ١٩٣ إلى ٢٠٥ ، في ترجمة الرجل (الحافظ رجب البرسيّ) كلمات لا تخرج عن حدود ما ذكرناه ، وممّا نَقَمَ عليه به اعتماده على علم الحروف والأعداد الذي لا تتمّ به برهنة ولا تقوم به حجّة .

ونحن وإن صافقناه[4] على ذلك ، إلا أن للمترجَم ومن حذا حذوه من العلماء كابن شهرآشوب ومن بعده عذراً في سرد هاتيك المسائل ، فإنّها

١ـ «منح المنّة» للشعرانيّ ، ص ١٤ ، (هامش «الغدير»).

٢ـ «بصائر الدرجات» للصفّار ، ص ٧ ، آخر الباب الحادي عشر من الجزء الأوّل؛ «أُصول الكافي» لثقة الإسلام الكلينيّ ، ص ٢١٦ .

٣ـ ذيل الآية ٩٥ ، من السورة ٤ : النساء.

٤ـ صافقناه: أي بايعناه.

أشبه شيء بالجدل تجاه من ارتكن إلى أمثالها في أبواب أُخرى من علماء الحروف من العامّة ،كقول **العبيديّ المالكيّ** في «عمدة التحقيق» ص ١٥٥ : يؤخذ دوام ناموس آل الصدّيق (أبو بكر) وقيام عزّته إلى انتهاء الدنيا أي ألف وأربعمائة وعشر سنوات ، من سرّ قوله تعالى : **فِي ذُرِّيَّتِي** . ثمّ يذكر المرحوم الأمينيّ طريق حسابها ، ثمّ يقول :

ونحن لا ندري ما ذا يعني سيّدنا الأمين بقوله : «وفي طبعه شذوذ وفي مؤلّفاته خبط وخلط وشيء من المغالاة لا موجب له ولا داعي إليه ، وفيه شيء من الضرر وإن أمكن أن يكون له محلّ صحيح» ؟!

ليت السيّد يوعز إلى شيء من شذوذ طبع شاعرنا الفحل ، حتّى لا يبقى قوله دعوى مجرّدة . وبعد اعترافه بإمكان محمل صحيح لما أتى به المترجَم ، فأيّ داع إلى حمله على الخبط والخلط ؛ ونسيان حديث : **ضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ!** وأيّ ضرر فيه على ذلك التقدير ؟ على أنّا سبرنا غير واحد من مؤلّفات البُرسيّ فلم نجد فيه شاهداً على ما يقول ، وستوافيك **نُبَذ ممتعة** من شعره الرائق في مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم وليس فيها إلّا إشارة إلى فضائلهم المسلّمة بين الفريقين أو ثناء جميل عليهم هو دون مقامهم الأسمى ، فأين يقع الارتفاع الذي رماه به بعضهم ؟ وأين المغالاة التي رآها السيّد ؟ والبرسيّ لا يحذو في كتبه إلّا حذو شعره المقبول ، فأين مقيل الخبط والضرر والغلوّ التي حسبها سيّد الأعيان ؟!

وأمّا ما نقم به عليه من اختراع الصلوات والزيارة بقوله : «واختراع صلاة عليهم وزيارة لهم لا حاجة إليه بعدما ورد ما يغني عنه» ، ولو سلّم أنّه في غاية الفصاحة كما يقول صاحب «الرياض» ، فإنّه لا مانع منه إلّا ما يوهم المخترع أنّها مأثورة ، وأيّ وازع من إبداء كلّ أحد تحيّته بما يجريه الله تعالى على لسانه وهو لا يقصد وروداً ولا يريد تشريعاً ؟ وقد فعله فطاحل

العلماء من الفريقين ممّن هو قبل المترجَم وبعده ، ولا تسمع أُذن الدنيا الغمز عليهم بذلك من أيّ أحد من أعلام الأُمّة .

وَأَمَّا قَوْلُ سَيِّدِنَا : «وَإنَّ مُؤَلَّفاتِهِ لَيْسَ فِيهَا كَثِيرُ نَفْع وَفِي بَعْضِهَا ضَرَرٌ وَلِلَّهِ فِي خَلْقِهِ شُؤُونٌ ؛ سَامَحَهُ اللهُ وَإيَّانَا» فَإنَّهُ مِنْ شَطْفَةِ[1] القَلَمِ صَدَرَ عَنِ المِشْظَفِ[2]؛ سامَحَهُ اللهُ وَإيَّانَا.

ثمّ يعدِّد العلّامة الأمينيّ ثلاثة عشر كتاباً من مصنَّفاته ، ويقول بعدها :

شِعْرُهُ الرَّائِقُ :

للحافظ البرسيّ شعر رائق ، وجلّه بل كلّه في مدائح النبيّ الأقدس وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم ، ويتخلّص في شعره بالحافظ ، ومن شعره يمدح به النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله :

أَضَاءَ بِكَ الأُفُقُ المُشْرِقُ   وَدَانَ لِمَنْطِقِكَ المَنْطِقُ
وَكُنْتَ وَلَا آدَمٌ كَائِناً   لِأَنَّكَ مِنْ كَونِهِ أَسْبَقُ

أشار بهذا البيت الأخير إلى ما جاء عنه صلّى الله عليه وآله من قوله: **كُنْتُ أَوَّلَ النَّاسِ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ.**

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» والطبريّ في تفسيره ج ٢١ ، ص ٧٩، وأبو نعيم في «الدلائل» ج ١ ، ص ٦ ، وذكره ابن كثير في تأريخه ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ ، والغزّاليّ في «المضنون الصغير» هامش «الإنسان الكامل» ج ٢ ، ص ٩٧ ، والسيوطيّ في «الخصائص الكبرى» ج ١ ، ص ٣ ، والزرقانيّ في «شرح المواهب» ج ٣، ص ١٦٤ .

وفي حديث الإسراء : **إنَّكَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ**

١ـ رَمْيَةٌ شاطِفَةٌ : أي زَلَّتْ عَن المَقْتَل ، نيَّةٌ شَطوفٌ : أي بعيدةٌ ـ «أقرب الموارد».

٢ـ المِشْظَف كَمِنبر : مَن يُعَرِّض بالكلامِ على غير القَصد . (التعليقة).

خَلْقاً وَآخِرَهُمْ بَعْثاً.[1]

وجاء عنه صلّى الله عليه وآله : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَهُ نُورِي.**[2]

وتواتر عنه صلّى الله عليه وآله من طرق صحيحة :

كُنْتُ نَبِيَّاً وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ . أو : **بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ** . أو : **بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.**

**وَلَوْلَاكَ لَمْ تُخْلَقِ الكَائِنَاتُ		وَلَا بَانَ غَرْبٌ وَلَا مَشْرِقُ**

أشار بهذا البيت إلى ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ، ص ٦١٥ ، والبيهقيّ ، والطبرانيّ ، والسبكيّ ، والقسطلانيّ ، والعزاميّ ، والبُلْقينيّ ، والزرقانيّ وغيرهم من طريق ابن عبّاس ؛ قال :

أَوْحَى اللَهُ إلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا عِيسَى ! آمِنْ بِمُحَمَّدٍ وَأْمُرْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ؛ فَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ آدَمَ ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ وَلَا النَّارَ.

ومن طريق عمر بن الخطّاب قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُك بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي ! فَقَالَ اللَهُ : يَا آدَمُ ! وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟

قَالَ : يَا رَبِّ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِك رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ العَرْشِ مَكْتُوباً : لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَهِ فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إلَى اسْمِكَ إلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إلَيْكَ !

فَقَالَ اللَهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ! إنَّهُ لَأَحَبُّ الخَلْقِ إلَيَّ ، ادْعُنِي بِحَقِّهِ قَدْ

١ـ «مجمع الزوائد» ج ١ ، ص ٧١ ، (التعليقة).

٢ـ «السيرة الحلبيّة» ج ١ ، ص ١٥٩ ، (التعليقة).

غفَرْتُ لَكَ . وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ !

فَمِيمُكَ مِفْتَاحُ كُلِّ الوُجُودِ　　　　وَمِـيمُكَ بِـالمُنْتَهَى يُـغْلَقُ
تَجَلَّيْتَ يَا خَاتَمَ المُرْسَلِينَ　　　　بِشَأْوٍ[1] مِنَ الفَضْلِ لَا يُلْحَقُ
فَأَنْتَ لَـنَا أَوَّلٌ آخِـرٌ　　　　وَبـاطِنُ ظـاهِرِكَ الأَسْبَقُ

في هذه الأبيات إشارة إلى أسمائه الشريفة : **الفاتح ، الخاتم ، الأوّل ، الآخر ، الظاهر ، الباطن** . راجع «المواهب» للزرقانيّ ج ٣، ص ١٦٣ و ١٦٤.

تَعَالَيْتَ عَنْ صِـفَةِ المَـادِحِينَ　　　　وَإِنْ أَطْنَبُوا فِـيكَ أَوْ أَعْـمَقُوا
فَـمَعْنَاكَ حَـوْلَ الوَرَى دَارَةٌ　　　　عَلَى غَيْبِ أَسْرَارِهَا تَـحْدِقُ
وَرُوحُكَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ　　　　تَـنَزَّلُ بِـالأَمْرِ مَـا يُـخْلَقُ
وَنَشْرُكَ يَسْرِي عَلَى الكَائِنَاتِ　　　　فَكُـلٌّ عَـلَى قَـدْرِهِ يَـعْبَقُ
إِلَـيْكَ قُـلُوبُ جَـمِيعِ الأَنَـامِ　　　　تَـحِنُّ وَأَعْـنَاقُهَا تَـعْنَقُ
وَفَيْضُ أَيَادِيكَ فِي العَـالَمِينَ　　　　بِأَنْـهَارِ أَسْـرَارِهَـا يَـدْفُقُ
وَآثَـارُ آيَـاتِكَ البَـيِّنَاتِ　　　　عَلَى جَبَهَاتِ الوَرَى تَشْـرُقُ
فَـمُوسَى الكَـلِيمُ وَتَـوْرَاتُـهُ　　　　يَـدُلَّانِ عَـنْكَ إِذَا اسْتُنْطِقُوا
وَعِـيسَى وَإِنْـجِيلُهُ بَشَّـرَا　　　　بِأَنَّكَ أَحْـمَدُ مَـنْ يُـخْلَقُ
فَيَا رَحْمَةَ اللهِ فِـي العَـالَمِينَ　　　　وَمَنْ كَانَ لَـوْلَاهُ لَـمْ يُـخْلَقُوا
لِأَنَّكَ وَجْـهُ الجَـلَالِ المُـنِيرِ　　　　وَوَجْهُ الجَمَالِ الَّـذِي يَشْـرُقُ
وَأَنْتَ الأَمِـينُ وَأَنْتَ الأَمَـانُ　　　　وَأَنْتَ تُـرَتِّقُ مَـا يُـفْتَقُ
أَتَـى رَجَبٌ لَكَ فِـي عَـاتِقٍ　　　　ثَـقِيلُ الذُّنُـوبِ فَـهَلْ تَـعْتِقُ

ثمّ ينقل العلّامة الأمينيّ عدّة قصائد جميلة له في مدح المولى

[1] ـ شأى القَومَ (من باب نَصَرَ يَنْصُرُ) يَشئُوهم شَأْواً : سَبَقَهُم ، كشاءَهم يَشوءُهم علَى القَلب. و ـ الترابَ مِن البِئْر : نزَعَه.

أمير المؤمنين عليه السلام ، يمكن عدّها لسلاستها وعذوبة ألفاظها وعمق معانيها ونظمها البديع وقوافيها الرائعة من الأشعار الممتازة الراقية الواردة بالعربيّة ، كان من جملتها أبياته التي أوردناها في هذا الكتاب عن «الروضات» ومطلعها :

*** فَرْضِي وَنَفْلِي وَحَدِيثِي أَنْتُمُ ***

وينقل أيضاً مرثيّةً لسيّد الشهداء عليه السلام وغزلاً جميلاً وهي بأجمعها أشعار جميلة وبديعة . ثمّ يقول في الخاتمة :

هذه جملة ما وقفنا عليه من شعر شيخنا الحافظ البرسيّ وهي ٥٤٠ بيتاً ، ولا يوجد فيها ـ كما ترى ـ شيء ممّا يُرمى به من الارتفاع والغلوّ ، أمّا حقيقة الأمر ، كما قال هو :

وَظَنُّوا وَبَعْضُ الظَّنِّ إثْمٌ وَشَنَّعُوا
بِأَنَّ امْتِدَاحِي جَاوَزَ الحَدَّ وَالعَدَّا
فَوَ اللهِ مَا وَصْفِي لَهَا جَازَ حَدَّهُ
وَلَكِنَّهَا فِي الحُسْنِ قَدْ جَازَتِ الحَدَّا

توجد ترجمته في «أمل الآمل» و«رياض العلماء» و«رياض الجنّة» في الروضة الرابعة و«روضات الجنّات» و«تتميم أمل الآمل» للسيّد ابن أبي شبانة ، و«الكنى والألقاب» و«أعيان الشيعة» و«الطليعة» و«البابليّات» .

ولم نقف على تأريخ ولادة شاعرنا الحافظ ووفاته ، غير أنّه أرّخ بعض تآليفه بقوله : إنّ بين ولادة المهديّ عليه السلام وبين تأليف هذا الكتاب خمسمائة وثمانية عشر سنة ، فيوافق ٧٧٣ هـ . ق ، أخذاً برواية ٢٥٥ هـ . ق في ولادة الإمام المنصور صلوات الله عليه ، ومرّ في تأريخ بعض كتبه أنّه أرّخه بسنة ٨١٣ ، ولعلّه توفّي في حدود هذا التأريخ ؛ والله العالم .[1]

١ـ «الغدير» ج ٧ ، ص ٣٣ إلى ص ٦٨ ، الطبعة الأُولى ، الحيدريّة ـ طهران ، سنة ⇦

محيي الدين بن عربي وجميع العرفاء يقفون في قطب معاكس لقطب الشيخيّة والحشويّة وبعض الأخباريّين

يقول محيي الدين بن عربي والعرفاء بالله : إنّ معرفة الله ممكنة للإنسان ، وإنّ مقام الإنسان ودرجته وشخصيّته هي التي تستطيع طيّ هذا الدرب ونيل لقاء المحبوب . كما أنّ لقاءه تعالى هو الفناء في ذاته ، لأنّ عدم الفناء والمحو فيه يعني عدم حصول معرفته ؛ أمّا في حال تحقّق الفناء فليس هناك ـ غير الله ـ من شيء باقٍ ليعرف الله ، ومن ثمّ فإنّ الله سبحانه هو الذي يعرف نفسه .

ويقول الشيخيّة : إنّ معرفة الحقّ تعالى أمر محال ، فالممكن هو معرفة أسمائه وصفاته ، وذاك أمر لا يشمل عامّة الناس، بل يختصّ بالكاملين منهم فحسب، لذا فإنّ اسم الرازق ، والخالق ، والمحيي والمميت ، والسميع ، والبصير ، والعليم ، والقادر ، والحي ، وما ينشأ منها يمثّل حقيقة الأئمة المعصومين عليهم السلام والذين هم في مقام غير مقام الذات . كما أنّ غاية سير كلّ فرد من أفراد البشر هو الفناء في ذلك الاسم الذي يفضّله ويسمو عليه . ومن هنا ، فإنّ مقام ودرجات الناس تختلف بحسب اختلاف استعدادهم في الفناء في الأسماء الكلّيّة أو الجزئيّة ، فهم في النهاية فانون بأجمعهم في الأسماء والصفات ، كما أنّ حقيقة الأسماء والصفات الإلهيّة في المراتب العالية تتجسّد في تلك الولاية الكلّيّة المتحقّقة في المعصومين ، والإنسان الكامل هو الذي يستطيع أن يجد الطريق إليها ويكتسب

⇐ ١٣٧٢ هـ.ق.

معرفتها.

وتوجد في هذه النظريّة إشكالات مهمّة هي:

أوّلاً: أنّها توصد سبيل المعرفة بالخالق، حيث إنّ الله تعالى خلق السماء والأرض والأفلاك تمهيداً لمعرفة البشر.

وثانياً: أنّ هذه النظريّة تجسّد حقيقة معنى التفويض[1]، أي أنّها تمثّل

١ـ ما أجمل أن ننقل هنا نصّ عبارة مجلّي المعضلات والمبهمات أُستاذنا المحقّق العلّامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله سرّه، فقد ذكر مطالب بشأن القضاء والقدر والأمر بين الأمرين في تعليقاته على «أُصول الكافي» ج ١، ص ١٥٥ فما بعد، الطبعة الأُولى، مكتبة الصدوق، سنة ١٣٨١، نكتفي بذكر عدّة جملات منها:

«المُجبِّرةُ أثْبتوا تعلُّقَ الإرادةِ الحَتْميَّة الإلَهيّةِ بالأفعال كسائرِ الأشياءِ؛ وهُو القَدَر، وقالوا: بكَونِ الإنْسان مَجبوراً غَيرَ مُختارٍ في أفعالِهِ، والأفعالُ مخلوقةٌ للّه تعالَى وكذا أفعالُ سائر الأسباب التكوينيَّةِ مخلوقةٌ له.

والمُفوِّضةُ أثْبتوا اخْتياريّةَ الأفعالِ، ونَفَوْا تعلُّقَ الإرادة الإلهيّةِ بالأفعالِ الإنسانيَّةِ فَاسْتَنتجوا كَونَها مَخلوقةً للإنسان». حتّى يصل إلى قوله:

«واعْلَمْ أنّ البَحثَ عَن القضاءِ والقَدَر كانتْ في أوّل الأمْر مَسألةً واحِدةٌ، ثمّ تحوَّلَت ثلاثَ مسائلَ أصليّة، **الأُولى**: مَسألةُ القَضاء، وهو تعلُّقُ الإرادةِ الإلهيّةِ الحَتميَّةِ بكلِّ شيءٍ، وَالأخبارُ تَقضي فيها بالإثباتِ كما مرَّ في الأبوابِ السَّابقةِ.

الثانية: مَسألَةُ القَدَر وَهُو ثُبوتُ تأثيرِ ما لَهُ تعالَى في الأفعال، والأخبارُ تدلُّ فيها أيضاً علَى الإثباتِ.

الثالثة: مَسألةُ الجَبر والتَّفويضِ، والأخبار تُشيرُ فيها إلى نَفْي كِلا القَولين وتُثْبِتُ قَولاً ثالثاً وهو الأمر بَين الأمرَين: لا مِلكاً للّه فقط مِن غَير مِلْكِ الإنسان ولا بِالعكْس، بل مِلكاً في طولِ مِلكٍ، وسَلطنَةً في طُولِ سَلطنةٍ.

واعْلمَ أيضاً أنّ تسميةَ هَؤلاَءِ بالقَدَريّةِ مأخوذةٌ ممّا صَحَّ عنِ النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **إنَّ القَدَرِيَّةَ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ** ـ الحديثَ. فَأَخذتِ المُجبِّرةُ تُسَمّي المُفَوِّضةَ بِالقدريَّةِ لأنَّهُم يُنكرونَ القَدَرَ ويتكلَّمون علَيها، والمُفَوِّضةُ تُسَمِّي المُجَبِّرةَ بالقَدَريَّةِ لأنَّـهم يُثبتونَ القَدَر. والَّذِي يَتحصَّلُ مِن أخبارِ أئمَّةِ أهل البَيتِ عليهمُ السلام أنَّهم يُسَمُّون كِلتا الفرقتَين ⇦

أجلى صوره . فالمفوّضة يعتقدون بأنّ الله سبحانه خلق العالم فأوكل تدبيره إلى الأئمّة ، أمّا هؤلاء الشيخيّة فيقولون : ليس تدبير العالم وحده في يدهم فحسب ، بل إنّ خلق العالم وابتداعه والرزق والإحياء والإماتة والسلامة والمرض هي بأجمعها في أيديهم .

وهذا الوجه هو أقبح ما يمكن تصوّره في التفويض ، حيث إنّه يمثّل عزلاً للّه سبحانه من جميع الأُمور والجهات وتخليته في زاوية من العالم بدون أثر ولا مسمّى ، وإبطالاً لفعله وهيمنته . **وَتَعَالَى اللَهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.** [1]

وثالثاً : أنّه من أجلى أقسام الشرك وأظهرها ، فقد اعتبر أنّ هناك مؤثّراً غير الله في جميع الموجودات .

ورابعاً : أنّه من أظهر أقسام الارتفاع والغلوّ ، لأنّه لا يكتفي باعتبار المعصومين المصدر الوحيد للأُمور ، بل إنّه لم يشرك الله معهم في ذلك ، فقد أوكل هؤلاء أمر العالم بشكل مطلق إلى الأئمّة واكتفوا بذكر الله على ألسنتهم ؛ فهم في الحقيقة يعدّون الله سبحانه أجوفَ بلا معنى ولا مغزى .

⇦ بالقدريَّةِ ويُطَبِّقونَ الحديثَ النَّبَويَّ علَيهما:

أمّا المُجبِّرةُ فلأنّهم يَنسِبون الخَيرَ والشَّرَّ والطاعةَ والمَعصيةَ جميعاً إلَى غَير الإنسان، كما أنَّ المَجوسَ قائلونَ بكَون فاعلِ الخيرِ والشَّرِّ جميعاً غَيرَ الإنسان ؛ وقولُه عليه السَّلام في هذا الخبرِ مبنيٌّ علَى هذا النَّظَرِ.

وأمّا المفوِّضةُ فلأنّهم قائلونَ بخالقَين في العالَم : هما الإنسانُ بالنِّسْبَةِ إلَى أفعالِهِ واللَهُ سبحانَه بالنسبةِ إلى غيرها ؛ كما أنَّ المجوسَ قائلونَ بإلهِ الخيرِ وإلهِ الشَّرِّ ؛ وقولُه عليه السَّلام في الرواياتِ التاليةِ : لا جَبْر وَلا قَدَر ، ناظِرٌ إلى هذا الِاعْتبارِ».

١ـ اقتباس من الآية ٤٣ ، من السورة ١٧ : الإسراء : **سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.**

وخامساً : أنّ عبادتهم انصبّت على هذه الذوات المقدّسة فقط ، فهم يسألون منهم حاجاتهم ويتوسّلون إليهم ويأملون بهم وحدهم ، غافلين بل متناسين ورافضين الله الواحد القهّار الذي خلقهم والآخرين ، والذي له الولاية عليهم كلّ آن .

وسادساً : أيّ دليل قائم على أنّ معرفة الله مختصّة بالأئمّة المعصومين لا تتعدّاهم ؟ فهؤلاء بشر وسائر الناس بشر أيضاً ، وما أمكن لهؤلاء عقلاً فهو ممكن لغيرهم أيضاً ؛ كما ينبغي شرعاً ـ باعتبارهم أئمّة ـ تمكّن المأموم من إدراكهم في العمل والوصول ، وإلّا لما كان للإمامة من معنى .

وكان سماحة وصيّ المرحوم القاضي : المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس القوجانيّ أعلى الله درجته يقول : قلتُ يوماً لسماحة السيّد (الأُستاذ القاضي) : ما هو الإشكال في عقيدة الشيخيّة ؟! فهم من أهل العبادة وأهل الولاية أيضاً ، ناهيك عن أمر إظهارهم المحبّة والإخلاص للأئمّة عليهم السلام كما نفعل ، كما أنّ فقههم فقه الشيعة ؛ يضاف إلى ذلك عدّهم كتب الأخبار معتبرة وعملهم برواياتنا ، وإجمالاً فإنّنا مهما بحثنا عن إشكال في نهجهم الأخلاقيّ والعمليّ لم نجد ما يقدح فيهم .

أجاب المرحوم القاضي : اجلب «شرح الزيارة» للشيخ أحمد الأحسائيّ غداً !

فأحضرتُ له «شرح الزيارة» للشيخ الأحسائيّ في اليوم التالي ، فقال : اقرأ ! فقرأتُ فيها ما يقرب من ساعة كاملة . ثمّ قال : يكفي هذا ! أَتَبَيَّنَ لك الآن ما هو الإشكال فيهم ؟ إنّ الإشكال يكمن في عقيدتهم .

إنّ هذا الشيخ يحاول في كتابه هذا إثبات أنّ ذات الله سبحانه ليس لها اسم ولا رسم ، فهي فوق صفاته وأسمائه ، وأنّ ما يتحقّق في العالم إنّما

يتحقّق بالأسماء والصفات ، وأنّها هي المبدِئة لخلق العالم وخلق آدم والمؤثِّرة في تدبير شؤون هذا العالم في بقاء الحياة ودوامها .

فذلك الله ليس له اتّحاد مع الصفات والأسماء ، بل إنّها تعمل بصورة مستقلّة ، لذا فإن عبادة الإنسان ستكون موجّهة لأسماء الله وصفاته ، لا إلى ذاته التي لا توصف ولا يتّسع لها الوهم والخيال .

ومن ثمّ **فإنّ الشيخ الأحسائيّ يعتبر الله سبحانه مفهوماً فارغاً بلا تأثير وخارجاً عن الأسماء والصفات ، وهذا عين الشرك.**

أمّا العارف فيقول بأنّ ذات الله أسمى من الوصف وأعلى من الخيال والوهم ، وإنّ لها السيطرة والهيمنة على الأسماء والصفات ؛ وإنّ جميع الأسماء والصفات موجودة في ذاته القدسيّة دون أن يكون لها حدود وجوديّة ولا تعيّنات وتقيّدات ،كما أنّ جميع الصفات والأسماء ترجع إلى الذات ، وأنّ المقصد والمبدأ والمنتهى هي ذاته ،كلّ ما في الأمر أنّ ذلك يتمّ عن طريق الأسماء والصفات .

ولذا فإنّنا نشير إلى تلك الذات بقولنا : **وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ**[1] ، ولو لم يكن ذلك معلوماً لدينا ـ انتهى كلام سماحة السيّد القاضي .

ومن هنا ، فإنّ الشيخيّة والحشويّة الذين يرأسهم الشيخ أحمد الأحسائيّ يقفون في قطب مخالف للعرفاء ، لذا نراهم يكِنّون للعرفاء كلّ هذا العداء ويقسون في معاملتهم ، باعتبارهم يسيرون في نهجين مختلفين .

ويلزم هنا ذكر نكتة مهمّة ، وهي أنّ على سالكي طريق الله أن يطووا

١ـ الآية ٧٩ ، من السورة ٦ : الأنعام : **إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** .

طريقهم تحت تربية وإشراف أُستاذ كامل يمتلك مقام التوحيد والعرفان الإلهيّ ؛ وممّن وصل بعد الفناء في الله إلى مرحلة البقاء بالله ، وممّن انتهت أسفاره الأربعة ؛ وإلّا ابتلوا بهذا المرض الذي ابتُلي به الشيخ أحمد الأحسائيّ .

وفائدة الأُستاذ هي أن يجتاز بهم المراحل والمنازل الخطرة في هذا الوادي ، وهي عبارة عن الأبالسة وطغيان النفس الأمّارة ، وأخيراً الاستقلال الوجوديّ والذاتيّ لنفس السالك ، والنظر إلى الأسماء والصفات على أنّها مستقلّة .

إنّ الأسماء والصفات الكلّيّة لذات الحقّ تعالى ستتجلّى لسالك الطريق بعد عبوره لمراحل المثال والملكوت الأسفل والتحقّق بالمعاني الكلّيّة العقليّة ، أي أنّه سيشاهد عياناً العلمُ المحيط والقدرة المحيطة والحياة المحيطة بالعوالم ، التي تمثّل في الحقيقة ذلك الوجود الباطنيّ والحقيقيّ للأئمّة عليهم السلام . ويتحتّم على السالك أن يعبر هذه المرحلة من أجل الكمال والوصول لمنبع الحقائق ولذات الحضرة الأحديّة ، وإلّا تسمّر فيها إلى الأبد .

كما أنّ عبور هذه المرحلة وتخطّيها غير ممكن بدون فداء حقيقة الوجود وبدون الجهاد الأكبر بجميع مراتبه ، إذ مادامت هناك شائبة من الوجود ولو بقدر ذرّة واحدة ، فإنّ تجلّي تلك الحقيقة أمر محال والفناء الذاتيّ أمر غير ممكن .

إنّ سالكي طريق الله الذين فازوا بهذه المرحلة بَيدَ أنّهم لم يصلوا إلى الفناء الذاتيّ إنّما يعبرون هذه المرحلة على أثر تعليم الأُستاذ وسيطرته وإشرافه باعتباره خبيراً بهذه المرتفعات والقمم الخطرة المنيعة ، ونظراً لاطّلاعه على حال التلميذ ، فإنّه يقوم بذبح نفس تلميذه والتضحية به

للاجتياز به من هذه المرحلة ؛ وينبغي أن تكون عمليّة التضحية وتقديم القربان على يد الغير ، إذ من غير المعقول أن يكون تقديم القربان على يد الشخص نفسه .

أما أُولئك الذين وضعوا أقدامهم بتهوّر على طريق الرياضة بلا قائد ولا دليل فاتّخذوا سبيل النوافل والصيام المستمرّ والاعتزال والانشغال بالأذكار والأوراد والأفكار الطائشة ، اعتماداً على مطالعة الكتب أو متابعة أُستاذ غير كامل أو وفق هواهم واختيارهم الشخصيّ ؛ فإنّهم سيعجزون عن الارتحال عن هذا المنزل إلى الأبد .

وذلك لأنّه أوّلاً منزل جميل ورائع جدّاً يصعب تزهيد النفس فيه ويعسر تخطّيه ، ولأنّ العبور منه ـ ثانياً ـ يستلزم تقديم النفس قرباناً في سبيله ؛ وأنّى للنفس أن تقبل التضحية بنفسها ؟!

هذه النفس التي اكتسبت حتّى الآن هذه الكمالات والحالات ، يتوجّب عليها الآن التضحية بها جميعاً ، ناهيك عن أنّها ينبغي أن تضحّي بنفسها هي الأُخرى . ومن هنا ، فإنّ هذا الطلب سيتعذّر على النفس وسيبقى السالك ـ لأجل ذلك ـ في هذا المنزل إلى الأبد ، وستكون فيه مقبرته الأبديّة ومن هنا سيُقرع طبل الأنانيّة والفرعونيّة التي هي التجلّي الأعظم للنفس ، ومن هنا سيصبح له استقلال الأسماء والصفات مشهوداً ، وسينشأ الغلوّ والارتفاع وادّعاء الأُلوهيّة واعتبار الذوات المقدّسة رازقة وخالقة . ولأنّه يدرك ذلك ويراه بالحسّ والعيان وبالمشاهدة والوجدان ، فلن يكون أمامه من سبيل لتغيير الفكر والتعقّل والمشاهدة .

وسواء كان السالك عالماً بالأخبار والروايات متضلّعاً بالعلوم المتداولة أم لا ، فذلك لن يأخذ بيده أو يعينه في أمره ، شأنه كشأن الشيخ أحمد الأحسائيّ الذي تردّى في هذا الوادي العميق مع تضلّعه في العربيّة

والأدب ، ومهارته في مجال الأخبار والروايات ، حيث قام بتكفير أُولئك الذين تخطّوا هذه المرحلة ووصلوا إلى مرحلة الفناء في الذات التي يُصطلح على تسمية صاحبها بالعارف . كما كفّر الذين اعتبروا أُسلوبه ونهجه خاطئاً ، ثمّ تجلّت روح عظمة النفس وسيطرة وحدانيّتها في كلمات من ربّاهم ، فعدّ أحدهم نفسه إمام العصر والزمان ، وجاء بكتاب «البيان» لدحر القرآن ، وفعلوا ما فعلوا ...

ولقد كان مؤرِّخونا وكتّاب السير والتراجم لدينا بعيدين عن حقيقة العرفان ، يدعون كلّ من تكلّم عن الحكمة حكيماً ، باطلاً كان قوله أم حقّاً ، ويسمّون كلّ من ادّعى الشهود وسمّى نفسه صاحب مكاشفة عارفاً ووليّاً ، فلم يفرّقوا عند ذلك بين الأحسائيّ وبين الآقا محمّد البيدآباديّ في العرفان ، أو بينه وبين الملّا عليّ النوريّ في الحكمة ، ولم يسعهم أن يفرّقوا بينهم ، لأنّ ذلك ممّا يتعدّى دائرة علومهم وشؤونهم .

ولهذا السبب فقد اغلقوا طريق العرفان أمام الناس ، ودعوا أمثال محيي الدين كافراً وزنديقاً وكالوا للفيض الكاشانيّ الشتائم وجاوزوا في التراجم الحدّ فخلطوا الحقائق بأوهامهم وتصوّراتهم ، وبدلاً من أن يقدّموا محيي الدين ويعرّفونه على أنّه عارف سنّيّ على المذهب المالكيّ ، فإنّهم لم يتورّعوا عن كيل آلاف التهم له .

لقد كان المرحوم جدّنا العلّامة المجلسيّ ، في أغلب الموارد يرفض جميع العرفاء على حدّ سواء ، المُحقّ منهم والمُبطل ، وكان ـ باختصار ـ يتّهمهم جميعاً ، وهكذا كان شأن المرحوم الحاجّ النوريّ وصاحب «الروضات» .

بَيدَ أنّ المرحوم أُستاذنا الأكرم الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ أعلى الله مقامه كان لا يحيد عن سبيل الإنصاف في كتاباته ، ولا يتطرّف

في الذمّ أو المدح ، وهكذا كان ديدنه في المطالب التي يذكرها شفاهاً ، وأشبهه في ذلك المرحوم المحدِّث القمّيّ : الحاجّ الشيخ عبّاس .

كما سلك المرحوم الميرزا محمّد علي المدرّس سبيل الإنصاف في «ريحانة الأدب» فكان يدوّن ما ثبت لديه لا يتعدّى ذلك النهج خطوة واحدة . وقد ضمّن الجزء الخامس من كتابه هذا شرحاً جيّداً عن محيي الدين وعرّفه بمذهبه المالكيّ ؛ فقال بعد شرح أحواله : إنّ مسألة كون ابن العربيّ شيعيّاً أو سنّيّاً وانتمائه إلى مذهب العدليّة أو الجبريّة ، وعقائده الأُخرى محلّ خلاف بين أصحاب السير . فقد كفّره الملّا سعد التفتازانيّ والعلّامة السخاويّ وجمع آخر لمحض مخالفة ظاهر بعض كلماته للشرع ، وكان الشيخ أحمد الأحسائيّ يلقّبه بـ **مميت الدين** بدلاً من **محيي الدين** ، بينما عدّه عبد الوهّاب الشعرانيّ وصاحب «القاموس» وجماعة آخرون من أكابر العرفاء والأولياء . وقد حرّم جلال الدين السيوطيّ وبعض آخر شرعاً مطالعةَ كتبه مع إذعانهم لمقام ولايته . والحكم في هذه الأُمور خارج عن موضوع الكتاب ، وموكول إلى الكتب المبسوطة .[1]

ولقد دأب **حكيمنا العظيم الشأن وفيلسوفنا المفكِّر المتعبِّد : الملّا صدر الدين الشيرازيّ** أعلى الله درجته كلّما نقل في كتبه مطلباً عن محيي الدين ، وخاصّة في «الأسفار الأربعة» على ذكر اسمه بمنتهى الإعظام والإجلال ، أمّا إذا نقل مطلباً عن ابن سينا فكأنّه كان لا يعدّه فيلسوفاً ، ويذكره بتعبير : قال بعض الفلاسفة وأمثالها .[2]

١ـ «ريحانه الأدب» ج ٥ ، ص ٢٥٥ إلى ٢٥٩ .

٢ـ فيقول مثلاً في باب الوجود الذهنيّ من «الأسفار» ج ١ ، ص ٢٦٦ ، الطبعة الحروفيّة، المطبعة الحيدريّة ، سنة ١٣٧٩ هـ . ق : **وَيُؤَيِّـدُ ذٰلِكَ مَا قَالَهُ الشَّـيْخُ الجَلِيلُ** ⇦

لقد كان **عبد الوهّاب الشعرانيّ** من العامّة ، لكنّ علمه ووثاقته لا يشكّ بهما أحد من الخاصّة والعامّة ، وكتابه النفيس «اليواقيت والجواهر» هو جوهرة «الفتوحات المكّيّة» ، وكتاب طبقاته المسمّى «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» هو مختصر وجوهرة «الفتوحات» أيضاً ، ومختصر مختصره المسمّى «الأنوار القدسيّة في بيان آداب العبوديّة» وكتاب «الكبريت الأحمر» تضمّ بأجمعها مطالبَ شيّقة وعالية قائمة على مطالب

⇦ **مُحْيِي الدِّينِ العَرَبِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ فِي كِتَابِ «فُصُوصُ الحِكَم»** ـ إلى آخره. ويقول في مبحث كيفيّة علمه تعالى ، ج ٦ ، ص ٢٨٦ :

قَالَ العَارِفُ المُحَقِّقُ مُحْيِي الدِّينِ العَرَبِيُّ فِي البَابِ السَّابِعِ وَالسَّبْعِينَ وَثَلَاث مِائَةٍ مِنَ «الفُتُوحَات المَكِّيَّةِ» اعْلَمْ ـ إلى آخره . ويقول في بحث أصالة الوجود ، ج ١ ، ص ٤٨ : **وَمَا أَكْثَرَ مَا زَلَّتْ أَقْدَامُ المُتَأَخِّرِينَ حَيْثُ حَمَلُوا هَذِهِ العِبَارَاتِ وَأَمْثَالَهَا المَوْرُوثَة مِنَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ وَأَتَرَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ عَلَى اعْتِبَارِيَّةِ الوُجُودِ** ـ إلى آخره . وفي بحث ثبوت البرزخين للأرواح، ج ٩ ، ص ٤٥ ، يقول : **هُوَ مَا قَالَهُ قُدْوَةُ المُكَاشِفِينَ مُحْيِي الدِّينِ العَرَبِيّ : عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ البَرْزَخَ ....**

ثمّ يختم الملّا صدرا كتابه «الأسفار» بكلام من محيي الدين ، وباعتبار روعة هذا المطلب وإجماله فنحن نورده هنا . يقول في ج ٩ ، ص ٣٨٢ ، في نهاية بحث المعاد:

قَالَ العَارِفُ المُحَقِّقُ فِي «الفُتُوحَاتِ المَكِّيَّةِ» فِي البَابِ السَّابِعِ وَالأَرْبَعِينَ مِنْهَا: فَلَا تَزَالُ الآخِرَةُ دَائِمَةَ التَّكْوِينِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الجِنَانِ لِلشَّيءِ الَّذِي يُرِيدُونَهُ : كُنْ فَيَكُونُ ، فَلَا يَتَمَنَّونَ فِيهَا أَمْراً وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ خَاطِرٌ فِي تَكْوِينِ أَمْرٍ إلَّا وَيَتَكَوَّنُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ خَاطِرٌ خَوْفاً مِنْ عَذَابٍ أَكْبَر مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ إلَّا وَيَكُونُ فِيهِمْ ذَلِكَ العَذَابُ وَهُوَ خُطُورُ الخَاطِرِ . فَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ تَقْتَضِي تَكْوِينَ الأَشْيَاءِ حِسَّاً بِمُجَرَّدِ حُصُولِ الخَاطِرِ وَالهَمِّ وَالإرَادَةِ وَالشَّهْوَةِ كُلُّ ذَلِكَ مَحْسُوسٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا أَعْنِي الفِعْلَ بِمُجَرَّدِ الهِمَّةِ لِكُلِّ أَحَدٍ . ـ انتهى كلامه.

ثمّ يقول الملّا صدرا : **وَمَنْ عَرَفَ كَيْفِيَّةَ قُدْرَةِ اللهِ فِي صُنْعِ الخَيَالِ وَمَا تَجِدُهُ النَّفْسُ بَلْ تُوجِدُهُ بِإذْنِ اللهِ مِنْ صُوَرِ الأَجْرَامِ العَظِيمَةِ وَالأَفْلَاكِ الجِسْمِيَّةِ السَّاكِنَةِ وَالمُتَحَرِّكَةِ وَالبِلَادِ الكَثِيرَةِ وَخَلَائِقِهَا وَأَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ، هَانَ عَلَيْهِ التَّصْدِيقُ .**

محيي الدين ؛ وقد امتدح الشعرانيّ في طبقاته **محيي الدين** امتداحاً يستدعي العجب حقّاً ، بالرغم من أنّ الفاصلة بينه وبين محيي الدين تزيد على ثلاثمائة سنة ، حيث يقول : **الشَّيْخُ العَارِفُ الكَامِلُ المُحَقِّقُ المُدَقِّقُ ، أَحَدُ أَكَابِرِ العَارِفِينَ بِاللَهِ ، سَيِّدِي مُحْيِي الدِّينِ ابْنِ العَرَبِيِّ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ ،** أجمع المحقّقون من أهل الله على جلالته في جميع العلوم ، يشهد لهذا المدّعى كتبه المصنّفة . وعلّة إنكار من أنكر عليه أمر واحد وهو دقّة كلامه ، لذا فقد منعوا من لم يسلك طريق الرياضة من مطالعة كتبه خوفاً من أن تحصل لديه شبهة في معتقداته قبل موته ، فلا يكون لديه سبيل لتأويل مراد الشيخ وفهمه .

أورد ترجمته الشيخ صفيّ الدين بن أبي المنصور وغيره ، وذكره بالولاية الكبرى والصلاح والعرفان ، وقال : **هُوَ الشَّيْخُ الإمَامُ المُحَقِّقُ ، رَأْسُ أَجِلَّاءِ العَارِفِينَ وَالمُقَرَّبِينَ ، صَاحِبُ الإشَارَاتِ المَلَكُوتِيَّةِ ، وَالنَّفَحَاتِ القُدْسِيَّةِ ، وَالأَنْفَاسِ الرَّوْحَانِيَّةِ ، وَالفَتْحِ المُونِقِ ، وَالكَشْفِ المُشْرِقِ ، وَالبَصَائِرِ الخَارِقَةِ ، وَالسَّرَائِرِ الصَّادِقَةِ ، وَالمَعَارِفِ البَاهِرَةِ ، وَالحَقَائِقِ الزَّاهِرَةِ ، لَهُ المَحَلُّ الأَرْفَعُ مِنْ مَرَاتِبِ القُرْبِ فِي مَنَازِلِ الأُنْسِ ، وَالمَوْرِدُ العَذْبُ فِي مَنَاهِلِ الوَصْلِ ، وَالطَّوْلُ الأَعْلَى مِنْ مَعَارِجِ الدُّنُوِّ ، وَالقَدَمُ الرَّاسِخُ فِي التَّمْكِينِ مِنْ أَحْوَالِ النِّهَايَةِ، وَالبَاعُ الطَّوِيلُ فِي التَّصَرُّفِ فِي أَحْكَامِ الآيَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؛ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ.**

كما وصفه الشيخ العارف بالله **محمّد بن أسعد اليافعيّ** رضي الله عنه ، وذكره بالعرفان والولاية . وأطلق عليه الشيخ **أبو مَدْيَن** رضي الله عنه لقب سلطان العارفين .[1]

١ـ «الطبقات الكبرى» ج ١ ، ص ١٨٨ ، تحت الرقم ٢٨٨ ، طبعة دار العلم ⇦

....

⇐ للجميع.

من بين مخالفي محيي الدين ، المرحوم الملّا محسن الفيض الكاشانيّ ، فقد ذكر في ص ١٢٤ و ١٢٥ من كتابه «بشارة الشيعة» المطبوع بالطبعة الحجريّة في مجلّد يتضمّن خمسة كتب أُخرى، أسماؤها : «منهاج النجاة» ، «خلاصة الأذكار» ، «مرآة الآخرة» ، «ضياء القلب» و«الإنصاف» ، ضمن ردّ مسألة عدالة الصحابة قوله:

قالوا : وقد نصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله على عشرة منهم بأنّهم من أهل الجنّة وذكرهم بأسمائهم ، وعدّوا منهم **العُمرين والطلحتين وعثمان** وراوي النصّ من ذويهم ومن هو فيهم ، وعدّوا من جملتهم أمير المؤمنين عليه السلام مع اعترافهم وعلمهم بأنّه كان هو المقاتل للطلحتين في وقعة الجمل فقتلا باغيين عليه . وذكر ابن العربيّ الذي قلنا إنّه كان من عظمائهم، في الباب الثالث والسبعين من فتوحاته الذي يذكر فيه رجال الله وأهله بزعمه، قال: ومنهم من يكون له ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الباطنة من جهة المقام **كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والحسن ومعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز والمتوكّل** . وقال ابن العربيّ ، ومنهم **الحواريّون** وهم واحد في كلّ زمان لا يكون فيه اثنان ، فإذا مات ذلك الواحد أُقيم غيره. وكان في زمان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] **الزبير بن العوّام** ، كان هو صاحب هذا المقام، لأنّه جمع بين نصرة الدين بالسيف والحجّة فأُعطي العِلم والعبادة والحجّة، وأُعطي السيف والشجاعة والإقدام ـ انتهى كلامه.

يقول الفيض : وليت شعري كيف يجوز للخليفة الحقّ الذي له الخلافة الظاهرة والباطنة، الذي بشّره رسول الله بالجنّة قتل هذا الحواري الذي بشّره أيضاً بالجنّة ؟ وكيف يجوز لهذا الحواري أن يقاتل ذلك الخليفة مع أنّهم رووا عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: **إذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفِهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ** . قيل : فما بال المقتول ؟ قال: لأنّه أراد قتل صاحبه.

وقد أورد هذا الاعتراض أيضاً على محيي الدين **المحدِّث النوريّ** في خاتمة «المستدرك» ج ٣، ص ٤٢٢ ، الفائدة الثالثة من الخاتمة ، الطبعة الرحليّة ضمن اعتراضاته عليه فقال: كيف قال في فتوحاته عند ذكر بعض حالات الأقطاب : **وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ ظَاهِرَ الحُكْمِ وَيَحُوزُ الخِلَافَةَ الظَّاهِرَةَ كَمَا حَازَ الخِلَافَةَ البَاطِنَةَ مِنْ جِهَةِ المَقَامِ ؛ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَالحَسَنِ وَمُعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَالمُتَوَكِّلِ** . وهذا المتوكّل ⇐

....

⇐ الذي عدّه من الأقطاب ومن الحائزين للخلافة الظاهرة والباطنة هو الذي ذكره السيوطيّ ـ الذي هو من المتعصّبين أيضاً ـ في كتاب «تاريخ الخلفاء» أنّه أمر في سنة ٢٣٦ هـ.ق بهدم قبر الحسين عليه السلام وهدم البيوت في أطرافه وأمر بزراعتها ومنع الناس عن زيارته، فخُرِّبت وصارت أرضاً يباباً. وقد عُرِفَ المتوكّل بالتعصّب، وكان قد آلم المسلمين عملُه هذا فكان أهل بغداد يكتبون شتمه على الجدران والشعراء يهجونه. وممّا قيل فيه:

بِاللّه إنْ كانت أُمَيَّةُ قد أتَتْ ... قتلَ ابنِ بنتِ نَبيِّها مَظلوماً

فلَقد أتاهُ بنو أبيهِ بِمثلِها ... هذا لَعَمري قبرُه مَهْدوماً

أسَفوا علَى أن لا يكونوا شارَكوا ... في قَتْلهِ فَتَتَبَّعُوهُ رَمِيمَا

ويقول المرحوم الفيض أيضاً في كتابه المذكور «بشارة الشيعة» ص ١٥٠: وهذا شيخهم الأكبر محيي الدين بن العربيّ وهو من أئمّة صوفيّتهم ورؤساء أهل معرفتهم يقول في فتوحاته: «إنّي لم أسأل الله أن يعرّفني إمام زماني ولو كنتُ سألته لعرّفني». **فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَارِ**، فإنه لما استغنى عن هذه المعرفة مع سماعه حديث **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**. المشهور بين العلماء كافّة، كيف خذله الله وتركه ونفسه فاستهوته الشياطين في أرض العلوم حيران، فصار مع وفور علمه ودقّة نظره وسيره في أرض الحقائق وفهمه للأسرار والدقائق، لم يستقم في شيء من علوم الشرائع ولم يعضّ على حدودها بضرس قاطع، وفي كلماته من مخالفات الشرع الفاضحة ومناقضات العقل الواضحة ما يضحك منه الصبيان وتستهزئ به النسوان. ثمّ يذكر المرحوم الفيض فرعين فقهيّينِ من فتوحاته فيردّ عليها.

نعم، لقد كان ما نُقل عنه بشأن الأقطاب الحائزين للخلافة الظاهرة والباطنة ومن ضمنهم المتوكّل وهذا النقل هو عين الحقّ، فلقد ذكره محيي الدين في ص ٦، من الجزء الثاني، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ـ مصر، الباب ٧٣ من «الفتوحات»، وأورد مسألة كون الزبير من الحواريّين في ص ٨، لكنّ الكلام هنا في الأمر الآتي: هل يُنتظر أكثر من هذا الدين من عالم سنّيّ المذهب مالكيّ النزعة، عاش وترعرع منذ بداية أمره في بيئة العامّة ومدارسهم ومكتباتهم لا في الكوفة والمدينة، ولم يكن له لقاء ولا مكاتبة مع علماء الشيعة؟! لقد تميّز هذا الرجل بالإنصاف بالقدر الذي عُرف من آرائه وأفكاره الخاصّة المخالفة للعامّة بأنّه من الشيعة، وكان البعض يصرّ على إثبات أمر تشيّعه. ومع أنّ هذا ⇐

....

⇐ الأمر لدينا غير تامّ لكنّنا نسأل : لماذا تدعونه ناصبيّاً ؟! ولِم تعدّونه من أعداء أهل البيت ؟! إنّ عليكم أن تشكروا له رفضه لمعاوية وعدم قبوله لخلفاء بني أُميّة والحكّام الجائرين من بني العبّاس، وعلى الأقلّ وضعه لمعاوية بن يزيد وعمر بن عبد العزيز في مصاف أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى عليهما السلام . وعليكم أن تدعوا له ليتمزّق عنه ستار جهله كلّيّاً ، ليعلم أنّ الشيخين من الخلفاء الغاصبين ، وأنّ الطلحتينِ ظالمان متعدّيان على حقّ الإمام المفترض الطاعة . لقد افترضتموه كالشيخ المفيد من الشيعة الخالصين والعلماء المتربّين في مدرسة التشيّع ، ثمّ بدأتم بالاعتراض والإشكال عليه ، فلِمَ هذا ؟ ولِمَ ذاك ؟ أمّا الحقير فيعتبر كلامه بشأن المتوكّل الملعون الخبيث ناشئاً من عدم وصوله إلى الحقيقة ، ولو وصل إليها كما ينبغي لما حكم بمثل هذا.

لقد انجرّ بحثنا يوماً مع سماحة أُستاذنا الأكرم العلّامة الفقيد الطباطبائيّ إلى نفس هذا الأمر، فتفضّل بالقول : كيف يمكن عدّ محيي الدين من أهل الطريقة مع أنّه يعدّ المتوكّل من أولياء الله ؟

قلتُ : إن ثبت هذا الكلام عنه دون تحريف في نقله ـ لأنّ الشعرانيّ يدّعي أنّ هناك تحريفات كثيرة حصلت في «فتوحات» ابن العربيّ ـ ومع افتراض علمنا بأنّه كان شخصاً منصفاً لا ينكر الحقّ إن ثبت لديه ، فإنّ علينا في أمثال هذا النمط من المطالب أن نعدّه في زمرة المستضعفين . فضحك العلّامة مستنكراً وقال : أمحيي الدين من المستضعفين ؟!

قلتُ : ما المانع من ذلك ؟ فحين يكون مناط الاستضعاف عدم الوصول إلى متن الحقيقة وواقع الأمر مع كون الطالب في صدد الوصول إليها ، فلا فرق بين عالم كبير كمحيي الدين وعامّيٍّ صغير كأحد أفراد الجيش السنّيّ ، فهؤلاء جميعاً مستضعفون ما لم ينطووا على الإنكار والجحود ، كما أنّ أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا أقلّ من المتوكّل في تحريف سير التأريخ الحقيقيّ ، فلقد خرّب أُولئكم الأساس ليقوم المتوكّل وأمثال المتوكّل بالتسلّط ظلماً على رقاب المسلمين . وإذا شئتم أن تعتبروا جميع السنّة القائلين بحقّانيّة الشيخين من زمرة الجاحدين والمنكرين فلن يكون من وجود حينئذٍ لفئة مستضعفة، مع أنّنا نعلم أنّ الكثير منهم من أُولي الإنصاف ، لكن الحقّ لم يصلهم ، ولو وصلهم لقبلوه، كالشيخ سليم البشريّ الرئيس الأكبر لجامع الأزهر والشخصيّة العلميّة الأُولى في عالم العامّة الذي تنصّل من الباطل والتحق بالحقّ بعد مكاتباته مع المرحوم آية الله العامليّ : السيّد ⇐

....

⇦ عبدالحسين شرف الدين أعلى الله مقامه. (وكان هذا هو البحث الذي حصل يوماً مع سماحة الأُستاذ).

وباعتبار أنّ المرحوم المحدِّث النوريّ قد عدّ الملّا جلال الدين السيوطيّ من المتعصّبين المعاندين ـ كما رأينا ـ فإنّ من المناسب أن نضيف: أوّلاً: أنّ السيوطيّ ليس من المعاندين بل من المنصفين، فكتابه تفسير «الدرّ المنثور» وسائر كتبه طافحة بولاء أهل البيت. غاية الأمر أنّه رجل سنّيّ شافعيّ، فبيّنوا لنا أين تخطّى مذهبه ونهجه فنسب إلى أهل البيت أو إلى شيعتهم التهَم والأُمور غير المقبولة؟ وهذه هي علامة استضعافه، فقد ثبت لديه أواخر عمره أنّ الحقّ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فعدل عن المذهب الشافعيّ إلى مذهب أهل البيت.

يقول المرحوم المحدِّث القمّيّ في كتاب «هديّة الأحباب» ص ١٥٧ و١٥٨، الطبعة الحجريّة: وقد نقل عن **الأمير بهاء الدين المختاريّ** أنّه نقل عن **السيّد علي خان الشيرازيّ** أنّ السيوطيّ قد انتقل من المذهب الشافعيّ إلى مذهب الإماميّة، وقال: لقد رأيت كتاباً للسيوطيّ يذكر فيه عدوله إلى الحقّ ويستدلّ فيه على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بلافصل. ثمّ ذكر ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في «الكنى والألقاب» ج ٢، ص ٣٠٩ و٣١٠، طبعة مطبعة العرفان، صيدا، فيقول:

أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن ناصر الدين محمّد السيوطيّ الشافعيّ، الفاضل المعروف صاحب المصنّفات المشهورة في فنون شتّى، قيل إنّها تزيد على خمسمائة مصنَّف. حتّى يصل إلى القول: وأمّا دينه ومذهبه، فالظاهر أنّه في الأُصول سنّيّ أشعريّ، وفي الفروع على نحلة الشافعيّ المطّلبيّ. إلّا أنّ المنقول عن السيّد الفقيه العالم المحدِّث الأمير **بهاء الدين محمّد الحسينيّ المختاريّ** في حاشيته على كتاب «الأشباه والنظائر» للسيوطيّ، قال: وسمعت عن السيّد السند الفاضل الكامل العالم العامل الإمام العلّامة **السيّد علي خان المدنيّ** أطال الله بقاءه سنة ١١١٦ بإصفهان أنّ السيوطيّ مصنِّف الكتاب كان شافعيّاً لكنّه رجع عن التسنّن واستبصر وقال بإمامة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام، فصار شيعيّاً إماميّاً وختم الله أمره بالحسنى.

وقال السيّد طوّل الله عمره: رأيت كتاباً من مصنّفات السيوطيّ ذكر فيه رجوعه إلى الحقّ واستدلّ على إمامة **عليّ بن أبي طالب** عليه السلام بعد رسول الله صلّى الله عليه ⇦

أمّا في جلالة ووثاقة الشعرانيّ الذي نقلنا هذه المطالب بشأن محيي الدين عن طبقاته ، فيكفي ما وصفه به المحدِّث النوريّ أعلى الله مقامه ، حيث قال : إنّ سماحة سيف الشيعة وبرهان الشريعة ، حامي الدين ، وقامع بدع الملحدين ، العالم المؤيَّد المسدَّد ، المولويّ مير حامد حسين ، ساكن «لكنهو» من بلاد الهند أيّده الله تعالى ، لم يُعرف له مثيل في تَتبّعه واطّلاعه على كتب المخالفين ونقض شبهاتهم ودفع هفواتهم ، خاصّة في مبحث الإمامة ، وقد نقل الحقير في هذا المقام كثيراً من كتابه «استقصاء الإفحام» ، حيث قال في حاشية ذلك الكتاب :

ينبغي العلم أنّ أكابر علماء السنّة من الحنفيّة والشافعيّة والحنبليّة من معاصري الشعرانيّ قد امتدحوا وأطروا كتاب «اليواقيت والجواهر» وأكثروا الثناء عليه . فقد صرّح شهاب الدين بن شلبي الحنفيّ : لقد رأيت حلقات كثيرة من أهل الطريق ، لكنّ أحداً لم يتطرّق إلى معاني هذا المؤلَّف ، وينبغي على كلّ مسلم الاعتقاد بها وترك التعصُّب واللداد .

وقال شهاب الدين الرمليّ الشافعيّ : هذا كتاب لا يمكن إنكار فضله ، ولا يختلف اثنان في أنّه لم يُصنّف مثله .

ويقول شهاب الدين عميرة الشافعيّ بعد مدحه لهذا الكتاب : لا أظنّ أنّ مثيلاً لهذا التأليف العظيم الشأن سيظهر في هذا العصر ـ إلى آخره .

⇦ وآله وسلم **رَزَقَنِي اللَهُ الفَوْزَ بِهِ** . (انتهى كلام الناقل والمنقول عنه).

ولا يبعد كون تأليفه في مناقب **أُولي القربى** مشعراً بصحّة هذه النسبة الجليلة إليه ، مضافاً إلى ما نقلناه من كلامه المتين في تقوية حديث ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام. (انتهى ما نقلناه من «روضات الجنّات» وذلك لأنّ المرحوم المحدِّث القمّيّ أورد جميع هذه المطالب في كتابه «الكنى» نقلاً عن كتاب «روضات الجنّات» . ويقول صاحب «الروضات»: ومن جملة كتبه كتاب : «**ذخائر العقبى في مناقب أُولي القربى**»).

وقال شيخ الإسلام فتوحي الحنبليّ : لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلّا عدوٌّ مرتاب أو جاحد كذّاب .

كما أغرق الشيخ محمّد البرهمتوشيّ الحنفيّ وبالغ في مدح هذا الكتاب بعبارات بليغة ، فقال بعد الحمد والصلاة :

وَبَعْدُ ، فَقَدْ وَقَفَ العَبْدُ الفَقِيرُ إلَى اللَهِ تَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ البَرَهْمُتوشِيُّ الحَنَفِيُّ عَلَى «اليَوَاقِيتِ وَالجَوَاهِرِ فِي عَقَائِدِ الأَكابِرِ» لِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا الإمَامِ العَالِمِ العَامِلِ العَلَّامَةِ المُحَقِّقِ المُدَقِّقِ الفَهَّامَةِ ، خَاتِمَةِ المُحَقِّقِينَ ، وَارِثِ عُلُومِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ ، شَيْخِ الحَقِيقَةِ وَالشَّرِيعَةِ ، مَعْدِنِ السُّلُوكِ وَالطَّرِيقَةِ ، مَنْ تَوَّجَهُ اللَهُ تَاجَ العِرْفَانِ ، وَرَفَعَهُ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ ، مَوْلَانَا الشَّيْخِ عَبْدِ الوَهَّابِ ، أَدَامَ اللَهُ النَّفْعَ بِهِ عَلَى الأَنَامِ ، وَأَبْقَاهُ اللَهُ تَعَالَى لِنَفْعِ العِبَادِ مَدَى الأَيَّامِ ؛ فَإذَا هُوَ كِتَابٌ جَلَّ مِقْدَارُهُ ، وَلَمَحَتْ أَسْرَارُهُ ، وَسَمَحَتْ مِنْ سُحُبِ الفَضْلِ أَمْطَارُهُ ، وَتَاحَتْ فِي رِيَاضِ الفَضْلِ أَزْهارُهُ.[1]

ومع أنّ هذا الثناء الذي كالوه كان لكتاب يواقيته ، إلّا أنّ له دلالة على عظمة المؤلّف وسائر كتبه التي من جملتها كتاب «الطبقات» .

وبالجملة ينبغي العلم : أنّ الصلح الذي أقرّه العلّامة الأمينيّ بين الطائفتين المختلفتين مستشهداً بآية **وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَهُ ٱلْحُسْنَىٰ**[2] سيصحّ لو كان غير أهل التوحيد الشهوديّ والعرفان الوجدانيّ في صدد البحث عن المطلوب ، ولو كانوا في مقام تهذيب النفس وتزكيتها ، وقد خطوا خطوات

١ـ «النجم الثاقب في أحوال الإمام الغائب عليه السلام» ص ١٢٧ ، الباب ٧ ، الطبعة الحجريّة.

٢ـ مقطع من الآية ٩٥ ، من السورة ٤ : النساء .

على طريق السلوك بصدق واستقامة وخضعوا للتربية الصحيحة في الجهاد الأكبر (وهو مجاهدة النفس) ونجحوا في تحمّل هذه المسؤوليّة ؛ كلّ ما في الأمر أنّ التوحيد لم ينكشف بعدُ لديهم ؛ شأنهم في ذلك شأن أبي ذرّ الغفاريّ الذي تخطّى الدرجات والمقامات التوحيديّة لكنّه لم يرقَ إلى مستوى سلمان ودرجته .

أمّا لو لم يكن أُولئكم في مقام تزكية النفس ولم يضعوا أقدامهم في طريق لقاء الله ، ولم يكن الفناء في ذات الله هو الهدف الرئيسيّ لهم في حياتهم الدنيويّة والطبيعيّة ، ولم يكونوا قد جعلوا الجهاد الأكبر في برنامج حياتهم ، وأخيراً لو اكتفوا واقتنعوا من الله باللفظ ، ومن الإيمان بالعبارة ، ومن اللقاء والعرفان بمفهوم ما ـ مهما كانوا من أهل العلم والتقوى ـ فإنّ أمرهم سيكون معلّقاً ، وسيُستوقَفون في المواقف والمراحل التي تلي الموت ، فيُهاب بهم بخطاب : **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ**.[1]

فقد سُبقت هذه الآيات بأُخرى تقول :

ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّـهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ.

ونسأل : ألا يشمل إطلاق وعموم هذه الآيات الكريمة المباركة أُولئك الذين لا يمثّل لقاء الله ورضاه في السرّ والعلن هدفهم الأساس ، والذين اتّخذوا الدين ملهاة الدنيا ، والذين طغى حبّ الرئاسة على نفوسهم وتملّكتهم الرغبة في الازدياد في الجاه والمقام ، ولو في لباس الدين وصورته ؟!

١ـ الآيات ٢٤ إلى ٢٦ ، من السورة ٣٧ : الصافّات.

نعم ! إنّ موقف أُولئك صعب وشاقّ ، وحسابهم عسير ، لأنّ الله العادل لا يجامل أحداً وليس بينه وبين أحد قرابة ! .

وأنّى للظَّلَمة المعتدين أن يدخلوا الجنّة ، ولو لم يعتدوا في الخارج على أموال الناس ونواميسهم ولو أنّهم ـ إذ ظلموا ـ ظلموا أنفسهم وعرّضوها للهجر والحجب ولم يتخطّوا النفس الأمّارة خارجاً ! وأين وُعِدوا الحسنى ؟!

إنّ مجالسنا ومحافلنا ينبغي أن تدور على أساس التوحيد ، وأن يُتلى فيها القرآن ، وأن يجري فيها ذكر الأئمّة عليهم السلام وتبيان فضائلهم في مسيرة التوحيد والعرفان الإلهيّ ؛ لا أن ينحصر الأمر بذكر الأئمّة مع تناسي الله سبحانه ، لأنّ ذكر الأئمّة بدون عنوان المرآتيّة سيتّخذ لنفسه شكلاً استقلاليّاً وسينتهي إلى الغلوّ والارتفاع ، وسنكون قد عبدنا الإمام إن نحن طلبنا منه غافلين في تلك الحال عن الله سبحانه فالإمام طريق ووسيلة ، والله سبحانه هو المقصد والمطلب ؛ وينبغي ألّا يختلط الطريق والوسيلة مع الهدف والقصد فيخرج الأمر إذ ذاك عن صبغة التوحيد .

وحين نواجه الضريح المقدّس (للإمام) فإنّ كلّ ما ندعو به ونطلبه يجب أن يكون من الله سبحانه ، وينبغي أن يكون ما نطلبه من الإمام بعنوان الوساطة والوكالة ، ليتوسّط الإمام في نيلنا حاجاتنا من الله سبحانه . فإن طلبنا من الإمام شيئاً ونسينا الله سبحانه فإنّنا سنكون قد سلكنا سبيل الضلال الذي لا يرتضيه الإمام نفسه ، ولن يستجاب لنا دعاءنا ، إذ سنكون قد وضعنا صنماً أمام الله ، ذلك المعنى الذي نفاه أئمّتنا وينفونه .

لكنّنا لو رغبنا إلى الله في شيءٍ بوسيلتهم ، عارفين بأن الله تعالى هو المعطي وهو المؤثِّر الحقيقيّ ، فإنّ دعاءنا سيستجاب وحاجتنا ستقضى ، وسنكون قد سرنا على صراط التوحيد فلم نتخطّاه بقدم واحدة ، ولم نلوّث

أنفسنا بالغلوّ والشرك .

إنّ كلّ ما نطلبه من نفس الإمام غلوّ وشرك ، وكلّ ما نطلبه من الله بواسطة الإمام توحيد ومعرفة .

ولقد نشأ الإشكال في أمر الشيخ أحمد الأحسائيّ وأتباعه من هذا الجانب ، كما أنّ عرفان عرفائنا الحقيقيّين كان منصبّاً على هذه النكتة الدقيقة ، وعلينا لذلك أن نتسلّح باليقظة التامّة لئلّا تصبح عبادتنا ودعاؤنا وتوسّلنا وزيارتنا تابعة لمذهب الشيخيّة ، وحتّى لا تكون في صورتها العقائديّة الصحيحة منسجمة في باطنها لذلك النسق من الآداب التي لا تمثّل في حقيقتها إلّا الغلوّ والارتفاع المنهيّ عنه في الروايات . علينا أن لا نغفل لئلّا نكون قد قضينا عمراً في البحث عن صحّة ومتانة **أَمْرٌ بَيْنَ الأَمْرَينِ** لكنّنا تردّينا ـ عملاً ـ في فخّ المفوّضة !

النكتة الرابعة :

قال **المحدِّث النوريّ** رحمة الله عليه :

ابن العربيّ المالكيّ مع غاية نصبه وعداوته للإماميّة ، حتّى أنّه يقول في مسامرته : الرجبيّون جمع من أهل الرياضة في شهر رجب ، أكثر كشفهم أن يرون الرافضة في صورة الخنازير.[1]

١ـ «النجم الثاقب» ص ١٢٨ و ١٢٩ الباب ٧ ، الطبعة الحجريّة ؛ ونظير هذا النقل ما ذكره المحدِّث النوريّ في خاتمة «المستدرك» ، ج ٣ ، ص ٤٢٢ ، في الفائدة الثالثة ، الطبعة الرحليّة حيث يتصدّى بحزم للردّ على الحكيم الإلهيّ صدر المتألّهين الشيرازيّ فيُثير ضجّة فارغة بلامحتوى، فيقول:

لماذا يمتدح الملّا صدرا محيي الدين **مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ فِي عُلَمَاءِ العَامَّةِ وَنَوَاصِبِهِمْ أَشَدَّ نَصْباً مِنْهُ** ؟ حتّى يصل إلى القول:

وقد صرّح محيي الدين أيضاً بأنّ أصل الضلالات من الشيعة ، وصرّح في كتاب ⇦

يقول **محيي الدين بن عربي** في «المحاضرات والمسامرات» : **خبر الأربعين الرجبيّين والأبدال:**

اعلم أنّ للّه أربعين رجلاً من خلقه ، ينظر إليهم فيأخذهم عن حركاتهم فيقعدهم لا يستطيعون حراكاً في شهر رجب كلّه ، من أوّله إلى آخره . وما عندهم خبر من حالهم ولا ممّا يرد عليهم غير ما عرّفهم الحقّ به في تلك الأخذة ، وذلك في كلّ سنة . فإذا انقضى الشهر لم يبق عند الرجل منهم خبر من حال غير ما كان عرفه ، ولا يبقى له كشف ولا اطّلاع ولا نداء من ذلك العالم ولا شيء ، إلى أن يستهلّ رجب فيرجع عليهم تلك الحال . فلا يزال بهم إلى انقضاء الشهر ، فيرون من العجائب في تلك الحال من الكوائن إلى ما شاء الله . غير أنّ بعضهم قد يبقى معه في طوال السنة علامة مقصورة على إدراك أمرٍ ما ، لا غير .

وَقَدِ اجْتَمَعْنا بِرَجُلٍ مِنهُمْ فِي شَهْرِ رَجَبٍ وَهُوَ مَحْبُوسٌ فِي بَيْتِهِ قَدْ حَبِسَتْهُ هَذِهِ الحَالَةُ وَهُوَ بَائِعٌ لِلْجَزَرِ وَالخُضَرِ العَامَّةِ ، غَيْرَ أَنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ

⇦ «مسامرة الأبرار» بأنّ الرجبيّين جماعة مشغولون برياضةٍ من آثارها أنّهم يرون الروافض بصورة الخنزير.

وسيتّضح بما نورد من مسامراته في هذا الباب أنّ هذه النسبة له غير صحيحة وأنّ تغييراً قد حصل في كلامه في جهات خمس.

فلقد أورد محيي الدين في فتوحاته ،ج ٢ ، ص ٨ ، ضمن الباب ٧٣ ، عين كلامه الذي أورده في «المسامرات» مع فارق أنّ شخصاً من أهل الكشف صادفه فقال له : إنّني أرى الروافض من أهل الشيعة في جميع السنة على صورة الخنازير . ومع أنّنا ذكرنا بأنّ المراد بالروافض هم الخوارج ، وخاصّة أنّه لا يقول هنا «الشيعة والروافض» فيعطف الروافض على الشيعة، بل يقول : «الروافض من الشيعة» ، فيتّضح أنّ مراده بالروافض من الشيعة طائفة انفصلت من الشيعة واتّبعت مذهب النصب والانحراف ، وهو ممّا ينطبق بشكل تامّ على الخوارج الذين يعيشون في مناطق المغرب.

حَالَتِهِ فَأَخْبَرَنِي بِكَيْفِيَّتِهَا عَلَى مَا كَانَ عِلْمِي فِيهَا ؛ وَكَانَ يُخْبِرُ بِعَجَائِبَ.

فَسَأَلْتُهُ: هَلْ يَبْقَى لَكَ عَلَامَةٌ فِي شَيءٍ ؟ قَالَ : «نَعَمْ ! لِي عَلَامَةٌ مِنَ اللَهِ فِي الرَّافِضَةِ خَاصَّةً ؛ أَرَاهُمْ فِي صُورَةِ الكِلَابِ لَا يَسْتَتِرُونَ عَنِّي أَبَداً». وَقَدْ رَجَعَ مِنْهُمْ عَلَى يَدِهِ جَمَاعَةٌ مَسْتُورُونَ لَا يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ إلَّا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ عُدُولٌ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِمْ فَرَجَعُوا وَتَابُوا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ مِمَّا لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِهِمْ خَبَرُهُ. [1]

وحريٌّ بنا قبل خوض البحث في **أنّ المراد بالروافض في هذه الحكاية هم الخوارج لا الشيعة الإماميّة** أن نبحث في عبارة المحدِّث النوريّ التي ظهر في عباراتها القصار خمسة أخطاء واشتباهات .

الأُولى : أنّه عدّ محيي الدين من أهل النصب ، والنصب بمعنى العداء لأهل البيت وذرّيّة رسول الله والأئمّة المعصومين عليهم الصلاة والسلام . **فالناصبيّ** يقال لمن نصب العداوة للآل ، كمروان بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، وأغلب بني أُميّة ، وجميع الخوارج .

أفليست هذه التهمة لمحيي الدين ظالمة وغير مُستساغة مع درجته تلك من الودّ والحبّ للأئمّة المعصومين وأهل بيت الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلم ؟! هذه الحقيقة المشهودة في جميع كتبه إلى الدرجة التي عدّه معها الكثير من أعاظم المذهب وأساطينه فرداً شيعيّاً .

وكما مرّ سابقاً فقد أنشد هذين البيتين في الولاء لآل طه :

رَأَيْتُ وَلَائِي آلَ طَه وَسِيلَةً

لِأُرْغِمَ أَهْلَ البُعْدِ يُورِثُنِي القُرْبَى

١ـ «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» ج ١ ، ص ٢٤٥ و٢٤٦ ، الطبعة الأُولى ، سنة ١٣٢٤ هجريّة، مطبعة السعادة ، مصر.

فَمَا طَلَبَ المَبْعُوثُ أَجْراً عَلَى الهُدَى
بِـتَبْلِيغِهِ إلَّا المَـوَدَّةَ فِـي القُـرْبَى[1]

فأيّة عبارة أو إشارة شاهدها المرحوم النوريّ في كتبه فجعلها دلالة أو إشارة على نصبه ؟!

الثانية : أنّه عدّه من أهل العداء للإماميّة ، وهو أمر لا يتعدّى بدوره كونه اتّهاماً فحسب . فقدكان الإماميّة وهم أتباع وشيعة الأئمّة الاثني عشر موضع احترامه وتقديره ، ولقد نوّه كثيراً بأئمّة الشيعة في الموارد المختلفة ، سواء في «الفتوحات» أو في «المحاضرات» ؛ ومن هنا فإنّ نسبة العداء للإماميّة إليه نسبة غير مستساغة ، وعلى المحدِّث النوريّ أن يورد أدلّة وشواهد عليها من تلك الكتب ، **وَأَنَّى لَهُ ذَلِكَ !**[2]

١ـ وقد مرّ البيتان ، نقلاً عن «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٥ ، وأصلها في «مجالس المؤمنين» المجلس السادس ، ج ٢ ، ص ٢٨١ ؛ حيث أوردها القاضي نور الله وقال:

ومن أشعار الشيخ في مدائح آل طه ، هذان البيتان المسطوران في «الإحياء».

قال بعض الأصدقاء : أذكر أنّ هناك قصيدة كانت موضوعة في إطار زجاجيّ ومثبّتة على الحائط المجاور لقبر محيي الدين ، وكان هذان البيتان من ضمن تلك القصيدة.

٢ـ نورد هنا ـ دفاعاً عن محيي الدين لكثرة مودّته وولائه لأهل البيت ـ مختصراً ممّا ذكره في الباب التاسع والعشرين من «الفتوحات» ج ١ ، ص ١٩٥ إلى ١٩٩ ، طبعة دار الكتب العربيّة، مصر ، لتتّضح درجة عشقه وولهه بأهل البيت . وكان هذا المطلب بالشكل الذي قال عنه الملّا محسن الفيض الكاشانيّ في كتاب «بشارة الشيعة» ص ١٥٢ ،الطبعة الحجريّة، في معرض ردّه وتخطئته لابن العربيّ في تفسير آية التطهير لأهل البيت بأنّه ممّا **لَا يَجُوزُ أَنْ يُحْكَى، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُطْوَى وَلَا يُرْوَى** . أمّا خلاصة وإجمال مطلب محيي الدين فهو: في معرفة سرّ سلمان الذي ألحقه النبيّ بأهل البيت ، يقول:

اعلم أيّدك الله أنّا روينا من حديث جعفر بن محمّد الصادق ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن أبي طالب، عن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال : **مَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ** .وخرّج الترمذيّ عن ⇦

....

⇦ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أنّه قال : **أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَهِ وَخَاصَّتُهُ**. حتّى يصل إلى قوله:

ولمّا كان رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عبداً محضاً ، قد طهّره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس ـ وهو كلّ ما يُشينهم ـ فإنّ الرجس هو القذر عند العرب ، هكذا حكى الفرّاء ؛ قال الله تعالى : **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**. فلا يُضاف إليهم إلا مطهّر ولابدّ ، فإنّ المضاف إليهم هو الذي يشبههم ، فما يضيفون لأنفسهم إلّا من له حكم الطهارة والتقديس.

فهذه الشهادة من النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم لسلمان الفارسيّ بالطهارة والحفظ الإلهيّ والعصمة ، حيث قال فيه رسول الله : **سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ** . وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم . وإذا كان لا يضاف لهم إلّا مطهّر مقدّس وحصلت له العناية الربّانيّة الإلهيّة بمجرّد الإضافة ، فما ظنّك بأهل البيت في نفوسهم ! فهم المطهّرون ، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدلّ على أنّ الله تعالى قد شرك أهل البيت مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في قوله تعالى : **لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** . وأيّ وسخٍ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ ؟! فطهّر الله سبحانه نبيّه بالمغفرة ممّا هو ذنب بالنسبة إلينا.

حتّى يقول : فدخل الشرفاءُ أولادُ فاطمة كلّهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسيّ إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهّرون اختصاصاً من الله وعناية بهم لشرف محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعناية الله به . ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلّا في الدار الآخرة فإنّهم يُحشرون مغفوراً لهم ، وأمّا في الدنيا فمن أتى منهم حدّاً أُقيم عليه ، كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أو شرب أُقيم عليه الحدّ مع تحقّق المغفرة ، كماعز [هو ماعز بن مالك الأسلميّ: وقد تواتر عن المسلمين أنّ النبيّ صلىّ الله عليه وآله رجمه ـ م] وأمثاله ولا يجوز ذمّه.

وينبغي لكلّ مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن يصدِّق الله تعالى في قوله : **لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ، فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أنّ الله تعالى قد عفا عنهم فيه . فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمّة بهم ، ولا ما يشنأ أعراض مَن قد شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم ؛ لا بعملٍ عملوه ولا بخيرٍ قدّموه ، بل بسابق عنايةٍ من الله بهم . **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ** . ⇦

....

⇦ وإذا صحّ الخبر الوارد في سلمان الفارسيّ فله هذه الدرجة. فإنّه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع وتلحق المذمّة بعامله، لكان مضافاً إلى أهل البيت مَنْ لم يذهب عنه الرجس، فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أُضيف لهم وهم المطهّرون بالنصّ. فسلمان منهم بلاشكّ فأرجو أن يكون عقب عليّ وسلمان تلحقهم هذه العناية كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم وموالي أهل البيت، فإنّ رحمة الله واسعة يا وليّ.

وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة، وهي أن يشرّف المضاف إليهم بشرفهم، وشرفهم ليس لأنفسهم وإنّما الله تعالى هو الذي اجتباهم وكساهم حلّة الشرف. فكيف يا وليّ الله بمن أُضيف إلى من له العناية والمجد والشرف لنفسه وذاته، فهو المجيد سبحانه وتعالى، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة. قال تعالى لإبليس: **إِنَّ عِبَادِى** فأضافهم لنفسه، **لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ**. وما نجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السُّعداء خاصّة، وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد، فما ظنّك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيّدهم، الواقفين عند مراسمه؛ فشرفهم أعلى وأتمّ، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام، ومن هؤلاء الأقطاب ورث سلمان شرف مقام أهل البيت، فكان رضي الله عنه من أعلم الناس بما للّه على عباده من الحقوق، وما لأنفسهم والخلق عليهم من الحقوق، وأقواهم على أدائها. وفيه قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: **لَوْ كَانَ الإيمَانُ بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ فارْسٍ**. (وأشار إلى سلمان الفارسيّ).

حتّى يصل إلى قوله: وبعد أن تبيّن لك منزلة أهل البيت عند الله وأنّه لا ينبغي لمسلم أن يذمّهم بما يقع منهم أصلاً فإنّ الله طهّرهم، فليعلم الذامّ لهم أنّ ذلك راجع إليه، ولو ظلموه، فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر وإنْ حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم إيّانا في نفس الأمر يشبه جري المقادير علينا وعلى من جرت عليه في ماله ونفسه بغرق أو بحرق أو غير ذلك من الأُمور المهلكة، فيحترق أو يموت له أحد أحبّائه أو يصاب في نفسه، وهذا كلّه ممّا لا يوافق غرضه ولا يجوز له أن يذمّ قدر الله ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كلّه بالتسليم والرضا؛ وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإنّ في طيّ ذلك نعماً من الله لهذا المصاب، وليس وراء ما ذكرناه خير فإنّ ما وراءه ليس إلّا الضجر والسخط وعدم الرضا وسوء الأدب مع الله. فكذا ينبغي ⇦

....

⇦ أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله ونفسه وعرضه وذويه، فيقابل ذلك كلّه بالرضا والتسليم والصبر ولا يلحق المذمّة بهم أصلاً وإن توجّهت عليه الأحكام المقرّرة شرعاً ، فذلك لا يقدح في هذا بل يجريه مجرى القدر.

حتّى يصل إلى القول : قال المحبّ الصادق : وكلّ ما يفعله المحبوب محبوب؛ وجاء باسم الحبّ فكيف حال المودّة ! ومن البشرى ورود اسم الودود للّه تعالى ولا معنى لثبوته إلّا حصول أثره بالفعل في الدار الآخرة وفي النار لكلّ طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم.

وقال الآخر في هذا المعنى:

أُحِبُّ لِـحُبِّها السُّـودانَ حـتَّى أُحِبُّ لِـحُبِّها سـودَ الكِـلابِ

وقال :

أُحِبُّ لِحبِّك الحُـبْشانَ طُـرَّاً وأعْشِقُ لِاِسْمك البَدْرَ المُنيرا

حتّى يقول : وإذا رأيناك على ضدّ هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت محتاج إليهم ولرسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حيث هداك الله به ، فكيف أثق أنا بودّك الذي تزعم أنّك شديد الحبّ فيّ وفي رعايتي لحقوقي أو جانبي ، وأنت في حقّ أهل بيت نبيّك بهذه المثابة من الوقوع فيهم ؟ والله ما ذاك إلّا من نقص إيمانك ومن مكر الله بك واستدراجه إيّاك من حيث لا تعلم ! وصورة المكر أن تقول وتعتقد أنّك في ذلك تذبّ عن دين الله وشرعه وتقول في طلب حقّك إنّك ما طلبتَ إلّا ما أباح الله لك طلبه ، ويندرج الذمّ في ذلك الطلب المشروع والبغض والمقت وإيثارك لنفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك.

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقّاً وتنزل عن حقك لئلّا يندرج في طلبه ما ذكرتُه لك ، وما أنت من حكّام المسلمين حتّى يتعيّن عليك إقامة حدّ أو إنصاف مظلوم أو ردّ حقّ إلى أهله ، وإن كنت حاكماً ولابدّ فاسعَ في استنزال صاحب الحقّ عن حقّه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت ، فإن أبى فحينئذٍ يتعيّن عليك إمضاء الشرع فيه. فلو كشف الله لك يا وليّ عن منازلهم عند الله في الدار الآخرة لوددت أن تكون مولىً من مواليهم. فالله يلهمنا رشد أنفسنا فانظر ما أشرف منزلة سلمان رضي الله عنه وعلى جميع الصحابة!

حتّى يصل إلى قوله : ومن أسرار الأقطاب علم المكر الذي مكر الله بعباده في بعضهم مع دعواهم حبّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وفرض سؤاله المودّة في القربى ، ⇦

ومن الواضح أنّ نسبة النصب ومعاداة الإماميّة هذه لا شأن لها بعبارته بشأن الرجبيّين ورؤية ذلك الرجل الرجبيّ لهم بصورة الكلاب ، وذلك لأنّه يقول : محيي الدين العربيّ المالكيّ مع غاية نصبه وعداوته للإماميّة، حتّى أنّه يقول في مسامرته : ... ونُعرض الآن عن عبارة «المسامرة» على أن نناقشها فيما بعد .

ففي أيّة عبارة ، وفي أيّ بيت من الشّعر ، وفي أيّ كتاب من كتب محيي الدين العديدة يلوح العداء للإماميّة ؟ ومن ثمّ فإنّ هذه النسبة ـ بدورها ـ غير صحيحة .

الثالثة والرابعة : قوله : «الرجبيّون جماعة من أهل الرياضة في شهر رجب ، أكثر كشفهم أن يرون الرافضة في صورة الخنازير» .

ومشهود في هذه العبارة تعبير «أكثر كشفهم» ، وثانياً تعبير «كشفهم»

⇦ وهو صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من جملة أهل البيت ، فما فعل أكثر الناس ما سألهم فيه رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عن أمر الله ، فعصوا الله ورسوله ، وما أحبّوا من قرابته إلّا من رأوا منه الإحسان ؛ فبأغراضهم أحبّوا وبأنفسهم تعشّقوا . (وهذا من جملة المكر الذي ابتلي به الناس).

نعم ! إنّ عقيدتنا هي أنّ المراد بأهل البيت خصوص المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام الذين نزلت آية التطهير في شأنهم ؛ ومن هنا فلا داعي لهذه التفصيلات الواردة في كلام محيي الدين، ولكن نظراً لأنّه يعتبر مصطلح «أهل البيت» شاملاً لجميع أولاد ونسل الحسنين وأمير المؤمنين عليهم السلام إلى يوم القيامة ، فقد أُجبر على إيراد بحث مفصّل كهذا.

فانظروا الآن : أمِنَ اللائق أن تُلصق التهمة بالنصب والعداء لأهل البيت بمن يدّعي وجوب مراعاة جميع الأُمّة إلى يوم القيامة لحقوق السادات إلى هذه الدرجة ، وأنّ عليهم التنازل عن حقوقهم بشكل كامل أمامهم ، وأن يكون فخرهم أن يعدّوا أنفسهم موالي وأرقّاء للسادات ؟! **سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ !**

بالجمع ، مع أنّنا رأينا في العبارة المنقولة عن محيي الدين قوله :

«وقد اجتمعنا برجل منهم ... وهو بائع للجزر والخُضر العامّة ...» ، أي أنّه قد رأى لمرّة واحدة من بين الرجبيّين الأربعين واحداً منهم فقط ؛ فحُرّف ذلك في عبارة المحدِّث النوريّ فتبدّل لفظ «الرؤية الواحدة» إلى لفظ «أكثر» ، و«ذلك الرجل الواحد» إلى «جماعة» .

الخامسة : أنّ عبارة ذلك الرجل الرجبيّ في مكاشفته كانت مشاهدة الروافض في صورة الكلاب ، فغيّرها المحدِّث النوريّ في نقله إلى صورة الخنازير . ومعلوم أنّ الخنزير أسوأ وأقبح ، لأنّ الكلب يمتلك صفة الافتراس بينما يمتلك الخنزير صفة عدم الغيرة وعبادة الشهوة ، ولم نجد أحداً سبق أن ترجم الكلاب إلى الخنازير .[1]

وها قد حانت النوبة لأصل مكاشفة ذلك الرجل الرجبيّ الذي رأى الرافضة مرّة واحدة في صورة الكلاب ، فتلك المكاشفة صحيحة وليست مخطئة ، بَيدَ أنّ المراد من الروافض كان الخوارج لا طائفة الإماميّة .

ومن المعلوم أنّ الخوارج يمتلكون ـ كالكلب ـ صفة السبُعيّة والوحشيّة فظهروا لذلك الرجل في المكاشفة المعنويّة على هيئتهم الحقيقيّة .

١ـ جاء في «الفتوحات» أنّ ذلك الرجل قد شاهد الروافض في رجب على هيئة الخنازير، وأنّ هذا الحال قد ظلّ باقياً له طيلة السنة . وبين هذا الكلام والكلام الذي حكيناه عن «المحاضرات» اختلاف . ومحطّ إشكالنا على الحاجّ النوريّ رحمة الله عليه عبارته المنقولة عن «المحاضرات» ، لأنّه لم ينقل عبارته عن «الفتوحات» . وهذا الإشكال لا يرد على عبارة «الفتوحات» التي ورد التعبير فيها بالخنازير والتي لم تكن لدفعة واحدة . ولكن بناء على نقله من «المسامرات» ـ مع كونه خرِّيت فنّ الحديث والنقل والتأريخ ـ فإنّ الإشكالات الخمسة ترد عليه.

ودليلنا على أنّ المراد بالروافض في هذه العبارة هم الخوارج ، ثلاثة أُمور :

الأوّل : أنّه يشاهد في الكثير من عبارات العامّة استخدامهم عبارة الروافض في خصوص الخوارج ، لا في خصوص الشيعة ؛ وهي حقيقة مشهودة لكلّ من يمتلك اطّلاعاً على كتبهم في التأريخ والسير .

الثاني : أنّ محيي الدين كان من أهل المغرب ، فقدكانت ولادته في إشبيلية والأندلس ، أي في أسبانيا ، وهناك جماعة من الخوارج ، بل الكثير منهم يتركّزون في الجزائر ومراكش بواسطة السفر والإقامة هناك ، وكذلك على أثر دعوة **عِكْرَمَة** مولى عبد الله بن عبّاس ، الذي كان ينسب عبد الله ابن عبّاس وعبد الله بن مسعود إلى الكذب على رسول الله ، وكان رجلاً كاذباً ومتباهياً يمتلك ممارسة واطّلاعاً وإلماماً كافياً في التأريخ والحديث وكان متضلّعاً في التفسير كذلك ، لكنّه كان من الخصوم الألدّاء لأمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت له يد كبيرة في حرف الناس عن مقام الولاية وفي تبديل الولاية الحقّة إلى الشجرة الملعونة ، وكان يسوق ـ بتحريف الروايات والتحريف في تفسير الآيات ـ جمعاً كثيراً من أهل المغرب إلى عقيدة الخوارج ، بحيث صار الخوارج المتواجدون اليوم في تلك النواحي يعدّون من الآثار المشؤومة المنحوسة والقبيحة لتربية عِكْرَمَة .[1]

أمّا التشيّع فلم يكن قد وضع قدمه أوّل الأمر في تلك النواحي ، مضافاً إلى ذلك أنّ فتح الأندلس كان على يد بني أُميّة ، وكان الحفاظ عليه على يد

١ـ جاء تأريخ وهويّة عكرمة بشكل مختصر في الدرس ٤٠ إلى ٤٥ ، في الجزء الثالث من «معرفة الإمام» ، دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، ص ٢١٠ إلى ص ٢١٤ .

آخر أُسرهم ، كما استمرّ أعقاب مروان الحمار في الحكم هناك أعواماً متمادية .

ولقد كان أهل المغرب من أتباع المذهب **المالكيّ** وكان الشيخ محيي الدين مالكيّاً أيضاً ، وولد وترعرع في عائلة مالكيّة ، لذا فإنّ التعبير عن الخوارج بلفظ الروافض في تلك البلاد غير الشيعيّة أمرٌ قريب من الواقع ، بل إنّه أمر متعيّن من هذه القرائن .

الثالث : أنّنا لو غضضنا الطرف عن جميع كتب محيي الدين ، فإنّ في نفس كتاب «المحاضرات» الذي نقل عنه المحدِّث النوريّ هذه القصّة ، الكثير من الروايات والحكايات والشواهد التأريخيّة للقدر الذي يستحيل به معها احتمال حمل لفظ الروافض على الشيعة .

أي أنّ من يطالع «المسامرات» يصل إلى هذا الموضع فيدور في خياله تصوّر معنى الروافض لطائفة الشيعة فإنّه سيتسمّر في مكانه مذهولاً .

فما الذي يعني هذا ؟ لقد قال بنفسه قبل عدّة أوراق فقط :

وَلَا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ؛ كُلُّهُمْ كَبِيرٌ لَيْسَ فِيهِمْ صَغِيرٌ .

وقد ذكر محيي الدين نفسه هذه العبارة ضمن قصّة بهذا النحو :

خَلِيفَةُ عَدْلٍ ، قَضَاءُ وَاجِبٍ حَقٍّ وَفَصْلٍ :

كان هناك قبل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم نبيّ يقال له خالد بن سنان[1] ، جاءت ابنته إلى رسول الله فانتسبت له ، فقال لها : **مَرْحَباً بِابْنَةِ نَبِيٍّ أَضَاعَهُ قَوْمُهُ .** ثمّ قام نبيّنا ببيان قصّة ذلك النبيّ .

١ـ يعتقد محيي الدين أنّ خالد بن سنان العبسيّ كان من الأنبياء ، وقال عنه : كان من وُلد إسماعيل ، وقد أدركت ابنته النبيّ . وقد أورد محيي الدين قصّته في «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» ، ج ١ ، ص ٧٧.

وكان من عادة رسول الله أن يقول : **إذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ.**[1] **وَلَا كَرِيمَ أَكْرَمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ؛ كُلُّهُمْ كَبِيرٌ لَيْسَ فِيهِمْ صَغِيرٌ.**

رُوي لنا عن عمران قال : حدّثنا عيسى عن ضُمَرة أنّه قال :

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ لِبَعْضِ وُلْدِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَقِفْ عَلَى بَابِي سَاعَةً وَاحِدَةً إلَّا سَاعَةً تَعْلَمُ أَنِّي فِيهَا جَالِسٌ فَيُؤْذَنُ لَكَ عَلَيَّ وَقْتٌ تَأْتِي فَافْعَلْ ، فَإنِّي أَسْتَحِي مِنَ اللهِ أَنْ تَقِفَ عَلَى بَابِي فَلَا يُؤْذَنُ لَكَ ![2]

وسؤال معاوية ضراراً كي يصف له عليّاً عليه السلام ، قال : أوَ تعفيني ؟ قال : لا أُعفيك !

قال : **أَمَّا إذْ لَابُدَّ ، إنَّهُ وَاللهِ كَانَ بَعِيدَ المَدَى ، شَدِيدَ القُوَى** ... ثمّ يسرد قدر صفحة من حالات الإمام عليه السلام ويقول في آخرها : **آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ**. فذرفت دموع معاوية ، فما ملكها وهو ينشّفها بكمّه ، وقد اختنق القوم بالبكاءِ ـ إلى آخر القصّة التي يذكرها.[3]

١ـ ورد في «مستدرك الحاكم» [المستدرك للصحيحين] ج ٤ ، ص ٢٩١ و٢٩٢ ، طبعة دائرة المعارف النظاميّة ، حيدر آباد ، سنة ١٣٤٢ : روى جابر قال:

دخل جرير على رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعنده أصحابه ، وضنّ كلّ رجل بمجلسه ، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم رداءَه فألقاه إليه فتلقّاه بنحره ووجهه وقبّله ووضعه على عينيه وقال : **أَكْرَمَكَ اللهُ كَمَا أَكْرَمْتَنِي !** ثمّ وضعه على ظهر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم. فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم : **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَإذَا أَتَاهُ كَرِيمُ قَوْمٍ فَلْيُكْرِمْهُ. (هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يُخرجاه بهذه السياقة).**

٢ـ «المحاضرات» ج ١ ، ص ٢٣٨.

٣ـ «المحاضرات» ج ٢ ، ص ١٣٧ ؛ والذين نقلوا هذه القصّة عن ضرار وأثبتوها ⇦

. . . .

⇦ في كتبهم كثيرون ، ومن جملتهم السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» ص ٦٧٣ ، الطبعة الحجريّة، الباب ١٣١ ، الحديث السادس ، عن «نهج البلاغة» عن ضرار بن ضمرة الضبابيّ ؛ وعن ابن أبي الحديد في «الشرح» عن كتاب عبد الله بن إسماعيل في التذييل علـى «نـهج البلاغة» عن ضرار ؛ وكذلك في الحديث السابع عن ابن أبي الحديد عن ابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب» الباب ١٣٢ . وأوردها أيضاً في ص ٦٧٤ عن طريق الخاصّة عن ابن شهرآشوب فى الحديث الثاني . ونقلها كذلك محمّد بن طلحة الشافعيّ فى كتاب «مطالب السئول» ص ٣٣، الطبعة الحجريّة ؛ والزرنديّ في كتاب «نظم درر السمطين» فـي القسـم الأوّل مـن السمط الأوّل ص ١٣٤ و ١٣٥ عن أبي صالح ؛ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١ ، ص ٨٤، بإسناده عن محمّد بن السائب الكلبيّ ، عن أبي صالح ؛ والشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ في كتاب «ينابيع المودّة» الباب ٥٠ ، ص ١١٤ ، طبعة مطبعة اختر ، إسلامبول ، سنة ١٣٠١ ، وفي الباب ٥٦ ، ص ٢١٦ ؛ والشيخ الصدوق فـي كتاب «الأمـالي» ص ٣٧١ ، الطـبعة الحـجريّة؛ والمجلسيّ في «بحارالأنـوار» ج ٤١ ، ص ١٢٠ الطـبعة الحـروفيّة الحـيدريّة ، عـن «إرشـاد القلوب» للديلميّ ؛ وابن حجر الهيتميّ في كتاب «الصواعق المحرقة» طبعة مكتبة الهدى، النجف، ومكتبة المرتضويّ ، طهران ، الفصل ٣ ، من الباب ٩ ، ص ٧٨ ، وابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب» ج ٣ ، ص ١١٠٧ و ١١٠٨ طبعة مطبعة ومكتبة النهضة ، مصر ، في ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام ، تحت الرقم ١٨٥٥ ، يروون جميعاً عن ضرار.

ولكنّ المحدِّث القمّيّ تفرّد برواية هذه القصّة في «سفينة البحار» ص ١٧٠ ، الطبعة الحجريّة، عن كتاب «المحاسن والمساوئ» لإبراهيم بن محمّد البيهقيّ ، أحد أعلام القـرن الثالث ـ وهذا الكتاب أُلِّف أيّام المقتدر العبّاسيّ ـ وذلك عن عدي بن حاتم الطـائيّ بـهذا النحو:

رُوِيَ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ حَاتِـمٍ دَخَـلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُـفْيَانَ . فَقَالَ : يَا عَـدِيُّ ! أَيْـنَ الطَّرَفَاتُ ؟! ـ يَعْنِي بَنِيهِ طَرِيفاً وَطَارِفاً وَطَرْفَةَ ـ قَالَ : قُتِلُوا يَوْمَ صِفِّينَ بَيْنَ يَـدَيْ عَـلِيِّ بْـنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَقَالَ : مَا أَنْصَفَكَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ إذْ قَدَّمَ بَنِيكَ وَأَخَّرَ بَنِيهِ ! قَالَ : بَلْ مَا نَصَفْتُ عَلِيّاً إذْ قُتِلَ وَبَقِيتُ .

دور از حريم كوى تو شرمنده ماندهام شرمنده ماندهام كه چرا زنده مـاندهام

يقول : «بقيتُ خَجِلاً بعيداً عن حريم حيّك ، خجلاً إذ كيف بقيتُ بعدك حيّاً». ⇦

وبيانه الانتقاد لمعاوية على لسان الواردين عليه ، فيروي مثلاً بسنده عن أبي بكرة أنّه ورد عليه فقال له :

اتَّقِ اللَهَ يَا مُعَاوِيَةُ ! وَاعْلَمْ ! أَنَّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَخْرُجُ عَنْكَ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ تَأْتِي عَلَيْكَ ، لَا تَزْدَادُ مِنَ الدُّنْيَا إلَّا بُعْداً وَمِنَ الآخِرَةِ إلَّا قُرْباً ، وَإنَّ عَلَى أَثَرِكَ طَالِباً لَا تَفُوتُهُ ، وَقَدْ نَصَبَ لَكَ عَلَماً لَا تَجُوزُهُ . فَمَا أَسْرَعَ مَا تَبْلُغُ وَمَا أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَكَ الطَّالِبُ ! وَأَنَا وَمَنْ نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتَ زَائِلٌ ؛ وَالَّذِي نَحْنُ إلَيْهِ صَائِرُونَ بَاقٍ . إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ وَإنْ شَرَّاً فَشَرٌّ ![1]

كما يروي محيي الدين في «المحاضرات» عن الإمام الصادق عليه السلام فيقول تحت عنوان :

مَنْ عَمِلَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ : كُلُّ أَمْرٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِذِكْرِ اللهِ فَهُوَ أَجْذَمُ :

⇦ قال : **صِفْ لِي عَلِيّاً** ... حيث نقل الرواية من هذا الموضع إلى آخرها بنفس العبارات التي نقلها الآخرون عن ضمرة.

وقد أورد البيهقيّ هذا الخبر بتمامه كما حكاه المحدِّث القمّيّ ، وذلك في كتابه «المحاسن والمساوئ» ج ١ ، ص ٧٢ و٧٣ : طبعة مصر ، مطبعة النهضة . ويقول محقّق الكتاب محمّد أبو الفضل إبراهيم في تعليقته عليه : أورد هذا الخبر في كتاب «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ٢١٢ ، وأورده المسعوديّ في «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٤٣٣ .

وقد نقل في نفس الكتاب ، ص ٧٠ و ٧١ هذا المضمون بشكل أكثر اختصاراً عن ابن عبّاس : أنّه دخل على معاوية ـ إلى آخره.

وقد بيّن الحقير ذلك مفصّلاً في مواعظ اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك لسنة ١٣٩٠ هجريّة قمريّة ، في مسجد القائم بطهران ، ضمن بحوث قرآنيّة جاءت في ص ٣٤٨ و ٣٤٩ من النسخة الخطّيّة ، ولكن لم نوفّق لطباعتها حتّى الآن ؛ آمل أن تُذكر فيما بعد في موضع مناسب إن شاء الله تعالى.

١ـ «المحاضرات» ج ٢ ، ص ١٣٨ .

روينا من حديث الدينوريّ أنّه قال : أخبرنا محمّد بن موسى عن أبيه أنّه قال : **سَمِعْتُ الأَصْمَعِيَّ يَقُولُ** : قال حميد الطويل : ما صحبت ثابت البنانيّ في حاجة إلّا وابتدأ بقول : **سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَاللَهُ أَكْبَرُ** ، ثمّ يذكر حاجته .

وروينا من حديثه أيضاً ، عن يزيد بن إسماعيل ، عن قبيصة ، عن سفيان الثوريّ :

إنَّ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ قَالَ لَهُ :إذَا جَاءَكَ مَا تُحِبُّ فَأَكْثِرْ مِنَ الحَمْدِ لِلَّهِ ، وَإذَا جَاءَكَ مَا تَكْرَهُ فَأَكْثِرْ مِنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَهِ ، وَإذَا اسْتَبْطَأْتَ الرِّزْقَ فَأَكْثِرْ مِنَ الاسْتِغْفَارِ !

قَالَ سُفْيَانُ : فَانْتَفَعْتُ بِهَذِهِ المَوَاعِظِ .

وأما مُسلم بن الحجّاج فقد أورد في صحيحه أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم **كَانَ يَقُولُ فِي السَّرَّاءِ : الحَمْدُ لِلَّهِ المُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ ، وَكَانَ يَقُولُ فِي الضَّرَّاءِ : الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .**[1]

وبصورة عامّة فإنّ علينا الابتعاد عن التعصّب في غير محلّه في القول والعمل ؛ فقد عبّر القرآن عنه بـ «الحميّة الجاهليّة»[2] . وكما أنّ الشيعة يبرمون ويسأمون من تهم العامّة وبهتانهم لهم الذي يفتعلونه بلا دليل ، فإنّ السنّة يبرمون ـ بدورهم ـ ويسأمون من افتعال الخصومة ومن إلصاق التهم المستهجنة بهم .

إنّ الشيعة سيقتربون من نهج أمير المؤمنين عليه السلام ومدرسته

١ـ «المحاضرات» ج ٢ ، ص ٢٨٠ و ٢٨١ .

٢ـ جاء في صدر الآية ٢٦ ، من السورة ٤٨ : الفتح : **إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ** .

بالقدر الذي يبتعدون فيه عن العصبيّة الجاهليّة ، فذلك النهج هو نهج الحقّ وبعيدٌ عن الإفراط والتفريط كليهما . فإن قبلنا لا سمح الله أن نكيل التهم والشتم لهم بقدر معيّن من أجل إثبات حقّانيّة نهجنا ومذهبنا ، فإنّنا سنكون قد صرنا من السنّة بنفس ذلك القدر ؛ ولو أنّهم كفّوا عن بُهتانهم لنا فصرّحوا بعين الحقّ وأثبتوه في كتبهم بقدر معيّن ، لصاروا من الشيعة بنفس ذلك القدر أيضاً .

ولو شئنا ـ من أجل صاحب الولاية ـ أن نفتري شيئاً ونُلصقه بهم ، فإنّ صاحب الولاية بنفسه سيستوقفنا في أوّل مواقف عرصة القيامة فيؤاخذنا ؛ ناهيك عن ذلك الشخص الذي نسبنا إليه تلك الفرية .

نعم ، لقد طال بنا الكلام حول هويّة محيي الدين وشخصيّته ، لكنّها كانت إطالة ممتدحة ومقبولة ؛ وذلك لأنّ هذا الرجل صاحب الفضيلة قد ظُلِم فيما بيننا ، وستصبح هذه المطالب مفاتح لما استغلق على المطالعين الكرام الأجلّاء وخاصّة الطلبة ذوي العزّة والاحترام ، أرجو أن ينظروا إليها بعين الرضا والإكرام وأن لا ينتقدوا الحقير في شأنها :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيَا

لقد تكرّر الحديث عن محيي الدين بن عربي كثيراً في السفر الذي لازمت فيه محضر الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد أعلى الله درجته ، وقد توسّع الحقير لهذا السبب في الكلام هنا عن شخصيّة محيي الدين . وصادف يوماً أن عاد أحد الزوّار الهمدانيّين وهو المغفور له المرحوم الحاجّ غلام حسين السبزواريّ ـ وكان من مريدي السيّد الحدّاد ومن أسبق تلامذة المرحوم آية الله الأنصاريّ ـ من زيارة الحرم المطهّر ، فجلس وقال : لقد عدتُ من زيارة أبي الفضل عليه السلام فخطر ببالي في شارع العبّاسيّة البيت الذي

كُتب على باب مدخل سرداب قبر محيي الدين ، وهو من أبيات محيي الدين نفسه :

وَلِكُلِّ عَصْرٍ واحِدٌ يَسْمُو بِهِ وَأَنَا لِبَاقِي العَصْرِ ذَاكَ الوَاحِدُ

وكان يقول : لقد قرأتُ هذا البيت هناك ، فما أعظمه من ادّعاء ادّعاه محيي الدين !

قال سماحة السيّد : لا عجب في الأمر مطلقاً ، فقوله هذا قول عاديّ ومعهود ولا اختصاص له بمحيي الدين وحده ؛ بل إنّ كلّ من وصل إلى عرفان الله وفَنِي فيه صارت هذه نغمته . ذلك لأنّه لا وجود لمحيي الدين في عالم الفناء بل الله هو الذي يتكلّم ، وجليّ أنّ الله سبحانه لا اختصاص له بزمن دون زمن ، فقد كان موجوداً دوماً وسيبقى دوماً ـ انتهى كلامه .

ونظير هذا المعنى ، معنى بيت ابن الفارض وهو آخر بيت من تائيّته الكبرى ، لكنّ محيي الدين يعد نفسه الفارس الأوحد في ميدان التوحيد لجميع العصور اللاحقة ، في حين أنّ تلميذه ابن الفارض يعد نفسه كذلك لجميع العصور السابقة ؛ فيقول :

وَمِنْ فَضْلِ مَا أَسْأَرْتُ شُرْبُ مُعَاصِرِي

وَمَنْ كَانَ قَبْلِي فَالفَضَائِلُ فَضْلَتِي[1]

وأقول : ويحمل على هذا الأساس كلام الكثيرين الذين صدرت منهم وعبارات كمثل **أَنَا الحَقُّ** ، أو **لَيْسَ فِي جُبَّتِي سِوَى اللهِ** ، أو ما جاء في خطبة

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١١٦ ، السطر ٧٦١ ، طبعة بيروت ، دار صادر ، سنة ١٣٨٢ ، من التائيّة الكبرى المعروفة بنظم السلوك.

ويقول في «أقرب الموارد» : أسأرَ الشَّاربُ في الإناء إسئاراً : أبقى فيه بقيّةً مثل سَأرَ. ومنه أسأرتِ الإبلُ في الحوض ؛ ويقال : إذا شَرِبْتَ فأسْئِرْ.

البيان و**التُّتُنْجِيَّة** عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ على افتراض صحّة الخطبة وصحّة أسانيدها وإسنادها إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ومع أنّ التفوّه بهذا الكلام يمثّل قول الحقّ ، ولكن لم يُعهد من الذين رقوا إلى الكمال تعبيرات كهذه تُدعى بالشطحات والطامّات .

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم العارف الأكبر ، لكنّه لم يتفوّه بمثل هذه التعبيرات ، وإلّا لقال عبارة **قُلْ أَنَا اللَهُ أَحَدٌ** بدلاً من قول **قُلْ هُوَ ٱللَهُ أَحَدٌ** .

كما كان أمير المؤمنين عليه السلام تلميذه الأوّل في نهجه ومدرسته، فلا يصحّ أن يتفوّه بكذا وكذا في خطبة عامّة أمام الناس ؛ ومن هنا فإنّ سند هذا النحو من الروايات مخدوش ومرفوض لهذا الدليل .

أجل ، لا إشكال في هذا النحو من التعبيرات في المجالس الخاصّة مع بعض الأحبّة والأعزّة من الأولاد أو الأصحاب لتعريف ذات الحقّ ووصول عبد الله إلى مقام الفناء في الله ؛ بالرغم من أنّ أسانيد الخطبة يجب أن تصحّ وإسنادها يجب أن يثبت ، لأنّ مجرّد الإمكان لا يصحّ دليلاً على الوقوع والتحقّق . كما أنّ المطالب التي وردت بهذا الشأن عن بايزيد البسطاميّ ومنصور الحلّاج دليل على عدم كمالهما .

إنّ أعلى ثمرات الأُستاذ هي أن لا يدع تلميذه متهوّراً مطلق العنان ، كما أنّ من المحال أن تبدر من التلميذ مثل هذه الكلمات مع تحقّق المعاني العرفانيّة السامية فيه . ولم يكن الحسين بن منصور الحلّاج يمتلك أُستاذاً ، وكان ذلك باعثاً على تعرّضه للأخطار . وكان بابا طاهر العريان يقول بنظير هذا المعنى :

به هر ألْفى ألِفْ قَدّى بر آيُـو		ألِف قَدُّم كه در ألْف آمَدُسْتُمْ[١]

كما يقول سعدي الشيرازيّ ، ليس عن طريق التوحيد والعرفان بـل من جهة ادِّعاء الرفعة في الأدب والبلاغة :

هر كس به زمانِ خويشتن بود		مـن سـعدى آخـر الزمـانم[٢]

وكان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يرفض طريقة الحـلّاج ويـقول : إنّ هناك مطالب فيما نقل عنه تدلّ على نقصانه ؛ ولم يرد من صدر الإسلام إلى الآن شخص له جامعيّة وشمول المرحوم السيّد (القـاضي) ، ولم يـعهد عـنه أبداً أو عن أحد من تلاميذه مثل هذه الأُمور .

ولقد قال المرحـوم السـيّد (القـاضي) لي يـوماً : أيّـها السـيّد هـاشم ! لا تُفش السرَّ فتُبتلى ! سيأتي يوم يقصدونك فيه من الأطـراف والأكـناف فيقبّلونَ عتبة بابك . وكان يقول : لقد قمتُ خلال عمري كلّه بإفشاء سرّ ما لمرة واحدة فقط ، وكان ذلك في الحقيقة نابعاً مـن الحـياء ، ولا أزال حـتّى الآن أعاني من ذلك بعد مرور عشرات السنين .

إنّ أساس مطالب منصور الحلّاج هي نـفس مـطالب سـائر العـرفاء ، وليس لديه شيء آخر دونهم ، لكنّه كـان مـفشياً للأسـرار الإلهـيّة ، فأوقـع جمعاً من الناس في الفتنة والفساد ، فرُقي برأسه إلى المِشنقة .

وكان (السيّد الحدّاد) يقول : لقد نقل العـطّار مـطالب عـن الحـلّاج لو رآها أيّ عارف أو سمعها فلن يمتدح أُسلوبه ونهجه فيها ، فهو يـقول فـي جـملتها : أنكـر أغـلب المشـايخ الكـبار طـريقته وقـالوا : لا قـدمَ له فـي التصوّف ؛ عدا عبد الله الخفيف والشـبليّ وأبـو القـاسم القُشَـيريّ وجـملة

١ـ يقول : «يظهر في كلّ ألف عام عارف فريد ، وأنا في هذا الألف ذلك العارف!».
٢ـ يقول : «لقد كان لكلٍّ زمانه وعصره ، لكنّني سعديّ آخر الزمان!».

المتأخّرين الذين قبلوه إلّا ما شاء الله منهم . وكان لأبي سعيد أبي الخير قدّس الله روحه العزيزة ، والشيخ أبي القاسم الجرجانيّ ، والشيخ أبي علي الفارمديّ ، والإمام يوسف الهمدانيّ رحمة الله عليهم أجمعين ؛ سيرٌ في طريقته ونهجه ، إلّا أنّ البعض توقّف في أمره وطريقته .

ويقول من جملتها : وقال الشبليّ : أنا والحلّاج شيء واحد ، لكنّهم نسبوني إلى الجنون فنجوتُ ، ونسبوا الحسين (الحلّاج) إلى العقل فهلك .[1]

ويقول من جملتها : وكان دوماً مشغولاً في الرياضة والعبادة ، وفي بيان المعرفة والتوحيد ، وكان في زيّ أهل الصلاح ، وفي الشرع والسنّة حين ظهر منه هذا القول . لكنّ بعض المشايخ هجروه وقاطعوه ، لا من جهة المذهب والدين ، بل لامتعاض الشيوخ من غطرسته وغروره .

فقد جاء أوّلاً إلى تُسْتَر ، فكان في صحبة الشيخ سهل بن عبد الله لمدّة سنتين ، ثمّ سافر إلى بغداد ، وكان عمره في أوّل أسفاره ثمانية عشر عاماً . ثمّ ذهب إلى البصرة والتحق بعمرو بن عثمان وصحبه ثمانية عشر شهراً ، وزوّجه يعقوب الأقطع ابنته . ثمّ تأذّى منه عمرو بن عثمان فجاء من هناك إلى بغداد عند الجنيد ، فدعاه الجنيد إلى السكوت والعُزلة ، فصبر معه مدّة ، ثمّ قصد الحجاز وقضى هناك سنة . ثمّ عاد إلى بغداد وقصد الجُنيد مع عدّة من الصوفيّين وسأله عن عدّة مسائل ، فلم يجبه الجنيد ، وقال له : سرعان ما ستخضّب قمّة خشبة الإعدام !

فقال : سترتدي لباس أهل الهيئة في ذلك اليوم الذي سأخضّب فيه قمّة خشبة الإعدام !

١ـ «تذكرة الأولياء» ج ٢ ، ص ١٣٥ و ١٣٦ ،للشيخ العطّار (بالفارسيّة) ، طبعة مطبعة بريل في ليدن ، سنة ١٣٢٢ هـ . ق ، في ذكر الحسين بن منصور الحلّاج.

وهكذا كان ، فارتدى الجنيد لباس التصوّف في اليوم الذي أصدر فيه الأئمّة الفتوى بوجوب قتل الحلّاج فلم يكتب شيئاً . فقال الخليفة : لابدّ من خطّ الجنيد ! فلبس الجنيد الشال والدرّاعة وذهب إلى المدرسة وكتب في جواب الفتوى : **نَحْنُ نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ** . أي أنّه ينبغي قتله حسب ظاهر الحال ، وأنّ الفتوى على الظاهر ، أمّا الباطن فالله أعلم به .

ولمّا لم يجد الحسين (الحلّاج) جواب المسائل عند الجنيد تغيّر وذهب إلى تُسْتَر بلا استئذان وبقي هناك سنة فنال هناك قبولاً عظيماً ، لكنّه لم يلقِ بالاً ولا احتراماً إلى كلام أهل زمانه حتّى أصبحوا يحسدونه ، وكتب عمرو بن عثمان في شأنه رسائل إلى خوزستان فقبّح أحواله وشأنه في أعين أهلها .[1]

ويقول في جملتها : وبقي سنتين مجاوراً للحرم ، وحين عاد تغيّرت أحواله وتبدّل حاله إلى لون آخر ، فصار يعدّ الخلق معنى لا يقف عليه أحد ، حتّى نُقل أنّه طُرِدَ من خمسين مدينة .[2]

ويقول في جملتها : ونُقل أنّه حين تبرّأ الحسين بن منصور الحلّاج في غلبة الحال ، من عمرو بن عثمان المكّيّ ، جاء إلى الجُنيد ، فقال له الجُنيد :

بماذا جئت ؟ لا تكرّر ما فعلته مع سهل التستريّ وعمرو بن عثمان المكّيّ .

فقال الحسين : إنّ الصحو والسكر صفتان للعبد ، فهو محجوب عن ربّه دوماً حتّى تفنى صفاته .

١ـ «تذكرة الأولياء» ج ٢ ، ص ١٣٦ ، في ذكر الحسين بن منصور الحلّاج.

٢ـ «تذكرة الأولياء» ج ٢ ، ص ١٣٧ ، في ذكر الحسين بن منصور الحلّاج.

قال الجُنيد : يابن منصور ! أخطأتَ في الصحو والسكر . فلا خلاف في أنّ الصحو عبارة عن صلاح الحال مع الحقّ ، وهذا لا يندرج تحت صفة واكتساب الخلق ؛ وإنّي لأرى ـ يا بن منصور ـ في كلامك فضولاً زائداً وعبارات بلا معنى ![1]

ولقد قال سماحة السيّد : إنّ الجنيد من أساتذة العرفان ، لذا فحين قام بتخطئة الحسين (الحلّاج) اتّضح أنّ هناك خللاً في عمل الحلّاج .

يقول الجُنيد : إن شيخنا في الأُصول والفروع وتحمّل البلوى ، **عَلِيٌّ المُرْتَضَى** رضي الله عنه ؛ فقد حكوا عن المرتضى في مباشرته الحروب أشياء لا طاقة لأحد على سماعها ، لذا فقد أكرمه الله تعالى بالعلم والحكمة .

وقال : لو لم يتكرّم المرتضى فيفوّه بهذا الكلام ، فما كان سيعمل أصحاب الطريقة ؟!

وذلك الكلام هو : سئل المرتضى : بم عرفت ربّك ؟

فقال : بما عرّفني نفسه . [قيل : وكيف عرّفك نفسه ؟ فقال :]

لا تشبهه صورة ، ولا يحسّ بالحواسّ ، ولا يقاس بالناس ، قريب في بُعده ، بَعيد في قُربه ، فوق كلِّ شيء ولا يقال شيء فوقه [أمام كلِّ شيءٍ ولا يقال له أمام] ، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره .[2]

ولو شاء أحد شرح هذا الكلام وبيانه لصار مجلّداً . **فَهِمَ مَن فَهِم** .[3]

١ـ «تذكرة الأولياء» ج ٢ ، ص ١٢ ، في ذكر الجنيد البغداديّ .

٢ـ أوردنا أصل كلام أمير المؤمنين عليه السلام من «التوحيد» للشيخ الصدوق، ص ٢٨٥ ، ووضعنا الفقرات التي اختصرها الجنيد من كلام الإمام بين الأقواس المعقوفة .(م)

٣ـ «تذكرة الأولياء» ج ٢ ، ص ١٢ ، في ذكر الجنيد البغداديّ .

نعم ، لكأنّ الجميع يتّفقون على أنّ جرم الحسين بن منصور الحلّاج كان كشف الأسرار الإلهيّة ، وهو جرم عظيم ، وكما يقول حافظ :

گفت : آن يار كزو گشت سرِ دار بلند

جرمش آن بود كه أسرار هويدا ميكرد[1]

١ـ «ديوان حافظ» ص ٥١ ، الغزل رقم ١١١ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم ، سنة ١٣١٨، وتمام الغزل:

سالها دل طلب جام جم از ما مى‌كرد

و آنچه خود داشت ز بيگانه تمنّىٰ مى‌كرد

گوهرى راكه به برداشت صدف در همه عمر

طلب از گمشدگان لب دريا مى‌كرد

مشكل خويش بر پير مغان بردم دوش

كو به تأييد نظر حلّ معمّا مى‌كرد

ديدمش خرم وخندان قدح باده به دست

واندر آن آينه صد گونه تماشا مى‌كرد

گفت آن يار كزو گشت سرِ دار بلند

جرمش آن بود كه اسرار هويدا مى‌كرد

آن كه چون غنچه لبش راز حقيقت بنهفت

ورق دفتر از آن نسخه محشّا مى‌كرد

گفتم اين جام جهان بين به تو كى داد حكيم

گفت آن روز كه اين گنبد مينا مى‌كرد

آن همه شعبدهٔ عقل كه مى‌كرد آنجا

سامرى پيش عصا ويد بيضا مى‌كرد

فيض روح القدس ار باز مدد فرمايد

ديگران هم بكنند آنچه مسيحا مى‌كرد

بيدلى در همه احوال خدا با او بود

و او نمى‌ديدش واز درد خدايا مى‌كرد ⇦

وقد فسّر الملّا صالح الموسويّ الخلخالي في مقدِّمة كتاب «شرح مناقب محيي الدين بن عربي» الشطحات بهذه الكيفيّة : أنّ كلّاً من محقّقي

⇦ گفتمش سلسلهٔ زلف بتان از پی چیست

گفت حافظ گلهٔ از دل شیدا می‌کرد

يقول : «منذ سنوات والقلب يطلب منّا كأس جمشيد (أي قلب ذلك العارف الكامل المليء بالمعرفة) ويتمنّى من الغرباء ما يمتلكه بنفسه.

وكثيراً ما طلب الجوهرة التي لا يمكن العثور عليها في صدف عالم الكون والمكان، من الضالّين الباحثين عنها على شاطئ البحر.

حملت مشكلتي إلى المرشد العارف (وهو الإنسان الكامل) البارحة ، ليحلّ اللغز بالنظرة الإلهيّة.

فرأيته جذلان باسماً في يده قدح الشراب (أي الفيوضات) ، وكان يتفرّج في مرآتها على مئات الأشكال من التجلّيات الكامنة فيها.

قال : إنّ ذاك الصديق الذي ارتفعت به قمّة المشنقة ، كان جرمه الوحيد أنّه أذاع الأسرار.

ذاك الذي كانت شفاهه تتكتّم على الأسرار كالبُرعم في أكمامه ، قد حشّى ورق الدفاتر من نسخة الحقيقة والأسرار.

فقلت له : متى أعطاك الحكيم هذه الكأس التي ترى فيها الدنيا ؟ فقال : يومَ صنع القبّة الزرقاء.

وكلّ هذه الشعوذة التي أحكمها العقل هناك قد عملها السامريّ أمام عصا موسى عليه السلام ويده البيضاء.

وإذا أعانتْ روح القدس من فيضها بالمدد مرّة ثانية ، فإنّ الآخرين أيضاً يفعلون ما فعله المسيح بإذن الله.

والله مع الموله الواجد في كلّ حالٍ من الأحوال ، ولكنّه لم يره فظلّ يناديه بفزع وألم من البعيد بقوله «يا الله».

قلت له : وما الفائدة من هذه السلاسل من جدائل الحسان ؟ فأجاب : لأنّ حافظاً يشكو من قلبه الولهان».

الطريقة قد فسّر كلمة الشطح وبيّنها .

فالمحقّق الجُرجانيّ يقول : **الشَّطْحُ**[1] **عِبَارَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ عَلَيْهَا رَائِحَةٍ رُعُونَةٍ**[2] **وَدَعْوَىً ، وَهُوَ مِنْ زَلَّاتِ المُحَقِّقِينَ ؛ فَإِنَّهُ دَعْوَىً بِحَقٍّ يُفْصِحُ بِهَا العَارِفُ مِنْ غَيْرِ إذْنٍ إلَهيٍّ ، بِطَرِيقٍ يُشْعِرُ بِالنَّبَاهَةِ.**[3]

والشيخ محيي الدين نفسه يقول : **الشَّطْحُ عِبارَةٌ عَنْ كَلِمَةٍ عَلَيْهَا رَائِحَةُ رُعُونَةٍ وَدَعْوَىً ؛ وَهِيَ نَادِرَةٌ أَنْ تُوجَدَ مِنَ المُحَقِّقِينَ .**

ويُقال في اصطلاح متأخّري هذه الجماعة أنّ الشطحات هي كلمات تصدر من السالك المجذوب حال استغراقه في السُّكر والوجد وغلبة الشوق لا طاقة للآخرين على سماعها ؛كما أنّه نفسه لو صحا من حالة المحو هذه فإنّه سيُظهِر كراهته وإنكاره لمثل هذه الأقوال المستهجنة .

وقد نظم جلال الدين محمّد الروميّ في كتاب «المثنويّ» أبياتاً فيها شمّة من تمثيل هذه الحال في شرح حال طيفور بن عيسى بن آدم المعروف بأبي يزيد البسطاميّ الذي كان من فرائد عصره ، فيقول في تغيّر حالاته :

با مريدان آن فقير محتشم

بايزيد آمد كه يزدان نك منم

١ـ شَطَحَ ـَ شَطْحاً في السَّير أو في القَول : تباعَد واسترسَل [مَقلوبُ شَحَطَ] (لاروس).

٢ـ رَعَنَ ـُ رَعْناً ورَعِنَ ـَ رَعَناً ورَعُنَ ـُ رُعونَةً : حَمِقَ ؛ استَرخَى ، كان أهْوج في كَلامِهِ فهو أرْعَن (المنجد) . هَوِجَ يَهْوَجُ هَوَجًا : كان طويلًا في حُمقٍ وطَيشٍ وتَسرُّعٍ ، فهو أهْوَج (المنجد) .

٣ـ نَبِهَ ـَ نُبْهاً من نَومِهِ : استَيقَظ . نَبَهَ ـُ ونَبِهَ ـَ ونَبُهَ ـُ نَباهَةً : شَرُف ، اشتَهر وكان ذا نَباهةٍ ، وهي ضِدُّ الخُمولِ ؛ فهو نَابِهٌ ونَبَهٌ ونَبِهٌ ونَبِيهٌ .

چون گذشت آن حال گفتندش صباح
تو چنين گفتى و اين نبود صلاح[1]

فيظهر ـ بدوره ـ ندمه واستغفاره من ذلك النحو من التصرّف، فيقول:

حقّ منزه از تن و من با تنم چون چنين گويم ببايد كشتنم[2]

ثمّ انتابه مجدّداً تغيّر الحالات الثانويّة، فيقول:

مست گشت او باز از آن سغراق رفت
آن وصيّتهاش از خاطر برفت
عشق آمد عقل او آواره شد
صبح آمد شمع او بيچاره شد
چون هماى بيخودى پرواز كرد
آن سخن را بايزيد آغار كرد
عقل را سيل تحيّر در ربود
زان قوى‌تر گفت كاوّل گفته بود[3]

ويُقال: إنّ صدور مثل هذا الكلام باعتباره غير ناشئ عن عقيدة

١ـ يقول: «قال ذلك الفقير الحييّ بايزيد لمريديه يوماً: إنّي أنا الله!
فلما أصبح وانقضت تلك الحال عاتبوه وقالوا له: لقد قلتَ البارحة كذا وكذا ولم يكن صلاحاً ما قلته!».

٢ـ يقول: «إنّ الحقّ منزّه عن الجسم والجسمانيّات وأنا بشر ذو جسم، فإن عدتُ لمثلها توجّب قتلي».

٣ـ يقول: «ثمّ ثمّل مرّة أُخرى بنفس الكأس، فنسي ما كان قد أوصى به.
بلى! لقد جاء العشق فتغرّب العقل وتشرّد كما يخبو الشمع ويستكين حين يجيء الصباح.
حين حلّقت عنقاء التحيّر ونسيان الذات، شرعَ بايزيد في ذلك الكلام.
ولقد سلب سيلُ التحيّر العقلَ، فقال قولاً أعظم من قوله الأوّل».

راسخة بل عن التغيّر في الحالات الذي لا يد للسالك فيه ، فإنّه لا يستوجب قدحاً أو طعناً ؛ وذلك لأنّ مثل هذه الواردات من عوارض الحالات التي تخرج عن حدود وقيد الإرادة وحكم الاختيار . نعم ، عند استمرار تلك الحال الذي يُنبئ عن عقيدة راسخة فإنّه سيوجب الكفر واستحقاق القتل ؛ **نَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَنَسْتَجِيرُ إلَيْهِ.**

إجمالاً ، فعلى الرغم من عدم وجود أمثال هذه الشطحات في كلمات محيي الدين ، لكنّ هناك كلمات كثيرة أُخرى مخالفة لظواهر الشريعة ، وهي بأجمعها تدعى بالشطحات ؛ كما يقول القاضي شمس الدين بن خلّكان في خاتمة ترجمته : **وَلَوْلَا شَطَحِيَّاتٌ فِي كَلَامِهِ لَكَانَ كُلُّهُ إجْمَاعاً.**

وقد نقل القاضي التستريّ تفصيل هذه الشطحات وشرح هذه الكلمات بشكل مختصر ، وقام بتأويل كلّ منها على سبيل الإجمال بما يناسب المقام .[1]

١ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٤٨ إلى ٥٢ ، الطبعة الحجريّة.

القسم السابع

السفر الخامس للحقير لزيارة العتبات المقدسة

سنة ١٣٨٩ هجرية قمرية

السفر الخامس للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٨٩ هجريّة قمريّة

مَنّ الباري تعالى عَلَيّ بالتشرّف بزيارة الإمام الحسين عليه السلام في العشر الأوائل من محرّم الحرام حتّى يوم الأربعين ، وبزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في السابع عشر من ربيع الأوّل ، حيث دام هذا السفر ثمانين يوماً .

ولقد كنت أرسل للسيّد الكثير من الرسائل ، لكنّه ـ مع ذلك ـ كان يؤكّد باستمرار أنِ ابعَثْ الرسائل ولا تقطعها بالرغم من أنّ وضعي وحالي لا يسمحان لي بالإجابة ، ومن ثمّ فلا تنتظر منّي جواباً .

وكانت رسائله الجوابيّة غالباً بإملائه وخطّ يد بعض الرفقاء ، وكان يندر أن يقوم بكتابتها بخطّ يده أو أن يرسل بنفسه رسالة مستقلّة ، ولربّما لم يزد عدد الرسائل التي أرسلها لي طيلة السنين الثمان والعشرين من محبّة وإخلاص الحقير حتّى رحيله على عشرين رسالة ، ومع ذلك فهي محفوظة بأجمعها ،كما أنّ جميع الرسائل والردود التي كانت بخطّ يد الرفقاء محفوظة هي الأُخرى . على أنّ رسائله كانت موجزة ومختصرة جدّاً ، ونورد هنا بعض الرسائل التى تفضّل بإرسالها قبل هذا السفر :

١ ـ بسمه تعالى

إلَى جَنَابِ سَيِّدِي المُحْتَرَم السَّيِّد مُحَمَّد حُسَيْن العَالِمِ الرَّبَّانِيِّ ،

أَسْأَلُ اللَهَ أَنْ يَزِيدَ فِي دَرَجَاتِك . السَّلَامُ عَلَيْك وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِك جَـمِيعاً وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ ثُمَّ عَلَى جَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً فَرْداً .

مــن بــه هـر جـمعيّتى نـالان شـدم
جفت بد حالان و خوش حالان شدم
هر كسى از ظنّ خـود شـد يـار مـن
وز درون مــن نـجست أسـرار مـن[1]

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَهِ . مَا شَاءَ اللَهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ . العِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعاً . قُلِ اللَهَ ثُمَّ ذَرْهُمْ . فَـاسْتَقِمْ كَـمَا أُمِرْتَ .

أخيك المخلص سيّد هاشم*

٢ ـ بسمه تعالى

إلى جناب أخي وروحي ومولاي، السيّد محمّد حسـين سـلام الله عليك !

خَيَالُكَ فِي عَيْنِي وَاسْمُكَ فِي فَمِي
وَذِكْــرُكَ فِـي قَـلْبِي فَأَيْـنَ تَـغِيبُ

نوشته بوديد كه : دستور . گفت : اى دستور ! دستور خواهى . اى قيامت تا قيامت راه چند ؟ از پيغمبر مى‌پرسيدند : تا قيامت ؟ هر جا كه باشى و در هر

١ـ يقول :«كنتُ أئنّ مع كلّ جماعة ، واقترنتُ بالسعداء والتعساء معاً .
فخُيّل لكلٍّ منهم أنّه صار رفيقي وصاحبي ، لكنّ أحداً لم يطّلع على سرّي ومكنون ضميري».

*ـ نقلنا الرسائل دونما تصرّف .(م)

حال كه باشى جَهد كن تا محبّ باشى و عاشق باشى ؛ وچون ملكه شود هميشه محبّ باشى در هر زمان . **وَسَلَامٌ عَلَى جَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً فَرْداً بَعْدُ ، وَنَحْنُ همى نَدْعُو لَكُمْ تَحْتَ القُبَّةِ**. يک قدرى قرض پيدا شده از براى بنده خداوند تبارك وتعالى فعّال است.[1]

أخيك سيّد هاشم

عَالِي عَدَدَ الحَسَنَاتِ . يَمْحُو مَا يَشَاءُ مِنْ شَوَاهِدِ العُبُودِيَّةِ ، وَيُثْبِتُ مِنْ شَوَاهِدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

٣ـ كتب يقول في ذيل رسالة صدَّرها بخطٍّ شخص آخر :

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إلَّا إيَّاهُ

المَعْبودُ اسْمٌ مِن أَسْمَائِهِ . حَقِيقَةُ العُبُودِيَّةِ كَوْنُ العَبْدِ بِتَمَامِ لَوَاحِقِهِ مِلْكاً خَالِصاً لِلَّهِ تَعَالَى ؛ بِاعْتِبَارِ أَنَّ جَمِيعَ المَوْجُودَاتِ مَمْلُوكَاتُهُ بِالاسْتِحْقَاقِ لَا بِالإنْفَاقِ.

فَحَقِيقَةُ العِبَادَةِ انْتِبَاهُ النَّفْسِ وَتَذَكُّرُهَا لِهَذَا العَمَلِ . وَالمَعْنَى أَنَّ الإنْسَانَ لَا يَمْلِكُ حَالاً ، وَلَا مَالاً ، وَلَا مَوْتاً ، وَلَا حَيَاةً ، وَلَا ، وَلَا ، وَلَا ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

أخيك المخلص سيّد هاشم

١ـ يقول : «كتبتَ تطلب برنامجاً . قال : أيّها البرنامج ! أتطلب برنامجاً . أيّتها القيامة متى تحين القيامة ؟ يسألون النبيّ : أيّان يوم القيامة ؟ اجْهَدْ أنّى كنتَ وفي كلّ حال أن تكون محبّاً وعاشقاً ، وحين يصبح ذلك ملكةً لك ، فَستكون محبّاً في كلّ آن وزمان . والسلام على جميع الرفقاء فرداً فرداً ونحن دائماً ندعو لكم تحت القبّة . اتّفق لي مبلغ من الدَّين ، والله تبارك وتعالى فعّال».

٤ ـ وكتب أيضاً في ذيل رسالة صدَّرها بخطٍّ شخص آخر :

غم مخور جانم كه غمخوارت منم.[١]

وَتَحَقَّقْتُكَ فِي سِرِّي فَنَاجَاكَ لِسَانِي
فَاجْتَمَعْنَا لِمَعَانِي وَافْتَرَقْنَا لِمَعَانِي
إنْ يَكُنْ غَيَّبَكَ التَّعْظِيمُ عَنْ لَحْظِ عَيَانِي
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ الوَجْدُ مِنَ الأَحْشَاءِ دَانِي

سيّد هاشم حدّاد

٥ ـ **بسمه تعالى**

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي وَسَنَدِي السَّيِّد مُحَمَّد حُسَيْن وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ.

مى در بر و گل در كف و معشوقه به كام است[٢] ـ إلى آخره .

بيا كه كرده‌ام از غير آينه پاک[٣] ـ إلى آخره .

إذَا تَجَلَّى لَهُمُ الحَقُّ تَلاشَوْا
وَإذَا سَتَرَ عَلَيْهِمْ رُدُّوا إلَى الحَضْرِ فَعَاشَوْا

الآن يک قدرى به خود آمديم . فرصت نيست . و گر نسيت[٤] . **تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَهِ ، وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إلَى اللَهِ . إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعِينُ.**

أمر به شريعت ، وأمر به حقيقت.[٥]

١ـ يقول : «لا تغتمّ يا روحي ، فأنا من يحمل الهمّ والغمّ عنك».

٢ـ «الخمر عندي ، والورد في يدي ونِلتُ مرادي في وصل الحبيب».

٣ـ «تعالَ فقد جلوتُ المرآة عمّن سواك».

٤ـ «حصل لدينا الآن بعض الانتباه والالتفات . ليس هناك من فرصة . وإلّا نَسيتُ».

٥ـ «الأمر بالشريعة ، والأمر بالحقيقة».

الشَّرِيعَةُ مِنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ فَغَيْرُ مَقْبُولٍ
وَالحَقِيقَةُ مِنْ غَيْرِ شَرِيعَةٍ فَغَيْرُ مَحْصُولٍ

يعنى اى مطرب شده با خاصّ و عام
مرده شو چون من كه تا يابى أمان[1]

٦ـ بسم الله الرحمن الرحيم

اى غائب از نظر به خدا مى‌سپارمت
جانم بسوختى و به دل دوست دارمت
تا دامن كفن نكشم زير خاك پاك
باور مدار كه دست ز دامن بدارمت[2]

أَخَذْتُمْ فُؤادِي وَهْوَ بَعْضِي فَمَا الَّذِي
يَضُرُّكُمُ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمُ الكُلُّ

خداوند متعال آن وجود مبارک را از جميع بليّات وبه عين عنايت ملحوظ بدارد. رقيمهٔ شريفه رسيد از سلامتى جنابعالى با اطّلاع وخوشوقت گشتيم. گر چه جواب دير مى‌شود أما شما به نامه ما را خشنود بفرمائيد، چنانچه شب و روز در ياد شما هستيم.

أهل منزل همگى سلام مى‌رسانند. رفقا يک يک عرض سلام دارند واز شما منفکّ نيستيم. اميد است جنابعالى نيز ما را فراموش نفرمائيد در

١ـ يقول: «يا من طرِب مع الخاصّ و العامّ، مُت مثلي لتلقى الأ مان!».

٢ـ يقول: «أودعتك الله يا حبيباً غائباً عن ناظري، أحرقتني بالهجر لكنّ القلب يهواك».

هيهات أن أتخلّى عنك حتّى أجرّ أذيال كفني تحت التراب الطاهر!».

مواقع دعا ، سلام به رفقا برسانيد . مصدّع اوقات شريف نشود.[1]

سيّد هاشم حدّاد

٧ـ بسم الله الرحمن الرحيم

التَّوْحِيدُ هُوَ الحَقُّ ؛ وَإلَيْهِ المَلْجَأُ لِأَهْـلِهِ ؛ وَبِـهِ النَّـجَاةُ ، هُـوَ السِّـرُّ الخَفِيُّ ، بِهِ ظَهَرَتِ الأَشْيَاءُ ، وَهُوَ الشَّمْسُ المُشْرِقَةُ ؛ وَمِنْهُ يَنَابِيعُ الأَنْـوَارِ . وَهُوَ قُطْبُ العَارِفِينَ ، وَهُوَ الدَّلِيلُ ، وَمُبْرِئُ الأَسْقَامِ ، وَشِفَاءُ كُلِّ عَلِيلٍ ، هُوَ الظَّاهِرُ فَمَا سِوَاهُ حِجَابُهُ .

فَمَنْ كَانَ ذَا بَصرٍ جَاوَزَ أَبْوَابَهُ ، كَشَفَ لَهُ عَنْ مُلْكِهِ ، فَعَايَنَ سُلْطَانَهُ وَغَيَّبَهُ بِهِ عَنْهُ ؛ فَعَظَّمَ شَأْنَهُ .

فَبَيْنَ العَارِفِ وَبَيْنَ رَبِّهِ سِرٌّ وِقْرٌ فِي صَدْرِهِ ، وَحُكْمٌ يَـمُدُّهُ بِـمَيَامِنِ غَيْبِهِ . فَهِيَ غِذَاؤُهُ وَشَرَابُهُ ؛ مُظْهِرٌ لَهُ حَقِيقَةَ التَّوْحِيدِ وَلُبَابَهُ ؛ وَامْتَازَ بِهَا عَنْ سَائِرِ الخَلْقِ ؛ فَوَاصَلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي حَـضْرَةِ الحَـقِّ ، وَاخْـتَصَّهُ بِـالعُلُومِ الأَزَلِيَّةِ العَجِيبَةِ .

فَحَقِيقَتُهُ مِنَ الحَقِّ ذَاتِيَّةٌ قَرِيبَةٌ ، بِلَا حَرَكَـةٍ مِـنْ مَـعْنىً إلَـى مَـعْنىً وَلَا انْتِقَالٍ ، وَلَا مَاضٍ وَلَا مُسْتَقْبَلٍ وَلَا حَالٍ . وَهُوَ بِسِرِّ العَارِفِ مَكْشوفٌ ؛ أَمَدَّهُ بِهِ مِنْ خَفيٍّ سِرِّهِ ؛ فَسَتْرُهُ مِنْ سِرِّهِ ؛ مَعْرُوفٌ .

١ـ «رعى الله ذلك الوجود المبارك بعين رعايته من جميع البليّات.

وصلت رسالتكم الشريفة فاطّلعنا على سلامتكم وسعدنا بذلك ، ومع أنّ الردّ يتأخّر عليكم ولكن تفضّلوا بإسعادنا برسالتكم لأنّنا في ذكراكم ليلاً ونهاراً.

العائلة جميعاً يرسلون سلامهم ، والرفقاء يبعثون سلامهم واحداً واحداً. ولسنا منفكّين ولابعيدين عنكم . والرجاء أن لا تنسونا أنتم كذلك في مواقع الدعاء . بلِّغوا السلام إلى جميع الرفقاء . وأرجو أن لا نكون قد سبَّبنا تصديع أوقاتكم الشريفة».

وجُمْلَةُ المَحْسُوسَاتِ عَدَمٌ وَهَبَاءٌ ؛ فَحَقِّقْ بِبَصِيرَتِكَ ، تَنْظُرْ عَجَباً ! تَجِدِ القَائِمَ بِهِ فِي كُلِّ الخَطَرَاتِ وَاللَحَظَاتِ مُشَاهِداً ؛ إذْ هِيَ أَغْطِيَةٌ يَسْتُرُ بِهَا ؛ إذْ هُوَ الوُجُودُ ، وَالوُجُودُ وَاحِدٌ.

فَالمَعْرِفَةُ فِي حَقِّ كُلِّ مَصْنُوعٍ وَضْعُهُ . فَكُلُّ مُفْتَرِقٍ هُوَ أَصْلُهُ وجَمْعُهُ ، بِذَلِكَ شَهِدَتِ الظَّوَاهِرُ عَلَى غَيْبِهَا.

فَهُوَ المُبْدِئُ لِكُلِّ شَيءٍ وَالمُعِيدُ ، وَالفَعَّالُ فِي مُلْكِهِ ؛ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ؛ وَالفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ . عَرَفَهَا العَارِفُونَ.

٨ـ بسم الله الرحمن الرحيم

التَّوْحِيدُ هُوَ الأَصْلُ وَإلَيْهِ الطَّرِيقُ ؛ وَهُوَ القُطْبُ وَعَلَيْهِ التَّحْلِيقُ ، وَهُوَ تَاجُ العَارِفِينَ وَبِهِ سَادُوا ؛ وَبِأَخْلَاقِهِ تَخَلَّقُوا وَلَهُ انْقَادُوا . هُوَ بِهِمْ بَرٌّ وَصُولٌ ؛ مِنْهُ البِدَايَةُ وَإلَيْهِ الوُصُولُ.

نَوَّرَ قُلُوبَهُمْ بِالحِكْمَةِ وَالإيمَانِ ؛ وَشَرَحَ صُدورَهُمْ فَتَخَلَّقُوا بِالقُرْآنِ. فَفَهِمُوا مَعَانِيَهُ وَبَانَ لَهُمُ المُرَادُ ؛ فَدَامَتْ فِكْرَتُهُمْ فِيهِ فَمَنَحَهُمُ السُّهَادُ ؛ وَمَا عَرَّجُوا عَلَى أَهْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ ؛ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَحَداً.

هُوَ الضِّيَاءُ بِمِشْكَاةِ قَلْبِ العَارِفِ ؛ عَنْهُ يَنْطِقُ وَبِهِ يُكَاشِفُ. وَلَمْ يَلْتَفِتْ إلَى مَا هُوَ سِوَاهُ ؛ وَلَمْ يَدَّخِرْ سِوَى مَوْلَاهُ . وَهُوَ حَيَاتُهُ وَنُشُورُهُ ؛ وَبِهِ أَشْرَقَتْ شَمْسُهُ وَنُورُهُ . يَمُدُّهُ بِدَقَائِقِ المَعَانِي ؛ فَيُمَيِّزُ بَيْنَ البَاقِي مِنْهُ وَالفَانِي.

فَيُعَبِّرُ عَنْهُ بِمَعَانِي رَوْحَانِيَّةٍ ، تَقْصُرُ عَنْ إدرَاكِهَا الصِّفَاتُ البَشَرِيَّةُ. وَيَعِيهَا مَنْ هُوَ بِالتَّوْحِيدِ حَيٌّ ذُو عِيَانٍ ؛ وَيَعْجُزُ عَنْهَا مَنْ رَضِيَ بِنَعِيمِ الجِنَانِ . فَالعَارِفُ لَذَّتُهُ ذِكْرُهُ مَوْلَاهُ ، وَهُوَ كُلِّيَّتُهُ ، وَالظَّاهِرُ بِعِبَادَتِهِ. مُفْصِحُهُ بِالعِلْمِ ، وَهَادِيهِ لِلْبَيَانِ . أُمِدَّ سِرُّهُ مِنْ سِرِّهِ.

فَأَنْطَقَ لِسَانَهُ بِالحِكْمَةِ ؛ فَجَذَبَ الخَلْقَ إلَيْهِ ، وَهَدَى بِهِ الأُمَّةَ. فَكَشَفَ لَهُ الغِطَاءَ عَنْ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ ؛ وَتَجَلَّى لِقَلْبِهِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ.

فَتَأَلَّفَتْ مُتَفَرِّقَاتُهُ ، فَفَنِيَ عَنْ رُسُومِهِ ؛ وَكَاشَفَ بِهِ وَشَرَّفَهُ بِعُلُومِهِ ، فَاهْتَزَّتْ أَرْضُهُ وَنَبَعَ مَاؤُهُ ؛ فَوَسَّعَ قَلْبَهُ ، وَمَا وَسِعَهُ أَرْضُهُ وَلَا سَمَاؤُهُ.

السَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّد مُحَمَّد حُسَيْن ، وَعَلَى السَّيِّد مُحَمَّد صَادِق، وَعَلَى السَّيِّد مُحْسِن ، وَعَلَى السَّيِّدِ أَبِي الحَسَنِ ، وَعَلَى السَّيِّدِ عَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ وَالزَّهْرَاءِ وَالصِّدِّيقَةِ وَالبَتُولِ وَالعَلَوِيَّةِ ، وَجَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً فَرْداً ؛ ونَحْنُ لَكُمْ مِنَ الدَّاعِينَ تَحْتَ قُبَّةِ الحُسَيْنِ.

* * *

لقد كان الجوّ حارّاً أيّام العشرة الأُولى من محرّم الحرام لهذه السنة أيضاً ، وكان البعض يأتي إلى محضر السيّد من النجف الأشرف ومن الكاظميّة كما كان يحضر لديه بعض الأصدقاء من الزوّار الإيرانيّين . وقد شاهد أحد الرفقاء يوماً في عالم الرؤيا أنّهم كانوا مجتمعين في منزل السيّد ، وكان الجوّ لاهباً من شدّة الحرارة والجميع عطاشى يتلظّون من شدّة العطش . وفي هذه الأثناء دخل الحاجّ السيّد هاشم (بدشداشته العربيّة الطويلة) حاسراً يحمل بيديه قالباً كاملاً من الثلج وينادي : تعالوا واشربوا من هذا الماء العذب البارد ! بَيدَ أنّ أحداً لم يصغ إليه ، كأنّهم لا يسمعون نداءه أبداً .

وكان السيّد يقول تكراراً : إنّ هذا النهج والسبيل يستلزم الإيثار والتضحية ، بينما البعض من رفقائنا كسالى وغير مستعدّين للإنفاق والإيثار ، لذا فهم يتوقّفون لا يريمون حراكاً . وبالرغم من أنّني كثيراً ما أذهب إلى الكاظميّة للقائهم وأبقى هناك الأيّام والليالي لكنّ ذلك ليس

كافياً ، لأنّ مجالس الأُنس والمذاكرات تتضمّن دوماً ذكر الجمال ، فيحصل من ذلك الوجد والنشاط ؛ ولكن ما إن أحاول عرك أُذن أحدهم فإنّ الجميع يفرّون فلا يبقي منهم أحد ، وفي النهاية فإنّ الأمر لن يتمّ بدون الجلال .

وهكذا فإنّ الحيرة تنتابني في عمل الكثير منهم ، وعَلَيَّ عند ذلك أن أقوم أحياناً ـ بمختلف لطائف الحيل والإيماءات ـ بإجبارهم ودفعهم إلى القيام بأمر مخالف لطبيعتهم ورغباتهم ؛ تماماً كمن يحمل كأساً حارّاً جدّاً فى يده ، فعليه أن لا يتركه حتّى لا يتحطّم وأن لا يسمح ليده أن تحترق ، لذلك أتصرّف بلباقة ، إلى حين حصولهم على التمكين والثبات في النهج والسبيل .

ولقد كانت رؤيا قالب الثلج صحيحة ، لكنّ إحساس العطش من قِبَل الرفقاء يستلزم الإعراض عن العلائق الدنيويّة وإنفاق المال والوقت والعرض والاعتبار في سبيل الله ، وهو ما لم يرضوا به ، لذا فإنّهم لم يكونوا ليحسّوا بالعطش مع وجوده ، كما لم يدركوا ضرورة شرب الماء البارد والمعين الهانئ . وهذه المسألة من الوضوح والدقّة في جانبيها بحيث تستدعي عجب المرء .

وكان الرفقاء من بغداد والكاظميّة يتشرّفون بالقدوم إلى كربلاء أيّام عاشوراء ، وحصل أن قام أحد الرفقاء واسمه الحاجّ حسن أبو الهوى بجلب صفيحة من السمن كهديّة إلى السيّد ، وحين أراد تسليم الصفيحة عند دخوله البيت فقد امتنع أحد أولاد السيّد عن قبولها منه ، ثمّ وصل السيّد عائداً من الزيارة أثناء المجادلة والنقاش بينهما أمام باب البيت ، وعند مشاهدته إصرار الحاجّ أبي الهوى من جهة وامتناع ولده من استلام الصفيحة من جهة أُخرى فأعطى الإذن بقبولها ، وهكذا فقد سلّم أبو الهوى صفيحة السمن .

وكان أحد الرفقاء قد شاهد في عالم الرؤيا في الليلة التي سبقت ذلك ،

مائدة مبسوطة في منزل السيّد عليها أنواع الأطعمة والأشربة والفاكهة اللذيذة ، يتحلّق حولها جميع الرفقاء وهم منهمكون بالتناول منها . وفي هذه الأثناء يصل الحاجّ حسن أبو الهوى فيحاول الجلوس إلى المائدة والأكل منها فلا يجد له مكاناً ، فيدور حولها ويشاهد أنّ الرفقاء جالسون بشكل متّصل متراصّ ، وأن ليس من مكان خالٍ ليجلس فيه ولا من أحد يفسح له مجالاً ليجلس ، وفي هذه الحال يمسك السيّد الحدّاد يد أبي الهوى فيحشره في زمرة الجالسين ليتناول من الطعام بدوره .

وتفسير هذه الرؤيا واضح جليّ ، فجلوسه على المائدة بهذه الصورة يمثّل قبول صفيحة السمن ذلك ، فقد قام بالإيثار بهذا القدر فوجد مكاناً لتناول الطعام بنفس القدر . وهكذا استلزم تناول الطعام الملكوتيّ استلزام إهداء صفيحة السمن ،كما كانت إجازة السيّد الحدّاد في ذلك النقاش بقبول صفيحة السمن عبارة عن حشره إيّاه في زمرة الجالسين على المائدة ، فلو لم يأذن السيّد بقبولها لما استطاع الحاجّ الجلوس على المائدة ، وكثيراً ما كانت أمثال هذه الرؤيا مفتاح درب للسالكين .

وبالطبع فإن هذا الظهور والرؤيا مثاليّان ، أمّا في العوالم العليا فإنّ التعبير يكتسب دقّة أكثر ويتضمّن تجرّداً أكثر، مع أنّ هذا التعبير المثاليّ محفوظ في حدّ ذاته ، وليس هناك من يطّلع على أسرار العوالم العلويّة إلّا أُولئك الذين يجانسون تلك العوالم ويُشاكلونها ، وعلى ضوء هذا المبدأ فإنّ تعبير الأحلام وتفسيرها يماثل تفسير القرآن الكريم في أنّ له ظاهراً وباطناً ، وفي أنّ ذلك الباطن له مراتب ودرجات مختلفة ـ انتهى .

وكشاهد على المطلب فإنّ القصّة التالية شيّقة للتأويل والتفسير ، وللعلاقة مع الأرواح وتجرّد العالم العلويّ :

لقد كان **المرحوم السيّد ضياء الدين الدُّرِّيّ** أحد الوعّاظ وخطباء

المنبر الطهرانيّين من الطراز الأوّل ، وكان أُستاذاً لعلوم المعقول . حيث مضى على رحيله حتّى الآن أكثر من ثلاثين سنة ، وقد حضر الحقير مجالسه تكراراً ، فكان يمتلك نهجاً حكيماً وعرفانيّاً في الخطابة ، وكان بيانه شيّقاً وخطابته موثّقة محقّقة .

وجاء أخو زوجة الحقير : حجّة الإسلام الحاجّ السيّد حسن معين الشيرازيّ دامت معاليه إلى منزلي في مشهد المقدّسة ليلة الثالث من ربيع الثاني لسنة ألف وأربعمائة واثني عشر هجريّة قمريّة فنقل رؤيا شيّقة عنه لا يخلو ذكرها من اللطف :

من المتعارف في طهران حين يُدعى واعظ ما للخطابة على المنبر في مجلس معيّن للعزاء خلال فترة عشرة أيّام ، فإنّهم يدعونه أيضاً للخطابة في الليلة الأخيرة من تلك الأيّام العشرة من السنة التالية .

وحصل في السنوات الأخيرة التي كان المرحوم الدرّيّ فيها على قيد الحياة أن سأله شابّ في إحدى الليالي (الليلة الثامنة أو التاسعة من المحرّم) قبل صعوده المنبر للوعظ ، عن المراد بهذا البيت من الشعر :

مريد پير مغانم زمن مرنج اى شيخ

چرا كه وعده تو كردى و او بجا آورد [1]

فأجابه المرحوم الدرّيّ : سأجيب على هذا السؤال على المنبر ليستفيد منه الجميع . ثمّ يبيّن على المنبر قضيّة نهي آدم أبي البشر عن

١ـ «ديوان الخواجة حافظ الشيرازيّ» عليه الرحمة والرضوان ، ص ٧٣ ، الغزل ١٦٠ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم ، سنة ١٣١٨ هـ ، وفي طبعة محمّد قزويني والدكتور قاسم غني ، طبعة سينا ، طهران : ص ٩٩ ، الغزل ١٤٥ .

يقول : «أنا مريد المرشد فلا تنزعج منّي أيّها الشيخ ، فقد اكتفيتَ بالوعد أمّا هو فقد نفّذ وعده» .

تناول القمح ، وقصّة اكتفاء أمير المؤمنين عليه السلام بخبز الشعير طيلة حياته ، حتّى أنّه عليه السلام لم يأكل خبز القمح طيلة حياته ولم يشبع حتّى من خبز الشعير[1]. ثمّ يقول :

إنّ المراد بالشيخ في هذا البيت هو آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام الذي وعد بعدم الأكل من شجرة القمح في الجنّة فلم يفِ بوعده ، وعصى أمر ربّه وتناول منها ، والمراد من «پير مغان»[2] أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يطعم خبز البرّ طيلة حياته ، والذي وفى بشكل كامل بوعد عدم التناول من شجرة الحنطة .

كان هذا مجمل تفسير هذا البيت الذي بيّنه على المنبر وختم به موعظته .

ثمّ توفّي المرحوم الدرّيّ قبل نهاية تلك السنة ، لذا فلم يكن لمدعوٍّ ما أن يشارك في الحضور في ذلك المجلس تلك الليلة من السنة المقبلة .

وحصل في السنة التالية ، وفي تلك الليلة من ليالي العشرة الأُولى من محرّم الحرام التي طرح فيها ذلك الشابّ سؤاله على المرحوم الدرّيّ أن شاهد ذلك الشابّ في عالم الرؤيا ، أنّ المرحوم الدرّيّ قد جاءه فقال له :

أيّها الشابّ ! لقد سألتني السنة الماضية في مثل هذه الليلة عن معنى هذا البيت فأجبتك هكذا ، لكنّي قَدِمْتُ إلى هذا العالم فانكشف لي معناه

١ـ رواية عدم الأكل من خبز البرّ طوال العمر مختصّة برسول الله ، فقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن رواية عائشة أنّ رسول الله ما شبع من خبز البرّ حتّى مات فقال: كذبت عائشة ، ما أكل رسول الله خبز بُرّ قطّ ولا شبع من خبز شعير قط ـ انتهى. وبطبيعة الحال فلا شكّ في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تأسّى برسول الله صلّى الله عليه وآله فما أكل من خبز البُرّ ، كما يستفاد من الأخبار ، لكنّ ذلك غير مضمون الرواية السابقة.

٢ـ ((المرشد)) .

بشكل آخر : فالمراد من الشيخ هو إبراهيم عليه السلام ، والمراد بالمرشد : سيّد الشهداء عليه السلام ، والمراد بالوعد ذبح ولده ؛ فقد وفى إبراهيم عليه السلام بأمر الله له بالذبح ، لكنّ حقيقة الوفاء هي التي قام بها أبو عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء حين قدّم للذبح ولده عليّ الأكبر عليه السلام .

وهكذا يجيء ذلك الشابّ في الليلة التالية إلى ذلك المجلس الذي اعتاد المرحوم الدرّيّ على المشاركة فيه كلّ عام ، فيشرح رؤياه هذه ، ومن الجليّ مدى الهيجان والتأثّر الذي حصل في ذلك المجلس عند بيان هذه الرؤيا .

لقد كان المعنى الأوّل لشعر حافظ معنىً عامّاً ، أي أنّ المراد من الشيخ هم علماء الظاهر الذين لا علم لهم بالباطن ، ومعنى المرشد في الشعر هو أُستاذ الأخلاق والعرفان الذي يمسك بيده خيوط التربية النفسيّة . والمراد بعدم إنجاز الشيخ وعده وبوفاء المرشد بوعده ، عدم التزام بعض الجماعة الأُولى بأُصول الأعمال وبالزهد في الدنيا ، والتزام الجماعة الثانية بأُصول تزكية النفس وبالإعراض عن الزخارف .

أمّا المعنى الثاني وهو الذي بيّنه المرحوم الدرّيّ فهو لطيفة استنباطيّة وأدقّ من المعنى الأوّل ، ويمكنه احتلال موقعه بجلاء مع حفظ المعنى الأوّل .

وأمّا المعنى الثالث الذي رآه في عالم الرؤيا فهو أدقّ من الثاني ، ويظهر معناه بشكل جميل وشيّق مع حفظ المعنى الأوّل والثاني اللذين يصحّان في موضعهما .

ومن هنا فليس في الشعر معانٍ متضادّة ، بل إنّ هذه المعاني متداخلة في بعضها عمقاً ، فهي باطن في باطن ؛ وجميع أشعار حافظ متشكّلة من

رموز وإشارات خاصّة حاكية عن كنايات بديعة وأسرار خفيّة ومعان عميقة .

وعلى كلّ حال ، فقد جرى الحديث في هذا السفر عن الأُستاذ وضرورته ، وكان للسيّد إصرار تامّ منذ البدء على ضرورة وجود الأُستاذ . وكان يبيّن الأخطار الشديدة التي يواجهها التلميذ في طريقه ، ويذكّر بمطالب من الآيات القرآنيّة والأخبار والقصص والحكايات العربيّة والفارسيّة في الأشعار وغيرها في تأكيده على ضرورة هذا الأمر ، بَيدَ أنّه لم يُلاحَظ عنه أبداً الإشارة إلى نفسه كأُستاذ في هذا الأمر ، فقد كان يقول باستمرار :

إنّ الرفيق ضروريّ عند طيّ الطريق ، فالمرء يحتاج في سفره في طريق المعنى والمنازل السلوكيّة إلى رفيق يصحبه في هذا السفر ، أكثر منه في سفره في طريق الظاهر والطريق الصحراويّ ، لأنّ منتهى الخطر الذي يتهدّده من الانفراد في ذلك السفر هو هلاك بدنه وجسمه ، أمّا خطر الانفراد في هذا السفر فيتضمّن هلاك نفسه وروحه الآدميّة وانضمامه إلى زمرة الأشقياء والأبالسة .

كان السيّد يقول في صراحة لا تشوبها مواربة : من شاء المجيء فليأت فلن يضير ذلك شيئاً ؛ ثمّ يشير إلى صدره ويقول : ألقوا ما تحملونه هنا فأنا حمّال للأثقال . إنّ هناك أفراداً لا يطيقون حمل الأثقال ؛ فهم ينوؤون بأثقالهم ، بَيدَ أنّهم يجرّون وراءهم آخرين . إنّهم يتصدّرون المسيرة مستتبعين وراءهم الكثير من الأتباع بينما تفوقهم ـ بلحاظ القوّة واللطف ـ نفوس الكثير من تلامذتم !

وكان يقول : إنّ مسكيناً كهذا لم يوصل نفسه إلى المقصد ويتوجّب عليه أن يلقي بأحماله في أعتاب أُخرى ، فقد جاء وأضاف أثقالاً إلى

أثقاله ، لذا فهو يجيء ويشكو تلامذته لي أن كذا وكذا .

ولقد قلتُ له : ليس العيب في تلامذتك ، بل العيب فيك حين أريتهم باب جنّة خضراء يانعة ودعوتهم إليك ؛ وحين دخلوها عجزتَ أن توفّر لهم الطعام والغذاء ، وها أنت قد تركتهم عطاشى وجياعاً تعلّلهم بالآمال والوعود ، ثمّ تنتظر منهم الطاعة المحضة ! وهو أمر محال . على الأُستاذ أن يحرّر نفسه أوّلاً ويعتقها ، في حين أنّك الآن أسير مقيّد ، فكيف يمكنك أن تحرّر إمرءاً ما ؟

ينبغي للحوائج في طريق السير والسلوك أن تحطّ في ساحة الله سبحانه ، والإنسان الكامل هو الذي قد تحرّر من قيد نفسه وارتبط بالله تعالى ؛ أمّا الأفراد الذين لم يصلوا إلى مقام التوحيد ، والذين تمسك دغدغة النفس الأمّارة بتلابيبهم باستمرار ، فأنّى يتأتّى لهم إعانة غيرهم في الوصول إلى المقصد والمقصود ، ولهذا السبب ترى هذا الفساد الذي استشرى في العالم وتفاقم .

وحصل يوماً أن جاء الحاجّ حبيب السماويّ بشابّ معه من السماوة يتمتّع بلياقة واستعداد رفيعين ، وقد ظهرت لديه حالات عرفانيّة ومشاهدات سلوكيّة بواسطة علاقته بالحاجّ حبيب ، وكان الحاجّ قد قال له : ليس في وسعي أن أفعل لك شيئاً بعد الآن ، سآخذك معي إلى أُستاذي حين أتشرّف هذه المرّة بالسفر لزيارة كربلاء لتكون ـ من ثمّ ـ تحت إشرافه وفي تبعيّته .

ومن هذا المنطلق فقد جاء به الحاجّ حبيب إلى كربلاء ليمثل في محضر السيّد ، وكان ذلك الشابّ يذكر مكاشفاته القويّة وحالاته فيقول : إنّهم يرقون بي في مراحل الصعود بحيث يشقّ عَلَيَّ تحمّلها من شدّة الجلال ، لذا فإنّ الخوف يكتنفني ؛ هذا الخوف الذي غالباً ما يؤدّي إلى

الوقوف وعدم الحركة .

فقال له سماحة السيّد : لا تخف ! فأينما شاؤوا أخذك فسأكون معك !

وكان السيّد يقول : ينبغي أن يكون الأُستاذ ممتلكاً لمقام التوحيد . كما أن الإنسان لا يمكنه اتّخاذ أكثر من أُستاذ واحد في زمن واحد ، أمّا عند موت الأُستاذ فيمكنه الرجوع إلى غيره ، على أن يكون الأُستاذ الجديد ـ بدوره ـ ممتلكاً لمقام التوحيد .

على أنّ شأن الذين ينتخبون أُستاذين فيأخذون التعليمات من هذا وذاك ، أو أن يرتبطوا بهما سويّاً ؛ كشأن مريض يراجع طبيبين معاً وفي عرض أحدهما الآخر ، وهو عمل لن يعقب إلّا الهلاك كما أنّه أمر مذموم شرعاً وعقلاً وشهوداً .

إنّ مَثَل الأفراد الذين يختارون أُستاذين ، كمثل طيور الحمام التي لها عشّان ؛ فهذه الطيور مهما امتازت بطيران سريع وقويّ ومهما طارت في الجوّ ساعات متمادية عطشى وجائعة ، إلّا أنّها لا تمتلك أبداً أيّة قيمة ، لأن أحداً لا يشتريها لعلمه أنّه مهما اشتراها بثمن بخس فإنّه هو المغبون في الصفقة ، لأنّها ستعود إلى عشّها الآخر بمجرّد طيرانها فتذهب معها جميع أتعاب ومشقّات صاحبها أدراج الرياح .

أمّا طيور الحمام التي تمتلك عشّاً واحداً فإنّها تمتلك قيمة وثمناً ، يطمئنّ صاحبها إلى أنّها مهما حلّقت وأينما صوّبت ، فهي عائدة لابدّ إلى عشّها هذا ، باقية في ملكه وحيازته . وإذا ما ألجأها أحياناً الجوع والعطش أو الأُنس بالطيور الأُخرى إلى الهبوط في مكان ما ، أو إذا وقعت أسيرة بِيَدِ شخص ما من محترفي اللعب بالطيور ، فإنّها ستعود إلى عشّها ذلك بمجرّد تحليقها ولو مرّت عليها أيّام عديدة . ومثل هذه الطيور تمتلك قيمة وثمناً ، وإذا ما رُبِّيت ودُرِّبت على أن تطير في الجوّ مثلاً يوماً كاملاً بشكل متواصل

فلربّما بلغت قيمتها مائة دينار أو أكثر .

ويُشاهد أحياناً أنّ بعض محترفي اللعب بالطيور يحتاجون مبلغاً بسيطاً من المال ، فيخرجون طيورهم هذه ويعرضونها للبيع بثمن بخس ، كمائة فلس مثلاً فيبيعونها لمن لا خبرة لهم ولا اطّلاع ، فيأخذها هؤُلاء إلى بيوتهم باطمئنان كامل ؛ فيشاهدون أنّها تتّجه مباشرة إلى عشّها المعهود الأوّل بمجرّد أن يضعها المشتري إلى جنب طيوره الأُخرى ، أو بمجرّد أن يدعها تحلّق في الجوّ .

أمّا ذوي الخبرة فلا يشترون مثل هذه الطيور ، لعلمهم أنّها مهما كانت زهيدة الثمن فإنّهم سيكونون هم المغبونين وأنّ هذا المبلغ البسيط الذي دفعوه بإزائها سيضيع منهم .

وعلى ضوء هذا المبدأ يعمد أساتذة العرفان إلى تربية تلميذ ما سنين طوالاً وإلى إطلاعه على الأسرار والرموز ، ثمّ يرسلونه ـ لغرض ما ـ مدّة معيّنة للتلمذة على أُستاذ معروف في ذلك الزمن ؛ ويحصل هذا لعدّة أسباب :

الأوّل : امتلاك ذلك الأُستاذ لأُسلوب خاصّ في التربية أو لكمالات خاصّة ، فيضع هؤُلاء تلميذهم تحت إشرافه وتربيته مدّة معيّنة أو إلى الأبد ليتمرّس على ذلك الأُسلوب وليتكامل بتلك الكمالات . وفي حال أعلميّة وأكمليّة الأُستاذ الثاني ، فمن الجليّ أنّ هذا التلميذ ينبغي أن يبقى هناك ، أمّا في حال كونه غير أعلم فإنّ التلميذ يكتسب كمالات الأُستاذ الثاني ثمّ يعود إلى الأُستاذ الأوّل .

الثاني : أن يكون للأُستاذ الثاني كمالات خاصّة أو طريقة خاصّة في التربية لا يعلم عنها هذا الأُستاذ شيئاً ، لذا فإنّه يضع التلميذ مدّة تحت إشرافه وتربيته ، حتّى إذا ما اكتسب التلميذ تلك الطريقة أو اطّلع على ذلك الكمال

فإنّه يعود إلى أُستاذه الأوّل فيشرح له الأمر ، فيطّلع ـ من ثمّ ـ على تلك الطريقة في التربية والتعليم .

الثالث : أن يكون للأُستاذ الثاني تلامذة لديهم قصور وأخطاء في نحو سلوكهم ، أو أن يكون للأُستاذ نفسه قصور وخطأ ، فيرسل الأُستاذ الأوّل تلميذاً بعنوان التلمذة إليه ، ليقوم بإصلاح أخطاء أُولئك الطلبة أو ذلك الأُستاذ من حيث لا يشعرون ، ثمّ يعود تلقائيّاً إلى أُستاذه من جديد .

وإذا ما لوحظ أحياناً أنّ بعض الأفراد لهم أُستاذان أو أكثر في زمن واحد ، فهو أمر صائب إن كان من قبيل هذه الاحتمالات .

وفي الحقيقة فإنّ للتلميذ أُستاذاً واحداً ، وهو الأُستاذ الذي خضع ذلك التلميذ لولايته الأصليّة والأوليّة ؛ ومن هنا فإنّ ولاية الأساتذة الآخرين ستكون طوليّة لا عرضيّة ، وفرعيّة وثانويّة لا أصليّة . وعلى هذا الأساس فإنّ عمل التلميذ بتعاليم الأُستاذ الثاني امتثال في الحقيقة لأمر الأُستاذ الأوّل وتعاليمه ، ومن ثمّ فلا تنافي ولا تنافر ولا اختلاف في الأمر .

وقد سئل السيّد مرّات عديدة : ما السبب في عدم اختياركم وصيّاً للمرحوم القاضي أعلى الله مقامه في الأُمور العرفانيّة والسلوكيّة والتوحيديّة واختياره سماحة آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس القوجانيّ هاتف ليكون وصيّه في ذلك ؟

فكان يجيب : الوصاية قسمان : ظاهريّة وباطنيّة .

فالوصيّ الظاهر هو الذي يجعله الأُستاذ وصيّه أمام الملأ العامّ ، فيكتب بذلك ويمُضيه ويعلنه . وحسب ذوق المرحوم القاضي الذي كان عالماً جامعاً ومجتهداً وحائزاً للرياستين في العلوم الظاهريّة والباطنيّة ، فإنّ على الوصيّ حتماً أن يحوز العلوم الظاهريّة من الفقه والأُصول والتفسير والحديث والحكمة والعرفان النظريّ ؛ منعاً لانكسار سدّ الشريعة ولئلّا

يكون هناك خطّان ومنهجان .

وهذا هو المبدأ الذي كان المرحوم القاضي يعتمد عليه كثيراً ؛ فكان يحسب للشريعة الغرّاء حسابها بدقّة كبيرة ، وكان بنفسه رجلاً متشرّعاً بتمام المعنى ، ومعتقداً بأنّ الشريعة هي السبيل لإدراك الحقائق العرفانيّة والتوحيديّة . وكان جادّاً في هذا الأمر ، بحيث لم يكن ليفوته أبسط سُنّة وعمل مستحبّ ، حتّى قال بعض المعاندين : إنّ هذه الدرجة من الزهد والإتيان بالأعمال المستحبّة التي يقوم بها القاضي لا تنبع من الإخلاص ، بل إنّه يحاول إظهار نفسه بهذا الشكل وبهذه الشمائل والأوصاف ؛ فهو رجل صوفيّ محض لا يعير لمثل هذه الأُمور اهتماماً !

وعلى هذا الأساس فقد كان للمرحوم القاضي التفات إلى العلوم الظاهريّة ، أمّا الأمر الآخر فهو أنّ العالِم الدارس لا يمكن لأحد خداعه .

ولو صار أساس تعيين الوصيّ من غير العلماء أمراً رائجاً ومعهوداً ، فما أحرى أن يدّعي المعرفة كثيرٌ من الشياطين فيجرّون الخلق إلى اتّباعهم ويسقطون البسطاء السذّج في حبائلهم بحيث يستحيل إقناعهم بعد ذلك بخطئهم بأيّ دليلٍ أو منطق .

ومن ثمّ فقد اختار المرحوم القاضي من بين تلامذته الحاجّ الشيخ عبّاس ، الذي كان رجلاً عالماً مجرّداً عن هوى النفس ، وقد عانى الآلام والمشاقّ والمحن ؛ فحفظ جلالَ ومقام ومكانة المرحوم الأُستاذ القاضي على أكمل وجهٍ وأتمّه .

أمّا وصيّ الباطن فهو الذي أكمل باطنه بكمالات الأُستاذ ، فصار يمتلك معرفة شهوديّة وقدرة قياديّة ، باطنيّة وسرّيّة ، على الرغم من أنّ الأُستاذ لم يقدّمه للآخرين ولم يُذع أمره ، لأنّه يمتلك في الباطن السيطرة على النفوس ـ شاءت أم أبت ـ فهو يهدي التلامذة إلى أمر الله ، ويراقب

طريقهم وسلوكهم ويتولّى رعايتهم .

وصيّ الظاهر يعمل في الظاهر بمقتضى وصايته ، أمّا وصيّ الباطن فيعمل في الباطن ؛ فإن عملا سويّاً كالتوأم ، ظهرت منافع لا تعدّ ولا تحصى وتفتّحت ورود بديعة رائعة من براعم بستان التوحيد .

إنّ وصيّ الظاهر يقبل الأفراد الطالبين للسلوك ، ووصيّ الباطن ينتقي منهم وينتخب ؛ لذا فلو انكشف نفاق الأفراد الذين خضعوا لتربية وصيّ الظاهر مدّة ، فإنّ وصيّ الباطن لن يقبلهم منذ البداية ، ومن ثمّ فإنّهم سيفقدون رغبتهم وحماسهم بعد حين فيرجعون ، أو أنّهم يلجؤون إلى العناد لا سمح الله .

أمّا التلامذة الحقيقيّون فسيقوم بأمر هدايتهم وإرشادهم عن طريق الباطن ، فيتعرّفون ـ باعتبارهم أهل رغبة صادقة ونيّة حسنة ـ على وصيّ الباطن وينهلون من تعاليمه .

وعليه ، وبهذا البيان فإنّ أُستاذ الظاهر وأُستاذ الباطن موجودان معاً ، يؤيّد أحدهما الآخر ويدعمه . وهما يتحمّلان جزءاً كبيراً من مسؤوليّة تقدّم التلاميذ وإيصالهم إلى المقصد الأصليّ . وينبغي حتماً في هذه الحال أن لا يقع خلاف بين أُستاذَي الظاهر والباطن ، لأنّ الاختلاف دليل على عدم صحة الطريق ـ انتهى كلامه مجملاً .

ومن المناسب هنا أن ننقل مطلبينِ عن محيي الدين بن عربي يمكن أن تُستخرج منهما أسرار خفيّة :

الأوّل :

وَالحَادِي عَشَرَ سُورَةُ طَه ، وَهَذَا القُطْبُ هُوَ نَائِبُ الحَقِّ تَعَالَى كَمَا كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ نَائِبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ فِي تِلَاوَةِ سُورَةِ بَرَاءَةَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ . وَقَدْ كَانَ بَعَثَ بِهَا أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ رَجَعَ عَنْ ذَلِكَ

فَقَالَ : لَا يُبَلِّغُ عَنِّي القُرْآنَ إلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي .

فَدَعَا بِعَلِيٍّ فَأَمَرَهُ فَلَحِقَ أَبَا بَكْرٍ . فَلَمَّا وَصَلَ إلَى مَكَّةَ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ وَبَلَّغَ عَلِيٌّ إلَى النَّاسِ سُورَةَ بَرَاءَةَ وَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ نِيَابَةً عَنْ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّم.[1]

أقول : خبر حجّ أبي بكر بالناس وفق روايات العامّة ، ولكن وفق الروايات الخاصّة أنّ أبا بكر عاد إلى المدينة وأنّ عليّاً عليه السلام قام بإبلاغ سورة براءة وحجّ بالناس أيضاً .

الثاني :

وَمَنِ انْتَمَى إلَى قَوْلِ إمَامٍ لَا يُوَافِقُهَا فِي الحُكْمِ هَذَا القُطْبُ[2] **وَهُوَ**

١ـ «الفتوحات المكّيّة» ، ج ٤ ، ص ٧٧ و٧٨ ، الباب ٤٦٣ ، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى، مصر : في معرفة الأقطاب الاثني عشر الذين يدور عليهم عالم زمانهم . ثمّ يقول محيي الدين بعد بيان وتفصيل:

فَأَقْطَابُ هَذِهِ الأُمَّةِ اثْنَا عَشَرَ قُطْباً عَلَيْهِمْ مَدَارُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا أَنَّ مَدَارَ العَالَمِ الجِسْمِيِّ وَالجِسْمَانِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عَلَى اثْنَي عَشَرَ بُرْجاً ، قَدْ وَكَّلَهُمُ اللَهُ بِظُهورِ مَا يَكُونُ فِي الدَّارَيْنِ مِنَ الكَوْنِ وَالفَسَادِ المُعْتَادِ وَغَيْرِ المُعْتَادِ .

ثمّ خصّص محيي الدين بعد ذلك سورة لكلّ واحد من الأقطاب الاثني عشر ، وعيّن سورة طه للقطب الحادي عشر منهم.

٢ـ في هذه العبارة تعقيد لا ينحلّ ، فإنّ علينا إمّا أن نحذف ضمير التأنيث في **لَا يُوافِقُهَا** ؛ وستتحقّق في هذه الحال علاقة لفظ إمام مع جملته الوصفيّة ، ويصبح لفظ **هَذَا القُطْبَ** مفعولاً إلى **لَا يُوَافِقُهَا** كما قد أوردناه في الترجمة الفارسيّة.

أو أن نُرجع ضمير التأنيث إلى الأئمّة الأربعة للجماعة الذين ورد ذكرهم في الجملة السابقة : **(وربَّما يَقَعُ فيه مَن خالفَ حكمُه مِن أهلِ المَذاهبِ مثلَ الشَّافِعيَّةِ والمالِكيَّةِ والحنَفيَّةِ والحَنابلَة)** ، وفي هذه الحال يجب أن نعتبر لفظ **هذا القطب** فاعلاً إلى **لا يوافقها** ، أي : قول الإمام الذي هو هذا القطب لا يوافق في الحكم أقوال أئمّة المذاهب الأربعة؛ وفي هذه الحالة ستفقد رابطة الصفة والموصوف في جملة **إمام لا يوافقها** لفقدان ضمير رابط ⇦

الخَلِيفَةُ فِي الظَّاهِرِ ، فَإِذَا حَكَمَ بِخِلَافِ مَا يَقْتَضِيهِ أَدِلَّةُ هَؤُلَاءِ الأَئِمَّةِ ؛ قَالَ أَتْبَاعُهُمْ بِتَخْطِئَتِهِ فِي حُكْمِهِ ذَلِكَ وَأَثِمُوا عِنْدَ اللهِ بِلَا شَكٍّ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُخَطِّئُوا مُجْتَهِداً لِأَنَّ المُصِيبَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ لَا بِعَيْنِهِ ، وَمَنْ هَذِهِ حَالُهُ فَلَا يُقْدِمْ عَلَى تَخْطِئَةِ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ ؛ كَمَا تَكَلَّمَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي إمَارَةِ أُسَامَةَ وَأَبِيهِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، حَتَّى قَالَ فِي ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ مَا قَالَ.

فَإِذَا طُعِنَ فِي مَنْ قَدَّمَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ وَأَمْرِهِ ، وَرَجَّحُوا نَظَرَهُمْ عَلَى نَظَرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهِ عَلَيهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ فَمَا ظَنُّكَ بِأَحْوَالِهِمْ مَعَ القُطْبِ ؟! وَأَيْنَ الشُّهْرَةُ مِنَ الشُّهْرَةِ ؟! هَيْهَاتَ ! فُزْنَا وَخَسِرَ المُبْطِلُونَ.

فَوَ اللهِ لَا يَكُونُ دَاعِياً إِلَى اللهِ إِلَّا مَنْ دَعَا عَلَى بَصِيرَةٍ ، لَا مَنْ دَعَا عَلَى ظَنٍّ وَحَكَمَ بِهِ.

لَا جَرَمَ أَنَّ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ حَجَرَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ مَا وَسَّعَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

فَضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ المُطَالَبَةَ وَالمُحَاسَبَةَ ؛ لِكَوْنِهِمْ شَدَّدُوا عَلَى عِبَادِ اللهِ أَنْ لَا يَنْتَقِلُوا مِنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ فِي نَازِلَةٍ طَلَباً لِرَفْعِ الحَرَجِ ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ ذَلِكَ تَلَاعُبٌ بِالدِّينِ ؛ وَمَا عَرَفُوا أَنَّهُمْ بِهَذَا القَوْلِ قَدْ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ.

بَلْ شَرْعُ اللهِ أَوْسَعُ ، وَحُكْمُهُ أَجْمَعُ وَأَنْفَعُ «وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ❊

⇦ بينهما.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ»[1] هَذَا حَالُ هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ.[2]

١ـ الآيات ٢٤ إلى ٢٦ ، من السورة ٣٧ : الصافّات.

٢ـ «الفتوحات المكّيّة» ج ٤ ، ص ٧٩ ، الباب ٤٦٣ : في معرفة أحوال الأقطاب. والآية ٣٦ ، من السورة ٧٧ : المرسلات ، هي : **وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ**. (م)

القسم الثامن

السفر السادس للحقير إلى العتبات المقدسة، أواخر

سنة ١٣٩٠ وأوائل سنة ١٣٩١ هجرية قمرية

السفر السادس للحقير إلى العتبات المقدّسة
أواخر سنة ١٣٩٠ و أوائل سنة ١٣٩١ هجريّة قمريّة

لقد منّ الله سبحانه عَلَيّ بالتوفيق في أواخر سنة ١٣٩٠ هجريّة قمريّة في موسم الحجّ للتشرّف بالسفر لأداء مناسك الحجّ وزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله وفاطمة الزهراء وأئمّة البقيع صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بصحبة اثنين من أولادي وهما الحاجّ السيّد محمّد صادق وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة ، والحاجّ السيّد محمّد محسن وكان يزيد على خمس عشرة سنة بقليل . حيث سافرنا من طهران إلى الكويت ومن هناك إلى مكّة المكرّمة ، ثمّ عدنا من جدّة إلى بغداد أوائل العشرة الثانية من ذي الحجّة وبقينا في العتبات المقدّسة لمدّة شهر تقريباً ، ثمّ عدنا من النجف وكربلاء إلى الكاظميّة برفقة سماحة السيّد الحدّاد ، ثمّ قمنا بزيارة الإمامين العسكريّينِ عليهما السلام وعدنا بعد ذلك إلى طهران أوائل العشرة الثالثة من محرّم الحرام .

ولقد كنّا طيلة هذا السفر عند العتبات المقدّسة في معيّة سماحة السيّد فقد كنّا ـ بعد قيامنا بالزيارة الأُولى للكاظميّة ـ في معيّته الكريمة طوال أوقات مكثنا في كربلاء والنجف ثمّ في الكاظميّة وسامرّاء .

وكان لهذا التشرّف بزيارة العتبات المباركة بعد أداء الحجّ التأثير البالغ العجيب بالنسبة إلى أولادي إذ بعد القيام بالحجّ ، ووُفّق هذان البرعمان اليافعان من طلبة العلوم الدينيّة لزيارة المراقد المطهّرة للأئمّة

عليهم السلام بعد مشاهدة تلك الأماكن المباركة المشرّفة وزيارتها ، وبعد الانهماك بأداء مناسك الحجّ الجميلة المحبّبة التي لا تزال ذكرياتها تموج في ذهنيهما ؛ مضافاً إلى أنّ مضيّفهما في كربلاء وسائر الأماكن الأُخرى كان وليّاً من أولياء الله كسماحة السيّد هاشم ، وكان ذلك بالنسبة لهما أمراً رائعاً ومحبّباً جدّاً يأخذ بمجامع القلوب .

وأساساً فإنّني أعتقد بأنّ الأولاد ينبغي إرسالهم إلى الحجّ في أوائل سنّ بلوغهم بأيّ طريق ممكن ، من أجل أن تكتسب أرواحهم الطاهرة ونفوسهم النقيّة غير الملوّثة تلك الحقائق وتجذبها إليها كالمغناطيس ، فتبقى تلك المطالب إلى آخر العمر الشغل الشاغل الذي لا يفارق أذهانهم ، حيث إنّها ستقوم شيئاً فشيئاً بإظهار تلك المكتسبات وإبرازها إلى النور وإخراجها إلى حيّز الفعليّة ؛ ولو استلزم أمر إرسالهم المشاقّ ، أو استدعى بيع بعض أثاث البيت ومتاعه ، فليس ذلك بالأمر المهمّ ، سواءً عُوّض هذا الأثاث والمتاع فيما بعد أم لم يعوّض ، إذ إنّ المهمّ هو زيارة هذه النفوس القابلة والمستعدّة وغير الملوّثة بالآثام والكثرات ، ممّا سيؤدّي إلى تثبيت الإيمان والطهارة والتقوى لديهم إلى آخر أعمارهم .

وعلى الإنسان أن لا ينتظر الوجوب الشرعيّ كما هي الحال في الحجّ الذي يحصل هذه الأيّام في أواسط العمر بعد اللتيا واللتي ، أو كما كان يحصل في قديم الأيّام في أواخر عمر الإنسان . إذ ستنحصر استفادة النفس الإنسانيّة من الحجّ والآثار الناجمة منه في مثل هذه الحالات ببقيّة عمر الفرد ، التي غالباً ما تكون ضئيلة وقليلة . أمّا الحجّ في سنّ البلوغ فإنّ آثاره ستصاحب الإنسان من أوّل منزل ومحطّة للتكليف والتشرّف بالخطاب الربوبيّ إلى آخر عمره ، وستبعث ـ من ثمّ ـ النشاط في الروح وتحافظ على النفس حيّة بالإيمان والإيقان . وبالرغم من أنّ هذا التوفيق لم يحصل

للحقير نفسه إلّا في سنّ الثالثة والثلاثين ، بَيدَ أنّ المساعي قد بُذلت بالنسبة إلى هذين الولدين وإلى ولدَيّ الآخرينِ أيضاً ،كي يكون حجّهم في أوّل فرصة ممكنة بعد البلوغ .

وإنصافاً ، فقد قام المضيّفون الحقيقيّون : الله سبحانه نفسه ، والوجود المقدّس لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وفاطمة الزهراء عليها السلام وأئمّة البقيع وأئمّة العتبات المقدّسة عليهم السلام بإضافتنا ،كما استقبل السيّد الحدّاد هذين الولدين وعاملهما كما لوكانا ولديه ، بل أكثر من ذلك. وكان هذا الشيخ العارف ذو السنين التي تربو على السبعين يقوم بنفسه بمهام الضيافة ؛ يشتري الخبز والخضروات ويهيِّئ المستلزمات المختلفة ويبسط المائدة على الأرض . وباعتبار ورودنا عليه بعد عيد الغدير ، فقد أعطى لكلٍّ من ولدَيّ هديّة العيد خمسة دنانير . وقام بنفسه بإلباس ولدِي الأكبر الحاجّ السيّد محمّد صادق بيده المباركة لباس العلم والمعرفة والأدب وكسوة رجال الدين وخلعة رسول الله ، وعقد العمامة على رأسه ، ولم يدّخر وسعاً في بيان شروط ومستلزمات الهداية والإرشاد له ، بل قام بذلك على أكمل وجه وأتمّه ، وأوصاه كثيراً ـ من أجل أن يصبح عالماً عاملاً جامعاً ـ بتعاهد دروسه والتمعّن والتحقيق في قراءته ، والاستفسار عمّا يبهم عليه ، فلا يتعدّى درساً إلى غيره حتّى يفهمه .

وكان يقول : إنّ قيمة العالِم العامل تزيد على الدنيا والآخرة كليهما ، وتفوق كلّ ما يتصوّر .

ويقول : لقد كان المرحوم السيّد (القاضي) عالماً لا مثيل له في الفقاهة ، ولا مثيل له في فهم الرواية والحديث ، ولا مثيل له في التفسير والعلوم القرآنيّة ، وفي الأدب العربيّ واللغة والفصاحة ، وحتّى في التجويد والقراءات القرآنيّة ، وكان يحضر أحياناً مجالس الفاتحة فلا يجرُؤ إلّا

القليل من قرّاء القرآن على القراءة في حضوره ، لأنّه كان يبيِّن الإشكالات في تجويدهم وأُسلوب قراءتهم .

وكان المرحوم القاضي يتشرّف بالمجيء إلى كربلاء ويتفضّل ـ مجلّلاً ـ بالنزول في المنزل المتواضع للحقير . وبالرغم من كونه غارقاً إلى حدّ كبير في بحر المعارف الزاخر ، إلا أنّه ـ مع ذلك ـ كان يقرأ لي أحياناً من الأشعار الفصيحة والبليغة ، من جملتها هذه الأشعار الواردة في استعمال الكلمات المشتركة لفظاً المتعدّدة معنى :

يَا خَلِيَّ البَالِ قَدْ بَلْبَلْتَ بِالبِلْبَالِ بَالْ
بِالنَّوَى زَلْزَلْتَنِي وَالعَقْلُ فِي الزِّلْزَالِ زَالْ
يَا رَشِيقَ القَدِّ قَدْ قَوَّسْتَ قَدِّي فَاسْتَقِمْ
فِي الهَوَى فَافْرُغْ فَقَلْبِي شَاغِلُ الأَشْغَالِ غَالْ
يَا أَسِيلَ الخَدِّ خَدَّ الدَّمْعُ خَدِّي فِي النَّوَى
عَبْرَتِي وَدْقٌ وَعَيْنِي مِنْكَ يَا ذَا الخَالِ خَالْ
كَمْ تُسَقِّي زُمْرَةَ العُشَّاقِ غَسَّاقَ الجَوَى
كَمْ تَسُوقُ الحَتْفَ مِنْ سَاقٍ عَنِ الخَلْخالِ خَالْ

إلى آخر الأبيات[1]. ويتّضح من ذلك أنّ المرحوم القاضي كان يحفظ جميع هذه القصيدة الرائعة .

ومن جملتها هذه الأشعار :

يَا مَنْ بِمُحَيَّاهُ جَلَى الكَوْنَ وَزَانَه العَالَمُ فِي الحَيْرَةِ لَا يُدْرِكُ شَانَهُ

١ـ من القصيدة المعروفة بالطيطرانيّة ، أنشدها رشيد الوطواط في مدح الصدر ، وهي موجودة في مجلّد ضمن مجموعة طبعت بالطباعة الحجريّة مع المعلّقات السبع وأشعار أُخرى.

أَخْفَاكَ ظُهُورٌ لَكَ عَـنْهُمْ وَأَبَـانَهْ اى تير غمت را دل عشّاق نشانه[١]

عالم به تو مشغول و تو غايب ز ميانه[٢]

إيَّـاكَ تَـطَلَّبْتُ وَذِكْـرَاكَ هَـوَيْتُ مِـنْ كُـلِّ حَـدِيثٍ بِأَسَـانِيدَ رَوَيْتُ

إنْ كَانَ إلَى الكَـعْبَةِ وَالبَـيْتِ أَتَـيْتُ مقصود من از كعبه وبتخانه توئى تو[٣]

مقصود توئى كعبه و بتخانه بهانه[٤]

إنْ فِي عَرَفَاتٍ وَمِنَاهَا جَسَـدِي دَارْ أَوْ مَشْعَرِهَا مَا لِسِـوَاكَ خَـلَدِي دَارْ

مَنْ مِثْلِيَ مَنْ حَجَّ إلَى الكَعْبَةِ وَالدَّارْ حاجى به ره كعبه و من طالب ديدار[٥]

او خانه همى جويد و من صاحب خانه[٦]

قَـدْ كَـلَّ لِسَـانِي صِـفَةُ الدَّارِ بِـتَجْرِيدْ

فِي فَضْلِ صِـفَاتٍ وَلَـقَدْ طَـالَ بِـتَحْمِيدْ

مِـنْ مُـقْلَةِ قَـلْبِي فَأَرَى نُـورَكَ تَـوْحِيدْ

چون در همه‌جا عكس رخ يار توان ديد[٧]

ديوانه منم من كه روم خانه به خانه[٨]

١ـ يقول: «يا من أصاب حبّك قلوب العشاق بسهم الحزن».

٢ـ يقول: «كلّ العالم مشغول بك وأنت غائب عنهم».

٣ـ يقول : «مقصودي من الكعبة ومعبد الأصنام أنت ، أنت».

٤ـ يقول: «المقصود أنت ، والكعبة ومعبد الأصنام ليست إلّا عُذراً».

٥ـ يقول: «الحاجّ يقصد الكعبة ، وأنا أقصد اللقاء».

٦ـ يقول: «فهو يبحث عن الدار ، أمّا أنا فعن صاحبها أبحث».

٧ـ يقول: «لأنّ طلعة الحبيب يمكن رؤيتها في كلّ مكان».

٨ـ يقول: «فقد كنت مجنوناً حين أطوف لأجله من بيتٍ لآخر».

لَا مَطْلَبَ إلَّا وَبِأَيْدِيكَ مُشَيَّدْ
لَا مُفْضِلَ إلَّا وَبِنُعْمَاكَ مُقَيَّدْ
لَا مُفْضِلَ إيَّاكَ وَلَا غَيْرَكَ ذُو اليَدْ

هركس به زبانى صفت حمد تو گويد[١]
بلبل به نوا خوانى و قمرى به ترانه[٢]

لَا مَطْلَبَ لِي غَيْرُكَ لَا وَالَّذِي يُوجِدْ إنْ أُتْهِمُ أَوْ أُشْئِمُ أَوْ أُعْرِقُ أُنْجِدْ
لِلْفَوْزِ إلَى وَصْلِكَ يَا مَنْ هُوَ مُنْجِدْ گه معتكف ديرم و گه ساكن مسجد[٣]
يعنى كه تو را مى‌طلبم خانه به خانه[٤]

كما كان يقرأ من جملتها هذا الرباعي :

أَقُول زَيْدٌ وَزَيْدٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَإنَّمَا هُوَ قَوْلٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ
وَكَمْ ذَكَرْتُ حَدِيثاً لَا اكْتِرَاثَ بِهِ حَتَّى يَجُرُّ إلَى ذِكْرَاكَ ذِكْرَاهُ

ومن جملتها هذا البيت :

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمَعَتْ فِي أَنْ يَرَاكَا
أَوَ مَا حَسْبُ لِعَيْنٍ أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَآكَا

وكان يقول : هذا البيت في المعنى والمفاد نظير بيت ابن الفارض الذي يقول :

١ـ يقول: «الكلّ يذكر بلغته صفة حمدك ومدحك».
٢ـ يقول: «البلبل في لحنه والقمريّة في شَدْوها».
٣ـ يقول: «أعتكف في الدير أحياناً ، وأحياناً أسكن في المسجد».
٤ـ يقول: «أي أنّني أبحث عنك بيتاً بيتاً».
وما تقدّم هو من جملة أشعار الهلاليّ في استقباله لقصيدة للشيخ بهاء الدين العامليّ المشهورة.

أَبْـقِ لِـي مُـقْلَةً لَـعَلَّيَ يَـوْماً قَبْلَ مَوْتِي أَرَى بِهَا مَنْ رَآكَا[1]

ومن جملتها هذه الأبيات :

وَمَا فِي الخَلْقِ أَشْقَى مِنْ مُحِبٍّ وَإنْ وَجَدَ الهَوَى حُلْوَ المَذَاقِ

تَـرَاهُ بَـاكِـياً فِـي كُـلِّ حِـينٍ مَـخَافَةَ فُـرْقَةٍ أَوْ لِاشْـتِيَاقِ

وَيَـبْكِي إنْ نَأَوْا شَـوْقاً إلَـيْهِ وَيَبْكِي إنْ دَنَوْا خَوْفَ الفِـرَاقِ

هذه هي مجموعة الأشعار التي حكاها عن المرحوم القـاضي رحـمة الله عليه طيلة هذا السفر ، وأمّا الأشعار والمطالب التي كان يـوردها بـنفسه في تعريف العشق فهي :

جَلِيسٌ مُمَنَّعٌ ، وَصَاحِبٌ مَالِكٌ ، مَذَاهِبُهُ غَامِضَةٌ ، وَأَحْكَامُهُ جَارِيَةٌ . يَمْلِكُ الأَبْدَانَ وَأَرْوَاحَهَا ، وَالقُلُوبَ وَخَوَاطِرَهَا ، وَالعُقُولَ وَأَلْـبَابَهَا؛ قَـدْ أُعْطِيَ عِنَانَ طَاعَتِهَا ، وَقُوَّةَ تَصْرِيفِهَا .

ويقول أيضاً : **جَلَّ أَنْ يَخْفَى ، وَدَقَّ أَنْ يُرَى ، فَهُوَ كَامِنٌ كَكُمُونِ النَّارِ فِي الحَجَرِ ؛ إنْ قَدَحْتَهُ أَوْرَى ، وَإنْ تَرَكْتَهُ تُوَارَى .**

* * *

روزى كه شود **إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ**

وآنگه كه شود **إِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ**

مـن دامـن تـو بگـيرم انـدر **سُـئِلَتْ**

گـويم صـنما **بِأَيِّ ذَنبٍ قُـتِلَت ؟**[2]

١ـ وهذا البيت ضمن غزل لابن الفارض ، مطلعه :

تِهْ دَلَالاً فَأَنْتَ أَهْـلٌ لِـذَاكَـا وَتَحَكَّمْ فَالحُسْنُ قَدْ أَعْطَاكَا

«ديوان ابن الفارض» ص ١٥٦ إلى ١٦١ ، طبعة بيروت ، دار صادر ، سنة ١٣٨٢ هجريّة .

٢ـ يقول: «في يوم يـتحقّق فـيه **إِذَا ٱلسَّـمَآءُ ٱنْـفَطَرَتْ** وعـندما يـحدث **إِذَا ٱلنُّـجُومُ ٱنْكَدَرَتْ** .

⇦

عشـــق تـــو مـرا **أَلَسْتُ مِـنكُمْ بِـبَعيدْ**
هـــجر تـــو مـرا **إنَّ عَـذَابـی لَشَـدِيدْ**
بـر کـنج لبت نـوشته **يُـحْيى وَيُـميتْ**
مَنْ مَاتَ مِنَ العِشْقِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيدْ[1]

* * *

با هيچ کَس نشانی ز آن دلستان نديدم
يا من خبر ندارم يـا او نشـان نـدارد[2]

* * *

به عـقل نـازی حکـيم تـا کـی ؟		به فکرت اين ره نمی‌شود طِـیّ
بــه کــنه ذاتش خـــرد بـرد پـی		اگـــر رسـد خَس بـه قَـعرِ دريـا
چو نـيست بـينش بـه ديـدهٔ دل		رخ ار نمايد تو را چه حـاصل ؟
که هست يکسان به چشم کوران		چـه نـقش پـنهان چـه آشکـارا[3]

* * *

وكان سماحة السيّد الحدّاد يقنت في خلال هذا السفر بهذا الدعاء :

يَا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ ، وَسَتَرَ القَبِيحَ ، يَا مَنْ لَمْ يُؤَاخِذْ بِالجَرِيرَةِ ، يَا مَنْ

⇦ سأتعلّق بأذيالك بدعوى **سُئِلَتْ** ، فأقول : يا معبودي **بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ؟».

١ـ يقول: «قد دلّني على عشقك **أَلَسْتُ مِنكُم بِبَعِيدْ** ، وعلى هجرك **إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدْ** . مكتوبٌ على زاوية شفتك **يُحْيِي وَيُمِيت** ، من مات من العشق فقد مات شهيد».

٢ـ يقول: «لم أر عنواناً لذلك المعشوق عند أحد ، فإمّا أنّني لا أعلم أو أنّه بلا عنوان».

٣ـ يقول: «إلى متى تتباهى بعقلك أيّها الحكيم ؟ فهذا الدرب لا يمكن طيّه بفكرك.
وسيصل العقل إلى إدراك كنه ذاته ، إذا ما وصلت قشّةٌ من التبن قعرَ البحر.
وحين تنعدم البصيرة في القلب ، فماذا ستكون الفائدة لو تجلّت الطلعة عياناً ؟
فسيّان في أعين العميان ، إن كان الأمر خافياً أو جليّاً».

لَمْ يَهْتِكِ السِّتْرَ ، يَا عَظِيمَ العَفْوِ ، يَا حَسَنَ التَّجَاوُزِ ، يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ ، يَا بَاسِطَ اليَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ .

ارْحَمْنِي يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجْوَى ، يَا مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى ، يَا مُفَرِّجَ كُلِّ كُرْبَةٍ ، يَا مُقِيلَ العَثَرَاتِ ، يَا كَرِيمَ الصَّفْحِ ، يَا عَظِيمَ العَفْوِ ، يَا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا .

يَا رَبَّاهُ ! يَا سَيِّدَاهُ ! يَا غَايَةَ رَغْبَتَاهُ ! أَسْأَلُكَ بِكَ وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ وَالأَئِمَّةِ المَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَأَسْأَلُكَ يَا اللَهُ أَنْ لَا تُشَوِّهَ خَلْقِي بِالنَّارِ ، وَأَنْ تَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ .[1]

لكنّ سماحة الحاجّ السيّد هاشم كان يقول بدل عبارة **وَالأَئِمَّةِ المَعْصُومِينَ : وَعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، والمَهْدِيِّ صَاحِبِ الزَّمَانِ** ؛ ثمّ يقرأ بقيّة الدعاء .

وكان يقرأ في السجدة الأخيرة من صلواته الدعاء التالي :

يَا اللَهُ يَا اللَهُ يَا اللَهُ ، أَنْتَ اللَهُ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ لَا شَرِيكَ لَكَ .

تَجَبَّرْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ ، وَتَعَالَيْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ شَرِيكٌ ، وَتَعَظَّمْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مُشِيرٌ ، وَتَقَهَّرْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ ضِدٌّ ، وَتَكَبَّرْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَزِيرٌ .

يَا اللَهُ يَا اللَهُ يَا اللَهُ ، بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ إلَّا فَرَّجْتَ عَنِّي .

وكان يُشاهَد وهو يُسَبِّح التسبيحات التالية في المواقع المختلفة :

سُبْحَانَ الدَّائِمِ القَائِمِ ، سُبْحَانَ القَائِمِ الدَّائِمُ ، سُبْحَانَ الحَيِّ القَيُّومِ ،

١ـ ورد هذا الدعاء بهذه الكيفيّة في ص ٣١٩ ، من كتاب «ضياء الصالحين».

سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ ، سُبْحَانَ رَبِّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ ، سُبْحَانَ اللَهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ العَلِيِّ الأَعْلَى ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وكان يهوي إلى السجود بين الأذان والإقامة فيقرأ هذا الدعاء :

سَجَدْتُ لَكَ يَا رَبِّ خَاضِعاً خَاشِعاً ذَلِيلاً .

وكان يقرأ الدعاء التالي في الأوقات المختلفة :

اللَهُمَّ يَا مُسَبِّبَ الأَسْبَابِ ، يَا سَبَبَ كُلِّ ذِي سَبَبٍ ، يَا مُسَبِّبَ الأَسْبَابِ مِنْ غَيرِ سَبَبٍ ، سَبِّبْ لِي سَبَباً لَنْ أَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً . صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ ، وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ !

وقال السيّد : قيل في شأن أحد الرجال الإلهيّين (شمس التبريزيّ) : إنّه قال طيلة مدّة عمره بيتاً واحداً من الشعر :

من گُنگ خواب ديده و عالم تـمام كَـر

من عاجزم ز گفتن و خلق از شنيدنش[١]

كانت هذه مجموعة الأدعية والأشعار التي كان السيّد يقرأها خلال هذا السفر ، أما أدعيته المعهودة التي سمعتها منه ودوّنتها فهي عدّة :

فقد كان يقرأ في السجدة الأخيرة من صلاته :

إِلَهِي عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ ، مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ[٢] ، سَائِلُكَ

١ـ يقول : «أنا أخرس رأى حلماً والناس كلّهم صمّ ، فلا أنا قادر على بيانه ولا هُم قادرون على سماعه».

٢ـ يقول في «منتهى الآمال» ج ٢ ، ص ٨ ، طبعة العلميّة الإسلاميّة ، القطع الرحليّ ، في أحوال الإمام السجّاد عليه السلام ، الفصل الثالث : في عبادته عليه السلام ، وفي كتاب «حديقة الشيعة» : قال طاووس اليمانيّ :

دخلتُ حجر إسماعيل منتصف الليل فرأيت عليّ بن الحسين عليهما السلام ساجداً ⇦

بِفِنَائِكَ.

وكان الحقير أيضاً يقرأ هذا الدعاء في السجدات الأخيرة من الصلاة متابعة له منذ ذلك الوقت، ولكن كان يخطر ببالي أنّ عبارة: **سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ**، لم تكن موجودة في تلك العبارة الأخيرة؛ فسجدت يوماً فسمعني لا أقولها، فآخذني عليها بعد الصلاة فقال: لِم لَم تقل **سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ**؟ فقلت: سأقول ذلك. ومن ثمّ داومتُ على قولها.

ثمّ اتّضح ضمن المراجعة أنّ لفظ **سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ** موجود أيضاً في بعض الروايات [١].

⇦ في الحجر، فأصغيت إليه فسمعته يقول: **إلَهِي! عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ، مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ**. فما دعوتُ بهنّ في كرب إلّا فُرِّج عنّي.

والفِناء في اللغة: ساحة البيت. فمن قال هذه الكلمات عن إخلاص فإنّها ستؤثّر البتّة وستقضى حاجته ـ انتهى.

١ـ يقول في «كشف الغمّة» ص ٢٠٠، الطبعة الحجريّة، ضمن بيان أحوال الإمام السجّاد عليه السلام:

وَقَالَ طَاوُوسُ: رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاجِداً فِي الحِجْرِ، فَقُلْتُ: رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ طَيِّبٍ، لَأَسْمَعَنَّ مَا يَقُولُ، فَأَصْغَيْتُ إلَيْهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عَبْدُكَ [**عُبَيْدُكَ** ـ خ ل] **بِفِنَائِكَ، مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ، سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ. فَوَ اللَهِ مَا دَعَوْتُ بِهِنَّ فِي كَرْبٍ إلَّا كَشَفَ عَنِّي.**

ويقول آية الله السيّد محسن العامليّ في الصحيفة الخامسة السجّاديّة، ص ٣٣٠ و ٣٣١، طبعة مطبعة الفيحاء، دمشق، بعد بيان المطالب السابقة من «كشف الغمّة» و«مطالب السئول» مرسلاً: وروى في «الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة» مرسلاً عن طاووس اليمانيّ أنّه قال: دخلت الحجر في الليل فإذا عليّ بن الحسين رضي الله عنه قد دخل فقام يصلّي ما شاء الله، ثمّ سجد سجدة فأطال فيها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوّة لأصغينّ إليه، فسمعته يقول... وذكر الدعاء بعينه. ثمّ قال طاووس: فو الله ما صلّيت ودعوت بهنّ في كرب إلّا فُرِّج به عنّي. ⇦

وكان كثيراً ما يقرأ الدعاء التالي في قنوت صلاته :

أَعْدَدْتُ لِكُلِّ هَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلِكُلِّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلِكُلِّ نِعْمَةٍ الحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلِكُلِّ رَخَاءٍ وَشِدَّةٍ الشُّكْرُ لِلَّهِ ، وَلِكُلِّ أُعْجُوبَةٍ سُبْحَانَ اللَه ، وَلِكُلِّ ذَنْبٍ أَسْتَغْفِرُ اللَهَ ، وَلِكُلِّ مُصِيبَةٍ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، وَلِكُلِّ ضِيقٍ حَسْبِيَ اللَهُ ، وَلِكُلِّ قَضَاءٍ وَقَدَرٍ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَهِ ، وَلِكُلِّ عَدُوٍّ

⇦ وفي «تذكرة الخواصّ» مرسلاً عن الزهريّ عن عائشة قالت:
رأيت عليّ بن الحسين ساجداً في الحجر وهو يقول... وذكر الدعاء إلا أنّه قال: **عُبَيْدُكَ** بالتصغير، ولم يذكر **فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ** . قالت عائشة : فما دعوت بها في كرب إلّا وفُرِّج عنّي .

وفي «الإرشاد» للمفيد : أخبرني أبو محمّد الحسن بن محمّد ، عن جدّه ، عن سَلَمة بن شبيب، عن عبيد الله بن محمّد التيميّ [التميميّ ـ خ ل] قال : سمعت شيخاً من عبدالقيس يقول: قال طاووس : دخلتُ الحجر في الليل فإذا عليّ بن الحسين عليهما السلام قد دخل فقام يصلّي فصلّى ما شاء الله ثمّ سجد . فقلتُ : رجل صالح من أهل بيت لأستمعنّ إلى دعائه، فسمعته يقول في سجوده : **عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ مِسْكِينُكَ بِفِنَائِكَ فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ** . (إلى آخر ص ٣٣٢ ، التي أوردها المرحوم الأمين في هذا الموضوع).

أمّا في النسخة الخطّيّة للحقير التي يرجع تأريخ كتابتها إلى سنة ١٠٩١ والمشتملة على حواشي المحقّق الفيض رضوان الله عليه ، فقد ورد في ملحقاتها ؛ من تأليف الملّا تقي الصوفيّ الزياباديّ القزوينيّ ـوهو من تلامذة الشيخ البهائيّ ـ وقد قرأ الصحيفة عليه واستجازه في روايتها عنه ، ضمن الدعاء الثاني من تلك الملحقات ، والذي مطلعه: **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ بِالعَظَمَةِ ، وَاحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ بِالعِزَّةِ** ، ثمّ يذكر الدعاء حتّى يصل إلى الفقرات التالية : **هُوَ الإِلَهُ الحَيُّ القَيُّومُ الدَّائِمُ القَدِيمُ القَادِرُ الحَكِيمُ** ، ثمّ أورد هنا : **إِلَهِي ! عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ ، سَائِلُكَ بِفِنَائِكَ ، فَقِيرُكَ بِفِنَائِكَ** ، ثلاثاً ، ثمّ يذكر بقيّة الدعاء : **إِلَهِي ! لَكَ يَرْهَبُ المُتَرَهِّبُونَ ، وَإِلَيْكَ أَخْلَصَ المُبْتَهِلُونَ** ، مع عدّة فقرات مشابهة.

لكنّ الميرزا عبد الله الإصفهانيّ الأفندي لم يورد عبارة **عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ** في صحيفته الثالثة، طبعة مطبعة الثقلين ، حين أورد هذا الدعاء تحت عنوان الدعاء الثاني من الملحقات، ص ٢٨ إلى ٣٠ ، ولا أوردها السيّد محسن الأمين العامليّ في صحيفته الخامسة تحت عنوان الدعاء الأوّل من الملحقات وممّا أُسقط من الصحيفة ، ص ٢٠ إلى ٢٢.

اعْتَصَمْتُ بِاللَهِ ، وَلِكُلِّ طَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُـوَّةَ إلَّا بِـاللَهِ العَـلِيِّ العَظِيم.[1]

وشوهد كثيراً وهو يقرأ في قنوت صلاة الليل هذا الدعاء من أوّله إلى آخره :

اللَهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ بَهَائِكَ بِأَبْهَاهُ وَكُلُّ بَهَائِكَ بَـهِيٌّ ، اللَـهُمَّ إنِّـي أَسْأَلُكَ بِبَهَائِكَ كُلِّهِ...[2]

وكان يقرأ هذا الدعاء عند الرقود ، كما كان يكثر قراءته فـي قـنوت صلاته :

اللَهُمَّ يَا مَنِ احْتَجَبَ بِشُعَاعِ نُورِهِ عَنْ نَوَاظِرِ خَلْقِهِ ، يَا مَـنْ تَسَـربَلَ بِالجَلَالِ وَالعَظَمَةِ وَاشْتَهَرَ بِالتَّجَبُّرِ فِـي قُـدْسِهِ ، يَـا مَـنْ تَـعَالَى بِـالجَلَالِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ فِي تَفَرُّدِ مَجْدِهِ ، يَا مَنِ انْقَادَتْ لَهُ الأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعاً لِأَمْرِهِ ، يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ والأَرَضُونَ مُجِيبَاتٍ لِدَعْوَتِهِ ، يَا مَنْ زَيَّـنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِخَلْقِهِ ، يَا مَنْ أَنَارَ القَمَرَ المُنِيرَ فِي سَوَادِ اللَيْلِ المُظْلِمِ بِلُطْفِهِ ، يَا مَنْ أَنَارَ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ وَجَعَلَهَا مَعَاشاً لِخَلْقِهِ وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَيْلِ والنَّهَارِ ، يَا مَنِ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِـنَشْرِ سَـحَائِبِ نِعَمِهِ !

١ـ كان السيّد يقرأ هذا الدعاء على هذا النحو ، لكنّ المرحوم المحدِّث القمّيّ نقله في كتاب «الباقيات الصالحات» المطبوع في هامش «مفاتيح الجنان» ص ١٩٧ ، الباب الأوّل، طبعة الإسلاميّة بخطّ طاهر خوشنويس ، سنة ١٣٧٩ ، عن كتاب دعاء «البلد الأمين» للكفعميّ ، ولم يورد فيه لفظ **وَشِدَّةٍ** فقط.

٢ـ هذا دعاء مفصّل أورد فيه بعض أسماء الله تعالى ، وقد رواه في «مفاتيح الجنان» ص ١٨٤ ، ضمن أدعية أسحار شهر رمضان المبارك ، عن الإمام الرضا عليه السلام : أنّ الإمام محمّد الباقر عليه السلام كان يقرأه.

أَسْأَلُك بِمَعَاقِدِ العِزِّ مِنْ عَرْشِكَ وَمُنْتَهى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ ، وَبِكُلِّ اسْمٍ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ وَاسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ، وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ أَثْبَتَّهُ فِي قُلُوبِ الصَّافِّينَ الْحَافِّينَ حَوْلَ عَرْشِكَ ، فَتَرَاجَعَتِ القُلُوبُ إلَى الصُّدُورِ عَنِ البَيَانِ بِإخْلَاصِ الوَحْدَانِيَّةِ ، وَتَحْقِيقِ الفَرْدَانِيَّةِ ، مُقِرَّةً لَكَ بِالعُبُودِيَّةِ ، وَإنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْكَلِيمِ عَلَى الجَبَلِ العَظِيمِ ، فَلَمَّا بَدَا شُعَاعُ نُورِ الحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ العَظَمَةِ خَرَّتِ الجِبَالُ مُتَدَكْدِكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفاً مِن سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً مِنْكَ . فَلَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ ، فَلَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ ، فَلَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي فَتَقْتَ بِهِ رَتْقَ عَظِيمِ جُفُونِ عُيُونِ النَّاظِرِينَ ، الَّذِي بِهِ تَدْبِيرُ حِكْمَتِكَ ، وَشَوَاهِدُ حُجَجِ أَنْبِيَائِكَ ، يَعْرِفُونَكَ بِفِطَنِ القُلُوبِ ، وَأَنْتَ فِي غَوَامِضِ مَسَرَّاتِ سَرِيرَاتِ الغُيُوبِ .

أَسْأَلُكَ بِعِزَّةِ ذَلِكَ الاِسْمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَصْرِفَ عَنِّي جَمِيعَ الآفَاتِ وَالعَاهَاتِ وَالأَعْرَاضِ وَالأَمْرَاضِ والخَطَايَا وَالذُّنُوبِ وَالشَّكِّ وَالشِّرْكِ وَالكُفْرِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالغَضَبِ وَالجَهْلِ وَالمَقْتِ وَالضَّلَالَةِ وَالعُسْرِ وَالضِّيقِ وَالفَسَادِ وَحُلُولِ النِّقْمَةِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ ؛ إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ، لَطِيفٌ لِمَا تَشَاءُ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .[1]

١ـ هذا الدعاء موجود باختلاف يسير في اللفظ في «مهج الدعوات» للمرحوم السيّد ابن طاووس ، ص ١٠٨ ، الطبعة الحجريّة ، رواه عن محمّد ابن الحنفيّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ونقل له آثاراً وخواصّاً عجيبة . ورواه كذلك في «بحار الأنوار» ج ١٩ ، ص ١٨٣ ، طبعة الكمبانيّ ، عن محمّد ابن الحنفيّة ، عن الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه . وأورده كذلك الشيخ بهاء الدين العامليّ في «الكشكول» ص ٣٠٣ و ٣٠٤ ، الطبعة ⇦

ولقد سجّل الحقير في شريط صوتيّ هذا الدعاء بعين هذه الألفاظ على اللسان المبارك للمرحوم الحاجّ السيّد هاشم ؛ وباعتبار أنّه قد سُمع أيضاً من التلامذة الآخرين للمرحوم القاضي ، فيتّضح أنّ أصله كان من المرحوم القاضي .

وكان يقول : إنّ قراءة الدعاء التالي لما يقرب من أربعين ليلة مرّة واحدة إلى مائة مرّة ، مؤثّر في قضاء حوائج السالكين :

إلَهِي ! كَيْفَ أَدْعُوكَ وَأَنَا أَنَا ، وَكَيْفَ أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَنْتَ ؟!

إلَهِي ! إذَا لَمْ أَسْأَلْكَ فَتُعْطِينِي ، فَمَنْ ذَا الَّذِي أَسْأَلُهُ فَيُعْطِينِي ؟!

إلَهِي ! إذَا لَمْ أَدْعُوكَ [أَدْعُكَ ـ خ ل] فَتَسْتَجِيبَ لِي ، فَمَنْ ذَا الَّذِي أَدْعُوهُ فَيَسْتَجِيبَ لِي ؟!

إلَهِي ! إذَا لَمْ أَتَضَرَّعْ إلَيْكَ فَتَرْحَمَنِي ، فَمَنْ ذَا الَّذِي أَتَضَرَّعُ إلَيْهِ فَيَرْحَمَنِي ؟!

إلَهِي! فَكَمَا فَلَقْتَ البَحْرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَجَّيْتَهُ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَن تُنَجِّيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ وَتُفَرِّجَ عَنِّي فَرَجاً عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ ، بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. [1]

⇦ الحجريّة.

ودعاء علّمه إيّاه المرحوم آية الله الأنصاريّ قدّس الله تربته ، أنّ الإنسان إذا شاء الاستيقاظ ساعة يشاء فقرأه قبل النوم لاستيقظ تلك الساعة:

اللَهُمَّ نَبِّهْنِي لِأَحَبِّ السَّاعَاتِ إلَيْكَ أَدْعُوكَ فَتُجِيبَنِي ، وَأَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي ، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي ؛ اللَهُمَّ أَقِمْنِي عَنْ مَضْجَعِي لِذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَصَلَاتِكَ وَتَسْبِيحِكَ وَتِلَاوَةِ كِتابِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

١ـ يقول في «مفاتيح الجنان» ص ١١٣ ، الفصل السابع من الباب الأوّل ، في ذكر بعض الآيات والأدعية النافعة المختصرة : روى الشيخ الكفعميّ في كتاب «البلد الأمين» دعاء ⇦

وكان يقول : إنّ تكرار الاستغفار التالي عند السحر مفيد لطريق السالك ، والإكثار من تكراره زيادة في فضله وفائدته :

أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ؛ مِنْ جَمِيعِ ظُلْمِي وَجُرْمِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

فمن داوم على هذا الاستغفار وفق رغبته وقابليّته فإنّه سينال غايته ، ولا ضيرَ في قوله حال الحركة والعمل .

وكان يقول : قال المرحوم السيّد (القاضي) : إنّ قراءة «**كَهيعَصَ**[1] ، **حمَ عَسَقَ**[2] ، **وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا**[3]» مفيد لدفع الأعداء .

وكان يقول : من الحسن أن يُنقش على عقيق : **بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ، كَهيعَصَ ، حمَ عَسَقَ** ، ثمّ يُصاغ منه خاتم فيُتختّم به .

وكان يقول : لو نُقش على عقيق : **إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ** ، ونقش على وجهه الآخر : **بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ، كَهيعَصَ ، حمَ عَسَقَ** ، ثمّ صيغ منه خاتم فتختّم به لكان حسناً .

ويقول : قال المرحوم السيّد (القاضي) : من عقد أصابعه واحداً بعد

⇦ عن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وقال : روى عنه عليه السلام هذا الدعاء مقاتل بن سليمان وقال : من دعا به مائة مرّة فلم يجب له فليلعن مقاتلاً .

١ـ الآية ١ ، من السورة ١٩ : مريم.

٢ـ الآيتان ١ و٢ ، من السورة ٤٢ : الشورى.

٣ـ الآية ١١١ ، من السورة ٢٠ : طه.

الآخر أمام عدوّه ، بحيث يقرأ عند عقد كلّ إصبع حرفاً من حروف «**كَهيعَص حمَ عَسَق**» بحيث يتمّ القراءة عندما يتمّ عقد أصابعه ، ثمّ يفتحها أمام عدوّه فإنّ شرّ عدوّه سيُدفع عنه .

وكان السيّد يجري على لسانه كثيراً قول «**يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ**» بشكل خاصّ ، وذلك في قيامه وقعوده ، وبشكل عامّ عند تغيير حاله إلى حالة أُخرى ؛ سأله أحدهم يوماً : هل تشرّفتم برؤية وليّ العصر أرواحنا فداه ؟

فقال : عَمِيَتْ عينٌ تُفتح صباحاً من نومها فلا يكون أوّل نظرها إليه !

أقول : ما أشبه هذه الجملة بكلام المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ قدّس الله تربته حين سُئل : متى يلاقي الإنسان صاحب العصر والزمان ؟

قال : حين لا يختلف تأثير حضوره وغيبته لدى الإنسان .[1]

وكان السيّد يقول : هناك خواصّ وآثار ورموز عجيبة لا يعلمها إلّا الله في هذه الحروف المقطّعة في أوائل سور القرآن ، فهي ليست إلّا رموزاً وأسراراً بين المحبّ والمحبوب ، بين النفس المقدّسة لرسول الله وبين

١ـ ومن قبيل هذا المعنى ما رواه النعمانيّ في كتاب «الغيبة» ص ٣٢٩ و ٣٣٠ ، الباب ٢٥ ، في الحديث الأوّل والثاني ، طبعة مكتبة الصدوق : **مَا جَاءَ فِي أَنَّ مَنْ عَرَفَ إمَامَهُ لَمْ يَضُرُّهُ تَقَدُّمُ هَذَا الأَمْرِ أَوْ تَأَخُّرُهُ** ، بسند صحيح أو كالصحيح عن زرارة قال : **قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اعْرِفْ إمَامَكَ ، فَإنَّكَ إذَا عَرَفْتَهُ لَمْ يَضُرُّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ .**

وبسند آخر عن الفضيل بن يسار قال:

سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ» (صدر الآية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء) . **فَقَالَ : يَا فُضَيْلُ ! اعْرِفْ إمَامَكَ ، فَإنَّكَ إذَا عَرَفْتَ إمَامَكَ لَمْ يَضُرُّكَ تَقَدَّمَ هَذَا الأَمْرُ أَوْ تَأَخَّرَ ؛ وَمَنْ عَرَفَ إمَامَهُ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ صَاحِبُ هَذَا الأَمْرِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ كَانَ قَاعِداً فِي عَسْكَرِهِ ، لَا بَلْ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَعَدَ تَحْتَ لِوَائِهِ . قَالَ : وَرَوَاهُ بَعْضُ أَصْحَابِنَا : بِمَنْزِلَةِ مَنْ اسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .**

الذات الأحديّة للّه جلّ شأنه واسمه ؛ وهناك رموز خاصّة بين كلّ حبيب وحبيبه وكلّ عاشق ومعشوقه لا يدركها ولا يفهمها أحد آخر .

بَيْنَ المُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ ، وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ

أقول : لقد ذكر كثير من العلماء الحقيقيّين الصادقين مطالب مدهشة تثير العجب في باب أسرار الحروف ، وقاموا وباستخراجات بديعة منها ، وبالإخبار عن الغيب والاطّلاع على الضمائر . وكان المرحوم القاضي المقدّم والبارز في هذا الفنّ في زمانه ، كما كان ابنه الأكبر المرحوم السيّد مهدي القاضي رحمة الله عليه (الذي حطّ رحاله أخيراً في بلدة قم الطيّبة وانتقل هناك إلى الرحمة الأبديّة) في هذا العلم أُستاذاً لا نظير له ، كما كان أُستاذاً عزّ مثيله في خطّ النسخ أيضاً ، حيث إنّ الكتابات على الحجر في أطراف محلّ إيداع الأحذية في حرم أمير المؤمنين عليه السلام وفي مدرسة آية الله البروجرديّ وغيرهما كانت بخطّه . وقد ذهب الحقير مرّات عديدة للقائه بعد إبعاده من العراق وتوطّنه في قم ، حيث ربطت بيننا علاقات المودّة والصفاء . وكانت لديه حكايات شيّقة عن اكتشافات الحروف وأسرار الأعداد ، حتّى أنّه قال :

إنّ لديّ ابتكارات في هذا الفنّ ، وأبي المرحوم القاضي أعلم منّي ، فقد كنت أعجز عن بعض الاستخراجات العسيرة ثمّ أُوفّق إلى حلّها بالتوسّل بأمير المؤمنين عليه السلام وبالأوراد والأدعية ، فأتشرّف بالمثول في محضر أبي راغباً في إعلامه بهذه الاكتشافات وطريقة حلّها ، فيتّضح أنّ أبي قد بحث هذه المشكلة قبلي وتوصّل إلى حلّها .

ولقد كان هذا المرحوم مستعدّاً لتعليم الحقير ما لديه من هذه العلوم ، لكنّني لم أرَ فيها نفعاً ، فامتنعتُ عن قبولها وعن صرف الوقت في مثل هذه الأُمور . وعلى الرغم من احتمال كونها علوماً حقيقيّة وواقعيّة ، لكنّ انتفاء

الضرورة لتعلّمها والمَحمَدة فيها ، تجعل صرف الوقت من قِبل الإنسان في تعلّمها مجانبةً للصواب . وسيمنع قضاء الوقت في هذه الأُمور من تفريغ الفكر والنفس للأُمور الأهمّ ، فنحن نحتاج قدراً كثيراً من المعارف الإلهيّة ـ سواء في القرآن والتفسير ونهج توحيد الحقّ المتعال ـ مهما جهدنا في اكتسابه فإنّنا لن نصل فيه إلى ما ينبغي ، فضلاً عن قضاء الوقت في اكتساب أمر معيّن ، مع أنّ هناك الكثير من الأُمور التي تفوقه أهمّيّة لم تنلها أيدينا بعد .

ولقد أُجبر الحقير بعد وفاة المرحوم الوالد وقبل تشرّفي بالذهاب إلى النجف الأشرف على المكث في طهران مدّة يسيرة عند أحد الأقارب من جهة السبب (المرحوم آقا ميرزا أبو تراب عرفان) من أجل إصلاح أُموري وتنظيمها . وكان رجلاً عالماً محقّقاً في الجفر والرمل وله تأليفات ، وكان يقول : كتبت في الجفر كتاباً بقدر شرح اللمعة ، وقرأت علم الرمل لما يقرب من شهر وكتبت فيه كرّاسات .

وقد توثّقت العلاقة الحميمة بين ذلك المرحوم وبين الحقير ، وبصفة أنّه كان في آخر العمر ولم يمتلك أولاداً ذكوراً ، فقد كان يلحّ عَلَيّ ليقوم بتعليمي علومه ، لكنّي أحسست أنّ ذلك سيؤدّي ـ مضافاً إلى إضاعة الوقت ـ إلى إيجاد كدورة روحيّة لي ، لذا فقد تركت ذلك الدرس ، وأسرعت بإصلاح ما تبقّى من الأُمور وتشرّفت بالذهاب للثم أعتاب باب العلم في النجف الأشرف .

وكان لأُستاذنا العلّامة الطباطبائيّ اطّلاع على هذه العلوم ، لكنّي لم أُشاهد أنّه كان يستخدمها في مورد ما .

وكان لسماحة الحاجّ السيّد هاشم مهارة بالغة في ترتيب الجداول ، خاصّة كيفيّة ترتيب جدول مائة في مائة ، أو سائر الجداول التي ابتداؤها

خمسة في خمسة ، فضلاً عن جداول أربعة في أربعة ؛ وقد قام بتعليم الحقير كيفيّة ملء المربّعات وأضاف : أنّ هذه المربّعات مؤثِّرة ، ولكن ينبغي في كلّ حال أن يعتبر الأثر من الله سبحانه غير منقطع عنه ، وغاية المطلوب هو إيكال الأمر في كلّ حال بِيَدِ الحقّ تعالى ، بحيث يصبح مدير أمر الإنسان ومدبّره وغاية مطلوبه .

ومن الجدير بالذكر أنّ **محيي الدين بن عربي والمحقّق الفيض الكاشانيّ والشيخ بهاء الدين العامليّ** كانوا البارزين في زمانهم في هذا الفنّ .

يقول المحدِّث النيسابوريّ في ترجمة محيي الدين : وكانت له يد طولى في علم الحروف ، ومن جملة استخراجاته أنّه : **إذَا دَخَلَ السِّينُ فِي الشِّينِ ، ظَهَرَ قَبْرُ مُحْيِي الدِّينِ** . وقد ظلّ قبر محيي الدين مخفيّاً مجهولاً حتّى دخل السلطان سليم العثمانيّ الشامَ ففتّش عن قبره وعمّره بعد اندراسه فانكشف سرّ كلمة السين أنّها تعني السلطان سليم ، وكلمة الشين أنّها تعني الشام .

ومن جملة اكتشافاته واستخراجاته في شأن ظهور القائم عليه السلام :

إذَا دَارَ الزَّمَانُ عَلَى حُرُوفٍ ... بِبِسْمِ اللَهِ فَالمَهْدِيُّ قَامَا
وَإذْ دَارَ الحُرُوفُ عَقِيبَ صَوْمٍ ... فَاقْرَأوا الفَاطِمِيَّ مِنِّي سَلَامَا[1]

وبطبيعة الحال ينبغي العلم أنّ معنى هذا الشعر لا يمكن فهمه إلّا للراسخين في العلم وإلّا كان حلّه ممكناً للجميع بشروط خاصّة ولم يعدّ رمزاً ، كما هي الحال لمعنى السين والشين الذي لم يكن لأحد ـ عدا

١ـ «روضات الجنّات» ج ٤ ، ص ١٩٥ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«شرح مناقب محيي الدين» للملّا صالح الخلخاليّ ، ص ٢٦ و ٢٧ ، الطبعة الحجريّة .

الراسخين في العلم ـ من الاطّلاع عليه .

يقول في تفسير «الصافي» في باب الحروف المقطّعة لفواتح السور :

التَّخَاطُبُ بِالحُرُوفِ المُفْرَدَةِ سُنَّةُ الأَحْبَابِ فِي سُنَنِ المُحَابِّ . فَهُوَ سِرُّ الحَبِيبِ مَعَ الحَبِيبِ بِحَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الرَّقِيبُ.

بَيْنَ المُحِبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ ، وَلَا قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ[1]

وعموماً ، فإنّ كلمات أولياء الله والعرفاء بالله تتضمّن رموزاً وإشارات وكنايات يختصّ فهمها بهم وبأمثالهم ، فإشارات ورموز العارف الإسلاميّ والجليل الخواجة حافظ الشيرازيّ يمكن أن يطّلع عليها من هو في مقام حافظ ودرجته .

ولكن ويا للأسف الشديد فإنّنا لا نعرف قدر هؤلاء الأجلّاء ونجهل قيمتهم ، ونحمل معاني أشعارهم على الأُمور المبتذلة ، وإذا ما شئنا كتابة ترجمة لهم فإنّنا نعجز عن إيفائها حقّها وعن بيان تلك المعاني والأسرار وتجليتها ؛ حتّى جاء الكفّار والأجانب ووضعوا لهم عرفاناً وتخيّلوا أنّ العرفان منفصل عن الإسلام ، وعدّوا المقام العظيم الشامخ للعرفان والعرفاء الذي يمثّل مخّ وأُس الإسلام وأساسه ، أمراً مغايراً للتعاليم الدينيّة ، وصاغوا لنا عرفاناً إيرانيّاً وهنديّاً وروميّاً ، وجعلوه بأجمعه خطّاً يقابل الخطّ الإسلاميّ وسبيلاً غير سبيل الدين ، وهكذا فقد عدّوا أُصول عرفان المولويّ وحافظ الشيرازيّ والمغربيّ وأمثالهم عرفاناً إيرانيّاً لا ينسجم وروح الإسلام .

لقد كانت هذه الأُمور بأجمعها وليدة الجمود والتحجّر والنظر بعين واحدة إلى مسائل الدين ، وفصل مسألة التوحيد عن عالم الأمر والخلق ،

١ـ «شرح مناقب محيي الدين» ص ٢٨ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«النجم الثاقب» ص ١٤٧ ، الباب ٧ ، الطبعة الحجريّة الرحليّة.

والنظر إلى أئمّة العرفان وحاملي ألويته بوصفهم موجودات ابتدعت فلم يعهد لها تكليف ولم يسند إليها أيّة مهمّة ، حتّى أُصبنا بهذه المصيبة العظمى إلى الحدّ الذي صار لزاماً علينا ـ كي لا نتخلّف فنخسر في هذه اللعبة ونخزى ـ أن نُبرهن بألف دليل ودليل أنّ عرفان حافظ ومولانا مستنبط من روح القرآن وروح النبوّة والولاية .

تمعّنوا في أشعار حافظ الغزليّة واحداً واحداً وشاهدوا كيف عبّأ تلك اللطائف والحقائق المعنويّة في أردية العبارات ، وبأيّة دقائق وإيماءات كان يريد تجلية حقيقة مراده وقصده ذاك ، رضوان الله عليه رضواناً شاملاً .

فهذا الغزل ـ مثلاً ـ أنشده في وصف الإمام صاحب الزمان عليه السلام وتحدّث عن غيبته وانتظاره ، وقدّم نفسه كأحد المشتاقين للقائه والمشغوفين به ؛ ولكن بأيّة عبارات مليحة ، وإشارات بديعة ، وكنايات واستعارات تجعل هذه العبارة تجري على لسان الإنسان بلا شعور : حقاً ، أنّه لسان الغيب :

سَلَامُ اللَهِ مَا كَرَّ اللَيَالِي
وَجَاوَبَتِ المَثَانِي وَالمَثَالِي

عَلَى وَادِي الأَرَاكِ وَمَنْ عَلَيْهَا
وَدَارٍ بِاللِّوَى[1] فَوْقَ الرِّمَالِ

دعاگوى غريبان جهانم
وَأَدْعُو بِالتَّوَاتُرِ وَالتَّوَالِي

به هر منزل كه رو آرد خدا را
نگه دارش به لطف لايزالى

١ـ اللِوَى على وزن إلى بالكسر والقصر : منقطع الرمل ، وهو ما التوى من الرمل. وألْوَى القومُ : صاروا إلى لِوى الرمل.

مــنال اى دل كــه در زنـجير زلفش

هــمه جـمعيت است آشـفته حـالى

ز خـطّت صـد جـمال ديگـر افـزود

كـه عـمرت بـاد صـد سـال جـلالى

تو مى‌بايد كه باشى ورنه سهل است

زيـــان مـــايهٔ جـــانىّ و مـــالى

بــدان نــقّاش قــدرت آفــرين بـاد

كــه گِــرد مَـه كشـد خـطّ هـلالى

فَـــحُبُّكَ رَاحَـتِي فِـي كُـلِّ حِـينٍ

وَذِكْــرُكَ مُــونِسِي فِــي كُــلِّ حَـالِ

ســـويداى دل مـــن تـا قـيامت

مـباد از شـور سـوداى تـو خـالى

كجا يـابم وصـال چـون تـو شـاهى

مـــن بـــد نـــام رنــد لا اُبــالى

خدا داند كه حافظ را غرض چيست

وَعِــلْمُ اللَــهِ حَسْــبِي مِـنْ سُـؤَالِـي

ويقول في الهامش : وهذا البيت أيضاً ضمن ذلك الغزل ، ويبدو أنّه للخواجة أيضاً :

أَمُوتُ صَبَابَةً يَا لَـيْتَ شِـعْرِي مَتَى نَطَقَ البَشِيرُ عَنِ الوِصَالِ[١]

يقول في البيت الأوّل والثاني : سلام الله الدائم المـتواصـل مـادامت

١ـ «ديوان حافظ الشيرازيّ» ص ٢١٢ ، الغزل ٤٦٣ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨.

الليالي تأتي وتتوالى ، ومادام الطلوع والغروب يواليها ، ومادامت الأرض والشمس والقمر والنجوم باقية ، وما تجاوبت وتردّدت أنغام الأوتار وأطاقت عزف هذا النشيد . فالمثاني هي تردّد أصوات أوتار الكنّارة مرّتين ، والمثالي (المثالث في الأصل) هي أصوات تردّدها مرّات ثلاث .

على وادي الأراك ، أي منزل الحجّة عليه السلام ، لأنّ أرض الأراك هي أرض الحجاز التي تتفرّد بوجود شجر الأراك فيها ؛ وعلى مَن على وادي الأراك يسكن في دار بُنيت على أعالي الرمال .

ثمّ يقول في البيت الثالث : أنا الداعي لغُرباء العالم ، أدعو بالتواتر والتوالي دعاء غير منقطع . ومن الجليّ أنّ غريب العالم الذي لا يظهر من شدّة الغربة والوحدة ليس إلّا الحجّة عليه السلام .

ويقول في البيت الرابع : فهو لا يمتلك مكاناً ثابتاً بالرغم من أنّ أصله من مكّة ومن وادي الأراك ، فهو في حال تنقّلٍ دائم في العالم . فأسألك أيّها الربّ العطوف أن تحفظه بلطفك الذي لم يزل ولا يزال في كلّ منزل حطّ رحاله فيه واختاره لسكناه .

ويقول في البيت الخامس : لا تئنّ أيّها القلب لفراقه ! فمع أنّه في غيبة تخفى فيها طلعته المشرقة عن الأنظار ، ولكن بواسطة ذؤابتيه السوداوين (كناية عن الهجران والغَيبة) يمكن للمحزونين أن يكتسبوا مقام الجمع وينالوا مقصودهم .

ثمّ يقول في البيت السادس : الآن وقد زاد الرشد وظهور الجمال فيك أضعافاً ، مدّ اللهُ في عمرك وصانك من نوائب الحدثان .

ويقول في السابع : أنت ولي الولاية الذي يقوم بك قوام الكون والمكان ، أنت الذي ينبغي أن تبقى وتعافى وتسلم لأنّك رأس الأُمور والحاكم علينا جميعاً ؛ وما أتفه وأسهل الخسائر في الأموال والأرواح التي

تصيبني والعالَم من أجل هذا الأمر الجليل الخطير .

ثمّ يقول في البيت الثامن : تباركت يد قدرة الخلّاق التي حفظتك ورعتك طوال القرون ، تلك القدرة التي رسمت حول القمر في قمّة السماء خطّاً هلاليّاً ، لكي لا يرى الناس تمام القمر ومع أنّه موجود بلا ريب ، فهو في غَيبة وخفاء ، وما يظهر من هذه الكرة السماويّة بقدر هلال يخال الناظر إليه أنّه هلالٌ في السماء وليس كرة .

فإمام العصر والزمان موجود هو الآخر ،كالبدر التامّ الكامل ، لكنّ أحداً لا يراه ولا يدركه ، وما هو مشهود من آثاره في العالم وما ينتفع الناس منه إنّما هو بقدر سُمك الهلال ، لكنّه ينبغي أن يظهر فيزيل أستار الخفاء ويسطع على العالم فينيره بأجمعه كالبدر في ليلة تمامه .

فلاحظوا جيّداً : إن لم نفسِّر هذا البيت على هذا النحو ، فماذا سيكون معناه إذاً ؟ ما الذي يتضمّنه تعريف القمر بالغَيبة والخطّ الهلاليّ الذي يُرسم حوله في أوّل ليالي طلوعه من مدح وثناء ؟!

وحتّى إذا افترضنا أنّ المراد بالقمر طلعة الحبيب ، واعتبرنا الخطّ الهلاليّ كريمته التي نمت حول طلعته ـ مع أنّ هذه الاستعارة تتضمّن مفاداً يخالف مفاد استعارة قرص القمر السماويّ واختفائه في الليالي الأُولى إلّا بقدر هلال ظاهر ـ فإنّ هذه الاستعارة أيضاً لا تنافي وجود صاحب العصر عليه السلام ، ذلك الإنسان في الخارج الذي نمت كريمته حول طلعته الشبيهة بالقمر مع أوصاف الغربة والولاية والمُلك والصدارة وسائر الأوصاف الواردة في هذا الغزل الذي لا يمكن أن يكون قد قُصد به غير الإمام عليه السلام .

ويقول في البيت التاسع : أنا دائماً معك ، في حبّك طمأنينة قلبي في كلّ حال ، وذكرك مؤنسي دوماً .

وبالرغم من وجود نظير هذا المضمون في سائر أشعار حافظ الغزليّة، وعودته هناك إلى الذات القدسيّة للحقّ تعالى ، لكن الخطاب في هذا الغـزل ـ بقرينة سائر الأبيات ـ لا يمكن أن يكون لغير الحجّة سلام الله عليه ، ومن ثمّ فإنّ ضمير المخاطب في **ذِكْرُكَ** و**حُبُّكَ** عائد إليه عليه السلام .

والبيت العاشر بهذا المعنى أيضاً ، حيث يقول في دعائه : ينبغي ألّا يخلو سويداء قلبي المملوء بدماء حياتي الفوّارة المتدفّقة باستمرار من العلاقة بك والكون معك دائماً والسعي لنيل حبّك ورضاك .

ثمّ يخاطب في البيت الحادي عشر ، المَلِك نفسه ، عادّاً نفسه مستهتراً وشحّاذاً لا أُباليّاً ؛ معتبراً أنّ وصال أحد بهذه الدرجة من الدناءة والوضاعة مع ذلك الملك في عظمته وتقواه وعصمته وطهارته أمر بعيد المنال . ويتّضح في هذا البيت أيضاً أنّ مراده من «چون تو شاهى» : (مَلكاً مثلك) ليس غير صاحب الولاية الكلّيّة الإلهيّة .

ثمّ يزيح الستار في البيت الثاني عشر عن كلامه وخطابه الرمزيّ السابق فيقول : إنّ كلّ ما قلتُه كان إشارة وكناية واستعارة ورمزاً لما أُريد قوله وليس صريحاً في ذلك ، فلم أكن أُريد أو لأقدر أن أصف ذلك الوجود المقدّس كما هو أهله ، لذا فقد صببتُ عشقي اللاهب للقائه والنظر إليه في قالب الغزل ، لكنّ الله العليم الخبير يعلم ما كان مرادي في قلبي ، وهو حسبي من سؤالي وكلامي الذي أُريد إجراءه على لساني .

ويقول في البيت الملحق : سأموت صبابة ووجداً وعشقاً ، وسألفظ أنفاسي في انتظار فرجه ، وستبيضّ عيناي كيعقوب في فراق يوسف . فأنا أتطلّع دوماً متى سيرد البشير فينطق ببشارة الوصول ويبشّرني بلقاء يوسف المفقود في الصحراء ، الملقى في بئر الغربة ، الوحيد الغريب المتحيّر ، فيرتدّ بفرج لقائه بصري ، وأُبعث حيّاً من جديد كميّت يُنشر من قبره .

* * *

لقد كان للمرحوم الحاجّ السيّد هاشم شغف كبير بقراءة القرآن بصوت حزين، وكان لحن قراءته جذّاباً يستهوي الأفئدة، وكأنّ ذاته تمّحي وقت القراءة، كما كان من يسمعه يجد تغييراً يطرأ على حاله وجذبة تعتريه. وأشرطة التسجيل التي بقيت منه في قراءته القرآن وبعض الأشعار العرفانيّة بتلك اللهجة والصوت الجذّاب تحكي جميعاً هذا المعنى.

وكان السيّد يقرأ السور الطوال في صلاة نافلة الليل فيُعنى بقراءتها بصوت ولحن جميل وحزين، وكثيراً ما كانت صلاة الليل تمتدّ عنده بهذه الكيفيّة عدّة ساعات. وكان يديم استعمال العطر، ويشعل غالباً عوداً من البخور في غرفته، فإذا ما ورد أحد تلك الغرفة بعد يوم أو يومين من ذهاب السيّد أدركَ من رائحة عطره الخاصّ ورائحة العود أنّ السيّد هاشم كان هناك.

ولم يكن السيّد لينام من الليل إلّا قليلاً، دام ذلك منه إلى آخر عمره، وكان يستريح أوّل الليل قدراً، ثمّ يستيقظ فيتوضّأ ويصلّي أربع ركعات بتلك الكيفيّة، ثمّ يجلس مدّة تجاه القبلة في حالة الخلسة والانتباه والاستغراق والتفكير التامّ. ثمّ إنّه كان يستريح قليلاً ليستيقظ بعد ذلك فيصلّي أربع ركعات بنفس الكيفيّة، يستغرق ذلك منه مدّة طويلة، ثمّ إنّه كان يجلس متوجّهاً إلى القبلة في حال خلسة وانتباه تامَّين إلى قرب أذان الفجر.

وقال ليلة وهو في تلك الحال: إنّ رفقاءنا والحمد للّه هم جميعاً من أهل التهجّد والتعبّد، لكنّنا نشتغل مع الرفقاء؛ نحن نشتغل معهم ونبدي لهم وجهات نظرنا.

چنان با نیک و بد سَرکن که بعد از مردنت عُرْفی
مسلمانت بـه زمـزم شـويد و هـندو بسـوزانـد[١]

وكان السيّد يقرأ أحياناً من أشعار المغربيّ وأشعار المثنويّ وأشعار ابن الفارض ، ولكن بأيّ وضعٍ وحال !كان حين تشتدّ به اللوعة يقرأ بلحن وصوت جميل حزين بعض أشعار المغربيّ والتائيّة الكبرى لابن الفـارض وبعض أشعاره من غـير التـائيّة ، حـيث إنّ قـراءتـه مسـجّلة عـلى أشـرطة التسجيل ، أما أشعار «المثنويّ» فلم يُسجّل شيءٌ منها ، وقدكان يقرأها حين يأخذه الوجد ، حيث يقع مغشيّاً عليه أحياناً في ممرّ البيت وهو يـقرأ هـذه الأشعار ، ولم يكن هناك أحد ليقوم بتسجيلها .

كما كان يقرأ أحياناً من أشعار بابا طاهر ، لكن انشـغاله الدائـم كـان بأشعار ابن الفارض .

وكان له حبّ زائد لأشعار «المثنويّ» فـي شأن أمـير المـؤمنين عـليه السلام وقتاله لعمرو بن عبد ودّ حتّى مقتله على يـد المـلعـون ابـن مـلجـم المراديّ وقد شاهده الحقير مراراً في أسفاره المتعدّدة وهو يقرأها بـصوت

١ـ روي في «الخصال» للشيخ الصدوق ، ص ٧٢ و٧٣ ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٨٩ ، باب الاثنين ، عن أمير المؤمنين عليه السلام مرفوعاً أنّه قال لبنيه:

يَا بَنِيَّ إيَّاكُمْ وَمُعَادَاةَ الرِّجَّالِ ! فَإنَّهُمْ لَا يَخْلُونَ مِنْ ضَرْبَيْنِ : مِنْ عَاقِلٍ يَمْكُرُ بِكُمْ أَوْ جَاهِلٍ يَعْجَلُ عَلَيْكُمْ ! وَالكَلَامُ ذَكَرٌ وَالجَوَابُ أُنْثَى فَإذَا اجْتَمَعَ الزَّوْجَانِ فَلَابُدَّ مِنَ النِّتَاجِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

سَلِيمُ العِرْضِ مَنْ حَذَرَ الجَوَابَا وَمَنْ دَارَى الرِّجَالَ فَـقَدْ أَصَـابَا
وَمَـــنْ هَـــابَ الرِّجَـالَ تَـهَيَّبُوهُ وَمَنْ حَقَرَ الرِّجَـالَ فَـلَنْ يُـهَابَا

ويقول في البيت الفارسي في المتن : « عاشر يا عرفي (عرفي هـو اسـم الشـاعر) الحَسـن والرديء معاشرةً إن متّ بعدها ، غسّلك المسلمُ بماء زمزم وأحرقك الهندوسيُّ بالنار» .

جذّاب ، وكان مشهوداً لدرجة كبيرة على نفسه انطباق تلك الحالة التي يصف بها الإمام عليه السلام ، لذا فقد كان يبتهج لكأنّ هذه الأشعار تحكي حاله عيناً .

وقد جاءت هذه الأبيات الرائعة النضرة في «المثنويّ» بهذه الكيفيّة :

خدو انداختن خصم بر روى أمير المؤمنين عليه السلام و انداختن آن حضرت شمشير را از دست[1]

از علی آموز إخلاص عمل
شيرحق را دان منزّه از دَغَل
در غزا بر پهلوانی دست يافت
زود شمشيرى برآورد و شتافت
او خدو انداخت بر روى علىّ
افتخار هر نبىّ و هر ولىّ
او خدو انداخت بر روئى كه ماه
سجده آرد پيش او در سجده‌گاه[2]

١ـ **بصاق خصم أمير المؤمنين عليه السلام في وجهه والقاؤه عليه السلام سيفه من يده**

٢ـ يقول : «تعلّم الإخلاص في العمل من عليّ ، أسد الله المبرّأ عن كلّ رجس ودغل.
حين تغلّب في ساحة الحرب على بطل صنديد ، فسلّ سيفه وقصد قتله.
فبصق الخصم في وجه عليّ ، ذلك الوجه الذي كان فخراً لكلّ نبيّ ووليّ.
بصق على وجهٍ خرّ له القمر ساجداً ، في موضع السجود».

در زمـان انـداخت شـمشير آن عـلى
کــرد او انــدر غــزايش کـاهلى
گشت حـيران آن مـبارز زيـن عـمل
واز نـمودن عـفو و رحـم بـى مـحلّ
گـفت بـر مـن تـيغ تـيز افـراشتى
از چـه افکـندى مـرا بگـذاشتى ؟!
آن چـه ديـدى بـهتر از پـيکار مـن
تـا شـدى تـو سست در اشکـار مـن
آن چه ديدى که چنان خشمت نشست
تـا چـنين بـرقى نـمود و بـاز جست
آن چه ديـدى کـه مـرا زان عکسِ ديـد
در دل و جـان شـعله‌اى آمـد پـديد
آن چـه ديـدى بـهتر از کـون و مکـان
که به از جـان بـود و بـخشيديم جـان
در شـجاعت شـير ربّـانيستى
در مُـروّت خـود کـه دانـد کـيستى ؟![1]

١ـ يقول : «فأغمد عليّ سيفه على الفور ، وأعرض عن قتله.
فحار ذلك المحارب من عمل الإمام هذا ومن عفوه بلا مبرّر.
وقال : قد سللتَ عَلَيَّ سيفاً صارماً ، فما الذي حداك لإلقائه والإعراض عنّي ؟
وما الذي رأيتَ أفضل من قتالي ، ففلَّ ذلك من عزمك على قتلي ؟
ما الذي رأيتَ فانطفأ كالبرق عزمك ، الذي كان للحظة قبلُ متوهّجاً متّقداً ؟
ما الذي رأيتَ فأورى انعكاسُه في ناظريك شعلةً في روحي وقلبي ؟
ما الذي رأيتَ أفضل من الكون والمكان ، وأفضل من الحياة فوهبتني حياتي ؟ ⇦

ويستمرّ مولانا في الشعر مفصّلاً حتّى يصل إلى قوله :

سؤال كردن آن كافر از آن حضرت كه چون بر من ظفر يافتى چرا از قتل من إعراض فرمودى و مرا نكشتى ؟![1]

پس بگـفت آن نـو مسـلمان وَلىّ
از سـر مسـتىّ و لذّت بـا عـلىّ
كـه بـفرما يـا أمـير المـؤمنين
تا بجنبد جان به تن همچون جـنين
هـفت اخـتر هـر جـنين را مـدّتى
مى‌كند اى جان بـه نـوبت خـدمتى[2]

حتّى يصل إلى قوله :

بـاز گـو اى بـاز پـر افـروخته
بـا شـه و بـا سـاعدش آمـوخته
بـاز گـو اى بـاز عـنقا گـير شـاه
اى سپاه اشكن به خود نى بـا سـپاه[3]

⇦ أنت أسد الله في الشجاعة ، ولكن مَن يعلم مَن تكون في المروءة والرجولة؟».

١ـ **سؤال ذلك الكافر عليّاً عليه السلام : لماذا أعرضت عن قتلي ولم تقتلني ؟!**

٢ـ يقول : «قال ذلك المسلم الجديد لعليّ عليه السلام في حال من الطرب والنشوة والسكر.

تكلّم يا أمير المؤمنين ، لتهتزّ لكلامك روحي كجنين يخفق في بطن أُمه.
فكلّ جنين تخدمه أفلاك سبعة ، تتناوب على خدمته مدّة معيّنة».

٣ـ يقول : «قل أيّها الصقر الإلهيّ المنقضّ ، الصقر الذي أنس بالمِلك وساعده.
قل أيّها الصقر الإلهيّ الصائد للعنقاء ، يا من تحطّم الجيوش لا تستعين عليها بأحد».

اُمّت وَحْدی یکیّ و صدهزار
باز گو ای بنده بازت را شکار
در محل قهر این رحمت ز چیست ؟
اژدها را دست دادن کار کیست ؟[۱]

جواب گفتن علي عليه السلام که سبب شمشير افکندن چه بوده است در آن حال[۲]

گفت : من تيغ از پی حق می‌زنم
بندهٔ حقّم نه مأمور تنم
شير حقّم نيستم شير هویٰ
فعل من بر دين من باشد گوا
من چو تيغم وان زننده آفتاب
ما رمَيْتُ إذْ رمَيْتُ در حِرَابْ[۳]

١ـ يقول : «يا أُمّة في رجل ، يا من تعادل آلافاً مائة . قل يا مَن صرتُ صيداً لصقرك . ما معنى الرحمة والعطف في موقع السطوة والغضب ؟ ومَن ـ ترى ـ أطلق قبلك سراحَ التنين ؟».

٢ـ **جواب أمير المؤمنين علي عليه السلام عن علّة رميه السيف في تلك الحال**

٣ـ يقول «قال : حين أضرب بالسيف قُدماً فللحق أفعل ذلك ، لأنّي عبدُ الحقّ لاعبد نفسي وهواي .
أنا أسد الله لا أسد الهوى ، يشهد فِعلي على ديني ومذهبي .
أنا كالسيف ، والحقّ هو الضارب به ، ومَا رَمَيْتُ إِذْ رَمَيْتُ في الحرب».

رخت خـــود را مــن زره بــرداشــتم
غـــير حـــقّ را مــن عــدم انگــاشتم
مــن چــو تــيغم پـر گـهرهای وصـال
زنــده گــردانــم نــه کشــته در قــتال
ســـايه‌ام مــن ، کــدخدايــم آفــتاب
حــاجبم مــن ، نــيستم او را حــجاب
خـــون نـــپوشد گـــوهر تــيغ مــرا
بـــاد از جـــا کـــی بـرد مـيغ مــرا
کَــه نِــيم کُـوهم ز صـبر و حـلم و داد
کـــوه را کـــی در ربـــايد تــند بــاد
آن که از بادی رود از جـا خسـی است
زانکه بـادِ نـا مـوافـق خـود بسـی است
بـــادِ خشــم و بــادِ شــهوت بــاد آز
بـــرد او را کـــه نـــبود اهــل نــياز
بــادِ کِــبر و بــاد عُــجْب و بــاد خِـلم
بـــرد او را کــه نــبود از اهــل عــلم[1]

١ـ يقول : «اتّخذت من ثيابي درعاً ، لأنّ سوى الحقّ ليس عندي إلّا خيال وعدم.
أنا كالسيف المرصّع بجواهر الوصال ، أضرب في الحرب لأُحيي النفوس لا لأُ ميتها.
لستُ إلّا ظلّاً ، ومولاي شمس ، لست حجاباً عنه إنّما أنا حاجبٌ له.
لا يغطّي الدمُ جوهرَ سيفي ، ولا تزعزع العواصفُ سحابَ هيبتي.
لست ورقةَ تبن بل جبلٌ من الصبر والحلم والعدل ، فأنّى للعاصفة أن تقتلع الجبل.
وما تذروه الرياح ليس إلّا تبناً وهشيماً ، وما أكثر العواصف المعاكسة في الدرب!
إنّ من تعصف به رياح الغضب والشهوة والطمع ليس من أهل الفاقة والعبوديّة.
ومن تكتسحه رياح الكبر والعجب والغضب ، ليس من أهل العلم والمعرفة».

کـــوهم و هســـتيّ مـــن بـــنياد اوست
ور شـــوم چـــون کـاه بـادم بـاد اوست
جـــــز بـــه بـــاد او نـــجنبد مـــيل مـــن
نيست جز عشـق أحـد سـر خـيل مـن
خشـــم بـــر شـاهان شـه و مـا را غـلام
خشـــــم را مـــــن بسـتهام زيـــر لگـــام
تـــيغ حـــلمم گـردن خشـمم زده است
خشم حقّ بر من چو رحمت آمدهاست[1]
غرق نـورم گـرچـه سقفم شـد خـراب
روضه گشـتم گـر چـه هستم بـوتراب
تـــا أحَبَّ لِـــلَّـــــــهْ آيـــد نـام مـــن
تـــا کـــه أبْــغَضْ لِــلَّـــه آيـد کـام مـن
تـــا کـــه أعْــطا للّـــــــه آيـد جـود من
تـــا کـــه أمْسكْ للّـــــه آيـد بـود مـن[2]

١ـ وفي نسخة أُخرى : «خشم حق بر من همه رحمت شده است».

٢ـ يقول: «أنا جبل وهو أصل وجودي، وحين أصبح خفيفاً كالتبن فبهبوب رياحه هو.
لأنّ رغبتي لا تتحرّك إلّا بهبوب رياحه ، ولأنّ رغبتي لا مُنتهى لها إلّا عشق ذلك الأحد.
للغضب أن يسود الملوكَ ويتسلّط عليهم ، لكنّه لدينا عبدنا المطيع الذي ألجمناه وطوّعناه.

لقد قطع سيفُ حلمي رقبةَ غضبي وسطوتي فظهر لي غضبُ الحقّ على هيئة الرحمة.
غارقٌ في فيض النور أنا ولو تداعى سقفُ بيتي ، ومستحيلٌ جنّة نضرة ولو كُنّيت أبا تراب.

وحين لحظتُ في الحرب نقصاً يريد الإخلال بخلوص نيّتي ، فقد آثرتُ إغمادَ سيفي.
من أجل أن يكون حبّي ما أحبَّ الله ، وبُغضي ما أبغضَ الله.
مُنتهى ما يقال لجودي «أعطى للّه» ، وغاية ما يقال لإ مساكي «أمسكَ للّه».

بــخل مــن لِـلّـــه ، عـطا لِـلّـــه و بس
جــمله لِــلّــــــه اَمْ نِــيَم مــن آنِ كس
و آنــچه لِــلَّـــهْ مـى‌كنم تـقليد نـيست
نيست تخييل و گمان ، جز ديد نيست[1]

ثمّ يصل مولانا بعد الشرح والتفصيل إلى قوله :

گفتن پيغمبر صلّى الله عليه و آله وسلّم به گوش ركابدار أمير المؤمنين عليه السلام كه هر آينه كشتن أمير به دست تو خواهد بود[2]

گــفت پــيغمبر بــه گـوش چـاكـرم
كــو بُـرَد روزى ز گـردن ايـن سـرم
كرد آگه آن رسول از وحـى دوست
كه هلاكـم عـاقبت بـر دست اوست
او هــمى گــويد بكش پــيشين مـرا
تــا نــيايد از مـن ايـن مـنكَر خـطا[3]

١ـ يقول «بُخلي للّه وعطائي للّه فقط ، أنا للّه بكلّي ، ولست لغيره. وكلّ ما أفعله للّه أفعله شهوداً وعياناً ، لا تقليداً ولا ظنّاً ولا تخيّلاً».

٢ـ **همس النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في أُذن ماسك عنان جواد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ قتل أمير المؤمنين سيكون على يدك**

٣ـ يقول : «همس النبيّ في أُذن غلامي : أنّه سيهوي على رأسي بضربته يوماً ما. لقد أخبره الرسول بما جاءه من وحي الحبيب ، أنّ هلاكي سيكون في النهاية على يده. فتوسلّ إليّ أن اقتلني قبل أن يصدر منّي هذا الخطأ الفاحش».

من همى گويم چو مرگ من زتوست
با قضا من چون توانم حيله جست ؟
او هـمى افـتد بـه پـيشم كـاى كـريم
مـر مـرا كـن از بـراى حـق دو نـيم
تـا نـيايد بـر مـن ايـن انـجام بـد
تا نسـوزد جـان مـن بـر جـان خـود
مـن هـمى گـويم بـرو جَـفَّ الْـقَلَمْ
زين قـلم بس سـرنگون گـردد عـلم
هـيچ بـغضى نـيست در جـانم ز تـو
زانكـه ايـن را مـن نـمى‌دانـم زتـو
آلت حـقّى تـو ، فـاعل دست حـقّ
چون زنم بر آلت حـقّ طَـعْن و دقّ[1]

ثمّ يصل مولانا بعد شرح مفصّل إلى قوله :

غير تو هر چه خوش است و ناخوش است
آدمـــى سـوز است و عـين آتش است[2]

١ـ يقول : «فقلت له : حين يكون موتي على يدك ، فأيّة حيلة في يدي أمام القدر المقدور؟

فتداعى أمامي متوسّلاً : أيّها الكريم ! تعال فقدّني بسيفك في سبيل الله!
كي لا أبتلى بهذه العاقبة السيّئة ، وكي لا تُعذّب روحي بنار هوى نفسي وبما جنته يدي.
فكنت أقول له : اذهب فقد جفّ القلم ولا مفرّ ، وقد نُكِّست أعلام بقلم التقدير هذا.
وليس في نفسي حقد عليك ، لأنّي لا أعدّ هذا الفعل فعلك.
فلستَ إلّا آلة للحقّ ، والفاعل يد الحقّ ، فكيف يمكن الاعتراض على آلة الحقّ ؟».

٢ـ يقول : «كلّ شيء سواك ، الحسن والقبيح ، هو عين النار ومُحرق للإنسان. (الخطاب للّه عزّ وجلّ)».

هـــــر كـــــه را آتش پــــناه و پشت شــــد
هــم مــجوسى گشت و هـم زردشت شـد

كُــــلُّ شَــيءٍ مــا خَــلَا اللَــهْ بَــاطِلُ[1]
إنَّ فَـــــضْلَ اللَـــــهِ غَـــيْمٌ هَـــاطِلُ

بـــــاز رو ســـــوى عـــــلىّ و خـــــونيش
و ان كـــــــرم بـــــاخونى و افــــزونيش[2]

بقيۀ قصۀ أمير المؤمنين علي عليه السلام و مسامحت و إغماض او با خونى و ركابدار خويش[3]

گـفت : دشـمن را هـمى بـينم بـه چشـم
روز و شب بــر وى نــدارم هــيچ خشـم

زانكه مرگم همچو جان خوش آمده است
مرگ من در بعث چـنگ انـدر زده است[4]

١ـ اقتباس من شعر لبيد الذي قال عنه النبيّ المرسل : **أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا العَرَبُ كَلِمَةُ لُبَيْدٍ :**

**أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَا خَلَا اللَهِ بَـاطِلُ		وَكُــلُّ نَــعِيم لَا مَــحَالَةَ زَائِـلُ**

٢ـ يقول : «فمن كانت النار حماه وملجأه ، فقد أصبح مجوسيّاً وزردشتيّاً معاً.
كلّ شيء ما خلا الله باطل ، إنّ فضل الله غيم هاطل.
نعود إلى حكاية عليّ عليه السلام وقاتله ، وكرمه الذي عامله به».

٣ـ **بقيّة قصّة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام**
وعفوه وإغضائه عن قاتله وممسك عنان جواده

٤ـ يقول: «قال عليّ عليه السلام : لقد رأيتُ قاتلي بأُمّ عيني ليلاً نهاراً ، فلست أحمل له بين جوانحي غيظاً.
ذلك لأنّي أستأنس بالموت فهو في ناظري كالحياة والروح ، وفي موتي بعثي وحياتي».

مـــــرگ بـــى مـــرگى بـــود مـــا را حـــلال
بـــــرگ بـــــى بـــرگى بـــود مـــا را نـــوال
بـــرگ بـــى بـــرگى تـــو را چـــون بـــرگ شـــد
جـــــان بـــــاقى يـــــافتىّ و مـــــرگ شـــد
ظـــــاهرش مـــرگ و بـــه بـــاطن زنـــدگى
ظـــــــاهرش أبـــــتر نـــــهان پـــــايندگى
از رحـــــم زادن جـــــنين را رفـــتن است
در جـــــهان او را زنـــــو بشكـــفتن است
آنكـــه مـــردن پـــيش جـــانش تـــهلكه است
حكـــــم **لَاتُـــــلْقُوا** نگـــيرد او بـــه دست
چون مـرا سـوى أجـل عشـق و هـواست
نَـــــهْي لَاتُـــلْقُوا بِأَيْـــدِيكُمْ[1] مـــراست[2]

١ـ على من يعدّ الموت هلاكاً له أن لا يعتبر نفسه مخاطباً بخطاب : **لَاتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ** ، لأنّ هذا النهي موجّه لأُولئك الذين يسعون إلى الموت ويلقون بأنفسهم فيه عشقاً وشوقاً كالفراشة التي تهوي في النار . وهذا معنى قوله في البيت اللاحق : «زانكه نهى از دانهٔ شيرين بود» : (ولهذا فقد كان النهي عن الطعام الحلو اللذيذ ، لأنّ المرّ تكفي مرارته في النهي عنه) (المعلّق على «المثنويّ» : فرج الله الحسينيّ).

٢ـ يقول : «أُحلّ لنا الموت حينَ لا موت (إذ فنت أنفسنا ، فلا نـفس لنـا لتـموت)، وأُكرمنا بالزاد حينَ لا زاد.

وحين يصبح انعدام الزاد لك زاداً ، فإنّك ستجد خلود الروح في الموت.

ظاهره الموت وباطنه الحياة ، ظاهره أبتر وباطنه البقاء والخلود.

إنّ خروج الجنين من الرحم ظـاهره كالموت ، لكنّه ليـس إلّا تفتّـح حياة جديـدة في العالم.

على من كان فـي المـوت هـلاك روحـه ألّا يـعدّ نـفسه مـخاطباً بـخطاب : **لَا تُـلْقُوا**

زانکــــه نـــــهی از دانـــۀ شــیرین بــود
تــلخ را خــود نــهی حــاجت کـی شـود
دانــه‌ای کَشْ تــلخ بـاشد مـغز و پـوست
تــلخی و مکــروهیش خـود نـهی اوست
دانـــۀ مــردن مــرا شــیرین شــده است
بَــلْ هُــمْ أَحْــيَاءٌ پــی مــن آمـده است[1]

أُقْــــتُلُونِي يَـــــا ثِـــقَاتِي لَائِـــماً
إنَّ فِــــــي قَـــتْلِي حَـــيَاتِي دَائِـــماً
إنَّ فِـــي مَـــوْتِـي حَـيَـاتِـي يَـا فَـتَـى
كَــمْ أُفَــارِقْ مَـوْطِـنِـي حَـتَّـى مَـتَـى ؟
فُــرْقَتِي[2] لَــوْ لَـمْ تَكُـنْ فِـي ذِي السُّكُـونْ
لَـــمْ يَـــقُــلْ إِنَّــآ إِلَــيْــهِ رَاجِـــعُـــونَ
راجــع آن بــاشد کــه بــاز آیـد بـه شـهر
ســوی وحــدت آیــد از تــفریق دهــر[3]

بِأَيْدِيكُمْ ....

لأنّ هذا النهي موجّه إليّ ، أنا الذي أعشق الموت وآنس به ، فقيل لي : **لَا تُلْقُوا...**».

١ـ يقول : «فالنهي يكون دوماً عن الشيء اللذيذ الحلو ، أمّا الأشياء المرّة فلا حاجة للنهي عنها.

والشيء الذي قشره ولبّه مُرّ ، فإنّ مرارته وكراهته في نفسها نهيٌ عن تناوله.

ولقد صارت بذرة الموت لديّ لذيذة هانئة ، ونزلت آية ، **بَلْ هُمْ أَحْيَآءٌ** في حقّي».

٢ـ أي أنّنا لو لم نكن قد جئنا من عالم آخر فتوطّنّا في هذا العالم ، لما قال الله تعالى قولوا : **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (ذيل الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة ، لأنّ الرجوع يكون عادة إلى المكان الأوّل الذي جاء المرء منه . (المعلّق على المثنويّ : فرج الله الحسينيّ).

٣ـ يقول : «نعم ، العائد هو الذي يرجع إلى وطنه ، ويعود من تفريق الدهر واختلافه

ایـــن ســـخن پـــایان نـــدارد چـــاکـــرم
چون شنید ایـن سِـر ز سـیّد گشت خَـم[١]

افتادن رکابدار بر پای أمیر المؤمنین علیه السلام که ای امیر مرا بکش و از این بلیّه برهان ![٢]

بـــاز آمـــد[٣] کـای عـلیّ زودم بکش
تـــا نـــبینم آن دم وقت تـــرش
مـــن حـــلالت مـیکنم خـونم بـریز
تـــا نـــبیند چشـــم مـن آن رسـتخیز
گـــفتم ار هـــر ذره‌ای خـونی شـود
خنجر اندر کف بـه قـصد تـو بـود[٤]

إلى الوحدة والتوحّد».

١ـ يقول : «ولا خاتمة لهذا الكلام يا غلامي . ولقد انحنى ظهر الغلام حين سمع بهذا الكلام».

٢ـ ممسك عنان جواد أمير المؤمنين عليه السلام يتهاوى على قدميه متوسّلاً : اقتلني يا أمير المؤمنين ونجّني من هذه البليّة !

٣ـ وجاء في نسخة أُخرى :

آمـد و در خـاک پـیشم اوفـتاد دم به دم در پای من سر مینهاد

يقول : «لقد جاء و تهاوى على الأرض إلى جانبي ، يمرّغ رأسه على قدمي لحظة بعد أُخرى».

٤ـ يقول : «قال ممسك عنان الجواد : يا عليّ ! عجِّل بـقتلي كـي لا أرى ذلك اليـوم التعس المهول.
ها أنا أُحلّك سفك دمي ، فاقتلني كي لا ترى عيني ذلك الموقف في يوم القيامة.

یکسر مو از تو نتواند برید
چون قلم بر تو چنین خطی کشید

لیک بی غم شو شفیع تو منم
خواجهٔ روحم نه مملوک تنم

پیش من این تن ندارد قیمتی
بی تن خویشم فَتی اِبْنُ الْفَتی

خنجر و شمشیر شد ریحان من
مرگ من شد بزم و نرگسدان من

آن که او تن را بدین سان پی کند
حرص میریّ و خلافت کی کند ؟

زان به ظاهر کوشد اندر جاه و حکم
تا امیران را نماید راه و حکم

تا بیاراید به هر تن جامه‌ای
تا نویسد او به هر کس نامه‌ای

تا امیری را دهد جان دگر
تا دهد نخل خلافت را ثمر[1]

فقلتُ : لو استحالت كلّ ذرّة في العالم قاتلاً يمسك بخنجر ويسعى لقتلك».

١ـ يقول : «لما استطاعوا نيل شعرة منك ، لأنّ قلم التقدير قد خطّ عليك ذلك.

فلا تغتمّ ولا تحزن فسأشفع لك ، فأنا سيّد الروح لا عبد الجسد.

ولا قيمة لهذا الجسد المادّيّ عندي ، فأنا بدونه فتى ابن الفتى.

ليس هذا السيف والخنجر في نظري إلّا ريحاناً ، وليس الموتُ إلّا بستاناً لزهور النرجس.

فكيف يحرص على الرياسة والخلافة من عَقَرَ الجسدَ هكذا؟

لقد تسنّم الحكمَ والجاه في الظاهر من أجل أن يلقّن الحكّامَ درساً في عدالة الحكم

مـــيرى او بـــينى انـــدر آن جـــهان
فكـــــرت پـــنهانيت گـــردد عـــيان
هـــين گـــمان بـد مـبر اى ذو لبـاب
بـــا خـودآ و اللـه أعـلم بـالصواب [1]

ثمّ يقوم مولانا هنا بشـرح مفصّـل عن فتح مكّة ، وأنّ رسـول اللـه صلّى الله عليه وآله لم يكن قصده فتح العالم والسـيطرة عـليه ، ويـعود إلى قصّة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام خصمه المشرك بالبصاق فـي وجـهه الشريف :

گفتن أمير المؤمنين عليه السلام با قرين خود
كه سبب ناكشتن تو چه بود ، و مسلمان شدن او به دست او [2]

گـفت أمـير المـؤمنين بـا آن جـوان
كــه بـــه هـــنگام نـــبرد اى پـهلوان

والإمارة.

وليكسو الأجساد ، وليكتب تعاليمه ورسائله للجميع.

جاء ليزيّن الخلافةَ والحكومة ويهبها روحاً جديداً ، ولتزهوَ نخيلُ الخلافة في زمنه ⇦

⇦ مثقلة بالثمار».

١ـ يقول : «ستنظر سلطانه في ذلك العالم ، وسيتّضح لك عياناً ما تصوّرته وفكّـرت فيه خفية.

فلا تظنّنّ ظنّ السوء أيّها اللبيب ذا العقل الراجح ، وارجـع إلى نـفسك ، واللـه أعـلم بالصواب».

٢ـ **إخبار أمير المؤمنين عليه السلام لقرينه في الحرب عن علّة عدم قتله إياه ، وإسلامه على يد الإمام عليه السلام**

چون خدو انداختى بر روى من
نفس جنبيد و تبه شد خوى من[1]

نيم بهر حق شد و نيمى هوى
شركت اندر كار حق نبود روا

تو نگاريدۀ كف مولیستى
آنِ حقّى كردۀ من نيستى

نقش حق را هم به امر حق شكن
بر زُجاجۀ دوست سنگ دوست زن

گبر اين بشنيد و نورى شد پديد
در دل او تا كه زُنّارش بريد

گفت : من تخم جفا مى‌كاشتم
من تو را نوعى دگر پنداشتم

تو ترازوى أحد خو بوده‌اى
بل زبانۀ هر ترازو بوده‌اى

تو تبار و أصل خويشم بوده‌اى
تو فروغ شمع كيشم بوده‌اى[2]

۱ـ يقول : «قال أمير المؤمنين في الحرب لذلك الشابّ : أيّها البطل !
حين بصقت على وجهي جاشت نفسي فتكدّر خلقي وغضبت».

۲ـ يقول : «فصار قتلُك نصفه للحقّ ونصفه لهوى النفس ، وليس بالسائغ إشراك شيء في عمل الحقّ.
لقد صاغتك يدُ المولى ، فأنت مِلكُه ولستَ ملك يميني.
وما صاغه الحقّ ينبغي كسره بأمر الحقّ فقط ، وينبغي ألّا تُرمى زجاجة الحبيب إلّا بحجارة الحبيب.

مــن غــلام آن چــراغ شــمع خــو
کـه چـراغت روشـنی پـذرفت از او
مــن غــلام مــوج آن دریــای نـور
کـو چـنین گـوهر در آرد در ظـهور
عرضه کن بر من شهادت را که مـن
مــر تــو را دیــدم ســرافـراز زَمَـن
قرب پنجَه کس ز خویش و قـوم او
عــارفانه ســوی دیــن کــردند رو
او بــه تــیغ حـلم چـندین خـلق را
وا خــرید از تــیغ چـندین خـلق را
تــیغ حــلم از تــیغ آهــن تــیزتر
بــل ز صــد لشکـر ظـفر انگـیزتر[١]

فأشرق النور في قلب ذلك المجوسيّ حين سمع كلامه ، فبادر إلى زنّار كفره فقطّعه.
وقال : لقد كنت أزرع في قلبي بذور جفائك ، فقد ظننتك شيئاً آخر.
فلستَ إلّا ميزان الخُلقُ التوحيديّ ، بل عدل كلّ ميزان.
لم تكن غريباً ، بل أنت أصلي وعشيرتي وأهلي ، أنت شعاع شمع ديني ومذهبي».

١ـ يقول : «فأنا عبد ذلك المصباح المنير بسجيّته كالشمع ، والذي يضيء مصباحك منه.
وأنا عبد موج ذلك البحر من النور الذي أظهر لؤلؤة مثلك.
إعرضْ عَلَيَّ الشهادتَين ، فأنت أفضل مَن رأته عيني في زمني.
وهكذا فقد التحق بدين الإسـلام عن معرفة وبصيرة ما يقرب من خمسـين نفـراً من أقاربه.
لقد أعفى عليٌّ عليه السلام بسيف الحلم والأناة أُولئك النفر الخمسين من السيف والقتل.

....

....

....

بلى ، إنّ حدّ سيف الحلم أمضى من سيف الحديد ، بل يفوق في ظفره مائة من الجيوش».

وقد أورد المولويّ هذه القصّة آخر الدفتر الأوّل من كتاب «مثنوي» ص ٩٦ إلى ١٠٣ ، طبعة الميرزا محمود ، وفي طبعة ميرخاني : ص ٩٧ إلى ١٠٤ ؛ وينبغي العلم أنّ قصّة ⇦ ⇦ البصاق على أميرالمؤمنين عليه السلام في حال الحرب قد رويت من غير طريق الملّا الروميّ في «المثنويّ»، وكلّ ما في الأمر أنّ الملّا الروميّ يعتبر هذه القصّة -كما رأينا- قد حصلت في الحرب مع رجل مجوسيّ أسلم فيما بعد على يد الأمير عليه السلام ؛ في حين ذكر غير الملّا الروميّ هذه القصّة مع عمرو بن عبد ودّ . وقد روى ابن شهرآشوب في «المناقب» ص ١١٤ و ١١٥ ، الطبعة الحروفيّة ، مؤسّسة التراث العربيّ ، بيروت ، سنة ١٩٥٩ م، فصل في حلمه وشفقته، عن الطبريّ قال:

لَمَّا ضَرَبَ عَلِيٌّ طَلْحَةَ العَبْدَرِيَّ بَرَكَهُ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ لِعَلِيٍّ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجْهِزَ عَلَيْهِ ؟! قَالَ : إنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي اللهَ وَالرَّحِمَ حِينَ انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ فَاسْتَحْيَيْتُهُ . وَلَمَّا أَدْرَكَ عَمْرَو بْنَ عَبْدَ وَدٍّ لَمْ يَضْرِبْهُ ، فَوَقَعُوا فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَدَّ عَنْهُ حُذَيْفَةُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَهْ يَا حُذَيْفَةُ ! فَإنَّ عَلِيّاً سَيَذْكُرُ سَبَبَ وَقْفَتِهِ . ثُمَّ إنَّهُ ضَرَبَهُ ، فَلَمَّا جَاءَ سَأَلَهُ النَّبِيُّ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : قَدْ كَانَ شَتَمَ أُمِّي وَتَفَلَ فِي وَجْهِي فَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَهُ لِحَظِّ نَفْسِي . فَتَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ مَا بِي ثُمَّ قَتَلْتُهُ فِي اللهِ .

ويقول الشيخ هادي كاشف الغطاء في «مستدرك نهج البلاغة» ص ١٦٧ ، الباب الثالث ، مختار في حكمه عليه السلام ، طبعة مكتبة الأندلس ، بيروت:

وَصَرَعَ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ رَجُلاً ثُمَّ جَلَسَ عَلَى صَدْرِهِ لِيَحْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَبَصَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِي وَجْهِهِ ؛ فَقَامَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ . وَلَمَّا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ بَعْدَ التَّمَكُّنِ مِنْهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : اغْتَظْتُ مِنْهُ فَخِفْتُ إنْ قَتَلْتُهُ أَنْ يَكُونَ لِلْغَضَبِ وَالغَيْظِ نَصِيبٌ فِي قَتْلِهِ ، وَمَا كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ إلَّا خَالِصاً لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى .

القسم التاسع

السفر السابع للحقير إلى العتبات المقدسة

سنة ١٣٩٢ هجرية قمرية

السفر السابع للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٩٢ هجريّة قمريّة

بعد انقضاء سنتين على سفري مع ولدَيّ إلى بيت الله الحرام، لقد منّ الباري بالتوفيق للسفر مجدّداً للزيارة في أيّام ذي الحجّة ومحرّم الحرام، ومن ثمّ فقد تشرّفت أواخر سنة ١٣٩٢ وأوائل سنة ١٣٩٣ هـ. ق بالسفر لتقبيل أعتاب الأئمّة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين. حيث توقّفت قبل حلول شهر ذي الحجّة فيالكاظميّة لأيّام عدّة للزيارة، ثمّ يمّمت صوب كربلاء المشرّفة.

وكانت قد وصلتني قبل سفري هذا عدّة رسائل بالخطّ المبارك لسماحة الحاجّ السيّد هاشم، أُوردها قبل الشروع في بيان ما وقع في هذا السفر:

١ـ **بسم الله الرحمن الرحيم**

مِنَ اللَهِ وَإلَى اللَهِ وَفِي اللَهِ وَبِاللَهِ، وَإلَيْهِ المَرْجَعُ وَالمَآب.

شما نامه‌تان را از من قطع نكنيد، أقلّاً هفته‌اى يک نامه بنويس. مرتب بنويس تا جمع شود تا إن شاء الله فرصتى پيدا شود يک جوابى بنويسم تا اين يكى همه را ببرد.[١]

١ـ يقول: «لا تقطع رسائلك عنّي. اكتب رسالة واحدة على الأقلّ كلّ أُسبوع. اكتب باستمرار حتّى إذا ما اجتمعت الرسائل وسنحت الفرصة إن شاء الله، كتبتُ جواباً عنها ⇦

قَــالَ : اطْـعِمْنِي فَــإِنِّي جَـائِعُ   فَاعْتَجِلْ فَـالوَقْتُ سَـيْفٌ قَـاطِعُ

عارِف ابْنُ الوَقْت باشد اى رفيق   نيست فردا گفتن از شرط طريق[1]

* * *

من چه گويم يک رگم هشيار نيست

شرح آن يارى كه او را يار نـيست[2]

أخيك المخلص سيّد هاشم

٢ ـ آقاى سيّد محمّد حسين ! شما سلام مرا بر آقـا مـنصور شـركت بفرست و بگو : حدّاد سلام مى‌كند و مى‌گويد : **سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَنْصُرَكَ عَلَى نَفْسِكَ** ، و بگو : شما در فرمان پدر و مادر باش و إن شاء الله كارت خوب خواهد شد . از خود نمى‌گويم .[3]

٣ ـ **بسم الله الرحمن الرحيم**

السَّلَامُ عَلَى سَيِّدِي وَمَوْلَايَ السَّيِّدِ السَّنَد السَّيِّد مُحَمَّد حُسَيْن !

اللَهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ وَإِلَيْكَ السَّلَامُ !

⇦ بأجمعها».

١ـ يقول: «يا رفيقي كن عارفاً وكن ابن يومك ، فإنّ من شروط الطريق ترك التسويف إلى غد».

٢ـ يقول: «ماذا أقول حين لا أمتلك عِرقاً واحداً صاحياً ، فـي وصـف ذلك الحـبيب الذي لا حبيب له».

٣ـ يقول: «أيّها السيّد محمّد الحسين ! أبلغ سلامي للسيّد منصور شركت ، وقـل له: الحدّاد يسلّم عليك ويقول : سألتُ الله أن ينصرك على نفسك . وقل له :كن مطيعاً لأبويك وسينتظم أمرك إن شاء الله . لا أقول ذلك من تلقاء نفسي».

قَالَ ... : يَا مَنْ هُوَ أَنَا ، وَأَنَا هُوَ ؛ لَا فَـرْقَ بَـيْنَ إنِّـيَّتِي وَهُـوِيَّتِك إلَّا الحُدُوثُ وَالقِدَمُ . وَقَالَ : أَمَا تَرَى أَنَّ رَبِّي ضَرَبَ قَـدَمَهُ فِـي حَـدَثِي أَيْ حُدُوثِي حَتَّى اسْتَهْلَكَ حُدُوثِي فَلَمْ يَبْقَ إلَّا صِفَةُ القِدَمِ ، فَلَمْ يَبْقَ لِـي إلَّا صِفَةُ القَدِيم ، وَنَطَقَنِي فِي تِلْكَ الصِّفَةِ وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ أَحْدَاثٌ يَنْطِقُونَ عَنِ الحُدُوثِ. وَقَالَ:

فَلاَ بَابَ لِي يُغْشَى وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى
وَلَا جَارَ لِي يَـحْمِي لِـفَقْدِ حَـمِيَّتِي

أَوَّلا كُنْتَ تَكْتُبُ مَكَاتِيبَ . مُدَّةً عَيْنِي عَلَى الطَّرِيقِ . قَالَ : نَسَانِي ، مَا نَسِيتُهُ. السَّلَامُ عَلَى جَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً بَعْدَ فَرْدٍ.

خادمكم سيِّد هاشم الحدَّاد

٤ ـ السَّلَامُ عَلَى السَّيِّد مُحَمَّد حُسَيْن المُحْتَرَمِ وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلَامُ عَلَى السَّيِّد مُحَمَّد صَادِق وَالسَّيِّد مُحْسِن وَالسَّيِّد أَبِي الحَسَنِ وَالسَّيِّد عَلِيّ وَ ... وَعَلَى جَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً فَرْداً وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَإنْ شَاءَ اللَهُ عَنْ قَرِيبٍ أَتَوَجَّهُ إلَى طَرَفِكُمْ.

که عشق آسان نمود أول[1] ، وإن شاء الله مشكل حل خواهد شد[2] .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ

٥ ـ　　　　بسم الله الرحمن الرحيم

إلَى جَنَابِ السَّيِّدِ الجَلِيلِ حَبِيبِي وَمَكَانِ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي ، السَّيِّد

١ـ يقول: «فقد ظهر لي العشق سهلاً في البداية» ؛ وهو صدر المصرع الثاني لبيت شعر لحافظ الشيرازيّ وتمامه : «ولى افتاد مشكل ها» (= ولكنّ المحن واجهتني).

٢ـ يقول: «سيحلّ الأمر المشكل إن شاء الله تعالى».

مُحَمَّد حُسَيْن حَفَظَهُ اللهُ.

لَـيْسَ لِـعَارِفٍ عَـلَاقَةٌ ، وَلَا لِـمُحِبٍّ شَكْـوىً ، وَلَا لِـعَبْدٍ دَعْـوىً ، وَلَا لِخَائِفٍ قَرَارٌ ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الفِرَارُ.

چرا دلت از من گرفته ؟! وقتى دلت از من گرفته مى‌شود قبض بر بنده حاصل مى‌شود.[1]

اگر زلفت ندارد قصد آزار من   چرا پيوسته در مهتاب مى‌گردد[2]

وَالسَّلَامُ عَلَى أُمِّ مُحَمَّد صَادِق وَالحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّد صَادِق وَالحَاجِّ السَّيِّد مُحَمَّد مُحْسِن وَالسَّيِّدِ أَبِي الحَسَنِ وَالسَّيِّدِ عَلِي وَ ... وَعَلَى جَمِيعِ الرُّفَقَاءِ فَرْداً فَرْداً.

وَإن شَاءَ اللهُ عَنْ قَرِيبٍ أَتَوَجَّهُ إلَى طَرَفِكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيكُمْ جَمِيعاً ورَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

سيّد هاشم الحدّاد

٦ ـ باسمه تعالى شأنه

أَفْضَلُ البُكَاءِ بُكَاءُ العَبْدِ عَلَى مَا فَاتَهُ عَلَى غَيْرِ المُوَافَقَةِ . إذَا رَأَيْتَ المُرِيدَ يُرِيدُ السَّمَاعَ فَاعْلَمْ أَنَّ فِيهِ بَقِيَّةً مِنَ البَطَالَةِ.

وَقَالَ : الفُتُوَّةُ أَدَاءُ الإنْصَافِ وَتَرْكُ مُطَالَبَةِ الإنْصَافِ.

وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَزِنْ أَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَّهِمْ خَوَاطِرَهُ ، فَلَا تَعُدَّهُ فِي دِيوَانِ الرِّجَالِ.

١ـ يقول : «لماذا انقباض قلبك منّي ؟! حين ينقبض قلبك منّي أحسّ بانقباض يعتريني».

٢ـ يقول: «إن لم يكن لذؤابتك قصد إيذائي ؛ فلِمَ تتطوّح دوماً تحت أشعّة القمر؟».

وَقَالَ : لَوْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ العَبْدُ أَلْفَ أَلْفِ سَنَةٍ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ لَحْظَةً، كَانَ مَا فَاتَهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَهُ.

اسْتَعْمِلِ الرِّضَا جُهْدَكَ ، وَلَا تَدَعِ الرِّضَا يَسْتَعْمِلُكَ فَتَكُونَ مَحْجُوباً بِلَذَّتِهِ عَنْ حَقِيقَةِ مَا تُطَالِعُهُ.

أَفْضَلُ الطَّاعَاتِ حِفْظُ الأَوْقَاتِ ؛ وَهُوَ أَنْ لَا يُطَالِعَ العَبْدُ غَيْرَ حَدِّهِ وَلَا يُرَاقِبَ غَيْرَ رَبِّهِ ، وَلَا يُقَارِنَ غَيْرَ وَقْتِهِ.

وَقَالَ : أَنْ تَكُونَ عَبْدَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كَمَا أَنَّهُ رَبُّكَ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَقَالَ : الإخْلَاصُ سِرٌّ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ العَبْدِ لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ فَيَكْتُبُهُ ، وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هَوىً فَيَمِيلَهُ.

الحاجّ سيّد هاشم

٧ـ باسمه تعالى

مِنَ اللهِ وَإلَى اللهِ وَبِاللهِ وَفِي اللهِ.

وَبَعْدُ يَا أَخِي ! أَرْجُو المَعْذِرَةَ مِنْ جَنَابِكُمْ ، وَ[الـ]سَمَاحَ مِنْ وُجُودِكُمْ ! انْسَلَبَ مِنْ عِنْدِي تَعَامُلٌ مَعَ النَّاسِ مُدَّةً أُرِيدُ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً، مَا عِنْدِي وَقْتٌ.

وَمِنْ دَرَجَاتِ العِزِّ أَصْبَحْتُ مُخْلَداً
إلَى دَرَكَاتِ الذُّلِّ مِنْ بَعْدِ نَخْوَتِي
فَلَا بَابَ لِي يُغْشَى وَلَا جَاهَ يُرْتَجَى
وَلَا جَارَ لِي يَحْمِي لِفَقْدِ حَمِيَّتِي

گفتم به چشم کز عقب گلرخـان مـرو
نشنید و رفت عاقبت از گريه کور شد[١]

عَلَى كُلِّ حَالٍ شَاكِراً لِنِعَمِهِ.

سَـلَامٌ عَلَى جِيـرَانِ لَيْلَى فَإنْ ... نَ لَيْلَى أَعَـزُّ مِـنْ أَنْ تُسَـلَّمَـا

يَا أَخِي يَا سَيِّدِي ! أَرْجُوكَ أَنْ تُسَامِحَنِي وَتَرْحَمَنِي ، شِنْسَوِّي[٢] مَـا بِيَدِي شَيءٌ . سَابِقاً مَا كَانَ عِنْدِي شَيءٌ ، بَعْدَهَا أَعْطُونِي فَدْ[٣] شَيءٍ قَـلِيلٍ وَبَعْداً اتْنَدْمَوْا وَأَخْذُوْهْ[٤].

أَرْجُو السَّمَاحَ مِنْ عِنْدِكَ وَلاَ تَقْطَعْ مَكَاتِيبَكَ مِنْ عِنْدِي . وَتَدْعُو لِي فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ ، فَإنِّي فِي دَوْرِ شِدَّةٍ . أَرْجوُكَ أَنْ تَدْعُوَ لِـي وَجَـمِيعِ الأَصْدِقَاءِ وَبَلِّغْ سَلَامِي عَلَى الدُّولَابِيِّ وَأَخِي مُحْسِن شِرْكَتْ وَعَمِّهِ هَادِي شِرْكَت وَگُمْرُكْپُور وَجَمِيعِ الرُّفَقَاءِ . وَالسَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ .

سيّد هاشم

٨ ـ هذه الرسالة بإملائه وإمضائه وبخطّ الحاجّ محمّد علي خلف زاده:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم وَبِهِ نَسْتَعِين

اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَصـلِّ عَـلَى جَـمِيعِ الأَنْـبِيَاءِ

١ـ يقول: «قلتُ لعيني لا تتعقّبي ذوي الوجوه الصبيحة كالورد ، فلم تصغ وكانت عاقبتها العمى من بكائها».

٢ـ كلمة عامّيّة عراقيّة ، وهي اختصار : «أيّ شيء نسوّي» (أي : مإذا نعمل ، أو ما في اليد من حيلة).(م)

٣ـ كلمة عامّيّة عراقيّة ، وصحيحها «فرد» (أي : واحد). (م)

٤ـ اتندموا و ... : (نَدِمُوا وَأَخَذُوهُ) ؛ ولا تخفى على القارئ اللبيب كلمات وتعابير عامّيّة لم نغيّرها حفاظاً على نصّ كلمات المرحوم الحدّاد. (م)

وَالمُرْسَلِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . صَلَوَاتُ اللهِ العَظِيمِ عَلَيْكَ يَا حَبِيبِي يَا سَيِّد مُحَمَّد حُسَيْن وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

بَعْدُ ، إنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنَّا فَلِلَّهِ الحَمْدُ سَالِمِينَ ، وَفِي أَلْطَافِهِ مُنَعَّمِينَ وَلَكُمْ مِنَ الدَّاعِينَ.

يَا أَخِي ! وَاللهِ الدَّاعِي فِي خَجِلٍ مِنْ عِنْدِكُمْ لِأَنَّهُ كَمْ مَكْتُوبِ جَنَابُكُمْ تَفَضَّلْتُمْ وَأَنَا مَا تَوَفَّقْتُ لِلْجَوَابِ ، هَذَا مِنْ عَدَمِ تَوْفِيقِي ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَاهُ.

يَا أَخِي وَنُورَ قَلْبِي ! لَقَدْ شَغَلَنِي حُبُّكَ عَنْكَ . وَالحَمْدُ لِلَّهِ أَنَا فِي كَمَالِ الصِّحَّةِ وَالعَافِيَةِ وَمَشْغُولِينَ بِالدُّعَاءِ لَكُمْ عِنْدَ الحُسَيْنِ وَأَخِيهِ أَبِي الفَضْلِ العَبَّاسِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. الحاصل ، يقول الشاعر :

گفتم به چشم کز عقب گلرخان مرو

نشنید و رفت و عاقبت از گریه کور شد[1]

هُوَ الحُبُّ فَاسْلَمْ بِالحَشَا مَا الهَوَى سَهْلُ

فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنىً بِهِ وَلَهُ عَقْلُ

چه کنم دگر فائده ندارد و بعد از رسوخش باید مرد یا اینکه به جستجویش نرفته بود[2] .گفت :

مرا روز أزل کاری به جز رندی نفرمودند

هر آن قسمت که آنجا شد کم و افزون نخواهد شد[3]

١ـ يقول: «قلتُ لعيني لا تتعقّبي ذوي الوجوه الصبيحة كالورد ، فلم تصغِ وكانت عاقبتها العمى من بكائها».

٢ـ يقول: «ماذا أفعل ، فلن يضير ذلك شيئاً . وينبغي الموت بعد رسوخه ، أو أن لا يذهب المرء في البحث عنه بادئ ذي بدء».

٣ـ يقول: «قال : لم يكلّفوني منذ الأزل بغير المهارة في البحث عن الحقيقة ، ⇦

غرض آنرا اختيار كرديم بايد سوخت و ساخت . پس بكُش جـانم بقربانت ![1]

فَـعَلَى كُـلِّ حَـالَةٍ أَنْتَ مِـنِّي — بِيَ أَوْلَى إِذْ لَمْ أَكُنْ لَـوْلَاكَـا

وَبِمَا شِئْتَ فِي هَوَاكَ اخْتَبِرْنِي — فَاخْتِيَارِي مَا كَانَ فِيهِ رِضَاكَـا

از اين جانب به حضرت حاج آغا معين و آغـاى ابـهرى و آغـاى دولابى و آغاى حاج هادى شـركت وآغـاى حـاج مـحمود گـمرک پـور و آغاى سيد حسن معين و ساير رفقا و أحياناً اگر تشريف برديد به همدان يا اينكه نامه مرقوم داشتيد از اين جانب سلام رسان و أحوالپرس باشيد .

آغاى حاج عبد الزهراء و آغاى حـاج عـبدالجـليل و آغـاى حـاج حبيب سماوى و غلام جنابعالى محمد على خلف زاده ـ به فرمايش آغاى حداد :كاشكى قبول كند به غلامى ـ سلام مى‌رسانند و به دعا گوئى مشغولند و از جناب عالى ملتمس دعا هستند .[2]

جَمَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ ، آمِّينَ .

محبّكم سيِّد هاشم حدَّاد

⇐ ولن ينقص أو يزيد النصيب المقدّر هناك».

١ـ يقول: «والغرض أنّنا اخترناه ، وينبغي الصبر والتحمّل على الشدائد ، فاقتلني إذن فدتك روحي !».

٢ـ يقول: «أبلغوا سلامي للحاجّ آغا معين وآغاي الأبهريّ وآغـاي الدولابـيّ والحـاجّ هادي شركت والحاجّ محمود گمرك‌پور والسيّد حسن معين وسائر الرفقاء ، وإذا ما ذهبتم أحياناً إلى همدان أو كتبتم (للرفقاء) رسالة فأبلغوهم سلامي واستفسروا عن أحوالهم نيابة عنّي .

الحاجّ عبد الزهراء ، والحاجّ عـبد الجـليل ، والحـاجّ حـبيب السـماويّ ، وخـادمكم محمّدعلي خلف زاده ـ ويقول السيّد الحدّاد : ليته يقبلك للخدمة ـ يسلّمون عليكم وهـم مشغولون بالدعاء لكم ويسألونكم الدعاء لهم».

آغا سيد مهدى و آغا سيد قاسم و آغاى سيد صالح و آغاى سيد برهان الدين و آغاى سيد عبد الأمير و علويه و والدهٔ ايشان سلام رسان و أحوال پرسند.[1]

امتحان إلهيّ وفتنة شديدة بين أصحاب ومحبّي الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد أعلى الله درجته

كما أُشير سابقاً فقد أصبح لبعض الفضلاء والدارسين من النجف الأشرف علاقة بالسيّد، فكانوا يأتون إلى محضره أحياناً، وكان يستقبلهم في صفاء وبساطة لا يشوبهما شيء. كما أنّ بعض كسبة النجف والكاظميّة وبغداد صاروا من مريديه، فكان يستقبلهم كذلك؛ حتّى صاروا تدريجيّاً ما يقرب من عشرين نفراً يجتمعون في مجلسه أوقات الزيارة. وكان يقوم بنفسه بتأمين ما يحتاجونه ظاهراً وباطناً. وما أكثر ما شوهد هذا السيّد الكريم السخيّ الحَيِيّ وهو يشتري بنفسه الخبز من الخبّاز فيجلبه إلى البيت، أو يأتي حاملاً قالباً من الثلج في يده. ولم يكن ليتوقّف عن تنظيف المنزل وتطهيره، بل كان سعيداً ـ كأُستاذه المرحوم القاضي ـ بخدمة الزوّار وأولياء الله وسالكي الطريق، حتّى صار اجتماع الرفقاء في بيته ليالي الجُمَعِ أمراً مشهوراً، فإذا ما رغب بعض الرفقاء في لقاء بعضهم لأمر ما فإنّهم يعلمون أنّ ذلك ميسور في ليلة الجمعة.

ودام ذلك الحال حتّى انضمّ إليهم رجلان من الطلبة الشيوخ المعمّمين النجفيّين، وكانوا قد اعتادوا على هذه المجالس مدّة في النجف؛ وسرعان

١ـ يقول: «السيّد مهدي، والسيّد قاسم، والسيّد صالح، والسيّد برهان‌الدين، والسيّد عبدالأمير، والعلويّة، ووالدتهم يرسلون سلامهم ويسألون عن أحوالكم».

ما تعرّفوا على سماحة السيّد وصاروا يتردّدون عليه كباقي الرفقاء .

ثمّ عَنّ لهم أن ينشروا عنه بعض الأُمور الملفّقة بين الرفقاء المخلصين من الكسبة والتجّار ، وعند الدارسين والمحصّلين .

وكان مجمل ما يقومون بنشره أُمور عدّة كانوا يوردونها بأجمعها شاهداً ودليلاً على وجوب تنحّي الرفقاء وابتعادهم عنه ، وهو ـ بطبيعة الحال ـ ممّا يوجب انصرافهم عن الحدّاد إلى هذين الشخصينِ . وهذه الأُمور هي :

١ ـ أنّ السيّد الحدّاد يقول بوحدة الوجود ، والقول بوحدة الوجود كفر ، لأنّ وحدة الوجود تقول : إنّ جميع الأشياء هي الله .

وقد قال أحد هذين الشخصينِ : كنت أسير مع السيّد في الكاظميّة ، فشاهدنا كلباً ، فقال : هذا الكلب هو الله أيضاً !

٢ ـ أنّ السيّد ورفقاءه ليسوا من أهل الولاية ، بل إنّهم يعدّون أنفسهم من أهل التوحيد . فالقرآن يقرأ في مجالسهم ومحافلهم فيبكون عند قراءته كما تُقرأ المناجاة الخمسة عشر ودعاء الجوشن الكبير الحاوي لأسماء الله ، وأشعار ابن الفارض المصريّ السنّيّ فيبكون لذلك ، وهم لا يَدْعُون قارئاً وواعظاً ـ كسائر مجالس العزاء ـ لقراءة مجلس تعزية من أجل البكاء على أهل البيت .

٣ ـ أنّ السيّد ينقل أحياناً كثيرة ـ وفق أُسلوب ونهج المرحوم القاضي ـ مطالباً عن محيي الدين بن عربي ، وكفر الأخير وزندقته أمر جليّ قد كتب العلماء عنه مطالب مسطورة في الكتب ، حتّى أنّ الشيخ الأحسائيّ لقّبه بلقب «مميت الدين» .

٤ ـ قيامه بقراءة أشعار «المثنويّ» للملّا الروميّ الذي كان يقول بوحدة الوجود ، مضافاً إلى أنّه كان سنّيّاً مخالفاً لأهل البيت وأمير المؤمنين عليهم

السلام ، وقد ذكر عمر وأبا بكر في بعض المواضع من كتابه .

٥ ـ أنّ السيّد يعتبر المرحوم القاضي أعلى من الأئمّة عليهم السلام ؛ يشهد على ذلك أنّ أحد محبّيه أراد أخذ عباءة إلى إيران كهديّة ، فقام بمسحها على قبر المرحوم القاضي للتبرّك به .

٦ ـ أنّه قد ذهب لزيارة قبر أبي حنيفة والجُنيد البغداديّ ، وضلالتهما وانحرافهما لا تخفى على أحد . وبعض المطالب الأُخرى من هذا القبيل .

وكان خلاصة كلامهم ترجع إلى هذه المسألة : أنّ لدينا نهجين : أحدهما نهج التوحيد ، والآخر نهج الولاية ؛ ومادام أهل التوحيد مخالفين لأهل الولاية ، فإنّ من الضروريّ على أهل الولاية أن يخالفوا أهل التوحيد وأن يقاطعوهم ويدعوهم لوحدهم . كما أنّ عليهم أن يروّجوا شعائر أهل البيت عليهم السلام ونهجهم ، حيث إنّ كلّ ما لدينا تابع لنهج أهل البيت وكلّ ما عداه باطل وضلال وكفر وزندقة .

ولقد وسّع هذان الشيخان ثغرة أو فتق الأمر ، فقاما بأنفسهما بسفرات عديدة إلى الكاظميّة ، وعملا على حرف رفقاء سماحة السيّد وإبعادهم عنه . فكان التساؤل يتسرّب إلى نفوس أُولئك أيضاً وهم ينظرون إلى هذه المسائل الهامّة فيخيّل إليهم أن ربّما الأمر كذلك ، ينبغي ترويج مذهب أهل البيت ودعم تلك الشعائر ، لأنّ الأمر لا ينقضي بالمجالس التي يتلى فيها القرآن أو بمناجاة الله والبكاء فقط ، فالسنّة يفعلون ذلك أيضاً .

وقد تفاقم الأمر حتّى صار أحد هذين الشخصين يذهب بعض الليالي من النجف إلى الكاظميّة مباشرة ، فيبيت في منزل بعضهم فيقضيان الليل في المسامرة في هذه المسائل التي لا تمثّل في نظرهما إلّا إحياء للدين ولمذهب التشيّع ، ثمّ يبقى ليلة أو ليلتين على الأغلب ويعود إلى النجف .

وقد حدثت هذه الأُمور حين كان جمع من الزوّار الإيرانيّين من

محبّي السيّد قد تشرّفوا بالمجيء لزيارة العتبات المقدّسة ، فقاما بتشويش أفكار هؤلاء الزوّار ضمن لقاءات عديدة عقداها معهم . وينبغي ألّا ننسى القول أنّ نفس الشخص الذي نادى بعد رحلة المرحوم آية الله الأنصاريّ بعدم الحاجة إلى أُستاذ ، والذي كان موطنه الأصليّ لسنوات متمادية في كربلاء ، هو الذي يذكّي لهب هذه الفتنة في كربلاء ، ويدعم نشاط هذين الشيخين ـ سرّاً لا علناً ـ !

ولم يكن في وسع سماحة آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس القوچانيّ أن يفعل شيئاً في هذا الحيص والبيص[1] مع اطّلاعه على حقيقة الأمر ونفوره من هذين الشخصين اللذين تردّدا عليه مدّة ، اللهمّ إلّا أن يمنعهما من الحضور في مجلسه ، وأن يجمع رفقاءه حوله فيحذّرهم من الخوض في مثل هذه المسائل .

ولقد زعّزع إعلام هذين الشخصين الكثير ، فوصل بعضهم إلى حيث لا مجال له للعودة ، وظلّ البعض متحيّراً ضالّاً يتخبّط في شكّه إلى آخر عمره ؛ أمّا البعض الآخر فقد انكشف لهم أنّها لم تكن إلّا دعايات شيطانيّة ، وأنّ الحدّاد هو روح الولاية كما أنّه روح التوحيد ، وأنّ التوحيد عين الولاية لا انفكاك بينهما ولا افتراق .

هذا وقد حصلت هذه الأُمور بأجمعها بينما كان الحقير يتواجد في طهران دون أن يكون لديه أدنى علم بها ، فقال بعض الأصدقاء لسماحة السيّد في أواخر الأمر وقد صادف أوان تشرّفي للذهاب للزيارة : نخشى أن تسبّب العلاقة والمودّة الشديدة بين السيّد محمّد الحسين مع الحاجّ هادي

١ـ الحيض والبيص = المغالبة والمراوغة واختلاط لا مخرج منه أو شدّة وضيق «المنجد».

الأبهريّ ـ وكان من الزوّار ممّن يمتلك ذهناً بسيطاً نورانيّاً غير ملوّث ، وكانوا قد أثّروا عليه وشوّشوا فكره بشدّة ـ في انصراف السيّد محمّد الحسين ، الذي سيقدم من طهران ، عنك بدوره .

فكان جواب سماحة السيّد : السيّد محمّد الحسين ! أبداً أبداً ؛ فهو كالجبل ، وأنّى له أن يتزلزل !

ثمّ عقّب على الفور : وافرض أنّه انصرف عنّي هو الآخر ، وأنّ أحداً لن يكون معي ، فإنّ لي الله ، إنّ إلهي معي ، ولو خلى جميع العالم من شخص واحد يقبل بكلامي ![1]

١ـ كم يناسب لسان حالنا وعلوّ مقام السيّد في تلك الوهلة هذا الغزل للخواجة أعلى الله درجته:

هزار دشمنم ار مى‌كنند قصد هلاک
گرم تو دوستى از دشمنان ندارم باک
مرا اُميد وصال تو زنده مى‌دارد
و گر نه هر دمم از هجر تُست بيم هلاك
رود به خواب دو چشم از خيال تو هيهات
بود صبور دل اندر فراق تو حاشاک
اگر تو زخم زنى به که ديگران مرهم
و گر تو زهر دهى به که ديگران ترياک
نفس نفس اگر از باد نشنوم بويت
زمان زمان چو گل از غم کنم گريبان چاک
بضرب سيفك قتلى حياتنا أبداً
بأن روحي قد طاب أن يكون فداك
عنان مپيچ که گر مى‌زنى به شمشيرم
سپر کنم سر و دستت ندارم از فتراک ⇦

أما الوحيد من بين جميع الرفقاء الذي صمد ودافع عن نهج السيّد وطريقته ، فقد كان الحاجّ محمّد علي خلف زاده الذي كان يسكن كربلاء آنذاك ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف . وكان حقّاً وإنصافاً الوحيد الذي صمد ولم يتزعزع أمام هجوم سيل الخواطر والأفكار الشيطانيّة .

وبطبيعة الحال فقد انفضّت تلك المجالس ، ولم يعد السيّد يمتلك رغبة في استقبال أحد ، وكان يقول : إنّهم يأتون فيستفيدون من مجلسنا ، ثمّ يخرجون فينشرون عكسه كفعل المنافقين تماماً .

ولقد عطّلت مجالس ليالي الجمعة تلك ، فكان السيّد يعمد إلى

⇦ تو را چنانكه توئى هر نظر كجا بيند
بقدر دانش خود هر كسى كند إدراك
به چشم خلق عزيز آن زمان شود حافظ
كه بر در تو نهد روى مسكنت بر خاك

«ديوان حافظ الشيرازيّ» ص ١٣٧ و١٣٨ ، الغزل ٣٠٩ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ ،

يقول : «لو قصد ألف عدوّ هلاكي لما باليتُ عنهم مادمتَ حبيبي .
يُحييني الأمل في وصالك ، وإلّا لخفتُ كلّ آن الهلاك من هجرك .
هيهات أن تنال عينيَّ الكرى من أجل خيالك ، وحاشى للقلب أن يصبر على فراقك .
جرحك لي خير من مرهم يضعه غيرك ، وسمّك خير لي من ترياق سواك .
إن لم أنشق نسيم عطرك ساعة فساعة ، لَشققت كلّ آن جيبي شقّ الورد للأكمام .
بضرب سيفك قتلي حياتنا أبداً ، بأنّ روحي قد طاب أن يكون فداك .
لا تلوِ عنانك عنّي ، فلو أهويت عَلَيَّ بالسيف ، لجعلتُ درعي رأسي ولم أكفّ عن التعلّق بحزام سرجك .
أنىّ يراك ـ كما أنت ـ رامق الأبصار ، فإنّما يدرك منك كلّ بقدر بصيرته .
سيصبح حافظ عزيزاً في الأنظار حين يلقي برأسه عند بابك ـ من مسكنته ـ على التراب».

التشرّف بالذهاب إلى الحرم المطهَّر فيتأخّر إلى منتصف الليل تقريباً ، ثمّ يعود إلى البيت بعد انقضاء وقت ورود الواردين ، من أجل أن لا يأتي أحد فيشغل وقته .

وكان يقول : ليس لديّ الرغبة في لقاء أحد ولا الحال الملائمة لذلك ؛ إنّهم يتخيّلون أنّني فتحت دكّاناً لأجمع الناس حولي ، فليسعدوا الآن ولتكن هذه المجالس لهم .

وكان يقول : إنّ ذكرنا الدائم هو عن التوحيد ، فوحدة الوجود أمر عال وراق لا يمتلك أحد القدرة على إدراكه . أي أنّ الوجود المستقلّ وبالذات هو واحد في العالم ، أمّا باقي الوجودات فهي ظلّيّة وتبعيّة ومجازيّة ومتعلّقة به .

لم أقل قطّ : إنّ هذا الكلب هو الله ؛ بل قلتُ : ليس من شيء سوى الله . إنّ مقولة «هذا الكلب هو الله» تعني أنّ هذا الوجود المقيّد المتعيّن بهذا التعيّن والحدود هو الله ! نعوذ بالله من هذا الكلام . أمّا قول «ليس من شيء سوى الله» فمعناه أنّ الوجود بالأصالة ، وحقيقة الوجود في جميع العوالم ، والذات المستقلّة والقائمة بالذات هو وجوده تبارك وتعالى ، وأنّ باقي الموجودات لا وجود لها وليست إلّا تمثيلاً للوجود ، وأنّ وجودها ربطيّ وتعلّقيّ وظلّيّ كظلّ الشاخص نسبة إلى نور الشمس ، فهو يتحرّك تبعاً للشاخص .

وتمثّل هذه المقولة عين الحقيقة ، كما أنّ وجود الأئمّة ليس وجوداً استقلاليّاً ، فهم أيضاً آيات من الآيات الإلهيّة ، كلّ ما في الأمر أنّهم الآيات الكبرى لتلك الذات القدسيّة ؛ فإذا اعتبرناهم منشأ الأثر فقد سقطنا في أُحبولة التفويض .

أمّا في قضيّة الولاية ، فنحن الذين نعرف الولاية ، لا هؤلاء القطيع

من الأغنام الذين يجرونها على ألسنتهم . ونحن الذين نقوم بالعزاء الحقيقيّ ، ونحن الذين نؤدّي الزيارة الحقيقيّة .كما أنّ معرفة الأئمّة عليهم السلام وجداناً وشهوداً وعقلاً وعلماً مختصّة بنا ، لا بأُولئك الذين يعتبرون الولاية أمراً منفصلاً. الولاية عين التوحيد ، والتوحيد عين الولاية .

إنّ دموعنا على أبي عبد الله الحسين عليه السلام تجري من أعماق قلوبنا وسويدائها ، فنحن نريد إفراغ قوالبنا بتلك الدموع ، لأنّ تلك الدموع تنساب خارجاً ممزوجة بنفوسنا وأرواحنا ؛ لا هذه الدموع التي تنبع من تخيّلاتهم وتصوّراتهم ، فهؤلاء هم الذين يقتلون سيّد الشهداء ثمّ يجلسون فيقيمون عليه العزاء ويلطمون في مأتمه الصدور .

متى ذهبتُ إلى زيارة قبر أبي حنيفة ؟! لعن الله أبا حنيفة فقد كان منحرفاً عن الولاية . لقد ذهبتُ يوماً مع الرفقاء من أهل الكاظميّة بعد زيارة النوّاب الأربعة في بغداد ، لزيارة قبر معروف الكرخيّ ، ولم أذهب إلى قبر الجنيد على الرغم من أنّه من أعاظم هذه الطائفة ، وهو القائل :

«إنّ شيخنا في الأُصول والفروع وتحمّل البلوى عليّ المرتضى» وكان ابن أُخت سري السقطيّ وهو من الشيعة على وجه التحقيق ومن أعاظم أهل التشيّع والولاية ومن مشايخ هذا النهج .

أمّا معروف الكرخيّ فهو ـ بلا شكّ ولا ريب ـ من أعاظم الشيعة وكانت له ولاية رفيعة . فمن ـ ترى ـ يشكّ في معروف الكرخيّ ؟! إنّ جميع العلماء قد ذكروه بالعظمة والجلال وعدّوه من الشيعة المخلصين ممّن تربّوا على يد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام[1]؛ ثمّ جاء هؤلاء

١ـ حتّى أنّ آية الله السيّد شرف الدين العامليّ قد ذكره في كتاب «المراجعات» ص ٩٥، برقم ٨٤ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة العرفان ، صيدا ، سنة ١٣٥٥ ، في المراجعة ⇦

المساكين وحرّفوا زيارة قبر معروف الكرخيّ بزيارة قبر أبي حنيفة .

أمّا محيي الدين بن عربي فإنّ الكثير من وجهاء الشيعة يذكرون اسمه ويؤيّدون عباراته في نهج العرفان والسلوك ، فلا اختصاص في هذا الأمر بي .

وأمّا الملّا الروميّ فقدكان شيعيّاً خالصاً ومحضاً . ولماذا نبتعدكثيراً ، فها هو «المثنويّ» في أيدينا ، فتأمّلوا الدرجة التي امتدح بها أمير المؤمنين عليه السلام وذمّ أعداءه ؛كما أنه يذمّ غاصبي الخلافة تلويحاً وكناية ويذمّهم صراحة في بعض المواضع ، لكنّه يُدينهم ويهاجمهم بعنوان كلّيّ لا بخصوص اللفظ والعبارة .

أمّا المواضع التي ذكرهم فيها فقد أورد قبلها وبعدها مطالبَ مفصّلة في سيّئات الأخلاق وفساد العقيدة وسوء الأدب وأمثالها ، بحيث يمكن ـ بالتأمّل والدقّة ـ إدراك أنّ المراد بذلك غاصبو الخلافة أنفسهم .[1]

⇦ ١٦ ،ضمن مائة نفر من رجالات الشيعة.

وقد ذكرنا مقام معروف الكرخيّ ومنزلته بالتفصيل في رسالة أوردناها في ترجمته، وردت في الكشكول «جُنگ خطّى» رقم ١٨ ، ص ٢٠٦ إلى ٢١٩.

١ـ لقد مرّ علينا في هذا الكتاب «الروح المجرّد» كيف يصف أسد الله أميرالمؤمنين عليه السلام في بيته هذا:

غرق نورم گرچه شد سقفم خراب روضه گشتم گرچه هستم بوتراب

فتأمّلوا كيف يشبّه غَصْب الغاصبين للخلافة بخراب السقف ! أجل ، لوشئنا هنا إثبات تشيّعه بالبراهين والدلائل لخرج الأمر عن عهدة هذه الرسالة ، لذا نكتفي بما جاء في «روضات الجنّات» ص ١٩٨ ، القسم الثاني عن الملّا الروميّ في الباب المسمّى بـ«محمّد»، الطبعة الحجريّة ، فيقول:

وفي «الرسالة الإقباليَّة» أنّه قد سُئِلَ علاءُ الدَّولةِ السِّمنانيُّ عَن حالِ هذا الرجلِ فَقالَ: هو نِعمَ الفَتَى ، وإنْ لم أرَ في كَلماتِه ما يوجِبُ الِاستقامةَ والتَّمكينَ . ثمَّ قال : ومـمّا ⇦

. . . .

⇦ **يُعجبُني مِن الرَّجلِ أنَّه كانَ إذا سَأَل خادمَه : هَل يُوجَدُ عندنا شَيءٌ نَطْعَمُهُ ؟ فيقولُ : لا ، يُظهَرُ منه بذلكَ الفَرحَ الشَّديدَ ويقولُ : الحمدُ للَّه الذي جَعل في مَنزِلنا شَبَهاً مِن منازلِ أهلِ البيتِ عليهم السلام . وإن كانَ يقولُ : نَعمْ ، عِندنا من المَطاعمِ المطبوخِ وغيرِه ، انزَعَجَ شديداً وقالَ : يفوحُ اليومَ مِن مَنزِلنا رائِحةُ فرعونَ اللَعين .**

ثمّ نقل في ص ١٩٨ ، عن «مجالس المؤمنين» للقاضي نور الله التستريّ أنّ القاضي عدّه من مخلصي شيعة آل محمّد . ثمّ يقول في ص ٢٠٠ :

ومِن جُمْلَةِ مَنْ تَعَرَّضَ مِن هذه الطائفة لذكرِ هذا الرَّجلِ أيضاً هو المُحدِّثُ النَّيسابوريُّ في دَرجِ رجالهِ الكبير ، فقالَ بعد التَّرجمَةِ له بعنوانِ محمّدِ بن محمّد بنِ الحسين : المَولَى جلالِ الدِّينِ البَلخيِّ الرُّوميِّ نُزُلاً كانَ مُحدِّثاً عالِماً عارِفاً رُمِيَ بالتَّصوُّفِ ؛ وَقد أخْرجْنا مِن كلامِهِ المَنظومِ ما لا يُريبُ اللَبيبَ في كونِه إماميّاً اثني عشريّاً وَلكنَّه كان مُشاقياً في دَولةِ المُخالِفينَ . وقدِ اسْتَوفَينا تحقيقَ مذهبِه في كتابِ «ميزانِ التَّمييزِ في العلم العزيزِ» ، وَلْنَكتفِ هُنا بأبياتٍ مِنه ؛ قال في «المثنويّ» :

هر چه گويم عشق از آن برتر بود   عشق أمير المؤمنين حيدر بود

يقول: «كلّما قلتُ كان العشق أفضل منه ، عشق أمير المؤمنين حيدر عليه السلام».

وقال :

تو به تاريكى علی را ديده‌ای   لا جرم غيرى بر او بگزيده‌ای

يقول: «لقد رأيت عليّاً في الظلام ، فلا جرم أنّك اخترتَ أحداً سواه».

وقال:

رومي نشد از سرّ علی كس آگاه   زيرا كه نشد كس آگه از سرّ إله

يک ممكن و اين همه صفات واجب   لا حول ولا قوة إلا بالله

يقول : «أيّها الروميّ ! لم يطّلع أحد على سرّ عليّ ، لأنّ أحداً لم يطّلع على سرّ الإله. فهو ممكن مع كلّ صفات الواجب هذه ! لا حول ولا قوّة إلا بالله».

لَه تصانيفُ أشهَرُها «المثنويّ» المعروفُ ، وقَد عبَّر عَنه شيخُنا البَهائيُّ قُدّس سرُّه بِالمَولويِّ المعنويِّ وقال:

من نمی‌گويم كه آن عالی جناب   هست پيغمبر ولی دارد كتاب

يقول: «لا أقول إنّ ذلك الرجل الجليل كان نبيّاً ، بَيدَ أنّه يمتلك كتاباً» ـ انتهى. ⇦

....

⇦ **ومِن جُملة مناظيم ديوانِه الذي هُو سِوَى مثنويِّه المعروف، كما نقلَه بعضُهم وجَعَله دليلاً على كونِه من الشيعةِ المُخلصينَ المُتديّنينَ، قولُه:**

هر آن كس را كه مهر أهل بيت است ورا نـــور ولايت در جـــبين است

غـــلام حـيدر است مـولاى رومـى همين است و همين است و همين است

يقول: «كلّ من كان في قلبه حبّ أهل البيت، كان له نور الولاية في الجبين.

إنّ المولى الروميّ غلام وعبد لحيدر، هكذا هكذا هكذا !».

ومنها أيضاً:

آفـــتاب وجـود أهـل صـفا آن إمـــام اُمـــم ولىّ خـــدا

آن امامى كـه قـائم است الحقّ زو زمين و زمان و أرض و سما

ذات او هست واجب العـصمة او مـنزّه ز كـفر و شـرک و ريـا

عالم وحدت است مسكـن او او برون از صـفات مـا و شـما

رهــروان طـالبند، او مـطلوب عــارفان صـامت و علىّ گـويا

ســرّ او ديـده سـيّد المـرسل در شب قـدر و در مـقام دَنـا

از عــلىّ مــى‌شنيد نـطق عـلىّ بُد عـلىّ جـز عـلىّ نـبود آنـجا

ما هـمه ذرّه‌ايـم و او خـورشيد مـا هـمه قـطره‌ايـم و او دريـا

بــى ولاى عـلىّ بـه حـقّ خـدا نـــنهد در بـــهشت آدم پـــا

گـر نـهد بـال و پـر فـرو ريـزد جــبرئيل أمــين بـه حـقّ خـدا

مؤمنان جـمله رو بـه او دارنـد كـو امـام است و هـادى اولى

بندهٔ قنبرش بـه جـان مـى‌باش تـا بـرندت بـه جـنت المأوى

شمس تبريز بنده از جـان شـد جـان فـدا كـرد نـيز مـولانا

يقول: «هو شمس وجود أهل الصفاء، ذاك ولي الله إمام الأُمم.

ذاك إمام قائم حقّاً، ومنه الأرض والسماء والزمان.

ذاته واجبة العصمة، وهو المنزّه عن الكفر والشرك والرياء.

عالَم الوحدة مسكنه، وهو الخارج عن صفاتنا وصفاتكم.

السالكون طالبون وهو مطلوب، والعرفاء صامتون وعليّ ناطق.

قد رأى سرّه سيّد المرسلين في ليلة القدر في مقام «دَنا» (إشارة إلى قوله تعالى **ثُمَّ** ⇦

على أنّ قراءة كتاب «المثنويّ» لا تنفي ما عداه ، فإنّ لدينا في البيت كلّ هذه الكتب في الأخلاق وروايات الأئمّة عليهم السلام نقوم بقراءتها ، كما أنّ قراءة القرآن ودعاء الجوشن وأدعية المناجاة الإلهيّة كدعاء عرفة والمناجاة الخمسة عشر لا تنفي الولاية ولا تجعل الإنسان سنّيّاً .

أمّا البكاء للّه أو من شدّة الشوق أو خوف الفراق والهجران فهو من أشدّ الطاعات والمثوبات . إنّ البكاء للّه لا يسدّ طريق البكاء على الأئمّة ، فماذا يضير الإنسان لو بكى للّه وبكى للأئمّة أيضاً ؟!

أمّا جعل البكاء منحصراً للأئمّة ، والغفلة عن الله وهجرانه ، وجمود العين عن ذرف الدموع للّه فليس أمراً مستحسناً .

كان السيّد يقول : لقد عشنا كلّ هذه السنين وهرمنا ولم نسمع بمقولة «ولايتيّ» و«توحيديّ» ، فلم نتصوّر الولاية في مقابل التوحيد . لكنّ هؤلاء جاؤوا فصنعوا فرقتين : توحيديّة وولايتيّة ، تماماً كما جرى قبل قرنين من الزمن في كربلاء حين ابتدعوا جماعة الـ «پشت سريّة» مقابل الـ «بالا سريّة» ، فقام الشيخيّة وهم أتباع الأحسائيّ بالاعتزال عن المؤمنين وصاروا فرقة خاصّة منعزلة .

⇐ **دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** .

فسمع من العليّ نطق عليّ ، ولقد كان عليّ ولم يكن هناك غيره.

نحن بأجمعنا ذرّة وهو شمس ، ونحن جميعاً قطرة وهو بحر.

فبحقّ الله لم يضع آدم قدمه في الجنّة ، بغير ولائه لعليّ .

وبحقّ الله لو وضع جبرئيل الأمين جناحه في مقامه ، لساخ وتهاوى.

المؤمنون جميعاً يتطلّعون إليه ، لأنّه الإمام الهادي والأَوْلى بهم من أنفسهم.

فافدِ خادمه قنبراً بروحك لتُقاد إلى جنّة المأوى.

ولقد فدى له **شمس التبريزيّ** نفسه ، وفدى **مولانا** نفسه هو الآخر».

لقد قام هؤلاء بفصل الولاية عن التوحيد ، وتكتّلوا مقابل صفّ المؤمنين ، وإنّه لخطرٌ عظيم أن يعدّ الإنسان الولاية أمراً منفصلاً عن التوحيد .

على أنّ هناك في كربلاء اليوم جماعة من بقايا الشيخيّة ،كما أنّ هناك عدّة في مشهد المقدّسة على مذهب الشيخيّة يدافعون عن مرام الشيخيّة وعقيدتهم دون إظهار الانتماء إليهم .

وكان من بين محبّي السيّد الحدّاد وتلامذته الحاجّ حبيب السماويّ ، وهو رجل واعٍ ذو معرفة بالتوحيد ويمتلك حالات حسنة ومكاشفات عالية، وكان رجلاً وقوراً مدركاً وكهلاً خبر الأُمور وتبصّر بها ، فقال حين جاء من السماوة إلى كربلاء للزيارة واطّلع على الأُمور : ما أعجب شعوذة الشيطان ومهارته في فنّه وعمله ! إنّ هذه جميعاً من دسائسه التي يريد بها إغلاق سبيل الله في وجوه المريدين . وهكذا فلم يدّخر الحاجّ السماويّ وسعاً في هداية الرفقاء وكشف الحقائق لهم .كما قام بعض الرفقاء الآخرين من ذوي الحالات الروحيّة الحسنة ومن ذوي السوابق في المكاشفات الإلهيّة بالتباحث مفصّلاً مع هذين الشخصين وأقنعوهما باشتباههما ، ففهما أنّهما ضلّا السبيل وأنّ إدانة السيّد بمثل هذه العجلة والحماس والعنفوان لم يكن عملاً صائباً . وقد أُثبت لهما بالشواهد والقرائن الكثيرة أنّ النفس الأمّارة وتسويلات الشيطان كانت قد فعلت فيهما فعلها وجرّتهما إلى كلّ هذا .

ولهذا فقد أظهر هذان الشخصان توبتهما مع كمال تأسّفهما على ما حدث ، وأرادا التشرّف بالمثول عند السيّد والاستفادة من محضره كالسابق فسمح السيّد لأحدهما بذلك ومنع الآخر الذي نفر منه بشدّة ، فكان لا يذكره بخير إلى آخر عمره .

أمّا ذلك الشخص الذي قبله السيّد فقد صار يشترك في مجالسه قليلاً

أو كثيراً ، ولكن ما الفائدة ؟ فلقد كان أشبه بإناء خزفيّ مكسور جرى إصلاحه وضمّه إلى بعضه ، فلا رنين له بعد . وكان يذهب أحياناً إلى الحاجّ محمّد علي خلف زاده في النجف فلا يفسح له الأخير مجالاً في بيته ، حتّى أنّه قال يوماً : إنّ فلاناً يتردّد على باب منزلي كثيراً فيسبّب لي الإزعاج ، ولقد وضعت في المنزل مسحاة لأنهال بها على رأسه لو جاء مرّة أُخرى ؛ **وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى**.[1]

ولقد صار الرفقاء المخلصون للسيّد الحدّاد يعاملون هذين الشخصين كما عاملهما السيّد ، أي أنّهم قطعوا علاقتهم بأحدهما ولم يفسحوا له مجالاً في مجالسهم ، ونهجوا مع الآخر سبيل المداراة .

وكان سماحة السيّد يقول : لقد كانت توبة ذلك الشخص صوريّة ، ومن أجل اجتذاب الرفقاء والحصول على المتع الدنيويّة ، لذا فقد كانت بلا نتيجة .

أمّا توبة هذا فعلى الرغم من أنّ لها صبغة حقيقيّة ، إلّا أنّها كانت ستصبح تامّة لو عاد إلى البسطاء الذين سبق أن كدّر صفاء قلوبهم البسيطة الصافية وأصابها بالصدأ ، فقام بتجليتها وصقلها من جديد ، ولو سعى لإخراجهم من الشكّ والشبهة . لكنّه لم يفعل ذلك لأنّه ليس بالأمر الهيّن ، وعليه فستلازمه تبعة هذا الانحراف والخطأ إلى آخر عمره ، أشبه بغلام قتل ابن مولاه ثمّ اعترف بخطيئته فعفى عنه مولاه وأبقاه في بيته ، بَيدَ أنّ صورة قتل ولده ستبقى مجسّمة باستمرار أمام ناظريه مع أنّه عفى عنه بكرمه وسامحه بروحه الكبيرة .

١ـ اقتباس من الآية ٨٢ ، من السورة ١٨ : الكهف ؛ حيث شرح الخضر لموسى على نبيّنا وآله وعليهما السلام علّة أفعاله الثلاثة في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار في الآيات السابقة وأنهاها في هذه الآية بقوله : **وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى**.

وكان يقول : إنّ توبة أُولئك ستكون توبةً نصوحاً حين يكون لديهم الاستعداد ليُعاد صهرهم وقولبتهم من جديد كما يُفعل بالإناء الخزفيّ المكسور ، وعند ذاك لن يتبقّى أثر من الجرم والخيانة في نفوسهم ، وسيتقبّل المولى آنذاك غلامه الآبق القاتل لولده كما لو كان ولده وفلذّة كبده .

وحصل خلال هذا السفر أن عاد يوماً من حجّ بيت الله الحرام أحد الحجّاج من المنسوبين إلينا بالسبب وورد على السيّد ، وكانت مكواته الكهربائيّة قد تعطّلت عن العمل فأرسلها للتصليح ، فجاء بها هذا الحاجّ إلى المنزل وقال في حضور السيّد : أعطيت المكواة لإصلاحها ، فقال المُصَلِّح : إنّ فيها خللاً يكلّف إصلاحه ثلاثة أرباع الدينار ، فتعال عصراً لأخذها . فذهبتُ إليه عصراً وهو يظنّ أنّي سأدفع له ثلاثة أرباع الدينار ، فقلتُ له : لقد خنتَ في المعاملة ، فالجزء الفلاني لم يُعَطّل في المكواة كما زعمتَ ، بل كان السلك الفلاني مقطوعاً وأُجرة إصلاحه عشرة فلوس ! ثمّ فتحت المكواة وأريته النقطة التي قام بتلحيمها . فخجل الرجل من اطّلاعي على الأمر ، ثمّ أعطيته عشرة فلوس وأخذت المكواة . وكان هذا الشخص يقصّ الأمر وكأنّه دليلاً على فطنته وذكائه ، فلم يعقّب السيّد على كلامه شيئاً ، ثمّ قال لنا : لو كنتُ مكانه لدفعت ثلاثة أرباع الدينار ولم أتظاهر أمامه بشيء .

وقد نقل نظير هذه السماحة والكرم الأخلاقيّ عن الآخوند الملّا حسين قلي الهمدانيّ ، فقد نقل حفيده[1] للحقير في النجف الأشرف أنّ المرحوم الآخوند كان يسافر مع أصحابه إلى كربلاء للزيارة مشياً على

١ـ وهو المرحوم حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ محمّد الهمدانيّ ابن المرحوم حجّة الإسلام الشيخ علي رضوان الله عليهما.

الأقدام ، فخرج عليهم أعراب البادية في الطريق وقاموا بسلبهم ونهب كلّ ما يملكون . وعندما عرفوه عادوا وقدّموا إليه ما سلبوه واعتذروا منه ، فقام المرحوم باسترجاع كتب الوقف التي نهبوها منه ولم يسترجع بقيّة الكتب والأموال ، وقال : لقد جعلتهم في حلّ منّي بمجرّد وقوع السرقة ، فلستُ أرضى أن يحرق الله لأجلي أحداً بنار جهنّم .

وهناك الكثير من الروايات في أمثال هذا العفو والمسامحة عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعن سائر الأئمّة ، الذين يمثّلون ـ بطبيعة الحال ـ النموذج المحتذى والأُسوة الحسنة لجميع الأُمّة .[1]

١ـ ذكر المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٤١ ، طبعة الكمبانيّ ، في الفتن الواقعة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله ثلاث روايات في باب **العلّة التي من أجلها ترك أمير المؤمنين عليه السلام فَدَك لمّا ولي الناس .**

«علل الشرايع» : الدقّاق بسنده عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام ، قال:

قُلْتُ لَهُ : لِمَ لَمْ يَأْخُذْ أَميرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَكَ لَمَّا وَلِيَ النَّاسَ وَلأَيِّ عِلَّةٍ تَرَكَهَا ؟

فَقَالَ : لِأَنَّ الظَّالِمَ وَالمَظْلُومَةَ قَدْ كَانَا قَدِمَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (وفي نسخة : **وَأَثَابَ اللهُ المَظْلُومَةَ وَعَاقَبَ الظَّالِمَ) فَكَرِهَ أَنْ يَسْتَرْجِعَ شَيْئاً قَدْ عَاقَبَ اللهُ غَاصِبَهُ وَأَثَابَ عَلَيْهِ المَغْصُوبَةَ .**

«علل الشرايع» : بسنده عن إبراهيم الكرخيّ ، قال : **سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ : لِأَيِّ عِلَّةٍ تَرَكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَدَكاً لَمَّا وَلِيَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : لِلاقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ وَقَدْ بَاعَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دَارَهُ . فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَا تَرْجِعُ إلَى دَارِكَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَهَلْ تَرَكَ عَقِيلٌ لَنَا دَاراً ؟ إنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَسْتَرْجِعُ شَيْئاً يُؤْخَذُ مِنَّا ظُلْماً ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَرْجِعْ فَدَكاً لَمَّا وَلِيَ .**

«عيون أخبار الرضا» ، «علل الشرايع» : بسنده عن الحسن بن فضّال عن أبي الحسن عليه السلام قال : **سَأَلْتُهُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَ لَمْ يَسْتَرْجِعْ فَدَكَ لَمَّا وَلِيَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّا أَهْلُ بَيْتٍ وَلِيُّنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، لَا يَأْخُذُ لَنَا حُقُوقَنَا مِمَّنْ يَظْلِمُنَا إلَّا هُوَ ، وَنَحْنُ أَوْلِيَاءُ المُؤْمِنِينَ إنَّمَا نَحْكُمُ لَهُمْ وَنَأْخُذُ حُقُوقَهُمْ مِمَّنْ يَظْلِمُهُمْ وَلَا نَأْخُذُ لِأَنْفُسِنَا .**

وكان من دأب المرحوم الحدّاد حين يصل إلى فقير ومحتاج أن يضع يده في جيبه فيعطيه بلا عدّ أو حساب ، وكان يُعطي أحياناً كلّ ما يـملك . ولم نشاهده طوال مدّة عمره وهو يعدّ نقوداً .

وقد حدث يوماً في كربلاء ، أن ذهب إلى منزل والد العروس المـراد خطبتها إلى ولده السيّد برهان الدين لطلب يدها ، فصحبه إلى ذلك المجلس جمع من الرفقاء من بينهم الحاجّ عبد الجليل والحاجّ آقا معين والحاجّ أبـو موسى . فجلس السيّد في الزاوية غارقاً في خـواطـره ، وأحسّ فـجأة أنّـهم يتبادلون بينهم كلمات ما ، فسأل : ماذا تقولون ؟

قالوا : نتحدّث عـن المـهر فـنحن نـقول إنّـه سـبعون ديـناراً وعـائلة العروس يقولون : ثمانون ديناراً .

فقال : اجعلوه مائة وخمسين ديناراً !

فـصمت الجـميع إذ سـمعوا مـنه هـذا الكـلام ، وعـيّنوا المـهر مـائة وخمسين ديناراً .

وقد مرّ سابقاً أنّه لم يكن يعيّن لمعاونه في الدكّان راتباً معيّناً ، بل كان معاونه يأخذ من واردات الدكّان ما يحتاجه ، فكان يتبقّى للسيّد أحياناً مائة فلس أو مائة وخمسون فلساً أو لا يتبقّى شيء له أبداً ، فـيعود بـهذا المـبلغ البسيط إلى المنزل الغاصّ بعائلته الكبيرة .

ولقد ذكرنا سابقاً أنّ عمله كان الحدادة وصناعة النعل ، فكان يبيع ما لديه إلى المشتري بقيمة أقلّ من جميع الحدّادين الآخـرين ، وكـان يـوفي الكيل عند الوزن ، ثمّ يضيف قـدراً مـن النـعال الحـديديّة إلى مـا سـبق أن وزنه . ولم يكن ليستثني أحداً من بيعه نسيئةً ، فكان يبيع بالنسيئة كلّ مـن شاء ، لذلك صارت طريقته هذه في الكسب سبيلاً لارتزاق البعض . فكـان بعضهم يجيء أحياناً فيشتري منه بالنسيئة بضاعة بهذه الكيفيّة ، ثمّ يُـعيده

كلّه أو بعضه بعد مدّة ويقول للسيّد : استرجع هذه البضاعة بقيمة السوق ـ لا بالقيمة التي بعتَ لنا بها ـ وكان السيّد يوافق على ذلك . وكان يُشاهد كثيراً أنّه لم يكن ليحصل على شيء مقابل بيعه ، فقد كان اختلاف قيمة السوق والقيمة التي باع بها سبباً لربح المشتري في جمع العوض والمعوّض .

والعجيب في الأمر أنّ السيّد كان له اطّلاع كامل على نيّة المشتري وأُسلوب عمله ، لكنّه لم يكن ليرفض له طلباً . ولم يكن المرحوم الحاجّ السيّد هاشم رجلاً بسيطاً وساذجاً ، بل كان ذكيّاً وفطناً فهماً سريع الانتقال ، لكنّ معاملته مع الجميع ـ المحتاجين منهم وغير المحتاجين ـ كانت على هذه الصورة .

وكان السيّد يهب كلّ ما لديه لرفقائه ، من السجّادة والمسبحة والخاتم والثوب . وكان يشتري من الخواتم القبضة بعد القبضة فيهديها ، وكان غالباً ما يذهب إلى باعة الخواتم الفقراء الذين يجلسون إلى جانب الصحن في كربلاء والكاظميّة فيشتري منهم ، فكان هؤلاء يعرفونه جيّداً وينادونه حالما يرونه يعبر من الصحن : أيّها السيّد هاشم ! تعال فقد جئنا بخواتم للبيع .

وحصل يوماً أن احتاج الحقير إلى مقصّ لقصّ الأظافر ، وكان هناك مقصّ في الغرفة الواقعة في المنزل الآخر الذي يقيم فيه السيّد ، فأخرج على الفور ربع دينار من جيبه وأعطاه للحاجّ محمّد علي ليشتري مقصّاً على الفور . وكنتُ أعلم أنّه لم يكن يمتلك آنذاك غير ربع الدينار هذا .

أي أنّ ابتياع مقصّ جديد بهذه الكيفيّة كان أسهل لديه من إرساله أحداً إلى المنزل الآخر لجلب مقصّ منه ، مع أنّ الفاصلة بين المنزلين لم تكن تزيد عن عدّة أقدام .

ولقد كان السيّد قادراً ـ بامتلاكه ثروات معنويّة إلهيّة وبتحقّقه بالولاية ـ على فعل كلّ شيء ، حتّى اجتراح الكرامات العجيبة والغريبة ، لكنّه لم يشاهد عنه طيلة عمره أنّه كان يرتزق عن هذا الطريق أو يسدّ احتياجاته عن سبيله .

وكان يقول : إنّ الله تعالى يحبّ أن يكون عبده مسلماً خاضعاً ، وأن يختار هو لعبده لا أن يختار العبد لنفسه شيئاً . فاختيار العبد ليس مستحسناً، ومهما استجيب له ويُستجاب ، فإنّ ذلك أمر مغاير لنهج المحبّة والعبوديّة ، لأنّ الله سبحانه يحبّ أن يتمثّل عبده بالعبوديّة ، أي أن يتنصّل ويخرج من دائرة الإرادة والاختيار .

وكان يوصي تلامذته : لا تسعوا وراء الكشف والكرامات ! فأمثال هذه الطلبات تُبعد السالك عن الله ولو تحقّق طلبه ونال غايته ؛ أنّ الكرامة والكشف الذي يأتي به الله هي الكرامة المحمودة لا التي يسعى إليها العبد .

ولم نسمع من السيّد طيلة عمره كلاماً يحكي عن مقام ما أو بيان لكشف أو كرامة ، فكان كلامه يدور بأجمعه حول المقامات التوحيديّة والسير في عوالم المعنى . بَيدَ أنّه قال يوماً بمناسبة ما : حصل عندما كنت أمتلك دكّاناً في سوق الخضار أنّ شخصاً كان له عَلَيَّ خمسة دنانير ، وقد طالبني بها مراراً فلم يكن لديّ ما أُعطيه ، فوعدته بتسديدها له في أقرب فرصة . وكنتُ يوماً منشغلاً بالعمل خلف الموقد ، فشاهدتُ فجأة أنّ ذلك الشخص قد جاءني من الجانب الأيمن ليطالبني بدَيْنه ، وأحسستُ بهزّة تعتريني بلا اختيار ، ثمّ رأيتُ على الفور شخصاً أتاني من الجانب الأيسر وأعطاني خمسة دنانير ، فتسلّمتُها منه بهذه اليد وسلّمتها للدائن بتلك .

وقال : كانت حرارة بدني بدرجة يتحتّم عَلَيَّ معها أن أشرب الماء

البارد المثلّج [1] حتّى في الشتاء القارس ، وكنت حينذاك أسكن في منزل والد زوجتي ، فحدث في إحدى ليالي الشتاء أن كنت راقداً بالقرب من زوجتي ، فنهضتُ للتهجّد فوضعتُ قدمي فجأة على إناء خزفيّ مملوء بالماء البارد فانكسر وأُريق ماؤه . فعرتني هزّة آنذاك أيضاً أن : يا للويل ! أيّة مصيبة ستصبّها حماتي على رأسي غداً ؟!

فشاهدت فجأة ـ بمجرّد هذا الخطور القلبيّ ـ أنّ الإناء الخزفيّ موضوع في مكانه سالماً مليئاً بمائه .

وكان السيّد يعبّر عن الأفراد الذين يمتلكون إمكانية كبيرة على تحمّل المشاقّ والواردات فيقول : **إنّ فلاناً له قدرة كبيرة لتحمّل الطرق بالمطرقة !** وهو اصطلاح خاصّ بالحدّادين ؛ ذلك لأنّ بعض أقسام الحديد ليّن ومطاوع وخالٍ من الموادّ الفولاذيّة فهو يتبدّد سريعاً بمجرّد صهره في الفرن ويصبح غير قابل للطرق ، بَيدَ أنّ البعض الآخر من أقسام الحديد له تركيبات فولاذيّة تجعل استحكامه ومتانته عالية ، فهم يضعونه في الموقد تكراراً ثمّ يضعونه على السندان فيطرقونه مع احتفاظه باستحكامه ومتانته ، حتّى يجعلونه أخيراً في أيّ شكل يشاؤون .

وحصل أن سأله يوماً أحد الرفقاء شيئاً ، وكان ذلك الرفيق طافحاً بالوجد ومن ذوي الواردات المعنويّة العالية والممتازة ، فتبسّم السيّد تبسّماً مليحاً وقال له :

یک کاسهٔ حلیمی در دست یک یتیمی
می‌خورد و ناله میکرد : ای وای روغنش کو [2] ؟!

١ـ كذلك لم يُرَ حتّى أواخر عمره تقريباً أنّه لبس الجوارب حتّى في الشتاء القارس، وكانت أزرار قميصه وردائه دائماً مفتوحة ، وكان يفضّل الماء البارد حتّى في الشتاء.

٢ـ يقول : «في يد يتيم وعاءٌ من الهريسة ، فهو يأكل منه ويئنّ بقوله : أين زيته ؟!».

وكان يقول : ينبغي لنا ألّا نحرم أحداً من رحمة الله ، ذلك لأنّ الأمر ليس في أيدينا بل هو في يده سبحانه وتعالى . فإن سألكم أحد أن تدعوا له فقولوا : سندعو ، ولو قال : أيغفر الله الذنب ؟! فقولوا : يغفر ، وقس عليه فَعْلَلَ وتَفَعْلَلَ !

لماذا يبخل الإنسان بالدعاء مع أنّ الأمر بيده سبحانه ؟! لماذا لا يلهج لسانه بالخير والسعة ؟ لماذا يُقنِّت الناس من رحمة الله ؟

على الإنسان أن يكون دوماً كذلك الأب الذي يهب لأطفاله الجياع المحزونين أملاً جديداً ، وليس كتلك الأُمّ التي تبخل حتّى بالوعد والتأميل .

كان لرجل في كربلاء أطفالاً كثيرين ويعيش معهم في شدّة الفقر المدقع والاضطراب ، ولم يكن في غرفتهم غير حصير من سعف النخيل ولم يكن لديهم لحاف أو مخدّة ، ولا فراش ، فكانوا يقضون أيّامهم في عُسر وفاقة وجوع ، ولم يكن بإمكانهم أن يتناولوا الحساء باللحم ولو مرّة كلّ عدّة أشهر .

عاد هذا الأب ذات ليلة إلى المنزل فوجد أطفاله جياعاً يتضوّرون ، فأخذ يمنّيهم ويؤمّلهم ويعدهم أن : لا تغتمّوا يا أطفالي ! اصبروا حتّى يأتي الصيف فيمكنني الذهاب للعمل والحصول على نقود كثيرة ، وآنذاك سأُركّبكم في عربة تجرّها الخيول ، وسأستأجر لأُمّكم ولباقي أهل المنزل عربة على حدة ، وسآخذكم أوّلاً لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام ، ثمّ آخذكم بتلك العربة لزيارة أبي الفضل العبّاس عليه السلام ، ثمّ نركب من جديد ونذهب إلى الفندق الفلاني فأشتري لكلّ منكم طبقاً من الرز والكباب وأُوصي لكلٍّ منكم كاسة من المخلّلات . وبعد أن تأكلوا ذلك كلّه فسآخذكم بالعربة أيضاً إلى محلّ بيع البرتقال فأشتري لكم ما شئتم من البرتقال ، ثمّ نضع البرتقال في العربة ونعود سويّاً إلى المنزل .

وهنا صاحت امرأته به : ماذا دهاك ؟! لقد أنهيتَ نقودك ، فلِمَ هذا التبذير ؟!

فقال الرجل : وما شأنك أنت ؟ دعي أطفالي يأكلون !

إنّ أمرنا وإنفاقنا عيناً كمثل إنفاق ذلك الرجل الذي لم يكن في حقيقته شيئاً بل كان أجوفاً فارغاً ، لكنّ تلك المرأة كانت تبخل حتّى عن هذا الإنفاق والوعد ، بينما كان الرجل يُبقي أطفاله سعداء مبتهجين بتلك الوعود .

حين يصبح من المسلَّم للإنسان أن : **لَا نَافِعَ وَلَا ضَارَّ وَلَا رَازِقَ إلاَّ اللَهُ** ، فلماذا لا ننفق من جيوبنا ؟ ولِمَ نبخل في إنفاق الله ورحمته الواسعة ؟ نحن أيضاً نقطع الوعود ، والله رحيم وكريم ، وهو المعطي والمحسن .

القسم العاشر

السفر الثامن للحقير إلى العتبات المقدسة

سنة ١٣٩٤ هجرية قمرية

السفر الثامن للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٩٤ هجريّة قمريّة

جرى هذا السفر في أواخر شهر ذي القعدة واستمرّ إلى ما بعد العشرة الأُولى من محرّم الحرام لسنة ١٣٩٥، كلّ ما في الأمر أنّ السيّد كان قد تشرّف بالذهاب إلى الكاظمين عليهما السلام للزيارة، فكان هناك وقت وصول الحقير إليها. وقد بقي الحقير في معيّة السيّد عدّة أيّام في منزل الأخوين العزيزين: الحاجّ أبي أحمد عبد الجليل محيي والحاجّ أبي موسى جعفر محيي سلّمهما الله تعالى، ثمّ عدتُ بعد زيارة تلك البقعة المباركة وقضاء عدّة ليالٍ في سامرّاء في معيّته وبصحبة ذينك الرفيقين الجليلين، إلى كربلاء المشرّفة في أواسط العشرة الأُولى لذي الحجّة وحططت الرحال في مستقرّي الدائميّ في منزل السيّد، وبقيتُ في معيّته إلى حين العودة، حتّى في زيارة النجف الأشرف وعند العودة إلى الكاظميّة، والحمد للّه وله المنّة على جميع الأحوال.

ولقد كان الأمر المهمّ الذي اتّفق حدوثه في هذا السفر ـ والذي كان سفري إلى هناك مواكباً لنهايته وختامه ـ قصّة رجل أثار فتنة وهرجاً في العتبات المقدّسة بدعوى أنّه السيّد الحسنيّ. ولو لم يكن السيّد الحدّاد موجوداً ليقمع تلك الفتنة، فإنّها لا سمح الله كانت ستصبح نظير قضيّة الشيخيّة والـ «پشت سريّة» وانتهاءً بالبابيّة والأزليّة والبهائيّة.

وبيان ذلك: أنّ هناك سيّداً شابّاً اسمه ... جاء من مشهد المقدّسة إلى

العراق زاعماً أنّ له مهمّة باطنيّة عن طريق المكاشفة ، فسكن في سامرّاء في مدرسة المرحوم المجدِّد آية الله الحاجّ الميرزا محمّد حسن الشيرازيّ قدّس سرّه ، وادّعى أنّه السيّد الحسنيّ ، وأنّ على الناس أن يتأهّبوا لظهور الإمام ، فصاحب الأمر سيظهر قريباً بعد أشهر معدودات .

وقد تقبّل الناس في الكاظميّة والنجف هذا الأمر وعلى الأخصّ المتديّنون والمتطرّفون منهم ، فشرعوا ـ حسب أمر هذا الشابّ ـ بجمع الأموال من التجّار والكسبة المعتبرين لشراء الأسلحة الحربيّة والمعدّات وسائر المستلزمات ، وبتحريك الناس وإعدادهم للظهور .

وبطبيعة الحال فإنّ حدّة هذه الفتنة كانت أقلّ في كربلاء نظراً لوجود سماحة الحاجّ السيّد هاشم وممانعته ، بَيدَ أنّ رأس الفتنة في كربلاء كان نفس ذلك الشخص الذي قاد عن قريب الفتنة التوحيديّة والولايتيّة ، والذي عمد بعد ارتحال المرحوم الأنصاريّ إلى الإعلان والدعوة في مجالس طهران بعدم الحاجة إلى أُستاذ وبكفاية وجود إمام العصر ، الأمر الذي تطرّقنا إلى ذكره أوائل الكتاب .

وقد قام هذا الشخص بتوسيع رقعة الأمر من خلال إرسال الرسائل وبعث الأفراد إلى التجّار والمحترمين وجمع الأموال الطائلة ؛ وها هو على قيد الحياة لا يتحدّث إلّا عن إمام العصر وعن الجزيرة الخضراء وأولاد الإمام وأحفاده ، ولكن أيّ إمام عصر ؟ أهو الإمام الحقيقيّ والواقعيّ ، أم إمام خياليّ ووهميّ ؟!

وعلى أيّة حال فإنّ إمام العصر ليس منفصلاً عن الله سبحانه فهو يعمل بأمره ومشيئته ، كما أنّ أوّل من يعلم بتحرّكه ، وليّ الله الذي يرتبط بالله ويقيم في حرم الله ، لا ذاك الذي لم يتنشّق التوحيد ، والذي يوجّه مسألة ظهور الإمام وفرجه تبعاً لخيالاته ومصالحه ومفاسده الشخصيّة ؛

نَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ شُرُورِ هَؤُلَاءِ وَمِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا.

وكان سبب انجذاب هذا الرجل إلى ذلك السيّد الحسنيّ المزعوم هو قوله عنه : إنّه رجل صادق يمتلك مكاشفات ، وقد صار مسلّماً لنا بالقرائن الحاصلة من مشاهداته الباطنيّة أنّه هو السيّد الحسنيّ ، وقد جاء من خراسان إلى العراق ليعبّئ الناس ويحرّكهم لاستقبال ظهور الإمام .

وكان ذلك السيّد يقول : لقد شرعتُ في مشهد المقدّسة بالرياضة وفق نظري الشخصيّ ، فانفتحت لي نافذة على الغيب ، وصار لي علاقة وارتباط مع الأرواح وإطّلاع على الملكوت . وقد قيل لي من هناك : أنت السيّد الحسنيّ ، فتحرّكْ إلى الكوفة وأعدّ الناس لظهور بقيّة الله الذي سيظهر بعد عدّة شهور على رأس ... الفلانيّ .

ولم يكن مجيئي عاديّاً ، فلم آتِ بجواز سفر . وقد اعتُقلتُ ثلاثة أيّام عند عبوري الحدود ، فكانت لي فيها حالات حسنة . ثمّ جمعوني مع الشاه وتقرّر أن يكون معنا ، فإن تخلّف عنّا حاربناه . ثمّ جئتُ بعد إطلاق سراحي من التوقيف إلى هذه الأماكن وذلك بطريق غير عاديّ أيضاً .

كان سماحة الحاجّ السيّد هاشم يقول : لقد علمتُ قبل أن أرى هذا الرجل أنّ الأمر لا يعدو أن يكون فتنة ، وأنّ هذا الأمر لا حقيقة له . فهذا الرجل سيّد متحجّر الفكر يُخبر عمّا يرده من الشياطين ومردة الجنّ ، حيث إنّ نفسه تتقبّل ذلك ولو لم يكن بذاته كاذباً .

لذا فقد أرسلتُ رفقائي في النجف وكربلاء والكاظميَّة ليقفوا في وجه هذا الأمر ويجهروا ببطلانه . بَيدَ أنّ هؤلاء كانوا قد جمعوا أموالاً وتاجروا بها ، وصرفها بعضهم في أُموره الشخصيّة بدلاً من شراء الأسلحة .

ومع ذلك فقد جلست معه لوحده في غرفة ساعة كاملة في السفر الذي قمت به لزيارة أئمّة تلك البقاع المباركة ، فتحادثنا في عدّة أُمور .

فسأله الحقير : كيف وجدتموه ؟ أجاب السيّد : حماراً !

ولم يكن الحقير قد سمع من سماحة السيّد تعبيراً كهذا في حقّ أحد قبل ذلك الزمان وبعده ؛ فقد كان السيّد هاشم في منتهى الأدب ، وكان في حديثه وصدقه وأمانته وحكاياته ميزاناً ينبغي أن توزن به جميع الأقوال .

ولقد فهمتُ من تعبيره هذا أنّه يريد القول بأنّ هذا الرجل لا فهم له ، وأنّ ذهنه بالنسبة إلى الواردات الشيطانيّة والخياليّة التي لا حقيقة لها أشبه بذهن الحمار الخالي من المحتوى المعنويّ والقيم التوحيديّة والعلائق الحقيقيّة .

وقد صادف يوماً أن شاهد الحقير في سفره هذا خلال انشغاله بالزيارة في الحرم المطهّر لسامرّاء رجلاً يصلّي في الزاوية الغربيّة للحرم المطهّر وقد ألصق نفسه بالجدار من الخلف واليمين ، وكانت سحنته تبدو غاضبة ومتجهّمة ، وكان هو نفسه ذلك الرجل .

نعم ، لقد بذل السيّد الحدّاد جميع جهوده ومساعيه الجميلة في إطفاء هذه النائرة ، فاقتنع بكلامه أهالي كربلاء والكاظميّة المحترمون الذين كان لهم معرفة برفقته وسابقته ، فوُضع حدّاً لتلك القضيّة وبقي ذلك السيّد في سامرّاء وحيداً . ثمّ انقضت الشهور ولم يحدث الظهور ، فبدأ الناس بإثارة الضجّة ضدّه . واعترض التجّار المحترمون الذين قدّموا مبالغ نقديّة فطالبوا بإصرار على استرجاعها ، وكانت تلك المبالغ قد أُنفقت ، فأدّى ذلك إلى إهدار سمعة أُولئك وكرامتهم . حتّى تجمّع البعض في كربلاء في منزل ذلك الشخص المطالب بإمام العصر والمنادي بعدم الحاجة للأُستاذ ، فأعاد إليهم ـ منعاً لتفاقم الأمر ـ بعض الصكوك التي لم يحن موعدها بعدُ، ولولا ذلك فقد كاد الأمر ينجرّ إلى إقامة الشكوى عند الحكومة لاسترداد الأموال التي جُمعت منهم .

كان سماحة السيّد يقول : الأمان من أعمال هؤلاء المدّعين أنّهم إمام العصر ، ومن هؤلاء المتسمّين باسم السيّد الحسنيّ ، الذين يظهرون مرّة كلّ فترة من السنين فلا يهدأون حتّى يثيروا الفتنة والفساد . إنّ هذه الأُمور بأجمعها تَحدُث إثر التمرّد في السلوك ، والانشغال بالرياضات والأعمال المستحبّة الكثيرة بدون أُستاذ ماهر واصل ومنتم إلى الحقيقة ، ونتيجة سهر الليالي بلا نهج صحيح ، واجتناب الأغذية المحلَّلة بدون إذن الأُستاذ وإجازته .

ولقد شوهد سماحة السيّد تكراراً وهو يقرأ للرفقاء رواية عبد العزيز القَراطيسيّ في أنّ هذا الطريق ينبغي طيّه بمداراة ورفق ، وأنّ الأعمال الشاقّة الثقيلة تقتل السالك وتصيب نفسه بالانكسار فلا يستطيع حراكاً ، كمسافر كُسرت رجله فكيف سيمكنه طيّ الصحراء بها ؟

وقد نقل الكلينيّ هذه الرواية في «أُصول الكافي» بهذا النصّ الحرفيّ أنّه روى عبد العزيز القراطيسيّ قال :

قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا عَبْدَ العَزِيزِ ! إنَّ الإيمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةً بَعْدَ مِرْقَاةٍ ، وَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الاِثْنَيْنِ لِصَاحِبِ الوَاحِدِ : لَسْتَ عَلَى شَيءٍ ؛ حَتَّى يَنْتَهِيَ إلَى العَاشِرِ.

فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَكَ فَيُسْقِطْكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ . وَإذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إلَيْكَ بِرِفْقٍ وَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ فَإنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤمِناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ .[1]

والجَبْر هو تضميد الكسور ، ويقال لمن يضمد الكسور جابر وجبّار .

١ـ «أُصول الكافي» ج ٢ ، ص ٤٥ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب درجات الإيمان، الحديث الثاني ، الطبعة الثانية لمكتبة الصدوق ، طهران ، سنة ١٣٨١ هـ.ق.

أي أنّ في عهدة ومسؤوليّة من سبَّب إضعاف إيـمان مـؤمن مـا ، وأوجب كسره وإلقاء الشكّ والتردّد لديه بواسطة طرح المطالب التوحيديّة والأسرار الإلهيّة التي لا طاقة لهذا المؤمن بحملها وإدراكها ، أن يجبره وأن يـتحمّل الكثير من المتاعب والمشاقّ إلى أن يرفع تلك الشبهة ، وإلّا فإنّه يـؤتى بـه يوم الجزاء فيُحاسب كقاتل أو جارح ويُطالَب بالدية .

وقد سأل الحقير يوماً سؤالاً من السيّد على هيئة شكوى :

ألسنا نقرأ في الدعاء : **بِكُمْ يُجْبَرُ المَهِيضُ وَيُشْفَى المَرِيضُ** ؟ فحين يصدق هذا الخطاب للأئمّة عليهم السلام ، فلِمَ لا يجبر أوليـاء اللـه ـ أعـني بذلك السيّد ـ عظامنا المكسورة ويشفون أمـراضـنا الروحـيّة ؟! وخـلاصة الأمر :

صد ملكِ دل به نيم نظر ميتوان خريد

خوبان در اين معامله تقصير مى‌كنند[1]

وكان السيّد آنذاك مُتعباً قد عاد لتوّه من الزيارة ، ففوجئ بسؤالي ، ثمّ أطرق برأسه مدّة متأمّلاً ثمّ قال :

إنّ عمل أولياء الله ليس إلّا جبر الكسور المهيضة وشفاء الأمراض ؛ ولكن ينبغي العلم أنّ كسـر العـظام ذلك وأنّ مـرض المـريض ذاك بـيدهم أيضاً ، لأنّها من جانب الله سبحانه ؛ والحقّ جلّ وعلا يكسر بنفسه ويجبر بنفسه ، ويُمرض بنفسه ويشفي بنفسه . فهذه بأجمعها تمثّل حالات التعشّق في أطواره وشؤونه هو ، وكلّها نابعة عن حكمة ومصلحة . وفي الحقيقة فإنّ

١ـ «ديوان حافظ الشيرازيّ» ص ٥٩ ، الغزل ١٢٩ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ.ق؛ يقول : «يمكن أن تشتري مئات القلوب بـنصف نـظرة واحـدة ، ولكـنّ الحسان يقصرون عادة في هذه المعاملة».

الكسر والجبر والإمراض والشفاء ، شكلان وصورتان مختلفتان تحكيان عن مبدأ ومنشأ واحد ، وكلاهما ليسا إلّا المحبّة ؛ إذ لا يأتي من جانب الله عزّ وجلّ إلّا المحبّة .

عاشقم بر لطف و بر قهرش بـه جـدّ

اى عجب من عاشقِ اين هر دو ضدّ ![1]

إنّ العالم بأرجائه عشق ، عشق المظاهر للمظاهر ، وفي الحقيقة عشق النفس للنفس . وقد سمعتُ أنّ ابن سينا قد كتب رسالة في العشق ، وقد بحثتُ عنها كثيراً هنا فلم أعثر عليها ، وحين تذهب إلى إيران اسعَ في الحصول عليها وابعث بها إليّ ؛ وينبغي أن تكون رسالة جيّدة إن كان قد بيّن هذا الأمر وفق هذه القاعدة ، وإن اعتبر أنّ العشق الإلهيّ لأسمائه وصفاته وأفعاله أوجب خلقة العالم وآدم والموت والحياة ـ انتهى كلام سماحة السيّد .

روى المحدِّث القمّيّ ، عن الشيخ الطوسيّ ، عن أبي القاسم الحسين ابن روح رضي الله عنه ـ النائب الخاصّ لصاحب الأمر عليه السلام ـ أنّه قال :

زُرْ أَيَّ المَشَاهِدَ كُنْتَ بِحَضْرَتِهَا فِي رَجَبٍ ثُمَّ تَقُولُ عِنْدَمَا تَدْخُلُ : الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْهَدَنَا مَشْهَدَ أَوْلِيَائِهِ فِي رَجَبٍ وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِمْ مَا قَدْ وَجَبَ . حتّى يصل إلى قوله :

أَنَا سَائِلُكُمْ وَآمِلُكُمْ فِيمَا إِلَيْكُمُ التَّفْوِيضُ وَعَلَيْكُمُ التَّعْوِيضُ ؛ فَبِكُمْ

١ـ «مثنوي» ج ١ ، ص ٤٢ ، السطر ٩ ، الطبعة الحجريّة ، آقا ميرزا محمود.

يقول : «أعشق غضبه ولطفه وأهيم بهما بجدٍّ ، فيا عجباً منّي من عاشق لهذين الضدّين».

يُجْبَرُ المَهِيضُ وَيُشْفَى المَرِيضُ وَمَا تَزدَادُ الأَرْحَامُ وَمَا تَغِيضُ ـ الزيارة .[١]

يقول في الفقرة الأخيرة : وَمَا تَـزْدَادُ الأَرْحَـامُ وَمَـا تَـغِيضُ ، وهـذه الجملة مُنتزعة من الآية القرآنيّة المباركة :

ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَـزْدَادُ وَكُـلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُۥ بِمِقْدَارٍ .[٢]

ومن هنا نعلم أنّ ما جاء في بعض نسخ القرآن في ترجمة هذه الآيـة من أنّ : «تنها خدا ميداند كه بار حمل آبستنان عالم چيست و رحمها چـه نقصان و چه زيادت خواهد يافت ، و مقدار همه چـيز در عـلم ازلى خـدا معيّن است» (= الله وحده يعلم حمل الحوامل وما تزداد الأرحام وما تنقص وكلّ شـيء معيّن ومقـدّر في علـم الله الأزلـيّ) ليـس صـحيحاً ؛ لأن **زادَ** و**ازدادَ** هنا أجوف واوي ، لا أجـوف يـائيّ . **زادَ يَـزودُ زَوْداً : جَـهَّزَ الزَّادَ وَاتَّخَذَهُ . إزْدَادَ وَاسْتَزَادَ الرَّجُلُ : طَلَبَ زَاداً** . ومـعنى ذلك هـنا أنّ أرحـام النساء تتّخذ من نـطفة الرجـل زاداً . ومـقابل ذلك ، **غَـاضَ يَـغِيضُ غَـيْضاً وَمَغَاضاً وَتَغَيَّضَ وَانْغَاضَ المَاءُ : نَقَصَ أَوْ غَارَ أَوْ نَضَبَ** ؛ أي أنّ النـطف تغور في الرحم وتنضب وتفسد .

وخلاصة المـعنى أنّ اللـه عـالم خـبير بـالأرحـام العـقيمة والأرحـام الولودة ، لكنّ المفسّر المحترم قد أخذ في هـذه التـرجـمة التـفسيريّة «زاد» و«ازداد» من باب الأجوف اليائيّ بـمعنى الزيـادة . **زادَ يَـزيدُ زَيْـداً وَزَيَـداً وَزَيَداً وزِيادَةً وَمَزيداً وزَيْداناً : نَمَا ، ــ الشَّيءَ : أَنْمَاهُ ؛ ــ فُلَانٌ : أُعْـطِيَ**

١ـ «مفاتيح الجنان» ص ١٣٦ ، بخطّ طاهر خوشنويس ، سنة ١٣٧٩ هـ . ق ، في أعمال شهر رجب ، طبعة الإسلاميّة.

٢ـ الآية ٨ ، من السورة ١٣ : الرعد.

الزِّيَادَةَ؛ وَاسْتَزادَ : طَلَبَ مِنْهُ الزِّيَادَةَ ؛ وَازْدَادَ بِمَعْنَى زَادَ لَازِماً وَمُتَعَدِّياً : طَلَبَ الزِّيَادَةَ .

وفي مقابل هذا المعنى للزيادة فقد أورد معنى النقصان على نحو الإطلاق فقال : «**و رحِمها چه نقصان و چه زيادت خواهد يافت**» (= وما تنقص الأرحام وما تزداد) ، وهو معنى غريب وغير صائب .

ويلزم هنا بيان نكات ثلاث :

الأُولى : أنّ المراد من التفويض الوارد في هذه الزيارة الرجبيّة ليس التفويض الاصطلاحيّ مقابل الجبر ومقابل مذهب أمرٌ بينَ أمريْن ، بل هو بمعنى كون تلك الذوات المقدّسة آية تامّة وكاملة مقابل أشعّة شمس الذات الأحديّة التي هي فرد لا ثاني له . فهذه الأرواح المطهّرة التي غدت مُخلَصة في طريق توحيده ، وصلت إلى مقام الفناء في الله ثمّ تكاملت إلى مقام البقاء بالله وصارت مظهراً تامّاً للصفات والأسماء الإلهيّة .

ومن هنا ، فإنّ ما يوجد ويصدر من الحيّ القيّوم العليم القدير ، إنّما هو من خلال نوافذ وشبكات ومرايا هذه الذوات العالية لا من غيرها . وليست هذه الذوات إلّا مرايا حاكية عن نور شمس الذات الأحديّة ، وليس لها أساساً نور ووجود على الإطلاق ، لا ابتداءً ولا تفويضاً ، لأنّها ستكتسب في كِلَا الفرضينِ جانباً استقلاليّاً ، بينما نفى الأئمّة أنفسهم بأشدّ الوجوه الجانب الاستقلاليّ المستلزم للشرك .

الثانية : لا يظنّنّ أحد أنّه يستفاد من ضميمة هذه الرواية مع الآية الكريمة أنّ مقامهم أعلى من مقام الله **العِيَاذُ بِاللَهِ** ، أي لقوله في هذه الزيارة : «إليكم التفويض وعليكم التعويض وما تزداد الأرحام وما تغيض» ، في حين أنّه يقول في الآية الشريفة : «ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ» . فقد يخال المرء أنّ أساس التكوين بيدهم ،

وأنّ علم الله إنّما يتعلّق بهذا الأمر التكوينيّ ، وهو كلام باطل .

ذلك لأنّه بعد أن بُيّن وبُرهن على أنّ تلك الذوات المقدّسة وجودات فانية ومفتقرة وممكنة الوجود بالذات ، فإنّهم على هذا النحو في التكوين وفي دائرة العلم أيضاً ؛ والله سبحانه مستقلّ في التكوين ومستقلّ في مرحلة العلم .كلّ ما فيالأمر أنّ قسم العلم قد ذكر لوحده في الآية الشريفة بينما ذكر قسما الإيجاد والتكوين في الزيارة ، فالاختلاف إنّما هو في البيان لا في حقيقة الأمر وواقعه .

الثالثة : لا تعدّد في عالم الولاية ، ولا اختلاف في طريقها ، إذ ليس هناك من معنىً للتعيّن والتقيّد ، بل هناك ولاية فقط مختصّة بذات الله فقط لا لسواه ؛ **هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ**.[1]

وفي هذه الحال فإنّ وجود الرسول الأكرم والأئمّة الطاهرين الذين هم مبدأ الأثر ، ليس بجهات تعيّنهم وافتراقهم وحدود ماهيّتهم وهويّتهم ، بل بأساس تحقّق معنى العبوديّة والفناء المعبّر عنه بالولاية ؛ والعبارة القيّمة : **أَوَّلُنَا مُحَمَّدٌ وَأَوْسَطُنَا مُحَمَّدٌ وَآخِرُنَا مُحَمَّدٌ**[2] إشارة إلى هذا المقام .

١ـ صدر الآية ٤٤ ، من السورة ١٨ : الكهف.

٢ـ أورد هذا الحديث السيّد عبد الله شبّر في كتاب «مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار» ج ٢ ، ص ٣٩٩ و ٤٠٠ ، طبعة المطبعة العلميّة في النجف ، حديث رقم ٢٢٦ ، تحت عنوان: ما روي عنهم عليهم السلام من قولهم : أوّلنا محمّد ، وأوسطنا محمّد ، وآخرنا محمّد. ويقول في توجيه الفقرة الأخيرة:

ما روي أنّهم عليهم السلام إذا أتاهم ولد سمّوه محمّداً وبعد سبعة أيّام يغيّرون اسمه إن شاؤوا. وقيل في توجيهه : إنّهم باعتبار نوع النور والولاية المطلقة والردّ إليهم والإفاضة عنهم واحتياج الخلق في البدء والعود إليهم ووجوب الطاعة وغير ذلك هم كمحمّد ، بل محمّد؛ **لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** .

على أنّ كلّ من يصل إلى مقام الفناء المطلق ويفنى في حرم الله ، فيضمحلّ وجوده المستعار وإنّيّته المجازيّة والمعارة ، فإنّه ـ بطبيعة الحال ـ سيمتلك هذه الولاية حتماً ، ولا اختصاص لها بالأئمّة .

وهناك في كلّ زمان ومكان أفراد يمكنهم إيصال أنفسهم إلى هذا المقام ،كلّ ما في الأمر أنّه يجب أن يحصل أوّلاً بواسطة اتّباع الإمام المعصوم واقتفاء أثره ، وإلّا تعذّر وصول الفرد . وثانياً أنّ عنوان الإمامة والقيادة والهداية باقٍ حتّى الأبد لذوات المعصومين سلام الله عليهم ، لأنّ الله سبحانه جعلهم قادة وأئمّة ، وأوكل إليهم لواء الهداية بالمجاهدات العالية اختياراً لا جبراً ، وهذا المعنى لا ينافي أن يتمكّن أحد آخر من الوصول إلى مقام معرفة الله فيتحقّق في شأنه معنى **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ** ، ويرد في حرم الله بفنائه واضمحلاله ، ولن يكون ـ والحال هذه ـ ثمّة وجود عندئذٍ ، لا له ولا لغيره .

كما أنّه ليس في حرم الذات الربوبيّة عنوان محمّد ولا عليّ ولا سائر الأئمّة ، ولا وليّ آخر كسلمان الذي امتلك أعلى درجة في العرفان ، بل هناك حقيقة واحدة للولاية بلا عناوين خاصّة ولا أشكال متعيّنة ، أمّا الأسماء المميّزة لمحمّد وعليّ والحسن والحسين إلى القائم صلوات الله عليه وعليهم ، فما دون ذلك المقام .

هنالك الولاية لا غير ، وحقيقة الولاية وكنهها ، لها معنى واحدٌ بالصرافة ، **فَافْهَمْ يَا حَبِيبِي فَإِنَّهُ دَقِيقٌ !**

وعلى كلّ حال ، فقد كانت كيفيّة قراءة القرآن ، وصلوات التهجّد ، وقيام الليل ، وسائر أُمور سماحة السيّد مشابهة للأسفار السابقة ، إلّا أنّه كان يكثر في هذا السفر من قراءته لتائيّة ابن الفارض ويُفسِّر للرفقاء بعض أبياتها .

وكان يقرأ في «ديوان المغربيّ» بعض أشعاره ـ لا جميعها ـ التي كانت تثير إعجابه ، وكان يقرأها تكراراً بحرقة ونشاط وعشق ووجد ، كأنّه كان يقارنها بأحواله الذاتيّة . ومن جملتها هذه الأشعار :

ورای مطلب هر طالب است مطلب ما
برون ز مشرب هر شارب است مشرب ما
به کام دل به کسی هیچ جرعه‌ای نرسید
از آن شراب که پیوسته میکشد لب ما
سپهر کوکب ما از سپهرهاست برون
که هست ذات مقدس سپهر کوکب ما
بتاختند بسی اسب دل ولی نرسید
سوار هیچ روانی به گَرد مرکب ما
هنوز روز و شب کائنات هیچ نبود
که روز ما رخ او بود و زلف او شب ما
کسی که جان و جهان داد و عشق او بخرید
وقوف یافت ز سود و زیان مکسب ما[1]

١ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ٨ و٩ ، طبعة المكتبة الإسلاميّة ، طهران ، سنة ١٣٤٨ هجريّة شمسيّة.

يقول : «تعدّى قصدنا قصدّ كلّ قاصد ، وفاق نهجُنا نهجَ كلّ ذي نهج.
لم ينل أحد مذاق جرعة من ذلك الشراب الذي ترشّفته دوماً شفاهنا.
فلك كوكبنا خارج عن مدار الأفلاك ، لأنّ الذات القدسيّة فلك كوكبنا.
ما أكثر ما استبقتْ جياد القلوب ، لكنّ راكباً لم يدرك قطّ غبارَ جوادنا.
لم يكن بعدُ للكائنات نهارٌ وليل ، حين كانت طلعته نهارَنا وذؤابته ليلنا.
من جاد بالروح والدنيا واشترى عشقه ، وقف على ربح أو خسارة تجارتنا».

ز آه و يـــا رب مــا آن كســی خــبر دارد
که سوختست چو ما او ز آه و يـا رب مـا
تو دين و مذهب ما گير در اُصول و فـروع
كه دين و مذهب حق است دين و مذهب ما
نـخست لوح دل از نـقش كـائنات بشـوی
چو مغربيت اگـر هست عـزم مكـتب مـا[1]

ومن جملتها هذه الأشعار :

چو تـافت بـر دل مـن پـرتو جـمال حـبيب
بديد ديـدهٔ جـان ، حُسـن بـر كـمال حـبيب
چــــه التــــفات بــــه لذّات كـائنات كـند
كسـی كـه يـافت دمـی لذّت وصـال حـبيب
بــــه دام و دانــهٔ عــالم كـجا فــرود آيــد
دلی كـه گشت گـرفتار زلف و خـال حـبيب
خــيال مــلک دو عــالم نــياورد بــه خـيال
سری كه نيست دمی خالی از خيال حـبيب[2]

١ـ يقول : «ولا يعرف عن تأوّهنا وندائنا : يا ربّ ، إلّا من احترق مثلنا من آهنا وندائنا.
فخُذ بمذهبنا في الأُصول والفروع ، إذ الدين الحقّ ديننا ومذهبنا.
واغسل بادئ الأمر لوح قلبك من نقوش الكائنات ، إن كان لك ـكالمغربيّ ـ العزم على انتهاج منهجنا».

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٢ و١٣ . يقول : «حين أشرق شعاع جمال الحبيب على قلبي ، فقد شاهدت عينُ قلبي حُسنَ كمال الحبيب.
وما الالتفات إلى لذّات الكائنات ، ممّن نال لحظةً لذّة وصال الحبيب؟
أنّى أن يتخبّط في حبائل العالم وشراكه ، قلبٌ أُسر بذؤابة وخال الحبيب؟
وأنّى أن يتخيّل ملك العالمَين رأسٌ لم يخل لحظةً من خيال الحبيب؟».

حــبيب را نــتوان يــافت در دو كـون مـثال
اگرچه هر دو جهان هست بـر مـثال حـبيب
درون مــن نــه چـنان از حـبيب مـملوّ شـد
كـه گـر حـبيب در آيـد بـود مـجال حـبيب
بدان صفت دل و جان از حبيب پر شده است
كــه از حـبيب نـدارم نـظر بـه حـال حـبيب
چـه احـتياج بـود ديـده را بـه حسـن بـرون
چـو در درون مـتجلّى شـود جـمال حـبيب
ز مشــرق دلت اى مـغربى چـه كـرد طـلوع
هــزار بـدر بـرفت از نـظر ، هـلال حـبيب[1]

ومن جملتها هذه الأشعار :

دلى نــداشــتم آن هــم كــه بــود يــار بــبرد
كــــدام دل كــه نــه آن يــار غــمگسار بــبرد
بــه نــيم غــمزه روان چــو مــن هــزار ربـود
بــه يک كــرشمه دل هـمچو مـن هـزار بـبرد[2]

١ـ يقول : «عزّ للحبيب مثيلٌ في العالمَين ، ولو صِيغ كلا العالمَين على مثال الحبيب.
امتلأ وجودي بالحبيب ، بحيث لا مكان له إن أتى ـ بنفسه ـ الحبيب.
لقد طفح القلب والروح بصفة الحبيب تلك ، فلم يعد لي بالحبيب نظرٌ لحال الحبيب.
وما حاجة البصر إلى الحسن خارجاً ، إذا تجلّى في داخلي جمالُ الحبيب؟
وماذا طلع من مشرق قلبك يا «مغربيّ» حين غاب عنه ألف بدر ؟ أجاب : هلالُ الحبيب».

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ٤٨. يقول : «لم أمتلك قلباً بل ما كان عندي خطفه الحبيب ، وأيّ قلب لا يخطفه ذاك الحبيب مجلّي الهموم؟ ⇦

هــزار نــقش بــرانگــيخت آن نگــار ظــريف
كــه تــا بــه نـقش دل از دسـتم آن نگـار بـبرد
بـــه يــادگار دلى داشــتم ز حــضرت دوست
نــدانــم از چــه ســبب دوست يــادگار بــبرد
دلم كــــه آيــــنۀ روى اوست داشت غــــبار
صـــــفاى چـــهرۀ او از دلم غـــبار بـــبرد
چـــو در مــيانه در آمــد خــرد كـنار گــرفت
چـــو در كـــنار درآمـــد دل از كــنار بــبرد
اگــر چــه در دل مسكــين مــن قــرار گرفت
وليكـــن از دل مسكـــين مـــن قــرار بــبرد
بــه هــوش بــودم و بــا اخـتيار در هـمه كـار
ز مــن بــه عشـوه‌گرى هـوش و اخـتيار بـبرد
كنون نه جان و نه دل دارم و نه عقل و نه هوش
چو عقل و هوش و دل و جان كه هر چهار ببرد[1]

⇦ فقد خطف بنصف لحظ من العين كمثليَ ألفاً ؛ وأخذ بغمزة واحدة كمثليَ ألفا».

١ـ يقول : «لقد كان لذلك الكاتب الماهر ألف حيلة ليخطف بها نقش القلب من يدي.
كان لي ـ ذكرى من الحبيب ـ قلب ، لست أدري لم استعاد التذكار منّي الحبيب؟
وكان الغبار قد علا قلبي الذي كان مرآة وجهه ، فجلّى صفاءُ طلعته عن قلبيَ الغبار.
حين جاء الحبيب في القلب تنحّى العقل جانباً ، وحين صار إلى الجنب خطف القلب من الجنب.
ومع أنّه قد استقرّ في قلبي المسكين ، إلّا أنّه قد سلب الاستقرار منه.
كنتُ صاحياً مختاراً في جميع أُموري ، فسلب بفتنته وغنجه صحوتي واختياري.
فصرت لا روح ولا قلب لي ولا عقل ولا شعور ، فقد سلب العقل والشعور والقلب والروح جميعاً».

چــو آمــد او بــه مــيان رفت مــغربى ز مـيان
چـــو او بــه كــار در آمــد مــرا زكــار بــبرد[١]

ومن جملتها هذه الأشعار :

بـيا كـه كـردهام از نـقش غـير آيـنه پـاك
كه تا تو چهرهٔ خـود را بـدو كـنى إدراك
اگر نـظر نكـنى سـوى مـن در آيـنه كـن
تو خود به مثل منى كى نظر كنى حاشاك
اگــرچــه آيــنهٔ روى جــانفزاى تــوانـد
همه عقول و نـفوس و عـناصر و أفـلاك
ولى تـو را نـنمايد بـه تـو چـنانكه تـوئى
مگر دل من مسكين و بـىدل و غـمناك
تــمام چـهرهٔ خـود را بـدو تـوانـى ديـد
كه هست مظهر تام لطيف و صافى و پاك
چــرا گــذر نكـنى بـر دلى كـه از پـاكـى
إذَا مَرَرْتَ بِهِ مَـا وَجَـدْتَ فِـيهِ سِـوَاكْ[٢]

١ـ يقول : «حين جاء ، زال «المغربيّ» عن البين ، لأنّه عندما جاء فقد أزالني».

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ٧٤ و ٧٥.

يقول : «تعال فقد جلوتُ المرآة ـ لترى فيها وجهك ـ عن رسم ما عداك!
إن كنت لا تنظر إليَّ فانظر إلى المرآة ، إذ حاشى لمثلك أن ينظر إلى مثلي .
ومع أنّ جميع العقول والنفوس والعناصر والأفلاك بأجمعها مرآة طلعتك المحييّة.
ولكن لا يُظهرك كما أنت إلّا قلبي ، أنا المسكين المغموم الذي لا قرار له.
فيمكنك أن ترى فيه طلعتك كاملة ، لأنّه مظهر تام لطيف وصاف ونقي .
فَلِمَ لا تمرّ على قلبٍ صار من طهارته ، إذا مررتَ به ما وجدتَ فيه سواك».

وَلَوْ جَلَوْتَ عَلَى القَلْبِ مَا جَلَوْتَ عَلَيْهْ
لِأَجْـــلِ قُــرْبَتِهِ بَــلْ لِأَنَّــهُ مَــجْلَاكْ

مــرا كــه نســخهٔ مجموع كـائنات تـوأم
روا مدار به خوارى فكنده بر سـر خـاک
به ساحل ار چه فكندى به بـحر بـاز آرم
كه موج بحر مـحيط تـوام نِـيَم خـاشاک
ظهور تو به من است و وجود من از تـو

وَلَسْتَ تَظْهَرُ لَوْلَايَ ، لَـمْ أَكُـنْ لَـوْلَاكْ

تـــو آ فـــتاب مـنيرىّ و مـغربى‌سايه
ز آفتاب بـود سـايه را وجـود و هـلاک[1]

ومن جملتها هذه الأشعار :

ديـــده‌اى وام كـنم از تــو بــه رويت نگــرم
زانكـــه شــايستهٔ ديــدار تــو نــبود نــظرم[2]

١ـ يقول : «ولو جلوتَ على القلب ما جلوت عليه ، لأجل قربته بل لأنّه مجلاك.
لا يليق أن يُلقى بي ـ وأنا توأم الكائنات جميعاً ـ ذليلاً على التراب.
ولو ألقيتَ بي إلى الساحل عدتُ إلى البحر ، إذ لست زَبَداً بل موج بحرك المحيط.
ظهورك منّي ووجودي منك ولستَ تظهر لولاي ، لم أكن لولاك.
أنت شمسٌ منيرةٌ والمغربيّ ظلّ ، ومن الشمس يكون للظلّ وجود وهلاك».

٢ـ ما ألطف وأجمل هذين البيتين اللذين ذكرهما حكيمنا وعارفنا الجليل الحاجّ الملّا هادي السبزواريّ أعلى الله مقامه في تعليقته على كتاب «الأسفار» ج ٦ ، ص٧، الطبعة الحروفيّة الحيدريّة ، سنة ١٣٩٨ هـ ، في السفر الثالث في العلم الإلهي ، واللذين يماثلان في المعنى والمضمون بيت المغربيّ هذا:

إذَا رَامَ عَــــاشِقُهَا نَـــظْرَةً وَلَمْ يَسْـتَطِعْهَا فَـمِنْ لُـطْفِهَا
أَعَــارَتْهُ طَــرْفاً رَآهَــا بِــهِ فَكَـانَ البَـصِيرُ بِـهَا طَـرْفُهَا ⇦

چون تو را هر نفسى جلوه به حسن دگر است
هر نفس زان نگران در تو به چشمى دگرم
توئى از منظر چشمم نگران بر رخ خويش
كه تويى مردمك ديده و نور بصرم
هر كه بى‌رسم و أثر گشت به كويش پى برد
من بى‌رسم و أثر ناشده پى مى‌نبرم
تا ز من هست أثر از تو نيابم أثرى
كاشكى در دو جهان هيچ نبودى أثرم
نتوانم به سر كوى تو كردن پرواز
تا ز إقبال تو حاصل نبود بال و پرم
بوى جانبخش تو همراه نسيم سحر است
زان سبب مردهٔ أنفاس نسيم سحرم
يار هنگام سحر بر دل ما كرد گذر
گفت : چون جلوه كنان بر دل تو مى‌گذرم[1]

⇦ «ديوان شمس المغربيّ» ص ٨٦.

يقول : «سأستعير عيناً منك لأنظر بها طلعتك ، إذ لا تليق لرؤياك عيني».

١ـ يقول : «لأنّك تتجلّى كلّ آن بحسنٍ جديد ، فقد صرتُ أراك كلّ نَفَس بعين جديدة.
ناظرٌ أنتَ من مُقلتي إلى طلعتك ، لأنّك إنسان عيني ونور بصري.
من امّحى رسمه وأثره أدرك نهجه ودربه ، لكنّي لستُ بلا اسم وأثر.
ومادام موجوداً أثر منّي فلن أجد منك أثراً ، فليتني كنت بلا أثر عدماً في العالمين.
لن أستطيع التحليق في دربك إن لم يسعفني نظرك لي بريش وجناح.
يأتي عبيرك المنعش مع نسيم السحر ، لذا صرتُ أشغف بأنفاس نسيم السحر.
لقد خطر الحبيب سحراً على قلبنا وقال : سأمرّ على قلبك كالمتجلّي».

مـــغربی آیـــنهٔ دل ز غـــبار دو جـــهان

پـــاک بـــزدای کــه پــیوسته درو مــی‌نگرم[1]

ومن جملتها هذه الأشعار :

مـنم ز یـار نگـارین خـود جـدا مـانده

بـه دست هـجر گـرفتار و بـی نـوا مـانده

نـخست گـوهر بـا قـیمت و بـها بـودی

بـه خـاک تـیره فـرو رفـته بـی بـها مـانده

فـــــتاده دور ز خـــاصان بـــارگاه أزل

أســـیرخـاک أبـد گشـته در بـلا مـانده

مـــــقرب درِ درگـــاه کـــبریا بـــوده

بـــه دست کـبر گـرفتار و در ریـا مـانده

بـه چـار مـیخ طـبیعت بـدوخته مـحکم

بـه حـبس شش جـهتِ کـون مـبتلا مـانده

هـر آنکـه دیـد مـرا گـفت در چـنین حـالت

بـــبین بـبین ز کـجا آمـده کـجا مـانده[2]

١ـ يقول : «فاجْل غبار العالمين عن مرآة القلب يا «مغربيّ» ، لأنّي أتطلّع فيه دوماً».

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ٨٧.

يقول : «ـ أسرتني يد الهجر ـ أنا الباقي في منأى عن حبيبي الفاتن وبقيت بائساً.

كنت في البدء جوهراً غالياً ، فصرت غارقاً في التراب القاتم بلا قيمة.

ملقىً بعيداً عن خواصّ بلاط الأزل ، أسير التراب الأبديّ مغموراً في البلاء.

وكنتُ مقرّباً لأعتاب سرادق الكبرياء ، فسقطتُ بِيَدِ الكبر وظللتُ حبيس الرياء.

سمّرتني مسامير الطبيعة الأربعة ، وبقيت ممتحناً بحبس جهات الكون الستّ.

قال لي من رآني في حالي تلك : أمعن النظر من أين جئت وأين بقيت».

شب است و راه بـيابان و مـن ز قـافله دور
غريب و عاجز و مسكين ، ضعيف و وامانده
كـجاست پـرتو حسـنت كـه رهـنما گـردد
كـه هست جـان مـن از راه و رهـنما مـانده
شـده ز دورى خـورشيد مـغربى حـقير
بـه سـان ذرهٔ سـرگشته در هـوا مـانده[1]

وكان يقرأ من جملتها هذه الرباعيّات :

كس نيست كزو به سوى تو راهى نيست
بى هستى او سنگ و گل و كاهى نـيست
يک ذرّه ز ذرّات جـهان نـتوان يـافت
كـاندر دل او زِمـهر تـو مـاهى نـيست[2]

* * *

تا من ز عـدم سـوىوجودآمدهام   از بـهر تشـهد بـه شـهود آمـدهام
تـا مـن ز قـيام در قـعود آمـدهام   در پيش رخ تو در سجود آمدهام[3]

١ـ يقول : «حلّ الليل وبقيت بعيداً عن القافلة في طريق قفر ، غـريباً عـاجزاً ضـعيفاً مسكيناً .

فأين شعاع حُسنك ليضيء الطريق ، فقد ظلّت روحي تائهة عن الدرب بلا دليل .

لقد أشبهَ «المغربيّ» الحقير من بُعد الشمس ، ذرّةً تائهة معلّقة في الهواء» .

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٠٦ .

يقول : «ليس يخلو أحدٌ من الدلالة عليك ، فليس ـ بغير وجودك ـ من حجر ولا طين ولا حشائش .

ولن يُعثر على ذرّة من ذرّات العالم ، ليس في أعماق قلبها قمر من حبّك» .

٣ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٥٧ .

يقول : «حالما جئت من العدم إلى الوجود ، فقد هويت للتشهد ساجداً . ⇦

* * *

تو مست خودیّ و ما همه مست به تـو
تو هست خودیّ و ما همه هست به تو
تا نسـبت مـا بـه تـو بـود از هـمه روی
داديم ازين سـبب هـمه دست بـه تـو[1]

* * *

از پيش خـدا بـهر خـدا آمـده‌ای　　نی از پـی بـازیّ و هـوا آمـده‌ای
در معرفت و عبادت ايزد كـوش　　كز بهر همين درين سرا آمده‌ای[2]

* * *

از عـالم حـق بـدين سـرا آمـده‌ای
بـنگر ز كـجا تـا بـه كـجا آمـده‌ای
خالی نشوی يک نفس از علم و عمل
گر زانكـه بـدانـی كـه چـرا آمـده‌ای[3]

⇦ وحين جلستُ من قيامي ، فقد سجدت عند طلعتك».

١ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٥٨.

يقول : «أنت ثمل بوجودك ونحن سكارى بك ، أنت موجود بذاتك ونحن موجودون بك.

وحيث إنّ قيامنا بك من جميع الجهات ، لذا فقد أعطيناك أيدينا جميعاً».

٢ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٥٨.

يقول : «جئتَ من الله إلى الله ، ولم تجئ عبثاً ولعباً.

فاسعَ في معرفة الله وعبادته ، فقد جئت من أجل هذا إلى الدنيا».

٣ـ «ديوان شمس المغربيّ» ص ١٥٩.

يقول : «جئتَ من عالم الحقّ إلى هذه الدنيا ، فانظر أين كنتَ وأين صرت.

ولو كنتَ تعلم علّة مجيئك ، فإنّك لن تخلو لحظة من العلم والعمل».

ولا يخفى أنّ جميع هذه الأشعار التي قُرئت مسجّلة ومحفوظة على أشرطة التسجيل . وإجمالاً فقد حصل في الأوقات التي تشرّفت فيها بالذهاب إلى النجف الأشرف في معيّة السيّد : أن رافقتُ يوماً أحد تلامذة السيّد ومريديه النجفيّين إلى الحرم المطهّر لأمير المؤمنين عليه السلام ، فقال للحقير ضمن بيانه لحالاته الخاصّة : لقد حدثت لي قضيّتان خلال حالات التحيّر وشدّة الواردات الروحيّة التي كانت تحصل لي ، لم أدرك أنّها كانت غير عاديّة إلّا فيما بعد .

الأُولى : أنّني عزمت يوماً مع زوجتي وأولادي الذكور والإناث بأجمعهم على الذهاب إلى المدينة المنوّرة للزيارة لعدّة أيّام عبر الطريق البرّيّ . فتحرّكنا من النجف إلى الحدود السعوديّة المتّصلة بالأراضي العراقيّة عن طريق الصحراء الرمليّة ، واستغرق الأمر أيّاماً عديدة لحين وصولنا إلى هناك .

وقد اعترضنا حرس الحدود ومنعونا من العبور لعدم حملنا جوازات سفر ، وقاموا باعتقالنا عدّة أيّام ، ثمّ أطلقوا سراحنا فلم نجد بدّاً من العودة للنجف الأشرف . واستغرقت عودتنا عدّة أيّام لحين وصولنا إلى منزلنا في النجف ، حيث قارب مجموع هذه الأيّام عدّة أسابيع ؛ بَيدَ أنّنا رأينا حين وصلنا إلى النجف أنّه قد مرّ على زمن شروعنا في السفر يوم واحد فقط ، كانت حركتنا من النجف في اليوم الفلانيّ وكانت عودتنا ـ حسب التأريخ والتقويم ـ في اليوم الذي يليه .

والثانية : أنّ الفاقة وضيق المعيشة غلبت عَلَيَّ مدّة ، وكانت الواردات شديدة بحيث لم تدع لي أيّة قدرة على الحركة وتنظيم أُمور المنزل ، ولم يكن في المنزل شيء من اللوازم الضروريّة ، وكانت زوجتي في ذلك اليوم تضع ماءً ساخناً على الموقد فتؤمّل الأطفال وتسعى في إسكاتهم .

وكنت أحسّ أنّ هذا الأمر يعدّ مشكلة لهم وأنّ استمراره غير محتمل ، حتّى حصلت إفاقة من تلك الحال فصحوتُ وخرجت من البيت لتهيئة طعام . فعلمتُ آنذاك أنّ هذه المدّة دامت شهراً كاملاً .

ويتّضح من الواقعة الثانية أنّها كانت طيّاً للزمن ، أي طيّ وتراكم زمن شهر أو عدّة أسابيع في يوم واحد ، ولم يجد الحقير أنّ هذا الأمر قد جرى بحث كيفيّته وخصوصيّته في موضع ما ، ولم أبحث بنفسي في مدى انطباقه على موازين القوانين الطبيعيّة أم لا ؟

أمّا الواقعة الأُولى فتتضمّن على العكس من الثانية ـ بسطاً للزمن ـ أي بسط ومدّ زمن قصير إلى زمن أطول ، كبسط يومٍ واحد إلى عدّة أيّام ، ولم يبحث الحقير في هذه المسألة أيضاً ، لكن من المسلّم أنّها لا تتّفق والقوانين الطبيعيّة ، وينبغي تأويلها في النهاية بسيطرة تجرّد النفس على الزمان .

وهناك حكاية شيّقة في هذا الشأن نقلها سعيد الدين الفرغانيّ [1] في كتاب «مشارق الدراريّ» وهو شرح «تائيّة ابن الفارض» في شرح أحد الأبيات :

وَفِي سَاعَةٍ أَوْ دُونَ ذَلِك مَنْ تَلَا

بِمَجْمُوعِهِ جَمْعِي تَلَا أَلْفَ خَتْمَةِ

أي أنّ من الأولياء من يتابع حضرة الأحديّة بمجموعه من نفس وقوى وأعضاء ، وذلك بإزالة أحكام الجزئيّة عن كلّ واحد من نفسه وقواه وأعضائه ، وعدم إضافة حكم وأثر من أوصاف النفس والقوى وآثارها إلى نفسه ، فيقوم في ساعة واحدة أو أقلّ بتلاوة ألف ختمة قرآن ، أي تلاوة

١ـ سعيد الدين سعيد الفرغانيّ المتوفّى سنة ٧٠٠ هجريّة قمريّة من أعاظم تلامذة الشيخ صدر الدين القونويّ المتوفّى سنة ٦٧٣ هجريّة قمريّة.

مجموع القرآن من الفاتحة إلى الخاتمة . فوجود حسن المتابعة وكمالها يحرّر من قيد الزمن ، فيصدر منه في زمن قصير ما يصدر من غيره في زمن متطاول .

قَالَ العَبْدُ الشَّارِحُ أَصْلَحَهُ اللَهُ : وأحد نوادر هذه الحال المذكورة ما سمعته أنا كاتب هذه الحروف من الشيخ الجليل **طَلْحَةَ اللُّشْتَرِيِّ العِرَاقِيِّ** رحمه الله ، قال : سمعتُ من الشيخ : شيخ زاده عماد الدين ابن شيخ الشيوخ جنيد وقته : الشيخ **شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِيِّ** رضي الله عنهما قال : شاهدتُ يوماً ـ حين ذهبتُ للحجّ في خدمة أبي ، شيخ الشيوخ رضي الله عنه أثناء الطواف ـ شيخاً يتقرّب إليه الخلق حال طوافهم ويتبرّكون به ويزورونه .

فقدّمني أصحابنا إليه على أنّي ابن شيخ الشيوخ ، فرحّب بي ذلك الشيخ وقبّل رأسي قبلة لا أزال أجد أثرها في نفسي حتّى الآن وأعقد عليها عظيم الرجاء في الآخرة . وحين عدنا بعد إتمام السبع والفراغ من ركعتي الطواف إلى خدمة الشيخ رضي الله عنه ، فقال أصحابنا : لقد قدّمنا ابن الشيخ إلى **الشيخ عيسى المغربيّ** فرحّب به ترحيباً عظيماً وقبّل رأسه . فأظهر شيخ الشيوخ عظيم الاستبشار والبشاشة .

ثمّ انشغل جماعة من أصحابنا بذكر شمائل الشيخ عيسى هذا رضي الله عنه وقالوا في جملتها : سمعنا أنّ ورده في اليوم والليلة **سبعون ألف ختمة** .

فقال أحد أصحاب الشيخ : أجل والله ! لقد سمعتُ هذا الكلام فوقع في قلبي منه ريب حتّى رأيت الشيخ عيسى في الطواف ليلة فشاهدتُ أنّه قرأ ختمة كاملة بالقراءة المعهودة من بعد تقبيله الحجر الأسود إلى وصوله باب الكعبة ملتزماً ، سمعتها منه حرفاً حرفاً مبيّنة واضحة ، ومن الجليّ أنّ المسافة للملتزم ليست أكثر من ثلاث خطوات أو أربع ، فتيقّنتُ حينئذٍ أنّ ورد السبعين ألف ختمة أمر صادق وصحيح .

فصدَّق شيخ الشيوخ رضي الله عنه وجملة أصحابنا ذلك الناقل في إخباره ذلك ـ وكان عظيماً صادق القول ـ وتيقّنوا بوقوعه .

ثمّ سألوا شيخ الشيوخ رضي الله عنه :ممّ هذا ؟

أجاب الشيخ : من باب **بسط الزمان** . فكما أنّ الحقّ تعالى يقبض المكان لبعض أوليائه من أصحاب الخطوة فيسيرون مسافة سنة بيوم واحد ، فإنّه كذلك يبسط الزمان للبعض من أصحاب اللحظة واللمحة ، فيظهر لديهم عين الزمن الذي هو عند الخلق الآخرين ساعة واحدة مبسوطاً في خمس سنين أو عشرة .

ثمّ أورد شيخ الشيوخ رضي الله عنه ـ كشاهد على صدق القضيّة ـ الحكاية المشهورة **للصائغ الصوفيّ** وهو من مريدي **الشيخ ابن سُكَيْنَة** ، وقصّة طيّه سجّادات الصوفيّين يوم الجمعة في ميزر ليذهب إلى الجامع ، وذهابه إلى شاطئ دجلة للقيام بغسل الجمعة ووضعه ملابسه على حافّة النهر وسباحته في دجلة وظهوره في مصر ، وخطبته لبنت صائغ في مصر وزواجه منها وإنجابه الأولاد منها ، ثمّ سباحته في النيل بعد سبع سنين وظهوره في بغداد عند ملابسه وعثوره عليها في مكانها ، ثمّ ذهابه إلى محلّ عبادة الصوفيّين (الخانقاه) ومشاهداته أنّ السجّادات لا تزال كما طواها بنفسه ، وقول الصوفيّة له : أسرع بأخذ السجّادات إلى الجامع وأفرشها ، فقد جلسنا في انتظارك .

ثمّ قال الشيخ : لقد طرأت هذه الحال على هذا الصائغ ، فظهرت الساعة الواحدة لديه ولدى أهل بيته في زمن سبع سنين ، ثمّ ظهر بعد الفحص والتدقيق ، وبعد نقله أولاده الذين ولدوا له في تلك السنين السبع إلى بغداد ، أنّ إشكالاً كان قد وقع في قلب ذلك الصوفيّ الصائغ في معنى آية : **فِى يَوْمٍ**

كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ[1] ، فأظهر الحقّ تعالى له هذه الحال لرفع ذلك الإشكال ليقوى إيمانه بحقيقة هذه الآية ، **وَاللَّهُ الهَادِي** .[2]

وعلى أيّة حال فلم أسمع من السيّد طوال المدّة المديدة التي كنتُ فيها من مريديه نظير هذه الأُمور التي وقعت من تلامذته . كما لم أسمع أحداً ينقل عنه شيئاً منها ، أو أنّه قام بعمل خارق للعادة أو إخبار عن الغيب ، فقد كان يقول : إنّ أعمالاً كهذه تُشغل العبد عن الله ، وهي ممّا يخالف السير والسلوك .

أجل ، اللهمّ إلّا في موارد ضئيلة وقليلة جدّاً كقوله ـ مثلاً ـ بعد انتهاء دراسة الحقير في النجف الأشرف وحين تقرّرت عودتي إلى طهران : ها هو السيّد محمّد الحسين يذهب إلى طهران ، فكم من المشكلات سيواجه !

وكان يدور في خلدي أنّني سأرتاح بمجيئي إلى طهران من مشكلات النجف في التقيّة ـ حيث النهج الغالب على الحوزة مخالفة العرفان والسير والسلوك ـ وأنّه سيمكننا الانشغال بأُمورنا في محيط منفتح رحب ، لكنّ الأمر كان كما قال ، فقد كنّا في طهران في حال عسرة وشدّة واضطراب من جوانب عديدة جعلتنا نتمنّى أحياناً نسائم الجنّة تلك التي كانت تهبّ علينا في النجف . وجعلت التفكير في العودة إلى هناك لا يبرح من ذهننا في جميع الأوقات .

وكان يقول مثلاً : لم أنظر طوال مدّة السلوك في خدمة المرحوم السيّد (القاضي) أيّة امرأة أجنبيّة ، فلم يكن بصري ليسقط على امرأة أجنبيّة . وقد

١ـ الآية ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج.

٢ـ «مشارق الدراريّ» ص ٥١٣ إلى ٥١٥ ، طبعة انتشارات لجنة الفلسفة والعرفان الإسلاميّة، سنة ١٣٩٨ هـ . ق.

قالت لي أُمّي يوماً : إنّ زوجتك أجمل من أُختها بكثير . فقلت : إنّني لم أر أُختها حتّى الآن .

فقالت : كيف لم ترها وهي تتردّد على غرفتنا منذ أكثر من سنتين ، ونحن نتناول طعامنا غالباً على مائدة واحدة ؟! (من الشائع عند العرب الذين لا تمتلك نساؤهم حجاباً صحيحاً ، أنّهم غالباً ما يعيشون في المنزل محشورين مع بعضهم البعض في منتهى العصمة وتمام العفّة) فقلت : والله لم تسقط عيني عليها ولو مرّة واحدة .

ولم يكن عدم النظر هذا ناجماً من تحفّظه وغضّه من بصره ، بل كانت حاله هكذا طبعاً .

وقد نقل المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ عبّاس القوجانيّ عن نفسه نظير هذا الأمر ، فقدكان المرحوم القاضي قد أعطاه أوراداً وأذكاراً لمدّة أربعين يوماً أو أكثر ، كان من جملة آثارها (حسب كلام المرحوم الشيخ) : كنت أسير في الشارع أو السوق فإذا وقع بصري على امرأة أجنبيّة ، فإنّ أجفان عيني كانت تنطبق بلا اختيار منّي . وكان مشهوداً أنّ ذلك الأمر يقع بلا تعمّد واختيار منّي .

وقد نقل المرحوم آية الله القوجانيّ يوماً نظير هذا المعنى عن المرحوم آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ أعلى الله درجته ، قال :

قال لي : لا تصدر من سالك طريق الله معصية . أي أنّ أفعاله هي عين الطاعة .

وعلى أيّة حال ، فقد جئت في معيّة سماحة السيّد مع بعض الرفقاء النجفيّين إلى الكاظميّة في طريقي للعودة إلى إيران ، ثمّ تشرّفت بالذهاب من هناك إلى سامرّاء بصحبة الرفقاء من أهالي الكاظميّة . وحصل يوماً في الصحن المطهّر ـ بعد إقامة صلاة فريضة الظهر جماعة ، وكان السيّد يجلس في

الصف الأخير المتّصل بالضلع الشماليّ للرواق المطهّر والحقير إلى جانبه ـ أن حمل السيّد في يده تربة للصلاة من الأرض وقال لأحد الذين رافقونا في السفر ـ وكان قد سأله عن التوحيد ـ ما هذا ؟

قال : هذه تربة للصلاة .

فقال السيّد : لقد وضعتَ اسم التربة عليها ، وتخيّلتها وجوداً مستقلّاً ذا أثر ، فأزل هذا الاسم جانباً فلن يبق هناك شيء غير أصل الوجود .

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ.[1]

أنتم تقولون : تربة صلاة ، فتعطونها ـ باسم التربة وتعيّنها ـ استقلالاً وانفصالاً وتطلبون الأثر منها ، لأنّ الطلب إنّما يعتمد على أصل وأساس الاستقلال ؛ بينما الاستقلال والعزّة مختصّان بذات الله سبحانه ، أي أنّ هذه الأسماء والرسوم عاطلة لا أثر لها ، وأنّ الفعل بيده جلّ وعزّ .

ومن هنا فإنّ الأمر جليّ في أنّ علّة شرك الناس هذه الازدواجيّة في النظر التي ألبست هذه الاعتبارات الواهية بلا أساس لباس العزّة ، وخلطت هذه الحدود والقيود والماهيّات مع أصل الوجود ، وسرقت العزّة من الوجود ونسبتها إلى هذه الأشياء .

فإن أنت أزلت اسم التربة عن هذا الشيء فلن يكون إذ ذاك وجود لتربة ولا لتعيّن ولا لفقر وفاقة ، فهي تابعة بأجمعها لهذه الحدود العدميّة ، فإن أُزيلت فإنّ وجوداً بحتاً بسيطاً ووسيعاً سيبقى وهو ما يُدعى بالوجود المنبسط . وسيصبح ذلك الوجود أيضاً ـ بعد رفع حدوده الماهويّة الإمكانيّة ـ فانياً في وجود الحيّ القيّوم الأزليّ والأبديّ . هذه هي حقيقة

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٥٣ : النجم .

التوحيد التي تدعونها بوحدة الوجود .

إنّك تعقّد الأمر وتجعله معضلة ، على الرغم من وضوح الأمر وبساطته ، أي أنّك كلّما نظرت إلى شيء فعليك أن ترى الله أوّلاً لا ذلك الشيء . أمّا ذلك الذي تدعوه وتسمّيه ، فليس إلّا ما أعمى عينيك فلم يدعك ترى الله . فإن أسقطت اسمه عنه فسيبقى الله وحده لا سواه !

هذا وقد عدنا من سامرّاء فبقينا عدّة أيّام في الكاظميّة لإتمام زيارة ذينك الإمامين الهمامين ، وحللنا في منزل الحاجّ عبد الزهراء الگرعاويّ الواقع في الگريعات في الجانب الآخر من دجلة .

وقد اتّفق عصر أحد الأيّام أن حضر أحد تلامذة الحاجّ السيّد هاشم قرب الغروب ، وكان على الرغم من علاقته المتينة بالسيّد ووجود المكاشفات الروحيّة لديه يسبّب الأذى والألم للسيّد لتمرّده وعدم طاعته . فكان كثيراً ما يصحبه في الأسفار بلا إذن منه ، وكان يدع زوجته وأطفاله بلا معيل وكافل متعلّلاً بتأويلات واهية ، وكان السيّد قد أبعده مرّات عديدة ووبّخه بشدّة ، ولكن بلا جدوى . وكان ـ من جهة أُخرى ـ من المحبّين وأصحاب السابقة وممّن أبصر مقام السيّد ومنزلته بعينيه الملكوتيّتين ، لذا فلم يكن لينصرف عنه أو يتخلّى عنه . بَيدَ أنّه كان قد أعرض عن حديث العقل والطاعة ، وكان يصرّح بقوله : هذه أحكام أُجراء لا أحكام عشّاق ! وفي النهاية فإنّ تمرّده هذا قد أنهى أمره فأبعده السيّد عنه إلى الأبد ولم يعد يستقبله في منزله .

نعم ، لقد كان هذا الرجل موجوداً ذلك اليوم ، حيث أدّى بكثير توقّعاته وتمنّياته الفارغة ، وبتمرّده وعدم انقياده إلى أن يصبح السيّد منزعجاً جدّاً ، وكاد الأمر أن ينجرّ إلى أُمور لا تحمد عقباها ، وإلى أن يحرمه سماحة السيّد كلّيّاً من الرحمة الإلهيّة والربّانيّة . وكان ـ بدوره ـ في اضطراب وقلق ،

فلم يكن لديه مفرّ من جهة ، كما كـان بـعد السـيّد وهـجرانـه ـ مـن جـهة أُخرى ـ أمراً غير محتمل بالنسبة له .

ومن ثمّ فقد تدخّل الحقير في ذلك الموقف الدقيق والخطير وبذل وساطته في الأمر ، فقد شقّ عَلَيَّ انزعاج السيّد من جهة ، ورأيتُ ـ من جهة أُخرى ـ أنّ حرمان رفيق الطريق والسالك ذي القـلب المـضنّى هـذا سـيكون أمـراً مشكلاً ، لذا فقد طلبتُ من السيّد أن يعفو عـنه ، وقـطعت عـهداً عـن ذلك الرفيق بعدم التمرّد وبالطاعة في المستقبل . وكانت حالي قـد تـغيّرت هـي الأُخرى فانحدرت دموعي غزاراً .

وقد قَبِل السيّد بذلك ، وسُرّ بهذا النمط من إصلاح الأمر واستغرق فجأة في الوجد والسرور ، فأدخل على الفور يـده فـي جـيبه فأخـرج مـبراة للأقـلام خضراء اللون وقدّمها هديّة لي ، ولا تزال تلك المبراة محفوظة عند الحقير .

القسم الحادي عشر

السفر التاسع والعاشر للحقير الى العتبات المقدسة

سنة ١٣٩٥ و ١٣٩٦ هجرية قمرية

السفران التاسع والعاشر للحقير إلى العتبات المقدّسة
سنة ١٣٩٥ وسنة ١٣٩٦ هجريّة قمريّة

كان الحقير يمتلك تصريحاً معتبراً بالإقامة في النجف الأشرف في الدوائر الرسميّة الإيرانيّة والعراقيّة على السواء ، فكان أمر عودتي إلى العتبات المقدّسة وإلى النجف الأشرف سهل يسير ، وكان لا يتطلّب سوى مراجعة للحصول على تأشيرة جواز السفر . وكانت دولة إيران قد أعلنت مؤخّراً أنّ على المقيمين في العراق أن يغادروا الحدود مرّةً قبل نهاية كلّ سنة ، ثمّ رأينا أنّها أعلنت وجوب المغادرة مرّة قبل نهاية كلّ ستّة أشهر ، فصار هذا الإعلان سبباً لنيل التوفيق بلثم أعتاب تلك الأماكن المباركة مرّتين كلّ سنة . ومن ثمّ فقد ذهبتُ مرّة أواخر سنة ١٣٩٥ هجريّة قمريّة ، ثمّ وُفِّقت للزيارة مرّة أُخرى في شهر شعبان لسنة ١٣٩٦ هـ . ق ، لكنّ مدّة السفر استغرقت في كلا السفرين شهراً واحداً ولم يكن في الإمكان التأخير أكثر من ذلك .

هذا وكانت حالة السيّد في هذين السفرين في منتهى الطمأنينة والهدوء ، وكانت تلك الحرارة والحرقة قد تحوّلت إلى سكون . وكانت حكومة البعث قد أخرجت الرفقاء من سكنة الكاظميّة من ذوي الأصل الإيرانيّ فذهبوا إلى الشام والكويت ، أمّا ذلك الرفيق المجدّ والمصرّ المفرط في التمرّد فقد ساقه تمرّده إلى حيث أبعده السيّد عنه ولم يعد يستقبله إلى آخر عمره .

وقد اعتلّ مزاج السيّد في غيابي ، فصحبه أحد الرفقاء المحبّين (وكان من أهل المزاح) للمعالجة في بغداد عند أحد أطبّاء القلب المعروفين ، فقال له ذلك الطبيب بعد فحوصات دقيقة وكثيرة : إنّ قلب هذا السيّد قد خضع لضغط شديد لمدّة طويلة ، فما علّة ذلك ؟

فيقول له ذلك الرفيق الذي صحب السيّد : أيّها الطبيب ! إنّ هذا السيّد من التجّار والملّاكين المعروفين وكانت له أموال ومدّخرات كثيرة بلا حصر ، لكنّ هؤلاء الشيوعيّين صادروها منه حين جاؤوا إلى السلطة ، فآل أمره إلى هذه الحال حزناً وغمّاً على تلك الأموال الضائعة !

فيقول الطبيب : لا تغتمّ أيّها السيّد ! فليس للدنيا كلّ هذه الأهمّيّة ليعرّض الإنسان سلامته للخطر ويجعل قلبه في مثل هذه الحال من أجل ضياع أمواله ، فأنت بحمد الله سيّد وقد أعطاك الله عمراً طويلاً ، فإن ضاع مالك أيّاماً فإنّ الأمر لا يستدعي الغمّ والهمّ !

وكان ذلك الشخص الذي رافق السيّد وأخذه إلى الطبيب هو الصديق العزيز الحاجّ عبد الجليل محيي ، وقد قال للرفقاء فيما بعد : لقد قلت هذا الكلام والسيّد الحدّاد راقد للمعاينة ، فقال الطبيب كذا وكذا ، وكان السيّد الحدّاد يسمع ذلك كلّه ولا ينبس ببنت شفة ، لكنّه قال للطبيب عند العودة : أشكرك على نصائحك الشفيقة .

لقد كان للحاجّ السيّد هاشم إصرار دائم على كتمان السرّ وعدم إظهار واقعة أو مطلب ما ، لكنّه ازداد كتماناً من ذلك في الأسفار الأخيرة وكان يصرِّح : أنّ كشف المطالب الغيبيّة لمن لا خبرة له بالأمر يعدّ من أقبح القبائح عند الله ، لأنّها من الأسرار الإلهيّة ، والله سبحانه غيور لا يحب أن يفشى سرّه . فالسرّ الموجود داخل الحرم ينبغي أن يبقى داخل الحرم ، ويقبح إخراجه خارج الحرم .

ولأجل هذه الغيرة الإلهيّة فإنّ من يفشي سرّ الله يجد الله سبحانه في مقام معارضته ومواجهته ليسقطه ويخرجه من الحرم . وهذا الإخراج من الحرم يمثّل أشدّ عذاب متصوّر للسالك . وهكذا يفقد السالك بهذا الجرم حالاته تدريجيّاً ، ثمّ تخبو حالاته المعنويّة ومكاشفاته الروحيّة وتخمد حتّى تزول تماماً ، وتبقى صورها العلميّة فقط في دائرة خواطره .

وبسبب تدّرج هذا الخمود من جهة ، ولبقاء الصور العلميّة لدى السالك من جهة أُخرى ، فكثيراً ما يحصل أن لا يلتفت السالك إلى هذا السقوط التدريجيّ غير الدفعيّ ، فيعدّ نفسه ـ كما في السابق - صاحب أسرار خفيّة وعلوم ملكوتيّة ؛ مع أنّ شيئاً لم يبق لهذا المسكين ، فهو يبهج نفسه بالخواطر والصور العلميّة .

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَايَعْلَمُونَ * وَأُمْـلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ .[١]

إن إفشاء سرّ الله من جملة التكذيب بالآيات ، ذلك لأنّ الله سبحانه يفتح ـ بإخفاء أسراره ـ طريق السلوك للجميع ، في حين أنّ إفشاءها سيغلق الطريق أمام الكثير . لأنّ الذين لا يمتلكون قابليةً لتحمّلها سيرفضونها وسيكذّبونها ، فيغلقون بهذا الرفض الطريق على أنفسهم وعلى الآخرين ، وهذا الإغلاق في الحقيقة هو إلّا تكذيب لآيات الله ، وسببه إفشاء الأسرار الإلهيّة . خلافاً لأولياء الله الذين يفتحون سبيل الله وطريقه أمام الخلق ، ويهدون الناس إلى الحقّ من خلال علاقتهم بعالم الأمر وغيب الملكوت . ويتحتّم على هؤلاء كتمان السرّ ليمكنهم هداية جميع الخلق إلى الحقّ . ومن هنا فقد جاء في الآية التي سبقتها :

١ـ الآيتان ١٨٢ و ١٨٣ ، من السورة ٧ : الأعراف .

وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ . [١]

ولقد قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في شأن سعد بن عبادة: **إنَّهُ لَغَيُورٌ ؛ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ ؛ وَاللَهُ أَغْيَرُ مِنِّي .**

وجاء عنه أيضاً في الحديث : **لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللَهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ . وَلَا أَحَبَّ إلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَهِ ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ . وَلَا أَحَبَّ إلَيْهِ المَدْحُ مِنَ اللَهِ ؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ الجَنَّةَ لِيُكْثِرَ سُؤَالَ العِبَادِ إيَّاهَا وَالثَّنَاءَ مِنْهُمْ عَلَيْهِ .** [٢]

وكان السيّد الحدّاد يقول : المراد بـ «مَا بَطَنَ» كشف الأسرار الإلهيّة ، أي كلّ حرام وقُبحٍ مُنع بواسطة الغيرة الإلهيّة ، سواء ما ظهر من الفواحش أو ما بطن . فالفواحش الظاهرة هي جميع القبائح الظاهريّة ؛ أمّا الفواحش الباطنة فعبارة عن جميع القبائح الباطنيّة في الأخلاق والعقائد وملكات السوء ، ومن جملتها بل من أعظمها كشف سرّ الله تعالى .

وكان يقول : لشدَّ ما يفرحني كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا ، فهو يبهجني ويبعث فيّ السرور كلّما تذكّرته ، فقد قال :

إنِّي أُحِبُّ مِنَ الصِّبْيَانِ خَمْسَةَ خِصَالٍ : الأَوَّلُ أَنَّهُمْ البَاكُونَ ، الثَّانِي : عَلَى التُّرَابِ يَجْتَمِعُونَ ، الثَّالِثُ : يَخْتَصِمُونَ مِنْ غَيْرِ حِقْدٍ ، الرَّابِعُ : لَا يَدَّخِرُونَ لِغَدٍ ، الخَامِسُ : يَعْمُرُونَ ثُمَّ يُخْرِبُونَ . [٣]

والمراد بذلك أنّ الأطفال ـ باعتبار قربهم من الفطرة ، أي قربهم من التوحيد ـ خالون من الأنانيّة الجوفاء والاستكبار الواهيّ والشخصيّة

١ـ الآية ١٨١ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ١٦٩ .

٣ـ كتاب «زهر الربيع» للسيّد نعمة الله الجزائريّ ، ص ٢٩٥ ، الطبعة الحجريّة.

المجازيّة ؛ لذا فلا يوجد لديهم الضحك الباعث على الغفلة ، والعمارة الباعثة على البهجة ، والأحقاد المستحكمة بالرغم من كونها بلا داع ، وينعدم لديهم حبّ اكتناز الأموال وادّخارها على أساس من الوهم والتخيّل ، والاعتماد على الدنيا والتعلّق بها ، أي أنّهم بأجمعهم من أهل التوحيد بالفطرة ،كما أنّ فناءهم في ذات الله سبحانه أشدّ ، فصاروا بذلك مورد اهتمام النبيّ وحبّه الشديد .

أمّا حين يصل هؤلاء إلى فترة غرور الشباب والكهولة وإلى زمن الهرم فسيكتنفهم غرور الشهوة والغضب والأوهام والاعتباريّات ، وسيملأ عقولهم حبّ المال والجاه والاعتبار ، فيفقدون جميع تلك الغرائز النقيّة والفطرة السليمة البكر ، ويعشقون الباطل في مقابل الحقّ ويبيعون عمرهم وحياتهم وثروتهم العلميّة وقدرتهم وأمنهم مجّاناً بل مقابل خسائر عظيمة . وهذا ما يوجب البعد عن رحمة الله ، والإقصاء والنأي عن وادي المحبّة ، **إلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ .**

وكما ذكرنا فقد جرى خلال هذه الأسفار إبعاد بعض الرفقاء وإخراج بعضهم من العراق ، وبقي البعض في الكاظميّة ، فكانوا يقلّلون تردّدهم على كربلاء حتّى صار مجيئهم إلى محضر السيّد نادراً خوفاً من أن تعتقلهم حكومة البعث أو تخرجهم من العراق . لذا فقد بقي هذا السيّد المحترم يعيش أكثر الأوقات في وحدة وغربة طيلة هذه السنوات ؛ وكما قال مراراً : إنّ العالم وسكّانه جميعاً في مقام مخاصمة العرفاء بالله ومنازعتهم .

وعلى وجه العموم ، فإنّ جميع الرفقاء ـ إلّا القليل منهم ـ لم يكونوا يعرفون قدر السيّد ومقامه ، ولم يكونوا يعرفون عنه شيئاً إلّا أنّه سيّد محترم ومنزوٍ عن الدنيا يمتلك أخلاقاً حسنة وسجايا حميدة ، ولعلّ له بعض الحالات الروحانيّة والمكاشفات الملكوتيّة ، ومن ثمّ فقد كانوا يستخدمونه

في الكثير من الأُمور ، كتسيير أُمور الكسب وحلّ النزاعات وأداء الديون وأمثال ذلك .

وكانوا ـ على سبيل المثال ـ يأتون من الكاظميّة وبغداد إلى كربلاء ، فيأخذونه بسيّارتهم إلى الكاظميّة لإصلاح هذه الأُمور ويُبقونه هناك أُسبوعاً أو أُسبوعين ، ويضيّفونه ـ حسب ظنّهم ـ في بيوتهم فيبسطون الموائد الفاخرة الشهيّة من أنواع الأطعمة من الدجاج والسمك ، ويجلسون جميع الرفقاء حول تلك الموائد ، مع علمهم أنّ السيّد هاشم لم يتناول طيلة مدّة الرفقة لقمة واحدة من السمك أو الدجاج ، وعلمهم باجتنابه تناول الأغذية المتعدّدة وأنواع اللذائذ الصوريّة ؛ فقد كان يكتفي دوماً من هذه الموائد بتناول ما يحاذيه من الخبز والخضروات (الفجل) أو الأغذية البسيطة الأُخرى . بَيدَ أنّهم كانوا يتصوّرون أنّه لا يمتلك حاسّتي الذوق والشمّ أبداً ، وأنّه لا يدرك ما يقومون بتقديمه في تلك الموائد من أنواع الأغذية اللذيذة ، وأنّ تناول الخبز وورق الفجل قد صار من طبعه الثانويّ .

نقل المرحوم الحاجّ آقا معين الشيرازيّ تغمّده الله برحمته أنّه : دعا ذات ليلة أحد التجّار المعروفين والمشهورين في الكاظميّة إلى بيته أمثاله وأضرابه من التجّار لمناسبةٍ ما ، وكان من جملة المدعوّين السادة التجّار من أهالي الكاظميّة من رفقاء الحاجّ السيّد هاشم ، فلبّى هؤلاء الدعوة واصطحبوا معهم الحاجّ السيّد هاشم . فلمّا دخلنا البيت شاهدنا مائدة ممدودة حوت كلَّ ما يتصوّر من أنواع الأغذية ، وكلّ نوع من أنواع الأشربة المحلّلة ، وكانت مائدة مترامية الأطراف بحيث توجّب على الحاجّ السيّد هاشم أن يسير مسافة كي يجلس إلى زاويتها . وكان يسير ونحن خلفه ، فلمّا وقع نظره على تلك المائدة قال : **لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ** .[1]

١ـ الآية ٦١ ، من السورة ٣٧ : الصافّات .

ثمّ توافد المدعوّون وجلسوا جميعاً وانـهمكوا بـتناول الطـعام ، أمّـا السيّد هاشم فلم يتعدّ الخبز والجبن والفـجل المـوضوع أمـامه ليأكـلَ مـمّا عداها .

وكان ذلك يحصل بينما تقضي عائلته الكبيرة أغلب أيّامها في كربلاء تصارع المشاكل والمحن في أشدّ عسرٍ وضيق وفاقة . وكان يخيّل للرفقاء أنّ إكرام السيّد يتمثّل في إبقائه في بساتين الكاظميّة وبغداد بتلك الكيفيّة !

والعجيب أنّ هذا السيّد لم يكن لينبس ببنت شفة لئلّا تتسرّب أخبار أُموره الداخليّة إلى الخارج فـيسبّب ذلك إزعـاجه ؛ ومـع هـذه الحـال التـي وصفناها فـقد كـان يـلبّي دعـوتهم بـاستمرار دون أن يـبدي تـضايقاً مـن الذهاب ، وذلك لشدّة المحبّة التي كان يكنّها لسـالكي طـريق اللـه . وكـان ينظر إلى جميع الأفراد الذين يدّعون السلوك بعين الاحترام ، ولو تغافلوا أو غفلوا عن شروط السلوك وواجباته ، وكان يسعى بنفسه في قضاء حوائجهم .

كان هـؤلاء يأتـون مـن الكـاظميّة إلى كـربلاء للـزيارة بسـيّاراتـهم الشخصيّة فيصطحبونه معهم عند عودتهم بتلك السـيّارات ، بـينما يـتوجّب على بعض عائلته من النساء أن تسافر إلى بغداد في نفس الوقت لمـراجـعة الطبيب بواسطة سيّارات السفر العامّة ، على الرغم من أنّها امرأة ، والأعجب أنّه كان يتوجّب على أهله أن تسكن في بيت آخر حتّى انتهاء مهمّتها تلك .

فما الذي كان يفعله السيّد في تلك الحـالات ؟ أَوَ هـناك سـبيل آخـر لأولياء الله غير الكرامة والصبر الجميل والتحمّل ؟

وممّا يثير العجب أنّ هؤلاء الرفقاء كانوا مطّلعين على مـرافـقة تـلك المـرأة له ، لكـنّهم ـ مع ذلك ـ لم يكـونوا يـعدّون عـملهم هـذا أمـراً غـير مستحسن .

وقد دام ذلك حتّى تشرّف الحقير بالذهاب إلى كربلاء ، فأراد صاحب

السيّارة وبصحبته شخصان آخران أن يصطحبا السيّد مع الحقير من كربلاء إلى الحمزة والقاسم ثمّ إلى الكاظميّة . واتّفق ذلك حين توجّب على زوجته أُمّ مهدي وزوجة السيّد قاسم الذهاب لمراجعة الطبيب في الكاظميّة وبغداد فقال الحقير للسائق وكان من الرفقاء المخلصين : أمِنَ الصحيح أن تذهب هؤلاء المخدّرات والعائلة المحترمة في وضع كهذا بدون وليّ أمرهم ونذهب نحن بصحبته ؟! من الأفضل أن أجلب سيّارة أُخرى ويأتي هؤلاء مع السيّد .

فلم يوافقوا على ذلك ، ثمّ تقرّر أن يذهب رفيقا السائق في سيّارة أُخرى وأن يجلس السيّد مع تلكما المخدّرتين في مؤخّرة السيّارة ويجلس الحقير لوحده في مقدّمتها . وهكذا حصل ، وعلى هذه الصورة تشرّفنا بالذهاب إلى الكاظمين عليهما السلام ؛ ومع ذلك فلم يكن هذا الأمر مرضيّاً لذينك الرفيقين اللذين كانا يرغبان في مرافقة السيّد .

أفتصدِّقون أنّ بعض الصحابة كانوا يقومون بمثل هذه الأعمال مع أهل بيت رسول الله وأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام فيتصوّرونهم بلا حرمة ، بينما يحسب أُولئك الصحابة لأنفسهم من الأهمّيّة بحيث ينبغي أن يكونوا مع رسول الله وفي ركابه وفي معيّة سائر الأئمّة وفي ركابهم ؛ فكانوا يقومون بأمثال هذه التصرّفات ويحرمون قرّة العين الحقيقيّة للنبوّة والولاية من التمتّع بأبْدَهِ المواهب الإلهيّة والضروريّة والفطريّة .

وهذه الصفات الحميدة والملكوتيّة هي ما يدعونها بالفتوّة ، وهي أفضل من الشجاعة والكرم ، ولقد خاطب مولانا ، أميرَ المؤمنين عليه السلام بقوله :

در شـــجاعت شــير ربّــانيستی   در فتوّت خود كه داند كيستی ؟![1]

ونقول في خطاب الروح المقدس لهذا السيّد الجليل بعد ثمان سنوات من رحيله :

ای آفـــتاب آیـــنه‌دار جـــمال تـــو
مشگ سـياه مـجمره گـردان خـال تـو

صحن سرای دیده بشستم ولی چـه سـود
كاين گوشه نيست در خور خيل خيال تـو

در اوج نــاز و نــعمتی ای پـادشاه حسـن
يـا رب مـباد تـا بــه قـيامت زوال تــو

مطبوع‌تر ز نـقش تـو صـورت نـبست بـاز
طـغرا نـويس ابـروی مشكـين مـثال تـو

در چين زلفش ای دل مسكين چگـونه‌ای
كـاشفته گـفت بـاد صبا شـرح حـال تـو[2]

١ـ كتاب «مثنوي» الدفتر الأوّل ، ص ٩٧ ، طبعة ميرزا محمود الحجريّة ؛ وفي طبعة ميرخاني : ص ٩٦ .

يقول :«أنت في الشجاعة أسد الله ، ولكن مَن يعلم من تكون في فتوّ تك ؟»).

٢ـ «ديوان الخواجة حافظ الشيرازيّ» ص ١٨٩ و ١٩٠ ، الغـزل ٤١٦ ، طـبعة پـژمان، انتشارات بروخيم ، سنة ١٣١٨ هـ . ق . يقول : «يا من كانت الشمس مرآة جمالك ، ولم يعدُ العنبر الأسود أن يكون إلّا مجمرةً لخالك !

غسلتُ بالدمع فِناءَ عيني عبثاً ، فقد جلّ خيالك أن تكون عيني محطّاً له !

فيا ملك الحسن الغارق في التّيه والنعمة ، رعاك الله عن الزوال حتّى القيامة.

لم يصوّر كاتب طغرا حاجبك الأسود أبدع من مثال طلعتك.

وكيف حالك أيّها القلب المسكين مع طيّات زلفه ؟ أجاب نسيم الصبا: مشوشاً كما هي».

بــرخــاست بـوى گـل ز دَرِ آشـتى در آى
ای نــو بــهار مــا رخ فــرخــنده فـال تـو
تــا آســمان ز حــلقه بگــوشان ما شـود
كو عشوه‌اى ز ابـروى هـمچون هـلال تـو
تــا پــيش بــخت بــاز روم تـهنيت كـنان
كــو مــژده‌اى ز مــقدم عــيد وصــال تـو
ايــن نــقطهٔ ســياه كــه آمــد مــدار نــور
عكسى است در حديقهٔ بينش ز خـال تـو
در پـيش شـاه عـرض كـدامـين جـفا كـنم
شــرح نــيازمندى خــود يــا مـلال تـو ؟
حافظ در اين كمند سرسركشان بسى است
ســوداى كــج مـپز كـه نـباشد مـجال تـو[١]

* * *

وَاللَهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَـرُبَتْ
إلَّا وَذِكْـــرُكَ مَــقْرِونٌ بِأَنْــفَاسِي

١ـ يقول : «تضوّع الوَرد فتعال نصطلح يا مَن أطلّ بطلعته الميمونة بشائرُ ربيعنا.
أين غنج حاجبك الهلاليّ حتّى تصبح السماء خاضعة وعبداً لنا.
وأين بشارة قدوم عيد وصالك لأهرع مرّة أُخرى في استقباله مُهنِّئاً طالعي ؟
هذه النقطة السوداء التي صارت مدار النور ، ما هي إلّا صورة من خالك انعكست في حديقة الرؤية.
فأيّ الجفاءينِ سأشرح للملك : فاقتي أم بَرَمك ؟
يا حافظ ! ما أكثر رؤوس المتمرّدين التي وقعت في هذا الحبل ، فلاتحاول الأماني المعوجّة فليس فيه مجالك».

وَلاَ جَـلَسْتُ إلَـى قَـوْمٍ أُحَـدِّثُهُمْ
إلَّا وَأَنْتَ حَـدِيثِي بَـيْنَ جُـلَّاسِي
وَلاَ هَمَمْتُ بِشُرْبِ المَاءِ مِنْ عَطَشٍ
إلَّا رَأَيْتُ خَيَالاً مِنْكَ فِـى كَـاسِي[1]

وعموماً فقد تشرّفت في هذين السفرين بعد إتمام مراسم الزيارة بالسفر في معيّة سماحة السيّد من كربلاء إلى الكاظميّة للعودة منها إلى إيران .

وكان يندر أن يتردّد الرفقاء من أهالي الكاظميّة (عدا أُولئك الذين عادوا منها إلى الشام والكويت) على منزل السيّد الحدّاد لئلّا يُعرفوا أو يلاحقوا من قبل حكومة البعث لتردّدهم على السيّد أو لمجيء السيّد إلى بيوتهم ، (حيث كان منظر السيّد بالعمامة والجبّة والعباءة ملفتاً للنظر) فتقوم بإخراجهم من العراق ، حتّى وصل الأمر في سفري الأخير إلى أنّ واحداً منهم فقط كان قد جاء إلى كربلاء للزيارة فعرّج على منزل السيّد لملاقاته لساعة واحدة فقط في وقت غير عاديّ . كما أنّ هذا الشخص لم يقدم إلى كربلاء عندما حان موعد رجوع الحقير .

وقد انتظر السيّد وروده بصبر إلى اليوم الأخير لحركتي ، حيث كان مقرّراً أن أغادر مطار بغداد في الليلة التالية بعد بدء الليل بخمس ساعات متوجّهاً إلى طهران .

ومن ثمّ فقد تشرّفت بالمجيء إلى الكاظمين عليهما السلام صباح ذلك اليوم في معيّة السيّد مع السيّد برهان الدين وهو أحد أولاد السيّد ،

١ـ نقل هذه الأبيات في «ريحانة الأدب» في تراجم المعروفين بالكنى واللقب ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، الطبعة الثالثة ، مطبعة شفق ، تبريز ، عن الحسين بن منصور الحلّاج.

(وكان يمتلك سيّارة) فأدّيت زيارة مختصرة بصحبة سماحة السيّد وولده وتشرّفنا بعدها بالذهاب إلى سامرّاء ووفّقنا لزيارة حرم الإمامين العسكريّين عليهما السلام (الإمام عليّ النقيّ والإمام الحسن العسكريّ) لمرّة واحدة ، ثمّ أدّينا صلاتي الظهر والعصر في ذلك المكان المقدّس . زرنا بعدها صاحب الأمر أرواحنا فداه وأدّينا الأعمال المخصوصة بالسرداب المطهّر ثمّ قمنا بتناول الطعام في أحد المطاعم العامّة هناك وعدنا إلى الكاظميّة فوصلناها قبل الغروب بساعة . وقمنا باستئجار غرفة صغيرة في فندق الجواد عليه السلام القريب من الصحن المطهّر ، وذهبنا إلى الحرم المطهّر لزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام وتوديعهما وأداء صلاتي المغرب والعشاء ، وذلك في معيّة سماحة السيّد الحدّاد وابنه الكريم . ثمّ عدنا إلى الفندق بعد أداء هذه العبادات بعد مرور ساعتين من الليل ، فتناولنا طعام العشاء هناك وتحرّكنا بعد ساعة إلى مطار بغداد ، وكانوا قد غيّروا موقعه فصار في منطقة أبعد تقع خارج بغداد بأربعة أو خمسة فراسخ ، لذا فقد استغرق طيّ المسافة من الفندق إلى المطار أكثر من ساعة كاملة .

وكان السيّد قد شرّفنا بالحضور مع كهولة سنّه وضعفه ، وكان راغباً في المجيء بإصرار بحيث لم يتمكّن الحقير من توديعه في نفس الفندق على أن يرجع إلى كربلاء بعد عودة ابنه من المطار .

ولهذا فقد تفضّل بالحضور إلى المطار ، وبعد التوديع الذي انهمرت فيه دموعه فقد دخل الحقير اليائس ذو القلب القاسي إلى داخل المنطقة المسيّجة ، وظلّ السيّد واقفاً مع ولده العزيز إلى ما بعد إتمام الإجراءات وإلى حين تحليق الطائرة .

(سيأتي فيما بعد شرح حالاته عند انفصالي عنه ، من التغيير الباطنيّ

العميق ، وتوهّج الطلعة ، وبروز العيون من أحداقـها ، والدمـوع المـنهمرة كالميازيب ، ثمّ سقوطه مريضاً في الفراش بلا حـراك لمـدّة أُسـبوع ، ذلك التغيير الذي كان جزءاً من البرنامج الدائميّ والطبيعيّ عند عودة الحقير من جميع أسفاره) .

لقد صوّر عارفنا الجليل الشيخ محمود الشبستريّ أعـلى اللـه درجـته في خاتمة كتابه «گلشن راز» تحت عنوان «إشاره به تَرْسَا بَـچه» شـمّة مـن حالات الحقير الفقير مع سماحة السيّد في تلك الليلة :

اشاره به تَرْسَا بَچه[1]

بت و تـرسا بـچه نـور است ظـاهر
كـه از روى بـتان دارد مـظاهر
كـند او جـمله دلهـا را وثـاقى
گـهى گـرد مُـغنّى گـاه سـاقى
زهى مطرب كـه از يک نـغمهٔ خـوش
زنـد در خـرمن صـد زاهـد آتش[2]

١ـ «گلشن راز» بخطّ المرحوم عماد الأردبيليّ ، ص ٨٨ إلى ٩٠ .

في الإشارة إلى الصبي الراهب

٢ـ يقول : «إنّ الصنم المعبود والصبي الراهب (الإنسان الكامل) نور ظاهر ، له مظاهر في طلعة الأصنام (أي الكاملين في كلّ عصر).

فقد أوثق القلوب جميعاً ، فصار له المغنّي (غـناء العشـق) حـيناً والسـاقي (شـراب المحبّة) حيناً آخر.

فأكرِمْ به مطرباً أشعل بنغمة رائعة واحدة النار في بيادر مائة زاهد».

زهـــی ساقی کـه او از یک پـیاله

کـند بـیخود دو صـد هـفتاد ساله

رود در خـــانقه مست شـــبانه

کـــند افســوس صـوفی را فسـانه

و گــر در مسـجد آیـد در سحرگاه

نــبگذارد در او یک مــرد آگـــاه

رود در مـدرسه چـون مست مستور

فـقیه از وی شـود بـیچاره مـخمور

ز عشــقش زاهـدان بـیچاره گشـته

زخـــان و مــان خـود آواره گشـته

یکـی مـؤمن دگـر را کـافر او کـرد

هـمه عـالم پـر از شـور وشـر او کـرد

خـــرابـات از لبش مـعمور گشـته

مسـاجد از رخش پـر نـور گشـته[1]

١ـ يقول : «وأكرِمْ به ساقياً أسكر بكأسٍ واحدة مائتي شيخ في السبعين من العمر.
فهو يذهب إلى معبد السالكين ليلاً ثملاً ، فيجعل أُمنيات الصوفيّة أساطير وخرافات.
وإذا ما جاء سَحَراً إلى المسجد ، فإنّه لا يدع فيه رجلاً صاحياً واحداً.
يذهب إلى المدرسة ثملاً مستوراً يتخفّى ، فيصبح الفقيه منه بائساً مخموراً.
صار الزهّاد بائسين وعاجزين من عشقه ، فهاموا على وجوههم في طلبه واغتربوا عن البيت والمال.
قد جعل أحدهم مؤمناً (بإقراره به) والآخر كافراً (بإنكاره له) ، فملأ العالم بذلك بالحماس والشرّ.
لقد عُمّرت معابد العرفاء من شفاهه ، وأنارت المساجد من طلعته».

همه كار من از وى شد ميسّر
بدو ديدم خلاص از نفس كافر
دلم از دانش خود صد حجب داشت
ز عُجب و نخوت و تلبيس و پنداشت
در آمد از درم آن بت سحرگاه
مرا از خواب غفلت كرد آگاه
ز رويش خلوت جان گشت روشن
بدو ديدم كه تا خود كيستم من
چو كردم در رخ خوبش نگاهى
بر آمد از ميان جانم آهى
مرا گفتا كه اى شيّاد سالوس
بسر شد عمرت اندر نام و ناموس
ببين تا علم و كبر و زهد و پنداشت
ترا اى نارسيده از كه واداشت
نظر كردن به رويم نيم ساعت
همى ارزد هزاران ساله طاعت[1]

١ـ يقول : «وتيسّر به أمري أجمع ، ورأيت فيه نجاتي من النفس الكافرة.
لقد كان على قلبي ألف حجاب من العلم ، والعُجب والنخوة والتلبيس والتخيّل.
فدخل بابي ذلك المعبود سَحَراً ، فأيقظني من نومة الغافلين.
وأضاء بطلعته فراغ روحي ، وعرفتُ فيه من أكون أنا.
وحين لاحت نظرة منّي إلى طلعته ، تصاعدت من قلبي آه حرّى.
قال لي : أيّها الماكر الخادع ، لقد تصرّم عمرك في طلب الجاه والشهرة والشرف.
فانظر إلى العلم والكبر ، والزهد والخيال عمّن حجبتك أنت الجاهل الذي لم ينضج ⇦

عــــلى الجـــمله رخ آن عـــالم آرا
مـــرا بـــا مـــن نـــمود آن دم ســـراپـــا
ســـيه شـــد روى جـــانم از خـــجالت
ز فـــوت عـــمر و أيّـــام بـــطالت
چو ديد آن ماه كز روى چه خـورشيد
كـــه بـبريدم مـن از جـان خـود اميّد
يكـــى پـــيمانه پـر كـرد و بـه مـن داد
كـــه از آب وى آتش در مـــن افـــتاد
كنون گفت : از مـى بـى‌رنگ و بـى‌بو
نـــقوش تـــختهٔ هســـتى فـــرو شـــو
چـــه آشـــاميدم آن پـــيمانه را پـــاك
در افـــتادم ز مســـتى بـــر ســـر خـــاك
كـنون نـه نـيستم در خـود نـه هستم
نـــه هشـيارم نـه مـخمورم نـه مستم[1]

⇦ بعد؟

انظر إلى وجهي نصف ساعة ، فإنّها تعدل آلافاً من سنين الطاعة».

١ـ يقول : «وإجمالاً فإنّ الطلعة التي تزيّن العالم ، أعادتني تماماً إلى نفسي تلك اللحظة.

فاسودّ وجهي خجلاً من ضياع العمر ومن أيّام البطالة.
وحين رآني ذلك البدر آيساً من روحي ، حين نظرتُ طلعته المضيئة كالشمس.
فقد أترع لي كأساً وناولنيها ، فاشتعلت من مائها النارُ في كياني.
وقال اغسل الآن رسومَ لوحة وجودك ، بشرابٍ لا لون له ولا ريح.
وحين شربتُ تلك الكأس حتّى الثمالة ، سقطتُ مخموراً على التراب.
فصرتُ لا معدوماً في نفسي ولا موجوداً ، لا صاحياً ولا ثملاً».

گهى چون چشم او دارم سـر خـوش

گـهى چـون زلف او بـاشم مشـوّش

گـهى از خـوى خـود در گـلخنم مـن

گـــهى از روى او در گــلشنم مــن[1]

١ـ يقول : «أمتلك ـ تارة ـ رأساً نشواناً كعينه ، وأغدو ـ تارة ـ مضطرباً كخصلات زلفه. أكون ـ تارة ـ من خلقي وطبيعتي في المزبلة ، وأكون ـ تارة ـ بطلعته في الروض».

القسم الثاني عشر

سفر الحقير الى الشام وزيارة السيدة العقيلة وملاقاة السيد هاشم في عاشوراء سنة ١٤٠٠ هجرية قمرية

سفر الحقير إلى الشام وزيارة السيّدة زينب عليها السلام
ولقاء الحاجّ السيّد هاشم في عاشوراء
سنة ١٤٠٠ هجريّة قمريّة

بعد سفري الأخير إلى العتبات المقدّسة قامت الحكومة العراقيّة بإغلاق الحدود في وجه القادمين، ومنعت ورود الإيرانيّين بشكل عامّ حتّى الذين يمتلكون تصريحاً بالإقامة، وها قد انقضت ستّ عشرة سنة منذ آخر زيارة دون أن يكتب للحقير التوفيق لزيارة قبور الأئمّة عليهم السلام.

وبالطبع فقد كان سفر أمثال الحاجّ السيّد هاشم إلى إيران ممنوعاً، فعلى الرغم من أنّ جنسيّته لم تكن إيرانيّة، بل كانت تبعيّته هنديّة ومع ذلك فإنّ الحصول على تأشيرة دخول إلى إيران كان أمراً غير ممكن. بَيدَ أنّ السيّد قام باصطحاب زوجته وأحد أبنائه وسافر إلى الشام لزيارة السيّدة زينب سلام الله عليها، فوردوا دمشق في الثاني والعشرين من شهر ذي الحجّة الحرام لسنة ١٣٩٩ هجريّة قمريّة، وتوجّهوا مباشرة إلى الزينبيّة فحطّوا رحالهم عند صديقه العزيز وتلميذه القديم المحبّ: الحاجّ أبي موسى جعفر محيي دام توفيقه.

وكان الحاجّ أبو موسى وهو من الرفقاء القدماء من أهالي الكاظميّة، قد ذهب إلى الشام بعد أن أبعدته حكومة البعث، وبسبب إخلاصه وأمانته فقد أُسند إليه من قبل هيئة إدارة الصحن المطهّر مهمّة إدارة الحرم الشريف وتنظيم أُموره، وأُوكلت إليه إدارة الأُمور الماليّة واستلام الأموال

والتبرّعات وأُمور مصارف تلك البقعة الشريفة ، فصار يجلس من الصبح إلى الليل في الغرفة اليمنى المجاورة لمدخل الصحن مباشرة ، والتي عليها لافتة كبيرة تحمل عنوان : «**مكتبُ اسْتِلام النُّذوراتِ والتَّبرُّعاتِ لِلسَّيِّدةِ زينبَ سلامُ الله علَيها**» ، فيقوم باستلام المبالغ النقديّة والنذورات وغيرها لينفقها في مواردها الضروريّة ، كما أنّه يمتلك غرفة خاصّة له في الصحن المطهّر ، وكان قد استأجر غرفة لعائلته قريبة من الصحن ، فعاش هناك على هذا المنوال سنينَ طوالاً .

وحين تشرّف السيّد بالذهاب إلى الزينبيّة فقد جعل محلّ إقامته في الصحن الشريف في غرفة الحاجّ تلك ، وكانوا يذهبون إلى منزله أحياناً ، وباختصار فقد كان الحاجّ أبو موسى مضيّفه الوحيد طيلة إقامته في دمشق .

وعند ورود السيّد فإنّه يقول للحاجّ : أخْبِر السيّد محمّد الحسين ليتشرّف بالمجيء للزيارة هذه الأيّام إن استطاع ذلك .

وباعتبار صعوبة الاتّصال الهاتفيّ في ذلك الوقت ، فقد قام الحاجّ بكتابة رسالة للحقير وصلت إلى يدي في اليوم الثاني من محرّم الحرام لسنة الف وأربعمائة هجريّة قمريّة كتب فيها : أخبرنا إن كنت ستأتي أو لا . وقد رأيتُ أنّ إرسال رسالة بريديّة سيستغرق عشرة أيّام على الأقلّ ، وأنّني ـ وقد عزمتُ على الذهاب ـ سأصل بحول الله وقوّته قبل الرسالة ، فقد جعلت نفس ذهابي جواب رسالتهم ، وسعيت فوراً لإصدار جواز السفر فاستغرق ذلك ثلاثة أيّام ، ثمّ لتهيئة بطاقة سفر بالطائرة واستغرق ذلك ثلاثة أيّام أيضاً ، فكان مجموع ذلك ستّة أيّام . وهكذا فقد ورد الحقير الزينبيّة صباح اليوم الثامن من المحرّم ليلة التاسع منه وزرت السيّد في حجرة مكتب الاستلام المذكورة ، ثمّ تشرّفنا جميعاً بزيارة السيّدة زينب سلام الله عليها .

ولا يخفى أنّني حيث احتملتُ عودة السيّد من الشام إلى العراق قبل وصول نبأ قدومي إليهم (الذي كان نفس وصولي) فقد أرسلتُ ولدي الأكبر الحاجّ السيّد محمّد صادق إلى الشام ليتشرّف بزيارة السيّدة زينب أوّلاً، وليحظى بزيارة السيّد ثانياً، حيث يُعدّ ـ بدوره ـ من تلامذته المخلصين، ولينبئ بحركتي للسفر باعتبار أنّه يصل قبلي. وقد ورد دمشق صباح اليوم السادس من المحرّم، فالتقى السيّد في نفس اليوم وظلّ ينهل ويغنم من فيوضاته وبركاته عند السيّدة زينب سلام الله عليها حتّى اليوم الأخير الذي عاد فيه إلى طهران.

أمّا الفوائد التي اغتنمها من السيّد حين كان في محضره قبل وصول الحقير، والمشكلات التي حلّها له، وما أُجيب له عن استفساراته، فهي ممّا يطول شرحه.

وعلى أيّة حال، فقد قدم أيضاً في الأيّام الأوائل لوصولي، الصديق العزيز الحاجّ أبو أحمد عبد الجليل محيي من الكويت، والحاجّ محسن شركت من إصفهان. وكان اجتماعنا مع السيّد يحصل بمعيّة هؤلاء الأجلّاء دوماً، فكنّا نلازم بعضنا ليلاً ونهاراً في حركتنا وسكوننا، في أوقات الزيارة وفي الذهاب إلى الشام لزيارة قبر السيّدة رقيّة سلام الله عليها وسائر الأماكن المباركة كزيارة أهل القبور في مقبرة بني هاشم، ولم نكن نفترق عن بعضنا أبداً. وكانت أغلب أسئلة الأصدقاء تدور حول مسائل السلوك، بينما كان كلام السيّد يدور حول مسألة توحيد الحقّ جلّ وعزّ.

وكانت زوجة السيّد قد صمّمت على العودة إلى العراق بعد حوالي عشرة أيّام من وصول السيّد إلى دمشق، وقبل وصول الحقير إلى هناك، لعدم إمكان ترك العائلة الباقية في كربلاء أكثر من ذلك بدون شخص يرعى أُمورها، وكان في نيّتها اصطحاب السيّد معها لكنّه امتنع عن العودة

لاحتمال كوني في الطريق إليهم ، ومن ثمّ فقد تحرّكت أُمّ مهدي مع ولدها إلى بغداد يوم الرابع من المحرّم ، وبقي السيّد لوحده إلى اليوم السادس حيث وصل ولدي .

وقد قال السيّد : لو لم يكن السيّد محمّد صادق قد وصل ، أوكان وصوله قد تأخّر لنويتُ العودة . وهكذا فقد أخّر السيّد موعد عودته إلى اليوم السابع عشر من المحرّم ، حيث أدرك الحقير محضره بعد ورودي إلى الزينبيّة لمدّة تسعة أيّام ، بل عشرة أيّام على وجه الدقّة .

وكان السيّد يقول في هذا السفر : لا يمكن إدراك أغلب مسائل المعارف الإلهيّة ـ بل جميعها ـ بدون إدراك التوحيد الشهوديّ . فمسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين ، مسألة الطينة والخلقة ، مسألة السعادة والشقاء ، مسألة القضاء والقدر ، مسألة اللوح والقلم والعرش والكرسي ، مسألة الأزل والأبد والسرمد ، مسألة ربط الحادث بالقديم ، مسألة الدعاء وإجابته ؛ وأمثال ذلك من المسائل الكثيرة المذكورة في هذا الباب قد حلّت بتوحيد الحقّ جلّ وعلا ، أمّا بدونه فهي مستعصية مغلقة .

فمثلاً يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في «الصحيفة السجّاديّة»:

وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا ، وَلَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدْرِهَا . [1]

فهذا الطلب هو عين تمنّي التوحيد . أي : يا إلهي ! افتح عينَيَّ للقياك حتّى أراك ولا أرى نفسي وتشخيصي ، فأدرك شهوداً ووجداناً أن لا عزّ إلّا لك ، وأنّ عِزّي وذلّي منك لا منّي .

ويقول أيضاً في «الصحيفة» :

١ـ الدعاء العشرون ، وهو دعاء مكارم الأخلاق ، الفقرة ٤ .

وَأَلْهِمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ حَتَّى لَا نُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ ، وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ ، وَلَا نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ ، وَلَا نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ ـ الدعاء .[1]

ومن الجليّ أنّ هذه الطلبات لا تتجاوز لقلقة اللسان ما لم يحصل للإنسان الشهود العينيّ للتوحيد ؛ كما أنّ هذه الحالات لن ترسخ لدى الإنسان إلّا بانكشاف التوحيد الأفعاليّ والأسمائيّ الذي سيُظهِر هذه المعاني ، ومن هنا فإنّ طلب هذه المعاني هو طلب للتوحيد .

ويقول كذلك في «الصحيفة» :

وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا لَا أُدْرِكُهُ إلَّا بِكَ ، عَمَّا لَا يُرْضِيكَ عَنِّي غَيْرُهُ .[2]

أي : عرّفني نفسك بمعونتك ومساعدتك ليمكنني الاشتغال بما يرضيك ، وأن لا أشتغل حال الغفلة والنسيان بأعمال أُخرى ؛ وهو أمر لا يحصل إلّا بانكشاف التوحيد للإنسان .

ويخاطب في «الصحيفة» ساحة العزّ الربوبيّ :

لَكَ يَا إلَهِي وَحْدَانِيَّةُ العَدَدِ ، وَمَلَكَةُ القُدْرَةِ الصَّمَدِ .[3]

١ـ الدعاء الثالث والثلاثون ، وهو دعاء الاستخارة ، الفقرة ٥ .

٢ـ «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» الدعاء ٤٧ ، الفقرة ١٠٨ .

٣ـ «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» الدعاء ٢٨ ، صدر الفقرة ١٠ ، عدّ السيّد عبدالله شبّر في كتاب «مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار» ج ١ ، ص ١٩١ إلى ١٩٤ ، طبعة مطبعة الزهراء ، بغداد ، الحديث رقم ٢٧ ؛ هذه الفقرة من الأحاديث المشكلة فقال:

وظاهر الحديث مناف لما اتّفق عليه أهل التوحيد من نفي الوحدة العدديّة عنه تعالى ودلّ عليه العقل والنقل ، لأن حقيقة الوحدة العدديّة ومعروضها إنّما هو هويّات عالم الإ مكان ، فهي قصارى الممكن بالذات ، وإنما الذي يطلق عليه تعالى هو الوحدة الحقيقيّة.

وأما النقل فقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبة : **الوَاحِدُ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ** ؛ وفي بعضها : **وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ ، قَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ** . وما رواه الصدوق في «التوحيد» و«الخصال» ⇦

حيث إنّ وحدانيّة الله ، واسم القادر الصمد ، وصفة القدرة والصمدانيّة لا تتّضح للإنسان إلّا بطلوع نور التوحيد .

ويقول أيضاً في فناء القدس الإلهيّ :

اللَهُمَّ يَا ذَا المُلْكِ المُتَأَبَّدِ بِالخُلُودِ ... حتّى يصل إلى قوله :

ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفَاتُ ، وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتُ ، وَحَارَتْ فِي

⇦ و«معاني الأخبار» بإسناده عن شريح بن هاني قال : إنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ! أتقول إنّ الله واحد ؟ قال : فحمل الناس عليه وقالوا : يا أعرابيّ ! أما ترى ما فيه أمير المؤمنين عليه السلام من تقسيم القلب ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه ! فإنّ الذي يريده الأعرابيّ هو الذي نريده من القوم . ثمّ قال: يا أعرابيُّ ! إنّ القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام ؛ فوجهان منها لا يجوزان على الله عزّ وجلّ ، ووجهان يثبتان فيه.

فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل : واحد يقصد به باب الأعداد ، فهذا ما لا يجوز لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد ؛ أما ترى أنّه كفر من قال **إنّه ثالث ثلاثة** . وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس ، فهذا ما لا يجوز لأنّه تشبيه ؛ وجلّ ربُّنا وتعالى عن ذلك.

وأمّا الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه ، كذلك ربّنا عزّ وجلّ . وقول القائل إنّه أحديّ المعنى يعني به أنّه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم، وكذلك ربّنا عزّ وجلّ .

والمعنى الأوّل الذي نفاه عليه السلام هو الوحدة العدديّة بمعنى أن يكون له ثان من نوعه. والمعنى الثاني أن يكون المراد صنفاً من نوع ، فإنّ النوع يطلق في اللغة على الصنف، وكذا الجنس على النوع كما يقال لروميّ مثلاً : هذا واحد من الناس ، أي صنف من أصنافهم. والمعنيان المثبتان الأوّل منهما إلى نفي الشريك والثاني إلى نفي التركيب . وعلى كلّ حال فقد ذكر علماؤنا وجوهاً في توجيه هذه الفقرة الشريفة ؛ ثمّ يذكر المرحوم شبّر هنا وجوهاً ثمانية يصحّ بكلّ منها معنى وحدانيّة العدد . وفي نظر الحقير فإنّ أحسن تلك الوجوه هو الوجه السابع الذي نقله عن الفاضل الشريف السيّد علي خان المدنيّ مع توضيح مفصّل من أنّ حاصل المعنى : **أَنَّهُ لَا كَثْرَةَ فِيكَ ، أَيْ لَا جُزْءَ لَكَ وَلَا صِفَةَ لَكَ تَزِيدَانِ عَلَى ذَلِكَ .**

كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الأوْهَامِ.[1]

ومن الجليّ أنّ وصفاً كهذا للّه سبحانه متعذّر بدون المشاهدة العينيّة والرؤية القلبيّة.

كما يقول أيضاً:

أَنْتَ الَّذِي لَا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً.[2]

١ـ الدعاء ٣٢، الفقرتان ١ و٧.

٢ـ «الصحيفة السجّاديّة» الدعاء ٤٧، في يوم عرفة، صدر الفقرة ١٩.

يقول المرحوم آية الله الحاجّ الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ في تعليقته ص ١٧٠ إلى ١٧٣، في شرح الفقرة ١٩: **وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكونَ مَوْجوداً**، الدعاء السابع والأربعين من «الصحيفة السجّاديّة»، طبعة الإسلاميّة، سنة ١٣٧٨ هـ. ق:

«موجود» اسم مفعول من وجد يجد بمعنى الإدراك والإحساس، وإطلاق «موجود» بهذا المعنى على الله تعالى غير جائز. أمّا في الاصطلاح بمعنى **الكائن**؛ فإنّ الله سبحانه بهذا المعنى موجود ومقابله معدوم. وتعدّ طوائف الإسلام أسماء الله تعالى توقيفيّة، أي أنّهم لا يطلقون كلّ اسم على الله سبحانه بلا رخصة، حتّى لو كانت صفته ومبدؤه في الله سبحانه، كما في: **إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ**، حيث لا يمكن تسميته في هذه الحال بالمشتري إلا لبيان الفعل لا للتسمية، أي أنّه لا يمكن أن يكون «المشتري» من أسماء الله. وكذلك في قوله **ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ** وَ**أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ**، حيث سمّى الله تعالى نفسه زارعاً في مقام بيان الفعل، لكنّه لا يمكن في مقام التسمية أن يُدعى «زارعاً». وقد قام في هذا الدعاء المبارك بعد عدّة سطور بوصف الله تبارك وتعالى بقوله: **حَكِيمٌ مَا أَعْرَفَكَ**، لكنّه تعالى لا يمكن أن يُدعى «عارفاً».

وذلك لأنّ كلّ لفظ، له دلالة في مقام التسمية على مقام الذات وتعيينها مستقلاً مع النظر غير المستقلّ إلى الصفة؛ ولكنّه في مقام الوصف وبيان الأفعال يدلّ على الفعل والصفة بنظر مستقلّ، ويدلّ على الذات بنظر غير مستقلّ. ولهذا فإنّ هناك فارقاً كبيراً بين التسمية والوصف. كما لو كان هناك وزير أو تاجر ما يغسل يده كثيراً، فيمكن أن نقول عنه: **هُوَ يَغسِلُ يَدَهُ كَثِيراً**، ولكنّنا لا يمكن أن نقول: هو **غَسَّالٌ**.

وقد قال المرحوم الفيض عليه الرحمة بعد عبارة **لَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً**: **لِأَنَّ مَا** ⇦

حتّى يصل إلى قوله :

سُبْحَانَكَ لَا تُحَسُّ وَلَا تُجَسُّ وَلَا تُمَسُّ ، وَلَا تُكَادُ وَلَا تُمَاطُ وَلَا تُنَازَعُ وَلَا تُجَارَى وَلَا تُمَارَى وَلَا تُخَادَعُ وَلَا تُمَاكَرُ. [1]

فمثل هذا الخطاب للّه سبحانه بطور الجدّ واليقين يصدر حين يكون التوحيد قد انكشف للقائل . وقد ورد مثلاً هذا الدعاء في «الصحيفة العلويّة الثانية» عن أمير المؤمنين عليه السلام :

يَا مَنْ لَيْسَ مَعَهُ رَبٌّ يُدْعَى ، يَا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ خَالِقٌ يُخْشَى ، يَا مَنْ لَيْسَ دُونَهُ إلَهٌ يُتَّقَى ، يَا مَنْ لَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ يُرْشَى ، يَا مَنْ لَيْسَ لَهُ نَدِيمٌ يُغْشَى ، يَا مَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجِبٌ يُنَادَى ، يَا مَنْ لَا يَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ السُّؤَالِ إلَّا كَرَماً وَجُوداً ، يَا مَنْ لَا يَزْدَادُ عَلَى عَظِيمِ الذَّنْبِ إلَّا رَحْمَةً وَعَفْواً ، وَأَسْأَلُهُ مَا أَحْبَبْتُ فَإنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ. [2]

⇦ **يَقْبَلُ التَّمَثُّلَ يَقْبَلُ الإيجَادَ** ، لكأنّه أخذ التمثّل بمعنى الامتلاك . والموجود بمعنى المُوجَد اسم مفعول من باب الإفعال ، بمعنى امتلك وجوداً وصار موجوداً . وحاصل المعنى أنّك لانظير لك فضلاً عن أن تكون موجوداً . وقد أورد السيّد الشارح عليه الرحمة الوجود ـ كما ذكرنا ـ بمعنى الإدراك ، أمّا التمثّل فقد عدّه ـ شأنه شأن الفيض رحمه الله ـ بمعنى الامتلاك، وهو عجيب منه ؛ **وَالجَوَادُ قَدْ يَكْبُو !**

والمُمَثَّل بمعنى القائم ، والتمثال من هذه المادّة ؛ يقول ابن الأثير في «النهاية» : في الحديث: **فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُمَثِّلاً ، يروى بكسر الثاء وفتحها ؛ أي منتصباً قائماً . وفيه: أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً مُمَثِّلٌ ، أَيْ : مُصَوِّرٌ. وَيُقَالُ : مَثَّلْتُ ـ بِالتَّثْقِيلِ وَالتَّخْفِيفِ ـ إذَا صَوَّرْتَ مِثَالاً . وَالتِّمْثَالُ : الِاسْمُ مِنْهُ** . كما أنّنا لم نجد في حواشي الداماد عليه الرحمة شيئاً في تفسير هذه الكلمة.

[1] ـ «الصحيفة السجّاديّة» الدعاء ٤٧ ، في يوم عرفة ، الفقرة ١٩ .

[2] ـ «الصحيفة الثانية العلويّة» للمحدِّث النوريّ ، ص ١١٥ إلى ١١٧ ، الطبعة الحجريّة ؛ يقول: هذا دعاءٌ دعا به أمير المؤمنين عليه السلام ليلة المبيت حين بات على فراش ⇦

....

⇦ رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أرويه عن مجموعة منقولة بأجمعها بخطّ شمس الفقهاء شيخنا الشهيد الأوّل نقلاً عن كتاب «الاستدراك» لبعض أصحابنا القدماء ، عن جعفر بن قُوْلَوَيْه.

يقول الشهيد رحمه الله : رويت بإسناد مؤلّف كتاب «الاستدراك» عن الأعمش أنّ المنصور حيث طلبه ، فتطهّر وتكفّن وتحنّط . قال له : حدِّثني بحديثٍ سمعته أنا وأنت من جعفربن محمّدٍ في بني حمان . قال : قلت له : أيّ الأحاديث ؟ قال : حديث أركان جهنّم. قال: قلت: أوَ تعفيني ؟ قال : ليس إلى ذلك سبيل ! قال : قلت : حدّثنا جعفر بن محمّدٍ عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : **لِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، وَهِيَ الأَرْكَانُ ، لِسَبْعَةِ فَرَاعِنَةٍ . ثُمَّ ذَكَرَ الأَعْمَشُ : نَمْرُودَ بْنَ كَنْعَانَ : فِرْعَوْنَ الخَلِيلَ ، وَمُصْعَبَ بْنَ الوَلِيدِ : فِرْعَونَ مُوسَى ، وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ ، وَ«أ» ـ «ب» * ، وَالسَّادِسَ : يَزِيدَ قَاتِلَ وَلَدِي ؛ ثُمَّ سَكَتَ . فَقَالَ لِي ، الفِرْعَوْنُ السَّابِعُ ؟! قُلْتُ : رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ العَبَّاسِ يَلِي الخِلَافَةَ ، يُلَقَّبُ بِالدَّوَانِيقِي اسْمُهُ المَنْصُورُ . قَالَ : فَقَالَ لِي : صَدَقْتَ هَكَذَا حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .**

قَالَ : فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَإِذَا عَلَى رَأْسِهِ غُلَامٌ أَمْرَدُ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجْهاً مِنْهُ . فَقَالَ : إنْ كُنْتُ أَحَدَ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، فَلِمَ أَسْتَبْقِ هَذَا ؟ وَكَانَ الغُلَامُ عَلَوِيّاً حُسَيْنِيّاً . فَقَالَ لَهُ الغُلَامُ : سَأَلْتُك يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِحَقِّ آبَائِي إلَّا عَفَوْتَ عَنِّي ! فَأَبَى ذَلِكَ ، وَأَمَرَ المَرْزُبَانَ بِهِ ؛ فَلَمَّا مَدَّ يَدَهُ ، حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِكَلَامٍ لَمْ أَعْلَمْهُ ، فَإذَا هُوَ كَأَنَّهُ طَيْرٌ قَدْ طَارَ مِنْهُ .

قَالَ الأَعْمَشُ : فَمَرَّ عَلَيَّ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقُلْتُ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَقِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ لَمَّا عَلَّمْتَنِي الكَلَامَ . فَقَالَ : ذَاكَ دُعَاءُ المِحْنَةِ ، لَنَا أَهْلَ البَيْتِ ، وَهُوَ الَّذِي دَعَا بِهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَامَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَهُوَ هَذَا الدُّعَاءُ : يَا مَنْ لَيْسَ مَعَهُ رَبٌّ يُدْعَى ـ إلى آخر الدعاء.

وقد نقل الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ص ٤١٥ إلى ٤١٧ ، الطبعة الحجريّة، دعاءً لأسحار شهر رمضان المبارك باسم دعاء إدريس عليه السلام ، وفي آخره الفقرات التالية:

وَيَا مَنْ لَيْسَ مَعَهُ رَبٌّ يُدْعَى ، وَيَا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ خَالِقٌ يُخْشَى ، وَيَا مَنْ لَيْسَ دُونَهُ إلَهٌ يُتَّقَى ، وَيَا مَنْ لَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ يُؤْتَى ، وَيَا مَنْ لَيْسَ لَهُ حَاجِبٌ يُرْشَى ، وَيَا مَنْ لَيْسَ لَهُ ⇦

وليس هناك إمكان أبداً لمثل هذا الوصف إلّا لمن يشاهد اللهَ سبحانه بالوجدان في جميع العوالم **وَاحِداً أَحَداً فَرْداً صَمَداً** «**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ**» ، ليس في يد موجود غيره قدرة ولا اختيار ولا علم بقدر ذرّة خردل ، ألا هو **المَلِكُ الحَيُّ القَيُّومُ**.

وفي خاتمة دعاء أبي حمزة الثماليّ المرويّ عن الإمام عليّ بن الحسين سيّد الساجدين عليه السلام من جملة أدعية أسحار شهر رمضان المبارك نرغبُ إلى الله قائلين : **اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيمَاناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي ، وَيَقِيناً حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَنِي إلَّا مَا كَتَبْتَ لِي ، وَرَضِّنِي مِنَ العَيْشِ بِمَا قَسَمْتَ لِي ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**.[1]

بَاشَرَ يُبَاشِرُ مُبَاشَرَةً أي : مسّه ببشرته ، كما في **بَٰشِرُوهُنَّ**[2] ، وهو ملامسة البشرة للبشرة ، وهو كناية عن الجماع ، وفي **لَا تُبَٰشِرُوهُنَّ**[3] الذي له

⇦ **بَوَّابٌ يُنَادَى ، وَيَا مَنْ لَا يَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ العَطَاءِ إلَّا كَرَماً وَجُوداً ، وَلَا عَلَى تَتَابُعِ الذُّنُوبِ إلَّا مَغْفِرَةً وَعَفْواً ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ، إنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ.**

* ـ نقل العلّامة المجلسيّ رحمة الله عليه هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ٤٧ ، ص ٣٠٩ ، الحديث ٢٩ ، الطبعة الحروفيّة ، المطبعة الحيدريّة ، عن كتاب «الاستدراك» ، وأورد هناك : «الأوّل» و«الثاني» بدلاً من «أ» و«ب».

١ـ «مصباح المتهجّد» للشيخ الطوسيّ ، ص ٤٠١ إلى ٤١٣ ، الطبعة الحجريّة ، وهذه الفقرة في خاتمة الدعاء ؛ وأورده المجلسيّ في «زاد المعاد» ، الطبعة الحجريّة ، بخطّ أحمد التبريزيّ ، ص ٤٧ إلى ٥٣ . وقال عنه : روى الشيخ الطوسيّ والآخرون هذا الدعاء ؛ وروى هذا الدعاء أيضاً المحدِّث القمّيّ في «مفاتيح الجنان» طبعة انتشارات الإسلاميّة ، بخطّ طاهر خوشنويس عام ١٣٧٩ هـ . ق ، ص ١٨٦ إلى ١٩٨ ، عن مصباح الشيخ.

٢ـ مقطع من الآية ١٨٧ ، من السورة ٢ : البقرة : **فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ**.

٣ـ مقطع من الآية ١٨٧ ، من السورة ٢ : البقرة : **وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ** ⇦

هذا المعنى أيضاً .

فالإمام السجّاد عليه السلام يقول هنا : يا إلهي ! هب لي إيماناً تُدخله قلبي وتجعله يُباشره ، فتصير أفكاري وآرائي أفكارك وآراءك ! فهل يمكن أن يكون لتصرّف الله في قلب المؤمن بالمباشرة معنى غير انكشاف حقيقة التوحيد في جميع مراحله من التوحيد الذاتيّ والأسمائيّ والصفاتيّ والأفعاليّ ؟![1]

والعجيب هنا أنّ هذا الدعاء يتكرّر بهذه العبارة عينها في جميع أدعية الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك ، من الليلة الحادية والعشرين إلى الليلة الثلاثين . فالعشرة الثالثة باعتبارها أفضل أوقات شهر رمضان ، وباعتبار حصول المؤمن الصائم على الصفاء الروحيّ بتقرّبه إلى الله ومن خلال الدعاء والمناجاة وتلاوة القرآن وغيرها ؛ فإنّه صار مهيّئاً للاستفاضة من الفيوضات الغيبيّة الإلهيّة ، واكتسب اللياقة لمثل هذا الدعاء في الرغبة إلى ربّه ليرفع عنه جميع الحجب ويوصله إلى مقام التوحيد الكامل ويجلّي ذاته القدسيّة في قلبه ، وهو حقّاً فوز عظيم .

لاحظوا أنّ عين هذه العبارة مكرّرة في جميع أدعية هذه العشر المباركة التي تزيد في بركتها على العشر الأُولى والثانية :

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْ تَجْعَلَ اسْمِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي السُّعَدَاءِ ، وَرُوحِي مَعَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِحْسَانِي فِي عِلِّيِّينَ ،

⇦ **فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ .**

١ـ قال في كتاب «أحاديث المثنويّ» ص ٢٦ ، الطبعة الثانية ، دار أمير كبير للنشر : أورد السهرورديّ في «عوارف المعارف» المطبوع في حاشية «إحياء العلوم» ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، حديث **لَا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي ، وَيَسَعُنِي قَلْبُ عَبْدي المُؤْمِنِ .**

وَإِسَاءَتِي مَغْفُورَةً ، وَأَنْ تَهَبَ لِي يَقِيناً تُبَاشِرُ بِهِ قَلْبِي ، وَإِيمَاناً يُذْهِبُ الشَّكَّ عَنِّي ، وَتُرْضِيَنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي.[1]

أَوَ فكّرنا حتّى الآن فيما يريد قوله في هذه الفقرة من دعاء أبي حمزة الثماليّ :

مَعْرِفَتِي يَا مَوْلَايَ دَلِيلِي عَلَيْكَ ، وَحُبِّي لَكَ شَفِيعِي إِلَيْكَ ، وَأَنَا وَاثِقٌ مِنْ دَلِيلِي بِدَلَالَتِكَ ، وَسَاكِنٌ مِنْ شَفِيعِي إِلَى شَفَاعَتِكَ !!

فهو يقول هنا : إنّ عَلَيَّ ـ كي أصل إلى مقام القرب ـ أن أعرفك ، لكن ما يدلّني عليك هو معرفتي ، وما يشفع لي ويعينني في هذا الوصل هو حبّي لك ؛ بَيدَ أنّه لا قيمة لهذه المعرفة وهذه المحبّة ، لأنّها من جانبي أنا ، أنا الموجود المحدود المتعيّن الضعيف الجاهل ، فلا تلك المعرفة تنفعني ولا تلك المحبّة يمكنها الشفاعة لي وإيصالي إلى مرامي .

ولكن لعلمي وثقتي أنّك قد أريتني نفسك لأعرفك ، وأنّك قد أحببتني لأكون محبّاً لك ؛ فإن لهذه المعرفة والمحبّة قيمة لأنّها تجعلني أصل إلى قصدي ، ولأنّها من جانبك أنت لا من جانبي أنا !

وفي هذه الفقرة تفسير وبيان للفقرة التي وردت في صدر الدعاء :

بِكَ عَرَفْتُكَ ، وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ ، وَلَولَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ !

١ـ أورد الشيخ الطوسيّ هذه الأدعية العشرة في «مصباح المتهجّد» ص ٤٣٥ إلى ٤٣٩ ، تحت عنوان : **الدُّعَاءُ المُخْتَصُّ بِالعَشْرِ الأَوَاخِرِ** . ونقلها المجلسيّ في «زاد المعاد» الورقة ٧٢ إلى ٧٤ ، وقال : ورد بأسانيد معتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام دعاء مخصوص لكلّ ليلة من العشر الأواخر تشتمل على أُمور الدنيا والآخرة . وقد أوردها كذلك المحدِّث القمّيّ في «مفاتيح الجنان» ص ٢٢٨ إلى ٢٣٣ ، وقال : ومن جملتها هذه الأدعية التي نقلت مسندةً في «الكافي» ومرسلةً في «المقنعة» و«المصباح» ؛ تقول:... .

فهذه الفقرات بأجمعها لها دلالة على لزوم التجلّي الذاتيّ لرفع الحجب الإمكانيّة النورانيّة والظلمانيّة . وبدون تجلّي ذات الحقّ المتعال (الذي يقال له لقاء الله والشهود الباطنيّ وصولاً إلى آخر درجة من درجات الفناء في الله ثمّ إلى البقاء بالله) فإنّ تحقّق الإيمان الكامل والمعرفة الحقيقيّة للّه تعالى أمر محال . وهذا هو معنى التوحيد ، والعرفان والمعرفة ، واللقاء ، والوصول ، وكشف وحدة وجود الحقّ ؛ وأمثال ذلك من العبارات المتداولة على الألسن والمسطورة في الكتب والمنطبعة في القلوب .

وقد وجّه أحد مرافقي سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد إليه يوماً هذا السؤال : لقد تحقّق أنّ بعض المرتاضين الهنود من عبدة البقر يقفون مؤدّبين أمام البقرة ويصبّون اهتمامهم على تلك البقرة فيخبرون من حركاتها وسكناتها عن الغيب . فقد حصل مثلاً أن حرّكت البقرة ذيلها مرّة إلى اليمين ، فأخبر عن وقوع ثورة وسفك دماء في ذلك الجزء من الكرة الأرضيّة ، أو في أقصى نقاط المغرب ، ثمّ اتّضح أنّ هذا الإخبار كان صحيحاً ومتحقّقاً بشكل كامل . فما العلاقة الموجودة بين حركة ذيل البقرة وتلك الحادثة ؟ هل كانت حركة ذيل البقرة سبباً لتلك الحادثة ، أو أنّهما كانا مسبّبينِ لسبب ثالث ؟ أو أنّ هذه الحركة كانت حاكية عن تلك الواقعة ؟

فأجاب السيّد : أنّ أيّاً من هذه الافتراضات ليس صحيحاً ، بل إنّ ذلك راجع إلى الارتباط والعلاقة القويمة لجميع موجودات العالم ببعضها ، وباعتبار وصول ذلك المرتاض إلى درجة كشف وحدة النظام الرابط للعالم ، فإنّه يمكنه الإخبار من أيّ حركة وسكون ـ مهما بدا تافهاً ـ عن جميع التغييرات والتحوّلات والحركات والسكنات في العالم . ولا اختصاص في هذا الأمر بذيل البقرة ، فبإمكانه أن يخبر بعين ما أخبره من حركات رجليها

ويديها وعينيها وأُذنيها وبدنها.

كما أنّ الأمر لا يختصّ بعبدة البقر أو بالبقر نفسه، إذ يمكن الإخبار بهذه الأُمور من أيّة حركة بُلبل، أو اهتزاز وردة وتساقط ماء، ومن الريح والمطر، ومن الطلوع والغروب؛ لأنّ نظام إدارة وعالم أمر الكون واحد لا أكثر، فذلك النظام والأمر الوحدانيّ يوجب كلّ لحظة تغيير وتبديل جميع ذرّات العالم. وستصبح ـ والحال هذه ـ جميع الوقائع والحوادث مشهودة بمشاهدة ذلك النظام وكشفه، كما سيمكن إدراك أيّ تغيير في هذا النظام بمشاهدة أيّ تغيير آخر بواسطة تلك العلاقة المباشرة وغير القابلة للتغيير فيه.

كلّ ما في الأمر أنّ المرتاض ـ عابد البقرة ـ قد تمكّن برياضاته النفسيّة من الارتباط بالروح الكلّيّة للبقرة، فتمكّنت نفسه من إرساء العلاقة مع ذلك النظام الواحد عن طريق نفوس البقر، وصار يدرك هذه الرموز الخفيّة والأسرار الغيبيّة عن طريق نافذة البقرة وشبكتها.

ولو عبد شخص ما بلبلاً أو طيراً من طيور الحمام أو قطّة أو غراباً ـ مثلاً ـ ولو عبد النجوم والشمس والقمر، لأدرك بوسيلة تلك الطرق نفوسها الكلّيّة، ولاطّلع أخيراً على ذلك النظام الوحدانيّ وأخبر عنه.

بَيدَ أنّ الإنسان أشرف المخلوقات، فلا ينبغي له بهذا الاعتبار إفناء نفسه في النفوس الأدنى منه أو التي تشابهه، لأنّ ذلك الفناء يستلزم انحطاط إنسانيّته وسقوطها؛ ومن هنا فقد مُنعت وحُرِّمت عبادة البقر وعبادة النجوم وعبادة الحجر وأمثالها في هذه الشريعة الكاملة.

كما أنّ الإنسان لا يمكنه عبادة الملائكة، لأنّ وجودها أضعف من وجود الإنسان؛[1] ولا يمكنه عبادة الجانّ بهذا الدليل نفسه.

١ـ في الفقرة ١١، من الدعاء الرابع والأربعين من «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» ⇦

كما أنّ الإنسان لا يمكنه عبادة إنسان آخر والفناء فيه ، لأنّ هذا لن يوجب له الكمال . فالكمال يحصل حين يفنى المعلول في العلّة ، والموجود الضعيف في الموجود القويّ ؛ ومهما كان الإنسان وضيعاً فهو إنسان ، ومهما كان الإنسان الآخر شريفاً كالأنبياء والأئمّة وأولياء الله فهو إنسان أيضاً ، لذا فإنّ الفناء في نفوس هؤلاء ممنوع ، وقد عُدّ من الحرام عبادة أيّ إنسان لإنسان آخر ، اللهمّ إلّا إذا صارت النفوس المطهّرة الإنسانيّة آية وشبكة لذات الحقّ القدسيّة ، فحينذاك فإنّ اتّباعهم سوف لا يمثّل عبادتهم بل عبادة الله تعالى ، والفناء سوف لا يكون في ذاتهم بل في ذات الله تعالى .

إنّ الإنسان باعتباره خليفةً للّه ، ونظراً لانعدام حدّ يمكنه تحديده ، فإنّه قابل فقط للفناء في الذات القدسيّة الأحديّة دون سواها ، لذا صار الفناء في غير تلك الذات المقدّسة وعبادته أمراً محرّماً ، أمّا الفناء في ذات الله

⇦ كلام يدلّ على أفضليّة الإنسان من الملائكة:

وَأنْ نَتَقَرَّبَ إلَيْكَ فِيهِ مِنَ الأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَتَعْصِمُنَا فِيهِ مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ العُيُوبِ ، حَتَّى لَا يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلَائِكَتِكَ إلَّا دُونَ مَا نُورِدُ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ وَأَنْوَاعِ القُرْبَةِ إلَيْكَ .

وقد كتب آية الله الحاجّ الشيخ أبو الحسن الشعرانيّ رضوان الله عليه يقول في شرحه للفقرة ٥٦ ، من الدعاء الخامس والأربعين ـ الهامش الأوّل ـ من «الصحيفة» ص ١٥٩ و ١٦٠ : ويمكن العلم من هذا القول أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين . ولو كان الملائكة أفضل لكانت الصلاة على من هو في مقام أوطأ من الملائكة ، بدرجة أكثر منها عليهم أمراً غير جائز وخلافاً للحكمة . وفي نظر أهل المعرفة فإنّ مقام الإنسان الكامل أفضل منهم أيضاً وهو مذهب أهل الإسلام قاطبة ، وقد طُعن على بعض المعتزلة كالزمخشريّ في اعتبارهم أنّ الملائكة أفضل ، والله العالم ـ انتهى .

وقد ذكر الحقير مطالباً في شأن أفضليّة الإنسان على الملائكة في كتاب «معرفة المعاد» ج ١ ، ص ١٠ إلى ١٢ ، المجلس الأوّل ، دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة .

فهو غاية المطلوب ومنتهاه .

وبهذا الدليل فإنّ الأفراد المتعبّدين والمتهجّدين والصائمين والمؤمنين الحقيقيّين والشيعة الواقعيّين الذين تخطّوا مراحل الإخلاص ووقعوا في مرحلة الخلوص ووصلوا إلى الفناء في الله ، تصبح جميع أشكالهم وشمائلهم الظاهريّة جميلة بدورها، ويصبح أُولئكم بأجمعهم نورانيّين ذوي طلعة حسنة جميلة ، لأنّهم وصلوا إلى مقام ودرجة الإنسان الحقيقيّ وحازوا تلك المرتبة واستعادوا سيماءهم الحقيقيّة .

أمّا البشر من عبدة البقر أو النجوم أو الشمس أو باقي الأصناف والأنواع من الفانين في الذوات ، فإنّ وجوههم تصبح قبيحة كريهة المنظر متجهّمة بلا نور ولا نورانيّة مهما انشغلوا بالرياضات في دينهم لتطهير نفوسهم . وعلّة ذلك أنّ ذلك التطهير ليس تطهيراً في الحقيقة بل تغييراً للنفوس إلى صورة وشمائل غير إنسانيّة ، ومن جرّاء ذلك تتبدّل طلعتهم وسيماؤهم من الشمائل الإنسانيّة إلى شمائل أُخرى .

وهذا هو أحد الاختلافات بين عبدة البقر والنجوم مع الإنسان العابد للّه تعالى ، وهو اختلاف مشهود بوضوح بالالتفات إلى ما قيل .

وهناك اختلاف آخر وهو أنّ علوم هؤلاء وإحاطتهم وتجرّدهم لا تصبح كلّيّة ولن تسمو على النفوس الحيوانيّة أو الفلكيّة أو الجماديّة التي امّحوا وفنوا فيها ولن تكتسب تجرّداً أكثر ، لذا فإنّ علومهم لن تصبح علوماً توحيديّة ومعارف إلهيّة أبداً . أمّا الإنسان العابد للّه الفاني فيه فإنّ علومه تصبح كلّيّة بتمام معنى الكلمة ، كما أنّ تجرّده يرقى إلى ما لا نهاية ، وسينال حقائق التوحيد والعرفان .

* * *

وعلى أيّة حال فقد كانت الأراضي الواقعة في أطراف الزينبيّة

جميعها بوراً قاحلة أو مزروعة بالخضر ، وحدث يوماً أن كنّا في معيّته بعد زيارة أهل القبور قرب الصحن المطهّر ، وكان علينا أن نذهب إلى الشام ، فسرنا على الأقدام مسافة في انتظار قدوم السيّارة ، وشاهدنا جماعة من العمال منهمكين في صناعة الطابوق من الطين ، فقال السيّد :

لقد انكشف لي مطلب جديد ، وهو أنّ تربية الإنسان هي عيناً بمثابة هذا الطابوق الذي يعمل هؤلاء العمال في صناعته . فهذا الطين مهما كان ملائماً لدرجة كبيرة ومهما كان متماسكاً لكنّه لا يصبح طابوقاً بشكل تلقائيّ ، بل يحتاج إلى الخلط والمزج بالماء بقدر معيّن ، ثمّ إلى تحريكه وتقليبه لتتماسك أجزاؤه ، ثمّ إلى صبّه في قوالب معيّنة ليخرج بهذه الأشكال المكعّبة التي تشاهدونها .

والنفوس البشريّة هي الأُخرى تحتاج في تكاملها إلى أُستاذ عليه أن يوصلها من حالة الاستعداد المحض إلى الفعليّة . فالخوف والسرور ، القبض والبسط ، الوعد والوعيد ، والاشتغال بالأعمال التي توجب رفع الحجب ، أمورٌ ينبغي تحقّقها في هذه النفوس لتصل إلى مرحلة التوحيد الكامل . وهذا ما يمكن الوصول إليه بتدبير وتصرّف وتعليم وتربية الأستاذ الكامل فقط ولمدّة طويلة . وبغير ذلك فإنّ تلك النفوس ستبقى على حالتها الأوليّة أو ستخضع لتغييرات عشوائيّة لا تحكمها أُسس وأُصول صحيحة حتّى يحين موتها .

وهذه التربية تحت إشراف الأُستاذ وولايته لها حكم أعمال تحريك الطين وتقليبه ومزجه ثمّ صبّه في قوالب ليصبح له قيمة وليمكن الاستفادة منه .

ولو انقضت على هذه الأراضي آلاف السنين ولو هطلت عليها الأمطار وسطعت عليها الشمس بأشعّتها ، فإنّها ستبقى ـ مع هذا كلّه ـ في

حالتها الخام الأوليّة ، ولن يسمح هذا التراب من ذاته لنفسه بالتحوّل إلى طابوق ، بل إنّ يد المربيّ الخارجيّ هي التي تحدث فيه تغييراً وانقلاباً وتمنحه فعليّته .

وعليه فإنّ الأُستاذ ينبغي حتماً أن يكون مسلماً شيعيّاً قد وصل إلى التوحيد وامتلك مهارة في فنّ تربية الطلّاب ، لأنّه من المحال عليه ـ بغير ذلك ـ أن يتمكّن من إخراج الطالب في صورة كماله . ونعني بالشيعيّ : التابع لنهج الولاية والسائر على خطّها ، وبالمسلم : التابع لشريعة خاتم المرسلين ومنهاجه وسُنّته . فهذان هما الجناحان لتحليق الروح في فضاء عالم القدس . وسيمكن لأُستاذ بهذه المواصفات إيصال طينة الوجود والفطرة المستعدّة في طريق النبوّة الخاتمة والولاية الخاتمة إلى قمّة الكمال ومنتهاه الذي يمثّل أعظم مراتب الإنسانيّة ودرجاتها .

فلو كان الأُستاذ غير مسلم أو غير شيعيّ ، فإنّ بصيرة كهذه ستنعدم لديه ، كما أنّه سيفتقد القابليّة لإجراء هذه التغييرات والتبدّلات .

وحتّى لو كان الأُستاذ مسلماً شيعيّاً لكنّه لم يطوِ بعدُ جميع مراحل السلوك ومنازله ، فإنّه سيفتقد إمكانيّة التعليم والتربية والإيصال إلى هدف خاتمة النبوّات وخاتمة الولايات ؛ لأنّه هدف لم يطوِ طريقه بنفسه بعدُ ولم يطّلع على أسراره وخفاياه .

وكذلك فإنّ النفوس لو حاولت طيَّ هذا الطريق بتعقّلها وباتّباع فكرها وإرادتها بالعمل بالمستحبّات والرياضات المشروعة ، فإنّها لن تتمكّن من ذلك ، مهما كانت ذات قابليّة فذّة واستعداد كبير ؛ لأنّ الطريق إنّما هو طريق العبور من النفس وتخطّيها ، فكيف يمكن للنفس أن تتخطّى نفسها وتفنى حين يكون هذا التخطّي وهذا الفناء صادراً عن رغبات النفس ؟! وذلك حين يحصل إنّما يحصل لتقوية النفس لأجل كمالها .

وعليه، فإنّ نفس الإنسان مهما سعت جاهدة فإنّها لن تخرج من دائرة رغبة النفس وإرادتها، فهي محتاجة في وصولها إلى مخالفة رغبات النفس وإرادتها، وهذه تضحية لا يمكن أن تحدث إلّا بِيَدِ الغير. وهكذا فإنّ حصول الكمال للإنسان أمر غير ممكن إلّا بحصول **الإفناء في الله**، وهو أمر لا يمكن حصوله على يد الإنسان نفسه.

أمّا الرجوع إلى أيّ أُستاذ ـ ولو كان غير كامل وغير ممتلك للتوحيد المحض على نهج خاتم النبيّين وخاتم الوصيّين ـ فهو أمر خاطىء أيضاً، لأنّ غاية درجة تربية الأُستاذ هي تكميل السالك وتربيته ليصير نظيراً له، فكيف يمكن لأُستاذ لم يحز بنفسه ذلك المقام أن يوصل التلميذ إليه بحيث يضعه في ذلك المقام والمنزلة على مذبح التضحية؟

على أنّه من الممكن وجود البعض من المسلمين أو من الشيعة ممّن تميّزوا بتديّنهم وظهور صلاحهم، ومن ذوي النيّة الحسنة والنهج النزيه، والإعراض الحقيقيّ عن الدنيا والالتفات إلى عالم العقبى؛ بَيدَ أنّ هؤلاء أنفسهم لم يصلوا إلى التوحيد المحض و**لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ**. وأمثال هؤلاء ليس لهم الحقّ في إرشاد الآخرين وإعانتهم في السلوك، لأنّهم ليسوا أفضل من الأنبياء عليهم السلام، ولو قُدّر اليوم لنبيّ من أعاظم الأنبياء أن يُبعث حيّاً، كموسى أو عيسى على نبيّنا وآله وعليهما الصلاة والسلام، لما أمكننا أن نرجع إليه ونطلب منه برنامج عمل ونخضع لولايته في طريق السير والسلوك الإلهيّ. إذ مع وجود شريعة وولاية خاتم المرسلين فقد صار الباقون في مقام أدنى، بينما يتوجّب علينا أن نسير في هذا النهج والمسار لنصل بأنفسنا إلى التوحيد عن هذا الطريق الذي هو أكمل وأفضل مراتب التوحيد.

إنّنا لو عملنا بشريعة عيسى الأصليّة ـ لا بهذا الدين المُحرَّف الموجود

في أيّامنا هذه ـ فإنّنا سنصبح مؤمنين موحّدين عيسويّين ، بينما يتوجّب علينا أن نكون مؤمنين موحّدين محمّديّين .

وعلى هذا الأساس فقد نُسخت جميع الشرائع عدا الإسلام ، أي أنّ ولاية الأنبياء والأولياء قد نُسخت ، وأنّهم لا يمتلكون القدرة والإمكانيّة على سوق أُمّة خاتم المرسلين هذه إلى مقام العِزّ الربوبيّ والفناء في الذات القدسيّة الأحديّة عن طريق اسم ورسم خاتم النبيّين ، لأنّ هؤلاء جميعاً في مستوى أدنى ومحتاجون لطلوع الوحدة المحمّديّة .

وبناءً على هذا فإنّ أيّاً من الأساتذة والمربّين الذين لم يصلوا إلى مقام التوحيد المحض والفناء الخالص المحمّديّ لا يمتلك الحقّ ـ وفق هذا البيان ـ في إعانة السالك وإرشاده والولاية عليه ، لأنّ الأنبياء أنفسهم لا يمتلكون مثل هذا الحقّ في عصر الرسالة الخاتمة فضلاً عن أتباعهم والسائرين على نهجهم ، وفضلاً عن أُولئك الذين ليس لهم علاقة حقيقيّة بأُولئك الأنبياء ، والذين يتبعون شرائعهم المتخيّلة ومناهجهم الظنّيّة . ولذلك نجد رسول الله صلّى الله عليه وآله يغضب حين يعطيه عُمَر ورقة من التوراة الصحيحة كان قد وجدها ، طالباً من النبيّ أن يعمل بها ، فيخاطبه النبيّ بخشونة وشدّة : لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلّا أن يتّبعني ![1]

١ـ قام محيي الدين بن عربي في كتاب «الفتوحات المكّيّة» ج ١ ، ص ١٤٣ ، الطبعة الأُولى ، مطبعة دار الكتب العربيّة الكبرى ، مصر ، الفصل الأوّل ، الباب الثاني عشر **فِي مَعْرِفَةِ دَوْرَةِ فَلَكِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهِيَ دَوْرَةُ السِّيَادَةِ ، وَأَنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللَهُ تَعَالَى** ؛ ببحث وافٍ عن أكمليّة وأتمّيّة نبوّة رسول الله . وأثبت أنّ جميع الأنبياء والمرسلين تحت نبوّته وولايته وسيطرته المعنويّة وسيادته وشفاعته في الدنيا والآخرة ، وأنّ هذا الأمر منحصر به لأقربيّته لمبدأ العلل وغاية الغايات .

ثمّ يستمرّ في المطلب إلى منتصف ص ١٤٤ ، فيقول : **وَثَبَتَتْ لَهُ أَيْضاً السِّيَادَةُ فِي** ⇦

ومن هنا فإنّ اتّباع الأُستاذ غير الكامل ليس أولى من اتّباع الأنبياء أُولي العزم ؛ وحين لا يجوز ذاك فكيف يمكن أن يكون هذا جائزاً ؟!

وكان السيّد يقول : إذا حصل نفي الخواطر بصورة جيّدة لدى السالك ، فإنّه سيوصله في نهاية الأمر إلى عالم الفناء الذي يمثّل الوجود المحض بحيث لا يتوقّف عنه ورود الخواطر فقط ، بل إنّه سينتفي ويصبح أمراً غير ممكن ، وسيصبح ذلك السالك مستغرقاً في عالم التوحيد بحيث لا يجد مجالاً للنزول إلى عالم الكثرات ، ولا لمرور الخطرات عليه ، لكأنّ سدّ الإسكندر قد شيّد بينه وبين الخواطر ، ذلك السدّ المنيع الذي لا يستطاع نقبه و ثلمه . وفي هذه الحال فإنّ الخواطر سترد عليه بإجازته وإذنه النفسانيّ، فإن أجاز لخاطرة ما بالخطور على ذهنه خطرت **وَإلَّا فَلَا** .

وفي هذا الإطار فإنّ حال السالك ستصبح معاكسة تماماً لحاله السابقة ، فقد كانت الخواطر في الوهلة الأُولى تهجم عليه بلا إذن أو سماح فتحتلّ زوايا قلبه ، وحسب تعبيرنا فإنّها تحدث انقلاباً مدبّراً في قلبه ينبغي للسالك معه أن يتجشّم الأتعاب والمشاقّ ليستعيد حضور قلبه وليدفع الخواطر عنه بشكل تامّ ؛ أمّا في هذه الحال فإنّ السالك هو مع الله دوماً وفي حرمه ، فلا حقّ هنا لخاطرة ما في الورود عليه ، ولربّما مرّت الأيّام والشهور دون أن تخطر في ذهنه خاطرة ما إلّا الخواطر الحسنة وغير الضارّة التي تعدّ من لوازم الحياة ، كلزوم شرب الماء عند العطش وردّ السلام عندما يسلّم عليه أحد وأمثال ذلك .

⇦ **الحُكْم حَيْثُ قَالَ : لَوْ كَانَ مُوسَى حَيَّاً مَا وَسِعَهُ إلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحُكْمِهِ فِينَا بِالقُرْآنِ فَصَحَّتْ لَهُ السِّيَادَةُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ وَجْهٍ** . إلى آخر ما أفاده إلى ص ١٤٧.

ويتّضح هنا الفارق بين السالك الحقيقيّ وبين مدّعي السلوك ، ويمتاز هنا الوارد في الحرم عمّن يدّعي الورود فيه ، ومن انتمى إلى حقيقة العبادة والعبوديّة عمّن يعدّ نفسه عابداً وزاهداً فينهمك بالقيام والقعود والركوع والسجود دون إدراك لذّة العبادة .

وَقُلْ لِقَتِيلِ الحُبِّ وَفَّيْتَ حَقَّهُ
وَلِلْمُدَّعِي هَيْهَاتَ مَا الكَحَلُ الكَحِلِ[1]

* * *

برو ای خواجه خود را نیک بشناس
که نبود فربهی مانند آماس
من و تو برتر از جان و تن آمد
که این هر دو ز أجزای من آمد
به لفظ من نه إنسانست مخصوص
که تا گوئی بدان جانست مخصوص
یکی ره برتر از کون و مکان شو
جهان بگذار و خود در خود جهان شو[2]

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٣٤ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٢ هجريّة قمريّة ، أنشده ضمن أبيات **هُوَ الحُبُّ** . الكَحَل بفتح الحاء : سواد في أشفار العين خلقة ، و**الكَحِل** بكسر الحاء : بمعنى المكحول أي : من كَحَلَ عينه بالكُحْل .

٢ـ «گلشن راز» بخطّ عماد الأردبيليّ ، ص ٢٨ و ٢٩ .

يقول : «إذهب أيّها الإنسان فاعرفْ نفسك جيّداً ، فليس الشحم والسمنة كالورم الفارغ .

فإنّ «أنا» و«أنت» أفضل من الروح والبدن (أي أنّ حقيقة الإنسان أسمى من روحه وبدنه)، ولأنّ هذين الاثنين إنّما صارا جزءاً منّي .

ولا يختصّ لفظ «أنا» بالإنسان لتقول بأنّ الروح مختصّة بلفظ «أنا».

سر في طريق أفضل من الكون والمكان ، وتخطَّ العالم ودعه وكن عالماً في نفسك».

ز خـــــطّ وَهْـــمى هـــاء هـــويّت
دو چشـــمى مـــى‌شود در وقت رؤيت
نـــــــماند در مـــيانه رهـــرو و راه
چـــو هـــاى هـــو شـود مـلحق بـه اللـه
بود هستى بـهشت ، امكـان چـه دوزخ
مـــــن و تـــو در مـيان مـانند بـــرزخ
چو بـرخـيزد تـو را ايـن پـرده از پـيش
نـماند هـيچ حكـم مـذهب و كـيش[1]

حتّى يصل إلى القول :

در اين مشهد يكى شد جـمع و أفـراد
چـو واحـد سـارى انـدر عـين أعـداد
تو آن جـمعى كـه عـين وحـدت آمـد
تـو آن واحــد كــه عـين كـثرت آمـد
كسى اين سِـر شـناسد كـو گـذر كـرد
ز جزوى سوى كـلّى يک سـفر كـرد[2]

١ـ يقول : «إنّ الرؤية ستكون مزدوجة ثنائيّة في الخطّ الوهميّ لهاء الهويّة.
وسوف لن يكون في البين سائرٌ ولا طريق ، حين ستلتحق هاء «هو» بالله وتفنى فيه.
إنّ الوجود كالجنّة ، والإمكان كالجحيم ، و«أنا» و«أنت» في البين كالبرزخ.
وحين يرتفع حجاب «أنا» و«أنت» فلن يبقى حكم لمذهب أو طريقة».

٢ـ يقول : «وقد صار الجمع والأفراد في هذا المشهد واحداً ، لأنّ الواحد سارٍ في مراتب الأعداد ، فهو في عين الكثرة واحد وفي عين الوحدة كثرة.
أنت ذلك الجمع الذي صار عين الوحدة ، وأنت ذلك الواحد الذي صار عين الكثرة.
وهذا السرّ يعلمه من تخطّى الجزء والكثرات وسافر إلى الكلّ والحقيقة المطلقة».

وكان الشبستريّ قد قال قبل هذه الأبيات :

سؤال

كه باشم مَنْ ؟ مرا از من خبر كـن   چه معنى دارد اندر خود سفر كن [١]

جواب

دگر كردى سؤال از من كه من چيست ؟
مرا از من خبر كن تا كه مـن چـيست ؟
چــه هســتى مــطلق آيــد در إشـارت
بـــه لفــظ مَــنْ كــند از وى عــبارت
حـــقيقت كـــز تـــعيّن شــد مــعيّن
تـــو او را در عـــبارت گــفته‌اى مــن
مـــن و تــو عــارض ذات وجــوديم
مشـــــبّكهاى مشكـــوة وجـــوديم
هـــمه يك نـــور دان أشــباح و أرواح
گــهى ز ائــينه پــيدا گــه ز مــصباح [٢]

١ـ يقول : «من أكون أنا ؟ أخبرني عن «أنا» ، وما معنى السفر في النفس ؟».

٢ـ يقول : «عُدتَ تسألني : من أكون أنا ؟ أخبرني عن «أنا» حتّى أعلم من أنا !
عندما نريد الإشارة إلى الوجود المطلق فإنّنا نعبّر عنه في العبارة بلفظ «أنا».
والحقيقة التي عرض لها التعيّن فصارت محدّدة معيّنة عُبّر عنها في العبارة بلفظ «أنا».
فأنا وأنت إنّما هو عارض لذات الوجود ، شأننا شأن الشبكة في مشكاة الوجود (يعبر منها نور الوجود المطلق فتمثّل تعيّنات خاصّة).
فاعلم أنّ كلّ هذه الأشباح والأرواح نور واحد يوجد في المرآة تارة وتارة في المصباح».

تــو گــوئى لفــظ مــن در هــر عــبارت
بـــــه ســـوى روح مـــى‌باشد إشـــارت
چـــو كـــردى پـــيشواى خـــود خـــرد را
نـــمى‌دانـــى ز جـــزو خـــويش خـــود را[1]

وكان السيّد يقول : **دع النجاسة على غيرك ! لِمَ تلقها على نفسك ؟!**

فحيثما شاهدتَ أنّ إصلاح أمر من الأُمور ـ بما فيها الأُمـور العـائليّة والداخليّة والأُمور الاجتماعيّة والخارجيّة ـ يستوجب دوران الأمر بـين أن يرد الفسـاد والتلوّث على نفسـك أو عـلى الغـير ، فـلا تـقبل ذلك الفســاد لنفسك ، لأنّه سيكون أمراً لا يمكن إصلاحه !

وإذا ما شاهدت في مكان ما أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تقوم به سيجعلك عصبيّاً ويصيب أفكارك بالاضطراب ويهدم صـفاء ذهنك ، وأنّ هذا الضرر الذي يصيبك أكبر من الضرر الذي سيصيب ذلك الشخص إثر إتيانه لذلك الجرم والجناية ، فعليك أن تكفّ عـن هـذا العـمل وتتجنّبه . إنّ هذا الضرر الوارد هو في حكم النجاسة التي ترد على نفسك ، فَلِمَ تقبلها لنفسك ؟ دع الضرر يصيب الغير ، وعليك نفسك حيث لا يضرّك تنجّس الغير .

وإجمالاً ، فإنّ أمر طهارة نفس الإنسان لها الأولويّة على كلّ شـيء ، فلا يحقّ للإنسان أن يلوّث نفسه من أجل رعاية المصالح الخـارجـيّة . لأنّ تطهير النفس وتزكيتها في الفعل والحال هو المـطلوب مـن الإنسـان وهـو الذي سيؤاخذ عليه ويُسأل عنه ، أما متابعة الأُمور الاجتماعيّة والسـعي فـي حوائج الناس والتدريس والكسب وأمثالها فهي أُمور يُسأل عنها ويُحاسب

١ـ يقول : «ولفظ «أنا» الذي تورده في كلّ عبارة إنّما هو إشارة إلى الروح.
لأنّك جعلتَ العقل دليلك وهاديك ، فصرت لا تميّز بعضك (روحك) عنك».

عليها إن أمكن القيام بها ، أمّا حين تكون الظروف غير متاحة للعمل بها فإنّ المرء لن يُسأل عنها .

ومن ثمّ فلو علم المرء وتيقّن أنّ نفسه لن تتلوّث إثر الدخول في هذه الأُمور ، وأنّ هذه المسائل لن تُعيقه عن الرقيّ والتكامل والتوحيد والإيمان والإيقان ولن تسلب منه اطمئنان الخاطر وسكون القلب والفكر ، فمن المسلّم أنّ عليه المبادرة والسعي لقضاء حوائج خلق الله قدر الإمكان .

أمّا لو شاهد أنّ الدخول في مثل هذه الأُمور يستلزم إهدار رأس المال وإضاعة الثروات الإلهيّة ، أي إذا استلزم الغفلة عن الله والتخبّط في أُمور الدنيا وزخارفها والانغماس في عالم الكثرات ، فلا يجوز له في هذا الفرض أن يبيع نفسه ويقايضها بهذه الأُمور .

وذلك **أوّلاً** : لأنّ العمل الحسن في الخارج إنّما يصدر من الشخص الجيّد ، أي من الإلهيّ الموحِّد صاحب اليقين ، وذلك العمل سيكون في الخارج منشأً للأثر الجيّد وللثمرات الجميلة الحسنة ؛ أمّا لو صدر من الشخص المنغمس في الكثرات التي تستلزم الغفلة عن النفس وعن الله والعرفان الإلهيّ وعن الخلوة وحضور القلب عند الصلاة ، فلن يكون ذلك العمل مستحبّاً آنذاك ولا مستحسناً ، بل سيكون أمراً ملوّثاً وقبيحاً مهما بدا ظاهره جميلاً ملفتاً للأنظار ، ومهما حسبه عامّة الخلق أنّه من أفضل المثوبات .

وعلّة ذلك أنّ النتيجة تتبع **أَخَسَّ المُقَدَّمَتَيْنِ** ، وحين يزهو العمل في الظاهر والخارج بجميع شروط الحسن والجمال لكنّ فاعله يفعله رياءً أو اتّباعاً لهوى النفس أو للمقاصد غير الإلهيّة ، فإنّ ذلك العمل قبيح في الحقيقة وغير جميل ولن يترك أثراً مفيداً ولن يكون في عداد **مَا يَنفَعُ**

ٱلنَّاسَ [1] ، مهما عدّته الآراء والأفكار العامّة جميلاً وحسناً ، لأنّ المناط حقيقة العمل وواقعيّته ، وهي حقيقة فاسدة في هذه الحال تستتبع عدم قبوله عند الله في موقف يوم القيامة .

إنّ العمل الحسن يصدر من الشخص الجيّد ولا يصدر من الشخص غير الجيّد مهما اصطنع الأخير في الخارج لظاهره أنواع التجميلات ؛ ذلك لأنّ الكحل لن يهب النور للأعين العمياء ، والخضاب على حواجب العميان لن يؤثّر في بصرهم ولا يزيد في نور أعينهم .

يقول الفرقان العظيم الإلهيّ : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ.** [2]

ويقول أيضاً :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا. [3]

وثانياً : يتّفق جميع عقلاء العالم على أنّه إذا دار الأمر بين إصابة الضرر القطعيّ للإنسان نفسه أو إصابته لغيره ، فإنّ دفع الضرر عن النفس مقدّم على دفعه عن الغير . وبطبيعة الحال فإنّ جميع هذه المسائل تصدق حين يكون الضرر الوارد على الإنسان أكثر من الضرر الوارد على الغير أو من المنفعة الحاصلة له .

فلو أُصيب شخص ما بالإفلاس ـ مثلاً ـ وخسر مليون دينار ، وكان جميع رأس مال إنسان آخر ألف دينار وعلمنا أنّه لو وهبه جميع أمواله في

١ـ مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ١٣ : الرعد : **فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ** .

٢ـ صدر الآية ١٠٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٣ـ صدر الآية ٦ ، من السورة ٦٦ : التحريم .

محاولة خيّرة لإنقاذه من الإفلاس فإنّ ذلك لن يكون مؤثّراً ، لأنّ ألف دينار لا تنفع شيئاً أمام ألف أمثالها ؛ مضافاً إلى أنّ ذلك لن يؤثّر بأيّ وجه في رفع اضطراب وقلق ذلك المفلس أو إنقاذه من الحبس والسجن ، أو في بعث الطمأنينة في قلوب عائلته ، بل سيجعل نفس الواهب فقيراً مُدقعاً وسيصيب عائلته بالفقر والفاقة والقلق ؛ ومن ثمّ يتحتّم على هذا الشخص في هذه الحال أن يحفظ رأس ماله وثروته وأن لا يوقع الضرر على نفسه وعائلته .

أما لو كانت خسارة ذلك المصاب بالإفلاس عشرة آلاف دينار ، وكانت ثروة الإنسان المحسن ألف دينار فإنّ من المستحسن أن يعطيه نصفها لمساعدته على تجاوز محنته ، إذ سيكون قد حلّ جزءاً من عشرين من هذه المحنة . ومع أنّ من المسلّم أنّ الضرر سيصيبه بذلك ، لكنّه لن يسبّب هلاك أهله وعياله وسيكون بإمكانهم أن يقتصدوا في معيشتهم ونفقاتهم ويتحمّلوا النقص في ذلك ، وأن يقتّروا على أنفسهم مقابل تلك المثوبة العظيمة في نجاة ذلك المفلس ونجاة عائلته .

يقول المحدِّث القمّيّ : ورد في «البحار» وغيره في جملة وصايا الإمام السجّاد عليه السلام لولده أنّه قال له :

يَا بُنَيَّ ! اصْبِرْ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَلَا تَتَعَرَّضْ لِلْحُقُوقِ ، وَلَا تُجِبْ أَخَاكَ إلَى الأَمْرِ الَّذِي مَضَرَّتُهُ عَلَيْكَ أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِ لَهُ .[1]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام :

وَلَكِنِّي لَا أَرَى إصْلَاحَكُمْ بِإفْسَادِ نَفْسِي .

١ـ «منتهى الآمال» ج ٢ ، ص ١١ أحوال الإمام زين العابدين عليه السلام ، طبعة علميّة إسلاميّة، عام ١٣٧١ هـ . ق ، القطع الرحليّ .

وهذه الفقرة وردت ضمن خطبة أوردها السيّد الرضي أعلى الله مقامه في «نهج البلاغة» :

وَمِنْ كَلَام لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ :

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى البِكَارُ العَمِدَةُ والثِّيَابُ المَتَدَاعِيَةُ ! كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ ؟!

أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَبِّ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا ؟!

الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ ، وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ. وَإِنَّكُمْ وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي البَاحَاتِ ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ !

وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ ؛ وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي.

أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ . لَا تَعْرِفُونَ الحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ البَاطِلَ ، وَلَا تُبْطِلُونَ البَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الحَقَّ.[1]

يقول ابن أبي الحديد في شرح فقرة : **وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ** :

يقول : إنّما يصلحكم في السياسة السيفُ ، وصَدَقَ . فإن كثيراً لا يصلح إلّا به ، كما فعل الحجّاج بالجيش الذي تقاعد بالمهلّب ، فإنّه نادى مناديه : من وجدناه بعد ثالثة لم يلتحق بالمهلّب فقد حلّ لنا دمه . ثمّ قتل عمير بن ضابئ وغيره فخرج الناس يُهرعون إلى المهلّب .

وأمير المؤمنين لم يكن ليستحلّ من دماء أصحابه ما يستحلّه مَن يريد الدنيا وسياسة الملك وانتظام الدولة . قال عليه السلام : **وَلَكِنِّي لَا أَرَى**

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة ٦٧ ، مطبعة عيسى البابي ؛ وفي الطبعة المصريّة مع تعليق الشيخ محمّد عبده : ج ١ ، ص ١١٧ و ١١٨.

إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي، أي: بإفساد ديني عند الله تعالى ـ إلى آخر ما أورده هنا من الشرح.[١]

إنّ مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم طريق نفع أُمّته ودفع الضرر عنها، لكنّ قيامه بذلك العمل وشروعه به كان يستلزم الإضرار بوجود نفسه المقدّسة؛ لذا فإنّه لم يقم بإصلاح أُمورهم كما يعلم تلافياً لفساد النفس ودفعاً لتحمّل الضرر.

وعلى أيّة حال فقد كان السيّد يتمسّك في هذا السفر بمراعاة الآداب الظاهريّة في حضور الناس عند التشرّف بالذهاب للحرم والزيارة والصلاة. فعند الورود إلى الحرم كنتُ أدخل فأقرأ الزيارة، وعند وقت الصلاة كنت أتقدّم فأُصلّي بهم صلاة الجماعة في الحرم المطهّر.

ولم تكن هذه الحال من السيّد تصنّعاً، بل إنّه كان يلحظ نفسه دوماً بعين الخضوع والخشوع، وكان الرفقاء هم الذين يشعرون نحوه باحترام خاصّ حسب إدراكهم له ومشاعرهم نحوه، بينما لم يكن ينظر إلى نفسه باعتباره أفضل منهم بوجه من الوجوه.

كما أنّه لم يكن ليتوقّف عن إبداء أيّة خدمة متصوّرة للرفقاء، بل كان مبادراً إلى هذا الأمر، ابتداءً من كنس الغرفة وغسل الأواني وتنظيفها إلى شراء لوازم البيت من الخارج وتهيئتها وأمثال ذلك من الأُمور، وكان فرحاً سعيداً بذلك للحدّ الذي كانت تخطر في ذهن الحقير في مثل هذه الموارد خواطر عن عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام.

فقد أورد في «منية المريد» رواية عن محمّد بن سنان مرفوعاً **قَالَ**:

١ـ «شرح نهج البلاغة» ج ٦، ص ١٠٣ و ١٠٤، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٧٨ هـ. ق.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا مَعْشَرَ الحَوَارِيِّينَ ، لِي إلَيْكُمْ حَاجَةٌ فَاقْضُوهَا لِي ! قَالُوا : قُضِيَتْ حَاجَتُكَ يَا رُوحَ اللَهِ !

فَقَامَ فَغَسَّلَ أَقْدَامَهُمْ . فَقَالُوا : كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا يَا رُوحَ اللَهِ .

فَقَالَ : إنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالخِدْمَةِ العَالِمُ ؛ إنَّمَا تَوَاضَعْتُ هَكَذَا لِكَيْمَا تَتَوَاضَعُوا بَعْدِي فِي النَّاسِ كَتَوَاضُعِي لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : بِالتَّوَاضُعِ تَعْمُرُ الحِكْمَةُ لَا بِالتَّكَبُّرِ ، كَذَلِكَ فِي السَّهْلِ يَنْبُتُ الزَّرْعُ لَا فِي الجَبَلِ .[1]

وما أسمى وأرقى ما نقله السيّد أخيراً في هذا الباب عن زبور آل محمّد عليهم السلام : «الصحيفة السجّاديّة» :

وَلَاتَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إلَّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا ، وَلَا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إلَّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدْرِهَا .[2]

ونجد هنا أنّ روح التوحيد والفناء المطلق تتجسّد حقيقة في سلوك آل محمّد عليهم السلام في ذات الحقّ القدسيّة ، ونتنعّم بذكرى تلك الأرواح الطيّبة والنفوس المطهّرة التي طلعت بعد قرون أربعة عشر في مثل هذا السيّد المكرّم الجليل لتعلّمنا ذلك النهج والمنحى .

ونقف بأعين دامعة ترقب الدرب في فراق أُولئك الرجال الأجلّاء وتلك المقامات والدرجات في الخلوص والتوحيد ، لعلّهم يرمقون بلمحة نظر بمحبّتهم وكرمهم القديمين مشتاقي درب اللقاء ووادي العشق ويسرّونهم بنكتة أو لفتة .

١ـ «سفينة البحار» ج ٢ ، ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ، الطبعة الحجريّة ، مادّة علم.

٢ـ «الروح المجرّد» ص ٦١٦ ، عن «الصحيفة الكاملة السجّاديّة» الدعاء العشرون.

هَلْ نارُ لَـيْلَى بَـدَتْ لَـيْلاً بِـذِي سَـلَم
أَمْ بَــارِقٌ لَاحَ فِــي الزَّوْرَاءِ فَــالعَلَمِ
أَرْوَاحُ نَــعْمَانَ هَــلَّا نَسْــمَةٌ سَــحَراً
وَمَــــاءَ وَجْــرَةَ ، هَــلَّا نَــهْلَةٌ بِــفَمِ
يَا سَائِقَ الظُّعْنِ يَـطْوِي البِـيدَ مُـعْتَسِفاً
طَيَّ السِّجِلِّ بِـذَاتِ الشِّـيحِ مِـنْ إضَـمِ
عُجْ بِـالحِمَى يَـا رَعَـاكَ اللَـهُ مُـعْتَمِداً
خَــمِيلَةَ الضَّـالِ ذَاتَ الرَّنْـدِ وَالخُـزُمِ
وَقِفْ بِسَلْعٍ وَسَلْ بِالجِزْعِ هَلْ مُـطِرَتْ
بِـــالرَّقْمَتَيْنِ أُثَــــيْلَاتٌ بِـــمُنْسَجِمِ
ناشَدْتُكَ اللهَ إنْ جُزْتَ العَقِيقَ ضُـحىً
فَــاقْرَ السَّــلَامَ عَـلَيْهِمْ غَـيْرَ مُـحْتَشِمِ
وَقُــلْ : تَـرَكْتُ صَـرِيعاً فِـي دِيَـارِكُمُ
حَــيَّاً كَـمَيْتٍ يُــعِيرُ السُّــقْمَ لِـلسَّقَمِ
فَمِنْ فُـؤَادِي لَـهِيبٌ نَـابَ عَـنْ قَـبَسٍ
وَمِــنْ جُــفُونِيَ دَمْـعٌ فَـاضَ كَـالدِّيَمِ
وَهَــذِهِ سُــنَّةُ العُشَّــاقِ مَــا عَــلِقُوا
بِشَــادِنٍ فَــخَلَا عُــضْوٌ مِــنَ الأَلَــمِ
يَــا لَائِــماً لَامَـنِي فِـي حُـبِّهِمْ سَـفَهاً
كُــفَّ المَـلَامَ فَـلَوْ أَحْـبَبْتَ لَـمْ تَـلُمِ
وَحُــرْمَةِ الوَصْـلِ وَالوِدِّ العَـتِيقِ وَبِـالـ
ـعَهْدِ الوَثِيقِ وَمَا قَدْ كَـانَ فِـي القِـدَمِ

مَـا حُـلْتُ عَـنْهُمْ بِسُـلْوَانٍ وَلاَ بَـدَلٍ
لَـيْسَ التَّـبَدُّلُ وَالسُّـلْوَانُ مِـنْ شِـيَمِي
رُدُّوا الرُّقَـادَ لِـجَفْنِي عَـلَّ طَـيْفَكُمُ
بِـمَضْجَعِي زَائِـرٌ فِـي غَـفْلَةِ الحُـلُمِ
آهاً لِأَيَّـامِنَا بِـالخَيْفِ لَـوْ بَـقِيَتْ
عَشْـراً وَوَاهـاً عَـلَيْهَا كَـيْفَ لَـمْ تَـدُمِ
هَـيْهَاتَ وَا أَسَـفِي لَـوْ كَـانَ يَـنْفَعُنِي
أَوْ كَانَ يُجْدِي عَلَى مَا فَاتَ وَا نَـدَمِي
عَـنِّي إلَـيْكُمْ ظِـبَاءَ المُـنْحَنَى كَـرَماً
عَـهِدْتُ طَـرْفِيَ لَـمْ يَـنْظُرْ لِـغَيْرِهِمِ
طَوْعاً لِقَاضٍ أَتَـى فِـي حُكْـمِهِ عَـجَباً
أَفْتَى بِسَفْكِ دَمِي فِـي الحِـلِّ وَالحَـرَمِ
أَصَمَّ لَمْ يَسْـمَعِ الشَّكْـوَى وَأَبْكَـمَ لَـمْ
يُحْرِ جَوَاباً وَعَنْ حَالِ المَشُوقِ عَمِي[1]

هذه الأبيات للعارف الشهير والسالك الخبير ، المطّلع على الأسرار والإشارات ، والعالم بالخفايا والكنايات ، والواصل إلى الحقّ والفاني في ذاته : ابن الفارض المصريّ ؛ أنشدها بعد قضائه أيّاماً في مكّة والخيف ومنى في صحبة البعض من المخلصين والمتحرّرين ، وها هو يعود من هناك إلى مدينته ودياره ويبتعد عن تلك الأماكن المباركة ، وها هو يعاني اللوعة في ذكرى وادي العقيق ومكّة والخيف وحالاته الحسنة مع أُولئك الأحبّة والأعزّة من أولياء الله ، ويتحرّق ويتلهّف في عشقهم ، ويقضي

١ـ «ديوان ابن الفارض المصريّ» ص ١٢٨ و ١٢٩ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ. ق.

الأيّام والليالي على أمل اللقاء، ويقنع بالرؤيا في المنام؛ لكنّهم لم يمنعوا طيفهم من المجيء إليه في عالم الرؤيا فقط، بل كانوا كمعشوق يحكم بقتل عاشقه بدون أن يسمع شكوى، وبدون أن يلحظ شيئاً أو يتفوّه بجواب؛ حكموا بقتله وأردوه بقسوة في وادي الهجر والغمّ والحزن.

وعموماً فقد كانت أغلب أوقاتنا وبقيّة الرفقاء الذين كانوا في معيّة السيّد تنقضي غالباً في الحرم المطهّر، حيث لم يكن فصل الصيف الحارّ ولا فصل الشتاء القارس، بل كان فصل الخريف بأمطاره الغزيرة. وكانت مياه الأمطار تتجمّع أحياناً فتسدّ طريق الوصول من الصحن المطهّر إلى منزل المضيّف المحترم، فكنّا مجبرين على قضاء الليالي أيضاً في حجرات الصحن المبارك. وكان السيّد يجلس الساعات المتوالية في الحرم المطهّر يغلب عليه التأمّل والتفكّر، وكان الرفقاء يسألونه ما لديهم من الأسئلة فيجيبهم عليها.

وكان من بين أسئلتي له سؤال عن وضع العمل في طهران، فقد كنت مرهقاً جدّاً بسبب تزاحم الأعمال والمصادمات والنشاطات الكثيرة بعد الثورة في متابعة أُمور الناس والتبليغ والوعظ في المسجد، وتطهيره من الأيدي الفاسدة والمفسدة، وكانت صحّتي قد انحرفت كلّيّاً، كما ارتفع ضغط دمي إلى العشرين درجة، وكان التهاب القصبات الهوائيّة المزمن قد تعسّر علاجه نتيجة الإصابة بالرشح المتناوب إثر الخُطَب والكلمات والمواعظ التي كنت أُلقيها على المنبر في مسجد القائم، وإثر التعرّق الزائد ثمّ الإصابة بالبرد والرشح.

ومن الألطاف الخاصّة بالسيّدة زينب سلام الله عليها أن كنت جالساً يوماً في الحرم المطهّر، فقال السيّد: إنّ سفركم إلى الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام وإقامتكم عنده أمر حسن، فاذهبوا إلى مدينة مشهد

وتوطّنوا فيها . ولهذا السبب فقد تشرّف الحقير بالمجيء إلى الأعتاب المقدّسة لثامن الحجج عليه السلام بعد عدّة شهور من عودتي من الشام ، وألقيت الرحال في هذه الأرض المقدّسة . ثمّ إنّ ولدي الحاجّ السيّد محمّد صادق كان قد عاد من الشام إلى طهران يوم الرابع عشر من المحرّم ، كما سافر الحاجّ محسن شركت الإصفهانيّ إلى مكّة يوم الخامس عشر من المحرّم بعد أن استجاز السيّد للقيام بالعمرة المفردة ، أمّا الحاجّ أبو أحمد فقد عزم على البقاء مدّة طويلة عند مضيّفه في الشام باعتبار أنّ زوجة الحاجّ أبي موسى محيي هي أُخت الحاجّ أبي أحمد محيي .

هذا وقد قام السيّد بقطع تذكرة للعودة إلى بغداد في الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر يوم السابع عشر ، لذا فقد قام الحقير بجعل موعد عودته بعد سفر السيّد ، وذلك قبل أذان فجر يوم الثامن عشر بساعتين . وكان كلّ يوم ينقضي يجعل زمن الهجر قريباً وزمن الوصل بعيداً .

وما أقرب مفاد الشعر المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام من هذه الحال :

أُحِبُّ لَيالِي الهَجْرِ لَا فَرَحاً بِهَا عَسَى الدَّهْرُ يَأْتِي بَعْدَهَا بِوِصَالِ
وَأَكْرَهُ أَيَّامَ الوِصَالِ لِأَنَّنِي أَرَى كُلَّ شَيءٍ مُولَعاً بِزَوَالِ[1]

وكانت حال السيّد منقلبة ومتغيّرة كثيراً في اليومين الأخيرين من إقامته ، فلم يكن له في الليل رقاد ، ولا للطعام شهيّة ، وكانت طلعته متوهّجة ، ولم يكن يكلّم أحداً ، بل كان مستغرقاً في التفكير والتأمّل المستمرّ .

١ـ «الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام» بعد منتصف الديوان ، باب ما آخره اللام (مخطوط).

وقد سبقت الإشارة إلى أنّني كنت ألحظ سيماه تتوهّج وحاله تتغيّر كلّما ودّعتُه وتحرّكت من كربلاء إلى الكاظميّة للعودة إلى إيران .

وكان الرفقاء يقولون : كان السيّد يسقط في الفراش بعد ذهابك لمدّة أُسبوع بلا قدرة على الحركة ، كما لم يكن يستقبل أحداً أو يتحدّث إلى أحد من الرفقاء ، حتّى أنّ عائلته كانت تعلم أنّه يفقد في تلك الحال الرغبة في الكلام ، لذا فقد كانوا يأتونه في أوقات الطعام فقط بغذاء من السوائل وعصير السكّر لعلمهم بعدم قدرته على المضغ وتناول الطعام . وكان يقول لهم وهو في تلك الحال : دعوني وشأني فلا يدخل علَيّ أحد .

وكنت لهذا السبب قد اتّفقت مع الرفقاء ومع عائلته على أن أُفارق محضره بلا توديع ، وعليه فقد كان الحقير يتشرّف يوماً بالذهاب إلى الحرم ثمّ يأتي إلى الكاظميّة بدون العودة إلى المنزل وبلا إعلام مسبق . وكان ذلك صعباً علَيّ ، بَيدَ أنّي كنت مجبراً عليه بعد ملاحظة حالات السيّد المرهقة ، وكان السيّد قد رضي بذلك .

ولم أكن أدرك علّة هذا الانقلاب والتغيير ، ولم أدرك ذلك حتّى الآن ؛ كما لم يدركه أحد من الرفقاء .

وعلى أيّة حال ، فقد عدنا في اليوم الأخير لتوقّفنا في الزينبيّة (أي في اليوم السابع عشر من محرّم الحرام) إلى الصحن المتّصل بالحرم المطهّر حيث يسكن الحاجّ أبو موسى وعائلته وحيث كان يجري تناول الطعام غالباً ، وذلك بعد أدائنا صلاة الظهر في الحرم المطهّر ، وكان الحاجّ أبو موسى قد أعدّ في تلك المائدة الصغيرة التي ضمّت أفراداً قلائل مختلف أنواع الأطعمة . ولم يكن هناك من أحد غير السيّد والحقير والمضيّف الحاجّ أبي موسى والحاجّ أبي أحمد عبد الجليل ، فلاحظتُ أنّ السيّد لم يتناول من الطعام ولو لقمة واحدة . وكان كمن يحاول إشغال الحاضرين

فيظهر لهم أنّه يتناول الطعام ، فكان يتناول قطع الخبز الصغيرة من أمامه ثمّ يأخذها مع قليل من الخضر قرب فمه ، وكان يكـرّر ذلك إلّا أنّـه لم يكـن ليأكل شيئاً .

كانت طلعته متوهّجة أشدّ منها في السابق ، وعيناه حمراوين ساخنتين ، والدموع تدور في مآقيه بدون أن تتساقط ؛ وخلاصة الأمر فقد كان واضحاً جدّاً أنّ هذا التغيير والتأثّر أشدّ من كلّ ما سبقه ، فلقد كان يعلم أنّ هذه الساعة آخر لقاء له في الدنيا لن يعقبه غيره .

وحين لاحظ الرفقاء تلك الحال منه فإنّهم لم يستطيعوا تناول الطعام كما ينبغي ، وسرعان ما انتهى وقت تناول الطعام . ثمّ نهض السيّد بمجرّد أن كفّ الرفقاء عن الأكل فقال : أيّها السيّد محمّد الحسين ! إنّي ذاهب ! ثمّ غادر الغرفة .

وكان يتوجّب عليه أن يعبر من صحنين متتابعين كي يخرج من الباب الرئيسيّ ويذهب إلى المطار ، فكيف سيمكنه أن يفعل ذلك بمفرده ؟ مضافاً إلى أنّه لا تزال هناك ساعات عديدة على موعد الإقلاع . لهذا فقد أرسلت الحاجّ أبا أحمد عبد الجليل ليذهب في إثره فيرقبه عن كثب ولا يفارقه إلى وقت الإقلاع . وكنت أعلم أيضاً أنّ علَيّ أن أتحاشى التواجد في الأماكن التي يحتمل أن يقع نظره علَيّ فيها .

ثمّ عاد الحاجّ أبو أحمد عبد الجليل وقال : لقد ذهب السيّد لتجديد وضوئه ثمّ تشرّف بالذهاب إلى الحرم . ولذلك فلم أتشرّف بالذهاب إلى الحرم ذلك اليوم إلى غروب الشمس لئلّا يكون السيّد هناك ، وبقيت في إحدى الغرف الواقعة في الجانب الشرقي من الصحن . ثمّ إنّي طلبتُ من الحاجّ أبي أحمد عبد الجليل أن لا يأتي لتوديعي بسبب مرضه وانحراف مزاجه وقلّة نومه ليلة البارحة ومراقبته الأكيدة لحال السيّد الحدّاد . وهكذا

فقد ودّعته فأخلد هو للنوم ، ثمّ ذهب الحقير في معيّة المضيّف الكريم بعد منتصف الليل إلى مطار دمشق لأعود إلى طهران .

أَدِرْ ذِكْـرَ مَـنْ أَهْـوَى وَلَـوْ بِـمَلَامِ
فَـإِنَّ أَحَـادِيثَ الحَـبِيبِ مُـدَامِـي

لِيَشْهَدَ سَـمْعِي مَـنْ أُحِبُّ وَإِنْ نَأَى
بِـطَيْفِ مَـلَامٍ لَا بِـطَيْفِ مَـنَامِ

فَلِي ذِكْرُهَا يَحْلُو عَلَى كُـلِّ صِـيغَةٍ
وَإِنْ مَـزَجُوهُ عُـذَّلِي بِـخِصَامِ

كَأَنَّ عَـذُولِي بِـالوِصَالِ مُـبَشِّرِي
وَإِنْ كُـنْتُ لَـمْ أَطْـمَعْ بِـرَدِّ سَـلَامِ

بِرُوحِيَ مَنْ أَتْلَفْتُ رُوحِـي بِـحُبِّهَا
فَحَانَ حِـمَامِي قَـبْلَ يَـوْمِ حِـمَامِي

وَمِنْ أَجْلِهَا طَابَ افْتِضَاحِي وَلَذَّ لِي
اطِّرَاحِـي وَذُلِّـي بَـعْدَ عِـزِّ مَـقَامِي

وَفِيهَا حَلَالِي بَـعْدَ نُسْكِـي تَـهَتُّكِي
وَخَـلْعُ عِـذَارِي وَارْتِكَـابُ أَثَـامِي

أُصَلِّي فَأَشْدُو حِـينَ أَتْـلُو بِـذِكْرِهَا
وَأَطْرَبُ فِي المِحْرَابِ وَهْيَ إمَامِي

وَبِالحَجِّ إنْ أَحْرَمْتُ لَـبَّيْتُ بِـاسْمِهَا
وَعَنْهَا أَرَى الإمْسَاكَ فِـطْرَ صِـيَامِي

وَشَأْنِي بِشَأْنِي مُعْرِبٌ ، وَبِمَا جَرَى
جَرَى ، وَانْـتِخَابِي مُـعْرِبٌ بِـهَيَامِي

أَرُوحُ بِــــقَلْبٍ بِـــالصَّبَابَةِ هَــائِمٍ
وَأَغْــــدُو بِــطَرْفٍ بِــالكَآبَةِ هَــامِ
فَــقَلْبي وَطَــرْفِي ذَا بِـمَعْنَى جَـمَالِهَا
مُـــــعَنًّى وَذَا مُـــــغْرىً بِـلِينِ قَــوَامِ
وَنَـوْمِيَ مَـفْقُودٌ ، وَصُـبْحِي لَكَ البَـقَا
وَسُـــــهْدِيَ مَــوْجُودٌ وَشَــوْقِيَ نَــامِ
وَعَقْدِي وَعَهْدِي لَمْ يُحَلَّ وَلَـمْ يَـحُلْ
وَوَجْـــدِيَ وَجْـدِي وَالغَـرَامُ غَـرَامِـي
يَشِفُّ عَنِ الأَسْرَارِ جِسْمِي مِنَ الضَّنَى
فَــيَغْدُو بِــهَا مَــعْنىً نُـحُولُ عِـظَامِي
طَــرِيحُ جَـوَى حُبٍّ جَـرِيحُ جَـوَانِـحٍ
قَـــــرِيحُ جُــــفُونٍ بِــالدَّوَامِ دَوَامِــي
صَرِيحُ هَوىً جَارَيْتُ مِنْ لُطْفِيَ الهَـوَا
سُــــحَيْراً فَأَنْــفَاسُ النَّسِــيمِ لِــمَامِي
صَــحِيحٌ عَـلِيلٌ فَـاطْلُبُونِي مِـنَ الصَّـبَا
فَــفِيهَا كَـــمَا شَـــاءَ النُّــحُولُ مُـقَامِي
خَفِيتُ ضَنىً حَتَّى خَفِيتُ عَنِ الضَّـنَى
وَعَـــنْ بُــرْءِ أَسْــقَامِي وَبَـرْدِ أُوَامِـي
وَلَــمْ يُــبْقِ مِــنِّي الحُبُّ غَــيْرَ كَآبَـةٍ
وَحُـــــزْنٍ وَتَـــبْرِيحٍ وَفَــرْطِ سَــقَامِ
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَدْرِي مَكَانِي سِوَى الهَوَى
وَكِــتْمَانَ أَسْــرَارِي وَرَعْــيَ ذِمَامِي

فَأَمَّا غَرَامِي وَاصْطِبَارِي وَسَلْوَتِي
فَلَمْ يَبْقَ لِي مِنْهُنَّ غَيْرُ أَسَامِي
لِيَنْجُ خَلِيٌّ مِنْ هَوَايَ بِنَفْسِهِ
سَلِيماً وَيَا نَفْسُ اذْهَبِي بِسَلَامِ
وَقَالَ : اسْلُ عَنْهَا لَائِمِي وَهْوَ مُغْرَمٌ
بِلَوْمِي فِيهَا قُلْتُ : فَاسْلُ مَلَامِي
بِمَنْ أَهْتَدِي فِي الحُبِّ لَوْ رُمْتُ سَلْوَةً
وَبِي يَقْتَدِي فِي الحُبِّ كُلُّ إِمَامِ
وَفِي كُلِّ عُضْوٍ فِيَّ كُلُّ صَبَابَةٍ
إِلَيْهَا وَشَوْقٍ جَاذِبٍ بِزِمَامِي
تَثَنَّتْ فَخِلْنَا كُلَّ عِطْفٍ تَهُزُّهُ
قَضِيبَ نَقاً يَعْلُوهُ بَدْرُ تَمَامِ
وَلِي كُلُّ عُضْوٍ فِيهِ كُلُّ حَشىً بِهَا
إِذَا مَا رَنَتْ وَقْعٌ لِكُلِّ سِهَامِ
وَلَوْ بَسَطَتْ جِسْمِي رَأَتْ كُلَّ جَوْهَرٍ
بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ كُلُّ غَرَامِ
وَفِي وَصْلِهَا عَامٌ لَدَيَّ كَلَحْظَةٍ
وَسَاعَةُ هِجْرَانٍ عَلَيَّ كَعَامِ
وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا عِشَاءً وَضَمَّنَا
سَوَاءُ سَبِيلَيْ دَارِهَا وَخِيَامِي
وَمِلْنَا كَذَا شَيْئاً عَنِ الحَيِّ حَيْثُ لَا
رَقِيبٌ وَلَا وَاشٍ بِزُورِ كَلَامِ

فَرَشْتُ لَهَا خَدِّي وِطَـاءً عَـلَى الثَّـرَى
فَـقَالَتْ : لَكَ البُشْـرَى بِـلَثْمِ لِثَامِي
فَـمَا سَـمَحَتْ نَـفْسِي بِـذَلِكَ غَـيْرَةً
عَـلَى صَـوْنِهَا مِـنِّي لِـعِزِّ مَـرَامِـي
وَبِتْنَا كَمَا شَاءَ اقْتِرَاحِـي عَـلَى المُـنَى
أَرَى المُلْكَ مُلْكِي وَالزَّمَـانَ غُـلَامِي[١]

مدّة حياة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد بعد العودة من الشام ، ورحيله في كربلاء المشرّفة

كان رحيل السيّد في الثاني عشر من شهر رمضان المبارك لسنة ألف وأربعمائة وأربعة هجريّة قمريّة ، ومن هنا فإنّ مدّة بقائه في هذه الدنيا بعد العودة من الشام كانت أربع سنوات وسبعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، فقد علمنا أنّه عاد من الشام في اليوم السابع عشر من شهر محرّم الحرام لسنة ألف وأربعمائة هجريّة قمريّة ، وكان رحيله في سنّ السادسة والثمانين .

وكان السيّد قد استفسر بعد عودته من الشام بعدّة شهور من أحد المقيمين الإيرانيّين في العراق ممّن لهم معرفة سابقة بي : هل تشرّف السيّد محمّد الحسين بالذهاب إلى مشهد المقدّسة أم لا ؟! فأجابه : لا علم لي بذلك في الوقت الحاضر . وكان الحقير قد عمل بعد العودة إلى طهران على ترتيب أُموره بأسرع وقت ، وتشرّفت بالذهاب إلى مشهد المقدّسة في اليوم السادس والعشرين من شهر جمادى الأُولى لسنة ألف وأربعمائة

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٦٢ إلى ١٦٥ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ . ق.

هجريّة قمريّة قاصداً الإقامة فيها ، وكان قد انقضى على عودتي من الشام أربعة أشهر وعدّة أيّام . ثمّ كتبت فوراً بعد إقامتي في مشهد رسالة إلى السيّد أعلمته فيها خبر وصولي ؛ وكنت قد كتبت إليه رسالة أُخرى بيّنت له فيها عزمي على ذلك في أوّل فرصة ممكنة .

وحيث كان بريد العراق ـ إيران ممنوعاً ، لم تكن رسائلي تصل إلى سماحته مباشرة فقد كنت غالباً ما أرسل إليه رسائل عبر طريق الكويت أو الشام ، فتصل إلى سماحته بواسطة الرفقاء هناك ، حيث كان عبورها ممكناً ، لذا فقد كان الاطّلاع على أحوال سماحة السيّد والحصول على المعلومات منحصراً برسائلهم ، أمّا سماحته فلم يكتب للحقير أيّة رسالة بخطّ يده .

وقد صادف مرض السيّد ورحيله نفس زمن مرض الحقير ، فقد ابتليت في أواخر شهر جمادى الأُولى لسنة ألف وأربعمائة وأربع هجريّة قمريّة بمرض اليرقان الناشئ من انسداد كيس الصفراء . فرقدتُ في مستشفى «القائم» في مدينة مشهد المقدّسة أربعين يوماً ، ثمّ خرجت منها في أوائل شهر رجب بعد إجراء عمليّة جراحيّة واستخراج كيس الصفراء ، حيث تحسّنت صحّتي آنذاك .

وكان السيّد قد ابتلي بالمرض في نفس الوقت ، ولم تثمر الجهود التي بذلها أولاده لمعالجته وخاصّة ولده السيّد حسن ، حتّى أنّه أخذه إلى بغداد فرقد في المستشفى ، لكنّ ذلك كلّه لم يُجدِ نفعاً .

وكان السيّد يقول : إنّ حالتي جيّدة ، فَلِمَ تتعبون أنفسكم إلى هذا الحدّ ؟ ولكن أنّى لأولاده الصبر على ذلك ، وباعتقاد الحقير فإنّهم كانوا يسبّبون الأذى للسيّد ، فيجرّونه إلى هذا الجانب أو ذاك من أجل تسكين خواطرهم وتهدئة قلوبهم . حتّى ارتحل أخيراً إلى فِناء الأبديّة ، بعد شهرين من تحسّن حال الحقير ، وأبدل ثيابه القديمة بخلعة دائميّة ، وارتدى تلك

الحلل من **الإِسْتَبْرَقِ وَالسُّنْدُسِ** مع الذين هم **عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ** .

هذا وقد قامت ابنته المخدّرة العلويّة فاطمة وأحفاده السيّد عبّاس والسيّد موسى أولاد السيّد حسن بالفرار من جور صدام اللعين إلى الأردن ثمّ إلى إيران ، حيث يقيمون حاليّاً في مشهد المقدّسة . وقد نقلوا جميعهم أنّهم كانوا قد أرقدوا السيّد قرب رحيله في مستشفى كربلاء ، وكان طبيبه الخاصّ المعالج هو الدكتور **السيّد محمّد الشروفيّ** وهو من المعارف والأصدقاء .

ثمّ يقول السيّد للدكتور المعالج يوم الثاني عشر من شهر رمضان قبل الغروب بحوالي ثلاث ساعات : اسمح لي بالذهاب إلى المنزل ، فالسادة قد شرّفوا بالحضور وهم ينتظرونني !

فيقول الدكتور : لا إمكان لذهابك إلى البيت مطلقاً .

فيقول له السيّد : أُقسم عليك بجدّتي فاطمة الزهراء أن تدعني أذهب ! إنّ السادة مجتمعون في انتظاري ، وسأرحل عن الدنيا بعد ساعة !

وحين يسمع منه الدكتور قسمه المغلّظ ويطرق سمعه اسم فاطمة الزهراء عليها السلام فإنّه يسمح له بالذهاب ويقول لمن حوله : إن حالته مُرضية فعلاً ، ولن يموت بهذه السرعة .

ثمّ يأتي السيّد فوراً إلى المنزل ، وكان أولاد **الحاجّ صمد الدلّال** (عديله) وهم أبناء خالة أولاده في المنزل آنذاك . فيسألونه عن الآية الكريمة : **إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ؛ ما المقصود بالقول الثقيل في هذه الآية ؟ هل أُريد به هبوط جبرائيل ؟

فيقول مجيباً : ليس لجبرائيل ثقل أمام عظمة رسول الله ليُعبَّر عنه بالقول الثقيل ، بل **إنّ المراد بالقول الثقيل : هو ؛ لَا هُوَ إِلَّا هُو !**

ثمّ يطلب أن يؤتى بحنّاء ، وعلى عادة العرسان الشبّان العرب الذين

يقومون قبل زفافهم بخضب أيديهم وأرجلهم بالحنّاء ، فإنّ السيّد يقوم بخضب أصابع وأظفار قدميه بالحنّاء ، ثمّ يقول : أخلوا الغرفة !

ثمّ يرقد مستقبلاً القبلة ، وتمرّ لحظات ثمّ يدخلون الغرفة فيجدونه قد أسلم الروح .

يقول الدكتور السيّد محمّد الشروفيّ : لقد ذهبت إلى منزل السيّد تبعاً لقوله «سأرحل بعد ساعة» لأرى ما سيحدث ! فشاهدت السيّد نائماً مستقبلاً القبلة ، فوضعت السمّاعة على قلبه فرأيته متوقّفاً عن الحركة .

ويضيف أولاد السيّد : ثمّ ينهض الدكتور ويخبط سمّاعته على الأرض ويجهش بالبكاء . ثمّ يشارك بنفسه في مراسم التكفين والتشييع .

وقد جرى غسل بدن السيّد وتكفينه ليلاً ، وتجمّع عدد غفير غير متوقّع ، سواء من أهالي كربلاء أم من المناطق الأُخرى لا يعرفهم أحد ، فحملوه والفوانيس الكثيرة في أيديهم إلى الحرمين المطهّرينِ لأبي عبد الله الحسين وأبي الفضل العبّاس عليهما السلام وطافوا به تلك المراقد الشريفة ، ثمّ واروه الثرى في «وادي الصفا» بكربلاء في المقبرة الخاصّة التي أعدّها له ولده السيّد حسن هناك . **رَحْمَةُ اللَهِ عَلَيْهِ رَحمَةً واسِعَةً ، وَرَزَقَنَا اللَهُ طَيَّ سَبِيلِهِ وَمِنْهَاجَ سِيرَتِهِ ، وَالحَشْرَ مَعَهُ وَمَعَ أَجْدَادِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ .**

عجب از كشته نباشد به در خيمهٔ دوست

عجب از زنده كه چون جان بدر آورد سليم[1]

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَـٰهَدُوا ٱللَهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن

١ـ يقول : «لا عجب من القتيل بباب خيمة الحبيب ، بل العجب من الذي ظلّ حيّاً بعد دخولها».

يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا.[1]

* * *

قَـــلْبِي يُـــحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُـتْلِفِي
رُوحِي فِدَاكَ عَـرَفْتَ أَمْ لَـمْ تَـعْرِفِ
لَمْ أَقْضِ حَقَّ هَوَاكَ إنْ كُـنْتُ الَّـذِي
لَمْ أَقْضِ فِيهِ أَسَىً وَمِـثْلِي مَـنْ يَـفِي
مَا لِي سِـوَى رُوحِـي وَبَـاذِلُ نَـفْسِهِ
فِي حُبِّ مَـنْ يَـهْوَاهُ لَـيْسَ بِـمُسْرِفِ
فَـلَئِنْ رَضِـيتَ بِـهَا فَـقَدْ أَسْـعَفْتَنِي
يَـا خَـيْبَةَ المَسْـعَى إذَا لَـمْ تُسْـعِفِ
يَـا مَـانِعِي طِـيبَ المَـنَامِ وَمَـانِحِي
ثَوْبَ السَّـقَامِ بِـهِ وَوَجْـدِي المُـتْلِفِ
عَطْفاً عَـلَى رَمَـقِي وَمَـا أَبْـقَيْتَ لِـي
مِنْ جِسْمِيَ المُضْنَى وَقَلْبِي المُدْنَفِ
فَــالوَجْدُ بَــاقٍ وَالوِصَــالُ مُـمَاطِلِي
وَالصَّـــبْرُ فَــانٍ وَاللِــقَاءُ مُسَــوِّفِي
لَمْ أَخْلُ مِنْ حَسَدٍ عَلَيْكَ فَـلَا تُـضِعْ
سَــهَرِي بِـتَشْنِيعِ الخَـيَالِ المُـرْجِفِ
وَاسْأَلْ نُجُومَ اللَيْلِ : هَلْ زَارَ الكَرَى
جَفْنِي ، وَكَيْفَ يَزُورُ مَنْ لَـمْ يَـعْرِفِ

١ـ الآية ٢٣ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

لَا غَرْوَ إنْ شَحَّتْ بِغُمْضِ جُفُونِهَا
عَيْنِي وَسَحَّتْ بِالدُّمُوعِ الذُّرَّفِ

ثمّ يستمرّ ابن الفارض في نفس هذا المعنى والمضمون حتّى يصل إلى قوله :

يَا أَهْلَ وُدِّي ! أَنْتُمُ أَمَلِي وَمَنْ
نَادَاكُمُ يَا أَهْلَ وُدِّي قَدْ كُفِي
عُودُوا لِمَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الوَفَا
كَرَماً فَإنِّي ذَلِكَ الخِلُّ الوَفِي
وَحَيَاتِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ قَسَماً ، وَفِي
عُمْرِي بِغَيْرِ حَيَاتِكُمْ لَمْ أحْلِفِ
لَوْ أَنَّ رُوحِي فِي يَدِي وَوَهَبْتُهَا
لِمُبَشِّرِي بِقُدُومِكُمْ لَمْ أُنْصِفِ
لَا تَحْسَبُونِي فِي الهَوَى مُتَصَنِّعاً
كَلَفِي بِكُمْ خُلُقٌ بِغَيْرِ تكَلُّفِ
أَخْفَيْتُ حُبَّكُمُ فَأَخْفَانِي أَسَىً
حَتَّى لَعَمْرِي كِدْتُ عَنِّي أَخْتَفِي
وَكَتَمْتُهُ عَنِّي فَلَو أَبْدَيْتُهُ
لَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ اللُّطْفِ الخَفِي

حتّى يصل إلى قوله :

غَلَبَ الهَوَى فَأَطَعْتُ أَمْرَ صَبَابَتِي
مِنْ حَيْثُ فِيهِ عَصَيْتُ نَهْيَ مُعَنِّفِي
مِنِّي لَهُ ذُلُّ الخُضُوعِ ، وَمِنْهُ لِي
عِزُّ المَنُوعِ ، وَقُوَّةُ المُسْتَضْعِفِ

أَلِفَ الصُّدُودَ ، وَلِي فُؤَادٌ لَمْ يَزَلْ
مُذْ كُنْتُ غَيْرَ وِدَادِهِ لَمْ يَأْلَفِ
يَا مَا أُمَيْلِحَ كُلَّ مَا يَرْضَى بِهِ
وَرُضَابُهُ يَا مَا أُحَيْلَاهُ بِفِي
لَوْ أَسْمَعُوا يَعْقُوبَ ذِكْرَ مَلَاحَةٍ
فِي وَجْهِهِ نَسِيَ الجَمَالَ اليُوسُفِي
أَوْ لَو رَآهُ عَائِداً أَيُّوبُ فِي
سِنَةِ الكَرَى قِدْماً مِنَ البَلْوَى شُفِي
كُلُّ البُدُورِ إذَا تَجَلَّى مُقْبِلاً
تَصْبُو إلَيْهِ وَكُلُّ قَدٍّ أَهْيَفِ
إنْ قُلْتُ : عِنْدِي فِيكَ كُلُّ صَبَابَةٍ
قَالَ : المَلَاحَةُ لِي ، وَكُلُّ الحُسْنِ فِي
كَمَلَتْ مَحَاسِنُهُ ، فَلَوْ أَهْدَى السَّنَا
لِلْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ لَمْ يُخْسَفِ
وَعَلَى تَفَنُّنِ وَاصِفِيهِ بِحُسْنِهِ
يَفْنَى الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوصَفِ
وَلَقَدْ صَرَفْتُ لِحُبِّهِ كُلِّي عَلَى
يَدِ حُسْنِهِ فَحَمِدْتُ حُسْنَ تَصَرُّفِي

حتّى يصل إلى هذه الأبيات في خاتمة هذا الشعر الغزليّ :

يَا أُخْتَ سَعْدٍ مِنْ حَبِيبِي جِئْتِنِي
بِرِسَالَةٍ أَدَّيْتِهَا بِتَلَطُّفِ

فَسَمِعْتُ مَا لَمْ تَسْمَعِي ، وَنَظَرْتُ مَـا
لَمْ تَنْظُرِي ، وَعَرَفْتُ مَـا لَـمْ تَـعْرِفِي
إنْ زَارَ يَـوْماً يَـا حَشَـايَ تَـقَطَّعِي
كَلَفاً بِـهِ ، أَوْ سَـارَ يَـا عَـيْنُ اذْرِفِـي
مَـا لِـلنَّوَى ذَنْبٌ وَمَـنْ أَهْـوَى مَـعِي
إنْ غَابَ عَنْ إنْسَانِ عَيْنِي فَـهْوَ فِـي[1]

* * *

سینه‌ام ز آتش دل در غـم جـانانه بسـوخت
آتشی بود دریـن خـانه کـه کـاشانه بسـوخت
تـن از واسـطۀ دوری دلبـر بگـداخت
جـانم از آتش مـهر رخ جـانانه بسـوخت
سوز دل بین که ز بس آتش و اشکم دِل شمع
دوش بر من ز سر مهر چو پروانـه بسـوخت
مـاجرا کـم کـن و بـازآ کـه مـرا مـردم چشـم
خرقه از سر بدر آورد و بشکرانـه بسـوخت[2]

١ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٥١ إلى ١٥٥ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ . ق.

٢ـ «ديوان الخواجة حافظ الشيرازيّ» ص ١٥ ، الغزل ٢٧ ، طـبعة پـژمان ، انـتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ . ق.

يقول : «قد تلظّى صدري بنار القلب من هجر الحبيب ، فقد احترق العشّ والمأوى من نارٍ في هذا البيت شعواء.

ذاب لبُعد مَن خطف القلب جسمي ، واصطلت بشمس وجنته المزهرة روحي.

فتطلّع إلى حرقة قلبي كيف رقّ لحرارة دمعي قلبُ الشمع ، فتداعى كالفراشة محترقاً فيه.

فدع الهجرَ والعذلَ وأقبِلْ ، فقد جرّد سوادُ عيني رداءه وأحـرقه شكراً (إشـارة إلى ⇦

هــر كـه زنـجير سـر زلف گـرهگير تـو ديـد
دل سـودا زده‌اش بـر مـن ديـوانـه بسـوخت
آشــنائى نــه غــريبست كـه دلسـوز منست
چون من از خويش برفتم دل بيگانه بسوخت
خــــرقهٔ زهــــدِ مــرا آب خــرابــات بــبرد
خــانهٔ عــقل مــرا آتش خــمخانه بسـوخت
چــون پـياله دلم از تـوبه كـه كـردم بشكست
همچو لاله جگرم بى مى و پـيمانه بسـوخت
ترک افسـانه بگـو حـافظ و مـى نـوش دمـى
كه نخفتم به شب و شمع به افسانه بسوخت [١]

إنّ أحــداً لم يـدرك رمـوز الحـاجّ السـيّد هـاشم ولطـائفه وإشـاراتـه ودلالاته ، أو أنّه فهمها فتغافل عنها ، لأنّه كان يحبّ ألّا يكفّ عن عادته المحضة وأعماله الرتيبة التي يقوم بها يوميّاً ، مؤمّلاً نفسه بشكلٍ لا مـعنى فيه ، وبظاهرٍ لا باطن له ، وبمجازٍ لا حقيقة له ، وبوهمٍ بلا عقل ، وبانشغال

⇦ عادة الندماء من العجم حين يصطلح منهم اثنان بعد كدر ، فإنّ الساعي للصلح منهما يخلع رداءه فيُحرقه شكراً).

١ـ يقول : «احترق لأجلي ـ أنا العاشق المجنون ـ قلبُ كلّ من شاهد غلّ ذؤابتك، وأُصيبَ بالسوداء!

لقد احترق لضياعي وذهولي قلبُ الغريب ، فلا غرابة إن رقّ لحالي الأصدقاء!

جرف خرقة زهدي سيلُ مياه الخمّارة ، وأحرق عقلي لهبُ الحانة المتّقد.

انكسر من توبتي ـ كما يتحطّم الكأس ـ قلبي ؛ واشتعل لفراق الشراب والحانة كبدي كشقائق نعمانٍ حمراء!

فاترك الأساطير يا «حافظ» وارشف الكأس هنيئةً ، فقد سهرنا واحترق الشمع بأُسطورة واهية!».

بلا شهود ، وبأعمالٍ يسيرة بلا عمق مجاهدات ولا تذوّق لمرارة الصبر والاحتمال والاستقامة في مجاهدة النفس الأمّارة ، متنصّلاً بذلك عن حمل الولاية الثقيل .

كان الحاجّ السيّد هاشم يقول : ذهبتُ يوماً لرؤية فلان في الفندق الذي كان يقيم فيه في الكاظميّة ، فرأيته واقفاً مع زوجته وقد حزما حقائبهما وأمتعتهما وهما ينويان السفر إلى الحجّ بعد كرّات ومرّات لا يعلم إلّا الله عددها ؛ فصرختُ به : أنت تسافر يوميّاً إلى كربلاء ، وإلى مشهد ، وإلى مكّة ؛ فمتى إذاً تسافر إلى الله ؟

ومع أنّه فهم كلامي حقّ الفهم وأدركه جيّداً ، لكنّه تجاهله وتظاهر بعدم فهمه ، فابتسم في وجهي وودّعني قائلاً : اقرأ لي دعاء السفر ! ثمّ أمسك بالحقائب ليخرجها استعداداً للسفر .

كان الحاجّ السيّد هاشم يقول : لقد شوهد من بعض الناس ـ حتّى أُولئك الذين يُدعون بالسالكين ومن الذين يدّعون انتهاج السبيل إلى الله ـ أنّ قصدهم الحقيقيّ من هذه الأسفار ليس الله تعالى ، بل إنّهم يسافرون من أجل الأُنس الذهنيّ بمُدركاتهم السابقة وللانشغال بالتخيّل والوهم والتصوّر ، كما يسافر البعض الآخر لتحصيل مكان للخلوة زمناً مع رفقائهم أو أصدقائهم القدماء في تلك الأماكن المقدّسة .

ولأنّ هؤلاء لم يذهبوا ولا يذهبون ولا يريدون أن يذهبوا في قصد الله ، فإنّك لو قدّمت لهم الله بكلتا يديك والعياذ بالله وأريته لهم كالشمس ، فإنّهم لن يقبلوا بذلك ، وأمثال هؤلاء لن يصلوا أبداً إلى الكمال .

وعليه ، فإنّ هؤلاء لن ينهلوا في جميع هذه الأسفار شيئاً من منهل التوحيد، ولن يُسقوا من ماء الولاية العذب جرعة ، وسيعودون ظماء ، فيُنهون أعمارهم بتلك القصص والحكايات وبيان أحوال الأولياء ،

وبالانشغال بالأشعار العرفانيّة أو الأدعية والمناجاة الصوريّة بلا محتوى .

لقد كان الحاجّ السيّد هاشم في توحيد الحقّ رجلاً صريح اللهجة ، قويّ البنيان ، متين الإرادة ، سريع النفوذ ، وكان يوضّح ويتكلّم ويبيّن بالأدلّة بلا بخل ولا إغماض .

إنّ أولياء الحقّ لا يمكن للإنسان بألف حيلة وخُدعة أن يستخلص من أحدهم جُملة واحدة ، فهم في الكتمان أقوياء بحيث إنّ بعضهم قد تجاوز الحدّ في ذلك إلى الإفراط . أمّا الحاجّ السيّد هاشم ـ روحي وأرواح جميع ولدي وأُسرتي وكلّ من يتعلّق بي فداه حقّاً ـ فقد كان مبادراً في إعطاء تلك المعارف لا يبخل ولا يتضايق ، بحيث يرد الشكّ على الإنسان : هل على وليّ الله أن يوسّع دعوته إلى هذا الحدّ ؟ وأن يبحث عن أفراد يليقون بإدراك كلامه ويتحرّكون في مسار نهجه ؟

لم يكن السيّد ليقول شيئاً لمن لا استعداد له ولا لياقة ، لكنّه كان يحبّ أن يصبح الأفراد لائقين مؤهّلين ، أو أن يوجد أفراد مستعدّون لائقون ليُلقي إليهم تلك المعاني الراقية والمدركات العالية التي تنشأ من عالم الملكوت الأعلى .

ولكن ـ ويا للأسف الشديد ـ فقد قال وعمل وتابع ودعا ، وذهب للقاء أُولئك في الفندق ، فلم يقبلوا أن ينفضوا أيديهم من حطام الدنيا ويعودوا إلى مولاهم الحقيقيّ بأيدٍ خالية .

إنّ السيّد لم يقل : لا تذهب للحجّ ! لا تذهب إلى مكّة والمدينة ! لا تذهب إلى كربلاء والنجف ! فقد تذوّق هو حقيقة الحجّ وروح الولاية وفهم طعمها الواقعيّ ، لكنّه كان يقول : ابحث لحظةً عن معرفة ذاتك ونفسك ، وتأمّل دقيقةً في حالك لتجد نفسك فتجد ربّك ، وستصطبغ آنذاك جميع أسفارك بالصبغة الإلهيّة ، وستذهب مع الله ومن الله وإلى الله . ولو

سرت حينذاك في جميع العالم بل في جميع العوالم ، لما كان في ذلك ضرر لك ، لأنّك ستكون قد سافرت مع الله عرفان ذاته القدسيّة .

لقد قال السيّد هاشم فلم يسمعوا ، ثمّ رحل السيّد هاشم ؛ فليأتوا وليفتّشوا جميع العالم زاوية زاوية ولينيروها بالشمع ، فأنّى لهم أن يجدوا السيّد هاشم ؟ وأنّى أن يوجد السيّد هاشم ؟ لقد مرّت أكثر من سنوات ثمان على رحيله ، فما الذي وصلوا إليه وحصلوا عليه ؟

كان ينبغي أن يكون هناك الخواجة حافظ ليفهم كلام السيّد هاشم ، كما قد فعل السيّد بكلام الخواجة حافظ ؛ وكان ينبغي أن يكون هناك ابن الفارض ليُدرك كلامه ، تماماً كما كان هو الذي يُدرك كلام ابن الفارض .

لذلك ترون أن الحقير قد أكثر من ذكر اسم هذين العارفين المشهورَين الإيرانيّ والعربيّ ، فقد كان ذلك باعتبار أنّ السيّد هاشم كان قد نال بِيَدِه مشارف ذلك الأُفق . لكنّه باعتبار أنّ معرفته بالعربيّة كانت أكثر منها بالفارسيّة فقد كان يُكثر من قراءة أشعار ابن الفارض ويأنس بها على وجه خاصّ .

وحسب عقيدة الحقير فإنّ أشعار ابن الفارض أقوى وأمتن من أشعار الخواجة حافظ ، بَيدَ أنّ أشعار الخواجة أرقّ من أشعار ابن الفارض ؛ أمّا في السير والسلوك والبداية والنهاية ، فقد وصل كلاهما إلى غاية درجات العرفان وأتمّا الأسفار الأربعة . وعلينا الآن أن نذهب إلى مزار السيّد هاشم مترنّمين بهذه النغمات الإلهيّة فنقول :

اى نسيم سحر آرامگه يار كجاست

منزل آن مه عاشق كش عيّار كجاست[1]

١ـ «ديوان الخواجة حافظ الشيرازيّ» ص ١٨ ، الغزل ٣٥ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ . ق. ⇦

شب تـــار است و ره وادی ایــمن در پـیش
آتش طـور کـجا مـوعد دیـدار کـجاست
هـر کـه آمـد بـه جـهان نـقش خـرابـی دارد
در خــرابـات نـپرسند کـه هشـیار کـجاست
آنکس است أهل بشارت کـه إشـارت دانـد
نکته‌ها هست بسـی مـحرم أسـرار کـجاست
هــر سـر مـوی مـرا بـا تـو هـزاران کـارست
مــا کــجائیم و مــلامتگر بــیکار کــجاست
بــاز پــرسید ز گـیسویِ شکـن در شکـنش
کاین دل غمزده سـرگشته گـرفتار کـجاست
عـقل دیـوانـه شـد آن سـلسلهٔ مشکـین کـو
دل ز ما گوشه گرفت ابروی دلدار کجاست[1]

⇦ يقول: «دُلّني يا نسيم الأسحار أين منزل الحبيب؟ وأين حطّ الرحال ذلك القمر الساحر قاتل العشّاق؟».

١ـ يقول: «الليل بهيمٌ، والوادي الأيمن تلقاء وجوهنا، فقل أين نار الطور، وأين موعد اللقاء؟

كلّ من جاء إلى الدنيا فقد جاء ليفنى، فأنشد الجلّاس في الحانة هل من رجل صاحٍ تبقّى؟

إنّ اللبيب الفاهم بأدنى إشارة أهلٌ للبشارة؛ وما أكثر النكات والأسرار، ولكن أين اللائق بحفظها؟

لكلّ طرف شعرة منّي ألف رابطة بك؛ فأين منّا والعاذل الغارق في البطالة؟
سَلْ طيّات ذؤابته الجعدة، أين تردّى هذا القلب المغموم الهائم الأسير؟

جُنّ عقلي، فأين السلسلة السوداء (لذوائب الحبيب) لأُوثقه؛ وأعرض القلبُ فأين حاجب الحبيب أناشده عنه؟».

ساقى و مطرب و مى جمله مهيّاست ولى
عيش بى يار مهيّا نشود يار كجاست
حافظ از باد خزان در چمن دهر مرنج
فكر معقول بفرما گل بى خار كجاست[1]

* * *

غَيْرِي عَلَى السُّلْوَانِ قَادِرْ　　وَسِوَايَ فِي العُشَّاقِ غَادِرْ
لِـي فِـي الغَـرَامِ سَـرِيرَةٌ　　وَاللَّـهُ أَعْـلَمُ بِـالسَّرَائـرْ[2]

* * *

يَا رَاحِلاً وَجَمِيلُ الصَّـبْرِ يَـتْبَعُهُ　　هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إلَى لُـقْيَاكَ يَـتَّفِقُ
مَا أَنصَفَتْكَ جُفُونِي وَهْيَ دَامِـيَةٌ　　وَلَا وَفَى لَكَ قَلْبِي وَهْوَ يَحْتَرِقُ[3]

مجمل وخلاصة المطالب السابقة في معرفة سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد روحي فداه

١ـ يقول : «حضر المطرب والساقي والخمر معاً ، بَيدَ أنّ العيش من غير حبيبٍ سيُكدّر ؛ أين خِلّي ؟

ويا «حافظ» لا يكدّرنّك الفراق والهجر في مرتع الدهر ، وتأمّل بعقلك أكان لورد بلا شوكةٍ مِن مِثال ؟».

٢ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٨٠ ؛ ويقول في التعليقة عليه : نُسبت هذه القصيدة لابن الفارض ، مع أنّها مثبتة في «ديوان البهاء» لزهير ، وذكر زمن إنشائها في يوم الخميس، الخامس من محرّم لسنة ٦٤١ هجريّة . وهي أشبه بشعر البهاء منها بشعر ابن الفارض وأُسلوبه؛ ودليلنا على هذا القول أن البورينيّ لم يذكر هذا الشعر في شرحه على ديوان ابن الفارض.

٣ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٨٣ .

لقد كتب الحقير الفقير بعد ارتحال أُستاذنا المكرّم وفقيهنا الأعظم آية الله المعظّم العلّامة الحاجّ السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ قدّس الله نفسه وروحه الزكيّة ، رسالةً في ذكراه باسم «مهر تابان» (= الشمس الساطعة) جرى طبعها ونشرها فطالعها جمع غفير من السادة الأعلام الأجلّاء ، فبهتوا وتحيّروا أن : يا للعجب ! أكان العلّامة كذا وكذا ونحن لا نعلم ؟! لماذا لم يكن لدينا علم بهذه الأُمور ؟! وكيف لم نطّلع عليها وقد كنّا نلتقي بالعلّامة يوميّاً في الطريق وفي المجالس والمحافل ؟! كيف فاتتنا هذه الحقائق وكان بيتنا في الشارع الذي يسكن فيه العلّامة ؟!

وحين ذكرت مطالبَ وأُموراً عن المرحوم آية الله الفقيه النبيل والمرجع الجليل في النجف الأشرف : **سماحة السيّد جمال الدين الگلبايگانيّ** أعلى الله تعالى مقامه في كتاب «معاد شناسي» (= معرفة المعاد) وطالعها الأصدقاء المحترمون والأعاظم المكرّمون فقد أثارت الدهشة كذلك أن : كيف يمكن أن نجهل هذه المطالب وقد كنّا في النجف الأشرف ؟! كيف وكنّا بعض أرحامه القريبين ؟!

وكان هناك أحد السادة الأعزّاء من أساتذة الحقير السابقين في قم ـ قرأت عليه قبل أربعين سنة قدراً من كتاب الطهارة وكتاب النكاح من «شرح اللمعة» ـ وممّن كانت تربطني به طيلة هذه المدّة علاقات المودّة والاحترام التي استمرّت إلى حين موته ، وكانت بيننا لقاءات متبادلة حميمة وكان التوفيق يحالفني للقائه في النجف أيضاً كلّما تشرّف بالقدوم للزيارة ، وهو حجّة الإسلام والمسلمين الحاجّ الشيخ عبد الحسين الوكيليّ الذي التحق بديار الرحمة الأبديّة منذ عدّة سنوات .

وقد طرق سمعي أنّه حضر يوماً في منزل أُستاذنا الآخر : الصديق المفخّم وفخر العشيرة المكرّم آية الله المعظّم **الحاجّ الشيخ مرتضى**

الحائريّ اليزديّ أعلى الله تعالى مقامهما في جمع من الحاضرين ، فقال في تعجّب ودهشة : ما هذه المطالب التي نجدها في كتب السيّد محمّد الحسين ؟ إنّنا نعرف العلّامة بالصدق والحقّ ، ونعرف المرحوم آية الله السيّد جمال الدين بصدق القول الذي لا شكّ فيه .

وممّا يثير العجب أنّ السيّد محمّد الحسين ينقل عن هذين الجليلين المعظّمين بلا واسطة ؛ ونحن لا نشكّ في صدق كلامه ، فكيف إذاً لم تطرق هذه المطالب أسماعنا حتّى الآن ؟! وكيف لم نطّلع عليها من قبل ؟!

لقد كان الحقير يعود يوماً من الحرم المطهّر لثامن الأئمّة عليهم السلام ، فشاهدتُ من بعيد في أحد ممرّات الحرم القريبة من الشارع المدعو بـ «بالا خيابان» شيخاً ضعيفاً متهالكاً يرتدي نظّارات سميكة وقد شاب شعر رأسه ولحيته ، وهو يسير بوقار واحترام آتياً صوب الحرم المطهّر للتشرّف بالزيارة .

ولم نشخّص بعضنا من بعيد ، لكنّنا حين اقتربنا من بعضنا فقد اعتنقنا وقبّل أحدنا الآخر .

سألتُه : ألستم الحاجّ الشيخ عبد الحسين الوكيليّ ؟ فقال للحقير فوراً : ألستم السيّد محمّد الحسين الطهرانيّ ؟

وكان ذلك باعثاً على العجب ، لأنّ آخر لقاء للحقير معه ـ خلال زيارته ـ حصل في زمن لم يكن الشيب قد تسرّب إلى رأسه ولحيته أو إلى رأسي ولحيتي ولو بشعرة واحدة ، وقد انقضى على ذلك حتّى الآن بحمد الله ومننه وآلائه زمنٌ طويل بحيث لم تعد تُرى في رأسه ولحيته ولا في رأسي ولحيتي شعرة سوداء واحدة ، وقد صارت نظّارتي سميكة أنا الآخر ؛ لذا فإنّ عدم تشخيصنا لبعضنا البعض من بعيد ثمّ تعرّف أحدنا على الآخر من قريب ومعانقتنا لبعضنا وإبداء مشاعر المحبّة من جانب الحقير والكرامة

والجلالة من قِبله لم يكن بالأمر المستبعد .

وعلى أيّة حال فقد قال الشيخ الوكيليّ للحقير في تلك الدقائق المعدودة بعد تبادل السلام والاستفسار عن الأحوال : لقد استعرتُ بعض كتبكم من سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن سيّدي القمّيّ (وهو ابن عمّة الحقير) ثمّ أعدتها له ، وأرغب في الحصول على كتبكم الباقية لمطالعتها وإعادتها . فوعده الحقير أن أقوم عند عودته بإرسال دورة كاملة من جميع مؤلّفاتي إليه في قم إن شاء الله تعالى للنقد والتحليل والجرح والتعديل ، ولله الحمد والمنّة فقد وفّيتُ بوعدي ، ثمّ إنّه ارتحل بعدها بسنوات .

وحين يكون أكثر الفضلاء بل معظمهم غافلين عن مثل هذه المطالب والأبحاث ، فما هو المتوقّع من أواسط الطلّاب ؟

وحين يكون الأعلام المشهورون أمثال العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ والسيّد جمال الدين الگلبايگانيّ مجهولين غير معروفين ، فما هو المتوقّع في شأن أمثال السيّد هاشم الحدّاد (النعلجيّ) الذي قضى عمره منزوياً لا يعلم جاره شيئاً عنه ، والذي يُعدّ رجلاً متوسّط الحال أو فقيراً من عامّة الناس ، والذي كان يُعدّ عند العلماء والفضلاء من عوامّ الناس غير ذوي الفضل والمكانة ؟!

ممّا يثير الأسف أنّ الدروس الأخلاقيّة العمليّة والسلوك والسير إلى الله والعرفان الشهوديّ والوجدانيّ غدت مهجورة ومتروكة كلّيّاً في الحوزات العلميّة هذه الأيّام .

أمّا في الحوزة العلميّة المقدّسة في قم ، فقد وصلت فيها دروس الحكمة المتعالية مرحلة النضج إلى حدّ ما ، وراجت فيها دروس العرفان (النظريّ لا العمليّ) في مستوىً ضعيف جدّاً ، بَيدَ أنّ ذلك ليس مغنياً ولا كافياً ، لأنّ دروس الحكمة لا تكفي لوحدها في إبلاغ الإنسان هدفه

ومقصوده، ولأنّ الأهمّ من هذه الأُمور هو مسألة تعليم وتربية الطلّاب بدروس تزكية وتهذيب الأخلاق العمليّة والعرفان الشهوديّ التي تعرّفنا حقيقة الإسلام والنبوّة والمعاد والولاية والقرآن، وتكشف لنا عن إنسانيّتنا في خاتمة المطاف.

ولم تكن هذه الدروس تفتقد فقط مَن يطلبها ويسعى إليها طوال المدّة التي كان الحقير مشغولاً فيها بالتحصيل في النجف الأشرف، بل إنّها كانت ممنوعة أيضاً، فلم يكن هناك حوزة لدروس الأخلاق ولا مجمع للتفسير وبيان المعارف، وكانت هذه الأُمور ممنوعة في مستوى الأفكار الحوزويّة العامّة.

لم يكن من أحد غير السيّد جمال، وكان هو الآخر يغطّي رأسه بعباءته حين يأتي للصلاة. ولم يكن لأحد اطّلاع على هذه المعاني منه، وإلّا لكانوا أخرجوه من النجف. وكان بعض أصحاب المكتبات الذين يعدّون بيع كتب الحكمة والفلسفة وشراءها حراماً استناداً إلى رأي بعض المراجع، إذا ما شاهدوا ضمن مجموعة الكتب التي يشترونها، كتابَ «**الأسفار**» للملّا صدرا أو **منظومة السبزواريّ** فلا يمسكونها إلّا بملقط خوفاً من تنجّس أياديهم!

وعليه، فقد كان ضروريّاً آنذاك أن يتخفّى من يريد دراسة المعارف والإلهيّات، وأن يعمل بالتقيّة. وإذا ما أراد طالب علم أن يبيت ليلة في مسجد الكوفة أو في مسجد السهلة، فإنّ عليه أن يفعل كما يفعل المهرّبون كي لا يشكّ به أحد ولئلّا يتغيّر نظر الحوزة إليه كلّيّاً.

والله وحده يعلم كم رُمينا بأنواع التُّهم، وكم أصبحنا هدفاً لأنواع الرمي والافتراء خلال مدّة إقامة الحقير في النجف، وكم تحمّلنا من المشاكل، وما واجهنا من المرارات الحقيقيّة للحياة، مع أنّ دروسنا

وجدّيّتنا كانت مشهودة . على أنّ ما جرّ إلينا هذه الويلات والمصائب كان مجرّد عدم مشاكلتنا للوضع الظاهريّ . وكان من المؤمّل أن تقام بعد الثورة الإسلاميّة تنظيمات وهيئات جديدة في الحوزات لتدريس الأخلاق العمليّة والمعارف الشهوديّة ، بَيدَ أنّ ذلك لم يحصل .

وكان الحقير قد كتب بعد الثورة بسنة أو سنتين رسالة «لُبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب» جرى نشرها فحظيت باهتمام البعض . وقد قدم يوماً إلى الحقير في مشهد جماعة من الحوزة العلميّة في قم نيابة عن بعض المسؤولين والقائمين على عمليّة التغيير الفكريّ وإحياء الحكمة والعرفان ، ونقلوا رسالةً شفويّة لي أن : اكتبوا كتابين آخرين ، أحدهما مختصر إلى «**لبّ اللباب**» والآخر أكثر منه عمقاً وتفصيلاً ليُدرّسا ويكونا مورد استفادة الطلّاب في جميع مراحل الدراسة الابتدائيّة والمتوسّطة والنهائيّة .

فقلتُ : لا مانع من كتابتها ، لكنّ قراءة هذه الكتب مفيدة إلى حدّ ما وليست مفيدة بتمام المعنى ؛ فالذي يبعث الروح في الحوزات وما يحيي روح النبوّة والولاية والإسلام والقرآن ويخلّدها ، تدريس الحكمة العمليّة وإيجاد حوزات لتربية الطلّاب بالعرفان الشهوديّ والوجدانيّ ، فهو الذي يغيّر البناء الأساسيّ للنفوس ويسوقها إلى الطهارة الحقيقيّة والواقعيّة ، وهو الذي سيجعل الأُمّة الإسلاميّة تمتلك في هذه المرحلة الخاصّة أفراداً كأُولئك المخلصين الذين ربّاهم الرسول الأكرم وكحواريي أمير المؤمنين عليهما السلام ، فأُولئكم هم القادرون بطهارتهم الذاتيّة ونفوسهم الزكيّة تلك على إحداث تغييرات عميقة جدّاً في نفوس الناس قاطبةً في هذه الدولة وفي جميع العالم ، وعلى أن يجسّدوا للعالم الروح الحقيقيّة لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، وفي الحقيقة فإنّهم يسوقون أنفسهم والآخرين إلى الإسلام الحقيقيّ الواقعيّ .

وقد عاد هؤلاء الأشخاص بعد مدّة بجواب جاء فيه : أنّ الأخلاق والعرفان العمليّ لا حدود لهما ليمكن تجزئتها وتقسيمها وتدريسها ، لذا فإنّ في صالح الحوزة في الوقت الحاضر أن يجري تدريس الحكمة والفلسفة فيها ، وأن يصار إلى تربية تلامذة خبراء ممحّضين في خصوص هذا الفنّ .

ومن الواضح أنّ هذا الجواب ليس مُقنعاً ، إذ كما أنّ الفقه والأُصول والحكمة والأدب العربيّ لها حدود عند أهل الخبرة فيها ، فإنّ العرفان العمليّ والأخلاق الشهوديّة لها ـ بدورها ـ حدود عند أهل الخبرة فيها ، أمّا عند غير ذوي الخبرة فإنّها بأجمعها لا تمتلك حدوداً . وينبغي ـ لهذا ـ أن يُبحث عن أهل الخبرة في هذه الأُمور ، وأن لا تترك الحوزات ـ لمثل هذه الأعذار ـ خالية من علوم خطيرة أساسيّة كهذه العلوم .

وعلى أيّة حالٍ ، فإنّ علّة خفاء مطالب أمثال العلّامة وأمثال الگلبايگانيّ ستتّضح بهذه المطالب التي ذكرناها باختصار هنا .

وهناك أمر آخر جدير بالذكر ، وهو أنّ هذه المطالب قيّمة وثمينة لا تُكتسب بسهولة ، وينبغي على المرء ـ من أجل الحصول عليها ـ أن يتحمّل المحن والمصاعب والمتاعب وأن يشدّ إليها الرحال ، لأنّها بمنزلة الجواهر الثمينة التي تحفظ في أعماق الصناديق والخزائن المقفلة لتُصان من التلف والضياع .

إنّ المتاع الرخيص يؤتى به إلى السوق فيُنادى عليه : تعالوا ، تعالوا ، اشتروا ، خذوا ... لدينا بنجر ، لدينا بنجر .

إنّ الرجل يأتي بالبنجر وقد صبّه في عربته الخشبيّة فينادي عليه صباح أيّام الشتاء القارس في رأس الزقاق وفي السوق ويدور به على أبواب البيوت : لديّ بنجر للفطور ! ويصرّ على أن يشتروا منه شيئاً ويسعى

لإفراغ عربته من أجل أن يذهب في اليوم التالي فيجلب بنجراً آخر ليبيعه بنفس الطريقة.

أمّا جوهرة الزمرّد أو الياقوت أو الألماس الثمين فلا تعرض في الواجهات أمام أنظار الناس ، بل تخفى في الصناديق الفولاذيّة المقفلة بالأقفال الرمزيّة وفي حاويات تفتح هي الأُخرى برمز معيّن ، وهذه الأُخرى موضوعة في صندوق مقفل بقفل رمزيّ ، انتظاراً لمجيء مشترٍ واحد من بين الآلاف ، ممّن يعرف قيمتها وقدرها ليراها ويدفع ثمنها وفق قيمتها .

لذلك فإنّ من الشاقّ أن يتعرّف الإنسان على قدر وقيمة مجوهرات معيّنة ويتمكّن من اقتنائها ، إذ ينبغي له أن يجد السنخيّة والمماثلة من جميع الجهات مع تلك الجواهر ، وأن يتقبّله أُولئك الجواهريّون فيدنونه منهم ويعاملونه كأبنائهم أو كخادمهم الذي صار موضع سرّهم واعتمادهم فيأتمنونه على أسرارهم ، تلك الأسرار الإلهيّة لا الأسرار الدنيويّة .

ونفهم الآن كم يتوجّب على الإنسان أن يسعى ليصبح من أهل بيتهم ويكون له حكم الابن أو الخادم ،أمّا في غير هذه الحال ، أي في غير حال الاتّحاد والوحدة في السلوك والنهج والزيّ والطعام ، وفي جميع الأُمور المختصّة بأهل ذلك البيت ؛ فإنّه لن يكون بإمكانه أن يستفيد من روح أهل ذلك البيت .

لقد جاء الحقير من النجف الأشرف إلى همدان لزيارة ولقاء سماحة آية الله الحاجّ الشيخ محمّد جواد الأنصاريّ الهمدانيّ تغمّده الله برضوانه وكنتُ أسير وحدي يوماً إلى حيث يصلّي الظهر في المسجد المسمّى **بمسجد النبيّ** ، وكنت قد وصلت إلى «سبزه ميدان» (= ساحة الخضراء) حين خطر في ذهني خاطر :كم يبلغ اعتقادي به ؟ فرأيتُ أنّ اعتقادي به هو

في حدود اعتقادي بنبيّ إلهيّ ، لما لي في كماله وشرفه وتوحيده وفضائله الأخلاقيّة والمعنويّة من اعتقاد وإيمان في حدود إيماني واعتقادي بنبيّ إلهيّ . ولو بُعث الآن أيّاً من يوسف أو شعيب أو موسى أو عيسى على نبيّنا وآله وعليهم السلام فجاؤوا وأمروا ونهوا ، فسيكون لي في الحقيقة انقياد وطاعة وإيقان بحقّانيّة أُولئك الأنبياء مماثل لاعتقادي بهذا الرجل الإلهيّ الجليل .

ولدينا شاهد على ذلك ، فقد ذكر البعض أن : **عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إسْرَائِيلَ** .[1]

١ـ لم نعثر أبداً مع كثرة تتبّعنا في هذا المجال على سند لهذه الرواية المتداولة والشائعة على الألسن . وقد أورد المحدِّث والعالم المتضلِّع الخبير : السيّد عبد الله شبّر في كتاب «مصابيح الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار» ج ١ ، ص ٤٣٤ ، طبعة مطبعة الزهراء، بغداد، حديث رقم ٨٣ ، قوله:

ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : **عُلَمَاءُ أُمَّتِي أَنْبِيَاءُ بَنِي إسْرَائِيلَ** ، أو: **كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إسْرَائِيلَ** ، أو : **أَفْضَلُ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إسْرَائِيلَ** ؛ وهذا الحديث لم نقف عليه في أُصولنا وأخبارنا بعد الفحص والتتبّع ، والظاهر أنّه من موضوعات العامّة . وممّن صرّح بوضعه من علمائنا : **المحدِّث الشيخ الحرّ العامليّ** في «الفوائد الطوسيّة» ، والمحدِّث الشريف الجزائريّ . وكيف كان فيمكن توجيهه بوجهين ـ إلى آخر ما ذكره السيّد شبّر هنا.

وقد راجع الحقير كتاب «الجامع الصغير» للسيوطيّ ، و«كنوز الحقائق» للمناويّ ، و«نهج الفصاحة» لپاينده ، و«وهج الفصاحة» للأعلميّ التي دُوّنت فيها الأحاديث القصار لسيّد البشر ، فلم يكن هناك شيئاً من هذا القبيل عن طريق العامّة أيضاً.

وقد أورد الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء في كتاب «جنّة المأوى» ص ١٩٧ ، الطبعة الأُولى ، مكتبة الحقيقة ، تبريز ،سنة ١٣٨٠ هـ ، ضمن ردّه على سؤال قدّم إليه كتباً عن معنى هذا الحديث ، احتمالات خمساً في تفسير هذا الحديث ومعناه.

وقد صرّح المرحوم آية الله الحاجّ السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائيّ في هامش الكتاب بما قلناه وذكر أنّ هذا الحديث من موضوعات العامّة. ⇦

وحين نطبّق هذا الحديث على علماء الأُمّة ، فأيّ عالم أصدق وأكثر توحيداً وأقرب إلى المعارف الحقّة الحقيقيّة الإلهيّة من هذا الرجل ؟

وعلّة ذلك أنّ مناط الرسالة والنبوّة ليس بالأُمور الظاهريّة من الكسب والعمل والثروة والحسب والنسب والعلوم الظاهريّة والفنون الدنيويّة .

ولو غضضنا النظر عن كون الشيخ الأنصاريّ معمّماً وفقيهاً وإماماً للجماعة ونظائر هذه الأُمور ، فإنّ ملاك عظمة هذا الرجل وإخلاصه في التجلّيات الإلهيّة التي اكتسبها بالجهاد الأكبر في هذا المسار الطويل ، فهي التي جعلته في حدود عارف إلهيّ وأجلسته في مقام ومنزلة التمكين ، ولو أنّ جميع أهل همدان قد عدّوه صوفيّاً وكالوا له التهم الظالمة وغير اللائقة ، فصار جاره يلقي النفايات على باب داره . فلقد رأينا جميع هذه المصائب بعينها تُصبّ على الأنبياء كما ورد في أحاديثنا ما يفوق هذه المصائب ، ولقد روينا على لسان رسول الله : **مَا أُوذِيَ نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ قَطُّ** .[1]

⇦ ويقول آية الله القاضي في كتاب «تحقيق دربارهٔ أول أربعين سيد الشهداء عليه السلام» (=بحث حول الأربعين الأُولى لسيّد الشهداء عليه السلام) ص ٤٦٨ ، الطبعة الثالثة ، تبريز، تحت عنوان «مَن المراد من آل محمّد» يقول الفيروزآباديّ (صاحب كتاب اللغة) : **وقَولُ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وفي لفظٍ : عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنْبِيَاءُ سَائِرِ الأُمَمِ ؛ وَإنْ كَانَ فِي إسْنَادِهِ مَقَالٌ وَلَكِنْ يُسْتَأْنَسُ بِهِ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ** .

١ـ روى الحقير هذا الحديث بعين هذه العبارة عن اللسان المبارك لأُستاذنا الذي لابديل له سماحة آية الله العلّامة الطباطبائيّ رحمة الله عليه في رسالة «الشمس الساطعة» القسم الثاني ، المقابلات ، الأبحاث العرفانيّة ، صفحة رقم ٣٠٥ حسب الترقيم أسفل الصفحات، الطبعة الأُولى.

لكنّ السيوطيّ أورده في «الجامع الصغير» ج ٢ ، ص ١٤٤ ، مطبعة مصطفى البابي ، بهذه العبارة: **مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ** (عد) وابن عساكر عن جابر (رض) **مَا أُوذِي أَحَدٌ مَا** ⇦

أفعلينا في مثل هذه الحال أن نلتفت إلى كلام النـاس ، أم نـتوجّه إلى علمنا ويقيننا فنضع نصب أعيننا : **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** .[١]

لقد كان الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد ربيب اليد المباركة للمرحوم الحاجّ السيّد الميرزا علي آقا القاضي ، فهو وحده الذي كان يـعلم مـن هـو ربـيب يده ، وما هي درجاته ومقاماته ، وأيّة ذروة سماها إيقانه وارتقاها عرفانه .

ما الذي أفهمه أنا ؟ لقد كان ذلك الرجـل الإلهـي الكـبير هـو الخـبير المتضلّع في هذا الفنّ .

لقد كنتُ أجد في الحدّاد عـبادة والتـفاتاً ومـراقـبة والتـزامـاً بـتعاليم الشرع ، وأرى فيه متانة ووقـاراً وتـمكيناً وصـبراً وتـحمّلاً وأمـثال ذلك ، لكنّني لم أكن أعلم عن منشأ هذه الخصائص والآثار ومصدرها .

كنت أشاهد النور ، بَيدَ أنّي لا أعلم شيئاً عن المحطّة التي تولّده . أمّا المرحوم القاضي فكان واسطة في إيـصال النـور ، وكـان خـبيراً بـالمفاتيح والمخازن الواقعة وسط الطريق ، وبكيفيّة تحويل نـور عـظمة ستّين ألف فولت إلى الكهرباء التي يمكن الاستفادة منها في المدن . وهـو الذي كـان

⇦ **أُوذِيتُ فِي اللَهِ** (حد) عن أنس(ح ض) . وروى المناويّ في «كنوز الحقائق» المطبوع في هامـش «الجامـع الصغير» ص ٨٢ ، عبارة : **مَا أُوذِيَ أَحَـدٌ مَا أُوذِيتُ** ، عـن (عـد) ، وأورد الحديث أبوالقاسم پاينده في «نـهج الفـصاحة» انـتشارات جـاويدان ، سـنة ١٣٦٧ هـ.ش، ص ٥٤٣ ، تحت الرقم ٢٦٢٦ ، بعبارة: **مَا أُوذِيَ أَحَدٌ مَا أُوذِيتُ فِي اللَهِ** ... وذكره الأعلمـيّ في «وهج الفصاحة» الطبعة الأُولى، مؤسّسة الأعلميّ ، بيروت ، سنة ١٤٠٨ تحت الرقم ٢٦٢٢ ، ص ٥٦١ ، بعين هذا اللفظ.

١ـ الآية ٩١ ، من السورة ٦ : الأنعام : **وَمَا قَدَرُوا ٱللَهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** .

يعلم حقيقة الأمر حين كان يذهب إلى محلّ الحدادة ، فيجلس على الأرض بين الدخان واللهب والحرارة فيقول له : «أيها السيّد هاشم ! سيأتي اليوم الذي يأتون فيه من الأطراف والأكناف لتقبيل عتبة دارك» .

نعم ! إنّ الطفل لا يميّز الجواهر النفيسة الثمينة ، فيفضّل الزجاج الملوّن على معدن الفيروزج ، ويرغب في الذهب المزيّف أكثر من الحقيقيّ . كما أن الشخص العاميّ الأُمّي لا يقيم وزناً لخطّ المير عماد الحسنيّ الجميل المكتوب على ورقة ما ويرجّح عليه الخطّ المشوّش المغلوط المكتوب بماء الذهب .

أمّا الخبير بالخطّ ، الماهر بدقائق فنونه فما أحراه أن يشتري صفحة من ذلك الخطّ بملايين التومانات ، وما أحراه أن يرسل هذه الصفحات الذهبيّة أو المذهّبة ذات الخطّ القبيح إلى الفرن لإتلافها .

ما الذي يعلمه ذلك القرويّ بائع اللفت عن لوحة رسم وزخرفة منقوشة باللازورد ضمّت أسرار هذا الفنّ ودقائقه ؟ أمّا ذلك الأُستاذ الرسّام الماهر بالزخرفة والنقوش اللازورديّة ، والذي قضى عمره في دراسة هذا الفنّ ، فهو الذي يدرك ما تنطوي عليه هذه اللوحة من إعجاز وخوارق .

وما أكثر ما يحصل في أن يرجّح ذلك القرويّ بعض اللوحات الحمراء المرسومة بلا فنّ ولا مهارة على تلك الرسوم والنقوش اللازورديّة ، مع أنّ أُستاذ الرسم والزخرفة يمكن أن يبيع بيته وكلّ ما يمتلك من أجل اقتناء لوحة منها . ويتّضح هنا تدريجيّاً مَن كان الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد ! مع أنّه والله وبالله لم يتّضح لي أنا .

أي أنّني سعيت ـ في حدود إمكاني ـ في تقديم السيّد وتعريفه أكثر من خلال هذا الكتاب الكريم ، وفي تقديم الشيء الأهمّ لأرباب السلوك ومشتاقي سبيل الله ومعرفته ، لكنّني أرى أنّ الكميت أعرج في هذا

المضمار ، مع أنّني قضيت ثلاثة أشهر كاملة في كتابة هذا الكتاب ، ألغيت خلالها جميع أعمالي الأُخرى ولم أدوّن شيئاً سواه ، ولكن مع ذلك كلّه فإنّ كياني وباطني يضجّان بنداء :

ای برتر از خیال و قیاس و گـمان و وهـم
و ز هر چه گفته‌اند و شنیدیم و خوانده‌ایم
مجلس تمام گشت و به آخـر رسـید عـمر
ما همچنان در أوّل وصـف تـو مـانده‌ایـم[1]

لا تقولوا إنّ هذا البيت قد أورده الشيخ سعدي في الله سبحانه ، فكيف استخدمته في شأن الحدّاد ؟ أو هل الحدّاد إله ؟ **وَالعِيَاذُ بِاللَهِ** ؛ بل الحدّاد عبد الله .

لم نستطع فهم حقيقة عبوديّة الحدّاد وفنائه في ذات الله ، ولم نستطع معرفة الحدّاد في مقام العبوديّة وحقيقة العبوديّة ، ولم نستطع تقديمه على حقيقته في هذه الرسالة . ونجد لزاماً في الختام أن نتوسّل بخطبة أمير المؤمنين عليه السلام التي أوردها في انتقال وتدرج الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله من آدم عليه السلام **نَسْلاً بَعْدَ نَسْلٍ** حتّى ولادته . فيقول ضمن الخطبة مخاطباً ربّه :

سُبْحَانَكَ أَيُّ عَيْنٍ تَقُومُ نُصْبَ بَهَاءِ نُورِكَ ، وتَرْقَى إلَى نُورِ ضِيَاءِ قُدْرَتِكَ ؟! وَأَيُّ فَهْمٍ يَفْهَمُ مَا دُونَ ذَلِكَ إلَّا أَبْصَارٌ كَشَفْتَ عَنْهَا الأَغْطِيَةَ ،

١ـ «كلّيّات سعدي» ص ٣ ، طبعة وتصحيح فروغي ، گلستان .
يقول : «يا من هو أسمى من الخيال والقياس والظنّ والوهم ، وأعلى من كلّ ما قيل وما سمعنا وقرأنا.
انتهى المجلسُ وبلغ العمر منتهاه ، لكنّنا لا نزال في أوّل وصفنا إيّاك عاجزين».

وَهَتَكْتَ عَنْهَا الحُجُبَ العَمِيَّةَ.

فَرَقَتْ أَرْوَاحُهَا إلَى أَطْرَافِ أَجْنِحَةِ الأَرْوَاحِ ، فَنَاجَوْكَ فِي أَرْكَانِكَ وَوَلَجُوا بَيْنَ أَنْوَارِ بَهَائِكَ ، وَنَظَرُوا مِنْ مُرْتَقَى التُّرْبَةِ إلَى مُسْتَوَى كِبْرِيَائِكَ .

فَسَمَّاهُمْ أَهْلُ المَلَكُوتِ زُوَّاراً ، وَدَعَاهُمْ أَهْلُ الجَبَرُوتِ عُمَّار ـ إلى آخرها .[1]

ونلحظ في هذه الخطبة ذات المضمون الرشيق والمحتوى الدقيق أنّ الإمام سلام الله عليه يعتبر حقيقة مقام العرفان بذات الله الأحديّة بواسطة رفع الحجب متحقّقة لفئة خاصّة من أولياء الله المقرّبين والمخلصين ، وأنّ الله سبحانه يوصل جماعةً خاصّةً من زمرة عباده الصالحين إلى حقيقة معرفته ، لينظروا من حضيض عالم الناسوت ومن مستوى التراب إلى مقام كبريائيّة الحقّ ، ولتكون لأعينهم وإدراكهم الثبات والمثابرة على تحمّل تجلّي أنوار بهاء حضرته ، ولينالوا ذلك المقام بل وأعلى منه وصولاً إلى مقام روح القدس ، فيتكلّمون مع الله ـ كما فعل الكليم ـ في سرّ عالم الكون والمكان ، قائمين راسخين وسط الأشعّة الساطعة لنور الذات المنشعبة عن جماله وجلاله .

على أنّ وجودهم لا يضمحلّ ولا يفنى قبل الوصول إلى هذه الذروة

١ـ أورد المؤرّخ الشهير والأمين المسعوديّ هذه الخطبة الشريفة في كتاب «إثبات الوصيّة» ص ٩٤ إلى ٩٩ ، الطبعة الحجريّة ؛ وهي خطبة مفصّلة جدّاً ، وقد أوردنا منها هنا الفقرة الواقعة في ص ٩٧.

وقد أورد هذه الفقرة أيضاً سماحة أُستاذنا المكرّم آية الله العلاّمة الطباطبائيّ قدّس الله روحه الزكيّة في كتاب «الشيعة» ضمن المحادثات مع هنري كُربَن ، ص ١٩٦ ، الطبعة الثانية، نقلاً عن «إثبات الوصيّة» . كما أوردنا هذه الفقرة أيضاً في الصفحة الأخيرة من كتاب «التوحيد العلميّ والعينيّ».

العالية ، بل إنّهم سيسيرون إلى حدّ الفناء في نفس الذات القدسيّة للحقّ تعالى ، فيصيرون بعد الفناء فيها وجوداً بحتاً بسيطاً لم يزل ولا يزال ويتحقّقون ببقاء الحقّ ، ويخلدون إلى الأبد في جنان خلد الفناء والبقاء .

ولم يجد الحقير غير هذه الخطبة لتقديم وتعريف الحاجّ السيّد هاشم روحي فداه ، لذا فقد أوردتها في ختام كتابي ليكون **خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ**[1] ، ولأقدّمها إلى تلك الروح المقدّسة لذلك الساكن في العرش والمقيم في علّيّين .

أُشَاهِدُ مَعْنَى حُسْنِكُمْ فَيَلَذُّ لِي
خُضُوعِي لَدَيْكُمْ فِي الهَوَى وَتَذَلُّلِي
وَأَشْتَاقُ لِلْمَغْنَى الَّذِي أَنْتُمُ بِهِ
وَلَوْلَاكُمُ مَا شَاقَنِي ذِكْرُ مَنْزِلِ
فَلِلَّهِ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ قَدْ قَطَعْتُهَا
بِلَذَّةِ عَيْشٍ وَالرَّقِيبُ بِمَعْزَلِ
وَنَقْلِي مُدَامِي وَالحَبِيبُ مُنَادِمِي
وَأَقْدَاحُ أَفْرَاحِ المَحَبَّةِ تَنْجَلِي
وَنِلْتُ مُرَادِي فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِياً
فَوَا طَرَبَا لَوْ تَمَّ هَذَا وَدَامَ لِي
لَحَانِي عَذُولِي لَيْسَ يَعْرِفُ مَا الهَوَى
وَأَيْنَ الشَّجِيُّ المُسْتَهَامُ مِنَ الخَلِي
فَدَعْنِي وَمَنْ أَهْوَى فَقَدْ مَاتَ حَاسِدِي
وَغَابَ رَقِيبِي عِنْدَ قُرْبِ مُوَاصِلِي[2]

١ـ اقتباس من الآية ٢٦ ، من السورة ٨٣ : المطفّفين.

٢ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٧٩ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ . ق.

* * *

ای قـــصّهٔ بـــهشت ز کـــویت حکـــایتی
شـــــرح جــمالِ حــور ز رويت روايــتی
أنـــفاس عــیسی ز لب لعــلت لطــیفه‌ای
آب خِـــــضر ز نـــــوش لبـــانت کـــنایتی
کِیْ عِطرسای مجلس روحانیان شدی
گــل را اگــر نــه بــوی تــو کـردی رعــایتی
هــر پــاره از دل مــن و ز غُصّه قِصّه‌ای
هر سطری از خصال تو و ز رحمت آیـتی
در آرزوی خـــــاک درِ یـــــار ســـــوختم
یـــاد آور ای صــبا کــه نکــردی حـمایتی
ای دل به هرزه دانش و عمرت به باد رفت
صــد مــایه داشــتی و نکــردی کـفایتی[1]

١ـ «ديوان الخواجة حافظ الشيرازيّ» ص ٢٠٩ ، الغزل ٤٥٧ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ. ق.

يقول : «يا من كانت قصّة الجنّة حكايةً من حكايات دربك ، ووصف جمال الحور رواية عن طلعتك!

ويا من كانت أنفاس عيسى إشارة إلى شفتك الزمرّديّة ، وماء الخضر (ماء الحياة) كناية عن جرعة ترشفها شفتك.

أنّى للورد أن يفوح في مجلس الروحانيّين ، لو لم تهبه نفحة من عبير رائحتك!

كلّ بضعة من قلبي قصّة حزن ؛ وكلّ سطر من خصالك آية من آيات رحمة الحقّ.

شبّت النار فيّ رجاء تراب أعتاب ديار الحبيب ؛ فتذكّري يا صبا أنّك لم تسعفينا بحمايتك.

ويا قلب ضاع علمك وعمرك عبثاً ، فقد امتلكتَ ألف ثروة فلم تغنِ عنك شيئاً».

بـــوی دل کـــباب مـــن آفـــاق را گـــرفت

ایـــن آتش درون بکـــند هـــم ســرایـــتی

در آتش ار خـــیال رخش دست مـــی‌دهد

ســـاقی بـــیا کـه نـیست ز دوزخ شکـایتی

دانی مراد حافظ ازین درد و غصّه چیست

از تـــو کـــرشمه‌ایّ و ز خســـرو عـــنایتی[1]

* * *

حَدِيثُهُ أَوْ حَدِيثٌ عَنْهُ يُطْرِبُنِي   هَذَا إِذَا غَابَ أَوْ هَذَا إِذَا حَضَرَا

كِلَاهُمَا حَسَنٌ عِنْدِي أُسَـرُّ بِـهِ   لَكِنَّ أَحْلَاهُمَا مَا وَافَقَ النَّظَرَا[2]

* * *

چـــراغ روی تـــو را شـــمع گشت پـــروانـــه

مـــرا ز خـال تـو بـا حـال خـویش پـروا نـه

به بوی زلف تو گر جان به باد رفت چه شد

هـــــزار جـــان گـــرامـــی فـــدای جـــانانه[3]

١ـ يقول : «طبّق الآفاق رائحة احتراق قلبي ، وستمتدّ خارجاً ـلا ريبـ هذه النار من قلب المتيّم بك.

لو زارني في النار خيالُ طلعة الحبيب ، فعجّل أيّها الساقي بها فليس في جهنّم من شكوى.

أتعلم مراد «حافظ» من هذا الألم والحزن ؟ غنجٌ منك والتفاتةٌ من الملك!».

٢ـ «ديوان ابن الفارض» ص ١٨٣ ، طبعة بيروت ، سنة ١٣٨٤ هـ . ق.

٣ـ «ديوان الخواجة حافظ» ص ١٩٤ ، الغزل ٤٢٥ ، طبعة پژمان ، انتشارات بروخيم، سنة ١٣١٨ هـ . ق. يقول : «صيّر ضياءُ طلعتك الشمعَ فراشةً تحوم حوله ، وصيّرني خالُك لا أُبالي ما حلّ بي.

ماذا يضير لو ضاعت الروح من عطر ذؤابتك ؟ فألف نفس كريمة فداء نفس الحبيب».

خـــرد كـــه قـــيد مـــجانين عشـــق مـــى‌فرمود
بـــه بـــوى ســـنبل زلف تـــو گشت ديـوانـه
به مـژده جـان بـه صـبا داد شـمع در نـفسى
ز شـمع روى تـو اش چـون رسـيد پـروانـه
مـــــرا بـــــه دور لب دوست هست پـــيمانى
كـــه بـــر زبـــان نـــبرم جـــز حـديث پـيمانه
بـــر آتش رخ زيـــباى او بـــه جـــاى ســـپند
بـــه غـــير خـــال سياهش كـه ديـد بِـهْ دانـه
حـــديث مـــدرسه خـــانقه مگـــوى كـه بـاز
فـــتاده در ســـر حـــافظ هـــواى مـــيخانه[1]

اللَهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِ المُـرْسَلِينَ وَخَـاتَمِ النَّـبِيِّينَ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى أَخِيهِ وَوَصِيِّهِ وَصَاحِبِ سِرِّهِ وَلِوَائِهِ وَوَزِيرِهِ وَوَلِيِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ بَعْدِهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي أُمَّتِهِ : عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ المُـؤْمِنِينَ ، وَعَلَى البَتُولِ العَذْرَاءِ الصِّدِّيقَةِ الكُبْرَى فَاطِمَةَ الزَّهْـرَاءِ ، وَعَـلَى الحَسَـنِ وَالحُسَيْنِ وَعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَموسَـى

١ـ يقول : «لقد صار العقل ـ وهو وثاق مجانين العشق ـ نفسه مجنوناً من عبير سنابل ذؤابتك المجعّدة.

حين حملت الصبا للشمع رسالة ملوكيّة من طلعتك الوضّاءة (كالشمع) ، فقد وهب روحه لها في البشارة.

عقدتُ العهد أن لا أفوه عند شفاه الحبيب ، إلّا حديث الراح والقدح.

مَن رأى أفضل من خاله الأسود بدلاً عن الحَرْمَل في مجمر لهيب طلعته؟

صَهْ ؛ ولا تَنْبِس عن المدرسة ومعبد الدراويش شيئاً ، فقد دار هـوى الحـانة بـرأس «حافظ» من جديد».

ابْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيِّ بْنِ موسَى وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ وَالخَلَفِ القَائِمِ المَهْدِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ وَسَهَّلَ مَنْهَجَهُ وَجَعَلَنَا مِنْ شِيعَتِهِ وَتَابِعِيهِ وَنَاصِرِيهِ وَالذَّابِّينَ عَنْهُ وَالمُحَامِينَ لِدَوْلَتِهِ وَشَوْكَتِهِ.

اللَهُمَّ الْعَنْ أَعْدَاءَهُمْ وَمُخَالِفِيهِمْ وَمُعَانِدِيهِمْ وَغَاصِبِي حُقُوقِهِمْ وَمُنْكِرِي فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اللَهُمَّ أَعْلِ دَرَجَةَ أُسْتَاذِنَا وَوَلِيِّنَا وَمُرَبِّينَا وَالهَادِي إِلَى الحَقِّ صِرَاطَنَا: المَرْحُومِ المَبْرُورِ الحَاجِّ السَّيِّدِ هَاشِمِ الحَدَّادِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ سَالِكِي سَبِيلِهِ وَالثَّابِتِينَ عَلَى مَنْهَجِهِ فِي صِرَاطِكَ المُسْتَقِيمِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُوَفَّقِينَ لِأَدَاءِ شُكْرِهِ وَمِنَ المُؤَدِّينَ لِحُقُوقِهِ، وَاحْشُرْهُ فِي زُمْرَةِ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الأَطْيَبِينَ الأَكْرَمِينَ. اللَهُمَّ اجْعَلْهُ عِنْدَكَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَاخْلُفْ عَلَى عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

انتهت **بحمد الله ومنّه** هذه الرسالة المسمّاة بـ «**الروح المجرّد**» في ترجمة أحوال وحياة المرحوم، أُستاذ العرفان ومربّي الأخلاق والسلوك لجمع كثير من الوالهين المتحمّسين بلا بضاعة في طريق الحقّ والسبيل إلى الله تعالى، ضُحى (قبل الظهر بساعتين) اليوم الخامس عشر من شهر شوّال المكرّم لسنة ألف وأربعمائة واثني عشر هجريّة قمريّة في مكتبة الحقير في مدينة المشهد الرضويّ المقدّس على ثاويه وشاهده أفضل السلام والإكرام.

وَأَنَا العَبْدُ الحَقِيرُ الفَقِيرُ المِسْكِينُ المُسْتَكِينُ
المُسَمَّى بالسَّيِّدِ مُحَمَّد الحُسَيْن الحُسَيْنِيُّ الطِّهْرَانِيُّ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقوم مؤسّسة ترجمة ونشر

(دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)

من تأليفات

العلّامة آية الله الحاجّ السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

بنشر وترجمة كتب سماحته وهي كالآتي :

دورة **المعارف** ، وتشمل أقساماً ثلاثة :

١ ـ معرفة الله (١)

٢ ـ معرفة الإمام (٢)

٣ ـ معرفة المعاد (٣)

دورة **العلوم** ، وتشمل أقساماً أربعة :

١ ـ الأخلاق والحكمة والعرفان (٤)

٢ ـ الأبحاث التفسيريّة (٥)

٣ ـ الأبحاث العلميّة والفقهيّة (٦)

٤ ـ الأبحاث التأريخيّة (٧)

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(١)

معرفة الله

١ ـ **معرفة الله** (الله شناسى)

أصل هذه الأبحاث دورة تفسيريّة جرى فيها المذاكرة والتحرير من الآية المباركة «**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**» إلى «**وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**».

وقد جرى البحث والمذاكرة في هذه الأبحاث عن مسألة التوحيد الذاتيّ والأسمائيّ والأفعاليّ للذات المقدّسة للحقّ تعالى، وعن كيفيّة نشوء عالم الخلقة وربط الحادث بالقديم، ونزول نور الوجود في مظاهر الإمكان، وحقيقة الولاية وربط الموجودات بذات الباري تعالى وعن لقاء الله والوصول إلى ذاته المقدّسة بفناء الوجود المجازيّ المُعار واندكاكه في الوجود المطلق الأصيل الحقيقيّ.

وهذه بعض عناوين الكتاب:

رؤية الله ممكنة.

الله محبٌّ لما سواه، وما سواه محبٌّ له.

إمكان رؤية الله ولقائه من قِبل المؤمنين المحسنين.

الله تعالى موجود في كلّ مكان، فافتح عينيك وانظر.

منكرو لقاء الله هم الأخسرون.

الطرق المختلفة لمعرفة الله ـ عدا طريق لقائه ـ جميعها منحرفة ومعوجّة ومظلمة.

منطق القرآن يحصر كلّ كيفيّة وأثر للوجود في الله تعالى.

معنى تشخّص الوجود: **لَا هُوَ إِلَّا هُوَ**.

جميع الناس ـ عدا العارفين ـ ينظرون إلى الله تعالى بعين حَولاء.

القائلون بتأثير غير الله تعالى مُبتلون بالشرك الخفيّ.

الحشويّة والشيخيّة والقشريّة لا خَلاق لهم من الله تعالى.

إنحرافات الشيخ أحمد الأحسائيّ وأتباع منهجه في أمر التوحيد .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٢)

معرفة الإمام

١ ـ معرفة الإمام (امام شناسى)

مجموعة من البحوث التفسيريّة ، الفلسفيّة ، الروائيّة ، التأريخيّة والاجتماعيّة في الإمامة والولاية بشكل عامّ ، وفي إمامة وولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين بشكل خاصّ ؛ وذلك في هيئة دروس استدلاليّة علميّة متّخذة من القرآن الكريم والروايات الواردة عن الخاصّة والعامّة وأبحاث حِلّيّة ونقديّة عن الولاية .

وتضمّ هذه المجموعة (٢٧٠) درساً في ثمانية عشر جزءاً . وقد جرى فيها مناقشة وبحث مطالب من قبيل : العصمة ، الولاية التكوينيّة ، لزوم الإمام الحيّ ، لزوم متابعة الأعلم ، ضرورة وجود الإمام للمجتمع ، معنى الولاية ، شرح حجّة الوداع ، شرح واقعة غدير خمّ ، أحاديث الولاية ، حديث المنزلة ، شرائط القيادة ، علم الغيب ومجموعة علوم وقضايا ومحاكمات أمير المؤمنين عليه السلام ، معيّة الإمام للقرآن في جميع العوالم ، حديث الثقلين ، تقدّم الشيعة في جميع العلوم ، كتب الشيعة المؤلّفة ، مباحث عن الصحيفة السجّاديّة ، سير علوم الشيعة وتأريخهم من صدر الإسلام ، عظمة مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ومقامها العلميّ ، الردّ على نظريّات وعقائد المذاهب المختلفة لأهل السنّة في الأُصول والفروع ، العلوم العالميّة للإمام الصادق عليه السلام ، العلوم الإسلاميّة للإمام الصادق عليه السلام ، خلود مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، وقيام معاوية لإفناء آثار النبوّة وتبديلها إلى سلطنة و ...

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٣)

معرفة المعاد

١ ـ معرفة المعاد (معاد شناسى)

تشمل ٧٥ مجلساً في كيفيّة سير الإنسان وحركته في الدنيا وعالم الغرور وكيفيّة تبدّل نشأة الغرور إلى عالم الحقائق والواقعيّات وارتحال الإنسان إلى الله وغاية الغايات .

وتقع هذه المجموعة في عشرة أجزاء طُبعت بأجمعها بالفارسيّة ؛ وقد جرى فيها على نحوٍ وافٍ ومستفيض طرح مباحث من قبيل : عالم الصورة والبرزخ وكيفيّة ارتباط الأرواح هناك مع هذه العوالم ،كيفيّة خلقة الملائكة ووظائفهم ، النفخ في الصور وموت جميع الموجودات ثمّ إحياؤها وقيام الإنسان في ساحة الحضرة الأحديّة ، عالم الحشر والنشور والحساب والكتاب والجزاء والعرض والسؤال والميزان والصراط والشفاعة والأعراف والجنّة والنار ؛ وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة وأخبار المعصومين ومن الأدلّة العقليّة والفلسفيّة والمطالب الذوقيّة والعرفانيّة .

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة

(٤)

الأخلاق والحكمة والعرفان

١ ـ رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالهٔ سير وسلوك منسوب به بحرالعلوم)

جرى في هذه الرسالة ، إضافةً إلى شرح حال المرحوم بحر العلوم وصحّة انتساب هذه الرسالة له ، بيانُ حقيقة ومقصد السلوك إلى الله سبحانه ،كيفيّة السلوك إلى الله وآثاره ،وطريقة ذكر العلّامة بحر العلوم ، وذلك بشرحٍ مفصّل من قبل العلّامة آية الله قدّس سرّه .

٢ ـ رسالة لُبّ اللباب في سير وسلوك أُولي الألباب

(رسالهٔ لُبّ اللباب در سير وسلوك اُولى الألباب)

أصل هذه الرسالة أُسّ ومخّ أوّل دورة من الدروس الأخلاقيّة والعرفانيّة للعلّامة المفسّر

والحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائيّ قدّس سرّه في الحوزة العلميّة في قم ، وقد دوّنت من قبل سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه بعنوان تقريرات ، ثمّ طُبعت مع تنقيحات وإضافات لسماحته .

وقد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفيّة السير والسلوك إلى الله بشكل إجماليّ وتفصيليّ ، وشرح تفصيليّ للعوالم المقدّمة على عالم الخلوص ، وطرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك ، مراتب المراقبة ، لزوم الأُستاذ ، والطرق المختلفة لنفي الخواطر ، وذلك بأُسلوبٍ جامع وجميل .

٣ ـ التوحيد العلميّ والعينيّ (توحيد علميّ وعينيّ)

سلسلة رسائل حكميّة وعرفانيّة بين آيتين عَلَمَينِ هما : الحاجّ السيّد أحمد الكربلائيّ والحاجّ الشيخ محمّد حسين الإصبهانيّ (الكمبانيّ) حول بيتٍ واحد من الشعر للعطّار النيسابوريّ ، حيث فسّر كلٌّ من هذين العَلَمَينِ ذلك البيت وفق مذاقه في العرفان والحكمة .

وبسبب اشتمال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيديّة عرفانيّة وفلسفيّة برهانيّة ، فقد كتب سماحة العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه ضمن دروسه في الحوزة العلميّة في قم تذييلات ومحاكمات من ستّة أقسام على الرسائل الثلاث الأُولى المتبادلة بين المرحومينِ الشيخ والسيّد ثمّ حرّر سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه ثمانية تذييلات على الرسائل الأربع الأُخرى للمرحومينِ المذكورينِ بعنوان تتمّة لتذييلات العلّامة الطباطبائيّ .

وقد جيء في هذه المجموعة بمقدّمة حول هويّة أصل الرسائل والعرفاء الأجلّاء الذين جرى التطرّق إلى أسمائهم فيها .

٤ ـ الشمس الساطعة (مهر تابان)

يمثّل هذا الكتاب تأبين ومحاورات التلميذ مع العلّامة العارف بالله وبأمر الله السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ قدّس الله تربته ، ويشمل قسمين يتطرّق سماحة العلّامة آية الله المؤلّف قدّس سرّه في أوّلهما لبيان تأريخ حياة العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه وأُسلوبه

العلميّ والفلسفيّ والعرفانيّ والتفسيريّ ولبيان أحوال ثلّة من الأجلّاء ، في حين يتطرّق في القسم الثاني إلى ذكر بعض محاوراته مع العلّامة الطباطبائيّ التي تشمل أبحاثاً قرآنيّة وفلسفيّة وعرفانيّة وأخلاقيّة وعلميّة وتأريخيّة .

٥ ـ الروح المجرّد (روح مجرّد)

في تأبين الموحّد العظيم والعارف الكبير الحاجّ السيّد هاشم الموسويّ الحدّاد أفاض الله علينا من بركات تربته ، من أقدم وأفضل تلامذة الأخلاقيّ الكبير العارف بالله وبأمر الله آية الله العظمى الحاجّ السيّد علي القاضي الطباطبائيّ التبريزيّ نفعنا الله والمسلمين من بركات علومه .

وقد ذكر في هذا الكتاب كيفيّة تشرّف سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه بالحضور في محضر سماحة الحدّاد ، وعن كيفيّة حياته وسيرته العمليّة وحالاته ومقاماته التوحيديّة وأحوال تلامذته . وتطرّق ضمن بيان أسفار سماحته إلى ذكر المباحث التوحيديّة الدقيقة ، والسلوك إلى الله ، ولزوم متابعة الأُستاذ ، وإلى الدفاع عن العرفان والعرفاء بالله ، وإلى ردّ التُّهم غير اللائقة التي وُجّهت إلى محيي الدين بن عربي ، وإلى معنى وحدة الوجود و...

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة
(٥)
الأبحاث التفسيريّة

١ ـ رسالةٌ بَديعةٌ

أُلّفت هذه الرسالة بالعربيّة في تفسير آية «**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ**» وتتضمّن دروساً استدلاليّة في مورد جهاد وقضاء وحكومة المرأة ، وبحثاً في فلسفة حقوق المرأة والرجل ومعنى تساوي حقوق المرأة والرجل ، وحدود مشاركة النساء في الجهاد ، وروايات وإجماع الفقهاء في عدم جواز تصدّي المرأة لمناصب الحكومة والقضاء وعدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى (المجلس النيابيّ).

وتضمّ هذه المجموعة مطالب تفسيريّة، روائيّة، فقهيّة، علميّة واجتماعيّة؛ كما جرى البحث فيها ـ للمناسبة ـ عن ولاية الفقيه.

وقد تُرجمت هذه الرسالة من قبل عدّة من الفضلاء إلى الفارسيّة لتعميم الفائدة منها.

٢ ـ **رسالة جديدة** في بناء الإسلام على الشهور القمريّة (رسالهٔ نوين)

بحث تفسيريّ، روائيّ، فقهيّ وتأريخيّ حول بناء الإسلام على السنة والشهور القمريّة، جرى خلاله البحث في تفسير آية «**إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ**» والخطبة المعروفة لرسول الله في مِنى، وفي تفسير آية «النسيء».

ومن الأبحاث الأُخرى لهذا الكتاب، عدم مشروعيّة تبديل الأشهر القمريّة إلى الشمسيّة، التدخّل المباشر للأجانب في تغيير تأريخ المسلمين على يد مجلس الشورى الوطنيّ الاستعماريّ خلال ثلاث مراحل تدريجيّة، انقراض العائلة البهلويّة أثر إعلان نسخ التأريخ المحمّديّ، وفوائد السنة القمريّة ومضارّ السنة الشمسيّة.

دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة
(٦)
الأبحاث العلميّة والفقهيّة

١ ـ رسالة حول مسألة رؤية الهلال

مجموعة مراسلات ومكاتبات سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه مع أحد أساتذته في علم الأُصول: المرحوم آية الله الحاجّ السيّد أبي القاسم الخوئيّ تغمّده الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الأشهر القمريّة. ويضمّ هذا الكتاب بحوثاً علميّة، فقهيّة، فنيّة وحلّيّة موسوعيّة تتضمّن خمس رسائل للطرفين وباللغة العربيّة.

٢ ـ وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام

(وظيفهٔ فرد مسلمان در احياى حكومت اسلام)

مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على أساس الحقائق التأريخيّة على هيئة دروس ستّة ، من إنشاء سماحة العلاّمة آية الله قدّس سرّه للفضلاء من طلاّب مدينة مشهد المقدّسة ، وبجمع وتنظيم أحد الفضلاء .

وبعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن : لزوم تأسيس الحكومة وإعداد مقدّماتها ، العلاقات الأكيدة للمؤلّف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخمينيّ قدّس سرّه في تأسيس حكومة الإسلام ، سجن آية الله الخمينيّ والنشاط الحثيث للمؤلّف في تخليصه من الإعدام ، حقّ التقاضي القنصليّ (كاپيتولاسيون) ، نصّ رسالة سماحة العلاّمة آية الله قدّس سرّه حول مسوّدة القانون الأساسيّ إلى آية الله الخمينيّ واقتراحاته العشرون إلى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد آية الله الشيخ مرتضى المطهّريّ ، مع صورة كيفيّة تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة الأثر في الجمعيّة الإسلاميّة لمسجد القائم في طهران .

٣ ـ ولاية الفقيه في حكومة الإسلام (ولايت فقيه در حكومت اسلام)

تتحدّث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الإسلام ، وقد جرى بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، حيث جُمعت ونظّمت من قبل اثنين من الفضلاء في أربعة أجزاء تضمّ ٤٨ درساً .

وقد جرى في هذه المجموعة البحث والتحقيق في مطالب من قبيل : دلائل ولاية الفقيه وشرائطها وموانعها ، حقيقة ولاية الإمام والفقيه العادل الجامع للشرائط وحدودها وثغراتها ، وأُسلوب الحكم في الإسلام وواجب الناس تجاهه ، وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنيّة والروايات والأبحاث الفقهيّة والعلميّة والشواهد التأريخيّة والاجتماعيّه .

٤ ـ نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن)

هذه المجموعة في القسم الأوّل من دورة أنوار الملكوت (الشاملة لنور ملكوت القرآن ، نور ملكوت المسجد ، نور ملكوت الصلاة ، نور ملكوت الصيام ، ونور ملكوت الدعاء) .

وقد دوّنت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في أربعة أجزاء ، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن إلى أفضل مناهج وسُبل السلام ، خلود أحكام القرآن ، عدم نسخ القرآن ، التطبيق

العمليّ لآحاد آيات القرآن في كلّ عصر ، الردّ على نظريّة تحديد النسل ، دور القرآن وموقعه بعنوان كتاب سماويّ ، نقد ومناقشة بعض الأفهام الخاطئة للآيات القرآنيّة الكريمة ، والإشكالات الواردة على مقالة «بسط وقبض تئوريك شريعت» (= بسط وقبض نظريّة الشريعة) وكتاب «دانش و أرزش» (= الفكر والقيم) ، وكذلك كتاب «خلقت انسان» (= خلقة الإنسان) و «تكامل در قرآن» (= التكامل في القرآن) و «راه طيّ شده» (=الطريق المطويّ) .

ومن العناوين الأُخرى لهذه المجموعة : منطق القرآن توحيديّ ؛ بيان القرآن لأخطاء التوراة والإنجيل ؛ أحكام القرآن في الجهاد ، القتل ،الاسترقاق ،والفدية ؛سير القرآن في آيات الأنفس والآفاق ؛ بيان محكمات القرآن ومتشابهاته ؛كيفيّة قراءة القرآن في الصلاة وغيرها ؛ تأثير القرآن في تربية الإنسان الكامل ؛ عظمة أخلاق القرآن ؛ بيان كيفيّة خلقة الإنسان والسيّارات في القرآن ؛ دعوة الآيات الآفاقيّة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق ؛ العربيّة وإعجاز القرآن ؛ لزوم التكلّم بالعربيّة لجميع المسلمين والردّ على مسألة إحياء اللغات الفارسيّة القديمة ؛ عظمة القرآن الكريم وأصالته ؛تأثير القرآن في الحضارة الإسلاميّة العظيمة ، تفوّق علوم الإسلام على اليونان ؛ بيان كيفيّة كتابة القرآن وطباعته ؛تأريخ التوراة والإنجيل الحاليّين ؛ قاطعيّة القرآن وشموله ؛ عموميّة القرآن الكريم وامتناعه على التغيير ؛كيفيّة جمع القرآن وتدوينه .

٥ ـ نظرةٌ على مقالة بسط وقبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش

(نگرشى بر مقالهٔ بسط وقبض تئوريك شريعت دكتر عبدالكريم سروش)

قام سماحة آية الله العلاّمة قدّس سرّه العالي في هذا الكتاب ـ ضمن بيانه لعشرة إشكالات مهمة من إشكالات مقالة «بسط وقبض نظريّة الشريعة» للدكتور عبد الكريم سروش ـ بالإجابة في أحسن وجهٍ وأتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجّيّة القرآن وخلوده وعلى جميع مقدّسات العالم وحقائقه .

وكان هذا الكتاب في الأصل يشكّل القسم الأعظم من الجزء الثاني لكتاب «نور ملكوت القرآن» ، وطُبع مستقلاًّ دون تصرّف نظراً لأهميّة الموضوع ، وبناءً على اقتراح بعض

العلماء ، ولتسهيل أمر تناوله من قبل الأساتذة وطلبة الجامعات والمحقّقين ، فيُهدى إلى مَن ينشدون سبيل الحقيقة وسُبل السلام .

وهذه بعض عناوين الكتاب :

أصالة وخلود الدين الإلهيّ ومحدوديّة الفهم البشريّ ، عظمة العلوم الإسلاميّة وتفوّقها على العلوم الحاليّة ، أساس الحوزات العلميّة قائم على القرآن والعرفان ، إعراض دعاة الانفتاح عن المباني الإسلاميّة بتأثير من الثقافة الأجنبيّة ، بُرهان العلّامة الطباطبائيّ في استناد العلل الطبيعيّة إلى العلل المجرّدة ، منطق القرآن حجّيّة العقل واليقين لا الفرضيّات الوهميّة .

٦ ـ الرسالة النكاحيّة : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين (وقد طبع الكتاب في طبعته الأُولى بهذا العنوان :«الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين»)

(رسالهٔ نكاحيّة : كاهش جمعيّت ، ضربه‌اى سهمگين بر پيكر مسلمين)

أصل هذه الرسالة قسمٌ من الجزء الأوّل لكتاب «نور ملكوت القرآن» جرى فيه البحث في تفسير آية **وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ**» . ونظراً لأهميّة المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب وطُبعت بشكل مستقلّ باسم «**الرسالة النكاحيّة**» . وبالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلفت الأنظار في وقت طبع هذه الرسالة ـ حيث تنقضى سنواتٌ خمس على ارتحال الفقيد المعظّم القائد الكبير للثورة الإسلاميّة ـ تحت عنوان تنظيم العائلة والحدّ من عدد السكّان ، فقد عمد سماحة آية الله العلّامة إلى كتابة تذييلات على هذه الرسالة ، وفسّر اسم الرسالة النكاحيّة بعطف جملة «**تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين**» ، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمّت ثلاثة عشر مطلباً ، تحليل مسألة تحديد النسل من وجهة نظر القرآن والإسلام ، كما أُزيح الستار فيها عن السياسات الاستعماريّة الخادعة الرامية إلى تقليل قوّة المسلمين .

وبعض العناوين التي تتصدّر هذه التذييلات هي :

الهجوم العنيف للاستكبار العالميّ بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للثورة ؛ عدم الرجوع إلى رأى المجتهدين والفقهاء حتّى إلى فتوى آية الله الخمينيّ (ره) ؛ وجهة نظر سماحة آية الله الخامنئيّ في مسألة تحديد النسل ؛ إحصائيّات خسائر النساء والرجال في خصوص مسألة إغلاق

الأنابيب ؛ حُرمة إغلاق الأنابيب و تعلّق الدية الكاملة بها ، تضادّ فلسفة الإسلام وروح الإيمان مع تحديد النسل .

٧ ـ رسالة مسوّدة القانون الأساسيّ (نامهٔ پیش نویس قانون أساسی)

تبدأ هذه الرسالة بالآية الكريمة «**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَـصْرُ ٱلْـمُؤْمِنِينَ**» ، وتعكس وجهات نظر سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه الحاكية عن دقّة نظره و تبصّره في المسائل الدينيّة والسياسيّة . وقد جرى في تلك الرسالة نقد وإصلاح أُصول مسوّدة القانون الأساسيّ وفقاً للموازين والمعايير الإسلاميّة .

دورة العلوم والمعارف الإ سلاميّة

(٧)

الأبحاث التأريخيّة

١ ـ لَمَعات الحُسين عليه السلام

حاوية لبعض كلمات و مواعظ وخطب سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام مع ترجمتها وذكر مصادرها من الكتب المعتبرة ، وهي ـ لاختصارها وبساطتها ـ قابلة للحفظ من قبل العموم ، وخاصّة طلّاب العلوم الدينيّة وطلبة الجامعات الملتزمين .

٢ ـ الهديّة الغديريّة : رسالتان قاتمة ومشرقة

(هديّهٔ غديريّه : دو نامهٔ سياه وسپيد)

وتشمل هذه الكرّاسة رسالة من أمير أهل الخلاف في بخارا وجوابها من قبل أمير أهل الولاء في خراسان ، حول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته بلا فصل ، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن ؛ ويمكن عدّها لإنشائها الرائع ومنطقها المتين وبُرهانها السديد وخطّها الجميل الظريف من بدائع التحريرات . وقد طُبعت هذه المجموعة مع مقدّمة وتحقيق من قبل سماحة العلّامة آية الله قدّس سرّه ، وأُهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير خمّ إلى الإخوة المؤمنين

والطلبة المتتبّعين لمعارف أهل اليقين .

* * *

هذه هي مجموعة من الكتب التي أُلّفت من قِبل المؤلّف قدّس سرّه ، والتي بادرت «مؤسّسة ترجمة ونشر دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة» إلى ترجمتها وتقديمها تدريجيّاً إلى القرّاء المحترمين ، وهناك مجموعة أُخرى للمؤلّف لم تنشر بعد .

مؤسّسة ترجمة ونشر (دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة)